

سلسلة
الجوائز
العالمية

www.ibtesama.com

أنياب الثين

نصر



القصة الحائزة على جائزة بولتزر عام ١٩٦٣

**** معرفتي ****

www.ibtesama.com

منتديات مجلة الإبتسامة

تأليف : ابنتون سنكلير
ترجمة : الدكتور نظمي لوقا
مراجعة : الدكتور هريش القامادي

دار الكاتب العربي للطباعة والنشر

**** معرفتي ****
www.ibtesama.com
منتديات مجلة الإبتسامة

أنيا بـ التّنين

القصة المائزة على جائزة بولتزر عام ١٩٤٣

تأليف

أبتون سنكلير

ترجمة: الدكتور نظمي لوتّا

مراجعة: الدكتور هسبر القامادى

الدار المصرية للتأليف والترجمة

هذه ترجمة كاملة للقصة

DRAGON'S TEETH
BY
UPTON SINCLAIR

في مثل هذه الأوقات العصيبة لا يملك كاتب
مسن ما يقلعه للناس سوى الكلمات • وهذه
المجموعة من الكلمات مهداة الى أولئك الرجال
والنساء اللذين يضحون في انحاء كثيرة من العالم
بارواحهم دفاعا عن قضية الحرية والكرامة
الانسانية •

المؤلف

سنة ١٩٤١

**** معرفتي ****
www.ibtesama.com
منتديات مجلة الإبتسامة

الكتاب الاول

الصباح يفتح ابوابه الذهبية

الفصل الاول

البداية القديمة

- ١ -

كان « لاني بد » بمفرده في حجرة استقبال صغيرة الحجم ، جالسا في مقعد وثير ، وقد تهيأت له كل اسباب الشعور بالراحة الا ان الراحة لم تكن بادية عليه ، فهو يتأمل كثيرا ، ويكثر من التطلع الى ساعته ، ثم يفحص اظافره التي لم تكن بحاجة الى ان يلتفت اليها ثم يبحث عن هنات صغيرة من الغزل في بنطلونه المصنوع من الصوف المغزول غزلا يلائم المنطقة الحارة ، ولما أزال آخر هنة فيه منذ امد أخذ ينظر من النافذة المطلّة على جارة من آنق الجارات في مدينة « كان » ؛ مع انه كان قد الف ذلك المنظر ، وهو منظر لم يطرا عليه تغيير . وكانت على ركبته رواية شعبية ولكنه كان بين الحين والحين يجد انه لا يستطيع حمل نفسه على الاهتمام بحديث يدور بين نفر من أهل المجتمع الانيق .

وقد تخترق الحجرة من آن لآخر ممرضة من الممرضات الكثيرات المكتسيات بالبياض . وكان « لاني » قد وجه اليهن اسئلة كثيرة جدا حتى استشعر الحجل من الحديث اليهن مرة اخرى . وهو يعلم ان سائر الازواج يخرج سبلوكهم عن نطاق المعقول في مثل هذا الاوان ، لانه رأى جماعة منهم في مسرحية فوجدتهم مهتاجي الاعصاب وان كان لا ضرر منهم . فكلهم كانوا متململين يتطلعون الى ساعاتهم ، وكلهم كانوا ينهضون ويتجولون بغير داع ، وكلهم كانوا يلقون على الممرضات بالاسئلة العقيمة . ولدى الممرضات اجابات مسجلة محفوظة يرددونها بعينها في

جميع انحاء العالم ، بغير اختلاف الا من حيث اللغة : « نعم نعم يا سيدى
٠٠ كل شيء على ما يرام ٠٠٠ يجب ان تترك الطبيعة تأخذ مجراها ٠٠٠
يلزم لهذا بعض الوقت ٠٠ انها الطبيعة » .

وكان « لانى » قد سمع هذا القول الاخير فى منطقة « الميذى » مرارا
كثيرة ، فهى صيغة تصلح لتبرير كثير من الاشياء . وقد سمعها بعد ظهر
اليوم اكثر من مرة ، ولكنها فشلت فى اقناعه ، فهو ثائر ضد الطبيعة
واساليبها . ولم يكن قد جرب العذاب كثيرا فى حياته الخاصة ، ولا كانت
لديه رغبة فى أن يتعذب سواء من الناس ، ولو استشير فى الأمر لوسعه
فيما يرى ان يقترح تحسينات كثيرة فى اساليب هذا الكون العجيب
الاطوار . يا لهذه السنة التى يجرى عليها الكون فى البلوغ بالخلق تخوم
الشيخوخة ثم اخراجهم من مسرح الحياة وامداد هذا المسرح بخلق سواهم
وانه يعرف أشخاصا عنوا بتدريب أنفسهم وتكميل ذواتهم ، فما أجمل
النظر اليهم وما اعلمهم واحذقهم ، ومع هذا فلا مندوحة لهم عن الموت بعد
امد غير مديد - وهم اذ يدركون هذا الامر لا مفر لهم من انجاب ذرية
جديدة تحتل مكانهم من بعدهم .

ان « لانى بد » ينتمى الى الطبقات الميسورة التى لا حاجة بها الى
الارتزاق ، وفى وسعك ان تستدل على ذلك بنظرة واحدة الى وجهه الباسم
غير المتغضن وبشرته التى لوحتها الشمس تجرى فيها دماء تنبئ عن جودة
التغذية ، وشاربه الصغير المحدد وشعره البنى المشذب المصنف باناقة
وحلته المتقنة التفصيل الحديثة الكى ، وقميصه ورباط عنقه ، وحذائه
وجوربه ، كلها متناسقة ، الالوان غالية الصنف . وقد انقضت فترة من
الزمن لم ير فيها دما يراق او يحس باى انزعاج ، فحياته مرتبة مكفولة
على هذا الاساس . ويصدق هذا القول ايضا على زوجته . ولكن ها هى
الآن هذه المسألة المزعجة ، هذا العذاب والتوتر الذى طال عليه الامد -
يا الهى ! ما جدوى الاطباء ورجال العلم ان لم يكن فى مقدورهم ان يبتكروا
شيئا يغنى عن هذا كله ! ما اشبه هذا الامر بثوران بركان فى مجتمع
وادع آمن ، انه لا يخفف من هذا كثيرا ان فى مقدورك تدارك الحدث قبل
وقوعه فتذهب مقدما الى مستشفى للولادة فتحجز فيه حجرة لقاء كذا من
المال فى الاسبوع وتتفق مع طبيب مولد يقوم بالمهمة نظير كذا من النقود .

جراح ! رجل تحت يده قدر من الادوات الفولاذية اللامعة على
استعداد لمعاونة الطبيعة فى فتح رحم امرأة واخراج وليد صخاب كثير
الحركة من احشائها ! لقد بدا ذلك الامر للانى غير معقول حينما سمع به

أول مرة وهو غلام يلهو مع صغار الصيادين هناك على الساحل المطل على البحر الأبيض المتوسط يساعدهم في اخراج مخلوقات عجيبة من البحر ويصفى لحديثهم عن « حقائق الحياة » . وقد بدا له الأمر في هذه اللحظة بعيدا عن التصديق - على نحو ما تراءى له حينذاك تماما - عندما علم ان ذلك سيتم في حجرة غير بعيدة عن مكانه ، وان الضحية رفيقة صباه الشابة الجميلة التي احبها حبا عميقا . وشغلت مخيلته المتوقدة بالتفاصيل الدامية ، فجعل يقبض يديه بعصبية عنيفة حتى ابيضت مفاصل اصابعه . وارتفع احتجاجه على الطبيعة الى درجة الصياح بينه وبين نفسه : « ايما وسيلة الا هذه ! لتكن أى شيء يتوفر فيه العقل والكرامة ! » وخاطب امه الاولى يسائلها لماذا لم تلتزم طريقة البيض التي يلوح انها مؤدية للفرص على ما يرام بالنسبة للطيور والشعابين والسحالي والاسماك ؟ يا لهذه المخلوقات المسماة « ذوات الدم الحار » اما أكثر دمها الذي تريقه بكل سهولة !

- ٢ -

وكان « لاني » يعلم ان « ايرما » لا تشاركه هذه المشاعر ، فايروما « امرأة عاقلة » لا تقضها التخيلات المسرفة . وكثيرا ما قالت له : « لا تضطرب ، سأكون على ما يرام ، فهذا أمر لا يدوم الى الابد » . وكل انسان كان يرى ان « جونو » (١) الشابة هذه خلقت للأمومة ، امتطت صهوات الخيل ، وسبغت ، ولعبت التنس ، ولها جسد فائز ، ولم يكفهر لونها عندما اجتازت عتبة هذه المستشفى ، بل ولا حينما سمعت صرخات النساء الاخريات فالامور دائما تمضي على ما يرام بالنسبة لايرما بارنز ، وهي قد طلبت من « لاني » ان يعود الى الدار فيعزف على البيانو وينسى امرها ، ولكنه ها هنا جلس وراح يعمل ذهنه في التفاصيل التي كان قد اطلع عليها في مقال بدائرة للمعارف عنوانه « علم الولادة » ، فمنذ يفاعته وهو يآلف الرجوع في أمور كثيرة الى هذا المصنف الجدير بالركون اليه . ولكن المقال - تبا لكل شيء : - خصص حيزا اكبر مما ينبغى « للنزول بالمؤخرة » وغير ذلك من الاوضاع الشاذة ، فكان خيرا للاني والحال هكذا لو انه دخل

(١) جونو زوجة كبير الارباب جوبيتر وحامية الزواج عند الرومان . (المترجم)

حجرة الولادة فعلا . وكان يؤثر ان يدخل ، ولكن ذلك كان حريا ان يعتبر مخالفة خارقة جدا للمالوف في هذا البلد الحريص على العرف المتداول في صرامة .

وهكذا جلس في حجرة الاستقبال الصغيرة ، بين الفينة والفينة يتفصد جبينه عرقا مع ان اليوم كان من أيام الربيع الرطبة على شاطئ الريفييرا . وسره ان تكون الحجرة خالصة له ، وحينما كان يخترقها احد كان لانى يخفض بصره الى كتابه ويتظاهر بالاستغراق في القراءة . فان كان القادم احدى المرضيات لم يستطع رد نفسه عن استراق نظرة اليها ، على امل ان تكون هي المرضية المنتظرة في اللحظة المرتقبة ، وتبتسم المرأة لان العرف يسمح لها بالابتسام لسيد شاب وسيم ، ولكنه لا يسمح لها بالدخول معه في تفصيلات علم الولادة . وتقول له بالفرنسية : كل شيء يمضى على خير . وجه يا سيدى . اطمئن بالا . . ففي مثل هذه الاماكن تدور عجلة الحياة وفق جدول منتظم ، ومن يدرون آلتها يكسبون سلوكا مهنيا ، وتفقد عباراتهم مقننة بحيث تخرج انتاجا وفيرا من التهذيب ومن الاطفال على حد سواء .

- ٣ -

ودعى «لانى بد» الى التليفون وكان المتكلم بيترو كورساتى الامريكى الايطالى المولد الذى يمثل صحيفة نيويوركية فى روما ويقضى عطلته الآن على شاطئ الريفييرا . وهو قد ادى ذات مرة خدمة للانى ، ووعدته بخدمة مقابلها الا وهى ان يحظى «بيت» (١) منه بالنبا بمجرد تمام الوضع ، بيد ان الوضع يابى ان يتم ، ولعله لا يزعم ان يتم . وقال المراسل فى عطف : « انى أدرك شعورك ، فقد مررت بهذه التجربة من قبل » وصاح الزوج الشاب الثائر : « لقد دامت هذه الحال اربع ساعات » فاجابه الصحفى بالاستهانة المعهودة فيهم : « وقد يدوم اربعا اخرى . او اربعا وعشرين . فلا تنزعج اكثر مما ينبغى . انها مسألة حدثت كثيرا جدا من قبل . . »

وعاد «لانى» الى مقعده وهو يفكر فى ايطالى أمريكى يتكلم بلهجة أهل بروكلن بشكل واضح استطاع ان يشق طريقه الى منصب فى صحيفة هامة ، ولديه حكايات مضحكة كثيرة يرويها عن النظام الفاشى وزعمائه

(١) المترجم)

(١) بيت تدليل بيترو او بيترو

الذين يطلق عليهم - يا للعجب - الكنية التي تطلق على المهاجرين الطليان الى امريكا الشمالية . من احسن حكاياته ما يرويهِ عن نفسه « وكيف انه اضحى المرشد والفيلسوف والصديق لفتاة نيويورك من فتيات الاغراء خطبت لارستقراطي فاتن من ابناء روما ثم اكتشفت انه يعيش مع راقصة باليه من راقصات الاوبرا لا يفكر في التخلي عنها ، فانهارت الفتاة الامريكية وبكت امام « بيت » وسألته ما العمل ، فقال لها : « استقلى طائرة واذهبي بها فوراً الى لاني واطلبي منه ان يتزوجك بالرغم من ثرائك المفرط ! » .

وانه لحظ عائر الا يستطيع صحفي نشر احسن حكاياته . ولم يطلب الى بيت الا ينشر هذه الحكاية ، بيد انه لم ينشرها . وبذلك أمسى لاني الآن صديقه مدى العمر ، انه على استعداد لتجشم المشاق في سبيل اتاحة الفرص له كلما استطاع الى ذلك سبيلاً . وحديثهما معاً دائماً حديث خلانٍ ، ولا يبالي لاني ان يقول ما يعرفه قلة قليلة من اصدقائه وهو ان ايرما نفذت بالضبط ما اشار عليها به « بيت » ، وانها تزوجت لاني يوم عثرت عليه في لندن . وشرعاً في « العمل على الفور بهمة » - على حد تعبير اهالي بروكلن - وها هي النتيجة بعد تسعة أشهر من الزواج : واذا لاني جالس في حجرة استقبال بمستشفى للولادة ينتظر وصول طائر اللقلق ، العتيد . ينتظر الحدث الميمون ، ينتظر اللقافة الصغيرة القادمة من السماء . وهو يعرف هذه العبارات لانه وايرما كانا في نيويورك حيث طالما المجلات الصغيرة الصفراء واصفيا للمذيعين وهم يطلقون لفظهم بالتعبيرات الدارجة بسرعة طلقات الرصاص من مدفع « آلي » من انتاج مصانع « بد » .

لقد وعدني لاني « بيت » بسبق صحفي ، وهو امر غير عسير عليه جداً ، لان رجال الصحافة الفرنسيين لا يبذلون نشاطاً بارزاً في تعقب اعمال طائر اللقلق العتيد ، وربما اعيد ارسال النبا بالبرق (من امريكا) الى باريس لتنشره الصحف الناطقة بالانجليزية فيها وقد خالط لاني المراسلين الصحفيين مخالطة شديدة بحيث وسعه ان يخمن ماذا سيضمنه « بيت » رسالته البرقية وكيف ستظهر هناك بعد أن « يقبلها » مراجع التحرير في ارض الحرية الحبيبة . ولا مراة في ان « بيت » قد ارسل بالفعل « الماعة سريعة » وان قراء صحف هذا الصباح عرفوا الآن ان مسز لاني بد - التي كانت تدعى من قبل ايرما بارنز - فتاة الاغراء في الموسم الماضي ، نزيلة مستشفى خاصة في كان انتظارا للحدث السعيد .

(١) من اساطير الاطفال ان الوليد الجديد يحمله من السماء طائر اللقلق . (المترجم)

وستذكر الصحف التفصيلات السديدة الملائمة ، من ان ايرما كانت الابنة الوحيدة للمرحوم ج . باراماونت بارنز المتوفى اخيرا ، من كبار رجال الاعمال ، وقد ترك لها ميراثا صافيا قدره ثلاثة وعشرون مليوناً من الدولارات . وان والدتها من آل فاندرنجهام بنيويورك وان خالها «هوارس» فاندرنجهام المضارب في وول ستريت الذي افلس في انهيار السوق الاخير ، وان ثروة ايرما الخاصة يقال انها هبطت الى النصف بيد انها لم تزل مالكة لضيعة فاخرة في لونج آيلند ينتظر ان تعود للاقامة فيها قريباً . والمتوقع ان تذكر الصحف ايضا ان زوجها ابن روبرت بد من اصحاب اتحاد مصانع بد للأسلحة في نيوكاسل بولاية كونكتيكت ، وان امه كانت من ذوات الشهرة العالمية في الجمال ، وهي الآن ارملة مارسيل ليتاز الرسام الفرنسي الذي اثار اعماله ضجة في نيويورك الحريف الماضي . ومثل هذه التفصيلات يطالعها بشغف جمهور يعيش على افعال الاثرياء كما كان الاغريق القدامى يعيشون على العلاقات الغرامية التي يمارسها الخالدون القاطنون فوق القمة الثلجية لجبل الاولمب .

- ٤ -

وكان «لاني» يؤثر ان يولد طفله بعيداً عن الاضواء ، لكنه كان يعلم ان ذلك مستحيل . فهذا التيار من الالكترونيات او الموجات او ايما شيء كان لا بد ان يتبع ايرما في اسفارها ، ما دامت مالكة للنصف الآخر من ثروتها . وهي في حقيقة الامر لم تفقد شيئاً من ثروتها ، لأن كل امرئ رجلاً كان أو امرأة قد نصف ثروته في هذه العملية . وبذلك بقيت النسبة محفوظة بين الاثرياء كلهم ولم تزل ايرما بارنز تحتل منزلتها الملكية ، وكذلك ايضا ذلك الشاب المجدود الذي اختارته لمنصب زوج الملكة . وفي ايام « العهد البائد » كان من الحق المقرر الراسخ بطول الاستعمال ان يصاب النبلاء والنبيلات في اوان مخاض ملكة فرنسا ان يتشبثوا بانفسهم ان المولود وريث للعرش حقاً وليس وريثاً مدسوساً . ولم تكن حكايات اللقلق مقبولة لديهم ، بل كانوا يشهدون باعينهم البروز المادي الى الوجود لولي العهد الوليد . وفي مخدع ماري انطوانيت تجمعت حشود منهم حتى لقد صرخت الملكة انها توشك ان تختنق ، ففتح الملك نافذة من النوافذ بيديه . وليس الامر بهذا السوء الآن بالنسبة للملكة الجالسة على عرش ثروة بارنز ، ولكن الحق الذي لا مرية فيه ان جمهور قراء الصحف المستمعين

الى الاذاعة يرحب بنشرات تصدر ساعة بساعة عما يجرى فى هذه المستشفى المخصصة للولادة .

ولكن . يا للجنة ! حتى « لاني » نفسه لا يدري ماذا يجرى هناك ! وما جدوى تحضير ما يقال لندوبى الصحف عن الوارث الظاهر او الوارثة الظاهرة لثروة بارنز فى حين انه - او انها - يصر على عدم الظهور . ومبلغ ما فى علم زوج الملكة ان الجراح ربما كان مشغولا الآن بكفاح شديد ضد ولادة عسرة او لعله يقطع اوصال الطفل فى هذه اللحظة ، او يقوم بعملية قيصرية لانقاذ حياته ! وغرس لاني اظافره فى راحيته ونهض يذرع الارض . وكلما دار على عقبه بالقرب من زر الجرس فى حجرة الاستقبال راودته نفسه ان يضغفه . انه يدفع ثمن خدمات لا يتلقاها ، وهو يستجمع الآن قواه ليطلب بها . ولكن فى هذه اللحظة بالضبط مرت بالحجرة ممرضة واغدقت عليه ابتسامة من ابتساماتها التقليدية وقالت له بالفرنسية : « اطمئن يا سيدى . كل شيء على ما يرام » .



وطلب لاني والدته تليفونيا . وكانت بيونى بد قد مرت بهذه المقامرة مرتين ونصف مرة من قبل - كما قالت - ولذا فهي تتحدث عنها عن بينة . وليس فى مقدوره ان يصنع شيئا فلماذا لا يعود الى البيت ويتناول شيئا من الطعام بدلا من ازعاج نفسه واعاقة غيره عن عملهم ؟ ان هذا الامر من شأن النساء وحدهن ، وما من نافلة فى الدنيا كالزوج فى هذا المقام . واجابها لاني انه ليس جائعا وانهم لا يسمحون له بعرقلة عمل واحد .

وعاد الى مقعده فى حجرة الجلوس وراح يفكر فى السيدات . فهن - بصفة عامة - شديداً الفردية ، كل منهن تعمل لحساب نفسها وهى شديدة الفطنة لنقائض الاخريات وفكر فى المجموعة المحيطة بامه ، ممن اتيح لهن التأثير فى حياته شخصيا . وتذكر اللكزات اللفظية الصغيرة الماكرة التى سمعن يتبادلنها ، وما اظهرنه من افتقار الى التعاون . لقد كن مهذبات مع ايرما ، ولكنه كان واثقا بأنهن وراء ظهرها ووراء ظهره كن يجدن عناء شديداً فى الصفع عن محابة الحظ لها بهذا الثراء العريض . ومع هذا ابدى بمجرد وصول حملها الى ذروته ميلا للالتفاف حولها فى رقة ورعاية ، وكن قمينات ان يأتين للمساعدة فى احضار الاشياء وحملها

والامساك بيديها للتهوين من حدة الالم وتقلصاته لولا ان لهذه المهام نساءها المحترفات المدربات عليها .

فكر لاني في امه ودورها في هذه المأساة ، مأساة دخول نفس اخرى الى المسرح ، وكيف كانت بيوتى حماة مثالية الى ذلك الحين فقد عملت بجد على اتمام هذا الزواج ، لايمانها بالمال ، فليس في ذهنها ادنى شك في سداد رأس المال او حقه في ان يفرض ارادته . او لم يثبت الذعر الذى احده الانهيار في وول ستريت صواب حكمها هذا ؟ واين تراهم كانوا صائرين جميعا لولا ثروة ايرما الطائلة ؟ ومن ذا من بين اصدقاء ايرما لم يصبح بحاجة الى عون ؟ هيا ازمع انك تزدري المال ما شئت ، وانفوس ما شئت في الاحاديث القرمزية ، على نحو ما يصنع لاني ، ولكن عاجلا أو آجلا سيثبت لك ان المال هو الذى يسير دفة الامور ويتكفل بالطعام والمظهر الحسن والصحة والدفع ووسائل الراحة والمسكن .

ان بيوتى بد في طريقها الى ان تصبح جدة . وهى تتظاهر بالاستياء من هذه الفكرة ، فتمط شفيتها وتصرخ بأنها ستقضى قضاء مبرما على حياتها الاجتماعية فالعقبات الأخرى يمكنها ان تتحاشاها بحيلة او بأخرى . ففي وسع المرأة ان تخدع الناس في سنوات عمرها ، وأن تجرى لوجهها جراحة تجميل لازالة التجاعيد وملء الفضون بطبقة صقيلة من الجلد . اما حينما تغدو المرأة جدة فليس في وسعها حين يعلن احدهم هذه التهمة على الملا الا ان تصمت ، وفي ذلك نهاية شأنها كله من حيث انها فاتنة ، او رقيقة رقة الفراشة ، او حسناء يهد لها الحسن أن تكسب من عملها !

بيد ان هذا كله كان من قبيل التظاهر الكاذب ، فبيوتى في حقيقة حالها سعيدة بولادة طفل يرث ثروة بارنز ويتدرب على الاستخدام السليم للجاه والسلطة التى تضفيهما على صاحبها . ومعنى هذا ان يكون المرء وقورا فخما ، موضع اعجاب ، وان يخطب الناس وده ، فهو امير - او اميرة - في ذلك الضرب الحديث من الامبراطوريات الذى ابتدعه اقوياء الرجال في هذه الايام . فبيوتى تموج حناياها بافكار رومانسية مستقاة من الحكايات الخرافية التى قراتها وهى طفلة ، وقد احضرت هذه التخيلات معها الى باريس ومزجتها بحقائق السيارات الفاخرة والفراء الثمين والمجوهرات والالقاب وامارات التكريم ، ثم بصورة الامير الشاب الساحر ابن صانع الذخائر من بلادها . ان قصة بيوتى بد من قبيل قصة سندريلا وقد بلغت بها مدى أبعد من المدى المعتاد للقصص الخرافية . يا للجنة سندريلا !

لم يعد في وسع لاني ان يصبر على هذا القلق الذي يعلقه في الهواء ، ولا على هذا الشعور المنذر بالكوارث ، فدق الجرس وطلب مقابلة رئيسة الممرضات ! اجل ، فحتى الزوج على هوان شأنه في هذا المقام له بعض الحقوق في محنة كهذه ! وظهرت الموظفة جادة متصلبة الملامح بتأثير الثياب المنشأة والسلطة المخولة لها ، رادعة النظرة من وراء نظارتها ، واستجابة لطلب لاني رضىت ان تخرج على الصيغة المعتادة المتبعة دواما وفحواها « ان كل شيء يمضى على خير وجه وانه ينبغي ان يطمئن » ، وبدقة مهنية شرحت له كيف ان في التكوين الانثوي انسجة معينة يجب مطاها ، ومرات يجب توسيعها - واستعانت رئيسة الممرضات بيديها - وانه لا سبيل الى ذلك الا عن الطريق التي رسمتها الطبيعة ، وهي جهد المرأة التي اتاها المخاض . وسيقوم الطبيب المولد بزيارتها في غضون الساعة القادمة او نحو ذلك ، ولعله مستطيع عندئذ ان يريح بال السيد في هذا الشأن .

وكان باعنا على ضيق لاني وقلقه ان ذلك الشخص لم يكن قائما على رعاية ايرما الآن . فلقد توهم الزوج انه حين وافق على الاتعاب الكبيرة التي طلبها منه فان من حقه ان يجد الرجل جالسا الى جوار فراش ايرما يرقبها ويرعاها ، او على الاقل وحسب ان يكون موجودا في البناء مستعدا للطوارئ . ولكن هاهو ذا قد انطلق لأداء واجبات أخرى ، أو لعله راح ينشد لذة من ملذاته . انه انجليزى ، وقد يكون الآن مشغولا بلعب الجولف ، يستحم بعده تحت الدش ويحظى بما لا غنى عنه من الشاى والسمر حول موائده ، وبعد ذلك يتهادى الى حيث يلقي نظرة على ايرما . وفي غضون هذه المدة قد يحدث ما يمكن ان يحدث ويصل الامر الى المدى الذي لا يجدى فيه علاج !

وعاد لاني الى مقعده الوثير ، وحاول أن يقرأ الرواية الشعبية ، وتغنى لو انه احضر شيئا اوفر نصيبا من الثقافة ، فأحاديث هذه الشخصيات الانيقة كان شديد الشبه بما يدور الآن في دور العرض ونوادى الشاى وحجرات الاستقبال في هذه البقعة التي تعتبر ارض اللهو في اوربا ، فالانهيار المالي وراء البحار لم يشب هؤلاء الناس الى رشدهم ، فما زالوا سادرين في ثرواتهم ولفظهم ، و « لاني بد » ثائر عليهم ، ولكنه لا يدري ماذا يصنع لاصلاح هذه الحال . ومن المؤكد ان النساء - في مواجهة ذلك الشيء الفظيع الذي يجرى في هذه المستشفى ، وادراكا منهن ان هذا هو

قدرهن المكتوب عليهن على مر العصور - ينبغي ان يكون لهن اهتمام جدى بالحياة فيصنعن شيئا لتخفيف عبئها على غيرها ينبغي ان يشعرن نحو بعضهن بشيء من هذا الرثاء الذى يشعر به لاني الآن نحو ايرما .

- V -

وانفتح الباب المفضى الى الشارع ودخل رجل امريكى طويل القامة ينسب مظهره عن قوة ، فى الخامسة والثلاثين او نحوها ، ذو شعر احمر وابتسامة مرحة . وهو المؤدب السابق للانى لفترة من الزمن وصديقه الذى يركن اليه جيرى بندلتون من ولاية كنساس ، وهو الآن صاحب مكتب للسياسة فى كان . وقد اتصلت به بيوتى تليفونيا ليحيى الى هنا ليخفف عنه قلقه . وجيرى خير من يصلح لهذا ، فقد مر بهذه التجربة شخصيا لان لديه ثلاثة غلمان اصحاء وزوجة فرنسية صغيرة الجسم مرحة ينهضون دليلا على ان الطبيعة ليست مخبولة كل الحبال . وهو يعرف بالضبط كيف يمازج صديقه ويهون عليه ما به ، وجلس جيرى فى المقعد المجاور وهتف به يأمره ان « أبشر فما هى بمعركة الميزارجون » (١) .

اجل ان الملازم السابق جيرى بندلتون الذى تطوع فى الجيش وبدأ الخدمة خبيرا فى المدافع الرشاشة يعرف الكثير عن الدم والعذاب . وهو فى الغالب لا يخوض فى هذا الحديث ، ولكنه فى مرآت متباعدة أثناء ركوب طويل فى السيارة او وهو جالس فى الزورق وقد طال انتظار السمكة لتفزع الشخص ينطلق متحدثا قاصا طرفا مما مر به . واسوأ ما فى الامر ان الذين تعذبوا وماتوا لم يحققوا بذلك كله شيئا على ما يبدو للباقيين على قيد الحياة . لقد انقذت فرنسا ولكنها لم تحسن الافادة كثيرا من انتصارها ، وكذلك الحال بالنسبة لغيرها من الامم . اما المعركة التى تخوضها « ايرما » الآن فى الحجرة المجاورة فمن نوع اجدى ، لاني ستحظى بشمرة لآلامها ، وسيحظى لاني بشمرة لآلامه ايضا - هكذا قال جندي المشاة الامريكى السابق باسم .

وقد سعد لاني اكثر من مرة بالاعتماد على هذا الرجل المتين البنيان . ففي ذلك الوقت العصيب الذى قفز فيه مارسل ديتاز من بالون ثابت مشتعل قام جيرى بقيادة السيارة التى حملت لاني وامه الى المنطقة

(١) مكان على نهر ميز بين الدانورك وهرلسايت ولعت كثير من المراكب الحربية .
(المترجم)

العسكرية وساعد فى نقل الرجل المحطم الى البيت وتمريضه حتى عاد الى الحياة . ولذا عندما قهقه الآن قائلا : « انك لم تر شيئا بعد » عرف لاني شيئا بعد » عرف لاني فيه على الفور روح جندي المشاة القديم .

ان الوكيل السياحي يجد الآن بعض المتاعب الخاصة ، وقد اشار الى الهبوط السريع فى الاعمال ، والى ان كثيرا من الامريكيين لم يأتوا الى الريفييرا هذا الموسم . ويلوح ان الاوقات العصيبة بسبيلها الى التفشى فى اوربا . فهل يرى « لاني » هذا الراى : ؟ وأجابه لاني ان هذا رأيه بالتأكيد ، وذكر له كيف ناقش المسألة مع أبيه . وقد يكون صحيحا ان القيم النقدية التى محاها وول ستريت لم تكن سوى قصاصات ورق كما قال اناس كثيرون جدا ، ولكنها كانت قصاصات ورق فى وسعك ان تنفقها فى أى وجه شئت ، بما فى ذلك تذاكر السفر على البواخر والشيكات السياحية . اما وانت لا تملكها الآن ، فلا يسعك ان تنفقها . وفى مقدور لاني وزوجته ان يتذكرا أسماء عشرات من الناس تحدوا الثلج والصقيع فى شتاء نيويورك المنصرم وكانوا يعدون أنفسهم سعداء ما داموا يملكون ثمن تذاكر لوجبات الطعام .

وقال جبرى انه مر بضائقات كثيرة قبل هذه وانه فى وسعه ان يثبت لهذه الضائقة أيضا . وسيتحتم عليه ان يشرح موظفى مكتبه ويقوم مع « سريز » بالعمل كله . ومن حسن طالعهما ان لديهما تذاكر وجبات لانهما مازالا يعيشان فى بنسيون فلافان الذى تملكه وتديره والدته زوجته وعمتها . وقال المؤدب السابق : « عليك ان تأخذنى لصيد السمك وتدعنى أعود الى البيت حاملا ما أصيده منه . » وأجابه لاني : « سنحدد موعدا لذلك متى علمت ان ايرما بخير » . واذ قال ذلك دق قلبه . اتراه سيعلم حقا ان ايرما بخير ؟ هب قلبها الآن انتابه ضعف والمرضات منهنكات فى انتعاشه ؟

- ٨ -

ووصل الجراح أخيرا ، فاذا به رجل انجليزى فى أوسط العمر حليق الوجه يقظ شديد الدقة خداه ورديان من اثر العمل فى الحلاء تحت أشعة الشمس وما أعقبه من حمام بارد تحت الدش . وكان قد تحدث الى رئيسة المرضات تليفونيا وعرف ان كل شيء يمضى على خير وجه ، وكان فى وسع لاني ان يفهم كيف ينبغى للجراح أن يأخذ عمله مأخذا هادئا لانه

لا يستطيع أن يتعذب مع سائر مرضاه ، وعليه سواء أفعّل ذلك غيره أم لم يفعل . وقال الجراح انه سيري مسز بد ثم يبلغه بالنتيجة .

وعاد لاني الى مناقشتها في التدهور المالي وأسبابه . وكان رأس لاني حافلا بالنظريات التي استقاها من الصحف الحمراء والقرمزية التي « يتعاطاها » . أما جيري فكانت قراءته مقصورة في الغالب على صحيفة « سترادي ايفنج بوست » والطبعة الباريسية بصحيفة « نيويورك تريبون » ولذا انتابته الحيرة ولم يستطع أن يتصور ماذا حدث لكل تلك النقود التي حصل عليها الناس في أوائل أكتوبر سنة ١٩٢٩ وأين ذهبت كلها في نهاية ذلك الشهر نفسه . وشرح له لاني هيكل نظام الائتمان وكيف انه دمية بالونية تلمع لمعانا براقا في ضوء الشمس وتراقص بمرح مع هبات النسيم الى أن يفرس فيها بعض الناس دبوسا . فقال جيري : « بحق الجحيم ينبغي أن أدرس هذه الأمور بامعان » .

وظهر الجراح مرة أخرى مرحا كالعهد به بطريقة متجدية لشعور لاني ، فقال ان مسز بد مريضة جديرة بالفخر فسلوكها هو السلوك الواجب على المرأة الشابة ، وان أوجاع المخاض ، كما يسمونها ، قد تستمر فترة أخرى من الوقت ، ولا يمكن عمل شيء في تلك المدة . وشعر لاني باستياء ولكنه كان يعلم ألا جدوى من اظهار مشاعره بل ينبغي عليه أيضا أن يسلك المسلك المهني . وقال الجراح : « سيكون قريبا منكم بحيث آتي في الحال اذا دعيت . وفي وسعك أن تخرج الأمر من ذهنك برهة » فشكره لاني .

وبعد انصراف الجراح قال جيري : « أين ناكل ؟ » وأراد لاني أن يقول ان الاكل ليس في مقدوره ، بيد انه كان يعلم أن جيري جاء خصيصا بقصد التأثير على تفكيره وكانت قد حانت ساعة العشاء في بنسيون فلافان ، وأخذ جيري يردد على مسامعه حديثا فحواه انه يعرف نزلا لا يبعد كثيرا عن هذا الموضع يقدمون فيه الهلام والبيض ثلاث مرات في اليوم . . . « وما أشد صخب أولئك النزلاء عندما يسمعون جرس العشاء » وما الى ذلك القليل من الكلام . وكانت تلك هي « الطريقة الرياضية الشجاعة » في معالجة الواقع حينما تكون حماة المرأة مديرة بنسيون معتدل الأسعار في أرقى وأنقى مدن الريفيرا . وكان « لاني » يعلم أيضا انه لم يقم بزيارة آل بندلتون منذ زمن ، وانه وقد ربح الجائزة الكبرى في يانصيب الزواج يجب عليه أن يظهر بتصرفه انه لم يقصد الاستعلاء على أصدقائه

«الفقراء ، فقال : « وهو كذلك ولكنى سأكون رفيقا عبوسا » فأجابه جيري:
« النزلاء يعرفون كل شيء عن الموضوع » .

وهذا صحيح فمن حيثما أتى النزلاء وحيثما كانوا ، فهم يعرفون خبر
آل بد ويشعرون أنهم أعضاء فى أسرته ، وقد ظل جيري بندلتون ستة
عشر عاما يصيد السمك مع لاني بد والنزلاء يأكلون السمك الذى يصطاد .
وفى البداية كان جيري نزيلا مثلهم بيد انه بعد أن طرد « البوش » (أى
الألمان) من فرنسا تزوج البنت التى تعمل فى البنسيون . ثم جاء بعد
ذلك الوقت الذى تزوج فيه نزيل آخر من والدته لاني . ومنذ ذلك الحين
والنزلاء جميعا يعتبرون أنفسهم من آل بد وان من حقهم الخوض فى كل
فتات من اللفظ يتصل بتلك الأسرة .

- ٩ -

وعند العودة بالسيارة الى المستشفى حرص « لاني » على التوقف كى
بشترى بضع مجلات فرنسية وانجليزية وامريكية معدا نفسه لوحدة
طويلة ، حتى اذا فشل موضوع فى الاستحواذ على انتباهه جرب غيره
من الموضوعات . وعندما وصل الى حجرة الاستقبال ألقى نفسه لم يعد
وحده فيها ، ففى احد المقاعد جلس سيد فرنسى تبدو عليه مخايل البدانة
واليسر ، واستطاع « لاني » ان يعرف ذلك من اعراض ظاهرة فى المنظر
والسلوك .

وكانت تعاسة ذلك الغريب من النوع الذى يحب الصحة ، وقد قدم
نفسه باعتباره محاميا من مدينة قريبة ، وذكر ان هذا اول وضع لزوجته ،
وانه فى حالة تملل فظيعة لا يكاد يطيق الجلوس ، ويريد ان يزعم
المرضات بالاسئلة كلما دخلت احدها من الحجرة ، وبدا الرجل فى نظر
« لاني » ساذجا بدرجة سخيفة ، فهو لا يعرف فعلا شيئا عن « أوجاع
المخاض » وانها تخضع لترتيبات الطبيعة ، وان النساء لا يمتن بسببها
عادة . وأخذ لاني - باعتباره محاربا قديما غير خبرته - عشر ساعات
تقريبا يشرح له موضوع تمدد الأنسجة وهون الامر على الغريب قدر
استطاعته . ثم عندما رأى نصيحته لا تحدث أثرا استولى عليه السأم
ودفن نفسه فى آخر طبعة من صحيفة « نيوسيتسمان » .

وكان يود كثيرا ان يسأل هل حدث تغير فى حالة زوجته ، بيد ان

(٢) أنياب التنين - ١٧

الحالة الانفعالية الفظيعة البادية على السيد فوشار ذكرته بأن آل بد انجلوسكسونيون صارمون ويجب عليهم ان يبرهنوا على ذلك بسلوكهم . وبإصرار ركز اهتمامه فى مقال عن تسوية التعويضات النهائية عن الحرب العالمية التى انقضى عليها الآن اكثر من احد عشر عاما ، وعن الآثار المحتملة لهذه التسوية على سائر الامم المرتبطة بها . وهو موضوع مثير لاهتمام شاب ولد فى سويسرا من ابوين امريكيين وعاش فترات متقطعة من حياته فى فرنسا والمانيا وانجلترا والولايات المتحدة . واصدقاؤه الكثيرون فى هذه البلاد كلها ينتمون الى الطبقات الحاكمة ويعتبرون التطورات السياسية والاقتصادية من شئونهم الخاصة .

واستغرق الجراح وقتا طويلا قبل عودته ، فبدأ لاني يشعر مرة اخرى انه عميل مغبون . ونسى ان ثمة نليفونات يستطيع بها اى مولد ان يظل على علم باحوال مريضاته وهو يقرأ آخر المجلات الطبية فى بيته او يلعب مباراة فى البلياردو فى ناديه . وعند ما ظهر الانجليزى فى النهاية اخبر الزوج القلق ان وقت العمل قد اقترب وان مسز بد ستنتقل سريعا الى حجرة الولادة . وبعد ذلك وجد لاني من المستحيل عليه ان يحمل نفسه على الاهتمام بما تذكره مجلة « اليستراسيون » عن التطورات المنتظرة فى صالونات الربيع ، رغم ما فى ذلك الموضوع من اهمية لرجل يكتسب من بيع وشراء الاعمال الفنية بالعمولة . ولم تعد هناك جدوى من محاولة اتباع السلوك الانجلوسكسونى ، فمن الخير له ان ينفذ يده منه ويعترف بسيادة الطبيعة الام . ووضع « لاني » المجلة من يده وراح يرقب السيد فوشار ، وهو يذرع ارض حجرة الاستقبال . وعند ما جلس السيد فوشار واشعل سيجارة نهض لاني ليقوم بذرع الحجرة . وفى اثناء ذلك كانا يتحادثان ، فأخبره الفرنسى عن زوجته وكيف انها لم تتجاوز التاسعة عشرة والى حد هى ذات فتنة خارقة . ولم يدخر السيد فوشار جهدا فى وصف تفصيلات فتنتها . وكان بوده ان يروى قصة خطبتهما كاملة وقد شعر بالشكر القلبى نحو ذلك الغريب لحسن اصفائه .

اما لاني فلم يسرد على مسامعه مثل ذلك كله ، ولا كانت به اليه حاجة لان السيد فوشار سمع الجراح يناديه باسمه ففطن الى شخصية ذلك الشاب الامريكى الانيق . وكان قد قرأ عن ايرما بارنز فشرع يتحدث وكأنه من اصدقاء الاسرة القدامى ، بل وكأنه يوشك ان يتولى نفسه رعاية ايرما فى نقاهتها وعنايتها بطفلها . ولما كان لاني قد نشأ فى فرنسا فقد ادرك ان الامر لا يستثير الاستياء ، وان الافضل له ان يظهر التعاطف

الانسانى وبذلك ينشئان معا جمعية مؤقتة هى رابطة الازواج الذين جاءهم
المخاض ومن الجائز ان ينضم اليهما فى الرابطة ازواج آخرون قبل انقضاء
الليل .

- ١٠ -

ووصلت الطبيبة المولدة التى تتولى امر السيدة فوشار . وهى
امراة فرنسية اقنعت الزوج بأن وقتا طويلا سيمضى قبل ان تحين لحظة
الحادث السعيد ، وعندئذ ودع هذا السيد زميله فى عضوية الرابطة وداعا
حارا . واستجاب لاني لحديث تليفونى من أمه وأخبرها الموقف . وبعد
ان ذرع الارض مرة اخرى جلس وحاول ان يركز ذهنه فى تذكر زيارة
قام بها للاديرة المعلقة فى بلاد اليونان وكان قد شاهدهما وهو صبي .
اما الآن فلم تكن تعنيه الاديرة ولا سائر من فى الدنيا من الرهبان .
ولم يكن فى مقدوره ان يصدق ان ولادة طبيعية يمكن ان تستغرق كل
هذا الوقت الطويل . فدق الجرس وحظى بمقابلة رئيسة الممرضات
الليليات واكتشف منها انها كانت قد حفظت عن ظهر قلب الصيغ المعهودة
كل شيء على ما يرام ياسيدى . اطمئن . »

وفرح لاني حقا عند ما فتح الباب وادخلت سيدة تبدو عليها
بوضوح تلك الحال التى تكون عليها السيدات اللواتى يدخلن مثل هذا
المكان . وحضر معها سيد فرنسى ذو لحية حريرية الملمس لونها بنى داكن ،
عرفه لاني لانه معلم بيانو مشهور فى مدينة كان . وعهد بالسيدة الى
عناية الممرضة ، وعلى الفور انضم السيد عضوا فى رابطة لاني . وبما انه
لاني نفسه كان عازف بيانو وزوج اخته عازف فيولينا نابغا ، فقد كان
من الممكن ان يدور بين الاثنين حديث طويل فى شئون المهنة ، ولكن لا
فقد فضل الاثنان ان يحدث كل منهما صاحبه كم من الوقت انقضى على
زواجه ، وما عمر زوجته ، وما شعوره وما شعور زوجته . فهذه المواجهة
للطبيعة على حالتها الغفل قد هبطت بهما الى الحد الأدنى للقاسم المشترك
بين البشر . فلم يعد ثمة وجود للفن أو العلم أو الثقافة . وانما الوجود
كله للاجساد وللدماء وللأطفال .

ويصغى لاني برهة ثم يكف عن سماع مايقوله الفرنسى الملتحى .
وكان لاني يذرع ارض حجرة الاستقبال جيئة وذهابا وحيات العرق تفصد
بها جبينه . يا الهى ! هذا لايمكن ان يكون صحيحا . لابد ان شيئا فظيحا

يحدث الآن في حجرة الولادة ، شيئا مما تحدثت به دائرة المعارف : كان يكون هبوط في قلب الأم أو انقطاع لماء المشيمة أو وضع من الاوضاع الشاذة التي تحدث بنسب مثنوية متفاوتة . وبديهي ان المولد اذا وجد صعوبة لن يخرج مسرعا ليخبر الوالد المنتظر ، بل سيكون مشغولا بعلاج الموقف ، وكذلك المرضعات . وعند ما ينتهي كل شيء يخرج شخص ليفضي اليه بالنبا الفاجع ، وعندئذ لن يغفر لاني هذا الامر لنفسه .

ويا له من نقض خطير في المعدات العملية لهذه المستشفى التعسة ! كان ينبغي ان يكون هناك نظام معين ، كان يكون هناك تليفون في حجرة الولادة ، او لوحة انباء ، او طريقة للاشارات وانها لمفضلة تتطلب حلا جماعيا ، كافتتاح مستشفى للابوة يدخله الآباء المنتظرون ولادة زوجاتهم، اطفالا ، ليجدوا فيه العناية اللائقة . يجب ان يكون لدى المرضعات وقت لهم ، وهيئة المستشفى يجب ان تراعى شعورهم وتمدهم بالمعلومات كان يكون ذلك في صورة محاضرات في موضوع علم الولادة معدة خصيصا لاذهانهم الحساسة محذوفا منها الاحوال الشاذة . على ان تصحب ذلك موسيقى هادئة ، وربما ايضا افلام سينمائية . ولكن قبل كل شيء يجب ان تكون هناك انباء وفيرة سريعة يعتمد عليها . ومن الجائز ان يعد المكان كما يعد مكتب السمسار في بورصة الاوراق المالية ، حيث توجد آلة خاصة تظهر ازقام السوق فوق لوحة أولا بأول .

وفي كل مرة يقترب لاني من الجدار الذي به زر الجرس كانت تراوده نفسه على ضغطه وطلب معلومات دقيقة عن حالة زوجته المحبوبة . وكلما وجه اليه الموسيقى الفرنسي سؤالا وجد صعوبة اكبر من المرة السابقة في اخفاء عدم اصغائه لما يقول . ياله من شيء رهيب وايان صببت اللوم، على الطبيعة أو على نقص الكفاية البشرية ، فقد بقيت الحقيقة الواقعة وهي ان هذه الزوجة التي يحبها بحنان شديد واشفاق شديد لابد انها تعاني سكرات النزع ، وانها الآن قطعاً منهكة القوى كل الانهاك ، فلا بد من عمل شيء وهاهي الساعة تقترب من منتصف الليل . ونظر لاني الى ساعة معصمه فوجد ان ثلاث دقائق قد انقضت منذ تطلع اليها آخر مرة فهي تشير الى الحادية عشرة الا ائنتين وعشرين دقيقة - بيد ان هذا في حد ذاته سييء سوءا كافيا - اذ انقضت ثلاث عشرة ساعة منذ بدأت اوجاع المخاض ، وكانوا قد أخبروه ان الوقت حان كي يتركها لمصيرها .
اللجنة !

وفتح باب في الحجرة وظهرت منه ممرضة ، ورمقها « لاني » بنظرة واحدة ادرك منها انها تختلف عن أية ممرضة رآها من قبل ، فهي باسمة ، بل مشرقة بالابتسام ، وصاحت الممرضة « أوه ياسيدي ! انها فتاة فتاة جميلة للغاية فاتنة جدا » وأشارت بيدها للتعبير عن حجم معجزة انثى ، والفى لاني نفسه فريسة دوار مفاجيء فالتمس مقعدا يستند اليه وهو يصيح : « والسيدة ؟ » فردت عليه مرتدة الى استعمال الصيغة المكررة : « السيدة شجاعة جدا . رائعة . كل شيء على مايرام » وجعل لاني يصب عليها الاسئلة الى ان اقتنع بان ايرما ستعيش بعد هذه المحنة ، فهي منهوكة القوى ولكن هذا كان امرا متوقعا . وثمة تفصيلات لا بد من انجازها ، وفي مدى نصف ساعة او نحو ذلك سيكون في وسع السيد ان يرى الام والابنة كليهما « حالا . اطمئن . »

وقبض معلم البيانو على يد « لاني بد » وراح يهزها بقوة ، وبعد ان عاد الامريكي الى مقعده بوقت غير قصير ظل الرجل الآخر يصب عليه تهنيئته ، ولاني يقول بطريقة آلية « شكرا لك ياسيدي » وهو يفكر في الوقت نفسه : « فتاة ! ستصاب ببيوتى بخيبة أمل » اما هو شخصيا فلم يتذمر ، لانه منذ طفولته خدن نساء ، ولم يكن يرى اباه الا في فترات متباعدة ، وامه والنساء الخادومات هن اللواتي كن يتولين رعايته . وثمة النساء من صواحب امه ، ثم اخته غير الشقيقة وزوجة ابيه في نيوانجلند ، ثم اخت جديدة غير شقيقة في « بيانفنى » ، ثم سلسلة متتابعة من حبيبات قلبه ، واخيرا وجد زوجته . وقد حظى من كل منهن بشيء ما ، وسيجد في الابنة متاعا لا حد له . فالامر على مايرام .

ونفض لاني فاستأذن السيد الفرنسي واتجه الى التليفون فطلب امه وابلفها النبا . وقال لها انه سعيد ، او هكذا سيكون بعد ان تنجلي عنه غاشية الانفعال الشديد . لا . انه لن ينسى شتى الرسائل البرقية : واحدة الى ابيه في كنكتيكت ، وواحدة الى والدة ايرما في لونج آيلند ، وواحدة الى اخته غير الشقيقة « بيسى » في برلين . وستقوم بيوتى بالاتصال تليفونيا بشتى الاصدقاء من الجيران - وثق بانها لن تفوتها هذه الاثارات وسيتولى « لاني » امر صديقه ريك في انجلترا وصديقه كورت في المانيا ، فهو قد اعد الرسالتين كاملتين فيما عدا ملء الفراغ المتروك بكلمة « فتاة » .

وبر بوعده لبيترو كورساتي، وكان الوقت لم يزل مبكرا في نيويورك بحيث يظهر النبا في الطبعة (الاولى) من صحف الصباح ، وهي الطبعة التي يطالعها مجتمع المقاهي ، وهو المجتمع الذي كانت ايرما بارنز قرع عينه . وبعد ان تلقى لاني تهاني بيت عاد ليتلقى تهاني أخرى من السيد الفرنسي . وما اعجب اسراع السحب السوداء الى الانقشاع فجأة من سماء حياة الزوج الشاب ، فاذا باساليب امنا الطبيعة تبدو له بعيدة عن القتل ايما بعد ، وصار في المستطاع تجاذب الحديث المرضى مع معلم البيانو حول « التكنيك » الذي يستخدمه ، وان يحدثه بتجاربه الخاصة في طريقة « لشتزكي » ثم في طريقة « برايتهاوب » وان يشرح حركة الزند الرحوية ويبينها عمليا على ذراع كرسيه . وألقى لاني نفسه ينقر باصابعه مطلع قصيدة « ليست » السفونية المسماة « من المهد الى اللحد » بيد انه توقف عند الجزء الاول .

- ١٢ -

وجاءت الممرضة البهجة مرة أخرى وقادت الوالد الموفق في دهليز الى مساحة كبيرة من الزجاج المسطح تطل على حجرة بها عدد من المهود المعدنية الصغيرة البيضاء ، ولم يكن دخول الزوار اليها مسموحا به ، بيد أن ممرضة ذات قناع ابيض على فمها وأنفها جاءت الى الجانب الآخر من الحاجز الزجاجي بلقافة داخل بطانية ، وازاحت الطيات كاشفة لنظر لاني عن شيء احمر طوي كان من الممكن ان يكون دودة منتفخة كثيرة التجاعيد ، لولا ان لها عيونا وكرة مستديرة واسعة فوق قمة وجهه كان حريا ان يكون وجهها بشريا لولا ما به من ضالة الاقزام . وثمة فم ذو شفتين منهمكتين في مص لاشيء وعينان واسعتان لا تأتيان حراكا ، ولكن الممرضة الواقفة الى جوار لاني اكدت له انهما عرضتا للضوء لفحصهما فاستجابتا له . وقيل له بالقطع ان هذه طفلة ، واثباتا لذلك وجد قلادة صغيرة جدا لها طرف معدني يحمل رقما ، فليطمئن السيد والسيدة الى انهما لن يحبلا معهما الى البيت طفل محام او معلم « تكنيك » للعرز على البيانو .

ولفت الدودة المنتفخة المتفضنة في البطانية مرة أخرى ، واقتيد لاني الى حجرة ايرما . ووجدها راقدة في سرير ابيض من اسرة المستشفى . وقد غاص رأسها في وسادة ، واغمضت عينيها . كم بدت شاحبة اللون وما أشد اختلافها عن الحسناء الغنية السمراء التي فارقتها ذاك الصباح

فشعرها الاسود صار الآن مشعثا ، ويبدو أنهم لم يشاءوا ازعاجها ولو بما يسمح بترتيبه . ودخل لاني الحجرة على اطراف اصابعه ، ففتحت عينها ببطء ، كأنما يكلفها هذا مجهودا . ولما عرفتة منحتة ابتسامة واهنة .

« كيف حالك يا ايرما ؟ »

فهمست قائلة : ساكون على مايرام . انا الآن مجهدة . مجهدة الى حد فظيع .

وكانت المريضة قد طلبت اليه الا يتحدث اليها . ولكنه قال : « انها طفلة بديعة »

فقالت : « انا مسرورة . لا تقلق . ساستريح وتحسن حالتى . »
واحس لاني غصة تعترض حلقة ، فما اجدر النساء بالثناء للثنى الفادح الذى يؤدنيه للامومة ، ولكنه كان يعلم انه لاينبغى ان يزعجها بعواطفه الفضولية . وجاءت ممرضة بقليل من النبيذ شربته بواسطة انبوب ، وكان فى النبيذ عقار مهدى . سيدفع بها الى النوم . وتناول يدها المبسوطة باسترخاء فوق الاغطية وقبلها برقة وقال : « شكرا لك ياعزيزتى كم احبك » وفى هذا القدر كفاية .

وفى الخارج وجد الجراح فى الدهليز وقد اتم نظافته وتاهب للبروز الى العالم الخارجى ، وكان مسلكه المهنى طبيعة ثانية له . وكل شئ على ما ينبغى ان يكون وما من مريضة افضل من مسز بد ، وما من ولادة تمت بصورة اكمل من ولادتها . وان هى الا بضع ساعات من النوم ، وقليل من التغذية حتى تنتاب الدهشة السيد بد للتغير الذى طرأ على زوجته . ان الطفلة متينة البنية بديعة التكوين ، وزنها اكثر من تسعة ارطال ، وهذا هو السبب فى تأخر الوضع . « وانى آسف لانك تجشمت كل هذا الانتظار الطويل ، ولكن لم تكن لنا فى ذلك حيلة . أتطالع الكتاب المقدس ياسيد بد ؟ ان المرأة حين ياتيها المخاض ينتابها الحزن لان ساعتها قد دنت . ولكن ما ان تضع مولودها حتى تنسى مخاوفها واوجاعها لان رجلا جاء الى الدنيا . والذي جاءنا هذه المرة امرأة . ولكننا

لم نعد فى زمن اليهود الاقدمين ، والنساء اليوم لهن الصدارة ويسيرن
دفة الامور ، ولهن فى بلادى وبلادك حق الانتخاب ، ويملكن اكثر من
نصف الممتلكات العقارية كما قيل لى . فالدنيا دنياهن ، وعلينا نحن
الرجال ان ننتظر لنعرف ماذا يزعمن ان يصنعن بها . طابت ليلتك ياسيد
بد . .

فقال لانى « طابت ليلتك » . وكان مدينا للرجل بثلاثين الف فرنك،
وهو مقابل يبدو فادحا ، ولكن الفرنك كانت قد هبطت قيمته ، فلم يتفسر
عليه لانى المبلغ وقال فى نفسه : « كنت قمينا ان اعرض عليك مائة الف
منذ ساعة واحدة » .

**** معرفتى ****
www.ibtesama.com
منتديات مجلة الإبتسامة

الفصل الثانى

اصداقك هولاء

- ١ -

كان البيت المقام فى ضيعة تيانفينيو حيث تعيش ايرما ولانى يطلق عليه اسم الكوخ وان كان يضارع فى اتساعه تقريبا حجم الفيلا وأسلوب عمارته موحد ، فهو مبنى حول ساحة وسطى والجدران مطلية بالمصيص الوردى . أما ضلف النوافذ فلونها ازرق فاتح ، ويعلو طبقة البيت الوحيدة سقف من القرميد الاحمر . ويطل على خليج جوان المتقلب دائما ومن ورائه يمتد المنظر الى الجبال التى تغرب خلفها الشمس . ولم يتجاوز عمر ذلك البيت ثلاث سنين ، بيد أن أشجار الموز فى الساحة الوسطى ارتفعت الى طنفه العلوى ونبات الجهنمية اخدت دواليه تتسلق قرميد السقف . ان أوائل شهر أبريل أحب أوقات العام الى النفس ، ففيه تكون الباحة الوسطى جنة صغيرة بما يزدهر فيه من افانين متباينة الألوان تزهو برادئها فى فيض من شعاع الشمس وقد تضطجع الأم الشابة فوق مقعد طويل فى الشمس أو فى الظل وتطالع صحيفة نيويوركية تتحدث عن مناخ شهر مارس بعواصفه الثلجية التى تجتاح الاكواخ المقامة على الساحل وتكدس ركام صفار السفن على الشواطىء .

وفى ابدع عربة من عربات الاطفال المبطنة بالحرير ترقد ائمن انثى بين الاطفال يعلوها خمار يحميها من اسراف الحشرات فى الفضول . وعن كئيب منها جلست ممرضة مدربة ، وهى امرأة ناضجة يقظة الضمير من اتباع كنيسة انجلترا تحت امرتها خادمتان مربيتان وامرتها قائمة على أساس احدث مكتشفات علم وظائف الاعضاء وعلم نفس الطفل ، فلا مجال للتدليل أو التقبيل أو هز الطفلة الملكية حتى تنام ، ولا محل للتخمين أو التخطيط فى العناية بها ، غير مسموح للجرائم العادية ان



تسلل من خلال التحصينات المقامة حولها ، فكما اناس ظهرت عليه
أهون أعراض البرد أو آثاره ينبغي من أراضي المسكن وحدوده . وعلى
جميع الضيوف - بل وعلى جميع الأقارب أيضا - ان يطيعوا أوامر
الآنسة سيفيرن العليمة بكل شيء ، فهي مسلحة بسلطة تمكنها من تحدى
الجدتين نفسيهما . وأما إيرما فقد وافقت على أن تبذل التضحية العظمى ،
فمرة كل أربع ساعات تحمل اليها اللقافة الثمينة لارضاعها ،
ويجب عليها ان تكون في تناول اليد أيا كانت مغريات « الموضة »
وأحكامها . فهي اذن العودة الى تعاليم روسو .

وقد عقدت اجتماعات لمجالس الاسرة وجرت مباحثات دولية
بخصوص الاسم الذى يطلق على هذه الوارثة لتلك الملايين العديدة ،
وقدمت طلبات كثيرة بالتسمية لو انها اجبت جميعا لا ثقلت الصغرة
بالأسماء على غرار بنات الأسر المالكة فى أوروبا . ومن الجلى أنه لم يكن
من المناسب اطلاق اسم بيوتى (أى جميلة) فهذه صفة عليها ان تكتسبها
بنفسها . ثم لنفرض انها لم تشب محققة لهذا المعنى ؟ والجددة بيوتى
اسمها الحقيقى ما بل ، ولم تكن تحبه ولذا فقد استبعد . وتنازلت
إيرما عن مطالبها رعاية لامها التى يعنىها ذلك الامر كثيرا . إيرما
ستعيش فى أوروبا معظم أوقات حياتها . لأن هذه رغبة لاني . فلماذا
لا يتحان لارملة مسنة يضيها الشوق فى قصر بلونج أيلند العزاء الذى
يمكن ان يتيح لها اطلاق اسمها على حفيدتها ؟ ثم ان آل بارنز من حقهم ان
يظفروا باعتبار خاص لانهم أصحاب المال . واسم «فرانسس بارنز»
ليس اسما صعبا على اللسان . ولكن لا ولن يكون اسمها « فاني »
فالمملكة الأم المقيمة فى شور أكرز يعيها أن تفهم كيف يمكن أن يتقلب
اسمها الجميل فيساء استعماله ويبتذل فى هذه الأيام ؟

- ٢ -

وكانت إيرما مسترخية فى الباحة مستمتعة بالصغيرة العارية بين
ذراعيها وهى تمتص اشعة شمس جنوب فرنسا لمدة محدودة بثلاث
دقائق ، عندما دخل لاني قائلا « خالى جسى موجود فى الفيلا فهل ترغبين
فى مقابلته ؟ » فسألته « أعتقد أننى ينبغي أن أقابله ؟ » فاجابها : « انك
بالتأكيد غير مطالبة بهذا ان لم تشعرى بالرغبة فيه » فسألته « ألن

يجرح امتناعى شعوره ؟ « فقال لاني وهو يفتر عن ضحكة فاترة » لقد تعود هذا» .

ولم تكن ايرما قد سمعت القليل عن هذا « العضو الاحمر » في اسرة حمايتها . ولم تظهر في بداية الامر اهتماما ولم يثر فضولها لأنها لم تكن تعير المسائل السياسية التفاتا جديا . ومع أنها لم تشك لحظة في ان الشيوعيين اناس فظعاء ، الا أنه من حق جى بلاكسى ان كانت هذه عقيدته أن يجاهر بها . فتهديد النظام الاجتماعى لم يكن في نظر ايرما خطرا حقيقيا، على الأقل حتى فترة الذعر^(١) ففي غضون تلك الوجة العنيفة سمعت افكار غريبة كثيرة تناقش ، وبدأت تتساءل عنها . وهاهى الآن تقول « ان كنت انت وامك تقابلانه فينبغى ان اقبله أنا أيضا » واجابها الزوج باسماء بفتور مرة أخرى « لا تدعيه يفسدك » فقد كان يجد لذة في مناقشة خاله الاحمر وكان يستخدمه لاغظة غيره من الناس . وتوجه لاني الى الفيلا وعاد برجل طويل غريب المنظر يكاد راسه يكون اصلح كله وقد انضجته حرارة الشمس بصورة واضحة ، لأنه يمشى معظم الوقت بغير قبعة . وثيابه مهملة كما ينبغى لرسام ، ففي قدميه صندل وبنطلونه الأبيض من كتان خشن وقميصه مفتوح عند العنق . ووجهه تكثر فيه التجاعيد التي تزيد عددا عندما يبتسم بطريقة اللتوية الخاصة به . وهو مبال لذلك النوع من الفكاهة القائم على التفوه بكلام يختلف عما يعنيه بالفعل اعتمادا على حسن فهم الناس ، وهم لا يملكون تلك الفطنة على الدوام وجى بلاكس ساخط على العالم الذى يعيش فيه لذلك هو يجد لذة في تسخيفه .

وقال الرجل وهو ينظر من عل الى ايرما « هذه اذن هي ايرما » وكانت قد غطت صدرها بمئزر يرتقالى اللون من الحرير الصينى كانت ترتديه . ولونها المائل للسمر في حيوية كان قد عاد الى وجنتيها اليها بسرعة ، وكان ينبغى ان يروق رساما ، لولا ان الخال جسى لا يرسم الا غلمان الازقة والمتسولين الفقراء والعمال الذين تظهر عليهم آثار الجهد الشاق .

وقال وهو يلقي بنظرة على المهد المظلل بعناية « وهذه هي الطفلة » ولم يقل شيئا يعتبر من المحرمات ، الا أنه قال « احسنا حراستها ... »

(١) فترة الذعر هي فترة الانهيار في بورصة نيويورك سنة ١٩٢٩ .

(المخرج)



فهي تساوى ميلغا طائلا في نظر الحافظين ، وهي فكرة فيها من البشاعة ما يكفى .

وجلس الزائر في مقعد من القماش ومد ساقيه الطويلتين وجال بنظراته من الزوجة الشاببة الى الزوج الشاب ثم ارتد اليها مرة أخرى وقال « لقد وفقت في الاختيار يا إيرما ولقد حاول كثيرون افساده فلم يفلحوا » .

وكانت هذه أول مرة يعهد فيها لاني خاله الأحمر يزجى الشاء الى أى انسان فقدّر ذلك منه حق قدره . وشكرت إيرما المتحدث وقالت انها تعتقد فيه سداد الحكم . فقال الرسام « هذا امر أعرفه جيدا لاني حاولت شخصا افساده » فسأله « وهل قطعت الرجاء في ذلك ؟ » فأجابها « لا جدوى الآن من المحاولة بعد ان تزوج . فانا من المؤمنين بالاحتمية الاقتصادية » .

وتولى لاني شرح هذه العبارة قائلا « خالى جسى يخيل اليه انه يؤمن بان سلوك كل انسان تحدده حالة كيس نقوده . بيد انه تفنيد حى لنظريته هذه ، فلو أنه اتبع مقتضيات كيس نقوده لا شغل برسم الصور للاغنياء الكسالى على هذا الساحل . في حين انه يترك ذلك ربما ليلتقى بجماعة من المتأمرين الثوريين في مكان ما من الاحياء الفقيرة في كان . فقال الخال جسى « أنا فلتة شاذة . والطبيعة لا تنتج من هذا الطراز الا نفرا قليلا . وأى تقرير عن القضايا الاجتماعية يجب ان يقوم على أساس سلوك الجماهير » .

وهكذا شرع الانسان في الجدل . وإيرما تصفى الا ان معظم افكارها كانت مشغولة بشخصية الرجل . اتراه حقا ذلك الانسان الحشن الذى يطفح مرارة كما يبدو ام هذا المظهر قناع يخفى وراءه مشاعره ؟ وما الذى أذاه وآله فجعله شديد الضيق بأشباهه من الناس ؟

- ٣ -

ودامت المناقشة فترة غير وجيزة . كان يبدو على كليهما الاستمتاع بها ، ان كان كل واحد منهما يتفوه بتهكمات لاذعة على صاحبه . والفرنسيون يستخدمون للالهانة والسباب والاساءة لفظا واحدا . ولكن.

حامن عبارة قاسية بدا أنها آذت إياها منهنما ولعلهما سمعا ذلك كله من قبل . والكلمة الاثيرة عند لاني ان خاله حاك (جرامافون) متى وضعت عليه قرصا مسجلا (اسطوانة) صدرت عنه النغمة المعهودة بلا تحريف .
وثمة نغمة اسمها « المادية الجدلية » ونغمة أخرى اسمها « دكتاتورية البروليتاريا » وهي كلمات كبيرة لا تعنى لدى إيرما شيئا . وكانت تقول في نفسها « هذا الرجل يريد ان يأخذ أموالى ويقسمها بين الفقراء . فالى أى حد تكفى ؟ وكم من الوقت يحتاجون اليه في التخلص منها ؟ » وكانت قد سمعت أباهما يقول ذلك من قبل ، فبدا لها ذلك الكلام مقنعا .

وتحدثنا حديثا طويلا جدا عما يجرى في روسيا . كانت إيرما طفلة في التاسعة من عمرها عندما نشبت الثورة هناك . بيد أنها سمعت عنها كثيرا بعد ذلك . قد التقت هنا على شاطئ الريفييرا بجماعة من الروس فروا من البلاشفة غير حاملين في بعض الاحيان معهم الا ما يستر أجسادهم من الثياب . وقد يقال لك ان كبير السقاة الوسيم ذا المظهر الراقى في احدى المقاهى كان بارونا روسيا سابقا . أو ان راقصة فى منتدى ليلي ابنة أحد كبار الملوك السابقين . فهل يريد الحال جسى ان تقع مثل هذه الأمور في فرنسا والولايات المتحدة ؟ لقد حاولت إيرما ان تقول لنفسها انه لا يعنى ذلك حقا . ولكن لا أنه رجل شديد لتحسينه يريد ان يطلق الرصاص على من يعترضون مسيله . وكانت إيرما تعلم ان شرطة باريس احتجزته مرتين ، وانه تحداهم . ويبدو انه مستعد لان يدفع الثمن أى ثمن تتطلبه ثورته .

واعرب عن اتخاذ الخطوات للتجنس بالجنسية الفرنسية. وكان قد عاش في هذه البلاد خمسا وثلاثين سنة من غير ان يبالي بذلك . ولكن يبدو الآن أن « الحزب » يريد منه التقدم لعضوية مجلس النواب . وكان قد احرز شهرة في الخطابة . فقال لاني « انهم يريدون منه ان يسمع اسطواناته المحفوظة فرنسا بأسرها » . وكانت إيرما شديدة الحساسية المالية فخطر لها على الفور « انه جاء ليحملنا على اعانته في حملته الانتخابية » . ولم تكن لدى لاني اموال تذكر منذ اصيب ابوه في انهيار السوق . وقررت إيرما « ان اساعده فانا لا اوافق على ذلك » . وكانت قد اكتشفت قوة مالها أثناء أزمة وول استريت واخذت تتعلم كيف تستمتع بهذه القوة المالية . ثم خطرت لها وجهة نظر أخرى بعدئذ . فلعله مما يزيد في وجاهتها ان يكون لها قريب في مجلس النواب، وان كان هذا القريب شيوعيا ! ولم تكن واثقة بذلك وتمنت لو عرفت

المزيد عن الشؤون السياسية . وكان هذا الاحساس يراودها بين الحين والحين بصدد فروع من المعرفة عديدة ، فتصمم على اكتشاف ما تريد من الحقائق ، ثم لا تلبث ان تنسى الامر كله لما يكتنفه من العناء ، وهم في الآونة الراهنة يطلبون منها ألا تثير انفعالاتها لاي سبب ، لأن الاتاره من شأنها ان تفسد لبنها ، وما اسخف ان تتحول الى بقرة ولكن ذلك امر مستحب هنا في الشمس وهي تتسلى بالافكار الجديدة .

ويبدو ان لاني كان متفقا في الرأي مع خاله من حيث أن ما يقوم به الروس الآن امر هام جدا في نظرهما . وكان الخلاف بينهما يدور حول : هل يقع ذلك بحدايره في فرنسا وانجلترا وامريكا . ويرى لاني ان هذه البلاد ديمقراطيات يسعها ان تجرى التفسيرات الضرورية بصورة سليمة . وكان هذا أسلوبه ، فهو لا يريد أن يؤذى أحدا ، بل يجب ان يناقش الافكار بأدب ويدع أفضلها يفوز في النهاية . الا ان خاله جسى ظل على الحاحه بأن لاني واصدقائه الاشتراكيين يقدمون العمون للرأسماليين بخداعهم للعمال وتضليلهم بالاماني الكذاب وابقائهم قانعين لنظام سياسي اشتراه الرأسماليون ودفعوا ثمنه . فرد عليه لاني بأن الحمر هم الذين يخونون العمال ويفزعون الطبقات الوسطى بتهديداتهم العنيفة بحيث يسوقونهم الى الانضواء تحت لواء الرجعيين .

واستمر الجدل على هذا المنوال ، والزوجة انشابة تصفى من غير ان تستشار ، فالزواج مغامرة غريبة تورطك في امور كثيرة لم تكن تتوقعها . وآل بد وآل بلاكسي اسرتان على جانب كبير من غرابة الاطوار ان اسرة ايرما من العاملين في وول ستريت (حى المال والاعمال بنيويورك) . فهم يبيعون ويشتررون الاوراق المالية ويجنون الثروات أو يفقدونها عن هذا الطريق ، وهو أسلوب يطابق العرف ويحظى بالاعتبار بين أساليب الحياة . أما الآن فقد دخلت في زمرة أقوام يكثر بينهم الحمر والورديون من جميع الظلال ، وفيهم المستفلون بالروحانيات (الوسطاء الروحانيون) ومن يؤمنون بالشفاء عن طريق الدين ويمارسونه وفيهم أصحاب مصانع ذخيرة ومستفلون من اليهود ، وفيهم موسيقيون ورسامون وتجار فن . فلست تدري مطلقا عندما تفتح عينيك في الصباح أى طراز جديد من المخلوقات العجيبة ستلتقى به قبل حلول الليل . وحتى لاني العزيز العذب الذي دخلت معه ايرما في أوثق الصلات الحميمة يفدو فجأة شخصا غريبا عنها عندما تستثار حماسه ويشرع في صب مشروعاته عن تحويل نظام العالم . وهي مشروعات تتضمن بداهة تنازله

عن أملاكه الخاصة وتنازل إيرما عن أملاكها ، ومحو حقوق الوراثة التي تتمتع بها فرانسيس بارنزبد انتى طال انتظار ولادتها وتبذل الجهود الشاقة لرعايتها وحراستها .

- ٤ -

وبقى الخال جسى لتناول الغذاء ثم انصرف لحال سبيله . وبعد غفوة القيلولة التي نصح بها الطبيب الام الموضع ، نعمت إيرما بصحبة زوج حماتها ، ان كان ثمة اسم لهذه القرابة القريبة . ومستر برسيغال دنجل زوج بيوتى الجديد كان قد حضر من الفيلا للسؤال عن الطفلة . وإيرما تعرفه جيدة لانهما كانا قد قضيا الصيف الماضى على ظهر يخت وهو متصوف دينى ولا شك فى ان صحبته مريحة بعد مقابلة الحمر والورديين ، انه لا يجادل مطلقا ، والقاعدة عنده الا يتكلم الا اذا بدأت انت الحديث . فهو مهتم بامور تجرى داخل روحه ، ويسره ان يخبرك بها ان سألته عنها . ويجلس الرجل الى جوار المهد يحقق فى الطفلة وتظهر الفبطة والسعادة على وجهه الملائكى المستدير حتى يخیل اليك انك امام طفلين . وان رويهما منسجمان تماما . ويفمض رجل الرب عينيه ويصمت برهة فلا تقاطعه إيرما لعلمها انه منهمك فى منح فرانسيس الصغيرة « جلسة علاجية » ، وهى نوع من الصلاة يملأ بها عقله ويشق بأنه يؤثر فى عقل الطفلة الصغيرة عن هذا الطريق . ولم تكن إيرما واثقة بذلك الا انها لا ترى فيه ضررا ، لانه لا وجود الا للخير فى عقل هذا الشافى الوديع . وقد يبدو خائبا بعض الشيء وهو جالس مع السيدة سيزنسكى الوسيطة البولندية حين تستغرق فى احدى شطحاتها وتجادب اطراف الحديث بكل بساطة مع روح مزعوم من ارواح الهنود الحمر يدمو نفسه « تيكومسه » ، وهو هوائى صعب المراس يقول شيئا أو يرفض الكلام اطلاقا على حسب احترامك أو عدم احترامك له ، وعلى حسب اشراق الشمس أو عدم اشراقها فى عالم الأرواح . وتدرجيا الفت إيرما هذه الأمور كلها ، لأن الأرواح لا تؤذى ، ومن المقطوع به أن السيد دنجل لا يؤذى ، بل انه على العكس من ذلك يشفيك ان شعرت بالمرض . وقد شفى بالفعل عدة أشخاص فى بيانفينى وقد تكون لذلك فائدته القصوى فى حالة الطوارئ .

تلك كانت خواطر إيرما اثناء زيارته ، فتوجه اليه اسئلة وتدع له الحديث عنها ، فما أشبه ذلك بالذهاب الى الكنيسة . لأن إيرما تجد

لذة فى الكلام عن محبة الناس وتعتقد أن ذلك قد يعود على بعضهم بالخير ، لانهم فى احاديثهم يعبرون عن حاجتهم الى هذه المحبة بالخير ، بما يكشفون عنه من عناصر الحسد والكراهية والخبث وعدم الرحمة ان مستر دنجل يريد أن يغير العالم كما يريد أن يغيره البلاشفة بيد أنه بدأ بنفسه ، وهى فكرة تبدو لايرما بديعة لانها لا تهدد ثروة آل بارنز ولا مستقبل وريثتها . ويطلع هذا « الشافى » كته التصوفية ومجلات ما يسميه « الفكر الجديد » ثم يتجول فى انحاء الحديقة ناظرا الى الازهار والاطيار ، ولعله يمنحهم جلسة علاجية ، لأن فيهم أيضا حياة ولانهم ثمرة انتجها الحب . ويبدو أن بيانفينى تضم كل ما يحتاج اليه مستر دنجل وقلما كان يفادر الضيقة اللهم الا اذا دعاه أحد .

وأغرب نزوة من نزوات القدر أن بيوتى بد الدنيوية اختارت بالذات رجل الرب هذا ليصحبها فى رحلة الهبوط من قمة الحياة الى السفح ، وكانت جميع صواحبها يضحكن من ذلك . ويتضجرن حتى الموت من جهودها لاستخدام لغة « الروحانيات » . ولكن هذا بالتأكيد لم يمنعهما من العمل كالشيطان للإيقاع بأعظم قنيصة فى الموسم لحساب ابنها ولا هو منعهما من التباهى بانتصارها ذاك فى صفاقة . فحديث « بيوتى » الدينى شأنه شأن حديث لانى عن الاشتراكية لا يحملها على اتخاذ أى خطوات لتبديد جانب كبير من ثروة إيرما . بل همما على العكس توقفا عن اقامة الحفلات الكبيرة فى بيانفينى ، وهو قرار عز على كل انسان فى « كاب دنتيب » ، من تجار وخدم وموسيقيين وخطاطين وجميع المتعاملين مع الاثرياء . وعز ذلك أيضا على رجال المجتمع ونسائه الذين أفرعهم الحديث عن الايام العصيبة المقبلة . فقد كان لابد لأحد أن يضرب المثل فى الشجاعة والاقدام . ومن أولى بذلك من الفتاة المتأنقة نجمة الاغراء التى تملك قبو بنك كاملا مكتظا بالاوراق المالية الثمينة المضمونة القيمة من الاسهم والسندات ؟ وماذا يكون من أمر المجتمع الانبى ان شرع اقطابه الكبار فى تحويل ضياعهم الى معامل للألبان وتحويل اشخاصهم الى ماشية منتقاة فى الحظائر ؟

وردت برقية من برلين تقول : « ينتظر وصول اليخت الى كان . سنسافر الليلة بالقطار . احجزوا أماكن في الفندق : بيسي » وبطبيعة الحال لم ينفذ لاني التعليمات الاخيرة ، فعندما يأخذك اصدقاءك الى رحلة بحرية متحملين كافة نفقاتك عدة شهور لا يسعك ان تدعهم ينزلون في فندق ولو يومين ، فثمة « اللودج » وهو بيت ثالث في الضيعة ، وقد ظل خاليا طول الشتاء ، والآن يجب ان تفتح ابوابه وتم تهويته وتنظيفه . وقد كلفت الانسة فيلدريستون بمهام كبيرة الخدم واخذت على عاتقها هذه العمليات . وسوف يتناول الضيوف المرتقبون الوجبات مع ايرما ولاني ، وستقوم الانسة « فيذررس » بالتشاور مع الطاهي وترتب الحصول على المؤن اللازمة ، وبذلك تجرى الأمور بضايعة من اليسر مثلما ينحدر الماء في مجرى الطاحون المائي ، وتواصل ايرما استلقاءها في الشمس ومطالعة المجلات والاستماع الى لاني وهو يعزف البيانو ، وترضع الطفلة فرانسيس عندما تحملها اليها احدى الخادمتين .

واتصل لاني تليفونيا بصديقه اميلي شترزورت التي كانت تولى رعايتها لجميع وجوه النشاط الثقافي في هذا الجزء من الريفيرا ، فحجرة استقبالها ارحم بكثير من أي حجرة استقبال في يانفيني وكان الناس معتادين على التوجه الى هناك كلما حضرت شخصية مشهورة . وهانسي روبن كان دائما يعزف لها ، وعندئذ يدعى الوجهاء المهتمون بالموسيقى واهل الموسيقى انفسهم المقبولون في المجتمع للقدوم الى مادبة في « السبع بلوطات » وترسل اميلي شيكا الى هانسي يقوم بتظهره لحساب مشروع العمال التعليمي ، وهذا المشروع هواية لاني الخاصة .

وقبل غروب الشمس مباشرة في ذلك اليوم جلس لاني وايرما في رواقهما المفتوح بينهما وهذا الرواق يطل على خليج جوان ، وراحا يرقبان اليخت « بيسي بد » الابيض الانيق في انسيابه داخل مرفأ كان . وقد عرفاه على مسافة بعيدة جدا لانه كان بينهما طوال الصيف الماضي ، ولان لاني كان قد قام برحلتين بحريتين اخريين على ظهره . . ومن خلال منظاري ميدان مقربين استطاعا ان يعرفا الربان « مولر » الذي عرضت له يوما فرصة تزويجهما فنكل عنها ، وكادا يتخيلا انهما يسمعان صوته البروسي العريض عندما حان الوقت للابطاء توطئة للمرور من حاجز الامواج .

وفي صباح اليوم بعد التالى توجه لاني بالسيارة الى المدينة ومعه
أخته الصغيرة غير الشقيقة مارسلين الى جانبه ، وسائق ايرما يتبعهما في
سيارة أخرى . ودخل المحطة قطار الاكسبريس الازرق الطويل ونزل منه
خمسة من اقرب الأصدقاء ، فضلا عن سكرتير وخادمة مربية ترتدى كساء
وقلنسوة ذات شرائط زرقاء تحمل بين ذراعيها طفلا . وبسبب هذا الطفل
تمت الرحلة البحرية في هذا الوقت المبكر من السنة ، فالأمان مرضعتان
تريدان ضم مزروعاتهما للالبان وشحنهما على ظهر سفينة ونقلهما الى المواضع
الجيدة من هذا البحر الداخلى العظيم المشهور فى التاريخ .

وكان « لاني بد » قبل الحرب العالمية (الاولى) مباشرة - وهو يومئذ
فتى صغير - قد التقى أثناء رحلة بالقطار برجل يهودى يبيع أجهزة كهربائية
وانعقدت بينهما مودة ، وقدم الفريب الى لاني بطاقته . وظل ذلك الشيء
الصغير مطروحا فى درج من ادراج مكتبه ، ولولا أن لاني ينبش مصادفة
بين محتويات ذلك الدرج فى فترة تالية لاختلف طريق حياته اختلافا بينا
جدا لانه عندئذ ما كان ليكتب الى يوهانس روبن ، ولما حضر يوهانس
لزيارته فى باريس حيث التقى بوالد لاني .

وعن طريق أموال الوالد استطاع يوهان أن يفدو من أغنى الناس
فى ألمانيا . بل ولما قدر لأخت لاني غير الشقيقة أن تقابل هانس روبن
ثم تصدم أسرتهما بأقدامهما على الزواج من موسيقى يهودى . وأيضا
لما أطلق على اليخت اسم بى بد ، ولما اقل لاني وأسرته فى ثلاث رحلات
بحرية ، ولما كان وسيلة لاني وإيرما للزواج على عجل . بل ولما تزوجا
على الإطلاق ولما كانت ثمة رحلة شهر العسل الى نيويورك ، ولما وجدت
الطفلة فرانس ، ولا أى مزرعة البان عائمة وباختصار لو كانت هذه
البطاقة التجارية المكتوب فيها « يوهانس روبن وكيل وموزع أجهزة
كهربائية بروتروdam ، ظلت متخفية تحت أربطة عنق لاني بد ومناديله
لتغير الجانب الأكبر من حياة لاني .

- ٦ -

وعلى رصيف المحطة وقف انسانان سعيدان من أفراد الطبقة
المزدهرة يرحبان بخمسة من أصدقائهم الحميمين . وكان كل انسان هناك
يعرف من هم آل بد ، ويعرف انهم حين يحتضنون ويقبلون قوما وهم
يضاحكونهم ويثرثرون معهم بمرح فلا بد أن يكون هؤلاء القوم من الأغنياء
والمشاهير مثلهم . وانه لشيء مستحب أن يكون للمرء أصدقاء يستطيع

أن يحبهم ويقدرهم ويحبونه ويقدرونه ، وأنه لأمر مستحب أيضا أن يمتلك المرء الفيلات والسيارات واليخوت ، بيد أن أناسا كثيرين لا يملكون هذه الأشياء ، وليس لهم أصدقاء كثيرون أعزاء ، فهم يعرفون أنهم باهتون غير مرموقين وهم يستشعرون الوحدة ، فيقفون ويرقبون بحسد أسيف سلوك الطبقات المحظوظة في تلك المناسبات القليلة التي يتنازل فيها أفرادها فيظهرون شعورهم على الملأ .

وكان يوهانس روبن صورة مجسمة للرجل الذي عرف كيف يستغل الفرص التي أتاحت له في هذه الدنيا . فمعطفه الاسود من أرقى الأقمشة مبطن بالحرير ، وقبعته الهمبورج السوداء ، وشاربه الاسود الصغير المشذب بأناقة ولحيته الامبراطورية المدببة ، وحقائب سفره المصنوعة من أفخر الجلد وعليها بطاقات فنادق كثيرة في مدن شتى ، وأسلوبه في تمالك نفسه بهدوء ، وصوته الذي يبدو وكأنه يداعبك أن كل شيء فيه عموما على ما ينبغي بالضبط فقد سعى ليصل الى أحسن مظاهر الجسد والذهن ثم عرف كيف يعرضها على سائر من في الدنيا . فلا يمكن أن تسمعه يقول « انظر الى ما حققته أنا يوهانس روبن » بل هو حري أن يقول « يالها من حضارة خارقة تلك التي استطاع فيها طفل جالس على أرض من الطين في كوخ بحى اليهود يتلو عن ظهر قلب نصوصا عبرية وهو يهرش المواضع التي قرصته فيها الحشرات ، أن يصبح في مدى أربعين سنة صاحب كل هذه الأموال الطائلة » وقد يضيف الى ذلك قوله ، ولست واثقا اننى أحسن استخدام هذا المال الطائل على خير وجه . فما رأيك أنت ؟ وبذلك يتملكك بطريقة خفية .

أما ماما روبن فليس في وسطك أن تغير من أمرها كثيرا من حيث الاناقة . فأنك قد تستخدم أمهر الحياطين وتمنحه تفويضا كاملا فيما يختص بالشمع . ولكن « ليثة » زوجة « ياشا » ربنوفتش ستظل دائما أما من يهود وسط أوروبا وقد صارت الآن جدة تزاد كل سنة « كعبرة » ، ولا يمكن أن يطرأ على لهجة كلامها أى تحسن ، سواء تكلمت الهولندية أو الألمانية أو الانجليزية . فان لم يعجبك هذا وارتدت شيئا غيره فعليك أن تنتقل الى جزء آخر من الحجرة .

وكانت السنة المصرية الجارية على سهولة الطلاق ثم الزواج مرة أخرى قد خلقت تعقيدات لعلماء الانساب حتى أن لاني سثم كثرة الشرح كلما قام بتعريف أخيه غير الشقيقتين فصار يقول انهما شقيقتاه ويترك الناس يحلون اللغز بأنفسهم . واسم مرسلين ديتاز ينطق بانها بنت

الرسام الذى لقي مصرعه فى الشهور الاخيرة من الحرب . وكان من الممكن ايضا ان يخمن المرء ان « بسى بد روبن » ابنة والد لانى المقيم فى نيوانجلندا وكان اسلافها قد شقوا طريقهم فى حياة شاقة شريفة على ذلك الساحل المتجهم المحفوف بالصخور ، ولذا جاءت بسى طويلة القامة نحيلة القسما ، يرتسم على محياها الوعى والجد ، فشعرها البنى المستقيم معقود فى مؤخرة رأسها ، وثيابها أبسط ثياب يمكن أن يسمح صناع الازياء بعرضها فى متاجرهم . وهى فى الثانية والعشرين متزوجة منذ أربع سنوات ، بيد انها ارجأت انجاب الاطفال لتصميمها على العزف بمصاحبة هانسى وعلى المستوى الذى يريده بالضبط .

وانه لما يؤثر فى النفس جدا أن تروى كيف ثرقت كل خطوة يخطوها ، وكيف تدير أموره كلها بالضبط. كما كانت أمها تدير دفة البيت فى مسقط رأسها . فهى تحمل عنه صندوق كمانه ولا تسمح له بحمل حقيبته لأن هذه الاصابع الدقيقة رغم قوتها يجب أن تخصص لتوقيف أوتار الكمان أو حمل وتحريك قوسها . وهانسى جهاز مخصص لإنتاج الانغام فحينما يمضيان فى جولة للعزف تقوم بلفه بعناية وتسليمه الى منصة العرض ، ثم تلفه بعناية مرة أخرى وتحمله الى فندق وتضعه فى فراشه . ووجه هانسى أشبه بوجه قديس شاب وفى عينيه السوداوين روحانية . وأحلام هانسى عن الجمال والمحبة تتجسم فى صوت يخرج السيدات عن طورهن فيصفن مضمومات الأكف ويندفعن الى منصة العزف ويحاولن القاء أنفسهن على قدميه ، ان لم نقل على رأسه لولا وجود هذه الفتاة اليقظة المنتصبة الساهرة على حراسته سليلة المتطهرين من المسيحيين وعلى فمها الصيفة التى ترزدها كلما اقتضى الامر ذلك « انى اصنع لزوجى كل ما يحتاج اليه ، كل شيء بلا استثناء » .

والعضوان الآخران فى المجموعة هما زوجة فريدى روبن وابنتها الطفل الذى يكبر الصغيرة فرانسس بشهر واحد . وفريدى طالب بجامعة برلين يأمل أن يحصل منها على درجة علمية فى الاقتصاد . واسم الزوجة راحيل وهى فتاة جادة دثة تسهم فى جوقة المنشدين على اليخت بصوت متزوسوبرانو ، وتتولى القيادة فى الكورس الغنائى . وفى وسعهم اذن بعازفين على البيان وعازف على الكمان وعازف على الكلارينيت بالاضافة الى آرمونيكاستر دنجل ان يمحروا عباب البحر الأبيض المتوسط فى أمان لأن فى استطاعتهم ان يفرقوا بأنغامهم أصوات ، الحوريات اللواتى ما يزلن جالسات فوق شطآنه الصخرية .

ان كانت الموسيقى غذاء الحب فاعزف ! لقد كانوا متجمعين في استديو لاني في بيانفيني الذي كان قد شيد لمارسيل وأتم فيه أفضل أعماله في الرسم . وثمة عدد كبير من أعماله على الجدران ، ومائة منها أو أكثر مخزونة في حجرة خلفية . أما البيان فهو الجهاز الكبير الذي كان لاني قد اشتراه لكثير ما يسر فاستخدمه سبع سنين قبل ان يرحل عائدا الى المانيا . والاستديو مبطن برفوف الكتب التي تضم مكتبة خال «لاني» الاعلى . وها هنا تقوم شتى صنوف ذكريات الموتى وآمال الاحياء ، مع خزانات للنوتات الموسيقية تتجسد فيها الكنوز البشرية من هذين الصنفين وتبقى محفوظة . وكان هانسي وبس يعزفان كونشرتو تشايكوفسكي الكبير الذي يعنى الكثير لديهما ، فقد أداء هانسي عندما عزف لأول مرة في قاعة كارنيجي ، وكانت بس ووالداها بين الجمهور ، مما جعل المناسبة دقيقة جدا وحرجة بالنسبة للعاشقين الشابين المتلهفين .

وفي المساء التالي توجهوا الى ضيعة « السبع بلوطات » حيث قابلوا جماعة مرموقة معظم افرادها من اهل الوجاهة الذين لم يفادروا بعد الشاطئ الأزرق وقد توجهت الاسرة بأكملها بما فيها ايرما وراجيل ، فحيث ان المسافة لا تزيد على خمس عشرة دقيقة بالسيارة من بيانفيني ففي وسع الامين الشابتين المرضعتين ان تحظيا بثلاث ساعات ونصف من الموسيقى والحياة الاجتماعية . ولكن ينبغى عليهما الا تتعرضا للآثارة . وكانت كل منهما تشد عزم الأخرى وتجعل حياتها « البقرية » أهون احتمالا على نفسها . والعمل الباهر الذي تقومان به كان يعتبر تطرفا جميلا لا ضرر منه تلفظ السيدات في شأنه ، فتذكره المسنات لأزواجهن اما الشابات فيلزم الصمت حتى لا يدخلن في أذهانهم فكرة غير مرغوب فيها . فلا مكان في أسرتنا لروسو . اننا لا نحتاج اليه .

وعرف هانسي وبس السيمفونية الاسبانية للالو ، وهي معزوفة يرحب بها السامعون وينبغى أن تكون من محفوظات كل موسيقى نابه . ففيها اسى ونغمات (أنغام بطيئة نوعا ولكنها متدفقة) مؤثرة تستخرج من السيدات التأوهات . وفيها أيضا أنغام تشيرتراندو (مرحلة هازلة) يستطيع أصحاب القلوب الشابة أن يرقصوا عليها فوق مروج يتناثر فيها الزهر . ولم تكن المناسبة بمثابة عطلة أو ازجاء فراغ لدى بس والتي لم تكن واثقة من صلاحها للظهور في هذه جماعة شديدة التألق والتزمت ، بيد أنها مضت في العزف بنجاح وتلقت نصيبها من الشناء والتهاني أما

لانى الذى كان يعرف الموسيقى تمام المعرفة فسمع لعينيه بالتجوال بين الحاضرين وهو يتساءل ماذا عساهم يفقهون منها وراء الاقنعة السميكة التى يصنعونها على سحنهم . ماذا تعنى لديهم سبحات العبقرية هذه وهذا النداء المتصل الى الروح الانسانية والاثارات التى لا تفتقر للنشوة ؟ واقدام من هذه التى تستطيع التنقل بسرعة كافية فوق تلك المروج ؟ وثبات من هذه التى تستطيع القفز الى ارتفاع كاف فوق قمم هذه الجبال ؟ ومن ذا الذى يبكى على هذه العوالم الميتة ؟ ومن ذا الذى يسير فى هذه المراكب الظافرة احتفالاً بمولد عهود جديدة ؟

لقد استطاع لانى بد وقد بلغ الثلاثين من عمره ان يصل الى فهم عالمه ، وزايله كل وهم خادع فيما يتصل بالسيدات والسادة الذين يحضرون سهرة موسيقية . فالعقائل الضخيمات الثريات كن يلعبن طيلة ما بعد الظهر البريدج وقضين ساعات طويلة جدا فى اختيار الاقمشة والحفاف المزينة بالجواهر واوشحة العنق ودبابيس الصدر والاكاليل التى تتألف منها زينتهن الباهرة . فالى خطوات يخطونها ولو فى الخيال ؟ واى دموع عساهن ذرفنها على آمال البشرية الضائعة ؟ ان بينهن صديقة بيوتى مدام دى ساكريه ومعها ابنتها فى سن الزواج وابنها الوحيد المعبود الذى بعثر ثروتهم فى القمار . وشك لانى فى ان يكون أحد من الاسرة كلها يفكر فى الموسيقى .

وهؤلاء السادة بستراتهم السوداء وواجهات قمصانهم البيضاء كالثلج التى ساعدهم مستخدموهم على الاكتساء بها ، اى جيشان من الحبور والجدل يثير الليلة ارواحهم ؟ لقد تناولوا جميعا عشاء طيبا ، وأكثر من واحد من بينهم يبدو عليه النعاس . وثمة آخرون ثبتوا عيونهم على ظهور السيدات العارية من امامهم . وعن كذب من الموسيقيين جلس جراف هوهنشتاوفن وهو مالى المانى على عينه مونوكل ، وقد وضع على شففيه ابتسامة سرور طوال الجزء الاخير الجياش من المعزوفة . وكان لانى قد سمعه يخبر يوهانس روبن انه حضر لتوه من مكتب سمسار حيث علم بأسعار الاقفال فى نيويورك . وفى شهر ابريل ذلك من سنة ١٩٣٠ كان ثمة ظاهرة بارزة يطلقون عليها اسم (سوق الصعود الصغير) فالاحوال اخذت تنتعش مرة أخرى والمضاربون بدموا يفيضون حماسة . ترى هل كان هذا المكبر للصوت يحول فى ذهنه حركات هانس المحمومة على الكمان الى تقلبات أسعار للأسهم والسندات ؟

ومع ذلك قد يوجد بين الحاضرين من يفهم ، ومن يكون له قلب

شريد يخفى أحزانه ويعيش فى سعادة داخلية خفية ويجلس صامتا هائما بعد انتهاء العزف يمنعه خجلا فلا يقترب من العازفين ليشكرهما ، ثم قد يخرج من هنا بآمال جديدة فى عالم استطاع مثل هذا الجمال أن يتجسد فيه صوتا مسموعا . ومهما يكن من شيء فقد قام هانسى وبسى بواجبهما ازاء مضيفتهما ، وهى سيدة عظيمة ذات شعر أبيض تبدو لها رائحة على اللوام لأنهما فى قصرها القريب من باريس التقيا واكتشف كل منهما صاحبه .

- ٨ -

عد ذلك الحفل نصرا اجتماعيا ولكنه لم يكن كافيا فى نظر الشبان ذوى المعتقدات الحمراء على اختلاف درجاتها ما بين الوردى والقرمزي ففى مدينة « كان » القديمة بالقرب من المرفأ يقيم أعضاء الطبقات المسحوقة ، وكان « لاني » قد صاحبهم عدة سنين حيث كان يعلم آراءه فى مدرسة من مدارس الأحد عجيبة لا دينية ، وحيث يساعد بماله فى تأسيس مركز لما يسمى « تعليم العمال » . وصار له أصدقاء كثيرون هنا ، وصنع كل ما فى وسعه لتحطيم الحواجز الاجتماعية . وكانت النتيجة ان الساقى فى احدى المقاهى الراقية ربما قال له « مساء الخير أيها الرفيق «لاني» وعندما يخرج من سيارته ليدخل الكازينو او النادى البحرى او أى مكان انيق آخر ربما استوقفه بعض غلمان الشوارع الصفار ليشهدوا على يده ، بل وليحيطوه احيانا بأذرعهم . فماذا عسى هؤلاء الناس ان يحسوا ان هم علموا ان عازف الكمان الشهير زوج اخت لاني قد حضر الى المدينة واقام حفلة عزف فيها للأغنياء واهمل الفقراء ؟ من غير المعقول ان يبحر فوق يخت فاخر للملذات من غير ان يحيى العمال ذوى الحساسية الطبقية الشديدة وكان « راول بالما » الذى يدير المدرسة قد أخطر بالزيارة المرتقبة فاستأجر قاعة مناسبة وطبع كتيبات يقوم بتوزيعها غلمان الشوارع الصفار . وعندما يعزف هانسى روبن فى القاعات الموسيقية يدفع الأغنياء مبالغ تصل الى مائة فرنك كى يسمعوه اما العمال ففى وسعهم ان يسمعوه بخمسين سنتيما ، وهو مبلغ يقل عن سنت ونصف سنت بالعملة الامريكية . وهذا امر فظيع من وجهة نظر مدير اعمال هانسى ، بيد ان هانسى ابن رجل غنى ولا بد ان يسمح له بتنفيذ نزواته . واينما ذهب يسرى الخبر ويأتى زعماء الطبقة العاملة اليه طالبين العون ، وهو شاب قوى ويحب مزاولة تمرينات العزف على كل حال فلماذا لا يفعل ذلك فوق منصة أمام اشد صفوف الجمهور تقديرا له ؟

وقد يكون السبب فى ذلك علمهم أنه « رفيق » وانهم يستشفون فى موسيقاه أشياء لا وجود لها . ومهما يكن من شيء فهم يجعلون من المناسبة مظاهرة عامة ، ويدخلونه سويداء قلوبهم ويطيرون معه فوق أجنحة الأنعام الى تلك الأرض السعيدة ، أرض المستقبل التى سيكون فيها جميع البشر اخوة ، وحيث تكون الفاقة والحرب من ذكريات الماضى الشرير . ولم يكن هانسى يعزف لهم المؤلفات المستفيضة ولا يقوم بمحاولات فنية جريئة بل انه كان يعزف موسيقى بسيطة تدفئ الروح ، يعزف « اراجيو » من احدى سوناتات « باخ » المنفردة ، وتتلوها « بريلود » من « سكريبين » فيها وقار دمث مع وقفات مزدوجة بديعة للغاية ويضيف الى ذلك أشياء مرحة براقة مثل توزيع بيرسى جرانجر المعزوفة « مولى على الشاطئ » وعندما يتوسلون اليه أن يعزف المزيد يقودهم الى عريضة صاخبة يعزف « رقصة الجن » لبازيني . وفى هذه المعزوفة يعلو صرير الجن وصهيلهم وتمتمتهم وثرثرتهم بحيث لم يكن يخطر بأحلام الناس أن مثل هذه الأصوات السحرية الغريبة يمكن أن يخرجها كمان أو أى أداة أخرى ، ويكاد يعجزهم كبح ضحكاتهم وتصفيقهم الى مابعد فرار الجن الى كهوفهم أو الى حينما يذهبون عندما ينهكون قواهم بالرقص .

ولما يتقدم الوقت وتحين ساعة الانصراف ترسل « بى » النغمات الافتتاحية للنشيد العالمى ، وهو من عمل رجل فرنسى . وسواء كان الحاضر ورديا او قرمزيا او من أى لون فيما بين هذين فهو يعرف فيما يبدو كلماته ، وكأنما سرت فى المقاعد التى يجلسون فوقها شحنة كهربائية فاذا هم يقفزون واقفين على اقدامهم منفجرين بالفناء ، فلا تستطيع بعدئذ ان تسمع الكمان « انهضوا ياسجناء الجوع انهضوا يا بؤساء الأرض » ويتكاثر العمال حول المنصة . ولو تركهم هانسى لهوهم لحملوه وحملوا لانى وبسى ايضا الى سياراتهم . بل انهم حريون أيضا ان يجروا السيارة على طول الطريق الى كاب دنتيب .

- ٩ -

انساب اليخت بسى بد الابيض الانيق ببطء الى ماوراء حاجز الامواج فى « كان » واخترق خليج جوان مارا بتلك المجموعة من المباني المسقوفة بالقرميد الاحمر التى كانت موطن لانى بد منذ اوائل ماوعت ذاكرته . اما الآن والشهور كثيرة فسيكون اليخت موطنه . ويقل ذلك اليخت خمسة

افراد وكسرا صغيرا من اسرة روبن - ان كانت هذه هي الطريقة السليمة في احصاء الاطفال - واربعة افراد وكسرين من اسرة بد ، وهم لاني وزوجته وطفلتها وبيوتى وزوجها وابنتها وهذه اول رحلة باليخت لمرسلين ابنة الثانية عشرة ، وقد جاءت معها مربيتها الانجليزية المخلصة الآنسة ادنجتون ، كما جاءت ايضا الآنسة سيفيرن للعناية بالطفلة فرانسيس تساعدنا في ذلك احدى الخاديمات المربيات . وكانت هناك اخيرا السيدة سيزنكي ، ومن المامول ايضا ان يكون قد جاء معها تيكومسة مع فرقة ارواحه ، فهم لا يحتاجون الى مساحة في قمرات اليخت .

وكان الصباح خاليا من الرياح ، والبحر ساكنا تماما ، والشاطئ لم يزل قريبا ، والاتجاه صوب الشرق ، والريفييرا تنساب مارة بهم كأنها منظر شامل غامر لانهاية له . وهذا المنظر مألوف للاني كأنه حديقته الخاصة ، ولذا وقف بجوار السياج وراح يشير لاصدقائه الى المعالم البارزة . وبالحال من طريقة مستحبة جدا لدراسة الجغرافيا والتاريخ معا ومن المبهج حقا ان يتناول المنظر المقرب وينتقى المواضيع التي لعب فيها التنس او رقص او تعشى . وسرعان ما بدت « مونت كارلو » وهي مدينة صغيرة تحتشد ابنتها فوق صخرة . وأشار لاني الى منزل زاهاروف ملك الذخائر والاسلحة قائلا : هذا هو وقت جلوسه في الشمس فوق هذه المقاعد ، وراحوا ينقبون ولكنهم لم يروا سيدا مسنا ذا لحية مدبية بيضاء وسرعان ما ظهرت منتون ، وقال لاني « هاهي فيلا بلاسكوإيبانيز » وكان قد مات اخيرا منفيًا من الطغيان في اسبانيا . اجل انه التاريخ على مدى بضعة الوف من السنين يرتسم على طول هذا الشاطئ .

ثم لاحت ايطاليا . لاحت مدينة الحدود حيث ابعد عن البلاد اشتراكى شاب لانه حاول الاحتجاج على مقتل متيوني . ثم سان ريمو حيث حضر لاني اول مؤتمر دولي بعد صلح فرساي . وكان لاني وهو في الرابعة عشرة قبل ذلك بزمان طويل قد ارتحل بالسيارة المسافة كلها حتى نابلي في صحبة صاحب مصنع للصابون من روبنس بولاية انديانا . ولاني يشعر على الدوام انه يعرف ولايات الغرب الوسطى الامريكية عن طريق حكايات عزرا هكينيورى الذى كان يحمل اقراصا صغيرة نماذج من صابون « الطائر الأزرق » اينما ارتحل في انحاء أوروبا ليعطيها للأطفال المتسولين الذين كانوا يحبون رائحتها ولكنهم يكرهون طعمها . « وكراراً » برخامها ذكرت « عزرا » بمكتب البريد في بلدته ، ولما رأى برج بيزا المائل قال ان فى وسعة اقامة برج من الصليب اشد ميلا من هذا البرج ، ولكن ما جدوى ذلك ؟

ووقعت مصادفة غريبة ففي حين كان لاني جالسا فوق ظهر اليخت يروى أقاصيصه على مسامح آل روبن ، اتجهت والدته لاني وزوجها قمره السيدة سيزنكي ليتبيننا هل ير الهندي الأحمر بوعدده وتبعها الى اليخت . وغرقت المرأة البولندية في سباحات سباتها وعلى الفور خرج الصوت القوي المفروض انه من قبيلة ايروكوى الهندية الحمراء ، وان كانت لهجته بولندية . وقال تيكومسة ان ثمة رجلا يقف الى جواره يقول ان اسمه عزرا ، واسمه الآخر يبدأ بحرف الهاء بيد ان صوته ضعيف بحيث لا يستطيع تيكومسة ان يسمع الاسم بأكمله وان كان يوحى اليه بالتفكير في قصاب ولكن لا أن الرجل يقول انه ينظف الناس لا الحيوانات وأنه يعرف لاني ويعرف ايطاليا . وطلب سؤال لاني هل يتذكر ؟ - ماذا ! شيئا عن الروائح في خليج نابولي وعن رجل كان يربي دودا لطعم السنابير ، وكان مستر دنجل هو الذي يقوم بالاستجاب فاستفسر منه عن معنى ذلك ولكن تيكومسة أعلن أن الروح تلاشى .

وهذا حادث من تلك الحوادث التي تدفع الباحثين النفسيين الى تدبيح تقارير طويلة وفكرت بيوتى في عزرا هكيبورى على الفور ، بيد انها لم تكن تدري ان « لاني » يحدث آل روبن عنه فوق ظهر اليخت . ولاهى كانت تدري كيف استشهد صانع صابون الطائر الازرق بالروائح في ميناء نابولي للتدليل على ان لاني كان يذكر ذلك جيدا ، ويذكر ايضا أن السيد القادم من ولاية انديانا حدثه عن مهنة غريبة تقوم على تربية دود الصيد وغرسه في التربة للابقاء على تفتح مسام الأرض . فماذا عسى ان يرى المرء في مثل ذلك الحادث ؟ أكان السيد هكيبورى موجودا هناك حقا ؟ وهل مات ؟ ان لاني لم يسمع خبرا عنه منذ سنين . ولذا جلس وخط رسالة تودع في جنوا لم يذكر فيها شيئا عن الارواح بل قال انه في طريقه الى نابولي وفي نيته ان يسير في السبيل الذي سلكته الرحلة على اليخت « الطائر الازرق » فهل يذكر صديقه القديم نزهتهما بالسيارة والروائح المنبعثة من الخليج ؟ وكيف احوال الرجل الذي يربي دود صيد السمك ؟ وأضاف لاني ايضا « دعنى اعرف اخبارك ، لاني وأمي نتحدث في أوقات كثيرة عن تطفلك الجهم معنا » وكان يأمل في حالة وفاة عزرا هكيبورى أن ينبرى احد أفراد أسرته للرد .

ونزلوا الى الشاطئ في جنوا لتفقد تلك المدينة الموعلة في القدم . فوجدوا في لاني دليلا لانه كان تجول بين الشوارع هناك مدى اسابيع كثيرة أثناء مؤتمر جنوا . وزاد من استمتاعه انه ماكان ليسمع له بدخول البلاد لو تحققوا من شخصيته ، الا أن الموظفين المحليين ماكانوا ليصرفوا شيئا عن تلك المغامرة القديمة أو ليفكروا في استجواب أناس وجهاء هبطوا الشاطئ من يخت خاص ، أو ليراجعوا اسم كل سائح على سجلات القيادة الفاشستية في روما وهكذا لم يوجه اليه سؤالا . فايطاليا بلد فقير والزائرون يحملون اليها النقد الاجنبي الذي تحتاج اليه كثيرا . وكلما كانوا اغنياء زاد الترحيب بهم ، وهي قاعدة سارية المفعول في معظم انحاء العالم .

واستأجروا ثلاث سيارات طافوا بها المدينة التي تحتشد ابنيتهما بين الجبال والبحر ولما كانت عاجزة عن الصفو فوق البحر فقد اضطرت الى تسلق الجبال . وابنيتهما العالية القديمة متلاصقة ، ولكنها نسها واجهات ذات خطوط من المرمز الأبيض والأسود وفي داخلها رسوم رتيبة متشابهة لنساء ايطاليات حزينات يحملن بين اذرعهن أطفالا . وأمام مزارات الاضرحة تماثيل لاجزاء من اجساد تم شفاؤها بالمعجزات ، وهي امور لا تشاهد عادة خارج المستشفيات وكان من الممكن أن يهتم السيد دنجل بهذه الشئون لولا تحامله العميق على النظام الكاثوليكي الذي كان يصفه بالوثنية . وكذلك كان أيضا فيما مضى رأى مستر هكيبوري .

واراهم لاني قصر سان جورجو القديم حيث عقد المؤتمر ، وهو مكان قدر مقبض يحزن القلب يتناسب مع النتائج التي انتهى اليها الاجتماع . ففي ذلك المؤتمر أدلى لويد جورج بأزهر الوعود بالسلام والرخاء أمام مثل تسع وعشرين دولة . وبعد ذلك ظل الزعماء وراء الكواليس ستة اسابيع يتنازعون في امتيازات البترول يمنحها الروس لمن من الدول وكان والد لاني حاضرا يحاول الحصول على نصيب . فكان ذلك أول فشل له وبداية سلسلة من الفشل لجميع الاطراف المعنية . وبدلا من السلام اقدمت الامم على مزيد من التصليح ومزيد من الديون . وبدلا من الرخاء جاء الانهيار المالي في . وول ستريت ، وصار الكل يرتعدون خشية أن يمتد الانهيار الى بقية انحاء الدنيا .

لم يكن هذا كله أبهج مجال للحديث بالنسبة لقوم يقومون بجوله هدفها الاستمتاع بمشاهدة المناظر الخلابة ، ولذا تحدث لاني عن فريق من الصحفيين والكتاب الذين التقى بهم في هذا المؤتمر وتحاشى الإشارة الى الحادث المأسوي الذي وضع حدا لاقامته في جنوا ولكن فيما بعد ، عندما عادت إيرما وراحيل الى اليخت وذهب هو لرياضة على الاقدام مع هانسي وبسي فتحدثوا عن تلك الزعيمة الايطالية النقابية التي دفعتهم الى التفكير في موضوع العدالة الاجتماعية وكان الزوجان الشابان ينظران الى بربرة بلولبيزي على انها بطلة وشهيدة من شهداء الطبقة العاملة ويقدرسان ذكراها كما يقدرسان الطليان الأم العذراء التي لا يسامون رسم صورتها ولكن الارهاب الفاشستي محا كل أثر لتنظيم بربرة ، وصار اظهار العطف عليها سببا لتعريض أى إيطالى للنفي والتعذيب فى إحدى تلك الجزر القاحلة فى البحر الأبيض المتوسط التي يستخدمها موسيليني معسكرات للاعتقال .

وحيثما يتحدث المرء فى أمور من هذا القبيل يفقد كل الاهتمام بالابنية القديمة وبصور العذراء المتكررة بلا نهاية ويفقد الرغبة فى تناول أى غذاء من هذه المدينة أو اتفاق أى نقد أجنبي فيها بل تستولى عليه الرغبة فى نفث ترابها الدنس من قدميه . ولكن الأهل المسنين اتوا الى هنا لامتاع انفسهم بمشاهدة المنظر ولذا فليصعد المرء سائرا على قدميه تلك الشوارع الضيقة حتى يصل الى التلال فيجد أزهار الربيع غزيرة والهواء يهب نقياً من البحر . ولقد كانت هبات الطبيعة هذه موجودة قبل ظهور النفاج الفاشستي التعس ، وستبقى طويلا بعد أن يغدو جيفة نتنه فى خياشيم التاريخ . فلنحاول الا نبغض ذوى القمصان السود حين يختالون بأحذيتهم اللامعة ومسدساتهم وخناجرهم المدلاة من أحزمتهم ولنعتبرهم أطفالا مضللين كتب عليهم أن يدفعوا من دمهم يوما ما ثمن اختيالهم وتعاليمهم « أغفر لهم ياإبتاه فهم لا يدرون ما يصنعون » .

وعندما تهبط من الاعالى وتصعد الى ظهر اليخت مرة أخرى تحتفظ بأفكارك لمجموعتك الصغيرة ولا تقول شيئا للمسنين الذين شبوا فى عالم مختلف ، فليس فى وسعك أن تغير عقيدتهم ولن تصل الا الى افساد عطلتهم عليهم فاعزف موسيقاك ، وطالع كتبك ، وفكر أفكارك ، ولا تنزلق الى مجادلة فليس هذا أسلوبا مقنعا تماما للحياة ولكنه الأسلوب الوحيد الممكن حينما تتغير الدنيا بسرعة بحيث يغدو الفارق بين الآباء والبنين فى الافكار والقيم ألف عام .

الفصل الثالث

وحاولوا الاختيار

- ١ -

لقد اوضحت السفينة الانيقة «بيسى بد» البيضاء وسط جزر اليونان، حيث احبت سافو المشبوبة العواطف وتغنت ، وحيث صاد لاني وهو فى الرابعة عشرة من عمره السمك وسبح وتسلق التلال ورننا ببصره متطلعا الى اطلال المعابد القديمة • وشق اليخت طريقة وسط خليج كورنتوس وشد شدا وثيقا الى مرسى ميناء بيريه الذى كان قد ناله شئ من التحسين، وركب الضيوف سيارة اقلنهم الى مدينة اثينا وصعدوا تل الاكروبول على ظهور حمير صغيرة الحجم لم ينلها ايما تحسين ، ورنوا الى اشهر اطلال الدنيا ، وحدثهم لاني عن « ايزاد ورادنكان » ورقصها هناك ، وكيف وضحت لرجال الشرطة المستنكرين ان هذا أسلوبها فى الصلاة •

والقت السفينة بيسى بد مراسيها فى بوغاز اتالانتة ، وقام لاني بتدلية شص الصيد بخبرته فاخرجت مخلوقات عجيبة الشكل لم يتغير فيها شئ منذ ستة عشر عاما ، ولعلها لم تتغير كذلك منذ ستة عشر مليوناً • واستقل الضيوف زوارق ذات مجاذيف الى مدن عدة ، وشربوا قهوة مسرفة الحلوة من أوان من الفخار ذات مقابض طويلة ، وحملقوا فى منظر غريب تمثل فى رجال طوال القامة يرتدون ثيابا ذات ثنيات طويلة كأنها الاكورديون البيضاء منشأة كتلك التى ترتديها راقصات الباليه • وتسلقوا التلال التى تعلوها المعابد القديمة وحاولوا التخاطب بلغة الاشارة مع رعاة أقاموا هناك أكواخهم المخروطية الصغيرة من أعواد القش والاصصان :

وكان جانب من التاريخ فيما بين زيارتي لاني لهذه المياه قد جرت أحداثه هناك ، ففي هذه المياه كمننت القواصات الالمانية ، وراحت السفن البريطانية والفرنسية تصيدها ، ونشبت مبارزة مريرة فى الدسائس

بصدد الدور الذى ينبغى أن تؤديه اليونان . وكان الحلفاء قد أنزلوا جيشا فى سالونيك وهاهى ذى السفينة بيسى بد تسير الآن متتبعة طريق تنقلاتهم هناك فتجول ضيوفا بالسيارة فى ارجاء مدينة عتيقة ذات شوارع ضيقة ملتوية بها عدد كبير من المساجد تعلوها مآذن شاهقة . وتجول بين التلال ذوو النشاط من أعضاء الجماعة حيث سارت من قبل جنود الاسكندر فى طريقها الى غزو بلاد الفرس ، ومن حيث جاء السلافيون فى القرن السابع ، يتلوهم البلغار والعرب والغاليون والبنديقيون والترك .

ان من الناس من له حاسة لادراك الماضى ويحرك مشاعره التفكير فيه ومثول مخلفاته بين يديه . وثمة آخرون لا نصيب لهم من هذه الحاسة الا الاقل ، انهم يفضلون أن يلعبوا البريدج على أن يتسلقوا لمشاهدة الموضع الذى جرت فيه معركة أو عبادت فيه ربة . وقد اكتشف لاني ان زوجته من هذا الفريق الاخير فهي لا تخلو من الاهتمام بالقصص التى يرويها للجماعة ، ولكن بمقدار ، وفى حين ينهمك هو مع هانسى فى دراسة شغايا عمود ساقط على الارض تنصرف ايرما الى مراقبة الحملان فى توابها بين ازاهير الربيع ثم تقول : « اوه . ما أبدعها ! » واذ تلاحظ ان حملا من بينها شرع يحك امه بانفه ، تنظر الى ساعة معصمها وتقول : « لا تنسى انه يجب علينا الرجوع الى اليخت فى مدى ساعة » . فيمتد لاني الى عالم اليوم ، ويستأنف لذة دراسة أطوار الاطفال التى كان قد بدأها منذ أمد طويل بمرسلين .

- ٢ -

وعندما تعيش ليل نهار على ظهر يخت على اتصال وثيق برفاقك من الضيوف فلن يسعهم أن يخفوا عليك شيئا . وكانت هذه رابع رحلة بحرية للاني مع يهودى من رجال المال ، بيد انه لم يكل من دراسة هذه الشخصية المركبة الغامضة الخفايا . لان يوهانس روبن لم يكن مجرد فرد ، انه فى الوقت نفسه سلالة وثقافة معينتين ، انه دين وتاريخ بجانب من البشر على مدى بضعة ألوف من السنين . ففهمه حق فهمه معضلة لا فى علم النفس وحده ، بل فى شئون الاعمال والمال ، وأيضا فى الادب واللغة وعلم أصول السلالات وعلم الآثار القديمة ، وهى قائمة من الموضوعات التى يشعر نحوها لاني بحب استطلاع .

ان هذا الرجل الكثير الاعمال والمشغل قد يبدو لك أحيانا وكأنه

طفل في رقة قلبه ثم اذا به يذكر لك صراحة بأنه لا يشتغل بالتجارة لوجه الله . ففي وسعه أن يكون صريحا الى درجة تضع ذوقه موضع الشك ، كما ان في مقدوره أن يكون مراوغا مثل أى دبلوماسى لقد راقب لاني مسلكه في اثني عشر مؤتمرا عالميا شهدها ، انه قد يشتد على شخص في صفقة شدة مفرطة ثم ينتهي فينفق ببذخ في اكرام وفادة ذلك الشخص بعينه ! وهو جرىء ، بيد ان المخاوف تطارده باستمرار . وهو شديد الرغبة في الحصول على رضا الناس ، الا انه قمين أيضا أن يدرسهم وينتهي في حكمه الى ان رأيهم لا يساوى كل هذه القيمة . وأخيرا يوجه قوة ملاحظته الى هذه المتناقضات في نفسه ، ثم يفضي الى لاني الذي يثق به بهذه الآراء في أسلوب محير .

وكانا جالسين على ظهر اليخت بعد أن آوى الآخرون الى الفراش . والليل ساكن ، واليخت ينساب فوق الماء فلا يكاد يند عنه صوت . وفجأة قال المضيف : « اتدرى كم تتكلف هذه الرحلة في كل ساعة ؟ » فقال الضيف مأخوذا : « لم أحاول أن أقوم بهذه الحسبة » فأجابه : « ما كانت لتقوم بها لانك كنت دائما في وفرة من المال . لقد حسبت الحسبة ليلة أمس ، فاذا بها نحو مائة دولار في كل ساعة من ساعات الليل أو النهار . وقد كلفني هذا الاكتشاف بضع ساعات انتقصت من نومي » .

وساد صمت . فلاني لم يكن يدري ماذا يقول . وقال اليهودي : « انها نقيصة ، واحسبها نقيصة موروثة في سلالتنا ، فلا أستطيع التغلب على مخافة انفاق مال يبلغ كل هذا القدر ! » - فسأله : « ولماذا تنفقه إذن ؟ » فأجابه : « لاني أجبر نفسي على أن أكون معقولا . فأي خير في المال ان أنت كنزته ؟ إن أولادي لا يريدونه ، وأطفالهم لن يعرفوا كيف يستخدمونه ، ثم قد لا يدوم هذا المال على كل حال . وأخالني أتبع لأصدقائي شيئا من المتعة ، ولا اتسبب في أى ضرر فيما أرى . أتري في هذا ضررا ؟ » فأجابه الآخر : « لا » فقال المضيف : « وما كان ينبغي بطبيعة الحال أن أذكر هذا على لساني ولكنك تحب أن تفهم الناس » . فأجابه لاني : « ستزيد سعادتنا لو اننا جميعا فهمنا أنفسنا . وانا أيضا أشعر بنقائص في طبعي . ولو كنت في مكانك لحاولت أن أستقر على رأى فيما إذا كان يجوز لي أن املك يختا » .

وأوى لاني الى فراشه وهو يفكر في هذه السسمة الغريبة لتلك السلالة . فعندما التقى يوهانس روبن أول مرة كان بائعا يرتحل في انحاء أوروبا بحقيبتين ثقيلتين مكتظتين بأدوات كهربائية لتجميد الشعر وتقدير الخبز ومشروع لتنشيط التجارة الدولية ونشر الحضارة . وكان قد جمع مالا أثناء الحرب من شراء الادوات المضطيسية وما الى هذه الاشياء لبيعها في المانيا ، ثم دخل شريكا مع روبى بد واشترى مخلفات الجيش الامريكى ، وباع الماركات واشترى انصبه في المصانع الالمانية ، والآن يشار اليه أحيانا بأنه ملك «كذاء» أو «كيت» . ولا ريب في ان جميع الملوك تحت تيجانهم ومن داخل اريدتهم الملكية بشر قانون مترددون مهمومون ، يتلهفون على المودة ويعذبهم خوف السم والخناجر والعفاريت والارباب ، أو بلغة العصر - الحديث خوف الانهيارات المالية والثورات .

ولئن كان يشاربينوفتش قد غير اسمه الا انه لبث مقيما على يهوديته ، مما يدل على شدة احساسه بالسلالة ، وظل على هذا النهج بفعل الكراهية والاضطهاد . فترام طورا يجمع منتفخا وطورا آخر يتذلل متزلفا ، بيد انه يحاول اخفاء الحالين ، فهو يريد ان يكون رجلا مثل سائر الرجال يحكم الناس عليه على ضوء مزاياه . ولكنه كان قد اضطر الى الفرار من فتنة في روسيا ، وعاش في المانيا وهو يعلم ان اعدادا غفيرة من الناس يضررون له الاحتقار والبغض ، ويعلم أيضا ان الناس في أمريكا نفسها - التي يعتبرها أكثر البلاد استنارة - ممن يعيشون في الاحياء الفقيرة يطلقون على مثله جهارا اليهودى قاتل المسيح . في حين يقصيه «افاضلهم» عن منتدياتهم الريفية .

لقد تحدث بهذا كله الى لاني الذى دافع بعنف تأييدا لحق أخته في الزواج من هانس والناس يتهمون اليهود بحب المال حبا شادا . ويقول يوهانس في ذلك : « انما نحن تجار ، وقد كنا تجارا على مدى الفين من السنين لاننا طردنا من أرضنا ، فكان علينا ان نتوارى فى اى جحر نعثر عليه فى موانئ البحر الأبيض هذه ، ونتعيش بشراء أى شىء بثمان منخفض ثم نبيعه بثمان أعلى . ولما كانت عقوبة الفشل فى هذه الحالة هى الموت فقد ارهقت قريحتنا . وفى الموانئ يحدث كثيرا أن نشترى من شخص لن نراه بعدها ، ونبيع لشخص آخر هذه حاله أيضا ، وكلاهما

لا يعنيه خيرنا ، ونحن ايضا لا يعيننا خيره . وقد يكون هذا نقصا من اخلاقياتنا ، بيد ان ادراك سببه ميسور .

وأعترف لاني لمضيفه انه يدرك ذلك ، فاستطرد : « لقد كان اسلافي ملوك التجارة على طول الطريق من ازمير الى جبل طارق ، في الوقت الذي كان فيه اسلافك همجا يعيشون في الغابات الشمالية المظلمة يقتلون الثور الوحشي بالهراوة والحربة ، فمن الطبيعي ان تكون وجهة نظرنا الى الحياة مختلفة عن وجهة نظركم . ولكن متى احترفت التجارة اختفت هذه الفروق بسرعة وقد سمعت ان ولاية اسلافك كونكتكت لا يتأذى فيها ابن الولايات الشمالية اذا لقيه الناس هناك بصاحب المظهر المصقول ، ولعلك سمعت بدافيد هاروم الذي كان تاجر خيل ، فقال لاني باسم : « بل وسمعت ايضا ببوناش وبير لموتر ، فقال اليهودي : « هكذا الحال هنا على امتداد شواطئ هذا البحر العتيق الذي كان يوما ما العالم المتحضر ، فال يونانيون يعتبرون تجارا مهرة ، ومثال ذلك زهاروف . والاتراك لا يسهل خداعهم وقد قيل لي ان الارمن يستطيعون خداع اي سلالة في الدنيا وانا اعني بهذا دائما بالطبع من يحترفون التجارة فيعيشون ويموتون عليها . أما الفلاح فله شأن آخر ، لان هذا المنتج الاول مكتوب عليه ان يكون الضحية باستمرار ، سواء كان في كونكتكت يشتري خشبا على انه جوزة طيب او في الاناضول يتلقى نقودا من المعادن الخسيسة لا تتوفر له البراعة اللازمة لتصريفها . »

— ٤ —

وجلس لاني الى مدام سيزنسكي ولكن النتائج التي حصل عليها لم تكن من احسن النتائج لان « تيكومسة » الهندي الاحمر النبيل كان مرتابا وميالا الى توهم مالا حقيقة فيه ، يتأذى ان لم يقبل احد كلامه قضية مسلما بها وقد اقترف لاني خطأ التزام الامانة في الرأي . والطريقة المثلى للحصول على النتائج ان تحذو حذو برسيغال وتجعل الذي يرحب بالارواح كانهم اصدقائه ، ويثرثر معهم ومع « الرقيب » بلهجة ودية واسلوب بسيط واقعي . ويبدو ان الامر بالنسبة للارواح كما هو بالنسبة للشقاء الروحي تماما : لن تصلوا الى ماتريدون حتى تؤمنوا وتصبحوا كالاطفال الصغار .

وكل ما قبل تيكومسة ان يصنعه هو ان يبعث الى لاني برسائل عن طريق برسيغال فيقول : « اخبر هذا الشاب الانيق ان مارسل كان هنا ،

وانه يرسم صورا روحية ابداع من كل ما رسمه على الارض اطلاقا ولكن صوره هذه لن تباع بالمزاد ، • وكان لاني يريد ان يعرف هل يوافق مارسل على بيع اعماله ، بيد ان مارسل تجاهل سؤاله طويلا ، ثم اذا تيكومسة يقول ذات يوم في شيء من الحلق ان هذا الموضوع لا يعنى مارسل كثيرا فكل شيء في عالم لاني يباع ولا جدوى من ابقاء اعمال جميلة في مخزن • فبدأ كان عالم الارواح اخذ يصطبغ بالصبغة الوردية ، •

وكانت السيدة تعقد عدة جلسات كل يوم وهذا ما كانت تفعله من قبل لكسب معاشها في الشارع السادس (بنيويورك) وهي تؤكد ان ذلك لا يؤذيها ، وهي تود ان ترضى كل شخص يهتم بتحضير الارواح • وسرعان ما انطلقت تنقب في ماضي آل رابنوفتش وتحديثهم عن افرادها الذين « انتقلوا » • ولم يكن هذا مرضيا بعض الشيء لكثرة افراد هذه الاسرة الذين فقد ياشا اثرهم وقال انه لم يسمع انباء عنهم الا عندما يكون احدهم بحاجة الى المال لسبب هام وجميع الاغراض في هذه الحالة هامة وقال ان الطريقة الوحيدة للتأكد من هوية اى فرد في أسرته في عالم الارواح ان يجده يطلب منه نقودا يعطيها لابن او بنت او ابن أخ أو بنت أخ على ظهر الارض ! •

ولكن كان ثمة فعلا عم يقال له ناحوم كان يتاجر في بعض السلع بين القرى الروسية والبولندية وقد ضربه « المئات السود » بالهراوات الى ان مات • وقد بدت هذه التفاصيل الواقعية لذلك الحادث مقنعة لماما روبن التي كانت قد شهدت حادثا مماثلا وهي طفلة ولم تزل ينتابها كابوس بين الحين والحين نتيجة لذلك ثم جاء دور والد ياشا مباشرة من عالم الارواح ليتحدث اليه فلذكر له ان لحيته ابيض احد جانبيها أسرع من الجانب الآخر وكيف احتفظ بنقوده مخبأة تحت قالب من الطوب منفصل عن القوالب المحيط به في بناء المدفأة وعندئذ رأى لاني مضيفه يجفل مأخوذا . وقال له يوهائيس بعد ذلك انه كان يظن هذا كله خدعة من نوع ما اما الآن فهو لا يدري ماذا يظن فهو في الحقيقة شيء غير معقول •

واستمر الحال كذلك بالنسبة لكل من على ظهر سفينة الملذات فتنازل الربان مولر بلحيته الشيباء وذهنه الثقيل الى محاولة هذه التجربة فوجد نفسه يتحدث الى ابنه الاكبر الذي كان ضابطا صغيرا في غواصة فأخبره كيف كان شعوره بالاختناق في قاع البحر • وأما الخادمة المربية للطفلة فرانسيس وهي فتاة ذات لهجة سوقية لندنية حظيت بفتات من التعليم في مدرسة مجلس المدينة فتعلمت كيف تجلس فترات طويلة

تحدث الى أبيها الذي كان جنديا بريطانيا قتل في معركة السوم ، وجعل يخبرها بالفترة الباكورة من حياته واسم الحانة الشعبية التي كان يراهن فيها على جياذ السباق حيث لم يزل اسمه مكتوبا بالطباشير فوق لوحة الى جانب الموتى من جنود الجيران .

كيف استطاعت السيدة سيزفسكى ان تصل الى هذه الامور ؟ قد تقول انها تتسلل خلسة بين أرجاء اليخت وتتسمع الى اطراف من الاحاديث ، أو لعلها تنبث في قمرات هؤلاء الناس . ولكن الواقع فعلا انها لم تكن تصنع شيئا من هذا وانما هي عجوز اقرب الى الغباء كانت اول الامر خادما ثم زوجة لكبير الخدم فى بيت تاجر بمدينة وارسو وهى تعاني من تمدد الاوردة ومن الاستسقاء فى مراحل الاولى وتفهم اللغات الاجنبية بصعوبة ولا تبالى ان تسمع ما يقال حولها معظم الوقت ولكنها تفضل ان تجلس فى قمرتها الخاصة تلعب بورق الكوتشينه وحدها لعبات لا تنتهى . وان قرأت شيئا فهو الصور التى تنشر فى المجلات الرخيصة والامور الغريبة التى تاتيها فى سباتها لاتعنيها فى الواقع كثيرا جدا ، فهى تجيب عن أسئلتك على خير ما تستطيع ولكنها لا تكاد توجه اليك سؤالا اطلاقا وكثيرا ما اعلنت مرارا وتكرارا انها تقوم بهذه الامور لانها فقيرة ويجب أن تكسب معاشها ، وتؤكد فضلا عن ذلك انها لم تسمع قط صوت تيكومسة ولا تعرف عنه الا ما حدثها به عملاؤها الكثيرون .

ولكن ذلك الزعيم الهندى الاحمر كان مخلوقا مختلفا اشد الاختلاف عنها ! فهو ليس تيكومسة المعروف فى التاريخ على حد قوله وانما هو ايرقوى يحمل نفس الاسم (والا يرقوى عشيرة من الهنود الحمر قوية الشكيمة شغوف بالقتال كانت تسكن المنطقة الوسطى من نيويورك قبل انشائها الحديث وبضمها تحالف عسكري مع عشائر الموهوك وغيرها من القبائل ذات البأس الشديد .) وان عشيرته كاد يمحوها الجدرى عن آخرها . وهو الآن يحكم قبيلة من الارواح ويسل نفسه على حساب أعدائه السابقين البيض . وهو فطن ، فيه شمائل السيادة ، سريع البديهة حصيف . واذا عرض له شيء لا يعرفه طلب منك أن تعود اليه فى الغد فلعله يكون قد حصل لك على الخبر الذى تريد . ولكن ينبغى عليك أن تكون مهذبا وان تعامله معاملة نداء اجتماعي ، وخير وسيلة للنجاح معه أن تتخذ موقف الملتبس المتواضع فتقول : « أرجوك يا تيكومسة ان تنظر ان استطعت أداء هذه الخدمة العظيمة لى » .

وما معنى هذا كله ؟ أهذا حقاً روح أحد سكان أمريكا الأصليين مات قبل أكثر من مائتين من السنين ؟ لم يكن هذا ظن لاني ، فبعد أن قرأ عدداً من الكتب وفكر فيما قرأ ملياً عدة شهور استقر رأيه على أن تيكومسة عبقرى ، فهو شيء على غرار السر الفاض الذى كان يعمل فى وليم شكسبير بحيث أنتج جحفاً من الشخصيات تقبلها العالم على أنها أشد حقيقة وواقعا من البشر الأحياء . وفى حالة الشاعر كانت هذه العبقرية مازجة لعقله الواعى بحيث كان الشاعر يدري ما تصنعه عبقريته وأمكنه بذلك أن يصوغ شخصياته فى مسرحيات يبيعها لمديرى المسارح . أما العبقرية عند السيدة سيزنسكى فلم تكن مازجة لشيء من ذهنها الواعى بل ظلت مخبوءة داخل لا وعيها تعمل هناك عملها مستقلة بنفسها . فهي عبقرية من الأوابد - ان جاز هذا القول - من العبقریات السفلية ، حتى لكانها الفار العجوز بحفر مساربه فى الأرض بسرعة هائلة !

وهذه الطاقة هى التى تنتهى بتمثيل الهنـدى الأحمر ، تجمع أيضاً الحقائق والوقائع من أذهان الأشخاص المتباينين وتستخرج منها الحكايات القديمة . فهى قد غاصت فى لا شعور لاني بد وجمعت من هناك ذكرياته وكونت منها روح مارسيل دتيـاز وهو يرسم صورته فى كاب دنتيب أو يتطلع الى الاطلال فى بلاد الاغريق القديمة . وغاصت كذلك فى عقل يشاروبنوفتش وخلقت أرواح ذوى قرباء . وما أشبهها فى هذا بأطفال عمشروا على ثياب قديمة فى صندوق متروك فارتدوها وراحوا ينسجون حكايات حول الأشخاص الذين سمعوا بهم أو قرأوا عنهم فى الكتب ما بين أحياء وموتى ! وكل طفل يدري ان عليك أن تتظاهر بأن ذلك كله حقيقى والا لن تكون فى اللعبة متعة لان المخيلة لن تعمل فى هذه الحالة . فاذا ارتديت جلد دب فعليك أن تجثو على يديك وركبتيك وتزمجر ، واذا ارتديت لباس الرأس الذى يتخذه زعماء الهنود الحمر فعليك أن تروح وتفدو فى أنحاء الحجرة وتامر الأطفال الآخرين وتنهـاهم فى صوت صارم عميق حتى ولو كانت لهجتك بولندية !

وهذا كله يدل فيما يبدو على ان ثمة نوعاً من المادة العقلية الكلية كانها المحيط تفوس فيه وتطفو مع افكار لاني وافكار السيدة سيزنسكى وعقول غيرهما من البشر . فتخيل نفسك فقاعة طافية على وجه محيط ، والشمس تشرق عليك فاذا لك ألوان بديعة جداً وبالقرب منك تطفو فقاعات أخرى ، وتتقاربون فتكونون عنقوداً من الفقاعات ، أعضاؤه ضيوف

اليخت بسى بد مثلا . وتتحطم الفقاعات فقاعة بعد أخرى ، وتعود مادتها الى المحيط لتتكون منها فى الألوان المناسب مادة فقاعات جديدة .

وتجبرك هذه النظرية على الاعتقاد بأن الوسيط لديه القدرة على الفوص فى هذه المادة العقلية واستخراج حقائق ما كان الوسيط ليصل اليها بآية وسيلة سوية . فهل هذا الغرض أسهل فى التصديق من القول بأن أرواح الموتى تبعث بالرسائل للأحياء ؟ وقد وجد لاني ذلك أسهل فى التصديق لانه عاش طويلا ليرقب العقل البشرى ينمو مع الجسم ويضمحل معه وكل منهما مرتبط بالآخر فيما يبدو على نحو غريبولذا فهما يتقاسمان مصيرا واحدا . ولكن لاتخدع نفسك فتظن انك تعرف طبيعة ذلك الاتحاد بينهما وكيف تستطيع الفكرة أن تحرك عضلة أو كيف يحدث تغير كيمائى فى الجسم خاطرة مرحة أو مكتئبة . فهذه مسائل تحتاج للإجابة عنها الى رجال أحكم من لاني بد ، وهو لم يزل يتمنى أن يكف الناس عن السرقة والقتل ليتفرغوا لاكتشاف حقيقة تكوينهم .

- ٦ -

وإصلمت الرحلة البحرية التى تتكلف الساعة فيها مائة دولار طريقها صوب الشرق ، وسرعان ما اقتربوا من شبه جزيرة غاليبولى حيث دفع كثيرون جدا من الانجليز حياتهم ثمنا لتخبط رؤسائهم ، ففرقت بوارج جبارة وتكدست على الشواطئ اجساد مشوهة . ومن بين هؤلاء المجرحي الكثرين والد عشيقه لاني السابقة روزمارى كودو ليجر كونتسه ساند هافنى . وكان الرجل قد « انتقل » منذ امد غير طويل فتساءل لاني الم تزل روحه ترود هذا المكان ؟ وسأل تكومسه عن ذلك فلم يطل به الانتظار ريثما « حضر » الكولونيل كود وليجر . ولكن لسوء الحظ لم يكن لاني قد عرفه معرفة جيدة ولا بدله من الكتابة الى روز مارى فى الارجنتين ليعرفه هل الوقائع التى ادلى بها صحيحة .

واخترقوا الدردنيل ظهر يوم عاصف مطير ، فبدأت الشواطئ شديدة الشبه بغيرها من الشواطئ المفلقة بالضباب . وتمشى لاني مع بسى قليلا فوق ظهر اليخت ثم دخلا الى الصالون وعزفا مع سونتا شوبيرت التى يحتاج اداؤها على البيانوا الى أربعة ايد فى وقت واحد . وبعد ذلك خرج لاني الى ظهر اليخت مرة أخرى لاقترابه من جزيرة « برينكيو » التى احتلت جانبا كبيرا من تفكيره فى مؤتمر الصلح منذ احدى عشرة سنة

فقد وقع عليها الاختيار لتكون مكان الاجتماع للبلاشفة فى الجهود التى بذلها الرئيس ولسن للوصول الى هدنة معه . ووجد الساسة المسنون صعوبة فى التصديق بوجود مكان له مثل هذا الاسم الذى يصلح للكوميديات الموسيقية .

وخطر ببال لانى فى مرارة ان الاجتماع ايضا كان حريا ان يكون مظهرة جديدة للكوميديات الموسيقية فالساسة لم يذهبوا الى برينكيو ، وعندما قابلوا الروس فيما بعد فى جنوا لم يتفقوا على شىء وعادوا الى اوطانهم ليستعدوا لحرب اخرى ، فقد كان لانى من المتشائمين الواقفين بان الحرب فى الطريق ، بيد أنه حين كان يقول ذلك للناس كانوا يهزون اكتافهم فماذا فى وسعهم ان يصنعوا لمنعها ؟ بل ماذا فى وسع أى انسان ؟ انها الطبيعة !

لعل المطر هو الذى اثار لديه هذه الأفكار السوداء أو لعل أرواح عشرات الآلاف من هؤلاء القتلى من الانجليز والأتراك هى التى أثارتها أو لعلها كلاب القسطنطينية التى جمعت أثناء الحرب وأطلق سراحها فوق هذه الجزيرة الكوميديّة الموسيقية الاسم حيث جاءت والتهم بعضها بعضا .

ان التلال الجنوبية فى بحر مرمرة فقد كانت مسرحا لأحداث سمع لانى أباه يتحدث فى صدهما مع زهاروف - وكان ملك الأسلحة والذخائر قد مول غزو تركيا على يد مواطنيه الأتراك وانفق نصف ثروته فى ذلك السبيل على حد قوله ، وان كان ليس من المفروض طبعا ان تصدق كل ما يقول ومهما يكن من شىء فقد هزم اليونان وألقيت حشود منهم فى البحر وبعد ذلك ظهر الجيش التركى الظافر أمام التحسينات البريطانية ومدافع الأسطول فاذى هذا الموقف المخرج الى سقوط حكومة لويد جورج ، وذهبت أدراج الرياح خطط روبرى بد للحصول على امتيازات البترول . وكان روبرى أحد أولئك الرجال القلائل الذين يستخدمون الحكومات - سواء فى ذلك حكومة بلاده أو الحكومات الأخرى - يهدد بالحروب ويشنها أحيانا . فى حين شب لانى شابا محب لهولين الجانب ينتقل مرتحلا على متريخت تتكلف رحلته مائة دولار فى الساعة ويعزف الموسيقى الجميلة ويطالع كتب التاريخ والأبحاث النفسية ويقض ضميره مضجعه لتفكيره فى الطريق التى يسلكها العالم . وكان يسأل أصحابه بجذ شديد ماذا ينبغى أن يصنع فكان بعضهم يحسبون أنهل يعرفون الجواب . الا أن المشكلة فى تباين آرائهم تباينا شديدا جدا .

نزلت الجماعة الى الشاطئ في المدينة المزدحمة التي كانت يوما ما عاصمة العالم الاسلامي وتعرف الآن باسم استانبول . وركبوا كالعادة عربات طافت بهم ليروا مشاهدها فزاروا كنيسة القديسة صوفيا العظيمة، وتفقدوا الحريم في سراي السلطان الراحل حيث كانت بين الحين والحين تلقى زوجة خائنة مصرعها بحبل يربط حول عنقها وتوضع داخل زكية يلقي بها في البسفور وجاسوا خلال الأسواق بحيث اجتهد تجار من سلالات متباينة غاية الاجتهاد كي يبيعوهم تذكارات تتراوح بين سجاجيد برجاما وبين « الصور بالقذرة » . وشقت الشارع المزدحم مضخة حريق تثير ضجة هائلة وهي مضخة حديثة مطلية باللون الاحمر الفاقع ، بيد ان لاني رأى بعين الخيال الشاب زهاروف راكبا المضخة وذهنه مشغول بمشروعات لجمع النقود لقاء خدماته اترى لم يزل اسمه « الطلمبجي ؟ » وهل ما يزالون يطالبونك بنقود لقاء اطفاء حريقك والا تركوه مشتعلا ، وكل امرئ وما اختار ؟

وانطلق اليخت بسي بد الذي لا يستقر في مكان متجهها صوب الشمال على طول ساحل البحر الاسود البعيد الغور ، وكان الاتحاد السوفييتي في منتصف خطته الخمسية الاولى التي يتوقع بكل ثقة ان تأتي بالمعجزات . وكان هدف المسافرين هو مدينة اوديسا التي ينسبط امام أبوابها الخارجية طريق مدرج كانوا قد شاهدوه في عرض سينمائي . ولما كانت جوازات السفر قد حظيت بالتأثيرات وتم تركيب كل شيء سلفا فلم يكن عليهم الا تقديم أنفسهم الى ادارة « السياحة الداخلية » فيحصلون على السيارات والمرشدين والفنادق في حدود ما لديهم من العملة حسب سعر القطع . وكان لنكولن ستيفنس قد قال للاني بد : « لقد رأيت المستقبل فوجدته ناجحا » . وما رآه ستيفنس رآه بعين الايمان وكانت هذه العين أيضا عين هانس ويس وراجيل . فعندما رأوا المباني بحاجة شديدة الى الترميم ورأوا الناس مرتدين أحذية من القماش ذات نعل من المطاط على الدوام وصدارات مرقعة قالوا : « انتظروا حتى تبدأ المصانع الجديدة العمل » وأخبروا الفتيات المرشدات أنهم « رفاق » فصحبهم ليشاهدوا آخر الاساليب في دور الحضانة النهارية والمطابخ العامة . ثم اركبوا السيارات الى الريف ليزوروا مزرعة تعاونية وعندما سئل هانس عن حرفته في بلاده اعترف بأنه عازف فيولينا . فأسرع الناس من حوله

ليأتوه بآلة يعزف عليها وتوقف كل العمل في ذلك المكان حين وقف أمام سقيفة الباب وعزف مقطوعتين أو ثلاثا أدفات القلوب . ولكن أتراها تساعد على اتمام تجهيز الجرارات والحاصلات لموسم الحصاد الذي بات على الأبواب ؟

- ٨ -

واشتركت إيرما في بعض هذه الرحلات القصيرة وكانت تصفى في أدب الى حماسة أصدقائها بيد انها أفضت الى ماماروبن سرا بانها وجدت « المستقبل » مشبطا للمزائم جدا . فهزت ماما روبن كتفها وقالت : « وماذا تتوقعين ؟ انها روسيا » . وكانت قد سمعت عنها وهي طفلة ولم تصدق انها يمكن أن تتغير . فعلى عهد القيصر كان الناس في شقاء شديد حتى انهم كانوا يسكرون ويحبون متسللين الى جحر ينامون فيه . وقد حاول البلاشفة إيقاف صناعة الخمور ، بيد ان الفلاحين صاروا يصنعونها ويهربونها الى داخل المدن كما هي الحال في أمريكا . وهي تؤثر الا تحيي هذه الذكريات القديمة المؤلمة .

وكانت مدينة أوديسا قد تعاورها الفريقان المتحاربان مرات أثناء الثورة والحرب الأهلية وضربها بقنابل الاسطول الفرنسى فتهدمت بيوت كثيرة فيها . ومن بين مشاهد المدينة ساحة الضحايا حيث دفن ألوف من الثوار القتلى في ضريح واحد تحت هرم كبير من الحجارة . والى هنا توجه الشباب من أفراد المجموعة يتوجهون الى مزار من مزارات القديسين أما المسنون فقد بحثوا عن وسيلة للهو بغير طائل .

وأصر الشبان بعد ذلك على زيارة بعض المصححات الكثيرة التي أقيمت بالقرب من البحيرات التي كونتها سدود الغرين في مصبات النهر . وكانت هذه المصححات مزارات مقدسة أيضا لان من بها من المرضى هم العمال المقعدون . وهكذا ستكون الحال في المستقبل : من ينتجون الثروة هم الذين يستمتعون بها ! ، لن يشيدوا ليسكن سواهم ولن يزرعوا لياكل غيرهم مازرعوا ! هكذا يقول أحد الأنبياء القدامى ويبدو كلامه هذا ذا صبغة حمراء حتى ان قسيسا في كندا حوكم أمام الهيئة الكنسية العليا لأقدامه على الاستشهاد بهذه العبارة .

أما لاني فكان في موقفه المألوف في الوسط بين الطرفين وقد جعل من نفسه في هذه الزيارة الروسية شيئا أشبه بضابط الاتصال في أسرة روبن . ولم يكن يوهانس يجرؤ على مناقشة الشيوعية مع أحد من شباب

أسرته لانه وجد ذلك مسينا لمقامه فكان يتحدث مع « لاني » على أمل أن يستطيع تقليل شيء من غلوائهم « وفي رأى رجل المال ذاك أن التجربة البلشفية إنما تعيش على القليل من الدهن الذي تراكم تحت حكم العهد البائد . وسيظل الناس مقيمين فى بيوت ما بقيت هذه البيوت قائمة . وفى وسعهم أن يرتدوا ثيابهم القديمة عشرات من السنين أن لم يشعروا بالخجل من ذلك . . وانظر حولك تر ! أما صنع أشياء جديدة فموضوع آخر . وفى وسعهم بطبيعة الحال أن يستأجروا الخبراء الأجانب ويشيدوا المصانع ويطلقوا على ذلك اسم الحطة الخمسية ولكن من الذى يقوم بالعمل الحقيقى وهو مستطيع أن يلقيه على عاتق شخص آخر ؟ ثم هل فى الامكان ادارة أعمال مالية وتجارية وصناعية على يد السياسيين ؟ ثم يقول يوهانسى : « أنت لا تعرف السياسيين . أما أنا فكان على أن أعرفهم فى ألمانيا » وقال لاني معترفا بالواقع « إنها تجربة . ومن سوء الحظ جدا أن تبدأ فى بلد متخلف » فقال رجل الأعمال : « كل ما أستطيع أن أقوله اننى آمل الا يحتاج لهذه التجربة أن تقوم بمحاولة أخرى فى أى بلد اعيش فيه ! » .

- ٩ -

لقد أخذ هذا الموقف يستفحل فى أسرة روبن منذ سنوات كثيرة منذ قامت بربارا كولىزى وجسى بلاكلس بشرح المثل العليا للثورة البروليتارية لشباب من آل روبن فى بيت لاني ، فاذا هذا التلقيح الفكرى يستشرى بصورة غير متوقعة . وجعل لاني يرقب بفضول واهتمام التطورات الأخيرة للأحداث وهو يعلم الى أى مدى يعبد الأب روبن والام ولديهما ويعتبرانها محط جميع آمالهم . فبابا جمع ثروة طائلة كى يحرر هانسى وفريدى من هوان الفقر وعنايه . وبابا وماما يرمقان عزيزيهما فى براعة ويتشاوران فيما بينهما حول كل نزوة . وكانت رغبة هانسى ان يعزف على الربابة . حسن جدا ، ينبغى اذن ان يصير موسيقيا عظيما وان يحظى بأحسن المعلمين وبكل ما يجعل طريقه سهلا ممهدا وفريدى يريد ان يكون عالما بحاثة . حسن جدا . سيؤدى بابا جميع النفقات وسيتخلى عن رغبته الطبيعية فى ان يحظى بمعاونة احد ولديه له فى أعماله . ولم يكن من المستغرب فيما يبدو أن يتقد الشباب بآمال العدالة للفقراء وانتهاء الاضطهاد والحروب فكل يهودى يعلم أن أبناءه قد بشروا بالمخلص المنتظر * . فان مضى هانسى وفريدى فى حماستهما الى حد التعطوف

(المترجم)

(*) فى الأصل جملة عن الأنبياء أثروا حذفها

فذلك شيء ينتظر منهما في سنهما هذه ، وحينما يتقدمان في السن سيتعلمان الحذر والتكتم ويدركان حدود الامكان في هذه الايام . وانتظرت الأم والأب هذه المرحلة ، ولكن انتظارهما راح عبثا ، فها هو ذا هانسي في الخامسة والعشرين ، وها هو ذا أخوه أصغر منه بسنتين ليس الا . وبدلا من أن تهذا ثورتها فقد اكتسبت تصميمًا ناضجا بالإضافة الى مجموعة من النظريات أو المذاهب أو ما شئت سمها بمثابة عمود فقري لأحلامها .

وظن الزوجان اليهوديان الخارجان من حارة اليهود ان زواج هانسي من ابنة روبي بدء انتصار ضخم ، ولكن بمرور الزمن اكتشفها سحابة في أفق آمالهما الفضي ، ذلك أن بس سرت اليها العدوى الحمراء من هانسي وأضافت مالدتها من فطرة عملية يعرف يوهانسي أنها من صفات الأمريكيين الشماليين وصرامة انحدرت اليها من أسلافها المتطهرين فاذا « بس » أشدهم جميعا حمرة وأقلهم قابلية للتفاهم أو المساومة وهي قادرة على التعبير عن الشفقة الشديدة والحنان ولكن هذا كله موجه لمن وقع عليهم اختيارها ، بصفتهم ضحايا الظلم الاجتماعي . أما هؤلاء الذين يظلمونهم ويقتصبون منهم ثمرات كدحهم فلا تكن لهم الا العداء وحينما تتحدث عن الرأسمالية وجرائمها يتصلب محياها فتعرف فيها على الفور سليله فرسان كرومويل في الحروب الأهلية .

وأدرك لاني أن يوهانسي يتضائل في أعماق نفسه أمام زوجة ابنه فيحاول استمالتها بالكلمات الناعمة ورشوتها بطراز السيادة الملائم لها بالضبط ويبانو له أعذب النفقات ورحلات باليخت الى أجمل وأرق الأماكن في البحار السبعة وما من أحد على ظهر ذلك اليخت يمكن أن يعارض آراءها . وانما هم أعضاء الأسرتين وخدمتهما فحسب وكأنما صاحب الملايين يقول لها : « انظري ! ها هي راحيل ومعهما طفل رضيع ، وها هي طفلة أخوك المحبوب البديعة ، وها هي سفينة الأحلام هذه مسخرة لسعادتك جميعا . فهي على استعداد للتوجه حيث تريدون وستكون الخدمة ممتازة ، وفي استطاعتك أن تحطمي قواعد النظم المتبعة في البحر فتوجهين أنت يوهانسي الى أعلى مقدمة السفينة لعزف الموسيقى على أسماع البحارة ، أو تدعوانهم للصعود الى الصالون مرة في الأسبوع حيث تعزفان لهما رغم ما يبديه من فزع ينتاب عادة من تربى على التزمّت الشديد في البحرية التجارية الألمانية فكل شيء على وجه الأرض مباح لك على شرط أن تكوني لطيفة سمحة فتغفري لي اني مليونير ولا تكرهيني لاني اعتصرت ثروتي الطائلة من كد العبيد الأجراء وعرقهم !

وظل برنامج التهذئة هذا ساريا أربعة أعوام ، لأن بس كانت قد

صممت على أن تغدو عازفة بيانو فركزت كل تمصبتها المتطهر على اكتساب القوة العضلية والتناسق الذى يجمع بين العنقوان والرقعة الرهيفة بحيث لا تدمر الأصوات التى تحدثها ظلال الفروق الرقيقة وتنوعات الرنين الدقيقة التى كان زوجها المتفوق فى تدريباته قد وصل إليها . بيد أن يوهانسى كان يعلم فى أعماق نفسه أن هذه المهمة لن تدوم الى الأبد ، وأنها هى وهانسى معا سيُعتبران نفسيهما موسيقيين يوما ما وهما يتويان أن يصيرا موسيقيين أحمرين وأن يعزفا لجمهور من الحمر وأن يربحا المال لقضية الحمر . وستكون لهما تلك الشهرة المعينة التى حققتها ايزادورا دتكان بالتلويح بأوشحة حمراء فى حفلاتها وأدائها نشيد المارسييز بالرقص . انهما سيفوصان فى جحيم صراع الطبقات ذلك الصراع الذى يراه المرء يزداد ضراوة يوما بعد يوم فى سائر أنحاء أوربا .

- ١٠ -

وكان « لانى يد » هو الشخص الوحيد الذى باح له يوهانسى روبن بقلقه بالاضافة الى ماما روبن ، فلانى بد كان دائما أحكم من سنه فصار موضع سر الرجل وهو فى الرابعة عشرة ومستشارا ومرشدا وهو فى التاسعة عشرة . وهو الذى جمع يوهانسى بأبيه واصفى لمشروعاتهما وكان يعرف الكثير عن مداخل تجاراتهما ومخارجها . . فعرف مثلا أن يوهانسى كان يبيع المدافع الآلية من طراز بد لعملاء النازى كى يستخدموها فى شن الحروب على من يؤيدون الشيوعيين فى شوارع برلين . وطلب يوهانسى من لانى الا تذكر اطلاقا هذا السر لولديه فاستجاب لرغبته ، ماذا عساهما كانا صانعين أن هما عرفا السر ؟ كانا حريصين أن يرفضا الإقامة بعد ذلك فى قصر برلين أو السفر على ظهر يخت تتكلف الساعة فيه مائة دولار . وكانت بس حرية أن ترفض اطلاق اسمها على اليخت . وهكذا ألفى بإشارابنوفتس نفسه واقفا أمام جدار مبكاه الخاص يولول !

انه فى موقف مألوف جدا لأفراد سلالة على مدى الفين من السنين قضوها فى التشتت ومن حولهم الأعداء من كل جانب فيضرب فريق منهم بفريق آخر ويترضونهم جميعا بأساليب خفية وقد استطاع يوهانسى أن يصعد الى مكان القوة والسلطان بحصافته فى المضاربة ومعرفته بالناس يرشوهم للحصول على معلومات سرية من الداخل وكيف يميز الصدق من الزيف . وحقق أرباحا ضخمة من انهيار سعر المارك واشترى أعمالا ومصانع كانت على شفا الافلاس ، وكان الإبقاء عليها وتشغيلها يعنى فى تلك الأيام التى شهدت التدخل الحكومى فى الأعمال إبرام نوع من التحالف

مع الساسة واعطاءهم نقودا بمعنى قريب من التهديد بالتشهير ثم ازداد ذلك المعنى انطباقا بمرور الوقت وكان ذلك لا يعنى لا مجرد معرفة الناس القابضين على السلطة فحسب بل التخمين «الصائب» عن سيتولى السلطة في الاسبوع التالى كى يسارع بعقد نوع من الاتفاق معه .

وهكذا حدث ان يوهانسى كان يساعد على ابقاء حكومة الجمهورية الائتلافية وفي الوقت نفسه يساعد كثيرين من النازيين الطموحين . فمن ذا الذى يدري تحت ضغط الافلاس القومى الوشيك ما الذى يمكن ان يحدث ؟ ولما كان يعلم ان ولديه على اتصال بالحرر الذين يلحون عليهما دائما فى طلب المال . . ومن ذا الذى يملك المال ولا يجد الحاحا فى المطالبة - فهو يعطيها مبالغ سخية عالما تمام العلم ان هذه المبالغ ستنتقل منها الى من يستخدمونها لخدمة « القضية » . وهذه صورة اخرى من صور التأمين ! ولكن لا تدع جماعة من هذه الجماعات الثلاث تدرك انك تعطى الجماعتين الاخرين فهم فى حرب ثلاثية كل فريق فيها ضد الفريقين الباقيين .

وهذا كله معناه قضاء الايام فى قلق والليالى فى ارق . وما ما التى لا يخفى عليها شيء تجادله « فيم كل هلا ؟ ما حاجتنا الى كل هذه الاموال ؟ » لانه كان من العسير عليها ان تدرك انك ينبغي ان تحصل على المزيد من المال كى تتمكن من حماية ما لديك بالفعل . وكانت تنضم الى الولدين فى جهود مشتركة لانتزاع بابا وابعاده عن هذه الامور كلها ففى صيف كل من الاعوام الثلاثة الماضية استدرجوه الى رحلات باليخت . وفى هذه السنة بدءوا الرحلة فى وقت مبكر بسبب «الامين الشابتين» ، وكان فى مامولهم ان يبقوه بعيدا طيلة الصيف ، بيد ان المتاعب اخذت تتراكم فى برلين فيما يبدو فى مجال الاعمال ومجال السياسة . فيوهانسى يتلقى اكاداسا من البريد فى الموانئ المختلفة فيغلق على نفسه الباب ومعه سكرتيرة ويملى برقيات مطولة . وكان من شكواؤه من الاتحاد السوفييتى ان الخطابات قد تفتح وان البرقيات غير مضمونة ، تدفع اجرها ولا يمكن ان تثق بوصولها فكل شيء فى يد البيروقراطيين الذين يضيعون كل شيء بين اميال من الاجراءات الرسمية المعقدة . كان الله فى عون المساكين الذين كتب عليهم الرزق فى عالم يسير على هذا النحو . وهكذا لم يطلق يوهانسى وهو الرجل ذو القرارات السريعة الذى يحرق حقله بيده ويشق طريقه بنفسه ان يبقى فى اوديسا وطلب اليهم التخلي عن مشاهدة مدينة سوتش الجميلة قائلا ان هناك قصورا فى مثل فخامتها قرب استانبول ، والتليفون البعيد المدى هناك يعمل بصورة يعتمد عليها !

عاد اليخت « بس بد » ادراجہ ، وفي استانبول تلقى صاحبه مزيدا من البرقيات بلبلت خاطره فكان لا بد ان ينتظر اليخت الى ان يرسل الاجابات ويتلقى الرد عليها . وفي النهاية اعلن انه لا يستطيع مواصلة الرحلة ، فثمت متاعب خطيرة تكتنف احد البنوك التي يشرف عليها . ولا بد من قرارات يصدرها ولا يسمعه ان يترك ذلك لمرؤسيه وقد ارتكب خطأ حين غادر اعماله في وقت غير مستقر كهذا الوقت فالانهيار الذي حدث في وول ستريت هز اوربا بأسرها ، وشيئا فشيئا أخذت الصدوع تكشف عن نفسها . فكان لا بد ليوهانسي ان يطلب الى ضيوفه الاذن له بمفارقتهم . واستقل طائرة الى فيينا ومنها الى برلين . فقد وصل التطور الى هذه المرحلة التي صارت فيها الطائرات تحلق يوميا بين عواصم اوربا الكبرى ، تستقلها ولا تكاد تشعر انك تحلق في الهواء وبعد بضع ساعات تغادرها وتواصل أعمالك . وليس في ذلك ادنى خطر ، بيد أن ماما عليها ان تفكر كثيرا في وجود ياشا معلقا في الهواء وسط الزعود والبروق وقد ترتطم بأشياء كثيرة عندما تهبط الى الارض ، ولذلك لبثوا في استانبول الى أن وصلت برقية تقول ان المسافر في امان بقصره الخاص وان فريدي سعيد وبخير ، ويبعث بحبه للجميع .

وكان الوقت متأخرا جدا بالنسبة لزيارة ساحل افريقيا لان الامطار بدأت ، والجو حار ، والباعوض هناك كثير ، فقمعوا بالبقاء على ظهر اليخت ولم يكلفوا انفسهم النزول الى الشاطئ . وازدهرت مزرعتا الالبان لان الثلاثات الكهربائية الضخمة كانت تمد الامين الشابتين بالاطعمة الطازجة ، وهما بدورهما تمدان الطفلين بالخلاصة . وكانت الجدتان تحومان فوق المسرح في رفرفة مستثارة تذكرك باجنحة الطيور الطنانة . فكانما لم يكن في الدنيا اطفال قبل هذين الطفلين ولن يكون ، فالجدتان والامان والطفلان والخدمات تكونت منهن رابطة مقفلة كالجمعية السرية او التنظيم المكون من النساء وبهن ولهن .

كانت تلك الجمعية آلة تدور بدقة الساعة وعجلة التوازن فيها هي الآنسة سيترن الوقور وكانت قد الحقت بالخدمة لتدبير امور الطفلة فرانسيس . فقط ولكنها بتعليمها العالي واعدادها الكامل ارهبت جميع آل روبن فهي صوت العلم الحديث ينطق بآخر كلمة فيما يختص بظاهرة الطفولة يضارع ذلك في الاهمية سلوكها الانجليزى فهي من بريطانيا التي تحكم الامواج ومعظم السواحل . وهي السلطة التي تعتمد على التربية

اكثر من اعتمادها على القانون فما يحرم على احدى.الجدتين من الجلالة ان تفعله الاخرى ، وما تؤمر به خادم فرانيس المربية من المستحسن ان تأتمر به ايضا خادم يوهانى الصغير المربية. وهكذا انضوت فى النهاية الاسرة اليهودية تحت العلم البريطانى ، وصارت راحيل تقدم للآنسة سيفيرن هدية بين الحين والحين نظير اشرافها على المشروع اللبنى كله .

وفى كل صباح كانت تتوجه مرسلين الى قمرة الآنسة ادنجتون لتسميع دروسها ويجلس السيد دنجل فى قمرته يدير فى رأسه افكاره الجديدة ويتلو صلواته القديمة . وتجلس السيدة سيزنسكى فى قمرتها تلعب العاب الصبر بورق الكوتشينة ، او تقوم بجلسة روحية . وفى الصالون ينصرف هانسى وبس لانى الى اعمالهم، فينهمك الاولان فى تاوين عمل كلاسيكى من معزوفات الكمان ويصغى لانى باذن ناقدة وهما يعزفان فاصلا واحدا مرات كثيرة لتجربة تأثير هذه الطريقة وتلك فما الذى كان يعنيه بتهوفن بالضبط بتكرير هذا النسق الايقاعى ؟ لقد كتب فى هذا الموضوع كلمة « مشدد » ولكنه كثيرا ما كان يكتب ذلك وهو يعنى كلمة « شدد » ، اى ان النغمة يجب ان تكون معبرة وصوتها عريض . ولكن ينبغى الحذر ، فهى حيلة تقصد عادة سيئة ووسيلة خداعة . ويطول نقاشهما وترددهما بين الآراء جيئة وذهابا ، بيد انهما فى النهاية يحتكمان الى هانسى وهو الذى يملك الموهبة ، وهو العبقري الذى يعيش الموسيقى داخل نفسه . وفى بعض الاحيان كانت تستولى عليهم روح واحدة فيصبحون نفسا واحدة لا ثلاث انفس . فتكون الساعة ساعة مجد .

ان هؤلاء الشبان لا يمكن ان يضجروا مهما طالت رحلة اليخت ، فهم يصحبون فنهم معهم ، وفنهم مخزون هائل من الجمال متعدد المهارات وكنز من السرور لا يمكن ان ينضب معينه لقد قضى لانى حياته كلها ينقر باصابعه على البيانو ، ولكنه اكتشف الآن ان ذلك كله كان مرورا عابرا على وجه محيط بعيد الغور ، فهو يحلل الآن علميا ما كان يستمتع به انفعاليا من قبل . وهانسى روبن كان قد تلقى تدريبا المانيا دقيقا وقرأ كتب عميقة عن تألف الاصوات وعلم الصوتيات وتاريخ الموسيقى ودرس شخصيات المؤلفين وصار يحاول تقديمها لجمهوره فلم يحاول ان يقلب موتسارت الى بتهوفن ولا جلوك الى ليست . وهو حرى ان يتدرب على اصعب معزوفات ياجانينى او فينيافسكى ولكنه يرفض ان يعزفها للجمهور ما لم يجد فيها روحا . فتمرينات الاصابع الرياضية يجب ان تكون للاستخدام الشخصى فحسب .

وبعد ظهر كل يوم ، اذا كان الجو مناسباً ، تتوقف السفينة عن السير ، ويبرز جميع ضيوفها - فيما عدا روبن - الى سطحها في ثياب الاستحمام ، ويدلى سلم المركب على جانبها فينزلونه ويفوضون في الماء ، وعن كذب يقف بجوار معه طوق نجاة مشدود الى جبل احتياطاً للحوادث ، فكلهم سباحون مهرة . بيد ان الربان الكفء مولر لا يترك شيئاً للمصدفة ولذا يظل يقط العينين بنفسه يرقبهم ، وبعد ان يدركهم التعب من اللهو يتسلقون السلم ثم يستأنف اليخت مسيره ، ويجذب البيان على عجلاته المطاطية الصغيرة من داخل الصالون ويقدم يوهانس وبس كونشرتو في الهواء الطلق ، وقد تغنى راحيل او تقودهم جميعاً في غناء جماعي . ويخيم الغسق ، « غسق قرون من الاغاريد » .

وكان ثمة منقص واحد في هذه الرحلة فيما يتعلق بلاني ، الا وهو لعبة البريدج ، ذلك ان بيوتى وايرما لا بد لهما من اللعب ، لا بقصد الكسب المالى ، بل لكسب النقاط ، ولكي تشغلا وقتيهما بعمل ما وهاتان السيدتان تعرفان القراءة بمعنى انهما تعرفان معانى الرموز المسجلة على الورق ولكن ما من واحدة منهما تعرف كيف تستغرق في مطالعة كتاب او كيف تنكب على استيعاب مضمونه ، بل يراودهما النعاس ان هما حاولا شيئاً من هذا فهما تريدان من غيرهما من الناس ان يخبروهما بما فى الكتب . وكانت ايرما على الاقل مستعدة على الدوام لاداء مقابل لهذه الخدمة . وها هى ذى قد تزوجت رجلاً فقيراً ومن مفهوم ذلك عندها انه ملتزم بايناسها بصحبته . وهكذا انقلبت أية انشودة الاطفال المعروفة بالنسبة لايرما بد ، وصار لا بد لكل فتاة من فتاها « (١) » .

ولم يكن لاني يمانع فى الواقع فى لعب البريدج ، بيد ان ثمة امورا كثيرة امتع وأولى بالاهتمام من هذه اللعبة فهو يريد مثلاً أن يواصل دراسة الطفولة على النموذجين الموجودين على ظهر اليخت . ويريد ان يطالع تاريخ الاماكن التى يزورها ليعرف ما كان بتلك المدن من عقول كبيرة او شهداء ولكن بيوتى وايرمان ميالتان الى الانشغال بالبريدج حين يمر اليخت بالموضع الذى وقعت فيه معركة بالاميس . وكلتاها تراها غلظة من لاني ان يرفض المكان الرابع على مائدة اللعب لانه يريد ان يكتب ملاحظاته على آخر جلسة له مع السيدة سيزنسكى . ولاني يعتقد ان من الاهمية بمكان ان يسجل كل شيء بنظام ودقة ، وان يصنف ملاحظاته ويفهرسها كي تتسمى مقارنة اقوال « تيكومسة » فى مناسبة ما باقواله فى مناسبة

(١) الأصل فى الأغنية لابد لكل فتى من فتاته .

اخرى . وكانت لديه كتب اوستى وجيلي وهما من رجال العلوم وقد قاما بالتنقيب بصبر شديد فى هذه الظاهرة وحاولا وضع نظرية لتفسيرها . هذا موضع يبدو له اهم بكثير من التباحث فى قواعد كولبرستون لحساب نقط البريدج فى حالات معينة .

وكانت ايرما قد اقنعت راجيل بان تعد نفسها للحياة فى «المجتمع الراقى» وساعدها «لانى» فى تعليمها ، ثم قدم مثل ذلك العون للمارسلين التى ستبلغ الثالثة عشرة بعد امد وجيز ، وهى منذ الآن اكمل سيدة مجتمع صغيرة يمكن ان تتصورها ، فحتى وهى على ظهر يخت تقضى ساعات طويلة امام المرأة كل يوم تدرس فيها مفاتها وتظهرها دواما فى ذروتها . وما من شك فى انها ينبغى ان تستعد منذ الآن للدفاع عن نفسها ضد الصقور التى تحذق فن الاشارة والتى ستحاول قريبا جدا سلبها مصروفها الخاص . وبعد الفراغ من تعليمها يسع لانى ان يقول ان لا حاجة باحد اليه الآن ، ثم يعود لدراسة معزوفات ليست التى تحتاج على البيانو الى اربع ايد مع بيس ، مثل «الكونشرتو العاطفى» وهو تحفة ذات الوان خلابة تحول جهازى البيانو الى اوركسترا ، ومثل «فانتازيا دون جوان» . وهى من ابداع المسوعات الاستعراضية . وقد دخل هانسى وهما يعزفانها وقال انهما ينبغى فعلا ان يقدماهما فوق منصة كونشرتو ، فكانت لحظة لا تنسى لدى هاويين متواضعين .

- ١٣ -

ووصلت السفينة «بيس بد» لتستريح فى مرفأ كان ، وعادت الجماعة كلها الى ضيعة بيانفينى لقضاء بضعة ايام فيها . وكانت بيوتى راغبة فى تجديد مجموعة ثيابها فالمرء يسام من ارتداء ثياب بعينها لا تتغير . وكان لانى راغبا فى تجديد رصيد النوتات الموسيقية ، فسامعو المرء يسامون من سماع المعزوفات التى لا تتغير بعينها . ثم هناك اكدياس من المجلات التى وصلت اثناء غيابهم ، ومن الرسائل التى تتضمن انباء الاصدقاء . وفض لانى خطابا من ابيه ثم هتف : « روبرى قادم الى باريس ! من المفروض ان يكون الآن هناك ! » فقالت الزوجة : « ويحيى ! » فقد كانت تعلم ما سيأتى بعد ذلك . وقال لانى : « الواقع انى يجب ان اراه يا ايرما . فانى لم اره منذ ثمانية شهور » فاجابته : « وهى بالضبط المدة بعينها التى لم ار فيها امي » . فقال : « وبقينا لو كانت امك فى باريس لعرضت عليك ان اخذك الى هناك » فقالت : « ستكون الحياة بغيرك موحشة بصورة فظيعة على اليخت يا لانى ! » فاجابها : « سأستقل طائرة والحق

بكم فى لشبونة بعد ثلاثة ايام او اربعة . فانت تعلمين ان روبى كان يمر بأزمة وينبغى ان اتبين كيف احواله الآن .

ورضخت ايرما ، ولكنها لم تخل من تمرد فى داخلها ، فهى تمر بمحنة مضمية وينبغى على الناس ان يصنعوا كل شىء لتخفيف وطأتها عليها . ويا له من تبدل فى احوالها بعد ان كانت فتاة البريق والاغراء فى برودواى ، ومحط انظار جميع الناظرين ، والمدللة الاثيرة لدى كتاب اعمدة المجتمع فى الصف ، وهدف جميع الانوار الكاشفة ، فاذا بها الآن منفية شبه سجينه مدى هذه الشهور الطوال ! فهل سيقدر احد اطلاقا هذه التضحية ؟ ان ما لاحظته ايرما من شئون الاطفال يحدثها بان طفلتها قد لا تقدر قدرها .

وفكرت فى ان تستخدم سيارتين فى نقل النصف الخاص بها من جهاز صناعة الالبان الى باريس ولكن لا ! ان ذلك قد يفسد تدبيرات الانسة سيفيرن البديعة ، لان الطفلة قد تلتقط جرثومة من شوارع مدينة مزدحمة وهى هنا آمن بكثير وسط البحر حيث الهواء محمل بمادة اسمها الاوزن . وثمة راحيل التى كانت ايرما قد اتفقت معها على ملازمتها حتى نهاية الرحلة لانها كانت تدرك سلفا ان المهمة عسيرة فأرادت ان تشد وثاق نفسها اليها فعقدت ذلك الاتفاق .

وقال لانى : « وثمة شىء آخر ، فسلطان كرتيزى سيكون موجودا حتما فى باريس وقد يساعدننى فى بيع صورة او صورتين » فهتفت الزوجة : « ويحى ! ألم تزل راغبا فى العبت بهذه الامور ؟ » فقال لها : « ان شيئا من النقود سيكون ذا نفع لبيوتى ولى معا . » فقالت ايرما : « لست ارى هذا القول مفرطا فى السرقة من جانبك يا لانى . فلا معنى لتجشيم نفسك كسب المال والمال عندى موفور . فان كان لديك اى وقت للبيع ، فارجوك ان تدعنى اشتريه ! » .

وكانا قد تحدثا فى هذا الشأن مرارا كثيرة . ومنذ عجز روبى عن الاستمرار فى ارسال الالف دولار شهريا الى بيوتى الحت ايرما فى التكفل بذلك فهى تريد للحياة فى بيانغنى ان تستمر كما هى بالضبط ، ولم يكن هذا الثمن شيئا بالنسبة اليها ، وهى تحب ان يكون الناس من حولها سعداء . ولذا فهى مستقوم بارسال مبلغ من المال الى حساب لانى فى كان ، ثم لا تريد احدا بعد ذلك ان يشير الى هذا الموضوع او يفكر فيه . ولذا كان احتمال سرور زوجها بكسب بضعة الوف من الدولارات من بيع رسوم مارسل او رسوم الاساتذة القدامى امرا صعب التصديق لديها ، ولكن اصعب من ذلك على لانى ان يوضح لها انه بحاجة احيانا الى القيام باعمال اخرى غير منادمة زوجة شابة معبودة وتسليتها !

الفصل الرابع

انا ادعو الارواح

- ١ -

كان لاني بد قد اطل من نوافذ فندق كريون على جانب من التاريخ لا يستهان به . شهد من هناك بداية الحرب العالمية وقد عسكر الجنود في ميدان الكونكورد . ثم شهد الحرب وقد أوغلت فاذا طائرات العدو تحلق فوق الرؤوس والمدافع المضادة تطلق عليها نيرانها . وبعد الهدنة شهد من هناك حشود المدفعية الألمانية المأسورة ، وشهد كذلك غوغاء المحتفلين بيوم أول مايو يهجم عليهم بالسيوف جند متدرعون . ففي ذلك الفندق اقام وعمل مئتان من الامريكيين العاملين للسلام ، وكلهم شديدا الرفق بسكرتير مترجم صغير السن جدا ومستعدون للمعاونة في تعليمه . وكانت المشكلة الوحيدة انهم اختلفوا فيما بينهم اختلافا شديدا حتى وصل عقل لاني الى حالة من البلبلة لم يبيل منها الى الآن .

وها هو ذا الفندق عاد الى نظام الاستغلال الخاص الذي كان روبي يؤمن به ايمانا شديدا ، وهو مستعد لرعايته ايا ما كان الثمن . ونظرا لظروفه المالية المحدودة كان حريا أن يذهب الى مكان اقل في التكاليف، ولكن ذلك كان سيكون بمثابة اعتراف بالهزيمة والنزول عن مستواه . كلا ! فهو لم يزل المثل في أوربا لمصانع أسلحة بد ، ولم يزل متطلعا الى الصفقات الكبيرة ، وهو واثق بأن أوربا ستكون بحاجة الى أسلحة أوربية قبل مضي وقت طويل . فارفع رأسك وحول فقدانك خمسة ملايين من الدولارات مزحة ، فكل امرئ يعلم انك كنت حتما شيئا ذا شأن حتى يحدث لك هذا .

وها هو ذا وقد قر موفور الراحة في جناحه الخاص ، وبه حجرة اضافية للاني ، وأمامه ما طلب من الويسكي والصودا والثلج منذ الصباح المبكر ، وآلته الكاتبة الصغيرة « النقال » وأوراقه مبعثرة على منضدة أخرى . انه في أواسط عقده السادس ، بيد انه يبدو هنا أصغر سنا مما كان في نيويورك تحت ضغط الذعر المالي فاسترد لونه المتورد ومظهره

الذى يتالق على جودة التغذية : وهو ممثل الجسم شيئا ما ، الا انه لم يزل ذا بأس وعنفوان وعلى استعداد للتصدي للعالم . بل انه فعلا في غمار الاعمال فثمة لجنة رومانية للشراء في المدينة ، ومندوبان للسوفييت . وابتسم روبى وهو يقول انه صار على صلة ودية « بالرفقاء » ، فهو قد عرف كيف « يتكلم لفتهم » والفضل في هذا لمعاونة لاني . ولم يكن يعنى بذلك أنه كلمهم باللغة الروسية ، بل انه كلمهم بأسلوب « الحمر » .

وأخبره لاني بأنباء آل دنجل وال روبى ، وحدثه روبى كذلك بأنباء الأسرة في نيو كاسل وانه لما يسترعى الدهشة كيف يستطيع شيخ قبيلة بد ان يواصل نشاطه ، فهو يصر في سن الثالثة والثمانين على ان يعرف احوال الشركة بالتفصيل ، ويجلس في مكتبه الخاص ويدير الاعمال بالتليفون . واستر زوجة ابي لاني بخير . وقال زوجها (روبى) « في اعتقادي انها اسعد حالا منذ الانهيار » ولم يصف الى ذلك قوله : « لاني بررت بوعدى وابتعدت عن السوق » . فلاني يعرف ان ابيه لا يحنت بوعود .

وتحدثنا عن وول ستريت ، وعن « سوق الصعود الصغيرة » التي انارت لدى جميع الناس مزيجا من الرجا والخوف يعرف عادة باسم « التوتر » . وعندما اقلعت السفينة « بيبي يد » كانت السوق آخذة في التحسن ، وكرر روبى في رسالة له عبارته المعهودة : « لاتبع امريكا بضمن بخس » . وما هي الاسهم عادت للهبوط ، والاعمال بسبيلها الى التدهور ، والبطالة آخذة في الانتشار . بيد ان روبى لا بد ان يحتفظ بشجاعته ، وامريكا باسرها ينبغي ان تشمخ بانفها على غير اساس . واشد الاغاني شيوعا في هذه اللحظة تنادى : « ها هي الايام السعيدة عادت » .

- ٢ -

وناقشا معا يوهانسي روبى واحواله المالية التي كان روبى مهتما بها اهتماما عميقا ، وهو ذاهب الى برلين في هذه الرحلة . وهو تبدل دقيق في العلاقة بين الشريكين ، لان يوهانسي هو الذى كان في سالف الايام ياتى الى باريس لمقابلة روبى . والتاجر اليهودى في القمة الآن ، لانه لم يفقد شيئا من ثروته ولن يفقد منها شيئا لانه لن يرتكب الخطا الذى وقع فيه روبى بد بفرط تفاؤله بأحوال هذه الدنيا ، لانه جمع الجانب الاكبر من ثروته من توقع المتاعب . وهو قد بعث الآن برسالة على يد

لانى يقول فيها انه سيساعد روبى على استرداد مركزه المالى . ولكن عن طريق النظرة المتشائمة الحصيفة . وقال روبى على الطريقة الانجليزية : « انه فتى شهم » ، وهو عليم طبعا أن ذلك الشريك القديم لا يسعه بسهولة أن يتخلى عنه حتى رغب فى ذلك ، لأن هانسى وبيس ربطا بينهما برباط القرابة . فضلا عن هذا فان يوهانسى من أولئك اليهود الذين يرغبون فى مشاركة القوم الوجهاء وهم على استعداد لاداء الثمن عن سعة .

وبعد محادثات طويلة مع رجل المال على ظهر اليخت صار فى وسع لانى أن يعرف ماذا يدور فى ذهنه . ففى حساباته أن المانيا وصلت الى نهاية طاقتها، ولم تعد قادرة على أداء شئ من تعويضات الحرب، حتى لو رغبت فى هذا . فالضرائب قد وصلت الى الحد الاقصى ، - والائتمان الاجنبى اخذ يجف معينة ، ولا يسع يوهانسى أن يرى أدنى فرصة لالمانيا فى تجنب دورة أخرى من التضخم . والحكومة تنقصها الكفاءة للموقف ، ثم ان التعامل معها باهظ التكاليف جدا . وهى طبعا طريقة رجل المال المهدبة فى الايحاء بأنها فاسدة مرتشية وانه يسهم فى بقائها بهذه الصورة . والانتخابات قد تحدد موعدها فى نهاية الصيف ، وستكون المعركة حامية الوطيس ، ان عاجلا او آجلا ستشتبك الفئات المتباينة فى قتال ولن يكون ذلك فى صالح الموقف المالى اطلاقا . ولذا شرع يوهانسى يشذب أشرعته استعداد للأحوال الجوية السيئة ، وذلك باخراج جانب من استثمارات فى الصناعات التى تنتج سلعا للتصدير .

وأدلى لانى ببيان موجز عن شباب آل روبن والحالة الراهنة لأفانهم السياسية فالقدر قد دبر « ملعوبا » غريبا للمشاركة فى الاعمال المعروفة باسم « روبن وروبى » فالنصف الخاص بروبن تمخض عن اسوا النصيبين لأنه يضم أحمرين وورديين ، فى حين لم يخص روبى الا فرد واحد أحمر وفرد وردى ، وهو لا يرى أيا منهما كثيرا . والنصف الخاص بروبن لبق فلم يشر قط الى أن العدوى جاءت من النصف الخاص بروبى ، فروبن يعرف مدى كراهية شريكه ومقته لجيس بلاكس ، وهو الرجل الذى تحدث بحديث الثورة الى لانى ، ثم الى هانسى وفريدى ، فانغرى تلك العقول الحساسة المثالية بالابتعاد عن معتقدات الآباء .

وأراد روبى أن يعرف أنباء إيرما وكيف أمورها وأمور لانى معا ، وهو أمر مهم جدا ، فقد اكتشف الأب فى شهر أكتوبر الماضى أى مزية كبيرة لوجود ثروة بارنز من ورائه ظهيرا وسندا ، وهو يأمل الا يخفق لانى فى العمل على نجاح هذا الزواج . وبين له لانى انه وإيرما موفقان

معا كخير ما يكون توفيق معظم الأزواج الذين يعرفهم ، بل وأفضل من فريق منهم ، فإيرما تريد الكثير ، ومعظم ما يهتم به لا يعنى لديها شيئا ، بيد أنهما متحابان ، ويجدان في الطفلة مصدرا للرضا . وقال له روبى أن المرء لا يمكن أن يحصل من الزواج على كل ما ينبغي ، ولكنك تستطيع أن تتحمل الكثير جدا حينما ينطوى الزواج على ثروة مذهلة . وكان لاني يعلم أن هذه ليست أنبل وجهة نظر إلى رباط الزوجية المقدس ، بيد أنه لم يقل سوى : « لا تقلق » سنسير أمورنا على خير حال » .

- ٣ -

وكانت مقابلة زهاروف من أهداف روبى ، فالشركة الانجليزية العربية الجديدة للبترول قد استطاعت أن تقاوم الذعر المالى ، بيد أن روبى وشركاءه الموجودين في الوطن بحاجة إلى المال النقدي ولا بد لهم من العثور على مشتر لانصبتهم . ولا شك في أن العنكبوت العجوز يعرف كل شيء عن مأزقهم ، إلا أن روبى سيتظاهر باليسر والقوة . كالعادة سأل ابنه هل يجب أن يمضى في هذه المهمة ، وكا لعادة ما كان ابنه ليفوته هذا باى ثمن ، فهو لم يتخل عن الأمل في أنه يمكن أن يعين أباه على نحو ما في معاملاته مع ملك ذخائر أوربا المتقاعد .

واتصل روبى تليفونيا ببيت الرجل العجوز فعرف أنه في ضيعته الريفية « قصر بالنكور » في « سين ايه اواز » بالقرب من باريس . وأرسل روبى برقية وتلقى ردا يحدد له موعدا بعد ظهر اليوم التالي . وطلب سيارة عن طريق الفندق وذهبا معا إلى ذلك المكان الذي كان يوما ما قصرا للملك ليوبولد ملك بلجيكا . أما الآن ففي أوربا طراز جديد من الملوك وأحدهم رجل المطافي هذا السابق في القسطنطينية . وقام حارس البوابة بفتحها على مصراعيها لهما فدرجت السيارة في ممشى على جانبيه الأشجار ، واستقبلهما عند باب القصر خادم من بلاد الهند الشرقية في ثيابه الوطنية . وكل الخدم هناك من الهندوس . فالملك المتقدم في السن بحاجة إلى السكون والسرية ، ومن وسائلهما أن تتخذ حشما لا يفهمون سوى بضعة أوامر بسيطة . وكانت إحدى بناته المتزوجات تعيش معه ، ولا أحد يحضر إلى القصر إلا بموعد سابق .

وادخل الزائران إلى قاعة جلوس مزخرفة على الطراز الفرنسى الباذخ . فعلى الجدران رسوم كان لاني قد دعى لمشاهدتها فاغتنم الآن

هذه الفرصة المتاحة ، بيد ان هذه الفرصة المتاحة ، لم تطل لانرب القصر لم يلبث ان دخل . وكانت كتفاء الثقيلتان تبدوان نوعا ما اشد انحناء من المرة التي راقبه فيها لاني وهو مرتد قميصه يقوم باحراق أوراقه الخاصة في قاعة الجلوس بييته في باريس حتى لقد اشعل حريقا في المدفأة اثناء تلك العملية اما الان فهو مرتد سترة تدخين قرمزية مطرزة .

وشاربه الأبيض ولحيته المدببة البيضاء مشدبان باناقة وقد اضحى تام الصلح تقريبا . وقال للاني : ثم ماذا يفتاي ؟ .

ولما كان لاني في بداية الثلاثينات من عمره فهو يشعر انه ناضج الرجولة بيد انه يدرك ان ذلك قد لا يبهر رجلا في بداية الثمانينات من عمره فقال : « كنت أطلع الى رسومك » واني أرى لديك لوحة بديعة لا انجرس . فاجابه : « نعم . ولكني تطلعت اليها سنوات طويلة جدا . » فاجابه : « معظم اصدقائي القدامى قضاوا ، والاحدث منهم سنا مشغولون بشئوهم . وقد قيل لي انك أحرزت لنفك ثروة » .

وهي اشارة خفية الى ايرما وما هي بالاشارة اللبقة . ولكن لاني كان يعلم ان هذا الشيخ شديد الاحساس بالمال . وقد حاولت الدوقة الاسبانية صاحبته ان تداويه بكياسة من هذا النقص ، ولكن بلا جدوى ولم يدهش لاني عندما اردف زهاروف : « لست مضطرا بعد اليوم ان تكون تاجر صور . هه ؟ فابتسم واجابه : « بل اني اجد في هذا العمل متعة كبيرة » .

ولم تفت ملاحظة الشيخ فطنه روبي الذي كان قد قال وهما في طريقهما ان زهاروف ان علم ان ثروة بارنز من وراء لاني فقد يتوقع اداء ثمن أعلى لانصبه الشركة الانجليزية العربية للبتروول !

وجلسوا وقدم الشاي . اما روبي فقد طلب ويسكي بالصدودا . وناقش الرجلان حالة الاعمال في أوروبا وأمريكا ، وراح لاني يصفى بانتباه كدأبه دائما . فمن وجد لذة في بيع لوحات الاساتذة القدامى وشرائها يسهه ان يتعلم الكثير من الأسلوب الفني (التكتيك) الذي يتكشف أمامه هنا . وكان الفارس الحائز لوسام الحمام من طبقة كوماندر من انجلترا ووسام اللجيون دنيير من طبقة ضابطى عظيم من فرنسا نموذجا كاملا للمجاملة المهذبة الكياسة العذبة وكان الى هذا اقرب الى الاسترحام في لهجته كأنه يقول : « انى رجل متقدم في السن جدا ، ولن يكون من الانصاف أن تستغل هذا ضدي » . وكان صوته يداعبك وابتسامته تتودد اليك ، ولكن عينيه الزرقاوين في الوقت نفسه ترقبانك باحتراس .

وهو معروف باسم « رجل أوروبا الغامض » ، وما من شك انه كانت
ثمة غوامض كثيرة تكتنف ما يقوم به فى عالم السياسة وعالم المال .
ولكن لانى لم يعد يجد ادنى غموض فى كل ما يتصل بشخصيته ، فهو
ثرى مسن شق طريقه فى الدنيا عنوة بأعمال كثيرة لم يعد الآن يجد
متعة فى تأملها ، فقد تأمر وهدد ورشا وداهن وقطع على نفسه عهدا
ثم حنث بها ، ولم يكل من التدبير والافتحام الى ان صارت له السيطرة
على تلك المؤسسات الكبيرة التى تحتاج اليها دول أوروبا المتباينة كى تشن
حروبها فى سبيل القوة والسلطة ، بيد انه ظل فى اعماق نفسه فلاحا
يونانيا يعيش بين غاصبين قساة من الاتراك . وكان يشعر بالخوف من
الوف الاشياء : من ذكرياته الخاصة ، ومن الرجال الذين احبط مساعدهم
ودمرهم ومن الوحشة ، ومبتزى الاموال بالتهديد ، والقتلة ومن الحمر -
وفوق هذا كله من صورة أوروبا التى وصلت اليها واسهم هو فى هذه
النتيجة . انه رجل يريد ان يبيع الذخائر يريد من جميع أمم الارض ان
تنفق دخولها على الذخائر ، ولكنه لا يريد للذخائر ان تستخدم - على
الاقل فى أى مكان على قيد السمع منه ! ولكن وقع الامر على خلاف
ما قدر واستمر اطلاق النيران وبدأ كأن أوروبا ماضية من سىء الى أسوأ
وقعت محادثة زهاروف على انه لا يشق بأحد ممن يتولون السلطة وامله
فى أى شىء ضئيل جدا .

انه رجل عجوز حزين مرور يشعر عن قواه تذوى ، فأخفى نفسه
بعيدا عن المخاطر . فهو ماض عن قريب فهل يساوره القلق حول الجهة
التي سيرحل اليها ؟ أم قلقه حول ما ستؤول اليه ممتلكاته ؟ انه حزين
على وفاة دوقته الاسبانية المحبوبة ذات الالقاب الكثيرة فهل تراه يفكر فى
امكان ارتباطه بها مرة أخرى ؟ ان لدى لاني شيئا يقوله له فى هذا
الصدد ولكنه يجب ان ينتظر الى ان ينتهى التاجران من المبارزة بين
ذكاءيهما .

- ٤ -

كان روبي بد هو الذى سعى الى هذا الاجتماع فهو الذى ينبغي أن
يقول فيم جاء . وابدى زهاروف فى انتظار هذه المكاشفة - اهتماما جادا
بما ذكره له روبي عن الحالة فى وول ستريت وعالم المال الكبير فى أمريكا
وكان الزائر متفائلا ، واثقا بأن الغيوم عن قريب ستتبدد . وكان لاني

يعلم ان اياه يعتقد هذا حقيقة ، ولكن ترى هل يصدق زهاروف ان اياه يعتقد هذا ؟ كلا . بل سيظن اليوناني ان اياه يتصنع التفاؤل لان لديه ما يبيعه . اما زهاروف - وهو المشتري المأمول - فمتشائم .

وأخيرا وجد روبى من الملائم ان يفتح موضوع العمل فبين ان اياه صار متقدما جدا فى السن وان مسئوليات مصانع بد قد تلتفى قريبا على عاتق روبى ، وهذه المصانع معظم انتاجها بعيد عن الذخائر الآن ، فهى تنتج كل شيء من الابر الى مصاعد البضائع ، وسوف لا يكون روبى مستقبلا فى وضع يسمح له بالقيام بأسفار . وانه - بايجاز - هو واصدقاؤه يبحثون عن شخص يأخذ ما بأيديهم من انصبة فى شركة البترول الانجليزية العربية الجديدة بضمن معقول .

ها هى المسألة اذن . ووصلت ظلال تشاؤم زهاروف الى الدرك الأسفل من جحيم دأته . ان العالم فى حالة من افطع ما يمكن ، فالعرب على وشك ان يعلنوا الجهاد لمحو كل اثر للأوربيين فى شبه جزيرتهم المترامية المقفرة . وزهاروف نفسه رجل عجوز ضعيف واطباؤه وجهوا اليه تحذيرا نهائيا ، فلا بد له ان يتجنب كل لون من ألوان المسئولية والارهاق . وقصارى القول انه لا يستطيع ان يشتري شيئا ، وليس لديه المال النقدي على كل حال .

وهو رفض بات ، بيد ان لاني كان قد سمع تاجرا من اهل المشرق وهو يتكلم ، فادرك ان هدف زهاروف ورغبته الحقيقة لا يمكن ان يماط عنهما اللثام فى اللحظة الأخيرة ، عندما يمسك ضيفاه بقبعتيهما ، أو ربما عندما يصيران خارج الباب الامامى . وفى هذه الاثناء يجب الا يبدى ادراكهما لذلك الأسلوب والا تظهر عليهما خيبة الامل ، بل يجب ان يستمررا فى الثرثرة كأنما الامر لا يعنى شيئا كثيرا حقا بالنسبة لهما وكان روبى بد لم يعبر المحيط الا لكى يلقى نظرة أخرى على عيني زهاروف الزرقاوين ، او ربما على لوحة انجرس البديعة جدا التى يملكها .

وكان الوقت قد حان ليثير لاني موضوع الرسوم التى كان قد دعى للنظر اليها ، فسأله هل يسمح له بالتجول فى ارجاء القاعة ، فنهض الفارس الكوماندو الضابط العظيم من مقعده وتجول معه مشييرا الى تفاصيل متباينة . وقال له لاني : « انت تعلم انى مهمت بقيمة الرسوم لان هذا عملى » . ولم تحدث هذه الملاحظة اثرا سيئا ، بل بالعكس شرع الرجل المجوز يذكر الاثمان ، وكان يحفظها عن ظهر قلب : مائة الف

فرنك ثمن هذا الرسم بريشة فراجونار ، ومائة وخمسون الفا لهذا الرسم بريشة دافيد ، واضاف قائلا : « من فرنكات ما قبل الحرب » .

وذهبوا الى المكتبة الكبيرة ، وهي قاعة فخمة ذات شرفة تحيط بها من كل جانب ، ذات سياج من البرونز الثقيل ، وانتقلوا بعدها الى قاعة المائدة ، وبها لوحة مثيرة بريشة جويا تمثل سيدا اسبانيا خارقا في طوله ونحافته يرتدى اثوابا حريرية زاهية الالوان بها كثير من المخمرات والجواهر . وقال الشيخ : « هذا احد اسلاف زوجتي . ولم تكن تحبها كثيرا ، لانها كانت تجدها ناطقة بالتهكم المستهين أو الكلبة » .

وكانت هذه فاتحة ينتظرها لاني كي يقول : « بهذه المناسبة ياسير بازيل ثمة شيء قد يهيك . هل سبق لك اطلاقا ان حاولت تجربته مع الوسطاء ؟ » فسأله « تعنى الوسطاء الروحانيين ! ولماذا تسأل ؟ فاجابه « بسبب امر غريب يحدث في اسرتنا منذ مدة ، فقيد أغرى زوج أمي والدتي بالاهتمام بهذا الموضوع وفي نيويورك عثرا على امراد بولندية عقدت معها جلسات ، وقدمت لهما نتائج بلغ من شدة اقناعها اننا احضرنا هذه المرأة معنا الى الريقييرا ، وغدت اشبه بعضو في اسرتنا » . فقال الشيخ : « اتظن انها تأتيكم برسائل من ٠٠٠ » وتوقف كأنه متردد في أن يقول « الموتى » فقال لاني : « اننا نحصل على رسائل ممن يدعون انهم ارواح ويخبروننا امورا تدهشنا ، لاننا لا نستطيع ان نفهم كيف تسنى لهذه المرأة البولندية العجوز الضئيلة الحظ من التعليم ان تتوصل الى اكتشافها فقال اليوناني الحذر : « ثمة طريقة مترامية الاطراف للخداع من هذا القبيل . » فاجابه : « اعلم ذلك ياسير بازيل . ولو كانت هذه المرأة ذات عقل يقظ لكنت حريا ان اظن ذلك جائزا . ولكنها خاملة الفهن هادئة خالية من الاقدام . وكيف تراها كانت مستطبعة مثلا ان تعرف ان الدوقة كانت تحب السوسن ، وتدلى بأسماء الانواع التي ارتنى اياها ؟ فهتف رب القصر / ماذا ؟ فاستطرد : لقد ذكرت لي اسم البيلويم والبيزار وتحديث عن التركستان ، وان لم تدرك أن هذا اسم نوع من السوسن . بل انها ادلت الى بوصف جيد جدا لحديقة مسكنك بالمدينة ، وذكرت رقم ٥٣ ، وحاولت أن تذكر اسم جادة هوش ، ولكنها لم تستطع أن تحصل الا على حرف الهاء » .

ولم يسبق للاني ان رأى من قبل ذلك الرجل العجوز الحذر يبدى كل هذا الانفعال . فلا بد ان يكون كلامه قد مس لولبا خفيا ، لان الشيخ قال : « اجلسا » فاستقر ثلاثهم على ثلاثة من مقاعد قاعة الطعام ثم

سأله : « أهذا صحيح حقا يا لاني ؟ » فأجابته : صحيح فعلا . ولدى سجلات لمائة جلسة أو أكثر . » فقال ان هذا يهمنى الى مدى بعيد لان مشاعر عجيبة أخذت تنتابنى فى السنوات الاخيرة كان زوجتى فى الحجرة تحاول الاتصال بى . وقد قلت لنفسى ان هذا قد يكون محض اثر لحزنى ووجدتى ولست بحاجة الى ان اخبرك كيف كان شعورى نحوها . فأجابته : « كلا ياسيربازيل ، فقد كنت ادرك هذا دائما ، وعلى قلة ما رأيتها كان ذلك كافيا لاقتناعى بأنها شخصية بديعة » : فقال « لقد مضت ست سنين واسأى عليها لم ينقص . خبرنى : اين هذه المرأة البولندية ؟ » فلما شرح له لاني مسألة رحلة اليخت اراد ان يعرف : « اتعتقد انه يمكننى ان أحظى بجلسة معها ؟ » فأجابته : « يمكن تدبير ذلك فى وقت من الاوقات بلا شك . وستعطينا النتائج الى مدى بعيد . » .

- ٥ -

وقضى الثرى الشقى المعجوز نصف ساعة أو أكثر جالسا بوجه الاسئلة حول السيدة سيزننسكى وطريقتها فى العمل ، وشرح لاني الالتزام الغريب بوجوب ادعاء الاعتقاد بوجود زعيم هندي أحمر من الايروكوى يتكلم بلهجة بولندية ، وليس بالامر السهل على شخص مثقف ان يأخذ هذه الامور مأخذ الجد ، ولكن لاني أخبره حديث سيدة كانت عشيقته سنوات طويلة قبل وفاتها ، وقد بعثت اليه برسائل تتضمن تفاصيل صغيرة من قبيل ما يتذكره العاشقان ولكن لا معنى لها لدى غيرهما ، مثل السترة المخططة بالاحمر والابيض التى كان يرتديها الخادم الذى قام على خدمتها فى المنزل الذى قضيا به ليلتهما الاولى ، وأشجار الكمثرى والمشمش القائمة عند اسوار حديقة تلك السيدة . وقد تكون امور كهذه خارجة من عقول لاني اللاواعى ، ولكن حتى على هذا الغرض يعتبر نجاح أحد فى استخراجها من مكنها هناك تجربة غريبة .

فقال زهاروف : « اود كثيرا جدا ان أحاول هذه التجربة . فمتى تظن تدبير ذلك ممكنا ؟ » فأجابته : « يجب ان ارجع الى رأى أمى وزوجها واليخت فى طريقه الآن من كان الى بريمن ، وخطتنا الاصلية ان نتوجه من هناك الى أمريكا ونعود فى الحريف . فان ذهبنا الى مونت كارلو فى الشتاء القادم تسنى لنا احضار السيدة لديك . » فقال « هذه فترة انتظار طويلة اليس من الممكن ان أحضرها الى هنا لمحاولة واحدة على

الافل ؟ لعل اليخت يستطيع التوقف في المانش ؟ » فاجابه لاني : « اننا نتوقع ان نغف على الساحل الانجليزى وربما كان ذلك فى بور تسموث اودوفر . » فقال ان كان الامر كذلك فلسوف يسرنى ان ابعث الى انجلترا بمن ياتينى بها فانى اتوقع ان ادفع لها اجرها كما تعلم . » فاجابه لاني : « لا حاجة لك بهذا ، فنحن متكفلون بها ، وهى راضية بذلك ، فمن الخير الا تثير هذه المسألة : فقال : ان هذا قد يعنى لدى البشء الكثير يالانى . فان اعتقدت انى متصل بزوجتى ، وان ثمة فرصة لرويتها مرة اخرى فسوف يسعدنى هذا الاعتقاد اكثر من اى شىء يمكن ان يخطر ببالى . وساد الصمت برهة ، كانما ملك الذخائر المتقاعد بحاجة الى مجهود او اى حال عنيف كى يتفوه بمثل هذه المشاعر ، ثم استطرد : « فانا لم التق قط باى انسان يدانيها من اية صفة ولعلك سمعت انى انتظرت اربعا وثلاثين سنة كى اتزوجها ، وعندئذ لم تتركها الى المقادير الا ثمانية عشر شهرا فحسب . »

وكان لاني يعرف ان زهاروف والدوقة كانا يعيشان معا طيلة هذه السنوات الاربع والثلاثين ولكن هذا ما كان ليقال لانه ان جاز لشاب ليس له وضع وارتباطات ثابتة ان يشير عرضا الى انه كانت له عشيقة ، ان اغنى أغنياء اوربا يجب ان يحذر التشهير والسنة السوء ، ولا سيما اذا كان زوج السيدة المخبول ابنة ملك اسبانيا !

واستطرد لاني قائلا : « اذا كنت تريد اختبارا مقنعا فمن الخير الا تدع السيدة مدام سيزمسكى تعرف من الذى ستقابله . وهى قلما توجه أسئلة سواء قبل الجلسة او بعدها ، فكل ما تقوله للمرء » حصلت على نتائج طيبة ؟ » فان اجبتها : طيبة جدا . ارضاها هذا وكفاها . ولذا انصح ان تقابلها فى حجرة بفندق حيث لا يوجد شىء يدلها على حقيقة شخصيتك » فقال الشيخ بلهفة تتجاوز كل ما رآه لاني يبيديه فى السنوات الست عشرة التى انقضت على تعارفهما : « اسمع يافتاى . ان يسرت لى مقابلة هذه المرأة فى الايام القلائل القادمة فسأتوجه الى أى مكان تحدده لى على الساحل الفرنسى . » فاجابه لاني : « فى هذه الحالة اعتقد ان بوسعى تدبير الامر ، فانى بصدد اللحاق باليخت فى لشبونه ، وبمجرد توفيقى فى تحديد تاريخ معين سابرق لك . وفى هذه الاثناء لا تقل شيئا ، وسأكون انا وابى الاشخاص الوحيديين المطلعين على السر . فسأقول لامى ان لى صديقا يريد ان يجرى اختبارا خاصا ، اما السيدة فلن اصارحها حتى بهذا القدر . »

واصفى روبي بد الى هذه المحادثة الطويلة فى صمت ، فهو لم يكن ممن يؤمنون بالحياة الأخرى ، ولكنه كان يؤمن بمنح ذلك العنكبوت العجوز ، ذلك الذئب الاغبر ، ذلك الشيطان العجوز أى شىء يمكن أن يسليه ويلهيه ويجعله مدينا بالجميل لآل بد . وعندما نهضا للانصراف ، التفت اليه زهاروف وقال : « فيما يختص بالانصبية : اتحب ان ارى هل يعنى احد شركائى القدماء امرها ؟ فاجابه : « بالتاكيد ياسيربازيل » فقال ان ارسلت الى المعلومات - الضرورية المتعلقة بالشركة . . . فاشار روبي الى حقيبة أوراقه قائلا : « ان معى الآن كافة الوثائق ، وتحست تصرفى خمسة وثلاثون الف سهم . » فسأله : « استعد انت ان تحدد لها ثمننا » فقال : « نحن نطلب مائة وعشرين دولارا للسهم فذلك ما تمثله القيمة المستثمرة بالضبط . » فسأله : « ولكنكم جئتم ارباحا جزيلة ، اليس كذلك ؟ فاجابه « ليست جزيلة جدا ، اذا أخذنا فى الاعتبار المدة الزمنية والجهد اللذين انفقتهما فيها . » فقال ان الناس يسعدهم ان يستردوا نصف استثماراتهم فى هذه الايام ياسيد بد . فاجابه : « ليس الامر كذلك بالنسبة للبترول يقينا ياسيربازيل . » فقال : حسن . دع الوثائق معى ، وسأرى ماذا استطيع ان اصنع واخبرك بالنتيجة فى مدى الايام القليلة القادمة . »

وانصرفا . وفى سيارتهما عائدين الى باريس قال روبي « بنى ! لقد كان هذا الهاما ! - كيف خطر لك ذلك ؟ فاجابه : هذا ما حدث ، وقد خطر لى انه قد يحب ان يعرف فسأله : « وهل موضوع السوسن حدث فعلا ؟ فاجابه : « طبعا فقال : « هذا من انسب ما يكون لمسالتنا ، لان هذه المرأة ان اقنعت ان الدوقة تبعت اليه برسائل فلن يحجم عن شىء وربما حصلنا على الثمن الذى طلبناه . »

وكان لانى يعلم جيدا ان اباه لا يكون شديد الحساسية حينما يكون جادا فى اثر صفقة أعمال ، ولكن هذا ايضا شأن العنكبوت والذئب والشيطان . فقال : « ارجو ان تحصل عليه . » فاستطرد روبي : انه ينوى ان يشتري الا نصبة لنفسه ، وسيستغرق ذلك مساومة ضخمة ، فلا تدعه يرى تلك المرأة كثيرا الى أن يدفع المبلغ . « فرد عليه ابنه : « كلما كثرت رؤيته لها اشتدت رغبته فى المزيد فسأله : « ولكن هبه اشتراها وابعدها عنك كلية ؟ فاجابه : احسب ان هذه مخاطرة علينا ان نقدم عليها . » فقال : حدسى انه لن يصدق ان المسألة خالية من الغش ،

فانه ان حصل على نتائج ايقن انك اخبرت المرأة بهما سلفا . فقال الشاب المثالي : « فى هذه الحالة سننال جزاء اقامه . ولجوته كلمة يقول فيها ان كل اثم يجزى نفسه بنفسه على الارض » . بيد ان روبى لم يكن مهتما بالقيم الروحية أكثر من اهتمامه بالروحانيات ، فقال : « ان تمكنت من اعتصار هذه الصفقة فسيكون فى مقدورى الوفاء بالصكوك التى أعطيتها لك وليبوتى ومارسلين فأجابه : « لا حاجة بك الى القلق فيما يتعلق بهذه الصكوك يا أبى ، فلسنا فى ضنك » . فقال : « على كل حال ليس من المستلح ان يعرف عنى انى أخذت النقود التى حصلت انت عليها من بيع رسوم مارسل » . فقال الفيلسوف الشاب : « لولاك ما كنت انا هنا ، ولتزوجت بيوتى رساما من الدرجة الثالثة فى وغارتر ، ولما كانت مارسلين مسافرة الآن على ظهر يخت خاص . وقد ذكرت هذا كله لهم » . فقال روبى : « مهما يكن من شئ فقد حضرت الى هنا لبيع هذه الاسهم ، فلنحاول الحصول من مال هذا الوغد العجوز على اكبر قدر ممكن » .

وكان لاني قد ابتكر نكتا حول مؤسسة « ر ، ر ، ر » . وفى الايام التى كانت فيها امه بيوتى وبيس تحاولان العثور له على زوجة صارت ثمة مؤسسة « ب ، ب ، ب » . والآن قال : ستكون لدينا مؤسسة « ز ، ز ، ز » .

- ٧ -

وبعد عودة لاني الى باريس كان حريا ان يجلس فى مؤتمر ويحصل على معلومات عن خطط الحكومة الرومانية لاعادة التسليح ، لولا انه كان على موعد مع سلطان كورتيزى لزيارة « الصالون » ومناقشة حالة سوق الصور . وكان الهنغارى الاشقر احد اولئك السعداء الذين لا تبدو عليهم السنون . وهو انما قد وقع على اكتشاف جيد ومثير فى عالم الفن ، وهو دائما يريد ان يحدثك عنه بالفاظ سريعة متدفقة ، ويبدو دائما شعره المترد وشاربه الاشقر كأنهما يشاركان فى ايمائه . ولم يكن فى الصالون شئ من الطراز الاول كما قال ، ولكن كان ثمة عبقري روسى شاب وهو : اسكندر ياكوفليف له لوحاته معروضة فى احد المعارض ، وهو مصور عظيم حقا ، ولا بد للانى من المضى كى يلقي عليها نظرة على الفور . وكذلك عثر زلطان على اكتشاف عبارة عن مجموعة من الرسوم الألمانية بريشة بليك ، عثر عليها فى صندوق قديم فى بيت ريفى بمقاطعة

سرى (بانجلترا) وهى رسوم حقيقية ولم تزل الوانها ناضرة . وما من انسان سواه على وجه الارض كان مستطيعا ان يرسم مثل هؤلاء الملائكة والشياطين ولا شك فى ان زوجة بليك هى التى قامت بتلوينها ، ولكن هذا يصدق على الكثير من رسوم بليك وينبغى ان تحقق كل قطعة منها الف جنيه على الاقل .

وعلى الفور شرع لانى يدير فى ذهنه اسماء الاشخاص الذين يمكن ان يهتموا بمثل هذا الكنز المكتشف . ولم يكن ذلك لان زلطان سوف يعطيه نصف العمولة ، بل لان هذه لعبة كان قد تعلم كيف يلعبها . ولا جدوى من اعتراض ايرما ، ولا جدوى فى التفكير فى ان النقود التى تودعها فى حسابها يمكن ان تحدث له الاثارة نفسها التى يحصل عليها من ابرام صفقة .

وقال الصديق : « لن نستطيع الحصول على ما الفناه من الثمن وسوف تدهش من المدى الذى هبطت اليه الاسعار » .

لا بأس . فالصور لم تزل محتفظة بجمالها ، فان احتفظت ببساطة اذواقك استطعت ان تعيش وتستمتع بها ، بيد أن التجار الذين اثقلوا كواهلهم بأكداس منها سيجدون عناء فى اداء ايجاراتهم المرتفعة ، أما المساكين الذين يعملون فى الرسم فسوف يهيمنون على وجوههم ولوحاتهم تحت أذرعهم ليتطلعوا اليها فى تمنع واشتهاء ، آملين أن يدفع سلوكهم هذا نظر أحد من السابلة للوقوف أمامها والاهتمام بأمورها .

وكانت باريس فى الربيع بديعة كالعهد بها ، فراح الصديقان يضربان فى شوارعها ، ممتعين أنظارهما بأشجار القسطل المزهرة ، وممتعين حاسة الشم بالشذى الفواح من أحواض الزهر . وكان زلطان يناهز الخمسين ، تملأ ذهنه مشروعات للارتحال الى هنا وهناك ، كى يرى هذا الشيء وذاك ، وهو دائما يلتقى بشخص جديد تطرب له النفس ، أو يكتشف كنزا جديدا من كنز الفن . وسعيد حقا ذلك الانسان الذى تمتزج لديه حرفته ومتعته على هذا المنوال ! وكانت ألف لوحة للاساتذة القدامى قد جعلت حياته ميسرة حين يذكر أعمالا يستطيع أن يزمو بها وينتشى وهو يمكن لعميل من عملائه أن يفوز بواحدة منها .

وكان ثمة أشخاص أثرياء يسعون لتصيد الاعمال الفنية الشهيرة ، ويحذر زلطان صديقه « الوردى » من اظهار الازدراء أكثر مما ينبغى فى سلوكه نحو أمثال هؤلاء . فبعضهم جهلة وادعياء ، ولكن فريقا منهم

محبون حقيقيون للفن يمكن تشجيعهم وتقديم العون لهم . وليس هذا في مصلحة العمل فحسب ، بل هو خدمة عامة أيضا ، لأن الكثير من هذه المجموعات قيمة أن تؤول الى المتاحف في نهاية المطاف . ولم يكن زلطان يدري شيئا كثيرا عن الاقتصاديات ، ولم يتصب ذهنه بالاحاديث الثورية التي تجرى على لسان لاني ، بل كان يقول ان الرسوم مستعيش مهمما حدث ، وان الناس سيكونون راغبين في مشاهدتها ، وسيكون ثمة عمل للانسان الذي يشقف ذوقه بحيث يميز النادر والشمين من المبتذل والشائع .

- ٨ -

استاجر لاني سيارة واقل فيها زلطان لتناول الغذاء مع اميلي شاتروزو برث في ضيعتها « ليه فوريه » التي تقضى بها الجانب الاكبر من كل سنة . وهي مكان فخم جدا لدى لاني ذكريات عنه منذ الطفولة . فعلى هذا المسطح العشبي تحت شجر الزان الضخم اصفى لاناتول فرانس وهو يسرد فضائح ملوك وملكات فرنسا الفابرين . وفي قاعة الجلوس هذه عزف البيانو لا يزداد وراونكان ، ودعى للهرب معها . وهنا أيضا عزف مصاحبا لهانسي في ذلك اليوم الذي التقى فيه هانسي وبيس فتحابا حبا ابديا مكيئا .

وكانت ربة القصر ذات الشعر الابيض تريد أن تعرف انباء جميع الاسرات ، واثارت اهتمامها قصة زهاروف والدوقة الاسبانية التي كانت تعرفها . وكانت اميلي قد عقدت جلسة مع السيد سيزنسكي بيد أنها لم تحصل على نتائج ذات بال ، ولا بد أن ذلك راجع الى أنها كانت منطوية على عباءة للفكرة فافزعت الارواح ! وآثرت أن تسأل زلطان رايه عن الصالون وكانت قد زارته . ولما كان لديها رسمان لم يعد ذوقها سيفهما فقد اطلعت عليهما الخبير واصفت ليقدر ما يمكن أن تحصل عليه ثمننا لهما . وطلبت منه الا يتعجل ، فهي ان خسرت مالا طائلا شأنها شأن كل انسان ، الا أن الحسارة فيما يبدو تمت على الورق فقط ، لأن الأسهم لم تزل تغل عليها حصصا . ولكن « لاني » نصحتها ألا تعول على ذلك .

وما كان « وودي » شاب ليقدم الى باريس من غير أن يزور مكتب صحيفة « البوبيلير » ويتبادل الآراء مع جان لونجيه وليون بلوم . وكان لاني يعرف افكارهما لانه يقرأ صحيفتهما ، أما هما فكانا يريدان أن يعرفا

كيف كانت تسير حركة تعليم العمال في « الميدي » ، وماذا رأى ابن رجل الصناعة الأمريكي في الاتحاد السوفييتي . وبعد عداء بسيط مع لوجيه مضى لاني على قدميه ليتفقد معارض الصور ، ثم صعد اكمة مونارتر الى المسكن الخالي من سمات التظاهر حيث الفى جيس بلاكلس فى معمان تدبيج بيان ينشر فى صحيفة «الاووماتيه» (الانسانية) يندد فيه بلوجنيه وصحيفته وينعتهما بأنهما اداثان عميلتان للرجعية الرأسمالية . وعندما علم جيسى أن ابن اخته كان فى اوديسا شرع يلح عليه بالاسئلة ، متلهفا على كل فتات من الطمأنينة الى تقدم خطة السنوات الخمس .

وجيس يقيم هنا مع رفيقته الموظفة فى صحيفة شيوعية ، وحياتهما حافلة بالعمل الشاق مع قليل من المتعة . وقال جيس أن لا وقت لديه للرسم . فالرجعيون بسبيلهم الى الاستعداد للانقضاض على العمال المنظمين واخراجهم من اعمالهم . والانتخابات القادمة فى فرنسا ربما كانت آخر انتخابات تجرى فى عهد الجمهورية . فخال لاني الاحمر يعيش تحت تأثير وشك اندلاع حرب الطبقات ، وحياته وقف على كراهية النظام الرأسمالى وتعليم سواء من الناس كيف يشاركونه هذا الشعور . وهو مزعج أن يخوض هذه المعركة ليصارع الرأسماليين والاشتراكيين كليهما . وكان لاني يعتقد أنها لمأساة الاتسطيع الجماعات العمالية أن تتضامن لمواجهة أعداء أقوى منهم بكثير ، بيد أنه من المستحيل أن يقوم تعاون بين من يعتقدون أن التغيير يمكن التوصل اليه بالعمل البرلمانى وبين من يعتقدون أنه لا مفر من احداثه عنوة . وعندما تذكر هذه العبارة الاخيرة على مسامع جيسى بلاكلس يصر على أن الرأسماليين هم الذين سيستخدمون القوة ، وأن مسلك العمال دفاعى محض ، وانهم سيتعرضون للمهاجمة ، وتشنت تنظيماتهم ، وقد تكشفتم الامور فى إيطاليا عن مصداق ذلك .

ويجيبه لاني : « هذه مغالطة . فالشيوعيون يتخذون مسلكا يجعل استخدام القوة لا محيىص عنه . لانك ان شرعت فى تصويب مدس الى انسان أدرك أن حياته تتوقف على سبقه الى التصويب اليه » .

ايمكن أن تتغير الرأسمالية تدريجا ؟ أفى المستطاع تحقيق ذلك باقتراع يخرج فريقا من السياسة من مقاعد الحكم ويحل فريقا آخر محلهم ؟ لقد عثر لاني على نص من كارل ماركس يعترف فيه بأن التغيير التدريجى يمكن التوصل اليه فى البلاد الانجلو سكسونية التى تأصلت لديها النظم البرلمانية منذ عهد بعيد . ومعظم الحمر لا يعلمون أن أستاذهم قال ذلك ولا يصدقونه عندما تخبرهم به ، لان ذلك يبدو وكأنه يخذل قضية

البلشفية بأسرها • وقال جيسى أن الاستشهاد بماركس شأنه شأن
الاستشهاد بالكتاب المقدس : فانك مستطيع أن تجد فيه أى نص تروم •

وواصل الجدل ، فقالاً القليل مما لم يقوله من قبل • وبعد قليل
دخلت فرانسواز فكفا عن الجدل، لأنها لم تكن تتذوق روح الفكاهة الأمريكية
الحلية البال ومن الجائزان تضيق بلانى ذرعاً • وأخبرها بالجوانب الحمسة
مما شاهده فى الاتحاد السوفيتى • وسرعان ما جاءت سيزيت أختها
الصفرى المتزوجة أحد سائقى سيارات الاجرة فى باريس الذين لا
يتورعون عن القتل • وقال الحال جيسى ان ذلك «الفتى» لديه الحل الصائب
للمشكلة الاجتماعية ، الا وهو أن يدمم بسيارته جميع انبوجوازيين ،
وفى الوقت نفسه يستخدم سيزيت فى زيادة عدد السكان الحمر • فقد
رزقا طفلهما الثانى • •

وانصرفت المراتان الى اعداد العشاء ، واستأذن لانى فى الانصراف
وسار عائدا الى فندق كريون كى يقابل اياه • ولما سأله روى : « ماذا
كنت تصنع ؟ » أجابه « كنت استعرض الصور » • وكان ذلك الحق ، ولا
شيء غير الحق • بيد أنه لم يكن كل الحق ! •

- ٩ -

وواجب آخر : زيارة يقوم بها الى قصر بروين • فلانى كان قد وعد
مارى وهى على فراش الموت بأنه لن ينسى ولديها • ولم يكن فى وسعه أن
يصنع لهما الكثير ، بيد أنهما كانا لطيفين ودودين وكان يبهجهما أن
يحدثاه عما يقومان به ، وتحدث تليفونيا الى والدهما الذى حضر واقفه فى
السيارة • وكان دنيس دى بروين قوى البنية مع انه جاوز السبعين ، وقد
ابيض شعر رأسه واضفت عليه عيناه السوداوان الحزيتان وملامحه
الارستقراطية الشاحبة سمة الامتياز فى شخصيته • وقد ابهجه أن يرى
لانى لما بينهما من ذكريات مشتركة •

وفى الطريق تحدثا فى السياسة ، وانه لما يثير العجب ان يلاحظ
المرء كيف يمكن أن يبدو عالم واحد فى صورتين جد مختلفتين لانسانين
مختلفين • فهذا دنيس دى بروين رأس مالى على مستوى متواضع وصاحب
اسطول فى سيارات الاجرة وهذا مخدوم زوج سوزيت - وان كان يجهل
ذلك - يتفق مع جسى بلاكلس فى أن الشيوعيين أقوياء فى باريس فى
مراكز صناعية أخرى وانهم يعتزمون استخدام القوة أن توفر لهم ما يكفى

منها . وكان تصور دنييس لتدبير أمور الدولة هو أن يصوب المسدس أولا .
أنه وطني ومستعد لتقديم الاموال للحيلولة بين جسي واضرابه وبين
الوصول الى السلطة . وكان لاني يصفى الى كلامه ، وهذا طبعا أمر مستحب
لدى صاحب مشروعات واثق جدا من وضعه .

وكان دنييس دي بروين قلقا على حالة بلاده التي كانت تعاني ماليا
لانها اعتمدت على التعويضات الالمانية ثم حرمت بالفش والخديعة من الجانب
الاكبر من آمالها . والوطني الفرنسي يلوم رجال المال والسياسة الانجليز ،
لان بريطانيا في نظره ليست حليفا مخلصا لفرنسا وانما هي منافس .
ولذا تستخدم بريطانيا المانيا لمنع فرنسا من تنمية قوتها . ولماذا يعاضد
رجال الاعمال الامريكيين هذه السياسة بمساعدتهم المانيا على النهوض
على قدميها ، مما يجعلها خطرا على فرنسا ؟ ان المستثمرين الاجانب
اقرضوا المانيا ما يقرب من خمسة بلايين دولار منذ نهاية الحرب . فلماذا
ا قدموا على هذه المجازفة ؟ واجابة لاني « وهبهم لم يقدموا على ذلك فكيف
كان يمكن المانيا ان تؤدي الى فرنسا أي مبلغ من التعويضات على الاطلاق ؟ »
فاجابه دنييس « كانت حرية ان تؤديها لو انها اجبرت على هذا » ولم يقل
كيف . وكان لاني احجى من ان يفحجه ويحرجه . والرجال الذين كانوا
يحكمون فرنسا لم يتعلموا الكثير من غزوهم للور وفشل ذلك الغزو ،
وما زالوا يعتقدون انهم يستطيعون انتاج السلع عنوة ، والحصول على
المال بأسنة الحراب . ولم تكن ثمة جدوى من مجادلتهم فخوفهم من المانيا
فكرة مهيمنة على عقولهم . وقد يكونون على صواب ، فمن اين لاني ان
يعلم على وجه اليقين ؟ ولا ريب ان في المانيا رجالا كثيرين يؤمنون بالقوة
ويعتزمون استخدامها متى توفر لهم ما يكفي منها . وكان لاني قد التقى
بهم أيضا .

وأراد دنييس ان يعرف ما الذي ينتظر من الاثر على احوال فرنسا
لانهييار وول ستريت . وكان الموسم في بدايته . وكثيرون من أهل الوجاهة
لم يعودوا بعد الى باريس . فهل سيتخلف السائحون عن القدوم اليها
هذا الصيف ؟ وهو سؤال ذو أهمية ملحة بالنسبة لصاحب أسطول من
سيارات الاجرة ! وقال لاني انه يخشى أن تضطر باريس للاقدام على
ما فعلته نيويورك من قبل ، ألا وهو شد الاحزمة على البطون . وعندما
سأله دنييس ما رأى روبي في بوادر الاحوال ذكر له لاني تفاؤل والده
فسر دنييس لذلك ، لان ما يكتنه من احترام لرأي روبي اكبر من احترامه
لرأي لاني .

وقصر برويني ليس مكانا عظيما خليقا بأن يجذب الانظار مثل

« بالنكور » « وليه فوريه » ، وانما هو بيت ريفى بسيط من الصخر الاحمر . وانما سمي بالقصر اكراما لسنه ، واعرابا عن احترام الجيرة الريفية لاسرة عريقه ؛ وكان هذا البيت احد بيوت لاني بين الحين والحين على مدى ست سنين . وكان الخدم يعرفونه ، والكلب العجوز يعرفه ، بل وشعر ان اشجار الفاكهة نفسها تعرفه . وكان دنيس الابن قد تزوج بـ زوجة من الطراز اللائق ، وهي هنا تتعلم واجبات ربة القصر ولهما طفل ذكر ، وهكذا اخذ الولدان الشابان يتبادلان النكات حول امكان قيام مصاهرة بين الاسرتين . أما الاخ الاصغر شارلو فيدرس الهندسة، ومعنى ذلك انه من المحتمل ان يرحل الى اصقاع بعيدة من الدنيا . هو بالصدفة مهتم بالسياسة وينتمي الى احدى الجماعات العدوانية التي يكونها الوطنيون الفرنسيون . ولم يقل لاني شيئا كثيرا عن آرائه الخاصة . ولم يسبق له ان صرح بشيء من ذلك قبل ، فلئن واثا المظفكان عشيق زوجة دنيس، فما كان له ان يجعل من نفسه مفسدا لولديه . وكل ما صبا اليه هو ان يخفف من غلوائهما بالحديث عن التسامح وتفتح الافق العقلي .

وكان الشابان - واحدهما في الرابعة والعشرين والآخر اصغر منه سنة - يتطلعان الى لاني تطلعهما الى شخص اوتي من الحكمة والتفوق والشهرة نصيبا خارقا . وكانا يعلمان بأمر زواجه ، ويربانه نوعا من التتويج . وكانت امهما حرية ان تنضم الى هذا الرأي لانها كانت تكن احتراما قاطعا شاملا للملكية شأن جميع الفرنسيات . والفرنسيون بل معظم الاوربيين الآخرين ، مفرمون بأن يقولوا عن الامريكيين انهم يعبدون الدولار . وللسطان كرتيزي تعليق سديد على هذا الرأي : ان الامريكيين يعبدون الدولار والفرنسيين يعبدون (المليم) .

الفصل الخامس

من الاغوار المترامية

- ١ -

لحق لاني باليخت بسى بد فى لشبونة ، ومن هنا اقلعوا ورسوا فى حوض اليخت فى « كاوز » . وكان فى انتظارهم هناك خطاب من يوهانز يخبرهم انه مضطر للبقاء بسبب بعض الاعمال التى لا تسير على ما يرام ولا فائدة من اسراعهم الى بريمن . وكان ثمة ايضا خطاب من ريك يدعوهم للمقدم الى « ذيريتشز » لقضاء بضعة ايام لانه وزوجته لم يرياها منذ عام كامل . واستشار لاني امه ثم ارسل برقية الى ريك يدعوها لاجتماع زوجته وابنها الاكبر لقضاء رحلة بحرية قصيرة .

والصدقة شئ مبهج للقلب عندما يتوفر ذلك النظر الثاقب فى اختيار الاصدقاء الملائمين وكان ايريل فيفيان بوميروى نيلسن قد غدا على مر السنين آنس صديق يانس اليه لاني . ومن الشكوك فيه ان يكون قد توفر لأصفر الرجلين من الشجاعة ما يكفى لثباته على كل هذه الافكار المبتدعة لولا مؤازرة ريك . فابن البارونيت يرقب كل ما يجرى فى الدنيا ويحلل الاتجاهات المتباينة ، ويسجل فهمه لها فى مقالات صحفية يقصدها لاني ويرسلها الى الاشخاص الذين يدخل معهم فى مجالات . وليس معنى هذا انه هدى الى رايه احدا من الناس ، بل قصاراه ان يبقى قضيته حية .

وكان ريك اكبر من لاني بسنة ونصف فقط ، بيد ان لاني كان من عادته ان ينقاد له ، الامر الذى كان يسر زوجة ريك ولا يسوء ريك على طول الخط . وكلما كتب الانجليزى مسرحية كان لاني على ثقة بانها لا بد ان تحقق النجاح المدوى المنتظر من زمن طويل .

وعندما لا تحقق ذلك كان ثمة دائما سبب : مثل اصرار ريك على تناول المشكلات الاجتماعية من وجهة نظر غير مرغوب فيها لدى من يتناعون

أفضل المقاعد فى المسارح • وكان الكاتب المسرحى الشاب مجددا لأن له أبوين يؤمنان به ويكفلان له ولاسرتة بيتا مريحا كى يكتب الحقيقة كما يراها •

وقد انقضت قرابة ثلاث عشرة سنة منذ سقط الطيار الانجليزى الحديث السن جدا فى المعركة ووجد مشجوج الرأس مكسور الركبة وقد أصابها تعفن شديد • وفى غضون هذه السنين تعلم كيف برجل عرجاء ، فصار فى وسعه أن يذهب للاستحمام فى مكان خاص أعد له لاني فى بيانفينى • والآن نجح اليخت « بى بد » فى تركيب مقبضين فى آخر درجة من سلم اليخت كى يتسنى لرجل ذى ذراعين قويتين أن يرفع نفسه من الماء بدون مساعدة • وسيكون فى وسعه أن يفك دعامة ساقه وينزلق فى الماء ويستمتع وكأنما لم تنكب البشرية بحرب عالمية •

وكانت نينا كالمهد بها رقة ولطفا وقربا من النفس • اما الفى الصغير – فكان ينادى بهذا الاسم تمييزا له من جده البارونيت ، وان كان وصف الصغير لا يكاد يلائمه الآن وقد أضحي طويل القامة على الساقين جدا بالنسبة لعمره الذى يناهز الثالثة عشرة • وكان اسود الشعر والعينين مثل أبيه ، وهو مبكر النمو العقلى الى أقصى حد كما هو منتظر ، فلهذه معلومات عن شتى الحركات السياسية ، والحركات الفنية أيضا ، ويستخدم الرطانة الخاصة بتلك الحركات بطريقة تجعل من العسير عليك ألا تبتسم • وهو ذو ملامح نحيلة حساسة جاد العقل ، مما جعله فريسة مهياة سلفا لمرسلين ديتاز ، هذه الغزاة الخليفة الصغيرة • فرسلين ديتاز لا تعرف شيئا عن السياسة ، ولكنها تعرف شيئا من الفنون ، بما فى ذلك فن الخلاعة • وهى فتاة نصفها فرنسى ونصفها أمريكى ، نشأت أيضا بين أناس أسن منها ، ولكنهم من طراز مختلف ، فتعلمت من بارونة توريت السابقة (وهى سيدة المصنوعات الحديدية القادمة من تشنسناتى) القدرة الفذة على القوة بعبارات جريئة جدا ووجهها فى منتهى الهدوء والرزانة ، ثم تنفجر ضاحكة عندما ترى نظرة الذهول فى عيني فتى متزن • ويبدو ان الفتى لن يتعلم هذه الحيلة •

وكانت الاسرتان قد اعدتا مشروع زواج لهذين الفتيين بالبرق بمجرد ظهورهما على مسرح الوجود • وكان الاهل يتبادلون النكات حول هذا الأمر على الطريقة العصرية السهلة المتحررة ، وقد التقط الفتيان منهم

هذه العادة . فكانت مرسلين تقول له « لن اتزوجك ا ن لم تتعلم كيف ترقص خيرا من هذا » ويتكدر الفى ويحيبها « لاجابة لك با لزواج منى ان لم تكن لك رغبة فى ذلك » وكان ذهنه خاليا دائما مما يمكن ان تفعله فى اللحظة التالية ، ففى بعض الاحيان يجرح شعورها بهذا القول وفى احيان اخرى تشعر ان عبئا ثقيلا ازيح عنها . وسواء كان الامر هذا او ذاك فسرعان ما يتضح انه مجرد مغايظة ويتقلب الفى الى انسان يتعقب طير الصيد فى ليلة مظلمة .

وكانت مرسلين قد الفت الرقص فى بيتها منذ نعومة اظفارها . فثمة ما يسمونه رقص « المجتمع » ، ورقص دالكروز ، ورقص ايزادورا دنكان ، ورقص فلاحى البروفانس ، ورقص الريف الانجليزى والامريكى ، وسائر انواع الرقص التى يمكن ان تلتقطها طفلة . وثمة ايضا نوع من انواع الموسيقى يتردد فى البيت معظم الوقت ، فلديها جراموفون وراديو كى يتسنى لها ان ترقص على اساس منظم . وعلى ظهر اليخت بمجرد ان تنتهى دروسها تذهب جريا الى حيث يتدرب هانسى وبيسى وتلبث دقيقة واحدة تصفى كى تدرك الايقاع ثم تأخذ قدماها فى الحركة وتنطلق راقصة فى سائر انحاء البهو . وقد تمد يديها الى لانى وياخذان فى ارتجال الرقص . وقد تعلما كيف يقرأ كل منهما اشارات صاحبه . واذا بك ترى بعينيك مرة اخرى الموسيقى وقد اصبحت منظرا مشهودا كما كان الحال ايام دلكروز الفابرة .

فلا عجب تستطيع مرسلين ان ترقص فى دوائر حول غلام لايعرف الا ما يشبه السير فى النوم على ايقاع نفثات الجاز ، وهو الرقص السائد فى المجتمع الراقى . و يبذل الفى غاية جهده فى المحاولة ، بيد انه يبدو ويحس كأنه زرافة صغيرة فاجأها زلزال . وتصيح به « اترك نفسك . اترك نفسك ! » فيروح يدق الارض بكعبيه واصابع قدميه بطريقة ابعد ما تكون عن الانجليز وتمنحه الفتاة من التشجيع ما يكفى بالضبط لاستمرار ارتباطه بها ولكنها لاتشجعه اطلاقا الى الحد الذى يجعله يشك فى من منهما ستكون له الكلمة العليا فى بيتها .

ويراهما لانى جالسين متباعدين عن الباقيين اثناء عزف الموسيقى فى المساء . ويتماسكان بكفيهما احيانا ، فيخطر له انهما يعملان على حل معضلتها الخاصة بطريقتهما الخاصة . وتذكر الايام التى زار فيها « ذى ريتشرز » لأول مرة وجلس على ضفة نهر التيمز يصفى الى كيرت ما يسر يعزف الحركة البطيئة فى كونشرتو موتسارت من مقام الصغير

الا كم تراءت له الحياة معجزة فى ذلك الحين وقد التفت احد ذراعيه حول روز مارى كودويليجر - التى تنطق كاليغر - وهو يرتجف نشوة وحبورا ويحلم بالمستقبل الرائع . ولم يتحقق شئ على نحو ما تصوره فى خطته . وجعل يفكر فى الحياة وكيف انها قلما تمنحنا ما نصبو اليه . والشباب يقدمون علينا صائحين صياحا عاليا مطالبين بنصيبهم ، وليس لديهم الا فكرة يسيرة جدا عن الالم الذى ينتظرهم ، ويتصدع قلب المرء لتفكيره فى تلك الآلام ولكنه لا يستطيع أن يحدثهم بنبيها ، فلا بد لهم من سلوك الطريق التى اختاروها وتكبد مشاقها وعقباها .

- ٣ -

درجت السفينة بيسى بد على ان تمخر فى مياه ترتادها السفن من سائر الاحجام ابتداء من عابرات المحيط الضخمة الى السفن الشراعية الصغيرة ، فلا ضير فى ان يزيد عددها واحدة ما دمت ترقب الطريق وتطلق صفارتك بين الحين والحين . وصعدوا فى بحر ايرلندة ، وكان الجو لطيفا فتتعاقب الايام والسماء زرقاء صافية ، والهواء تتردد فيه اصدااء الموسيقى وايقاع الاقدام فوق ظهرها ، وهانسى وبيسى يتدربان بهمة ، وبيوتى وايرما تلعبان البريدج مع نينا و راحيل ، فى حين جلس لانى وريك على انفراد يناقشان كل ما حدث لهما خلال العام المنقضى .

وكان لانى قد زار مقر مصانع آباءه ، واستقبل الامير زوج الملكة فى نادى نيوكاسل الريفى . وفى قصر ايرما المقام على غرار القصور الفرنسية فى لونج آيلند . وكان ريك فى هذه الفترة قد كتب مسرحية عن زوجين شابين منقسمين حول عواقب استخدام العنف فى صراع الطبقات . وكان ريك قد كتب عدة مسرحيات عن شباب تعذبهم بعض جوانب هذا الصراع . وهذا العمل الاخير بدأ الكلام فيه على لسان الشخص الشاب المثالى الذى ابتدعه قريب الشبه جدا من كلام لانى بد ، فى حين كانت الزوجة « فوق الحمراء » مالكة ليخت يحمل اسمها . وقد اعتذر ريك عن هذا قائلا ان المؤلف المسرحى عليه ان يستخدم المواد التى فى متناول يده . فقال لانى انه مما لاشك فيه ان ثمة اشخاصا كثيرين تافهين مشتتى الازهان مثله ، ولكن ذوى العزم من المتمردين المكافحين بجلد من امثال بيسى ليسوا كثيرين بين صفوف الطبقة الطفيلية .

وكان ريك قد تحدث الى رؤساء تحرير وصحفيين فى لندن ومع

مسائر وكتاب وأناس من شتى الأنواع في بيت أبيه ، وكان على علم بانبثاق الحركة النازية في ذلك البلد الممزق وقد تسلم منذ وقت غير طويل خطابا من كيرت الذي كان في مرجوء دائما ان يشرح ظروف بلاده للعالم الخارجى ، فكان يبعث الى الخارج دائما بقصاصات من الصحف وكتيبات والامان بما لديهم من هوس ناجم عن الاحساس بالاضطهاد لا يكلون عن الدعاية ، وهم مستعدون للتبشير لكل من يتسطيعون اقناعه بالاصغاء . ولكنك من النادر ان تسمع احدا منهم يعرض جانبى القضية او يعترف باتفه خطأ من جانب بلاده .

ورسا اليخت على الساحل ، فى مرفأ ايرلندى صغير ، واستقل الشباب عربة للنزهة ، اما السيدات فمسـاومن القرويات السريعات البديهة لشراء كميات من التيل المطرز بالايدي . ورسوا على ساحل ويلز ايضا حيث الجبال لاتبدو ذات رهبة فى نفوس الفت الحياة عن كذب فى جبال الالب وزاروا جزيرة مان (الانسان) وتذكر لاني قصة طويلة كان فى صباه يخالها هائلة بيد انه يحسبها الآن ليست ذات شان كبير . رسوا فى ليفربول حيث كانوا قد اعدوا الترتيبات لتلقى بريدهم هناك . وكان من بينه برقية من رربي الذي كان قد عاد الى باريس « ابرم البيع بسعر ثلاثة وثمانين وهو احسن مما كان منتظرا وهذا بفضلك سباحر غدا . اتنى حظا سعيدا للازواج . »

وكان لاني قد اجل بناء على طلب ابيه تحديد الموعد الذى وعد به زهاروف ، فقام الآن بارسال مذكرة بالبريد قال فيها ان اليخت من المنتظر وصوله الى الساحل الفرنسى بعد بضعة ايام وعندئذ سيبرق بالموعد . وتهادى اليخت بيسى متجها صوب الجنوب مرة اخرى حيث انزل آل بوميروى نيلسن فى « كاروز » ، ومن هناك ابرق لاني الى قصر بالنكور يقول انه سيحضر « الصديقة » الى فندق فى (ديب) بعد ظهر اليوم التالى . وكان قد ذكر لاما روبن انه يرغب فى مقابلة صديق له هناك فسرهما ان تجيب رغبته . اما امه وزوجها فقيل لهما انه يريد القيام باختبار للسيد : وسوف لا يذكر الاسماء الا بعد انتهائه واما المرأة البولندية فكانت متعودة على دفعها للتنقل هنا وهناك للقيام بعرض موهبتها الغريبة .

وديب مدينة عمرها الف سنة بها كنيسة وقلعة ومشاهد اخرى يؤمها السائحون . وهى ايضا منتزة مشهور على البحر به كازينو ، ولذا لم يحسب لاني انه سبب لاصدقائه ضيقا . وشد اليخت الى رصيف

بالمرفأ ، وفى الوقت الملائم استدعى سيارة اجرة واقل فيها وديعته الى الفندق . وكان قد تلقى برقية غفلا من التوقيع تخبره ان « المسيوجان » سوف يكون فى انتظاره . وفى مكتب الاستقبال سأل عن هذا السيد ، وصحبوه الى الجناح الذى كان زهاروف جالسا فيه بمفرده منتظرا .

وكان قد اعد مقعد مستطيل للوسيطه ومقعد وثير لكل من الرجلين . ولما كان الرجل الكهل على علم كاف بالتعليمات ، فلم تكن ثمة حاجة الى الكلام ، فقام لانى بتقديمه باسمه الوهمى ورد قائلا « طاب يومك » ولم يزد . وقال لانى (اجلسى ياسيدتى) ولم يجر حديث اكثر من ذلك . وكان ملك الذخائر المتقاعد مرتديا زيا خاليا من مظاهر الجاه ، بحيث يخاله من لم يألف صورته الفوتوغرافية متقاعدا من رجال الأعمال ، او استاذا فى كلية او طبيا .

وبدأت المرأة ترتجف وتئن ، ثم سكنت وراحت فى سباتها . وطال الانتظار . وكان لانى - الذى ظل على اعتقاده ان هذه الظاهرات من قبيل قراءة الافكار عن بعد (تيبائيا) قد ركز ذهنه على شخصية ماريلا ديل بيلار انتونيا انجيلا باتروتشينو سيمون دى موجويرو اى بيروته دوقه وماركيزه فيلافراكادى لوسى كابليروس . وكانت شخصية اخفقت فى ان تعيش على مستوى هذه الاسماء ذات الرنين الفخسم ، فقد كانت اقرب الى صفر الحجم ، سمراء ، شديدة الهدوء ، متحفظة ، بيد انها رقيقة عطوفا ، ملائمة لاحتياجات رجل اعمال شديد التدقيق فهمي تحرسه ، وزرعاه وتحبه وقد انجبت له - ان صحت الاقاويل - بنتين . ومهما يكن من شئ فقد عبدها واطهر فخره بها على الطريقة المحتجزة التى فرضتها الظروف عليه . ولم يفترقا نيفا وخمسا وثلاثين سنة ، ولا بد ان مليون ذكرى من ذكرياتها ترقد دفينه فى عقل الشيخ اللاواعى فهل ترى توفر الوسيطه فى تنبيهها ؟ ان كان الا مر كذلك ، فقد يتكشف عن احراج ، ولعله كان من الكياسة ان يعرض عليه لانى الانسحاب بيد ان زهاروف كان قد اعد له مقعدا . وربما كان فى ذهنه ان معونة الشاب قد تكون مطلوبة لتوجيه التجربة .

وفجأة جاء صوت الزعيم الهندى الاحمر كشيكا ناطقا بالانجليزية كالمهد به دائما : « هالولانى . انت اذن تحاول ان تغلبنى على امرى ! » وهى ليست تعبيرا ايروكويا ، ولا يبدو ايضا انه بولندى وقال لانى بكل جد « ياتكومسه لقد احضرت سيذا عميق الاخلاص فى موقفه منك » . فقال : (ولكنه لا يؤمن بى !) فاجابه : (انه على استعداد تام للايمان بك

ان انت قدمت اليه المبرر ، وسيسعدك ان يؤمن . . فقال الصوت باصرار شديد : (انه يخشى ان يؤمن !) فقال الصوت باصرار شديد : (انه يخشى ان يؤمن !) وساد الصمت برهة ثم استطرد : « انك لست فرنسيا » فقال زهاروف : « لقد حاولت ان اكون فرنسيا » . وكان لاني قد اخبره ان يجيب عن كل سؤال بسرعة وبصدق ، ولكن بحيث لا يقول اكثر من الضروري . وقال الصوت « ولكنك لم تولد في فرنسا . فانا ارى حولك اناسا سمر الوجوه يتحدثون لغة غريبة لا أفهمها . وسوف لا يكون من السهل علي ان اصنع لك شيئا . ارى ارواحا كثيرة مقبلة . لقد عرفت اناسا كثيرين وهم لا يحبونك ، فمن اليسر ان ارى ذلك في وجوههم . ولست ادري ما المسألة ، فكثيرون منهم يتكلمون وفي وقت واحد ولا يستطيع تمييز الكلمات » .

- ٥ -

وكان في وسع لاني ان يرقب من حيث جلس وجه السيدة ، فراه مضطربا مقلوب السحنة كما هو الحال دائما حينما يبذل تيكومه جهدا خاصا كي يسمع او يفهم . وبحركة التفات من عينيه استطاع ان يرقب وجه ملك الذخائر الشيخ ، وكان يبدو عليه الانتباه المتوتر . وعلى ذراع مقعد لاني دفتر مذكرات راح يدون فيه اكبر جانب ممكن مما قيل .

وفجأة هتف تيكومة : « هاهنا رجل يحاول ان يتكلم . اليك انت لا الى انا . انه شيخ شديد النحول ذو لحية بيضاء . انه يقول بانجليزية رديئة جدا انه لم يكن هكذا على الدوام ، بل كانت لحيته سوداء عندما عرفك . واسمه مثل « هايغني » وله اسم آخر (تايدى) لا . بل هو اسم واحد : (هايغني تايديز) ؟ انه اسم يوناني كما يقول : هايغنتيدس . اتعرف هذا الاسم ؟ فقال زهاروف : (لا .) فاجابه : انه يقول انك تكذب لماذا جئت الى هنا ان كنت تكذب ؟ فقال : « انا لا تذكره » فاجابه : « انه يقول انك سرقت » ما هذا الذي يتحدث عنه . . ؟ انه يكرر باستمرار كلمة عقص . ان لديك عقصا اكياس كثيرة ملانة بالعقص . اهي نكتة ؟ » فقال زهاروف بهدوء قاطع « لا بد ان الامر كذلك ، وكان اشد من عرفهم لاني ضبطا للنفس .

« انه يقول انها ليست نكتة . وان العقص شيء يباع . مائة وتسعة وستون كيسا من العقص . وصمغ ايضا . صناديق كثيرة من

الصمغ . لقد كنت وكيلا . وشرع تيكومسه يتكلم وكأنه الروح الآخر ، وهو امر لا يقدم عليه الا اذا صار الإتصال واضحا : « لقد اخذت بضائعي ورهنتها لحسابك اتنكر هذا ؟ فاجاب : « طبعا انكره . » (فقال : انك لم تنكره في محكمة لندن بل اعترفت بانك مذنب . وكنت في السجن - ما اسمه ؟ اولد شيئاما . اولد باسن لقد كان ذلك منذ اكثر من خمسين سنة ، ولم اعد اذكر اسمه . » فجازف لاني قائلا : (اولد بيلي ؟ » فاجاب : « هو هذا . اولد بيلي . وكنت انا في القسطنطينية وكنت واثقا بك . لقد قلت انك لم تكن تظن ذلك خطأ ، ولكنها كانت بضاعتي وحصلت انت على النقود .

وتلاشى الصوت ، وكان قد غدا شكسا متذمرا كصوت رجل مسن يشكو شيئا طال به نسيانه . فلتن لم يكن هذا صحيحا فهو يقينا متقن الاختلاق .

واختلس لاني نظرة الى الشيخ الحى فخيّل اليه انه يرى قطرات خفيفة من العرق على جبينه . ومما أخبره به روبي كان مستعدا أن يصدق أن الفارس حامل الوسام من طبقة كوماندر ووسام الليجون دونير من طبقة ضابط عظيم لديه ذكريات كثيرة لا يحب لها أن تبرز الى وضوح النهار .

وقال تيكومسه بعد فترة صمت : « انى أسمع باستمرار اسم موجلا . فما موجلا هذه ؟ فاجابه : « انها القرية التي ولدت بها ، فساله : « اهى فى بلاد اليونان ؟ » فاجابه : « بل فى تركيا » فقال : « ولكنك لست تركيا » فاجاب : « كان والداى يونانيين » . فقال : « ثمة شخص يثابر على ندائك باسم زاك . ثم اسم لفظ رياس . اسمك رياس ؟ » فاجاب : « زاكرياس أحد أسمائى » . فقال : « هنا رجل يقول انه عمك . اسمه أنتونى . لا . ليس ذاك . فانا لا أعرف هذه الأسماء اليونانية . فاجابه : « كان لى عم اسمه أنطونيادس » . فقال : « انه يسألك : أتحب أن تكلمنى ؟ » فاجاب : « لست راغبا فى ذلك اشد الرغبة » فقال : « وهو يقهقه ضاحكا ، لانه أيضا لا يحبك . لقد كنت على صلة به فى العمل أيضا ، ولم تكن صلة طيبة جدا . وقد لفقت حكايات رائعة حولها . أتكتب قصصا او شيئا من هذا القبيل ؟ » فاجاب : « لست كاتباً » فقال : « ولكنك تروى قصصا وجميع الأرواح تضحك عندما يقول العم أنطونيادس ذلك . لقد صرت غنيا وهاما ، وأنت تروى الأفاصيص عن الأيام الخالية . وهم يروون عنك قصصا هنا . أتحب أن تسمعها فاجاب : « ليس هذا

ما جئت لأجله . فقال : « هنا رجل ضخم قوى ذو لحية بيضاء تشبه لحيتك ، بيد أنها أغزر منها . ويقول ان اسمه ماكس . وانجليزيتة جيدة . لا . بل هو يقول انها ليست جيدة ، فهو بلهجة الامريكيين الشماليين (اليانكي) فهل تعرف اليانكي ماآس ؟ » فأجاب : « لا أتذكره . » فقال : « انه يقول ان اسمه مكسيم . وكنت على صلة به فى العمل ايضا . فأجاب : « عرفت شخصا اسمه مكسيم . فقال : « لقد تفوقت عليه فى السوق . لقد ربح ملايين ، ولكنك ربحت عشرات الملايين ولم يكن هناك سبيل لوقفك عند حد . ويقول مكسيم انه لم يكن مؤمنا بالحياة المقبلة ، ولكنه يحذرك من هذه الغلطة . وسوف تكون أسعد حالا ان انت غيرت كل هذه المادية . اتعرف ماذا يعنى ؟ » فأجاب : « هذا الكلام لا يبدو خليقا به » فقال : « لقد أخذت الرجل المسن . كنت فتى طويلا مفتولا وكان فى مقدورى ان (أدق) أى شخص فى غابات مين . كان فى مقدورى ان (أدق) أى شخص فى كندا وهذا ما صنعتة فعلا . لقد (دقتك) ذات مرة ايها الكهل . أترى هذا الكلام الآن شبيها بى ؟ » فأجاب « نعم . . أتذكر هذا » فقال : « وذات مرة كتبت اسم الامبراطور بالرصاص على هدف . وانت قطعاً لم تنس هذا ا » فأجاب : « بل أتذكره . » فقال : « حسن اذن . استيقظ ، وتدبر كيف يكون سلوكك فى عالم أفضل . فسوف لا يكون فى مقدورك أن تحل مشكلاتك على النحو الذى الفته ، بوضع أصابعك فى أذنيك . »

وساد الصمت برهة ثم قال تيكومسة : « لقد ابتعد ضاحكا . وهو شخص أرعن ، حين يتناول الحساء تتخلل قطراته لحيته . وكذلك الحال بالنسبة للمثلجات . وانت لا تحب مثل هذه الأساليب فى السلوك ، فانت رجل هادى ياذاكرياس . ومع هذا اسمع أصواتا عالية تنطلق حولك من كل جانب . هذا غريب جدا . . من أنت ؟ »

- ٧ -

ولم يجب اليونانى الشيخ ، وهبط صوت تيكومسة الى درجة الهمس ، كأنه يسأل الأرواح عن هذا اللفز ، ولبت لاني برهة لا يستطيع تمييز كلمة واحدة ، فاستغل الفرصة فى ضبط وتكميل مذكراته . ورمى بنظره الذخائر مرة أو مرتين ، فلم يرد عليه نظرتة ، بل جلس أمامه وكأنه صنم من الصخر . وانفجر الهندي الأحمر فجأة : « ماهذه

الضجة التي ما أنفك أسمعها ؟ ولماذا تثير هذه الأرواح مثل هذا الصخب؟
قعقة ودق ، واناس كثيرون يصرخون كالمرتاعين . ما هذا الذي تصنع
يا زاكرياس ؟ » .

ولم ينطق السير بازيل

« لماذا لا تجيبني ؟ »

« ألا تستطيع الأرواح أن تخبرك ؟ »

« سيكون الأمر ايسر عندما تجيبني عن أسئلتى . ألا تحب مايقوله
هؤلاء الناس ؟ ليس الذنب ذنبى ان كانوا يبغضونك . هل غششتهم ؟
أو أذيتهم ؟ »

« بعضهم ظنوا ذلك » .

« ان مالا أزال أسمعهُ هو المدافع . هو ذاك ! أكنت جنديا ؟ هل
خضت مواقع حربية ؟ »

« كنت أصنع الذخائر » .

« آه . هو ذاك أذن . وهكذا مات خلق كثيرون جدا ، ولذا
يصيحون بك . لم أر قط أناسا بمثل هذه الكثرة ، حتى ولا فى الايام
التي توليت فيها قيادة الشعوب الستة حين هاجمنا ذرو الوجوه الكالحة .
وكانت مدافعهم أفضل وأكثر مما لدينا ، ومات قومي . ماتوا وهم
يصرخون ويصبون اللعنات على غزاة أرضنا . كذلك أيضا مات الناس
وهم يصرخون ويصبون اللعنات على زاكرياس اليونانى . أتجرى وتختبئ
منهم ؟ انهم يتكاثرون من ورائك ، كأنما هذه أول مرة استطاعوا فيها أن
يصلوا اليك . انهم يمدون أيديهم يحاولون ادراكك . أتحمس بهم
يلمسونك ؟ » .

فقال زهاروف : « لا » . ولأول مرة خيل الى ان فى صوته اثرا
من رجفة . وكشفت له لمحة سريعة عن حجاب من العرق ظاهرة فوق
جبينه .

« ما أشبه هذا بمركة دائرة الرحى . انها تصيبني بصداع بكل
هذا الدخان والضجيج وأرى قنابل تنفجر بعيدا ورجالا يسقطون من
السماء . لا . لا . ارجعوا . فهو لا يستطيع أن يسمعكم ، ولا جدوى
من الصياح فى وجهى . دعوا احدا يتكلم نيابة عنكم جميعا . ليكن أى

فرد منكم . تقدم أنت أيها الرجل ذو الراية الممزقة . ماذا تريد أن تقول ؟ لا . ليس أنت ! لست أريد أن أكلّم رجلا انفجرت قمة رأسه . فأى كلام معقول يمكن أن يخرج من نصف رأس ؟ أبعد يديك المملطختين بالدم عنى - لا يهمنى من أنت . ما هذا ؟ أوه . فهمت . وهو كذلك . قل ذلك له . . . أنا الجندى المجهول . أنا الرجل الذى دفنوه عند قوس النصر . ويحفظون الشعلة حية لا تنطفئ . اكراما لى ، ويأتون ليضعوا باقات الزهر على قبرى . وقد أتيت أنت ذات مرة ووضعت باقة زهر . اليس كذلك ؟ اجبنى ! » .

فقال ملك الذخائر بصوت لا يكاد يسمع : « أجل » .
« لقد رأيته . فانا أرى جميع من يأتون الى القبر ، وأريد أن أقول لهم ان يذهبوا بعيدا عنى ويوقفوا الحرب القادمة . . . »

وسادت فترة صمت ، ثم تكلم تيكومسة قائلا : « انهم جميعا يضحكون ويطلبون منى ألا أضيق بعدم قولك الصدق ، فأنت رجل هام جدا كما يقولون . ويدفعون الى المقدمة بامرأة - صغيرة القامة عجوز . لا يستطيع أن اتبين اسمها ، فهو قريب فى السمع من « حاجة » . أهذا اسم امرأة ؟ وهى تقول انها أم ابنك . أهذا ممكن ؟ » .

« جاز » .

« وتقول ان اسمك كان « سحر » ، ثم غيرته فى روسيا . والموضع كان اسمه فلكومير ، وذلك من زمن بعيد ، بعيد جدا . وتقول ان ابنك على قيد الحياة ، وانه فقير جدا . وتقول ان لك أحفادا ، ولكن لا رغبة لك فى معرفتهم . فهل يعنى هذا الكلام شيئا بالنسبة اليك ؟ » .

« ربما » .

« لقد أبعدتها تزاحم الجرحى ولم يتركوها تتكلم . لقد عادوا الى الصباح : نقودك ملطخة بالدم ! لديك مال كثير جدا ، ولكنه ملعون ! لقد قتلت رجلا وأنت شاب ، ولكن هذا ليس شيئا ، لأنك قتلتنا جميعا . نحن فى انتظارك فى عالم الارواح ، فكلنا منتقمون ، نحن الذين لا وجوه لهم ولا أحشاء ! يوما ما ستأتى إلينا . . . » .

وصار صوت تكومسة حاد النبرة ، وفجأة هب اليونانى الشيخ قائما على قدميه ، وفى خطوتين كان الى جوار لاني وقال : « أعطنى الدفتر » ، وأخذ الشاب وأعطاه دفتر مذكراته فجذبه زهاروف بحدة وأسرع فيما يشبه الجرى نحو الباب ، وخرج منه وصفقه وراءه .

وكانت هذه نهاية الجلسة ، فلم تقل كلمة بعدها ، الا أن الوسيطة بدأت تتأوه بصورة تحتاج للرثاء . وكان داني متأهبا للمتاعب ، لأن أى عمل مفاجئ من أى نوع له دائما تأثير سيء عليها . وكان قد حذر زهاروف من ذلك ، وهاهى تى الآن وقد استولى عليها نوع من التشنج الخفيف وبدأ الزبد يتساقط فى شفيتها فاسرع لانى وأحضر منشفة ومسح بها . وانتابه الذعر برهة ، بيد أن الأنين خفت تدريجا . وبعد فترة فتحت المرأة عينيهما وسألته « ما المسألة ؟ » ولما رأت المقعد الشاغر قالت « وأين السيد العجوز ؟ » فأجابها « انصرف » فقالت « ما كان ينبغى أن يفعل هذا . فقد نتج عنه ضرر ما . وأشعر بحالتى فى غاية السوء » فقال : « أنا آسف ياسيدتى . فقد انتابه الذعر » فآلته . « هل سمع ما ساءه ؟ فأجابها : « ما ساءه جدا فى الواقع » فسألته : « هل مات له أحد ؟ ! »

وخطر للانى أن هذا مخرج سهل فقال : « نعم . ولم يكن متهيئا للنبا ولم يشأ أن يبدى مشاعره لنا » فقالت . « ولكن هذا ضاربنى أفدح الضرر . فسوف يفضب تكومسة » فقال : « احسبه سيفهم الموقف ياسيدتى » فقالت : « لقد جعلنى هذا أشعر بضعف شديد ، وفى رأسى صداع فأجابها : « أنا آسف . سأطلب لك قليلا من النبيذ أن احببت » فقالت : « أرجوك أن تطلبه . »

فطلب لانى شيئا من النبيذ و « البسكوت » ، بيد أنها لم تشأ أن تأكل ورشفت النبيذ ، وبعد برهة أعانها على النزول وأركبها سيارة أجرة . ولفت نظره وأثار اهتمامه أن المرأة حى فى هذه الظروف المثيرة لم تلح عليه بالأسئلة . فكل اهتمامها موجه الى مشاعرها الخاصة والى أن الناس ينبغى ألا يعاملوها على هذا النحو ، بل يجب أن يكونوا أكثر رعاية لها .

وساعدها على الصعود الى ظهر اليخت ، وقامت الخادم الممرضة الخاصة بالطفل يوهانسى وكانت قد غدت صديقتها - بمساعدتها على أن تأوى الى فراشها وكانت بيوتى والأخريات قد خرجن لمشاهدة مناظر ديب ، فتوجه لانى الى قمرته الخاصة ليسجل مذكراته للمرة الثانية قبل أن تبرد ذكرياته .

تجربة مذهلة حقا ! ولم يكن فى وسعه أن يصدر حكما على جميع

التفصيلات . فهناك مثلا تلك الاكياس المائة والتسعة والستون من العفص ، بيد أن سلوك زهاروف دليل على صدق هذه الكشفوف . وظل المراقب الشاب متشبهاً بنظرته في أن هذه التفصيلات خرجت من العقل اللاواعي لزاكرياسى باسليوس زهاروف ، سابقا باسم سحر ، والذي عرف بأسماء عديدة وانتسب الى محال ميلاد وتواريخ ميلاد عديدة ، وفق مايلائمه في كل مناسبة . ولكن ياله من عقل لاواع يحمله انسان معه اينما توجه ! أهذه هي الأمور التي يفكر فيها عندما يستيقظ في الساعات الأولى من الصباح ويجافيه النوم ؟ كم من الأموال يمكن أن يعوض انسانا عن مثل هذه الذكريات ومثل هذه المشاعر ؟ .

- ٩ -

ولم يستطع لاني أن ينسى أن أباه شخصيا كان صابنا وبائعا للذخائر والأسلحة ، وأنه رشا وغش وحرض على سرقة وثائق كي يصل الى عقد صفقات ناجحة متباينة . فهل لدى روبي عقل لاواع من هذا القبيل ؟ انه يقينا لا يجد من العلائم الدالة على ذلك سوى القليل فوجنتاه متوردتان ، وهو ينام نوما طيبا (هكذا يقول) ويبدو عليه الاستمتاع بالحياة . فهل هذا كله خداع ؟ وهل يتماسك متظاهرا بالباطل على غير أساس ؟ ان لاني يذكر كيف كان روبي ينبرى بسرعة وفضب للدفاع عن صناعة الذخائر والأسلحة كلما سمع هجوما عليها . وليس هذا من علائم الذهن المستريح كل الراحة .

وكان لاني قد حفظ عبارات أبيه المتكررة منذ طفولته الباكرة وفحواها أن مصانع بد للأسلحة من أصول الأمن القومي لأمريكا ، وما تصنعه انما هو خدمة وطنية جريئة . والقول بأنها تعمل بقصد الربح انما هو تشنيع وضيع لأنها تستغل هذه الأرباح مرة أخرى في العمل ، وقد كان هذا هو التقليد الذي جرت عليه الأسرة قرابة مائة سنة . اما أن تلام على بيع الذخائر للبلاد الأخرى في أوقات السلم فهو هراء محض ، لانك لا تستطيع أن تصنع الذخائر والأسلحة بدون عمل دقيق بارع ولا يمكن أن تحصل على مثل هذا النوع من العمل من غير أن تهيب له ما يعمل وتؤدي اليه الأجور التي يعيش بها . والحكومة لا توصي بصنع كميات كبيرة في أوقات السلم ، الا أنها تتوقع أن تجد المصانع كاملة المعدات وعاملة بالفعل ومستعدة للخدمة في وقت الحاجة . فماذا

يوسمك أن تصنع سوى أن تحذو حذو سائر التجار فتبيع سلعك وقتما
وحيثما تجد لها العملاء ؟ .

وثمة فارق أساسي بين ذاكرياس باسيلوس زهاروف وروبي بد .
فروبي يعتبر نفسه وطنيا حقيقة . وهذا بلا مرأى شيء بديع جدا لعقل
لاواع . ومن جهة أخرى كان لانسى قد سمع اليوناني العجوز يقول انه
حواطن في كل بلد يملك فيه عقارا . فهل يريد أن يتيح لكل وطن من
أوطانه أن يحارب أوطانه الأخرى ؟ كلا . فقد سمعه لانى فى أوائل سنة
١٩١٤ يعرف عن بغضه للحرب بلغة أدهشت وحيرت المثالي الحديث السن
جدا . وقد ضحك روبي من مسلكه قائلا ان ذلك العنكبوت الكهل ،
والذئب الكهل ، والشيطان الكهل انما يريد أن يبيع الذخائر والاسلحة
ولكنه لا يريد لها أن تستخدم .

ولكنها استخدمت ! وكتب لزهاروف أن يعيش ويراها تستخدم
وبداهة أساء ذلك الى عقله اللاواعى ! وكان زهاروف قد اشترك فى
احتفالات يوم الهدنة ووضع باقة من الزهر على قبر الجندى المجهول . لقد
فكر فى ذلك الجندى ، وما هو لانى قد عرف الان ذلك التفكير ! .

- ١٠ -

وقال لانى فى نفسه « ما الذى سيتصوره الرجل الشيخ ؟ انه لا
يستطيع أن يعتقد اننى دبرت له هذا واننى أعرف شيئا عن عمه
انطونيادس ! كلا . بل سيعرف أن المسألة صحيحة بلازيف . وعندما
يهدأ سيدرك انه لم يكن سييدا مهذبا على نحو ما ينبغي . ولعله سيرغب
فى طلب الصفح من تيكومسة والقيام بمحاولة أخرى للاتصال بالدوقة » .

وقرر لانى أن ذلك سيكون مثيرا للاهتمام فجلس وكتب مذكرة
ترسل بالبريد من ديبب .

عزيزى السير بازل :

أنا آسف حقا لان الجلسة تمخضت عن ازعاج شديد . وأريد أن
أؤكد لك أننى لن أخبر أحدا بشيء عنها . فقد رأيت امورا كثيرة غير
مطابقة للواقع تبدو فى الجلسات وليس من همى أن أنشرها بين الناس .
فلك أن تعتمد على فى ذلك - لانى .

وكتبت مذكرة أيضا الى ريك على النحو التالى :

أريد منك أن تبحث ان أمكنك عن شخص يقوم بعمل من أعمال البحث والتحري لى ، بمعنى أن يراجع سجلات أولد بيل فى سنة ١٨٧٠ حتى نهاية السبعينات ويتحقق هل من بين النزلاء سجين باسم سحر أو زهر أو زهاروف . وأرسل مع هذا شيكا بعشرة جنيهات دفعة أولى لهذا البحث . وإذا أخبرتنى بالنفقات بين وقت وآخر سأرسل المزيد من النقود . وأرجوك ألا تقول شيئا عن هذه المسألة لأحد ، فيما عدا الشخص الموثوق به الذى تستخدمه فى ذلك - لانى .

وسوف لا يكون من السهل عليه أن يلزم الصمت حول موضوع الاحداث عصر ذلك اليوم . فقد استشير فضول بيوتى وفضول ايرما أيضا . ومن حسن حظ لانى أن الوقت انفسخ أمامه للتغلب على توتر أعصابه ، ولكى تغلب السيدة أيضا على احساساتها السيئة . وأخبر أمرته أنه حاول تجربة مع شخص مهم بهذه الظاهرة ، بيد أن الاختبارات لم تكن مقنعة فهناك أمور معينة لابد من مراجعتها وعندئذ يمكن القيام باختبار ثان . وسيخبرهم بكل شيء فيما بعد . وكان هذا البيان بعيدا عن ارضائهما ، ولكنه ثبت عليه . وسرعان ما عقدت جلسات أخرى ونبتت موضوعات أخرى للكلام وبين الحين والحين كانت ايرما أو بيوتى تقول : « بهذه المناسبة ، ماذا حدث فى مسألة ديبب ؟ » - فيجيب لانى قائلا : « انها لم تسو بعد » .

ولم يتلق من زهاروف ردا ..

- ١١ -

أقلعت السفينة بسى بد البيضاء الانيقة أو على الأصح اندفعت بقوة الزيت الحام الذى يحترق فى آلة من طراز ديزل . وفى « بريرهافن » كان مالكها وابنه الأصغر فى الانتظار فخورين سعيدين ، ولاسيما الابن لأنه كان أبا ، وأبوته جديده لامعة . وكم كان فريدى يعبد تلك الزوجة العذبة الرقيقة ، وكم ارتجف صبورا وهو ينظر الى الكائن الحى الدقيق الذى أوجده ! لقد انقضت ثلاثة أشهر تقريبا منذ آخر مرة رآهما ، والطفل الحديث الولادة يطرا عليه تغير كبير فى هذه الفترة . أما آل روبن الآخرون بما فيهم بيس والخادم المربية - فوقفوا جانبا عندما

صعد فريدى الى ظهر اليخت وشاركوه سعادته التى أبدى الكثير من مظاهرها ، فهو ليس انجلو سكونيا .

وحق لهم جميعا أن يشساركوا فى هذه السعادة لان هذا الطفل الجميل كان قخر مزرعة البانهم التى تجد منهم كل عناية والاب والجد كلاهما كان عليهما أن يقدموا شهادة بخلوه من جميع الأمراض قبل الصمود الى ظهر اليخت ، والقبيلات الناقلة للمعدوى ممنوعة ، ولا تربيت أو تدليل أو دغدغة تسبب الانحلال المعنوى . واغسل يديك قبل أن تسمح للطفل بالتشبث باصبعك لانه كما يمكنك أن تلاحظ يقوم على الفور بنقل ما جمعه من جراثيمك الى فمه .

وكان فريدى قد عمل بجهد هائل طول السنة وأحرز لقب دكتور الذى يشتهيه . وهو فتى وسيم لا يبلغ طوله طول شقيقه ، الا ان له عينين واسعتين سوداوين كعينيه وسحنة جادة . وهو يفتقر الى أقدام هانسي ، ولذا لن يكون رجلا مشهورا بل حسبته أن يكون دارسا جادا ومعلما وزوجا مخلصا وأبا . وهو ليس فى مثل حمرة هانسي وبس ، بل هو أقرب الى لون لانى السياسى فلم تزل لديه آمال فى الديموقراطيين الاشتراكيين الألمان على الرغم من الرخاوة وقلة الكفاية اللتين يبدونهما . وكان فريدى قد قال انه يدرس الاقتصاديات البرجوازية ليتسنى له أن يعلم العمال موضع الخطأ فيها . وقام مع اثنين من أصدقائه الشبان بإنشاء مدرسة ليلية على أساس الخطوط التى حددها مشروع لانى لتعليم العمال فى «الميدى» . وهى عملية لاهزبية كان الاشتراكيون والشيوعيون كلاهما يكيلان لها الطعنات مما أصاب فريدى بخيبة أمل كبيرة . فالعمال يعبثون لحرب الطبقات ولا محل للمتريدين بين خنادق المعسكرين .

وحمل يوهانسي اليهم أنباء سيئة . فظروف الاعمال فى ألمانيا وصلت الى درجة تجعل من المستحيل عليه الاقلاع عبر الاطلنطى ، وطلب اليهم أن يذهبوا الى هناك بدونهم . ووافق بقية أفراد آل روبن على ذلك وفاء بالوعود التى قطعوها على أنفسهم . بيد أن آل بد كانوا يعلمون ان الغرض من وجود اليخت انتزاع بابا من عناء الاعمال . وأدركوا أن آل روبن سيجدون مشقة فى امتناع أنفسهم بدونهم . وتحدثت بيوتى فى الأمر مع لانى وزوجته وقرروا ألا يقبلوا تضحية من هذا القبيل . ولئن كانت ايرما ستأسف لفوات فرصة الاجتماع بوالدتها ، فإن نقل ملكة والده بدينة واحدة عبر المحيط أسهل بكثير من حمل مؤسسة بأسرها على الوصول الى شاطئ لونج ايلند . وقالت ايرما انها فى الحقيقة لا تستمتع

كثيرا باى نوع من الحياة الاجتماعية وهي مطالبة بمراعاة حدود الساعات الاربع ، وترى الأنسة سيفيرن تتجهن ان هي عادت ساخنة متعبة من اثر اى لون من ألوان الرياضة . وتضحك صديقات ايرما الشاببات الانيات منها ويطلقن نكات حول الإبقار . فكان من الافضل لها ان تظل على ظهر اليخت حيث لا حاجة بها الى ايضاحات أو اعتذارات وحيث يؤزرها راحيل بقدوتها الحسنة .

- ١٢ -

تقرر ان يقوم اليخت « بى بد » بالتسكع فى أنحاء بحر الشمال والمياه المتصلة به بحيث يتسنى له العودة بسرعة ليستقله مالكة متى تهيأ له وقت الفراغ وسيقام سباق زوارق أثناء الصيف ، وتقام حفلات موسيقية ومسرحية فى المدن والبلدان القريبة ، وهناك متاحف للفن تزار . أجل ان المرء يستطيع ان يفكر فى طرق لقضاء شهرين أو ثلاثة أسوا من تمضيته على ظهر يخت فاخر قاعدته فى « بريرهافن » . وفى مكتبة السفينة نسخة من ديوان هاينى « صور من بحر الشمال » وبها أيضا معزوفات تصويرية لطائفة من هذه القصائد وتغنى راحيل ، وبزمر فريدى ، ويحدث هانسى صريرا ويقوم لانى وشقيقته بالقرقرة والطرق ، وتقفز مرسلين وتتواهب . وتقتحم ايرما وبيوتى ويوهانسى الاوركسترا طالبين لاعبا رابعا للبريدج .

واقلعت السفينة بى بد - أو دفعت بالديزل - الى كوبنهاجن حيث تفقدت الجماعة القصر الملكى وحضرت حفلة فى المسرح الملكى .

وكانت هذه الحفلة فى موعد يتفق بسهولة مع حدود التوقيت بالنسبة للأمين الشابتين . وقام لانى بدراسة التماثيل وأعمال النحت فى متحف نورفالتسن . وكانت ثمة اعمال كثيرة مثيرة للاهتمام من صنع الانسان تستحق المشاهدة اما اعمال الطبيعة فلم يكن منها الكثير فى هذه الجزر المنبسطة والحلجان الصغيرة التى كانت يوما ما مرتعا لصيادى السمك والقراصنة وبعد أن زودوا أنفسهم بأحمال من الثقافة أعادوا يوهانسى الى « بريرهافن » ثم انطلقوا صوب جزائر فريزيان وزاروا « نورديرنى » حيث كتب قبل ذلك بمائة سنة شاعر تعس قصائد خالده : « لقد استوليت على لى أيتها البحر الخالد ! » .

ثم عاد اليخت الى الميناء حيث استقله صاحبه مرة أخرى ، وقد احضر معه كومة كبيرة من البريد وقد تضمن فيما تضمن رسالة من ريك الى لاني هذا نصها : « فيما يتعلق بطلبك الخاص بسجن أولدييل اتضح أن السجلات لا يمكن الوصول اليها ، ولذا وجهت البحث الى اخبار الجرائم في صحيفة التايمز . وتحت تاريخ ١٣ من يناير سنة ١٨٧٣ وجدت فقرة رقمها ٦١ كالآتي : زخاريا باسيلوس زخاروف (٢٢ سنة) أدين لأنه بصفته وكيل مؤتمنا من جانب مانيويل هيفنتيدس التاجر بالقسطنطينية على مهمة بيع بضائع من بينها ٢٥ صندوقا من الصمغ و ١٦٩ كيسا من العفص قيمتها الاجمالية ١٠٠٠ جنيه ، قام بطريق غير مشروع ومن غير تفويض من موكله بايداعها لحسابه الخاص على سبيل الرهن » .

وتضمن خطاب ريك خلاصة لبقية ما نشر بالصحيفة بما في ذلك التقرير التالي : « وبعد ذلك سحب السجين بناء على نصيحة مستشاره القانوني دفعه بأنه غير مذنب واعترف بأنه مذنب » .

واضاف ريك الى ذلك قوله : « هذا أمر مثير للاهتمام واني اتساءل كيف ستستخدمه وأحب أن أسألك لماذا لا تقدم اليك ارواحك أمورا من هذا القبيل ؟ فانها ان فعلت سأشرع في أخذها مأخذ الجد ! » .

**** معرفتي ****

www.ibtesama.com

منتديات مجلة الإبتسامة

الكتاب الثاني

سحابة كالتين

- الفصل السادس -

« استيقظي يا المانيا »

- ١ -

تشرع عواصف الخريف في الهبوب في وقت مبكر على بحر الشمال واستنادا الى نصوص قصائده نحكم بأن الشاعر هايني لبث هناك الى أن شهد تلك العواصف التي تثور وتسوق بسياطها الأمواج وتعلو الأمواج كالابراج مرغية مزبد ، وتموج جبال الماء بالحياة . وتعلو السفينة الصغيرة فوق تلك الجبال في سرعة وخفة ، وفجأة تغوص في مهاد الطوفان وقد فغرت أفواها المظلمة . أيها البحر ! ياربة الجمال انهض من الزبد ! ياربة الحب ابقى على حبي !

ولكنك حين تدير مزرعة عائمة للألبان لا تستطيع المجازفة بتعريض مالكك من أبقار لدوار البحر ، بل يجب أن تنزلها الى اليابسة قبل حلول الفصل المعتدل ، وأن تتعلم ما يتعلق بالعواصف من صفحات الكتب . وكانت أمام هانس دورة موسيقية ، وفريدى أمامه أن يضع معلوماته الاقتصادية التي اكتسبها موضع التطبيق ، ولانى كان يريد أن يقوم بفحص بعض الصور التي يمكن أن تنزل السوق . وحث لانى وزوجته وأمه وزوجها على اضاء الرقة والفتنة على قصر هائل الحجم في برلين ، وقال مالكه محتجا : ولاى شئ غير هذا اشتريته ؟

وقالت زوجة لانى الشابة له على انفراد : « أتظن أنه من اللائق بنا أن نخالط يهودا على طول المدى ؟ » فابتسم الزوج وقال : « فى وسعك أن تقابلي أى شخص ترومين فى ذلك البيت ، وأؤكد لك أنه سيأتى » فسأله : « قد يكون هذا صحيحا ، ولكن ألا يظن الناس أن فينا شيئا

على غير ما يرام ؟ ، فأجابها : « اؤكد لك يا عزيزتى انهم جميعا يعرفون قيمتك الحقيقية » . فقالت : « لانى ! هذه نظرة فظيعة الى الناس ! » ، فأجابها : « فى وسعك ان توفرى على نفسك قسطا كبيرا من الشقاء ان وثقت برأى فى أوربا فقد عشت هنا معظم حياتى » . وكان لانى حريا ان يضيف الى ذلك قوله : « تذكرى اتورى ! » لولا انه قلما سمح لنفسه ان يشير الى الدوق الايطالى الساحر الذى خالت نفسها يوما ما عاشقة له .

وقالت له : « ولكننا يا لانى لبثنا زهاء خمسة اشهر نعيش على حساب آل روبى ! لن انفق شيئا من مالى الخاص ؟ » فأجابها : « ان كان ضميرك يزعجك اعطى فريدى شيكا طيبا لمدرسته الجديدة وما من شيء سوف يسر يوهانس اكثر من هذا » . فسألته : « ولكنه ان كان يريد شيئا كهذا ، فلماذا لا يصنعه بنفسه ؟ » فأجابها : « ربما كان فيما احسب يخشى ان يصنع هذا ، لانه قد يثير عليه عداوة كثيرين جدا ، أما ان صنعته أنت فسيكون بمنجاة من اللوم » . فسألته : « أهو حقيقة جبان الى هذا الحد ؟ » فضحك الزوج الشاب ضحكة متهكمة وقال : « مرة أخرى اقول لك خذى عنى الراى فى اهل أوربا ! » .

- ٢ -

أمر امير المال الالماني اليهودى بفتح عدد من أجنحة الضيافة وتنظيفها وتهويتها وتزويدها بأزهار نضرة . وكان حريا ان يعيد زخرفتها لئو كان فى الوقت متسع . وكان الجناح المخصص لايرما ولانى به قاعة استقبال فيها بيانو ومخدع للنوم أيضا وحجرة ثياب وحمام لكل منهما . وكل حجرة من حجرتى الملابس بها خزانة ثياب تكاد ان تكون حجرة فى حجمها ويمكن ان تتسع لجميع الثياب التى تصنع تقليدا لأزياء باريس ويمكن ان يقنع خياطو برلين ايرما بشرائها . ولم تكن أدوات ومقابض الحمام الخاص بايرما من الذهب ، ولا أدوات ومقابض حمام لانى من الفضة . فالمرء ينبغي ان يذهب الى أمريكا ليجد نماذج من هذا القبيل . ولكن على الجدران عُلقت رسوم بريشة بوشيه وفراجونار ووطو ولانكريه . وكان لانى يعلم انها لوحات أصيلة ، لأنه هو الذى اشتراها له مع زلطان ، واقتسم معه عمولة العشرة فى المائة . ووجدت ايرما ذلك الموضوع محرجا ، ولكن لانى قال لها : « لقد كان هذا المبلغ هو الذى أتاح لى أن ارتدى ثيابا حلائمة وأنا اخطب ودك ! »

ولصق جناحهما جناح آخر للطفلة والآنسة سيفيرن الجديدة بأن.
يعتمد عليها . وكانت « فيدرس » قد دعيت الى الحضور ببرقية ، ووصلت
لتنولى شئون ايرما : تكتب لها رسائلها وتقوم بدفع فواتير حساباتها
وتنظم لها مواعيدها . وكان يوهانس قد أعد لها خادما تتكلم الانجليزية
على استعداد للقيام بخدمتها منذ لحظة وصولها . والحق انه كان قمينا أن
يأمر باحضار زرافة وليدة من حديقة حيوان هاجنبيك لو كان قد خطر له
أن ذلك يمكن أن يزيد من سعادتها .

ولم يكن على « فيدرس » الا أن تتصل تليفونيا بمكتب ناظر القصر
فى الطابق السفلى فتجد أمام الباب سيارة فى مدى دقيقة أو دقيقتين .
وكانت ثمة مسارح وأوبرات وحفلات موسيقية وسهرات واستعراضات
ليلية توافق جميع الأذواق العالمية أو المنحطة . والقصر قائم فى منطقة
راقية ، وموقعه مناسب من جميع الوجوه ، فلم تجد الأمان الشابتان عناء
فى المحافظة على جدول مواعيدهما للارضاع ويكفى استلقاؤهما على وسائل
السيارة اللميوزين كى يتاح لهما الوقت الكافى للابلال من أى توفز
عصبى وبذلك تتجنبان تكدير كبيرة المربيات . والطفلان لحسن العناية
بهما لم يكونا يبكيان فى الليل الا نادرا ، وهذا على كل حال من اختصاص
المربية الليلية . وفى الصباح الباكر تتسلل هذه المربية الى حجرة نوم
ايرما حاملة اليها الطفلة فرانسس لتتناول وجبتها الأولى فتضعها ايرما
وهى لم تزل نصف نائمة . أجل ان العلم الحديث يستطيع أن يجعل
الحياة مستحبة للمجدودين الذين يملكون الثمن ! والحالمون يتحدثون عن
جعل هذا النمط من الحياة متاحا لكل انسان بيد أن ابنة قطب المشروعات
العامة حرية أن تعيد على مسامعك السؤال القديم : « ومن الذى يقوم
عندئذ بالاعمال القذرة ؟ فهى لم ترتد الى من عسى أن يقوم بها ولكنها
كانت تعرف على وجه اليقين من هم الذين لن يقوموا بها ! »

ان كل عضو من أعضاء هذه الجماعة من الضيوف لديه فكرة خاصة
به عن السعادة . فالآنسة سيفيرن سألت عن الكنيسة الانجليزية فى
برلين ، وهناك التقت بأناس قريبين قريبا كافيا من وضعها الاجتماعى
بحيث وسعها أن تسعد فى صحبتهم . والسيد دنجل اكتشف جماعة
للتفكير الجديد لديهم محاضر من أمريكا ، وبذلك استطاع أن يزود نفسه
بالمجلات التى كان قد افتقدها . ومن حسن حظ نشرات طانفتى
« الكرستيان ساينس » والتفكير الجديد انها لا يمكن أن تفقد جدتها بمضى
الزمان لأنها تعالج حقائق خالدة . والعيب الوحيد فيها انها معرضة

للتشابه الرتيب لأنها تقول شيئا واحدا • ولم يصد ذلك السيد دنجل
فراح يصحب السيد سيزنسكى الى كنيسة روحية • ولم يكونا يعرفان
الا بضع كلمات من اللغة الالمانية ، ولكن الارواح عالية ، وثمة دائما
أشخاص من الاحياء على استعداد لمعونة شخصين أجنبيين •

- ٣ -

برلين المدينة العظيمة ، عاصمة الأحلام البروسية المنهارة • أقواس
نصر ، وتمائيل هائلة من الرخام لأبطال أسرة « هوهنزولرن » ، وقصور
امراء الزمن الغابر وامراء المال المحدثين ، وفنادق باذخة ، وبنوك بمثابة
معابد لشیطان المال والجشع • وفي الشوارع يتضور عدد لا يحصى من
الجوع يتوارون بالكهوف الحجرية والاقبية أو يعسكرون بخيام فى المواضع
الخالية يطاردهم الخوف ، ويسيطر عليهم جنون الكراهية فمن سكان بلغ
عددهم أربعة ملايين قد لا تجد نصف مليون من الراضين عن حالهم حقا ،
فما من شارع يمكن ان تهرب فيه من منظر السحن الهضيمة المكفهرة ،
ولا شارع يخلو من المتسولين رغم قانون تحريم التسول أو يستطيع فيه
رجل حسن الهندام ان يتجنب الحاح النساء والأطفال الناقصى النمو
ذكورا واناثا ينشدون بيع أجسادهم لقاء ثمن وجبة •

واغلق عينيك دون هذه المناظر وعقلك دون هذه الخواطر ، فاذا
المدينة مختالة فاخرة مضاعة فى الليل كالطريق الأبيض العظيم فى
نيويورك ، وواجهات المتاجر حافلة بوسائل الأناقة ، وثمة حشود من
الناس تحلق فيها وفريق منهم يشتريها • وقل لنفسك ان قصص
البؤس مبالغ فيها ، وان - عرض الغلمان والبنات كان معروضا للبيع فى
(نيرى) وفى بغداد ، وانه الآن معروض للبيع فى لندن ونيويورك ، وان
كانوا هناك يعمدون الى مزيد من الرياء الانجلوسكسونى • لقد كانت
الدعارة لعنة المدن الكبرى منذ قامت المدن الكبرى ، ان أكداسا من الناس
يأتون ليحشروا فيها وقد أغراهم الأمل فى الثراء السهل ، أو دفعت بهم
من الأرض عوامل اقتصادية لم يتعلم الناس قط كيف يسيطرون عليها •

وكان ذلك شيئا ينبغى ان يقدر على الكلام فيه فريدى روبن وقد
صار الآن « هردكتور » بمؤهل رسمى فى علم الاقتصاد • وهو يقول ان
الجامعة العظيمة لم تزل تاركة هذه المسألة لغزا غامضا على الطلاب فالمنهج

الأكاديمي السليم ان تجمع أكدياسا من الوقائع ، على ان تكون التفسيرات في الحدود التاريخية وحدها فتدرس ان نمط المراحل الثلاث للاقتصاد البدائي كما نادى به « فريدريش ليست » قد هجره العلماء على اثر الانتقادات التي أدلى بها علماء الانثروبولوجيا ، وان نظرية روشر في الاقتصاد القومي . باعتبار ان ذلك الاقتصاد أصبح جزءا من التاريخ حل محلها رأى مدرسة شمولر التاريخية الجديدة . فلاضير ان تعلم ان الضياع الكبيرة ، أو الأبعاديات ، في عهد روما القديمة كان الأرقاء هم الذين يقومون بالعمل فيها وبذلك دفعوا بالمزارعين الأحرار الى المدينة حيث تكدسوا في مساكن كبيرة متداعية من خمس طبقات سرعان ما احترقت بهم . ولكنك ان أشرت في قاعة الدرس الى أن اتجاهات كهذه أخذت تظهر في برلين ، نظر اليك الأستاذ شندرا ، فمستقبله متوقف على تحاشي المنازعات السياسية .

ومن المفروض يقينا ان الألمان يتمتعون بحرية أكاديمية ، وانك تستطيع أن تصفى لأستاذ كاثوليكي في قاعة للمحاضرات ولأستاذ اشتراكي في القاعة المجاورة لها . ولكن متى وصلت المسألة الى الترقيات فلا بد لشخص ما ان يقرر من الذي ينال الترقية . ولا ينتظر من السلطات أن تمنح الأفضلية لرجال يفذى تعاليمهم السخط والبروليتارى الذي يهدد البلاد بتمزيق أوصالها . أو هكذا على الأقل وصف فريدى روبن الموقف في جامعة برلين العظيمة .

- ٤ -

وصل آل بد قبل موعد الانتخابات القومية في سبتمبر سنة ١٩٣٠ بأسبوع تقريبا ، فكانت المدينة في صخب مانج ، بلافاتها وملصقاتها المنتشرة في كل مكان ومئات الاجتماعات التي تعقد كل ليلة ، والاستعراضات التي تستخدم فيها الفرق الموسيقية والرايات ، والحشود الصائحة والمتقاتلة في كثير من الأحيان . وكان التوتر أشد من كل ما شهده لاننى قبل ذلك اطلاقا ، فالأحداث في ألمانيا متجهة الى التآزم تحت ضغط الانهيار الاقتصادى ولذا وجد كل انسان نفسه مضطرا لاتخاذ موقف محدد .

وأراد الشباب من الأسرة ان يروا هذه المشاهد ، وكان لابد لها نسي

وبيس ان يحضرا اجتماعا شيوخيا. ليلة وصولهما بالذات وذهب معهما الباكون على سبيل المجاملة . وكانت القاعة الكبرى في منطقة (الموبين)(١) مزدانة ببيارق شريطية حمراء واعلام حمراء ظهرت فيها المطرقة والمنجل باللون الاسود ، وكانت ثمة أيضا قرنفلات حمراء او ورود حمراء صناعية مثبتة في صدور الناس . والجمع المحتشد كله من الطبقة العاملة تقريبا : فوجوه النساء هضيمة تنير الرئاء ، ووجوه الرجال مكفهرة واجمة ، والشباب حقيرة نظيفة بوجه عام ولكنها مرقعة بدرجة تخفى معالم القماش الاصيل ، فكثير من هؤلاء الرجال لم يحظ ببذلة جديدة منذ الحرب .

وجعل الخطباء يهدون ويصيحون واثاروا الجمع الى درجة الهياج الجنوني ، فصار غناؤهم يذكر المرء بجيش يزحف الى أرض المعركة . وقام رباعي بالقاء أناشيد ذات ايقاع كضربات المطارق عبارة عن ترديد متواتر لكلمات بسيطة ، اشبه بالدروس التي يكررها الأطفال في المدارس بنغمة متواترة وترجم لاني لزوجته تلك الكلمات : « استعدوا لتولى زمام الامور ! استعدوا لتولى زمام الامور ! »

وكانت ايرما قد وعت الكثير عن هذا الموضوع اثناء اقامتها في هاتين الأسرتين الغريبتين ، فقد أصغت للخال جيسى واصغت لهانسي وبيس وهما يجادلان لاني ، وأيضا وهما يجادلان والد هانسي بين الحين والحين . والشيوخيون لا يريدون قتل أحد اللهم الا اذا حاول أحد المقاومة بل كل ما يريدونه هو أن يحققوا في المانيا ما حققوه في روسيا فيصادروا ممتلكات الأغنياء وينزلوهم الى مستواهم من الضنك والعيش في الاكواح الحقيرة . وقد ابتسم يوهانسي وقال انهم حريون أن يحولوا قصره الى متحف ، وأن هذا لا يضره لأنه سيشتري عندئذ قصرا آخر في لندن ثم قصرا في نيويورك ، ثم قصرا في « تاهيتي » . وفي هذه المدة تكون روسيا نفسها قد ارتدت الى الرأسمالية فيعود الى هذه المنطقة ويكون ثروة جديدة له مرة أخرى .

ان رجل المال جعل من المسألة نكتة ولكنها في هذا الاجتماع لم تكن نكتة ، فلم تصدر عن المجتمعين ضحكة واحدة طيلة المساء ، واقترب شيء الى الضحك كان بضعة أصوات استهزاء لا يكاد يميزها المرء من صيحات الغضب . وهذه ما يسمونها الطبقة العاملة (البروليتاريا) ، سكان الاكواح والأحياء القذرة ، الذين يهددون بالانفجار وهزيمة الشرطة

قوم يعادون اليهود منذ قديم

الترجم

واغارة على بيوت من يسمونهم « المستغلين » وكان الخطباء يسمعون للفوز في انتخابات « الرايشتاج » ، حيث يريدون أن يصبوا ذلك اللون من التنديدات . وتلفتت ايما حولها بعدم ارتياح وسرها أنها كانت من الفطنة بحيث لم تتزين بشيء من مجوهراتها للقدوم الى هذا المكان . ومع هذا فالوجود هنا غير مأمون الجانب على كل حال ، لأن الاشتراكيين الوطنيين كثيرا ما هاجموا الحشود في ساعة خروجها من الاجتماعات الحمراء ، وتنشب المعارك ، وتطلق النيران في بعض الأحيان .

- ٥ -

وكان الديموقراطيون الاشتراكيون يعقدون اجتماعات كبيرة ، فهم الى حد بعيد أضخم حزب في الجمهورية ، بيد انهم لم يحرزوا قط أغلبية قاطعة لا من حيث عدد الاصوات ولا من حيث التمثيل النيابي ، ولذا لم يتج لهم قط أن يفرضوا حكمهم على البلاد . وهل تراهم لو وصلوا الى ذلك كانوا حريين أن يعرفوا ماذا يصنعون ؟ وهل كانوا يجرءون على محاولة ادخال الاشتراكية الى أرض الوطن ؟ كان من رأى هانسي ويبس ان الاشتراكيين الديموقراطيين حزب تشل حركته أفكاره عن الاجراءات الشرعية ، فهو حزب أصحاب المناصب أو البيروقراطيين الذين يحتلون مقاعد المكاتب الدوارة ويفكرون في كيفية الاحتفاظ بأعمالهم ورواتبهم . ولئن وصلوا اطلاق اسم الاشتراكيين على أنفسهم وترديد شعارات الحزب الا ان هذا كله ليس سوى طعم يقدمونه لأصوات الناخبين . فليست لديهم فكرة عن كيفية ادخال الاشتراكية الى الحكم وتطبيقها ، ولا يظنون من الضروري أن يبحثوا عن وسيلة ذلك .

ولما كان لاني متعلقا بوسائل الديموقراطية التي تحترم النظام فقد كان يعتبر من واجبه أن يساعد هذا الحزب . وكان في الايام السالفة قد أحضر خطابات تقديم من لونغية ، فذهب الآن ليجدد تلك المعرفة القديمة ويثبت اخلاصه بالتبرع لصندوق معركة الحزب الانتخابية . وصحب أسرته الى إحدى الاجتماعات الجماهيرية . لو كان هناك خمود أو كلل فهما يقينا لم يظهرهما في هذه المناسبة العامة ، فالقاعة كانت مكتظة حتى الابواب ، والرايات، والبيارق الشريطية في كل مكان . وعندما ظهر خطباء الحزب المفضلون ارتفع الهتاف الى السقف ثم ارتد من السقف الى الارض . ولم يكن هؤلاء الرجال يهذون ، ويهرفون ، ويتوعدون على نحو ما فعل

«الشيوعيون ذلك ، بل كانوا يناقشون المشكلات العلمية التي تواجه العمال الالمان ، ونددوا بكلما الفريقين المتطرفين لتضليلهما الشعب بالوعود الكاذبة . كان اجتماعا وقورا شعرت فيه ايرما بمزيد من الراحة . فلم يكن فيه شيء يمكن أن ينشب حوله عراك .

وفي طريق العودة الى البيت ناقش الشباب ما سمعوا . واما بييس- التي كانت تستخدم اسطوانات الخال جيسى المحفوظة بعينها - فقالت ان هذا الحزب شاخ . انه حزب الاجداد ولذا تتوفر له وسائل استدراج الجموع . وادفت قائلة « ولكن هؤلاء المستشارون البلديون الذين يرددون عباراتهم الجامدة يجعلون المرء يفكر في ببغاوات بدينه موفورة الغذاء ترتدى ملابس السهرة » فرد عليها لاني بلهجة لا تخلو من الحبث : « والشيوعيون ليست لديهم عبارات جامدة مكررة بطبيعة الحال ! » وكان هذان الاخوان يحب كل منهما الآخر ، الا انهما لا يستطيعان أن يتناقشا في السياسة دون عراك .

وكانت بييس تشير الى الموظفين الذين تحدثوا عن جهودهم لزيارة امداد المدينة باللبن وتخفيض ثمنه . وكان لاني قد وجد الاشتراكيين يناقشون هذا الموضوع بعينه في نيويورك . وهو موضوع لا يخلو من الاهمية بالنسبة لنساء الفقراء ، ولكنه اعترف انه «موضوع مضجر وخال من اثاره المشاعر بطبيعة الحال ، على خلاف الدعوة الى القيام بالثورة في الاسبوع القادم . » فانفجرت أخته قائلة : « اعرف هذا . ولكن في الوقت الذي تناقشون فيه ثمن اللبن ، يحصل النازي على مخازن سرية للسلاح ويضعون خططهم لاعلان الثورة المضادة في الاسبوع القادم . » وقال هانس : « وأمراء الرجعية يتآمرون معهم وكبار الراسماليين يقدمون لهم المال لشراء الاسلحة ! » وبذلك دخل منطقة خطرة لان أباه كان احد أولئك الراسماليين . فالى متى يظل هذا السر مكتوما في أسرة روبن ؟

- ٦ -

وأراد لاني أن يسمع جميع وجهات النظر . أراد أن يعرف ماذا يصنع النازيون وماذا يقولون ولو ليبعث الى ريك ببيان عنه . ومن بين معارفه في برلين هاينريش بونج الآري الأزرق العينين المتحمس من أبناء سميليسيا العليا . وكان هاينريش قد قضى ثلاثة أعوام يدرّب نفسه كي يخلف أباه في وظيفة كبير حراس الصيد والقنابة في أملاك « جراف

شتوبندورف ، ، الا ان هذا كله نحى جانبا الآن واصبح هاينريش موظفا في حزب العمال الالمان الاشتراكيين الوطنيين ، وشغل منصبا عاليا فيما يسمونه الشبيبة الهتلرية وظل سبع سنوات أو ثمان يرسل بالبريد منشورات الدعاية الى لاني بد في بيان فينو ، ولم يتخل قط عن الامل في ان يشعر بأنه الآرى نقي الدم بتأثير روابط السلالة عليه .

واتصل به لاني تليفونيا ، فسر هاينريش لذلك ورجاه أن يحضر الى مقر قيادة الحزب . ولم يجد الزائر من الضروري أن يذكر له واقعة اقامته في بيت رجل من أسوأ اليهود المستغلين شهرة . ولو ذكر له ذلك لما كانت له أهمية ، لأن مثل هذا التصرف الشاذ من أمريكي ليس له نفس المعنى حين يصدر من الماني . وكان أحد الرحالة الالمان قد وصف أمريكا بأنها « أرض الامكانيات غير المحدودة » . وكان الاغنياء الناجحون من تلك المنطقة الاسطورية يسرون على أرض أوربا العادية وكانهم انصاف آلهة . بل ان الفوهرر نفسه كان يخشاهم منذ بلغه انهم لم يولوا الادبار أمام الجيش الالماني الجبار . وانه لمجد عظيم لموظف مسئول شاب في الحزب أن يتمكن من ادخال مثل هذا المؤمن الجديد الى ديانة الدم وأرض الوطن .

وكان البروسي الشاب الازرق العينين الاشقر الشعر قد نضج نضجاً عظيماً في الاعوام الثلاثة أو الاربعة التي انقضت منذ رآه لاني أول مرة وصار له مكتبه الخاص في مبنى النازي الكبير ، واحاطت به جميع مظاهر السلطة وملحقاتهم ، من ملفات وخرائط ، الى تليفون فوق مكتبه وأجراس طنانة لاستدعاء مرءوسيه . وكان مرتدياً زي فرق الهجوم الرسمي ، وهم جنود الحزب الذين صار سيرهم وقرع طبولهم الآن من بين المشاهد المألوفة في المدن الالمانية ، بقمصانهم البنية وبنطلوناتهم البنية ذات الخطوط السوداء واحذيتهم السوداء اللامعة ، وشرائط الاذرع الحمراء المنقوش عليها الصليب المعقوف باللون الاسود . تبدو عليهم الوسامة والنشاط والحدة . وابتعد عن طريقهم فهم جادون في بلوغ أهدافهم . « اخلوا الطريق للكتائب البنية » ! .

ولم يتلبث هاينريش في مجاملاته الا الوقت الكافي للسؤال عن صحة زوجة لاني والطفلة ، وكان قد سمع بولادة الطفلة من كيرت ، ثم شرع يصب عليه قصة المعجزات التي حققها « آل ن . س . د . ب » - وهي الحروف الاولى من اسم الحزب باللغة الالمانية - منذ تلك الايام الخالية التي كشف فيها طالب علم الغابات حقيقة الحزب وهو شتلة صغيرة برزت

برأسها منذ قليل من الأرض الباردة في الشتاء . وقال هاينريش : ان البلوطات الطوال تنمو من صفار الجوز ! » وكان قد كتب هذه العبارة في كراسة للتمرين على الخط الانجليزي في المدرسة .

وقدم هاينريش سلما الى لاني صعدته الى الفروع العليا من شجرة البلوط الدائمة الامتداد . والشبيبة الهتلرية تتكون منها الفروع التي تكثر عليها البراعم الجديدة الكثيرة . ولخدمة هذا الجزء من الشجرة وجدت سائر أجزائها . فالمانيا المستقبل يجب ان تتعلم كيف تسير وكيف تقاتل وتنشد أناشيد المجد وترنم بالوطن الجديد الذي سوف تبنيه . ان المانيا الغد تحصل على تغذية طيبة وتدريب جيد ، وهي صحيحة البدن والاطراف ويجب ان تعرف العقيدة النازية وتقسم يمين الولاء لما يسمونه مبدأ الزعامة وهو الايمان بأن الفرد يوجد للدولة وان الدولة يسوسها قائد واحد ملهم . ولا أهمية لاختلاف أنواع البيوت التي جاء منها هؤلاء الشبان لان النازيين سيجعلون منهم نمطا واحدا متشابها ، هو نمط عضو الحزب الكامل المطيع لان الطاعة متعة له ولان المستقبل للاقوياء الوثاقين بأنفسهم المتحدين .

وكان لاني قد شهد هذا المبدأ يعمل في نفس شاب آرى واحد متين البنية وما هو يكتشف انه قد صار الآن آلة تعمل على تحويل الالوف من النماذج الاخرى الى نسخ مطابقة له تمام المطابقة . آلة لصنع الآلات ! وعلى الجدار خريطة تبين المكاتب الفرعية لهؤلاء الشبان الآلات ومواقعها آ وهي ليست في ألمانيا فحسب بل في كل مدينة على وجه الأرض يعيش فيها الالمان . وكانت ثمة خرائط ورسوم بيانية ، لان كل شيء في هذه البلاد يتم بأسلوب علمي بما في ذلك دعاية هتلر .

وكانت احدى اللافتات على جدار هاينريش تقول : « استيقظي يا المانيا ! » والفوهرر مبتكر عظيم للشعارات ، يمتلك في مكان سري ويفكر في مئات كثيرة من الشعارات ترد على خاطره فيزن كلا منها - . وحينما يختار شعارا منها يظهر على ملصقات في الشوارع ويهتف به في الاجتماعات التي تقام بكل قرية ومحلة في البلاد . « استيقظي يا المانيا! » -

- ٧ -

وتأثر لاني بما أظهره له الموظف المسئول الشاب من تفاخر واعتزاز وهو يشرح له التنظيم المعقد الذي عاون في بنائه ، واقسامه المتبانية وما

تحت تلك الاقسام من فروع ، ولكل منها موظف مسئول يحمل لقباً من تلك الالقاب الضخمة التي يحبها الالمان كثيرا . وعلى رأس هذه الآلة الهائلة بطبيعة الحال الواحد الاوحد ادولف ، زعيم الحزب والقائد الأعلى لفرق الهجوم ورئيس الـ ن . س . د . ا . ب . و . ومن تحته معاونون وسكرتاريون ورئيس أركان ، وزعيم شبيبة الرايخ (وهو رئيس هاينريش) ومدير ادارته ، ومديرون مساعدون لعدد من الادارات المختلفة، ومدير ادارى ومالى ، وسكرتير ، ومجلس رياسة ، ومجلس ادارة الرايخ .

وثمة أيضا تنظيم سياسى ، أو على الاصح تنظيمان هما ت . س . ا و ت . س . ٢ . فلديهم اثنان دائما من كل شيء ، فيما عدا الفوهرر ، بحيث تشعر بالدوار لمجرد سماعك بكل هذه الالتزامات والمسئوليات : القسم الاجنبى ، وقسم السياسة الاقتصادية ، وقسم السلالة والثقافة ، وقسم السياسة الداخلية والقسم القضائى ، وقسم الفن الهندسى وقسم العمل، وقائدا دعاية الرايخ رقم ١ ورقم ٢ ، وقائدا تفتيش الرايخ رقم ١ ورقم ٢ ولجنة التحقيق والتوفيق – وياله من لقب ضخم ذلك الذى أطلق بالالمانية على أعضاء هذه اللجنة ولكن لا تسخر منه ، لان هاينريش يونج سيبين لك ان الحزب يستعد للاستيلاء على مقدرات الوطن ، هذا اذا صرفنا النظر عن مقدرات أمم أوربية كثيرة منحلة وغير أوربية وكل هذه الاجهزة الضخمة وأكثر منها ستظهر الحاجة اليها . ولذا انشئت لجنة للتربية البدنية والرياضة ، ومكتب قيادى للصحافة ومؤسسة للنشر وادارة للأفراد وأجهزة كثيرة أخرى .

وهاينريش مسئول عن الامور فى قطاع واحد من الشبيبة الهتلرية، ويتبع هذا القطاع احدى وعشرون منطقة جغرافية فى جميع أنحاء ألمانيا وهم يريدون مدرسة لقادة النازى المنتظرين وينشرون ثلاث مجلات شهرية ومجلة نصف شهرية . وثمة ادارات تشرف على الصحافة والثقافة والرعاية والرياضة الدفاعية – فهم لا يتعلمون كيف يقاتلون الشباب الشيوعى فحسب ، بل يتعلمون كيف يجعلون من ذلك القتال رياضة أيضا ! وهناك كذلك التنظيمات الصفري مثل «الشبيبة الالمانية» و «اتحاد الفتاة الالمانية» و «اتحاد الطلاب» و «رابطة النساء» وهلم جرا الى مالا نهاية فيما يبدو . وكان لانى بد المذهب مسرورا فى نفسه لان الوقت وقت انتخابات ، وبذلك كان عدد كبير جدا من المرءوسين فى الانتظار لتلقى الاوامر من هذا المفسر المتدفق حماسة .

وثمة شيء لن يفوت مسئول الحزب الشاب أن يصنعه لصديقه القديم : الا وهو اصطحابه الى الاجتماع الهائل في قصر الرياضة ذلك الاجتماع الذى سيكون ذروة المعركة الانتخابية النازية ففيه سيوجه الفوهرر بنفسه نداه النهائي الى الناخبين الالمان ، ولن يكون لهذا الاجتماع شبيه بين كل ما شهدته العالم من قبل . فهذا الرجل الرائع قضى الاشهر الاخيرة متنقلا بسرعة واندفاع بين سائر انحاء البلاد ملقيا عدة مئات من الخطب . وهو يتنقل بالطائرة ، او فى سيارته المرسيديس ، مرتديا معطف المطر الاحمر القاتم الذى رآه فيه لانى فى الايام الخالية . وقد لا يكون ذلك المعطف بعينه ، ولكنه قطعاً نفس الزعيم البسيط المتفانى الملهم الذى جعل رسالته احياء المانيا ، ثم احياء العالم أجمع . واليوم نسمع المانيا ، وغدا نسمع العالم أجمع !

وبين له هاينريش انه من الصعب الحصول على مقاعد فسوف يكون صف طويل من الناس منتظرين على ابواب قصر الرياضة منذ الصباح الباكر ليضمنوا الحصول على أماكن طيبة . وستكون هناك بالطبع أماكن محجوزة للشخصيات الهامة ، وقبل لانى منه أربع تذاكر . وكان يعلم ان ما من أحد من أفراد آل روبن يمكن أن يحضر اجتماعا للنازي ، فلن يكون ذلك أمرا مأمون العاقبة . فقد يقدم أحد على البصق فى وجوههم أو ضربهم اذا تخلفوا عن أداء التحية النازية أو الهتاف « هايل هتلر ! » . وببمس تبفض تلك الحركة وعقيدتها ، وهى قد اصبحت فضولها كل الاشباع حين شهدت كتائب الهجوم تقوم بعرضها ، وحين اقلت النظرات العرضية على صحفهم .

وقبل الثامنة بكثير كان لانى وزوجته وبيوتى وزوجها فى مقاعدهم، والفرق الموسيقية تصدح وباعة النشرات فى عمل دائب ، والسرايا المسلحة قائمة بالحراسة فى الحلبة المترامية - فليبتعد الشيوعيون ! وثمة زينة كبيرة من الاعلام والبيارق الشريطية عليها الشعارات المألوفة : « لتسقط فرساي ! » « الحرية والحبز » . « واستيقظي يا المانيا ! » « انهاء التعويضات ! » « الثروة العامة قبل الثروة الخاصة ! » « حطموا اغلال عبودية الربا ! » وكان هذان الشعاران الاخيران من الشعارات الاساسية التى انحدرت اليهم من الايام السالفة . وقد قال روبى انهما عمليا من قبيل شعارات « أعداء

الثراء ، فى الولايات المتحدة ، وهم الشعبيون « وحزب الخضر » ، فهم يتوجهون بدعوتهم الى الدائنين وصغار الزراع وصغار اصحاب الاعمال الذين يشعرون ان الاتحادات الاحتكارية الكبرى تسحقهم وتستنزفهم . فهذه الحركة الهتلرية ثورة تقوم بها الطبقة المتوسطة الصغرى التى اطاح التضخم بكل اثر لدخراتها وراوا انفسهم وقد هبطوا الى مستوى العمال .

وبدا الناس فى عينى ايرما هنا احسن ممن راتهم فى الاجتماعين الآخرين : والازياء السوداء والفضية التى كان يرتديها افراد كتبية الامن وهم يقومون بالحراسة واجلاس الناس كانت جديدة وانيقة اناقة كافية ، وقد اظهر هؤلاء الشبان يقظة وكفاءة . والغناء الصادر بحرارة عن عشرين او ثلاثين الف شخص له وقع فى النفس ، ولم تكن ايرما تدرى ان هذه الاناشيد حافلة بالكراهية للفرنسيين البولنديين ، وان كانت تعلم ان النازيين يبغضون اليهود . ولئن تعلمت كيف تشغف باسرة يهودية واحدة ، الا انها تخشى ان يكون هناك حتما عيب ما فى بقية اليهود فكثيرون جدا من الناس يقولون هذا . ومهما يكن من شئ فمن حق الالمان ان يقرروا ما يريدون من امور وطنهم .

واستمر الانشاد والقاء الكلمات ساعة او نحوها ، ثم قرعت الطبول، وانبعثت اصوات الابواق مدوية مجلجلة عند المدخل الرئيسى ، فوثب جميع من فى المكان المتراعى من الرجال والنساء واقفين على اقدامهم . فقد حضر الفوهرر ! واقبلت فرقة من كتائب الهجوم فى مشية مهيبه ، حاملين اعلاما على اطرافها اسنة او حراب . وعزفت الفرق الموسيقية الجمل الافتتاحية الرائعة التى تسير على نغماتها الآلهة عبر جسر من قوس قزح الى فردوس الملكوت «فالهاالا» فى ختام اوبرا «ذهب الراين» (١) ، وعندئذ تقدم قادة الحزب فى سمت عسكري فخم ، يسرون على هيئة مربع مجوف لحماية زعيمهم الواحد الاوحد . ولا بد ان شخصا ذا حاسة درامية قد رتب لهم هذا كله ، شخصا تعلم فن فاجنر وكيف يجمع بين الموسيقى والمناظر والحركة فى عمل واحد يرمز الى مطامع النفس البشرية الاساسية ، ولكي يصور للرجل العادى أشواقه الدينية فى صورة واقعية محسوسة .

من هذا العبقري ؟ كل من فى القاعة - ربما فيما عدا افراد قلائل من

(١) من تاليف فاجنر .

(المترجم)

امثال لانى بد - كانوا يعتقدون انه الرجل القصير الذى يسير داخل مربع
حرس الشرف ، وذلك الرجل البسيط الذى يرتدى معطف المطر الاحمر
القاتم العتيق ، ذلك الرجل الذى لم تستطع آيات التشريف ان تفسده ،
ذلك الرجل الذى وقف نفسه على خدمة وطنه ، ذلك الذى ولد من عامة
الشعب ، فهو ابن موظف مغمور فى الجمر ك النمى ، وصار اونياشيا
فى الحرب العالمية حيث جرح واصيب بالغازات السامة . انه عامل مغمور
ذو احلام جبارة ، يحلم بالمانيا متحررة تسترد مكانتها بين الامم ، او ربما
فوق الامم .

ولم تكن على راسه قبعة ، وشعره الاسود الطويل المرجل فى اتجاه
جانبي واحد يسقط بين الحين والحين فوق جبينه الشاحب فيتحاتم عليه
رفعها عن الجبين ، انه رجل لا زينة عنده مثلك ومثلى . رجل فى وسعك
ان تهز يده وهو يبتسم بمودة لكل من يحيونه . وترتفع عاصفة من
التهاف ، واذا هتافات «هايل» - ومعناها يحيا او يعيش - تصبح كوابل
من القطر فى عاصفة من المطر بحيث لا تستطيع ان تميز التهافات الفردية،
فكان الاصوات غدت وحدة واحدة كحزب العمال الالماني الاشتراكي
الوطني .

ولم يكن لانى قد حضر اجتماعا امريكي للنهضة او البعث على الطريقة
القديمة ، ولكن صديقه جيري بندلتون من كنساس كان قد حدثه حديث
اجتماع من هذا النوع ، وها هو الاجتماع الثانى . فهل ترى جاء احد من
الجنوب الامريكي او من ولايات الغرب الوسطى فعلمهم هذه الفنون من
اثارة نفوس البدائيين بحيث يسهمون فيما يصنع بهم ؟ ام هذا شيء يحدث
فى النفوس البدائية فى كل مكان فى الدنيا ؟ ان الخطباء فوق المنبر
يوجهون أسئلة فتصبح عشرون الف حنجرة بالجواب . وكل ما هناك انهم
لا يصيحون هنا : «المجد لله !» و «مبارك الرب !» ، بل صيحاتهم
دنيوية من قبيل : «لتسقط فرساي !» و «سحقا لليهود !» و «استيقظى
يا المانيا !» .

- ٩ -

لقد انقضت سنوات سبع منذ شهد لانى تشارلى تشابلن يظهر على
المسرح فى حانة كبيرة للبيرة فى ميونخ . وها هو مرة أخرى بشاربه
الاسود الصغير بعينه وسلوكه الخجول المتواضع كأنه يسترحم الناظرين

اليه • بيد انه الآن اشد بدانة لانه يحصل على تغذية أفضل • والآن ايضا توجد اضمواء كثيرة مركزة عليه كأنها تقول لكل انسان ان المظاهر خداعة، وان هذا الانسان من نوع خاص ، فالرايات والرموز والشعارات والطقوس والاماني والقرارات كلها صدرت عن روحه • انه المسيح • انه ذلك المختار المرسل لانقاذ ارض الاباء في ساعة امتحانها العظمى •

ويشرح في الكلام ، ولاني يعرف جيدا كل نبرة من نبراته • فهو يبدأ هادئا والقاعة المترامية ساكنة سكون الكون قبل أن يخلقه الله • ولكن سرعان ما يبدأ الرجل صاحب الرؤيا في التوقد وهو يتحدث عن رسالته والشعارات التي علمها لجميع الالمان تفعل فعلها فيه مثلما تفعل فعلها في الآخرين وتسيطر على كيانه كله • انها شرارات من شعلة مستعرة ليل نهار في دخيلة نفسه • انها شعلة كراهية « آدى » لحياته الشقية الخائبة ! شعلة كراهيته لابيه ، ذلك البيروقراطي الحقير الغبي الذي أراد أن يجعل ابنه علي غراره ولم يسمح له أن يفدو فنانا ، شعلة كراهيته للناقدين وتجار الصور الذين أبوا أن يعرفوا بمحاولاته الحقيرة في الرسم ، شعلة كراهيته للمتلافين والمتبطلين في فنادق النوم الرخيصة الذين أبوا أن يصغوا لهذيانه الملهم ، شعلة كراهيته للروس والفرنسيين والبريطانيين والالمان الذين أبوا أن يدعوا أومباشيا مغمورا يكسب الحرب شعلة كراهيته للماركسيين الذين خانوا المانيا وطعنوها في ظهرها ، شعلة كراهيته لليهود الذين أثروا من يؤس المانيا وشقائها ، شعلة كراهيته لجميع الذين يقفون الآن في طريق مصيره ويعارضون حزب «آدى» الذي سوف ينقذ المانيا من مهانتها • كل هذه الالوان من البغضاء اندلعت ألسنتها من نفس واحدة خائبة فاشعلت النار في صندوق البارود الذي تحولت اليه المانيا • وها هو صندوق البارود يتوهج ويتقد !

ولم تكن لدى الفوهرر ومضة فكاهة واحدة ، ولا اثر من فتنة فهو رجل غير مثقف يتكلم بلهجة ريفية نمساوية ، وعلى غير قواعد النحو في جميع الاحوال وصوته اجش من تأثير ألف خطبة القاها • بيد انه يرغب على الارتفاع بلا رحمة وينطلق هاذا صارخا ملوحا بذراعية هازا قبضتيه المضمومتين في وجه أعداء المانيا ، والعرق يتصبب من سحنته الدهنية المتكتلة ، وشعره الغزير يسقط على عينيه فيضطر الى تطويحه الى الخلف •

كان لاني يعرف كل ايماء وكل كلمة فآدى لم يتعلم شيئا ولم يتغير فيه شيء في هذه السنوات السبع قصارى امره انه كان يردد كلاما بعينه مليوناً من المرات • وكتابه ذو الجزاين الذي كان لاني قد طالعه بمزيج

من الازدراء والضحك غدا انجيل الديانة الجديدة ، وبيعت منه ملايين النسخ ، ان نبذا منه ومقتبسات قد طبعت في كتيبات ونشرات وصحف لا يعلم الا الله عددها . لابد انه يصل الى بلايين النسخ لان بعض الصحف النازية يصل توزيعها الى مئات الالوف يوميا ، ويزداد العدد على مر السنين . وأخبر هاينريش لاني انهم عقدوا ما يقرب من خمسة وثلاثين ألف اجتماع في فترة هذه المعركة الانتخابية الحاضرة ، وبيعت كميات من المطبوعات في كل اجتماع منها . وأخذ لاني وهو يصفى ويرقب هذه الحشود المجنونة يتذكر أبياتا من مجموعة الاشعار التي يحفظها وهي أبيات كانت تبدو له موسيقية ومثيرة ، بيد انه لم يكن فهمها حق الفهم عندما قرأها وهو صبي :

رجل حالم واحد ، متى شاء
سيمضي قدما ويحرز تاجا
ثلاثة لديهم نعمة جديدة للنشيد
بوسعهم أن يهدموا صرح امبراطورية!

- ١٠ -

وكانت قد جرت انتخابات للرأيسستاج منذ أقل من سنتين ونصف . وفي تلك الانتخابات أحرز الديموقراطيون الاشتراكيون أكثر من تسعة ملايين صوت وأحرز الشيوعيون أكثر من ثلاثة ملايين ، وأحرز النازي أقل من مليون . ومنذ ذلك الحين والحزبان الاخيران يبذلان نشاطا كبيرا ، وصار كل ناخب يرى الظروف مواتية للمتطرفين ، فانهيار سوق المال في أمريكا جعل منتجات المزارع لا تجد سوقا رائجة هناك ، مما تسبب في رد فعل مباشر في ألمانيا ، حيث اضطر المزارعون الى بيع محصول السنة بخسارة كبيرة . أما العمال فقد بلغ عدد المتعطلين منهم أربعة ملايين ، واستولى الخوف على قلوب الباقين . ومن المؤكد ان هذه الجماعات ستصوت في الانتخاب لصالح التغيير ، ولكن من أي نوع عساه يكون ؟

ومن المستحيل أن تقضى اسبوعا في أمة محترمة المشاعر على هذا النحو من غير أن تشارك في الاثارة السائدة . وأصبحت المسألة أقرب الى التكهّنات الرياضية ، فتختار الجانب الرابع وتراهن عليه . وعلى سنة البشر ستعتقد فيما تمني . ولذا استقر لدى لاني ان الشعب الالماني

الحذر الفاتر المشاعر حرى أن يؤثر بتأييده البرنامج الرصين الصادر عن روية وتدبير ، وهو برنامج الاشتراكيين ، فيمنحهم أغلبية فعلية تمكنهم من تنفيذ هذا البرنامج اما يوهانسى روبن الذى ينتعش بالتشاؤم فتوقع أسوأ النتائج ، ومعنى ذلك عنده أن يأتى الشيوعيون فى المقدمة ، وبذلك تنقلب برلين الحمراء قرمزية أو ما شئت من تلك الظلال المسرفة فى توهجها .

ثم أذهلتهم النتائج جميعا - ربما فيما عدا هاينريش يونج ورفاقه فى الحزب ، فقد خسر الديموقراطيون الاشتراكيون أكثر من نصف مليون صوت ، وكسب الشيوعيون أكثر من مليون وربع ، أما النازيون فارتفعت أصواتهم من ثمانمائة ألف الى ما يقرب من ستة ملايين ونصف . وهو كسب يعادل سبعمائة فى المائة فى مدى ثمانية وعشرين شهرا ! والاحصاء الاخير بالمليون ، وعلى وجه التقريب الديموقراطيون الاشتراكيون ثمانية ونصف ، والنازيون ستة ونصف والشيوعيون أربعة ونصف .

ونزل هذا النبا على بقية انحاء الدنيا نزول قنبلة شديده الانفجار، فالساسة فيما كان يسمى يوما ما الدول المتحالفة الذين كانوا شديدي الثقة بانهم كبلوا المانيا فى الاغلال ، ورجال المصارف الدوليون الذين اقروضوها خمسة بلايين من الدولارات ، والمفاوضون الذين حصلوا فى اوائل هذه السنة - سنة ١٩٣٠ - على توقيعها بالموافقة على مشروع يانج وبمقتضاه قيدت المانيا نفسها بان تدفع التعويضات على مدى ثمانية وخمسين عاما وكل هؤلاء اكتشفوا الآن فجأة انهم دفعوا بستة ملايين ونصف من ضحاياهم الى الجنون . فأرباح الحرب ستصادر والاتحادات الاحتكارية ستؤم والمتاجر الكبرى ستصبح ملكية عامة ، والمضاربة فى الاراضى الزراعية ستمنع والمرابون والمستغلون ستوقع عليهم عقوبة الاعدام ! هذا هو برنامج النازى لداخل المانيا اما فى الخارج فلا بد من ابطال معاهدة فرساي ، ومشروع يانج يجب ان يلغى ، وان لزم الامر ستعتمد المانيا الى الحرب كى تحرر نفسها من « حكومات الاثرياء التى يسيطر عليها اليهود » فى فرنسا وبريطانيا وامريكا ! .

ووقعت هذه النتائج موقع الدهشة غير السارة على مضيف لاني بد انه بعد أن فكر فى الامر قرر الا يبالغ فى القلق ، وقال انه ما من حساء يؤكل اطلاقا وهو فى درجة الحرارة التى طهى بها ، وقال ان هذا الكلام الطائش من جانب النازى لعله الوسيلة الوحيدة لحصولهم على الاصوات فى الوقت الحاضر ولديه مصادره الخاصة للمعلومات ومنها

بلغه ان الزعماء المسئولين يشعرون بالضيق لما في اتباعهم الشبان من اندفاع لا يعرف الهوادة . واذا درست برنامج النازي بعناية وجدته حافلا بصنوف شتى من المواد الغامضة التي تلقى ماسبقها من مواد وينود ، وما اكثر البنود التهريبية المراوغة فيه . فخطباء المعركة الانتخابية في برلين كانوا يعدون الفوغاء بمصادرات بدون تعويض يصونها على انضباع الكبرى التي يملكها كبار الاشراف والاقطاعيون ولخضم في الوقت نفسه في بروسيا الشرقية حصلوا على تأييد هؤلاء الاشراف والاقطاعيين عندما نبهوهم الى ما في نص البرنامج الحرفي من ان الارض المصادرة يشترط فيها ان تكون « لا غنى عنها اجتماعيا » . وما اسهل ان يتقرر ان اراضى الاصدقاء والانصار لا تدرج تحت هذا الباب ! .

ومع هذا كله قرر يوهانس ان ينقل جانبا اخر من ارصده الى امستردام ولندن ، وان يتشاور مع روبي بد حول استغلال مزيد من الاستثمارات في أمريكا . واقدام مئات من الراسماليين الالمان الآخرين خطوات مماثلة وبطبيعة الحال اكتشف النازيون ذلك وشرعت صحافتهم تصيح منادية بأن هؤلاء « الخونة من الحكام الاثرياء » ينبغي ان يكون جزاؤهم الاعدام .

- ١١ -

لم يتخل الاغنياء عن ملذاتهم بسبب الانتخابات بل ولا بسبب نتائج الانتخابات . واقبل صناع الازياء انراقية وصناع قبعات السيدات ، وتجار المجوهرات يطالبون بتحديد مواعيد لمقابلة فراو لانى بد الشهيرة . المولوده ايرما بارنز وجعلوا يعرضون عليها صفوة سلعهم ، وراح مهرة الصناعات يسهرون طول الليل ويعملون اصابع تكاد تطير من خفتها لتحقيق ادواتها فلما تم لها تزويد نفسها بكل ما يلزمها امرت بمحتويات جميع حقائبها التي احضرتها « فيزدرس » من جوان فوضعت تحت تصرف فراويد الكبيرة التي اغترفت منها وغاصت فيها وهي تطلق صيحات الجبور ، لانها لم تكن قد ارتدبت على الاطلاق تقريبا ، وتكلفت من المال اكثر من كل ما وسعها ان تدفع قيمته طول حياتها . وان هي الا تعديلات يسيرة في الثياب بما يناسب السمثة القليلة التي حابتها بها رحلة دسمة اكثر مما ينبغي باليخت ، حتى غدت بيوتى انشقاء المزدهرة على اتم اهبة للوقوف امام الملوك . سواء اكانوا ملوك الصلب او الفحم او الكيماويات او البوتاس او البطاطس او سندات الدخل .

ولم تشعر بمهانة لقيامهما بالدور الثاني في الاسرة ، لانها بعد كل شيء جدة ، ولانها ايضا لم تنس درس انهيار وول ستريت . فلتستمر ايرما في اداء فوائير الاسرة وارضاع طفل الاسرة ، ستقوم حمايتها بكل ما في وسعها في طاقات متأخرة اجتماعية في أعلى مستوى من البراعة للزيادة من تالقي حظها والقاء احسن الاضواء عليها وتدير انتقائها بافضل الناس وتركها احسن الاثر فيهم . بل وتكتب بيوتى الى والدته ايرما تحثها على القدوم الى برلين للمعاونة في هذه المهمة ، فلا ينبغي ان توجد اطلاقا شائبة تنافس او غيرة بينهما ، بل على العكس يجب ان تكونا شريكتين في تمكين ايرما من الحصول على كل شيء تؤهلها له اناقتها ومكانتها الاجتماعية - ولم تذكر بيوتى ثروتها .

وعلى لاني بطبيعة الحال ان ينهض بهذا الدور ايضا فقد استجلبه على نفسه ولا يسهه الآن ان يتراجع . وعليه ان يسمح للخياطين بانقدوم واخذ مقاييسه لصنع ثياب جديدة له ، وان يقف صابرا الى ان يتقنوا احكامها . وليس بلدى بال ان يضجر ، ولا بلدى بال انه يتمنى لو قام بدلا من ذلك بتجربة طائفة من مؤلفات هندميث الموسيقى الجديدة ! فقد كانت امه تؤلبه ، وعلمت زوجته كيف تؤلبه ، وهذا هو المصير المحزن لرقيقى القلب من الرجال . وعندما دعى هو ، وايرما الى حفلة عشاء لدى الامير الزابورج تسو شفارتزادير ، او الى حفل راقص في قصر البارون فون فريد يشسبرون ، ما كان ليفتخر له ان يحرم ايرما من مثل هذا التشريف ، وانها لفضيحة ان يدع رجلا اخر يصحبها الى هناك .

ولم يكن في الامر فضيحة بالمعنى الدقيق للكلمة بالنسبة ليوهانسى روبن حين صحب فراويد الكبرى ، كان معروفا ان له زوجة لا تصلح للنشاط الاجتماعى يضاف الى هذا ان بيوتى كانت تعنى بمفاتها عناية كبيرة بحيث لا تستطيع ان تخمن سنها فهي وردة حمراء بديعة تم الآن تفتحها . وقد أخطأ أعضاء المجتمع الراقى فى تكهناتهم بصدد علاقتها بمضيفها لان كلا من هذين كان متزوجا بشخص يسعد بمعاشرته وكلتا زوجيهما يحب الاعتكاف فى البيت . فما ما روبن تعتكف لتشرف على الطفلين اللذين تحبهما على السواء ويبرسيغال دنجل يعتكف ليطالع منشورات التفكير الجديد ويتلو تلك الصلوات التى كان واثقا اتم الثقة بتأثيرها على نفوس جميع من يعرفهم ، فهي تحسّرهم من الحسد

والكراهية والخبث وكل ألوان قساوة القلب . وكان برسيغال شخصيا ضئيل النصيب جدا من هذه النقائص الدنيوية حتى أنه كان يجهل أن من المهانة أن يشار إلى زوجته باسم فراويد الكبرى .

أما اليهودي الذي ولد في كوخ أرضه من الطين في ملك القيصر فقد كان فخورا بمصاحبة السيدتين بد في دوائر الطبقة العليا ببرلين . وكان يقول لهما ذلك بصراحة تخالطها الفكاهة . ومن بين ما قاله أنه حين يصحبهما يبدو دمه للناس نقيا وماله غير ملوث . وقال أيضا أن كثيرين من المستغلين محدثي الثراء كانوا يدفعون ملايين الماركات نظير تقديمهم في المجتمعات المرموقة ، أما هو فقد استطاع بدهائه أن يحصل على ذلك كله بلا مقابل تقريبا . وكان يقول مثل هذا لأن ييسى وهانسي جملا اسرتيهما أسرة واحدة فحسب بل لأنه كان يعلم أن روبي بد بحاجة إلى يوهانس في عالم الأعمال تقابل حاجة يوهانس إلى سيدتي أسرة روبي في عالم المجتمع . فهي صفقة عادلة إذن . وجميع الأطراف المعنية تدرك هذا .

وهكذا أقام من كان معروفا يوما ما باسم ياشا رابينوفيتس من أهالي لودز حفلة استقبال كبرى راقصة تكريما للسيدتين بد . واعدت مخططات لزخارف ودرست قائمة المدعوين بعناية ، وكدح رؤساء الطهارة أسبوعا في أعداد الاطعمة الباذخة ، وقاعات الاستقبال في القصر الرخامي التي كانت تبدو كمحطة لسكة الحديد صارت فجأة أشبه بحلم مخرج سينمائي عن جزيرة بالي أو البرازيل . ومهما يكن من شيء فهذا حدث ضخم وكان يوهانس يقول أن الاقطاب الذين سيحضرون لن يكونوا من شركائه في الأعمال فحسب وأن رجال السياسة لن يكونوا ممن حصلوا منه على مساعدات مالية للمعركة الانتخابية ليس غير ، وأن أعضاء الطبقة الأرستقراطية لن يكونوا مقصورين على المدينين له بأموال . واردف بحصافة « ثم هم سيحضرون معهم زوجاتهم وبناتهم » .

- ١٢ -

وجعل لاني بد يطوف بين أفراد هذه المجموعة الخلافة في أفضل ملابس السهرة التي يملكها مسهما في التحية والترحيب ، وفي العمل على راحة الناس ونفي الوحشة عنهم ، مراقضا إيما فتاة بروسية فائقة

النمو يبدو عليها التآلم من أهمال شأنها ، موجهها مقدمى الطعام نحو
أى سيدة مسنة لم تجد قدرة معدتها كفاءها من ألوان الطعام . . وهؤلاء
السيدات المتقدّمات فى السن ذوات صدور ضخمة وردية اللون ،
وثيابهن بدون حمالات وأظهرهن عارية تماما بصورة لا يصدقها العقل .
ومقدمو الطعام يرتدون كسوة تجمع بين اللونين الوردى والأخضر بأزوار
من الذهب وجوارب وقفازات من الحرير الأبيض وأحذية سهرة ذات
نجيمات . وقد درس لانى بدقة قائمة الشخصيات المهمة كى يعرف
من الذين سيرحب بهم فلا يرتكب « جليطة » . وهو قد ساعد فى تشييف
زوجته بحيث يسمحها أن ترتفع بحياتها الى مقام ثروتها الجليل . فلا
تظن أن النشاط الاجتماعى نوع من الكسل !

وسأله احدى أولئك الجنيات المسنات الضخام : « هل تعرف
الجنرال جراف شتوبندورف ؟ » فقال الأمريكى « لم يبق لى هذا
الشرف قط . ولكنى زرت بيت مقامه الرفيع فى مناسبات كثيرة » فقال
مقامة الرفيع « حقا ؟ » وهو رجل طويل متخشب كأنه كباس بندقية
ذو ملامح حادة عميقة الخطوط ، شعره الأشيب لا يزيد طوله على ربع
بوصة يرتدى كسوة رسمية جديدة براقة جدا بالأوسمة والنياشين
التي حصل عليها أثناء أربع سنوات من حرب لا يمكن أن تنسى .

وفسر له لانى كلامه قائلا : « لقد ظللت معظم أيام حياتى صديقا
لكثير ما يسر » فأجابه الجنرال جراف : « حقا » اننا نعتبره
موسيقيا عظيما . وتفخر به فى شتوبندورف : « فاستطرد الأمريكى
الشاب : « وقضيت عيد الميلاد مرات كثيرة فى بيت ما يسر . واسعدنى
أن أستمع لك تخاطب أتباعك كل سنة ، وكذلك سمعت والدك المبجل
قبل الحرب . » فقال مقامه الرفيع مرة أخرى : « حقا ؟ » لم أعد
استطيع العيش هناك ، يبدو انى اذهب مرتين أو ثلاث مرات فى السنة
مدفوعا بالولاء لاتباعى » . وكان المحارب الأشيب يتحدث حينئذ الى
عدو سابق ، فقال مستطردا : « لانى لا أطيق أن أعيش فى بيت أجدادى
وقد أمسى جزءا من بولنده ، ويحكمه أناس اعتبرهم أقل من مستوى
البشر تقريبا . لقد فعلت هذا أنت وجيوشك ، بانتدخلك من غير حق
شرعى فى شئون المانيا وانتزاع نصرها الذى كدحت فى سبيله من بين
برائتها ، ثم ذهبتهم وتركتمونا للسلابيين الفرنسيين والتجار البريطانيين
ينهبوننا » .

ولم يكن ذلك الموضوع مستحبا فى هذا المقام ، فتفوه لانى ببضع

كلمات مهذبة ليس لها معنى خاص وتجاوزته منصرفا الى غيره وهو يقول في نفسه « ان كان يوهانسي يظن انه بسبيله الى كسب هذا السيد الى جانبه فشد ما يخدع نفسه ! »

- ١٣ -

ولكن لانى كان مخطئا وقد تبين له هذا في وقت متأخر من المساء ، فقد اقترب منه الارستقراطي المتخشب وكلمه مرة أخرى بلهجة تفيض بمزيد من الود قائلا : « سيد بد . لقد تذكرت اننى رأيتك في ستوبندورف . وقد سمعت مايسنر يتحدث عنك » . فاجابه لانى بتواضع « هر مايسنر عاملنى كما لو كنت ابنا له » فقال مقامه الرفيع : « رجل همام » . وقد ادى ابناؤه خدمات جليلة « وانطلق يتحدث عن اسرة وكيل املاكه العام الذى يعتمد على كفاءته ونزاهته مثلما اعتمد عليه ابوه من قبل . وفيما كان لانى يصفى الى هذا الحديث الرسمى خطر له ملابد قد حدث : فالسيدة المسنة التى تشبه الجنية لابد ان تكون قد ذكرت الجنرال جراف بان هذا بعينه هو الشاب التافه المحظوظ الذى تزوج الوارثة الخرافية الثراء وليس - كما تبادر الى ذهن مقامه الرفيع - شابا غرا احمق يحاول اكتساب اهمية لنفسه بادعاء صلة صميعة باحد مستخدمي رجل من النبلاء ! »

لنحنا هنا اذن بازاء ارستقراطي عظيم يبدى التواضع والتنازل ، وللنبالة احكامها . فاذا به يعرف كل شيء عن السيد بد بطبيعة الحال ! « وقد سمعت ان كيرت مايسنر الف الكثير من موسيقياه في بيتكم » ولم يردف بقوله « ان كيرت مايسنر كان عشيق امك سنوات طويلة فيما سمعت » . وتحدث عن مؤلفات كيرت الموسيقية واطهر ان لديه دراية حقيقية بها فهي موسيقى المانية اصيلة يمكن الشناء عليها بدون تحفظ . والشاب الامريكى الفرنسى الذى اقام استديو كى يعمل فيه عبقرى فى الموسيقى يستطيع ان يلتقى على قدم المساواة مع نبيل بروسى جهز بيتا صغيرا للعبقرى كى يريح اسرته فيه .

وسرعان ما اتضح ان لانى عمل سكرتيرا مترجما فى مكتب اللجنة الامريكية لمفاوضات الصلح فقال الضابط : يهمنى ان اتحدث اليك عن تلك الايام فى باريس . فقد يكون فى وسعك ان تفسر جانبا من سلوك الامريكيين الذى ظل دائما لغزا مستغلقا على . فقال لانى بتهذيب :

« يسرنى ان ابدل خير ما فى جهدى . ويجب ان تعلم ان قلعتك الجميلة اجدت اثرا بالغاً فى نفسى وانا غلام صغير وان والدك وانت شخصيا كنتما تبدوان لى شخصيتين عظيمتين جدا » .

وابتسم مقامه الرفيع بسماحه فلم يكن لديه ادنى شك فى ان والده كان شخصية عظيمة او فى انه شخصيا يعتبره كذلك . وساله : « هل انت عازم على القدوم الى شتوبندورف فى عيد الميلاد القادم ؟ » فكان الجواب : « لقد وجه كبرت الدعوة الينا ولكنى لست متاكدا من امكان تلبيةها » فقال الجنرال جراف : « يسعدنى ان تفضل انت وزوجتك بزيارة القلعة ضيوفا على . » فقال الشاب : « اشكرك كثيرا جدا . ولكنى يجب ان اطلب من آل ما يسرن ان يتنازلوا عنا لاننا فى ضيافتهم » . فقال محدثه بلهجة جافة : « اعتقد انهم سيتنازلون . » فقال لاني : « ساحيطك علما بعد قليل . اذ يجب ان استشير زوجتى . »

وهذا شذوذ آخر من افانين الامريكيين : ان يستشيروا زوجاتهم بدلا من احاطتهن علما ولكن بطبيعة الحال عندما تكون الزوجة فى مثل ثراء هذه المرأة ... ماذا قيل لى انها تدعى ؟ »

- ١٤ -

وجعلوا يرقبون تلك الزوجة القيمة تراقص ملحقا شابا وسيما فى السفارة الامريكية وقد ارتدت اكثر مما كانت ذى قبل اشبه بالربة جونو الشابة المائلة الى السمرة وقد استطاع خياط شاب بارع ان يدرك هذا فصنع لها ثوبا من الحرير الشفاف الابيض به شئ من سمات الزى الاغريقى القديم . اما المجوهرات فلم تتحل منها الا بعقد مزدوج من اللالىء ، فثروة كثررتها اكبر من ان ترمز اليها اى كمية من الاحجار الكريمة ، وهى الافضل ان يترك امر ثرائها الى الصحف تعلنه . وكانت ترقص برشاقة ووقار وتبتسم بلطف ولا تثرثر اطلاقا . أجل كانت ربة شابة وزينة لاي قاعة رقص فى قصر مستغل .

ولما انتهت الحفلة صحبها لاني الى الطابق العلوى . وكانت قد وعدت الا تتناول اكثر من كاسين من الشمبانيا ، وقد برت بوعدا بيد ان استشارتها لم تكن قليلة لوجود كل هؤلاء الاشخاص المرموقين وكلهم فى ازياء رسمية ولهم اساليب فى السلوك مهذبة وطرق فى الكلام روعى فيها ان تؤثر فى نفس ابنة رجل كان يوما ما ساعيا فى وول

ستريت . وتحديث مع زوجها عن هذا الشخص وذلك في حين كانت
الخدمة تساعد في خلع ثوبها . وبعد ان اخلدت الى الراحة مدة
الدقائق الخمس عشرة المطلوبة جئ اليها بالطفلة لترضعها . وقد
كبرت الان وقاربت الشهر الثامن من عمرها فهي تكثر من انتلوى
والفرقة . ولم تكن قط بحاجة الى دعوة ، فانقضت بلا ابطاء ، وفيما
هي ماضية في عملها اخبر لاني امها بتلك الدعوة الى قلعة شتوبندورف .
وكان قد حدثها كثيرا من قبل عن قلعة « بطاقات عيد الميلاد » بسقوفها
التي يغطيها الثلج وهي تلمع في شعاع الصبح الباكر ، بحيث جعلها
تبدو رومانتيكية لدى ايرما كما كانت لديه منذ سبع عشرة سنة .
وسالته « هل تذهب ؟ » فاجابها : « ان كان ذلك يطيب لك » .
فهمت : « احسب ذلك يكون رائعا ! » وبعد تفكير قليل اردفت : « انا
نبو انا وانت فريقا اجتماعيا جيدا جدا ، السنا كذلك يا لاني ! » .

**** معرفتي ****

www.ibtesama.com

منتديات مجلة الإبتسامة

الفصل السابع

« شهدت الأعاصير »

- ١ -

وضعت نتائج الانتخابات هاينريش يونج في مقعد من مقاعد السلطة، فطلب لاني تليفونيا وصب في أذنيه آيات حبوره ، فلا حزب سوى حزب العمال الألمان الاشتراكيين الوطنيين وهاينريش بنى الحزب ! فهل يتفضل لاني بالحضور الى بيته ذات مساء ليقابل زوجته وأحد أصدقائه؟ وقال لاني انه يسعده ذلك ، وانه تلقى لتوه خطابا من « ريك » يقول فيه ان الانتخابات الألمانية أحدثت وقعا عظيما في إنجلترا ، وانه ان استطاع لاني ان يبعث اليه بحزمة من المطبوعات وجانب من مذكراته الخاصة عن الحالة الفكرية لتلك البلاد فسوف يكتب مقالا لاحدى المجلات الاسبوعية في هذا الموضوع . وكان لاني راغبا في مساعدة صديقه ويعتقد ان الشعب الانجليزى ينبغي ان يفهم ما تعنيه هذه الحركة الجديدة . وكان هذا بطبيعة الحال فى صميم اختصاص هاينريش الذى تطوع بتجميع حمولة كبيرة من المطبوعات ، بل وباعداد المقال مكتوبا كى يوفر المشقة على ريك !

وترك لاني زوجته مستمتعة بلعبة بريدج عائلية مريحة وانطلق بالسيارة الى الضواحي فى اتجاه يوتسدام حيث يعيش ذلك الموظف الشاب المسئول فى كوخ متواضع . وكان هاينريش قد انتقى لنفسه فتاة ألمانية بمعنى الكلمة ذات عينيْن فى مثل زرقة عينيْهِ ، وطبقا لمبادئ النازى الشماليين اكبا من فورهما على زيادة عدد السلالة الحاكمة . وارياء بفخر صغيرين اشقرين نائين فى مهديهما ، وكانت نظرة واحدة الى «الزا يونج» كافية كى يدرك لاني ان صغيرا ثالثا سيضاف الى هذين قريبا . وهناك خاصة فى المذهب النازى لاحظها لاني من قبل بين صفوف الفاشست الطليان . فمن أحد جانبي فهم يقولون ان الأمة لا بد لها من التوسع كى تجد مجالا لتعدادها النامى ، يقولون الى الجانب الآخر من فهم أن تعدادهم يجب أن يزيد كى تتسنى لهم القدرة على التوسع . وكانوا فى بلاد موسيلينى يسمون هذه الحاجة الى التوسع باسم « الانانية المقدسة »

وُحاول لاني عبثا أن يفهم السر في اعتبار صفة معينة لدى الفرد عدوانا
ولدى الجماعة سلوكا مقدسا . وتمنى أن يأتي اليوم الذي تغدو فيه الأم
كالأفراد المهذبين .

وكان هاينريش قد دعا لمقابلة ضيفه المدير الرياضي لأحدى مجموعات
الشبيبة في برلين ، واسمه هوجوبير ، وهو نموذج آخر للمثل الأعلى
الشمالي ، وهي صفة لا يتحلى بها العدد العديد من قادة الحزب فشة تكتة
تدور على الألسنة في دوائر المثقفين الأذكياء ، في برلين أن الآرى المثالى
ينبغى أن يكون اشقر مثل هتلر ، طويلا مثل جورنج ، ونحيفا مثل جورنج،
وهلم جرا ما وسع ذاكرتك الخبيثة أن تسعفك أما هوجو فكانت له وجنتان
ناعمتان وشعر ذهبي متموج ومما لا شك فيه انه حين يرتدى الزى الرياضى
يبدو كأنه الاله هرمس في ريمان الشباب . وكان الى عهد قريب
ديموقراطيا اشتراكيا متحمسا ومن العاملين في حركة الشباب بذلك
الحزب . ولم يكن في مقدوره أن يسرد جميع فضائح ذلك الحزب فحسب
بل انه يعرف أيضا كيف يمثل الاشتراكية الوطنية باعتبارها الاشتراكية
الحقيقية التى يستطيع العمال الألمان عن طريقها أن يكسبوا الحرية لأنفسهم،
ثم لعمال العالم أجمع فيما بعد .

والعقل الانسانى شيء عجيب فهذان الاثنان كلاهما قرا كفاهى على
اعتبار انه كتابه المقدس ولكن انتقى كل منهما ما استهواه . وكانا يعلمان
ان لاني أيضا قرا ذلك الكتاب ، فافترضا انه قد استهواه فيه ما
استهواههما ، ولكن لاني كان قد استرعى نظره أكثر من موضع من نوع
آخر يذكر فيها الفوهرر بوضوح انه لا ينطوى على ادنى اهتمام بمنح
الحرية لعمال الآم والشعوب الأخرى ، بل هو على العكس مصمم على
اجبارهم على العمل لمصلحة السلالة العليا أو الجنس السيد . فكلمة آرى
لم تكن سوى ستار لفظى مموه لكنه المانى ، وللأشخاص الآخرين المتعلمين
وذوى المكانة الاجتماعية الذين ينضمون الى النازى ويساعدونهم فى
الاستيلاء على الحكم .

بيد أن لاني لم يحضر الى هذا المكان لتبشير موظفين مسئولين نازيين
فسمح لهوجوبير ان يكلمه كلام زميل لزميل وبين الحين والحين كان يسجل
مذكرات أو ملاحظات حول الأمور التى قد تثير اهتمام الجمهور القارى .
فى بريطانيا . وكان هوجو أحدث عهدا بالحركة من هاينريش وأكثر
سذاجة فابتلع البرنامج النازى الأصلى باكمله شصا وثقلا وخيطا . فهذه
هى العقيدة النازية ومتى استشهدت بنص من نصوصها انتهى موضوع

البحث . وارد لاني ذلك الدنيوى الكلبى المستهين الذى شاركت فى صنعه عدة ثقافات منحلّه ان يقول : « كيف يستطيع هتلر أن يحصل على مساعدات مالية من فون بابن والاقطاعيين الآخرين ان كان حقيقة ينوى أن يهدم الضياع الزراعية الضخمة فى بروسيا ؟ وكيف يستطيع وهو يحصل على مساعدات ضخمة من فرميتزيسن وملوك الصلب الآخرين أن يحقق ما ينويه من تأمين الصناعات الكبرى ؟ » ولكن ما جدوى مثل هذا الكلام ؟ ان هوجو يظن ولا ريب ان جميع أموال الحزب تاتى عن طريق الملايم التى يدفعها العمال . وان الاعلام وشارات الاذرع والقمصان البنية والاحذية اللامعة والمسدسات الالية وبنادق بد الالية تشتري بارباح بيع المطبوعات ولعل هاينريش أعلم منه بالحقيقة ولكنه لا يمكن أن يعترف بها ، ولاني ليس حرا فى ذكر مصادر معلوماته . فمن الخير أن يصفى ببساطة ويدون ملاحظات دقيقة ويترك ديك يكتب مقالا عنوانه «استيقظي ياانجلترا ! » .

- ٢ -

وبعد الانتخابات مباشرة اقيمت فى برلين محاكمة لثلاثة من الضباط متهمين بنشر الدعاية النازية فى الجيش اثار هذه المحاكمة اهتماما كبيرا لدى الجمهور وظهر ادولف هتلر للدلاء بشهادته فالقى فيها حملة من حملاته المعهودة بالطعن والتشهير معلنا أن حزبه حين يتولى الحكم سيقدم ! مجرمى نوفمبر ، - ويعنى بذلك الرجال الذين اقاموا الجمهورية - للمحاكمة أمام محكمة الشعب ، وقال : « ان رؤوسا ستندرج على الرمال » . وقد صدمت هذه اللغة الشعب الالماني المتحضر واعتبرها يوهانس روبن دليلا يؤيد ما كان يقوله لاني من ان المسألة لا تتطلب أكثر من ترك الحبل لهذا المخلوق الى أن يشنق نفسه . وارتفعت المطالبات من جهات كثيرة لمحاكمة هتلر بتهمة الخيانة ولكن لعل الحكومة كانت ترى ما يراه يوهانس فلماذا تشنق رجلا لديه كل هذا الاستعداد لشنق نفسه وطرد الضباط الثلاثة من الجيش وواصل أدى دعايته فى الجيش وفى غير الجيش .

ودعا لاني النقيب اميل ما يسنر للغذاء معه ودار بينهما الحديث حول تلك المشكلات وكان شقيق كيرت الأكبر محاربا قديما فى الحرب العالمية وله مثلما لشقيقه الاصغر من عينين زرقاوين شاحبتين وشعر قصير جدا بلون القش ، ولكنه لا يتمتع بمثل مزاجه المتقد ، وقد اتفق فى الراى مع لاني على ان كيرت ضل طريقه وان الفوهرر متعصب.

فاميل موال للحكومة القائمة ، ويقول ان هذا سيكون دائما موقف الجيش ، لأن هذا هو واجب كل ضابط مهما كان غير موافق على سياسات السياسة الحاكمة وخططهم وسأله الأمريكي « هل تطيع أوامر النازي اذا استولوا على الحكم ؟ » فاسبل اميل عينيه لحظة كأنه يريد ان يخفى رد الفعل المؤلم الذى سببه له مثل هذا السؤال وقال « لاأظن من الضروري ان نبحث فى هذا الشأن » فاجابه لاني : « ان الانتخابات الحالية حملتنى على التفكير فيه » ولكنه لم يلج عليه فى مناقشة المسألة .

واميل يضع ايمانه كله فى رمز الولاء لالمانيا ، وهو الفيلد مارشال الذى صار حاليا الرئيس بول لودفيج هانس انطون فون بنيكندورف فون هندنبورج . فالقائد العجوز كان قد كسب معركة تاننبرج ، وهى النصر الوحيد التام الذى احرزه الالماني ، وترتب على هذا ان الشعب ألهمه طول المدة الباقية من الحرب ففى كل مدينة اقاموا له تماثيل ضخمة من الخشب . وكان منتهى الوطنية ان يشتري المرء مسامير يدقها فى هذا التمثال ، وتذهب الاموال المجموعة من شراء هذه المسامير الى هيئة الصليب الاحمر الالماني . وصار اتجاه هندنبورج هو شارة الامان القومى . وقد صارت رئاسة هندنبورج مرادفا آخر لهذا المعنى . بيد ان العملاق العجوز الصارم بلغ الآن الثالثة والثمانين من العمر ، وقريحته بدأت تخبو ، ومن العسير عليه ان يركز تفكيره فى امور معقدة والسياسة يتكاثرون حوله ويجذبونه فى هذا الاتجاه وذاك وهو شئ مؤلم له ومحزن لمن يشاهدونه .

وكان اميل ما يسنر عضوا فى اركان حرب الفيلد مارشال فى فترة من الحرب ، وعلى علم بمحنته الحالية ، ولكن اميل متحفظ امام الاجانب ولا سيما مع اجنبى يصاهر اليهود وله أخت وزوج أخت مشهوران بلونهما الاحمر . ومن جهة أخرى لاينطوى ضابط فى جيش الرايخ على حب لادولف هتلر ، وقال ان الرئيس يرفض الاعتراف بهذا المحدث حتى من حيث هو نمسوى ويصر على الاشارة اليه بكلمة « الاومباشى البوهيمى » مستخدما اسم أبيه « شيكالجرووبر » ، وهو اسم سوقى مهن . وقد رفض السيد العجوز على طول الخط مقابلة الاومباشى شيكل جرووبر لانه يكثر من الكلام ، وفى الجيش جرت العادة ان ينتظر صف الضابط الى أن يوجه اليه رئيسه الكلام أولا .

واعرب اميل عن آرائه فى الاضطرابات السائدة فى مدن الجمهورية التى تتجه الى مستوى الحرب الاهلية بين فريقى المتطرفين . وقد بدأ الحمر ذلك دون شك ، والقمصان البنية هى الرد الذى تلقوه . بيد أن اميل

يقول انه لشيء فظيع ان يسمح لاي شخص بتكوين جيش خاص على نحو ما فعل هتلر . فلا تكاد تمر ليلة من غير ان يقع صدام بين الجماعتين المتنافستين في الشوارع .

وكان اميل يصبو الى مستشار شجاع يأمر جيش الرايخ بنزع سلاح الجانبين . وكان زعيم النازي يتظاهر باستنكار ما يصنعه أتباعه ، ولكن هذا بطبيعة الحال قول هراء فكل خطبة يلقيها فيها تحريض على مزيد من العنف من قبيل كلامه الجنوني عن الرؤوس التي ستندرج على الرمال .

والى هذا المدى كان في وسع رجلين عصريين مثقفين ان يتفق رأياهما وهما يحسوان القهوة ، بيد أن اميل استطرد في الكلام فكشف عن انه الماني كالآخرين ، اذ قال ان الموقف في جوهره راجع برمته الى الحلفاء والى معاهدة فرساي الفظيعة ، فالمانيا جردت من كل شيء بواسطة طلبات التعويضات ، وحرمت من سفنها ومستعمراتها وتجارتها . وما من شعب يمكن ان يسعد بتضوره جوعا وكان لاني قد قام بنصيبه في الاحتجاج على معاهدة فرساي ، وحاول في جانب مساعدة المانيا على النهوض على قدميها مرة أخرى . ولكنه وجد نفسه على نحو ما كلما أصفى الى الالمان يتحول الى الجانب الآخر وتساوره الرغبة في تذكيرهم بانهم خسروا الحرب . وهي على كل حال لم تكن لعبة بنج بونج ، ولا بد لاحد ان يتحمل نفقاتها وكان لدى المانيا أيضا برنامجها الخاص فيما تنوي فعله ان كسبت الحرب ، وقد كشفت عن ذلك بوضوح في الشروط التي أملتها عنوة على روسيا في برست - ليتوفسك . ثم كانت هناك أيضا من قبل حرب فرنسية أخذت المانيا على أثرها الالزاس واللورين . وكان هناك أيضا فريدريك الاكبر وتقسيم بولنده ، وسلسلة كاملة من الغزوات البروسية . ولكن يحسن بك الا تذكر شيئا من هذا على لسانك ان اردت ان يكون لك اصدقاء في المانيا .

- ٣ -

وكان فريدي وراجيل يتوجهان ثلاث امسيات من كل اسبوع الى المدرسة التي يساعدان في الانفاق عليها . وكان فريدي يدرس في احد فصولها تاريخ النظرية الاقتصادية ، وتعلم راحيل فصلا آخر الفناء ، وكلا الموضوعين مهم للعمال الالمان . وذهب معهما لاني أكثر من مرة . ولما اكتشف الطلاب من المسنين والشبان انه يعيش في فرنسا وكان يساعد

فى ادارة مدرسة هناك ارادوا أن يعرفوا شيئا عن الاحوال فى تلك البلاد وما هى افكار العمال وافعالهم. وثارث مناقشات فاكشف لانى ان الشعب العامل المنظم المرتب لا يختلف كثيرا عن تلك الجماعة المستقلة الراى الصريحة التعبير من أهالى منطقة الميذى فى فرنسا ، فالمشكلات عينها تحيرهم والانقسامات عينها تحول كل مناقشة الى حرب صغيرة .

اىستطيع العمال أن يتسلموا السلطة بالوسائل السلمية ؟ وفى مقدورك أن تعرف الجواب من الالفاظ نفسها التى يصوغ بها المتحدث سؤاله ، فان قال : « بالوسائل البرلمانية » فهو اشتراكى على نحو ما . وان قال عن طريق السياسيين المنتخبين فهو شيوعى على نحو ما . والاول منهما يستند الى هيبة أكبر حزب فى البلاد من ورائه ، ويستشهد بنصوص من ماركس وبيبل وكاوتسكى . وخصمه فى المناقشة يتخذ الاتحاد السوفيتى نموذجا ، ويستشهد بنصوص من ماركس ولينين وستالين . وبين الفريقين المتطرفين يقوم أولئك الذين يتبعون تروتسكى المنفى حديثا، أو الشهيد كارل ليبكنخت وروزا لوكسمبورج الحمراء . وهناك جماعات منسقة متباينة لم يسمع بها لانى يشبههم باناس فى سفينة مشرفة على الفرق . فيحاول كل منهم ان يلقى بالآخر الى اليم .

وكان الاشتراكيون أغلبية فى المدرسة . واخذ لانى يوضح لهم فكرته فى وجوب اتحاد جميع الطوائف العمالية ضد خطر الاشتراكية الوطنية . ولما كان اجنبيا وصهرا لفريدى فقد تذرعوا بالصبر ووضحوا له انه ما من انسان يمكنه أن يتعاون مع الشيوعيين لانهم لن يسمحوا بذلك . فلا أحد أكثر من الشيوعيين كلاما عن التعاون ولكن متى حاولت ذلك وجدت ان ما يرمون اليه بث الالفام فى منظمتك وتسميم اذهان أتباعك ، وهو الاسلوب المعروف باسم « الحفر من الداخل » واى اشتراكى تتحدث اليه مستعد لتقديم عشرين مثلا توضيحا ، بالاضافة الى نصوص من لينين تثبت ان ذلك ليس من قبيل الصدفة وانما هو سياسة مرسومة .

وقد ذهب أعضاء الحزب الديموقراطى الاشتراكى الى ابعد من هذا فاتهموا الشيوعيين بالتعاون ضد الحكومة الائتلافية التى يشترك فيها الديموقراطيون الاشتراكيون . وهذه ايضا سياسة مرسومة لان البلشفيين يؤمنون باحداث الفوضى ، فهم يأملون فى الافادة منها . فالفوضى منحتهم فرصتهم فى الاستيلاء على الحكم فى روسيا . وعدم تكرار ذلك فى ايطاليا لم يحملهم على مراجعة نظريتهم تلك . ومن اليسير

عليهم التعاون مع النازي لأن كليهما يؤمن بالقوة والدكتاتورية . والخطر الكبير الذي يواجهه انصار التغيير السلمي هو عقد صفقة مكشوفة أو مستورة بين الحزبين الثاني والثالث من حيث الضخامة في ألمانيا . وبدا هذا الكلام ضرباً من الكابوس في نظر لاني . وليس الكابوس لأن هذه الفكرة يمكن أن تحدث ، بل لأن الاشتراكيين قد وصل بهم الأمر إلى هذا الحد من كراهية الحزب الآخر للطبقة العاملة حتى أنهم على استعداد لتصديق امكان عقد مثل هذه الصفقة ومرة أخرى كان عليه أن يردد إلى دور المستمع ويستبقى افكاره لنفسه ، ولا يخبر هانسي ويس بما يعلمه اصدقاء فريدي وراحيل في مدرستهم .

- ٤ -

ومرة في الاسبوع كان المعهد يقيم حفلة استقبال ، فيحضر المثقفون اليساريون ويشربون القهوة ويأكلون كميات كبيرة من شطائر سجن الكبد والجبن السويسري ويناقشون خطط المدرسة واحداث الساعة . وعندئذ تنطلق قوى الفوضى والظلام من عقالها . واستقر رأي لاني على أن كل مثقف في برلين حزب سياسي جديد وكل اثنين من هؤلاء المثقفين مشكلة سياسية وكان بعضهم يترك شعره طويلاً لأن منظره لطيف ، الا أن منهم من يترك شعره طويلاً لأنه لا يملك مقصاً . وبعضهم كان يأتي لأنه بحاجة إلى جمهور مستمع . والبعض الآخر لأنها فرصة لتناول وجبه . ولكن ايا كانت اسبابهم المدافعة ، فما من شيء كان يحلهم على الهدوء وما من شيء يمكن أن يجعلهم يتفقون في الرأي . وكان لاني يعتقد دائماً أن الاصوات العالية والاشارات العنيفة من علائم السلالات اللاتينية ، بيد انه قرر الآن انها مسألة لا علاقة لها بالسلالة اطلاقاً ، بل بالحتمية الاقتصادية فكلما اقترب بلد من الازمة ازدادت ضجة مثقفية في قاعات الاستقبال !

وقد ارتكب لاني خطأ حين اصطحب زوجته إلى احد هذه الاجتماعات فلم تستسغه ، ذلك أولاً لأن معظم الجدل بالألمانية ، وهي لغة من النادر جداً أن تكون مستحبة في السمع مالم يكتبها هايني ، اذ يخيل للغريب انها تنطوي على قدر كبير من السعال والبصق والقعقة في مؤخرة الحلق . وبطبيعة الحال كان ثمة كثيرون يستطيعون التحدث بالانجليزية على نحو ما ، لديهم الرغبة في تجربة مقدرتهم لدى زوجة لاني ، الا أنهم كانوا يريدون الكلام حول شخصيات واحداث غريبة عليها في معظم الاحوال .

وكان سر قوة إيرما في الحياة الاجتماعية ما تتميز به من صفاء وهدوء ولم يكن هذا المكان موضعاً صالحاً لذلك بأي حال .

وقد ابدت تعليقاتها على ذلك لزوجها الذي قال : « يجب ان تدركي ان معظم هؤلاء الناس - يجدون عناء شديدا في البقاء على قيد الحياة . وكثيرون منهم لا يحصلون على ما يكفي من القوت ، وهذا شيء مزعج لراحة البال . » ومضى يشرح ما يسمونه « البروليتاريا الثقافية » وهي كتلة من الاشخاص حصلوا على التعليم بثمن باهظ ذهنيا وجسديا ، بيد انهم لا يجدون الآن سوقا لما يستطيعون تقديمه للعالم ، وحصلوا على ارزاق تافهة جدا من الكتابة بالطلب والتعليم وسائر الاعمال الغريبة التي يمكن ان يعثروا عليها . وطبيعي ان يكونوا ساخطين ويلفوا أنفسهم متعاصفين مع العمال المحرومين . فسألته : « ولماذا لا ينتظمون في اعمال مستمرة يالائي ؟ » فأجابها : « اى نوع من الاعمال ياعزيزتي ؟ » حفر المصارف او وظيفة كتابية في متجر أو الخدمة على الموائد ؟ » فقالت : « اى شيء فيما اعتقد ما دام يتيح لهم رزقا شريفا » فقال : « كثيرون منهم مضطرون لذلك ، ولكنه ليس امرا سهلا كما يبدو ، لان هناك اربعة ملايين من المتعطلين في المانيا في الوقت الحاضر فعلا ، والعمل يظفر به عادة من تدرب عليه في مجاله المتخصص » .

وهكذا كان لاني يشرح الامور لها بصبر واثابة كانما يشرحها لطفلة . والمزعج انه كان يضطر لتكرير الشرح مرات كثيرة ، لان إيرما كانت تبدو تلكوها في تصديق ما يقول . فيحاول اقناعها ان الاحوال في هذا الوقت مختلطة مضطربة مع انها نشأت على اعتقاد ان كل شيء على احسن ما يمكن في احسن دنيا ممكنة فان لم يحصل الناس على اعمال او لم يستطيعوا الاحتفاظ بها فلا بد ان يكون العيب في هؤلاء الناس كان لا يكونوا راغبين حقيقة في العمل وكل مرادهم ان ينتقدوا الآخرين من الناجحين ويسخرون منهم مع انهم عملوا بجهد واجتهاد مثلما عمل والد إيرما وقد تركها في وضع راسخ مضمون . فمن ذا يلومها ان ارادت ان تظل هكذا ، وظهرت امتعاضها ممن يتجاذبون هنا وهناك صائحين في اذنيها عابثين بسكينة ذهنها بحججهم وجدلهم ؟ .

ولم يكن ذلك عن قسوة قلب فيها مطلقا . فقد يتقدم منها متسول حقير في الشارع فاذا الدموع تظفر من عينيها وقد تنتابها الرغبة في اعطائه كل محتويات كيس نقودها المتختم . ولكن هذه صدقة وقد علمت ان جميع اصدقاء لاني يستنكرونها فهم يريدون شيئا اسمه « العدالة »

ويطالبونك بالاتفاق معهم على ان النظام الاجتماعى خطأ فى جوهره وان معظم ما تعلمته ايرما من والديها ومعلميها واصدقائها خطأ . انهم يطالبون بقلب العالم راسا على عقب وان يعهد الى هؤلاء المتمردين باصلاحه . وقررت ايرما انها لا تثق بقدرتهم ولا بدوافعهم . وقد راقبتهم ثم اعلنت قرارها الى زوجها السريع التصديق : « انهم مسودون ويريدون الاستيلاء على ما بايدينا ولو اعطيناهم اياه لما قالوا لنا ولو كلمة شكر واحدة ! » فاجابها زوجها الذى كان يعانى من تدد غير قليل من آماله واحلامه شخصيا : « قد يكون الامر كذلك ولا جدوى من ان ننتظر من البشر ان يكونوا خيرا مما هم . وبعضهم مثاليون حقيقيون مثل هانسى وفريدى . فقالت : « نعم ولكنهما يعملان ويستطيعان ان ينجحا فى اى عالم . اما هؤلاء السياسيون والمثقفون الذين يريدون ان يكونوا سياسيين فانهم لا يدرون كيف يصبحون » .

فضحك لانى وقد رآها شرعت فى استخدام رأسها وحذرها قائلا : « ان ما ينبغى عليك ان تضعى فى اعتبارك المبادئ لا لافراد . اننا نريد نظاما يتيح لكل انسان فرصة عمل شريف بناء وبعد ذلك فلا بد من ان نتأكد انه لا يعيش احد بغير عمل » .



اضطرت ابنة ح . بارامونت بارنزالى الاعتراف بان شيئا ما يسير على غير ما يرام ، لان حصصها بدأت فى النقصان . وفى الربيع كانت قد بدأت تسمع بسوق الصعود الصغيرة ، فبدأ ذلك بديعسا ولكن فى شهور الصيف والخريف حدثت سلسلة من التدهورات المالية ، لا يقل عددها عن اربعة الواحد منها تلو الاخر . وما من احد فهم هذه الاحداث وما من احد تنبأ بها . فقد تسمع اناسا يقولون : « لقد وصلت الامور الى القاع الان ولا بد ان تتغير الاحوال » . ويراهنون باموالهم على ذلك ، واذا بالاسهم فى اليوم التالى . او فى الاسبوع التالى ، تتدهور ، ويستولى الذعر على الجميع .

وجاء ايرما خطاب من عمها جوزيف احد الاوصياء الذين يديرون املاكها حذرها فيه مما حدث وشرح لها الامور قدر استطاعته ، فقال ان اوراقها المالية ذات القيمة المضمونة هبطت فى العام المنقضى ثلاثين نقطة اخرى تحت اقل مستوى لفترة الذعر الكبير الذى حدث وهى فى

نيويورك - ويبدو أن الأمور تدور على حلقة مفرغة : فالتدهور يحدث خوفا والخوف يحدث تدهورا آخر . وقد كان للانتخابات الالمانية رد فعل سيء في وول ستريت ، فقد تأكد الجميع ان اقساط التعويضات لن يدفع منها شيء بعد الان ، و اضاف مستر جوزيف بارنز الى ذلك ان التعويضات لم يدفع منها بالفعل شيء منذ وقت طويل ، وقد لا يكون شيء منها تم دفعه اطلاقا في أى وقت مضى لان الالمان اقترضوا أولا من وول ستريت كل مبلغ رغبوا في دفعة . ولم تفقه ايرما هذا الكلام تماما ، الا انها اعطت الخطابى للانى الذى فسر له - طبعا من وجهة نظر حمراء وردية .

وثمة شيء واحد وضحه العم جوزيف ، الا وهو انه ينبغي على ايرما ان تلزم الحذر في انفاق اموالها وكان ردها بديها : لقد لبثت تعيش على حساب آل روبن نصف سنة ، ومتى عادت الى بيانفيني سيستأنفون هناك تلك الحياة البسيطة الى حد السخافة ، فليس في وسعك ان تنفق مالا كثيرا وانت تعيش في فيلا صغيرة فليس لديك متسع تضع فيه شيئا ولا سبيل الى استضافة الناس على نطاق واسع . وكان لانى وامه متعودين على المعيشة بالف وثلاثمائة دولار في الشهر ، في حين كانت ايرما متعودة على انفاق اكثر من هذا المبلغ بخمسين ضعفا ، ولذا لم تجد صعوبة في التاكيد لعمها المدقق الامين بانها ستنفذ نصيحته . وقد قررت والدتها عدم القدوم الى اوربا هذا الشتاء ، لانشغالها بتخفيض النفقات في ضيعة لونج آيلند . وقرأ لانى الخطاب وخامره الشعور المعتاد الذى ينتاب رجلا يعلم ان حماته غير قادمة لزيارته .

- ٦ -

طلب هاينريش يونج لانى تليفونيا وسأله : « اتحب ان تقابل الفوهرر ؟ » فهتف لانى مأخوذا : « يا الهى ! انه لن يجد في ما يشير اهتمامه . فقال : « انه يقول ان لقاءك بهمه : « فسأله : « ماذا قلت له عنى ؟ فقال : « قلت له انك صديق قديم ، وراعى كيرت مايسنر . » وفكر لانى لحظة ثم سأله : (ا أخبرته اني لا اتفق معه في آرائه ؟ » فقال : « طبعا . اتظنه لايهتم الا بمقابلة الموافقين له في الراى ؟ » .

وكان لانى قد افترض شيئا كهذا ، ولكنه كان من التهذيب بحيث لا يرد على هذا السؤال ردا مباشرا ، فسأله بدلا من ذلك : « هل قلت له

التي قد انقلب مؤمناً به ؟ » فاجاب : « قلت له ان الامر جدير بفناء المحاولة . » فقال : « ولكنه في الحقيقة ليس كذلك ياهاينريش . » فقال : (لك ان تجازف ، ما دام راغباً في ذلك .) فضحك لاني وقال : (انه بطبيعة الحال رجل مثير للاهتمام ، وسيروقني ان القاء .) فقال : « وهو كذلك . تعال . » فسأله : (ارائق انت ان ذلك لن يؤثر على مركزك ؟ » فاجابه : « مركزي ؟ لقد ذهبت لزيارته ثلاث مرات وهو سجين في قلعة لاندسبرج . وهو رجل لا يمكن ان ينسى اصدقاؤه . » فقال له : « وهو كذلك اذن ، ومتى نذهب ؟ » فاجاب : « كلما اسرعنا كان ذلك افضل ، فهو في برلين الآن ، انه يتنقل كثيراً بصورة فجائية . » فقال : « حدد انت الوقت . » فسأله : « انت خال من الارتباطات عصر اليوم ؟ » فاجابه : « في وسعي ان اخل نفسي . »

وطلبه هاينريش مرة اخرى تليفونياً ليقول له ان الموعد تحدد في الساعة الرابعة ، وانه سيكون في انتظار لاني امام القيادة العامة للحزب في منتصف الرابعة . فلما صعد هاينريش السيارة وذكر العنوان للسائق ، بدا عليه شيء من التردد وهو يقول : « السلوك الامريكي كما تعلم ليس مطابقاً تماماً للسلوك الالماني . والفوهرر مدرك طبعاً انك امريكي . . . » فقال لاني : « ارجو الا تكون متوقفاً مني ان اقول له هايل هتلر ! » فاجاب : « لا . لا . طبعاً لا . فانك سوف تصافحه . » فسأله : « هل اخاطبه بضمير الغائب ؟ » وكان لاني قد قرا اعلاناً في المدة الاخيرة باتباع هذا التقليد الذي كان مستعملاً في مخاطبة الشخصيات الملكية فيما مضى . واجابه صاحبه : « ليس هذا متوقفاً من اجنبي ، ولكن من المستحسن الا تعارضه ، فهو كما تعلم رازح تحت اعباء ثقيلة في الوقت الحاضر . . » فقال لاني : « فهمت . » وكان قد بلغه عن كثير من المصادر ان « آري » شخص سريع التهيج، بل ان بعضهم وصفه بأنه سيكوباتي . وسارع الآخر الى الاستطراد قائلاً : « وليس ما اعنيه انك يجب ان توافقه، بل يكفي جداً ان تصفى ، وهو رقيق جداً في ميله لتوضيح آرائه للناس » فقال لاني وهو حريص على ابقاء ملامح وجهه جامدة : « يقينا فقد طالعت « كفاحي » ، وسيكون هذا اللقاء بمثابة ملحق اضافي له . فقد مرت خمس سنين ، وحدثت امور كثيرة خلالها . فتهف الشاب الآري المخلص : « اليس رائعا ان يكون الكثير جداً مما ورد به قد تحقق ! »

فُوهرر الحزب وقيادة فرق الهجوم ورئيس ال ن . س . د . ١٠٠٠ ب كائ
مقيما في بيت من البيوت الانيقة المقسمة الى اجنحة ولها بواب يرتدى
كسوة رسمية . والفوهرر نباتي لا يشرب الخمر ولا يدخن ، بيد انه ليس
زاهدا فيما يتعلق بالزخرفة الداخلية ، بل هو على العكس يظن نفسه
فنانا ويطيب له ان ينسق ما يحيط به . وبأموال فرانز تيسن وغيره من
الوجهاء اشترى قصرا في ميونخ جعل منه معرضا مقصودا ، وسماه
« البيت البني » ، واشترى لمسكنه في برلين اثنا على الطراز العصري
في منتهى الاناقة . وهو مقيم في هذا المسكن مع زوجين يقومان على رعايته ،
وهما من جنوب المانيا ومن اصدقاء ايامه الماضية ، ولهما طفلان كان
« آدي » يلعب معهما احدى الالعاب البيتية عندما دخل عليه زائره ،
فاستبقي الصغيرين برهة متحدثا اليهما وعنهما جانبا من الوقت ، وكان
شففه بالاطفال افضل ما فيه . ولو ان لاني لم ير منه غير هذا الجانب
لسر لذلك وحده ، وكان الفوهرر يرتدى بدلة عادية بسيطة ويبدو على
مظهره انه شخص بسيط بعيد عن التكلف . وصافح ضيفه الامريكي
الفرنسي ، وربت على ظهر هاينريش وطلب عصير الفاكهة والكهك الصغير
المجفف للجميع . وسأل لاني عن طفولته على شاطئه الريفيرا ، والطفلان
يصفيان بعينين مفتوحتين لقصص صيد السمك بالشباك من السنين ،
واصطياد السيبيا وصفار القرش ، وقصة الطفل القطبي الصغير الذي
رقص فابهج الناس في « اريئة انتيب » منذ الفين من السنين . اما طفولة
ادي شكلجروبر فكانت شقية ، ولم يتحدث عنها .

وسرعان ما سأل اين التقى لاني بكيرت مايسنر ، فحدثه الزائر عن
مدرسة « دلكرور » في هيلليراو ، فاخذ المضيف ذلك الكلام دليلا على
ثقافته الالمانية ، وأحجم لاني عن الاشارة الى ان جاك دلكرور كان
سويسريا من ارومة فرنسية ، بيد ان المدرسة شيدت بمال هو هبة من
راع الماني للفن . وقال هتلر : « ان هذا النمط سيكون مصدر مجد
ادارتنا الاشتراكية الوطنية ، اذ ستكون ثمة نهضة ضخمة في العبقرية
الفنية والموسيقية تذهل العالم » . ولاحظ لاني انه في حديثه كله كان
يعتبر من المسلمين قرب تولى حزب العمال الالمان الاشتراكيين الوطنيين
حكم المانيا . فلم يقل قط « اذا » بل كان يقول : « عندما » ، وكانت هذه
بلا شك من النقاط التي لن يقدم زائره على معارضته فيها .

وتحدثوا عن كيرت وموسيقاه الآرية الخالصة في رأى الفوهرر ،
الحالية من البهرج ، ومن التأثيرات الاجنبية الفاسدة ، فالمعيشة سنوات

طويلة جدا في فرنسا لم تؤثر على الاطلاق في المؤلف الموسيقى على ما يبدو . وقال لاني ان كبرت كان في عزلة تامة تقريبا ، وقلما كان يخرج الا اذا جره احد جرا . وتحدث عن حياته في بيأني ، ووافق الفوهرر على انها الحياة المثالية للفنان . ثم اضاف قوله : « وهي الحياة التي كنت حريا ان اختارها ، ولكني للأسف ولدت في برج سماوي مختلف » . وكان لاني قد سمع انه يؤمن بالطوالح الفلكية ، وتمنى الا يخوض في هذا الموضوع .

- ٨ -

وكانت خطة زعيم جميع النازيين ان يخرج هذا الاجنبي الشاب الانيق المفرط في الثراء الى الدنيا وقد اعتنق افكار الاشتراكيين الوطنيين ، وسعيا وراء هذه الغاية جشم نفسه عناء اللطف الشديد ، وكانت قدرته على ذلك غير ضئيلة . وقد سأل قبل ذلك عن وجهة نظر لاني لان كل شيء قاله كان موجها بصورة لبقة نحو هذه الغاية . ولاني اشتراكي ، وكذلك هتلر اشتراكي ، ولكنها الاشتراكية الوحيدة الصحيحة العملية . فمن فوضى الرأسمالية المتنافسة يجب ان يقوم نظام جديد ، نظام يبقى لانه سيقام على الفهم الصحيح وبتوجيه من رجال العلم . فهو ليس نظام اشتراكية ماركس المنحلة الشريرة التي تجعد اثنان في البشر ، وليس الاشتراكية المسممة بأوهام الدولية العالمية ، وانما هو نظام اشتراكي قائم على الاعتراف بالخصائص السلالية الكبرى ، تلك الخصائص التي تستطيع وحدها ان تجعل هذه المهمة معقولة ممكنة .

وبأناة ورقة شرح الفوهرر له آرائه عن الجنس مبينا كيف ليست المانية بالمعنى الضيق . ان لاني ايضا « كاري » وكذلك الطبقات المثقفة في امريكا . لان حضارتهم آرية حقيقية ، وكذلك البريطانيون . « ولا اريد شيئا في الدنيا اكثر مما اريد التفاهم والسلام بين بلادي وبريطانيا . ولا اظن ان الدنيا عرفت مأساة في العصور الحديثة تضارع الحرب التي نشبت بيننا . فلماذا لا يفهم كل منا الآخر ونمضي في صداقة نحو انجاز مهمتنا المشتركة ؟ ان العالم كبير بما فيه الكفاية ، ومكتظ بالقبائل المنحلة السلالة والمختلطة ممن لا نجرؤ على السماح لهم بالحصول على السلطة لانهم عاجزون عن استخدامها استخداما ذكيا » .

ولبت هتلر برهة طويلة يتحدث عن هذه القبائل المنحلة المختلطة . وشعر انه في امان وهو يتحدث شابا امريكي فرنسيا برايه في اليابانيين ، وكيف انهم نوع من القردة الصفراء بدون شعر . ثم انتقل للكلام عن

الروس وهم بطبيعتهم كسالى غير اكفاء متعطشون للدماء وقعوا في ايدي جرذان المجارى والمنحليين . وتحدث عن الفرنسيين فالتزم جانب الحذر فيما قال ، فهو لا يريد عداء بين فرنسا والمانيا . وفي وسعها ان يعقدا معاهدة للسلام تدوم الف سنة لو ان الفرنسيين تخلوا عن فكرتهم البلهاء في تطويق المانيا وابقائها محاطة بالاعداء . ان المحالفة البولندية والاتفاقية الصغرى هما اللتان تبقيان العداوة قائمة بين شعبينا ، فنحن لا ننوى ان نسمح لهؤلاء الناس بالاستمرار في حكم المانيا ، وتصميمنا صلب كالفلاد على تصحيح الاخطاء التي ارتكبت في فرساي . ولا بد انك تعرف شيئا عن ذلك يا سيد بد لانك كنت في شتوبندورف ولا بد انك رأيت بعينيك ما الذى يعنيه وقوع الالمان تحت حكم البولنديين . فاجابه لاني : « لقد كنت احد الامريكيين الكثيرين في مؤتمر الصلح الذين ترفعوا ضد هذا الخطا » . وعندئذ ازدادت حرارة الفوهرر وهو يقول لزائره ، « ان ذوى العقول الضحلة يسمون مسلكي هذا نزعة امبريالية . وهذا سوء استخدام للغة » . فليس من الامبريالية ان تعترف بالحقيقة التاريخية الواضحة المجردة ، ان شعوبا معينة لديها القدرة على بناء صرح الثقافة في حين تفتقر عن غيرها من الشعوب الى هذه القدرة تمام الافتقار . وليست امبريالية ان تقول ان شعبا قوى التكوين عظيم الروح مثل الشعب الالمانى ينبغي الا يحدق به ويحبس في حظيرة على يد مزاحميه الطماعين المسودين . وليس من الامبريالية ان تقول هذين الطفلين الصغيرين ينبغي الا يعانيا طوال حياتهما صنوف الحرمان التي شقيا بها حتى الآن » .

وكان المتحدث يمر بيده فوق رأس الصبى الصغير الاشقر القصير الشعر جدا واستطرد قائلا : « لقد ولد هذا الوغد الصغير في عام العار الاكبر ، عام فرساي الشريرة المملة علينا وفي وسعك ان ترى نحوله وضموره دون الحجم الطبيعى بسبب حصار التجويع . ولكنى اخبرته ان ابنائه سيكونون اقوياء البنية مثلما كان ابوه ، لاني اعتزم ان اخلص ارض الوطن من كل احتمال لانواع الحصار المختلفة ولن يزعجنى ان ينعتنى اعدائى بالامبريالى . وقد كتبت قولى هذا وهو ان كل رجل يغدو امبرياليا عندما ينجب اطفالا ، لانه يلتزم امام نفسه بكل ما يتيح لطفلة اسباب الحياة » .

وكان في وسع لاني ، وهو الاشتراكي الذى لا تخلو اشتراكيته من نزعة دولية عالمية ، ان يفكر في اجابات كثيرة ، ولكن لم تساوره الرغبة في افساد هذه المقابلة المسرفة في وديتها . وما دام النمر ميالا للقرقرة ، فلاني سعيد بالاستمرار في دراسة النمر . وكان حريا أن يتأثر بكلمات

لطيفة كثيرة قيلت له لولا انه كان قد قرأ « كفاحي » . فكيف يستطيع مؤلف هذا الكتاب ان يخيل الى نفسه انه لا ينطوى مثلاً على عداة لفرنسا ؟ ام تراه غير رايه بعد خمسة اعوام ؟ يبدو ان هذا غير صحيح ، لانه انشأ داراً للنشر تباع انجيله لجميع المخلصين من اتباع حزب العمال الالمان الاشتراكيين الوطنيين وبسعر اثني عشر ماركا للنسخة الواحدة ، لا بد ان ثروة كبيرة قد تجمعت عند واحد ما من الناس .

- ٩ -

وقال لاني في نفسه : « اراني اقتطع الكثير من وقت رجل مشغول ، ولكنه كان يعلم ان المرء حين يزور شخصية ملكية لا ينصرف الا حين يراد له ان ينصرف . ولعل الوضع هكذا ها هنا . وكان الطفلان قد صرفا من الحجرة لان وقت عشائهما حل ، ولكن الفوهرر واصل حديثه . وجلس هاينريش يونج مائلاً الى الامام في مظهر يدل على الانتباه المشدد ، فلم يكن امام لاني الا ان يحذو حذوه . واعاد الفوهرر سر الاساءات التي وجهت الى بلاده ، وكلما امعن في الحديث ازدادت حماساً وتضخم صوته حتى انقلب خطيباً . وتذكر لاني انه كان قد قرأ في موضع ما عن شكوى الملكة فيكتوريا من مقابلاتها لجلاد ستون : « انه يعاملني كما لو كنت اجتماعاً عاماً . ووجد لاني ما يبعث على شيء من الضيق اذ يصيح في اذنيه شخص طول الوقت وهو على قيد ستة اقدام منه . وقال في نفسه « يا الهى الرحيم ! ان في وسع هذا الرجل بكل هذه الطاقة ان يخاطب المانيا كلها ! » ولكن يبدو ان ادولف هتلر كان لديه من الطاقة ما يكفي لكل المانيا ولزائر اجنبي ايضاً . فله هو ان يقرر الى اى مدى يمضى في كلامه ، وعلى الزائر ان يجلس ويحرق فيه وكأنه ارنب مسهور يحرق في افخوان يفتح .

وقد شهد لاني ذلك الأمر بعينه يحدث في اجتماعات شتى . فكان الفوهرر يشتعل ناراً من عباراته شخصياً ، ويندفع الى العمل بتأثير بلاغته الخاصة فالان لحظة قهر اعداء الوطن هؤلاء ، ومعاقبتهم على جرائمهم . فتتدحرج الرموس فوق الرمال ! ونسى الخطيب كل شيء عن الرقة والتعقل اكراما لعضو في امتين من هذه الأمم المعادية . ولعله حسب لاني وقد سمع القصة كاملة عن فرساي والتعويضات وحصار التجويع وغزو الرور والمخالفة البولندية وما الى ذلك كله قد أصبح الآن حتماً مؤمناً به تمام الايمان . فبعداً لذلك التظاهر بأن لفوهرر النازيين لا يبغض الفرنسيين

ليخلهم والبريطانيين لعجرفتهم والامريكيين المحسدين لدعاواهم ،
والبلشفيين لوحشيتهم وتعطشهم للدماء ، واليهود لانهم زبانية الجحيم .
وقصارى القول انه انقلب ذلك الشخص المجنون بخبال الغضب الذى
سمعه لاني وريك اول مرة فى حانة البيرة بميونخ منذ سبعة أعوام .
فيومئذ قال لاني : « لابد من الاعتراف له بالاخلاص » فاجابه ريك :
« وكذلك معظم المخبولين » .

ولا احد يدري كم من الوقت كان حريا أن يستمر فى الكلام .
وفتحت مدبرة البيت الباب وقالت : « عفوا يا زعيمى .. الهرشتراسة »
ومن خلفها تقدم بلا امهال رجل ضخيم يرتدى زى فرق الهجوم . وكانت
ملامحه ضخمة اقرب الى الحشونة ، وله أنف مكور بعض الشيء ، وفم متجه
الى اسفل على جانبيه خطوط عميقة . وطبقا للعادة المتبعة التى ألفها لاني
كان ينبغي أن يقف القادم عند الباب ويضرب كعبه ويؤدى التحية النازية
قائلا : « هايل هتلر ! » ولكنه بدلا من ذلك كله تقدم وقال بلهجة غير
مبالية « يا لله يا أدولف » ومعنى هذا انه صديق قديم ، وانه أيضا من
بافاريا .

واخذ الزائران بشدة من رد الفوهرر عليه الذى وجه بعنف كانه
لطمه : « انك لم تسلك فى المدة الأخيرة سلوك صديق ، ولذا لم يكن
استدعاؤك بصفتك صديقا ! » ونهض المتكلم على قدميه واستطرد مشيرا
الى القادم بأصبع الاتهام : « تعلم للمرة الأخيرة انتى ضقت ذرعا بتمردك !
انك تعرض نفسك للخطر ! » فاجفل الرجل الضخم الى الوراء وفغرفاه .

فهل كان فوهرر النازيين حريا أن يهاجم مرءوسه بهذه الطريقة
العنيفة الفجائية لولا انه كان قد استشيط بحرارة كلماته فى تلك المواجهة ؟
من المستحيل أن نقطع برأى فى ذلك ، ولكن دهشة الهرشتراسر واستياءه
كانا واضحين . وقد فتح فمه كأنما يريد أن يسأل ما الشأن ، ولكنه
أغلقه مرة أخرى لانه لم يجد الفرصة لذلك فقد شرع هتلر فى حملة تنديد
واندفع نحو الرجل لا ليملكه بل ليدفع بأصبع الاتهام الى قيد بوصتين من
أنفه الكبير وهو يصرخ : « ان مؤامراتك معلومة لنا ! ووقاحتك مستهجنة !
وتصريحاتك العلنية تحريضات على الخيانة ، فان لم تصلح من سلوكك
ووسائلك فانك ستطرد .. اذهب وانضم الى الجهة السوداء مع أخيك ،
والى الشيوعيين المقنعين الآخرين والأوغاد ! أنا .. أنا أدولف هتلر ..
زعيم حزب العمال الألمان الاشتراكيين الوطنيين وأنا الذى أقرر السياسات
الخاصة به .. ولن أقبل معارضة ولا جدلا .. أريد الطاعة فحسب ..
انا فى معمان حرب وأنا أطالب بالولاء والنظام .. النظام ! النظام !

النظام ١ « والكلمة من الكلمات الألمانية الكثيرة التي تحتاج الى تفريغ الحلق ، فاجفل شتراسر المسكين أمام رذاذ من الجسيمات الصغيرة الرطبة . وقال بجهد في حين كان الفوهرر يلتقط أنفاسه :

« ولكن يا أدولف من الذى أبلغك هذه الأقاويل عني ؟! » فأجابه : « ان من شأنى أن أعرف ما يجرى داخل حركتى .. أخيل اليك انك تستطيع أن تعرب عن ازدرائك لسياستى من غير أن تبلغنى أنباء ذلك ؟ » فقال : « لابد أن شخصا كذب عليك يا أدولف .. فانا لم أقل سوى ما قلته لك : ان الوقت الحاضر مناسبة للعمل ، وان أعداءنا لا يريدون سوى الامهال ، كى يتمكنوا من اضعافنا بمؤامراتهم ودسائسهم .. » فقال هتلر : « انهم يطعنوننا بسبب الفطرسية واستقلال الارادة بين المسئولين فى حزبى . لان هؤلاء الادعياء يجسرون على تنصيب أنفسهم مصدرا للسلطة ومفكرين . انا الذى أفكر للاشتراكيين الوطنيين .. انا .. وقد أمرتك ان تعقل لسانك .. فاخرس واطع أوامرى ونفذ سياستى لا افكارك الخاصة الغبية .. لقد حول أخوك نفسه الى مجرم خارج على القانون بسبب هذه الفطرسية نفسها .. » فقال الرجل : « دع أوتو بعيدا عن هذا الموضوع يا أدولف .. فانت تعلم اننى قطعت صلتى به فلا أراه ولا أتعامل معه ، فصاح أدولف بلهجة ألمانية عامية تشوبها اللكنة البافارية انه سيسحق أمثاله كالحشرات ، واندفع قائلا : « لقد بقيت انت فى الحزب لتواصل تهيجات أوتو فى تعزيز السياسة المنبوذة وتأييدها .. انا ربان هذه السفينة وليس من حق النوتية أن يخبرونى بما ينبغى أن أصنع ، بل عليهم أن يصنعوا ما أمرهم به . ومرة أخرى أقول لك انى أريد الوحدة فى مواجهة أعدائنا .. افهمنى .. انى أمرك بذلك ! انا أخاطبك باعتبارى زعيمك ! » .

وخيل الى لانى انه لم ير قط رجلا خرج عن طوره من شدة التوفز كهذا الرجل ، فقد غدا وجه هتلر قرمزيا وراح يتوائب وهو يتكلم ، ويؤكد كل كلمة بالضبط عليها وبهزة من أصبعه كأنه مطرقة . وحسب لانى أن الرجلين سيتشاجران حتما . ولكن خاب ظنه فسرعان ما رأى الرجل الآخر يميل للاذعان . ولعله رأى ذلك الشئ بعينه يحدث من قبل فتعلم كيف يسلك ازامه ، فكف عن المجادلة وعن محاولة الاحتجاج ووقف فى موضعه ببساطة وترك زعيمه يهرف كى تستنفذ العاصفة قوتها ، ان كان مقدرا لها أن تستنفذها .. ولكن يمكن للمحيط أن يعود سيرته الأولى بعد اعصار كهذا الاعصار ؟

وكان لاني قد تعلم الكثير عن الشؤون الداخلية لحزب النازي من احاديث كيرت وهينريش . فضلا عن هذا كان يشتري الصحف الألمانية خلال شهور الصيف ، وكانت حافلة بنزاع حزبي محتدم حول مسألة البرنامج القديم الذي اكب هتلر على الانتقاص منه حتى لم يعد باقيا منه الآن شيء تقريبا . ذلك أن كثيرين من النازيين هنا في شمال ألمانيا يأخذون الجانب « الاشتراكي » من شعارهم مأخذ الجد ، ويصرون على التحدث عن تأميم المتاجر الكبرى ، ومصادرة الضياع الزراعية وانهاء عبودية الربا ، وتقديم الثروة العامة على الثروة الخاصة وما الى ذلك . وقد أدى ذلك الى حرب أهلية منظمة بين صفوف الحزب في اوائل السنة . وحارب الشقيقتان شتراسر ، وهما جريجور وأوتو ، في سبيل البرنامج القديم وهزما . وأذعن جريجور ، أما أوتو فترك الحزب ونظم جماعة ثورية خاصة به كان الهتلريون يسمونها « الجبهة السوداء » ، وكانوا يحاربونها بالهراوات والمسدسات على نحو ما يحاربون الشيوعيين . ثم حدث قبل الانتخابات مباشرة محاولة أخرى للثورة الداخلية فاستولى المتمردون على مناصب صحيفة الحزب ببرلين « الهجوم » واحتفظوا بها بقوة السلاح وقاموا بنشر الصحيفة لمدة ثلاثة أيام ، وهي فضيحة هائلة لم يفت أعداها الحركة استغلالها .

هذا اذن جريجور شتراسر ، زعيم تنظيم الرايخ رقم واحد . وكان ملازما في الحرب العالمية ثم صار صيدليا ، بيد انه تخلى عن عمله ليقاوم الحمر ، ثم ليساعد « ادى » في الاعداد لثورة حانة البيرة ، ولعله اكفا منظم في الحزب وقد حضر الى برلين وأنشأ بجهوده فرق الهجوم . ولما كان هتلر لا يثق به ويراه مبعثا في يساريته ، فقد كون حرسا جديدا هو كتائب الحراسة أو كتائب الأمن ، وبذلك صار هناك جيشان داخل حزب النازي لسائر ألمانيا ، فلايهما تكتب الغلبة ؟ .

وتساءل لاني : « هل فقد هتلر زمام أعصابه ، أم هذه مجرد سياسة ؟ أهذه هي وسيلة الألمان لفرض الطاعة ، وهي وسيلة جاويز التدريب ؟ يبدو انها طريقة ناجحة ، فها هو الرجل الضخم يخفت صوته الذي يشبه خوار الثور ، لقد وقف بوداعة وتقبل « العلقة » كأي تلميذ أمروه بانزال بنطلونه كي يجلد . وتساءل لاني أيضا : لماذا سمح الفوهرر لأجنبي أن يشهد مظاهرة من هذا القبيل ؟ هل خالها تؤثر في نفس أمريكي ؟ اتراه يحب السلطة كل هذا الحب حتى انه يسر باستعراضها

بمحضر من الغرباء ؟ أم هو يشغف بمنتهى الرسوخ فى سيطرته بحيث لا يكثرث لما يمكن أن يظنه به الناس ؟ لقد بدا هذا الغرض الأخير متفقاً مع طبعه الذى سوغ له حشد برنامجيه المتحدى برمته فى كتاب يبيعه لكل انسان فى الدنيا لديه اثنا عشر ماركا .

واصفى لاني مرة أخرى لقصة « كفاحي » ، باكملها ، وادرك ان ادولف هتلر ينوى أن يغلب العالم بالحيلة، ولكن فى الوقت الذى يختاره وبطريقته الخاصة . انه ينوى الغاء برنامجيه للأرض الزراعية ليرضى الاشراف الاقطاعيين (اليونكر) ، وكذلك برنامجيه للصناعة ليرضى ملوك الصلب وبذلك يحصل على أموال منهم لشراء أسلحة لفرق هجومه وفرق أمنه . كان فى نيته أن يعد كل انسان بكل شيء وبذلك يحصل على أصواتهم جميعاً ، فيما عدا البلاشفة والبغضاء واليهود الملاعين . انه عازم على احراز السلطة وتولى الحكم ، ولن يقف فى طريقه الى هدفه أحد ، وان حاول أى غبي شيئاً من ذلك سحقه كالقملة ، وصارحه بذلك .

ولما غامر شتراسر بالتنبيه الى ان دكتور جوبلز ، داعيه الفوهرر المفضل ، كان قد صرح بأنه بدأ يكون « عقدة الوسائل المشروعة » أجاب الفوهرر بأنه سيتولى أمر « جوبشن » (تدليل جوبلز) فى الوقت الذى يترأى له ذلك ، أما الآن فهو بصدد محاسبة جريجور شتراسر والتنبيه عليه ألا يتفوه بكلمة نقد واحدة بعد الآن لسياسة زعيمه وأن يوجه كل طاقاته لسحق الحمر وتعليم منظمته النظام الذى تفتقر اليه بصورة مخجلة . ان ادولف هتلر سيقوم بمناوراتِه الخاصة مع الساسة يضرب فريقاً منهم بالآخر ، مسترقاً الخطى قدما باستمرار صوب مركز المستشار الذى يصبو اليه وفى الوقت المناسب سيوقع بهم جميعاً ، وعندئذ سوف يخجل اصداقاؤه من عماهم ووقاحتهم حين تشككوا فى قائدهم الملهم .

وهكذا شهد لاني تطبيقاً عملياً لمفهوم السيطرة على الرجال . ولعل هذا ما رمى اليه الفوهرر لانه بعد أن تلقى خضوع قائد تنظيم الرايخ رقم واحد وصرفه التفت الى ضيفه مرة أخرى قائلاً : « ها أنت يا مستر بد قد رأت ما يقتضيه دفع الرجال الى العمل فى سبيل قضية . أفلا تحب

أن تعاونني في ذلك ؟ ، فقال لاني : « أخشى ألا تكون لدى أدنى كفاءة لهذه المهمة » ان كانت في لهجته تشائبة من جفاف فقد فانت الفوهرر ، لانه ابتسم بمودة ، وبدأ عليه الرضا الشديد عن العمل الذي أنجزه عصر هذا اليوم .

وبعد ذلك بمدة طويلة عرف لاني من كيرت مايسنر ماذا كان رأى الفوهرر في هذه المقابلة . فقد قال ان مستر بد الشاب نموذج كامل للطبقات الممتازة في أمريكا : انه حسن المنظر ، لين الجانب ، تافه تمام التفاهة . لذلك فهو من البساطة بمكان عظيم أن تدفع مثل تلك الأمة الى الانقسام فتاتا ، ثم تتولى الحركة الاشتراكية الوطنية أمرها .

**** معرفتي ****
www.ibtesama.com
منتديات مجلة الإبتسامة

الفصل الثامن

البلد والاقتسام

- ١ -

فى شهر ديسمبر أتمت إيرما وراحيل المهمة الهائلة التى نهضتا بها ، ونفذتا الميثاق الذى قطعته أمام نفسيهما وأمام اسرتيهما ، وصارتا الآن حرتين جسديا ومعنويا . وكانت حالة الطفلين الممتلئين صحة دليلا واضحا على صواب رأى روسو ولانى ، وشيئا فشيئا تعود الرضيعان النهمان أن يتناولوا لبن أبقار حقيقية بدلا من لبن بقرتين مزيفتين ، وتكون لديهما ميل الى عصير الفاكهة ولب ثمار البرقوق بعد نزع الجلد عنها بعناية . وأخيرا صار فى وسع الأمين الشابتين أن تتوجهما الى حفلات البريدج من غير أن تضطرا الى مفادرتها فى منتصف اللعبة .

وكانت مارسلين قد عادت مع مربيتها الى جوان عقب انتهاء رحلة اليخت ، ووعدتها أمها أن تلحق بها لقضاء عيد الميلاد ، فودعت بيوتى آل روبن وركبت القطار هى وزوجها وأخذا معها الطفلة والآنسة سيفيرن والحادمة المربية والسيدة . وتجددت دعوة الجنرال جراف ستوبندورف للانى وإيرما ، وقد كتب كيرت يقول أنهما يجب أن يلبيها بأية وسيلة لا لأن إقامة إيرما فى القلعة ستكون امتع لها ، بل لأنه من المفيد لآل مايسنر أن يعود صديق قديم لهم ليحل ضيفا على مقامه الرفيع . وقد لاحظ لانى ذلك باهتمام وشرحه لزوجته ، فما يعتبر تظاهرا كاذبا فى أمريكا يعتبر فى سيليسيا ولاء . فجيوش نابليون لم تصل قط الى هذه الأرض ولذا ظل النظام الإقطاعى سائدا وظلت المكانة الاجتماعية حقيقة واقعة .

ولما كانت شتوبندورف فى بولندا ، تعين وقوف القطار وتم فحص جوازات السفر والامتعة ، وكانت القرية نفسها المانية ، ولم يكن فيها من البولنديين سوى أفقر المزارعين ، مما خلق حالة التوتر الشديد ، وما من المانى رأى الموقف أكثر من هدنة مؤقتة . ولم يكن لانى يدري ما رأى

البولنديين لأنه لم يستطع التحدث اليهم . وكان قد اطلع زوجته في برلين على صحيفة فكاهية بها صورة هزلية تصور بولندا خنزيرا سمينا هائلا وقد ركب فوق ظهره غلابط بالجيش الفرنسي راح يلقى ذيل الخنزير ليحمله على الجرى وهو يلوح بسيف في يده الأخرى ليبين السبب في عجلته . وليست هذه بالضبط روح عيد الميلاد .

وقامت ايرما بارنز باكتشاف النظام الاقطاعي فوجدته ليس شديد الاختلاف عنه في الساحل الجنوبي من لونيغ آيلند . وقد استقبلتها في المحطة سيارة ليموزين ، وهو ما كان يحدث أيضا في موطنها . ولم تشعر برهبة امام القلعة ذات الطوابق الخمسة ، لأنها كانت مقيمة في قلعة أكثر منها ارتفاعا وأعرض منها مرتين . والسيدة التي رحبت بها لم تكن بالتأكيد أطول ولا أعرض من السيدة فاني بارنز ، ولا يمكن أن تكون أشد منها اعتدادا بنسبها . وأول الفوارق الأساسية ان أبناء هذه الاسرة البروسية وبناتها يعملون ويكدحون أشد مما يكده أي شباب عرفتهم ايرما حتى الآن . والفرق الثاني وجود أزياء رسمية ومراسم تنطق بالمكانة والمنزلة . وأولت ايرما اهتماما شديدا لهذه الناحية حتى لقد تساءل زوجها هل تعتزم ادخال هذه المظاهر الى الدنيا الجديدة .

وكان لاني عندما زار بيت أبيه في كنتيكت قد اكتشف أن زواجه من واردة عظيمة قد رفع من مكانته الاجتماعية ، وها هو يلاحظ الآن تلك الظاهرة بعينها تتكرر هنا . فاناس كانوا لا يلتفتون اليه التفاتا خاصا علي مر السنين انقلبوا فجأة الى قوم يدركون جوانب اخاذه في شخصيته . بل ان اسرة مايسنر نفسها ، وهم الذين عرفهم وأحبهم منذ كان فتى صغيرا له وكانهم يتهيبونه . وفي حين كان فيما مضى يشارك كبرت فراشا في حجرته الصغيرة ، صار الآن نزيل جناح باذخ في القلعة والاتباع والمستاجرون جميعا يخلعون له قبعاتهم ، ولم يعد يسمع الآراء في السياسة والادارة مروية على لسان الهرمايسنر بل صار يتلقاها من فم صاحبها مباشرة . ومن سوء الطالع أن هذه الآراء لم تعد تؤثر في نفسه كما كانت الحال في الأعوام السالفة . فالجنرال الجراف اقطاعي نبيل نموذجي ، وعضو عامل في الحزب القومي . وخططه السياسية محدودة بمصالح طبقته ، فلم يسمح لنفسه أن تتأثر بالحقيقة الواقعة وحتى وجود ضيعته حاليا في بولندا ، فهذه مسألة مؤقتة سرعان ما تتغير . وهو يؤيد فرض ريمانية بجمركية على المواد الغذائية لكي يؤدي الشعب الإطمان المثلث للملاك الأراضي . وهو راغب في استخراج الفحم من مناجمه التي

١٠ *

باراضيه ، ولكنه لا يريد أن يؤدي لعمال المناجم اجرا يكفى لشراء الطعام الذى ينتجه لهم . وهو يريد الصلب والكيمياويات ومنتجات الصناعة الأخرى التى تحتاج الى حشود من العمال ، ولكنه يلومهم لأنهم يحاولون أن يكون لهم رأى فى أحوال معيشتهم ، أو فى حقهم فى الحياة اطلاقا .

- ٢ -

ولحسن الحظ لم يكن من الضرورى اتفاق الكثير من الوقت فى مناقشة الأمور السياسية ، فقد كانت ثمة مجموعات كثيرة من الناس تفضل الموسيقى والرقص والمآدب ، فإن منتجات الريف ان لم يتسن بيعها بربح فمن الممكن أكلها فى موطنها ، ولذا راح كل امرئ يبذل خير ما فى وسعه ، وكان مبلغ نجاحهم فى ذلك مذهلا ، فالآراء العصرية عن التغذية الصحية شأنها شأن نابليون لم تنفذ الى النظام الاقطاعى فى سيليسيا العليا ، فالنظام الغذائى هناك هو بعينه الذى أذهل لانى وهو غلام : افطار مبدئى بكعك على طريقة درسدن ، وهو نوع من الفطير بداخله الزبيب وعلى ظاهره السكر ، ثم فى منتصف الحادية عشرة « افطار بالشوكة » ، حيث تؤكل انواع مختلفة من اللحوم ، من غير أن يكون لذلك أدنى تدخل فى شهية أى شخص على مائدة الغذاء . وشأى ما بعد الظهر عبارة عن احتساء القهوة فحسب ، ثم بعد ذلك عشاء مكون من ثمانية ألوان وعشرة يقدمه خدم مطعمون فى كسوات من الساتان . وأخيرا ، بعد لعب الورق أو الموسيقى والرقص لم يكن من المتصور عقلا أن يأوى أحد الى الفراش بمعدة خاوية . وهذا معناه ان الوجبات ثمان كل يوم ، تنتج شبانا أصحاء أقوياء ، ولكنهم متى وصلوا الى منتصف العمر صارت لهم اعناق كالثيران وخدود كطائر الماء وعيون يكاد يفلقها ما فى أجفانها من شحم .

ووقع لانى على اكتشاف سريع جدا ، ان هذه هى الحياة التى خلقت لها زوجته ، فلا أحد يصيح وهو يكلمها ، ولا أحد يشوش عقلها بأفكار غريبة ، وكل انسان يعاملها باعتبارها شخصية راقية ، وكل انسان يجدها فاتنة ، بل متوقدة الذكاء . انه عالم يعتقد فيه بالرصانة والاتزان ، عالم لا لزوم لتغييره ! وقد غدت الجرافين (زوجة الدوق صاحب المنطقة ومالكها) أما ثمانية لها ، ودعيت لزيارة أسر راقية كثيرة جدا ، بحيث كان من الممكن أن تقضى مدة الشتاء بطوله من غير أن تنفق شيئا من ماليتها . وبدا

لها أنه من سمات النظام الاقطاعي أن يشعر معظم أفرادها الخائمين بالسأم في ضياعهم ، فيتلهفون على الضيوف ، بشرط أن يكونوا من ذوى المكانة .
وجميعهم من أصحاب مخازن الطعام المكتظة ، ولديهم جيوش من الخدم
المدرين على وضع الوجبات على الموائد . فتعال واستمتع بنصيبك !

- ٣ -

كانت رغبة لاني الحقيقية أن يقضى الوقت مع خدين صباه وكان
كيرت يعيش الآن مع أسرته الخاصة في كوخ حجري على مشارف قرية
شتوبندورف التي يملكها كلها مقامه الرفيع . وقابل لاني للمرة الأولى
زوجة كيرت الشابة اللطيفة المخلصة ، والثلاثة الآريين الصغار الشقر
الذين تم انتاجهم وفق تعليمات شكلجروبر . وتوجهت معه ايروما لتأدية
هذه الزيارة الأولى على سبيل المجاملة ، وبدافع من الفضول أيضا ، لأنها
كانت قد سمعت كيف كان هذا المؤلف الموسيقي المبدع عشيقا لبيوتى بد
مدى ثمانى سنوات تقريبا ، ثم انها كانت قد سمعت أيضا مافيه الكفاية
عن مغامرات كيرت في باريس أثناء انعقاد مؤتمر الصلح ، بما يجعل منه
شخصية رومانتيكية ..

ولم يكن كيرت قد تغير كثيرا في السنوات الأربع منذ آخر مرة رآه
فيها لاني . لقد جعلته الحرب يشيخ قبل الأوان ، بيد أن مظهره بعد ذلك
ظل كما هو رجل جاد اميل للصمت يؤثر أن يتحدث الى العالم من خلال
فنه . وكان يؤله المؤلفين الموسيقيين الالمان الكلاسيكيين ، ولا سيما
« الباءات الثلاث » (الثلاثة الذين تبدأ أسماؤهم بحرف الباء) ، باخ
وبتهوفن وبرامز ، فكل منهم كتب معزوفات قليلة للبيانو تؤديها أربع
أيدي ، وعلى مر السنين أعدت أعمال لهم أخرى في هذا القالب الفني ، بحيث
صار عدد المتاح من هذا النوع الآن نحو مائة معزوفة . وقد طلب لاني
مجموعة كاملة منها من أحد التجار في برلين ، فليس من الميسور في كثير
من الاحيان أن يقدم المرء لصديق هدية عيد ميلاد تدخل عليه مثل هذا
السرور ! وود الرجلان أن يجلسا عاكفين عليها باستمرار فلا ينهضان
حتى لتناول وجبات الطعام . وعجزت ايروما عن تصور كيف تستطيع
اصابع بشرية أن تثبت لما يقتضيه كل هذا الدق من التوتر ، أو كيف
تستطيع الأذن البشرية أن تستوعب كل هذه النغمات . واضطرت أن
تذكرهما بموعد في القلعة فاذا كيرت يشب واقفا على الفور ، لأن مقامه
الرفيع لا ينبغي أن يظل في انتظار أحد ولو كان باخ وبتهوفن وبرامز

وفي مقابل معاشه ومسكنه كان من واجب كيرت أن يعزف لراعيه وأن يجمع فرقة موسيقية صغيرة ويديرها ويقودها للعزف في المناسبات الخاصة ، مثل هذه الزيارة في عيد الميلاد . وكان يقوم بذلك كله في أمانة مدققة على نحو ما كان هايدن يصنع للأمير استرازي في فينا . ولم يكن ذلك العمل شاقا لأن مقامه الرفيع لم يكن يحضر في السنوات الأخيرة الا نادرا ، فيلقى على أتباعه المقيمين تحت حكم البولنديين خطبة رسمية حافلة بكثير من المرح المناسب لعيد الميلاد ، ولكنها حافلة أيضا بالايان الهادئ الذي لا يتزعزع بأن الله سوف يعيدهم بطريقة ما الى احضان الوطن . والاخلاص والشرف الالمانيان يكتسبان معنى خاصا عندما يستخدمها من يعيشون في المنفى .

وكان هذا ما تعنيه الحركة الاشتراكية الوطنية لدى كيرت مايسنر . وقد أصفى هو وزوجته الشابه بانتباه متلهف حينما حدثهما لاني عن مقابلته لادولف هتلر . وبعدئذ طلب الهر مايسنر سرد القصة على مسامع أسرته ، وبعدها أيضا طلب رب القلعة أن يسمعها اصداقاؤه . وسالوا الزائر اسئلة دقيقة عن برنامج (آدي) الحالي بالضبط ، وبطبيعة الحال كان لاني يعرف ما في أذهانهم هل اسقط فوهرر النازيين حقا ذلك القسم الجنوبي الاشتراكي الذي افتتح به حياته السياسية ؟ هل يمكن الاعتماد عليه حصنا حصينا ضد البلشفية ، وهي مصدر زعر حقيقي لاهالي حدود المانيا الشرقية ؟ هل يدع ملاك الاراضي لشأنهم ويتجه بكليته الى اعادة تسليح البلاد وأرغام الحلفاء على السماح بعودة شتوبندورف والاقاليم الأخرى المفقودة ، والمسر ، والمستعمرات ؟ ان الالمان المنفيين ان استطاعوا اليقين بهذه الأمور ، ربما ايدوه ، أو على الأقل لم يعارضوه معارضة قوية .

- ٤ -

وكان كيرت قد وضع سمفونية سماها « ارض الآباء » ، وقام مع زوجته التي تعبدته بنسخ اجزائها لفرقة موسيقية من عشرين آلة ، واستقدم كيرت عازفين من المدن القريبة على نفقة « الجراف » طبعا . ودرّبهم تدريبا دقيقا ، وقام بعزف عمله الجديد أمام مجموعة راقية ليلة عيد الميلاد ، وكانت هذه ذروة زيارة لاني ، بل وذروة الفترة كلها التي قضاها في المانيا . وكان في صباه قد اتخذ كيرت نموذجا لكل ما هو نبيل وملهم ، وتنبا له بمستقبل مشرق ، وأحس أنه كان على حق عندما رأى جينغ ذوى

الانساب والاحساب النبيلة من سيدات وسادة اقليم كبرت نفسه يجشمول لتكريمه .

وفي المدة التي اقامها في بيانفيني كان عمل هذا المؤلف الموسيقى حافلا بالمرارة والثورة ، اما منذ عاد الى موطنه فقد استطاع أن يجد فيما يبدو الشجاعة والامل فلم يعد يكتب موسيقى للبرامج ولم يسأله لاني عن المعنى المفروض أن عمله الجديد يعبر عنه . والواقع انه فضل الا يخبره بهذا المعنى لأن الطابع العسكري لجانب كبير من هذا العمل الموسيقي دله على أنه وضعه للنازيين ، فهو يصور قدوم مخلص ، ويصور الشعب الألماني وقد نهض وزحف الى مصيره العالمي . وعند الذورة لم يستطع الشعب أن يحافظ على خطورة السير فاندفع يرقص ، وحشود كبيرة منهم تهلل للمستقبل ، وهم جماعات لانهاية لها من الرجال والعذارى ، من ذلك الطراز البطولي الذي كان هاينريش يونج وهوجوير يقومان بتدريبه .

لم تكن الموسيقى تقول هذا صراحة ، فكل مستمع حر في تصور مفزى خاص به ، وأثر لاني أن ينضم الشبان والعذارى من جميع البلدان الى هذا الموكب الراقص الجبار . وتذكر كيف كان شعورها في هيليرا وفي تلك الايام السعيدة قبل أن تسم الحرب عقول الناس . ففي ذلك الحين لم تكن العالمية سبة ، وكان من الممكن أن تصفى لسيمفونية شوبيرت من مقام « س » الكبير ، وتتصور موكب نصر يشترك فيه الروس وشبان وعذارى وآسيا ، بل افريقية أيضا .

وأثر في نفس ايرما تأثيرا كبيرا ذلك الترحيب الذي قوبلت به الموسيقى ، وقررت أن كبرت لابد أن يكون رجلا عظيما ، وأن بيوتى ينبغى أن تفخر بأنه كان لها مثل هذا العشيق وانها انقذته من فرقة الاعداد الفرنسية . وقررت أيضا أن اقتناء فرقة موسيقية خاصة من سمات الرقي ، وسالت زوجها الا يكون بديعا أن تصير لهمسا فرقة كهذه في بيانفيني فلا بد لهما من البحث عن عبقرى شاب يشجعانه ويناصرانه .

وأدرك لاني أن زوجته تنقب في ذهنها عن نوع من الاتجاه في الحياة تنفق فيه أموالها بحيث تكسب رضا ورضا أصدقائه ، وكانت قد فاتحته على استحياء في فكرة اتخاذها صالونا أدبيا وفنيا ، على غرار « اميلي » . وألقى نفسه مضطرا الى مصارحتها بأن ذلك عسير المنال ، لأنه من الخير ألا يكون لها صالون اطلاقا عن ان يكون لها صالون من الدرجة الثانية ، وأن الشخصيات البارزة التي تتردد على هذه الاجتماعات تتوقع من المضيغة لا أن تكون قد طالعت كتبها فحسب ، بل ان تكون قد فهمتها أيضا .

فلا يكفى أن يعجب المرء بهم إعجاباً مسرفاً ، لأنهم فى الواقع ينظرون
إليك بازدراء ، ان لم تجد شيئاً من النقص فى أعمالهم .

والآن كان على لاني أن يصارحها بأن عبقرى الموسيقى قد يكون
شخصاً شاذ الطباع ، وأنه ادعى للامان فى كثير من الأحيان أن يعرف
المرء هؤلاء العباقرة من خلال أعمالهم : وليس فى وسع الانسان أن يعلن
عن طلب عبقرى كما يعلن عن طلب كبير سقاة أو كبير طهارة . وما العمل
إذا سكر العبقرى أو انشأ علاقة غرامية مع الخادمة ؟ وقال لاني أن فنانا
نلذذ نفسه لفنه مثل كيرت مايسنر من العسير العثور عليه . فقالت
ايرما : « اعتقد أنهم لا يوجدون الا فى المانيا ، حيث يعمل كل انسان
بجد شديد » .

- ٥ -

وكان من بين الضيوف الذين التقيا بهم فى القلعة خال للمضيف هو
جراف اولدنبرج أو « دوق » من فينا وأخبر آل مايسنر لاني أن هذا
الأصلح المجوز الشبيه بسيلينوس فى ورطة مالية ، وهو امر لا مناص منه
ما دام الساسة فى باريس قد قرروا ذلك بخططهم ، ففتتوا امبراطورية
النمسا والمجر قطعاً صغيرة وتركوا مدينة تعداد سكانها نحو مليونين من
الأنفس وليس حولها من الأراضى التى تمددها وتساندها الا أقل القليل .
والجراف سيد مهذب من المدرسة القديمة تعلم كيف يرقص على أنغام
فالسات شتراوس الأكبر ، ولم يزل يسمع صداها فى مخيلته . ودعا
ايرما ولاني لزيارته ، وأشار بلباقة الى أن لديه عدداً من اللوحات البديعة .
ولما كان قصره فى طريق عودتهما فقد قال لاني : « هيا بنا نتوقف هنا
ونلقى نظرة » .

وكان قصره ضخماً فشيئاً من الرخام فى الطريق الدائرى وتم
استقبال الزائرين الأمريكيين بأسلوب فخيم ، مع أن عدد الخدم كان قد
خفض بسبب ذلك القانون الفظيع الذى كان قد صدر أخيراً من إدارة المدينة
بفرض ضريبة تصاعدية على عدد خدمك ، والضريبة عن الخدم الرجال
ضعفها عن الاناث ! بيد أن الحكومة الاشتراكية كان لا يد لها من وسيلة

نصف اله ، وهو الذى روى باخوس رب الخمر عند الاغريق ويصورونه دائماً بديننا مسناً
راكباً حملاً . ثلاً وعلى رأسه اكليل من الازهار .

(المترجم)

تسير بها الأمور ، وها هي ذى مدينة ذات قوة صناعية كبيرة ، وليس لديها موضع تصدر اليه بضائعها ، فجميع الدول الصغيرة المحيطة بها وضعت الحواجز الجمركية العالية ، ولم تسفر جميع الجهود لإنشاء اتحاد جمركى عام عن شئ . وعقد اتفاقية من هذا القبيل مع ألمانيا أمر بديهي للغاية ، ولكن كل انسان يعلم ان فرنسا قميئة أن تعتبر ذلك عملا حربيا .

وانه لموقف مثالى من وجهة نظر خبير شاب فى الفن لديه فى البنك دولارات امريكية ! ولما كان مضيفه الارستقراطى المسن يعانى من مطاردات دائنية له ، فقد استجاب على الفور عندها دعاه لاني لتحديد ثمن للوحة صغيرة الحجم من ريشة « بان فان آيك » تمثل ملكة السموات فى تلك الاثواب الفخمة غاية الفخامة التى لعلها الآن تريدتها فعلا ، ولكنها يقينا لم ترها قط مدة بقائها على الأرض .

وكان من بين معارف ايرما فى لونيغ آيلند وارثه تملك صناعة كبيرة لتعليب الاطعمة . ولما كان لايد لهم أن ياكلوا حتى حينما لا يكون ما يعملونه سوى الأكل ، فقد استمرت حصص « برندا سبرات » تغل ايرادا ، وكانت اظهرت الافتنان بأوصاف لاني للوحات الاساتذة الأقدمين فى أوربا واشتغاله بتجارتهما ، فارسل اليها برقية يخبرها ان بوسعها الحصول الآن على كنز فريد بين كنوز الفن فى مقابل اربعمائة وثمانين ألف علبة من المكرونة الاسباجيتى بصلصة الطماطم بسعر الجملة وهو ثلاثة دولارات للصندوق الذى يضم ثمانى وأربعين علبة منها . ولم يكتب لاني هذا الكلام كله فى برقية واحدة طبعا ، وانما هى طريقته فى اغاظة ايرما بخصوص طبقة الأغنياء الحاكمة فى لونيغ آيلند . وفى انيوم التالى تلقى ردا يخبره باسم البنك الذى يستطيع ان يحصل منه على المبلغ . وهو انتصار حقيقى لروح الانسان على جسده ، وللجانب الخالد منه على الجانب الفانى ، ثم انه بطريقة عرضية سيزود لاني بد بمصروفه الشخصى مدة الشتاء ، وسأل زوجته هل استطاع أبوها أن يحقق نجاحا ماديا من عمل يوم واحد وهو فى سن الحادية والثلاثين يضارع هذا النجاح .

وسارع الأعيان المرهقون بالضرائب فى فينا لمقابلة الوارثة الامريكية واخبار زوجها الأملى الشاب بما لديهم من لوحات الاساتذة الأقدمين . وكان فى استطاعة ايرما أن ترقص حتى الفجر كل ليلة ، وفى استطاعة لاني أن يجنى ثروة محترمة من نقل الثقافة الى أرض آبائه ، لولا أنه كان يفضل مقابلة الكتاب الاشتراكيين وزعماء الحزب وسماع أقاصيصهم عن

العذاب والكفاح فى هذه المدينة التى تشبّه رأساً بلا جسد . ومكان العمال من غلاة الاشتراكيين ، فى حين كان المزارعون فى المناطق الريفية من الكاثوليك والرجعيين . ويضاف الى هذا ان الهتلريين كانوا قائمين بحملة هائلة لتفهيم صغار الناس فى الريف والمدن ان متاعبهم كلها سببها اليهود المستغلون .

وكانت الحكومة المحلية ماضية - رغم الحالة التى تقارب الافلاس - فى تنفيذ برنامج للاسكان وما الى ذلك من الخدمات العامة بشجاعة . وكان هذا ما يحلم به لاني ، مع تأميم الصناعة بوسائل سلبية منظمة ، وجاشت عواطفه وتمنى أن يقضى وقته متنقلا ينظر الى مجموعات مساكن العمال متحدثا الى سكانها ، وهم أناس طرفاء ، ودودون مهذبون ، يآوون الى فراشهم مبكرين ليوفروا الاضاءة والتدفئة ، ويصلون بجهد واجتهاد لانجاح الديموقراطية . ان مكاسبهم ضئيلة بصورة رمزية ، ولما سمح لاني بنسبة وفيات الاطفال ، وسوء تغذيتهم وارتفاع أسعار اللبن على يد المستغلين تكدرت لذته واستمتاعه بالمآدب المهيأة فى القصور التى تحمل أسماء تاريخية . وقالت ايرما : « أنك لا تتيح لنفسك شيئا من المتعة ، فمن الخير اذن ان نعود الى بيتنا » .

- ٦ -

ولم يتحسن الحال كثيرا فى بيانفينى ، وسرعان ما ادركت ذلك الزوجة الشابّة . فقد أصبح العالم مترابط الأجزاء بروابط غير منظورة الا انها قوية بحيث اذا انخفض ثمن الفلال والخنازير فى نبراسكا انخفض ثمن الأزهار فى كاب دنتيب . وشرح لاني هذه الظاهرة بأن الرجال الذين يشتغلون بتجارة القمح والخنازير فى شيكاغو ما عادوا يعطون زوجاتهم النقود لشراء الأزهار المستوردة وبذلك أفلسَت الصناعة الرئيسية فى كاب دنتيب . وأصبح ليز الذى يشرف على الأمور فى ضيعة بيانفينى محاطا ببنت الأخت وأبناء العم وبنت الحالة يتوسلون اليه كي يلحقهم بخدمة آل بد . وكان فى البيت منهم حشد عظيم من قبل ضعف العدد الذى يمكن أن يستخدم لأداء هذا المهام عينها فى لوج آيلند . الا أنهم فى وسط فرنسا تعلموا كيف يقسمون العمل ، وما من أحد مات اطلاقا من فرقة الاجهاد . وهكذا أضيف الآن عدد آخر منهم . وهى مشكلة دقيقة لأن المال مال ايرما والمفروض أن يكون لها فى ذلك رأى . وتكلمت ايرما فقالت ان انخدم ينبغي ألا يسمح لهم بإزعاج مخدوميهم بقضض الحظ العاثر

الذى انتاب ذوى قرباهم ، مما يدل على أن إيرما لم تنزل بحاجة الى تعلم
الشيء الكثير عن الحياة فى فرنسا ! .

ولم يأت السائحون ، فاصيب « الموسم » بالكساد ، حتى لقد توقف
ببطء قبل أن يبدأ بحق بدايته وذعر اصحاب الفنادق ، وهدد الخراب
تجار السلع الكمالية الفاخرة ، وبطبيعة الحال وقع عبء هذا كله على
الفقراء . وعرف لاني ذلك لأنه كان مستمرا فى المساعدة فى تعليم العمال
فى مدرسة الأحد الاشتراكية حيث سمع قصصا افسدت شهيته واستمتاعه
بالموسيقى وازعجت زوجته لأنها كانت تعلم ما يدور بخاطره ، الا وهو أنها
ينبغى الا تنفق المال على الثياب والحفلات فى حين يعجز اطفال كثيرون عن
الحصول على كفايتهم من الطعام .

ولكن ماذا عساك تصنع ؟ ان عليك ان تدفع أجور خدمك ، او على الأقل
أن تطعمهم . وما يفسد روحهم الا تتيح لهم عملا يؤدونه . وفضلا عن
هذا كيف يسمعك أن تمنع أثمان الأغذية من الانخفاض الا بشراء جانب
منها ؟ لقد ثبت والد إيرما واعمامها فى ذهنها أن الوسيلة لاشاعة الرخاء
هى الانفاق . ولكن لاني فيما يبدو يعتقد أنك ينبغى أن تشتري الأغذية
الرخيصة وتقدمها للفقراء . أفلا يفسد ذلك معنويات الفقراء ويحولهم
الى طفيليات ؟ ان إيرما تعتقد أنها رأت ذلك يحدث « لحفنة من الرفاق »
على شاطئ الريفيرا ، كانوا يعيشون بصورة عملية على مساعدات « بد »
المالية ونادرا ما قالوا « شكرا » . ثم ماذا يؤول اليه امر من ينتجون
الأطعمة الغالية الثمن ؟ هل عليهم ان يأكلوها بأنفسهم ؟ .

ان الحياة اخذ وعطاء . ففى مساء الأحد يهبط لاني الى مدينة « كان »
القديمة ويشرح الاهدار الناتج عن النظام التنافسى لجماعة من ثلاثين
أو أربعين بروليتاريا ما بين فرنسيين وأبناء البروفانس وأبناء ليجوريا
(مقاطعة بشمال ايطاليا على الحدود الفرنسية وتطل على البحر الأبيض)
وأبناء كورسيكا وقطالونيا . بل وفيهم عامل جزائرى . وفى مساء الاثنين
يأخذ زوجته وامه الى ضيعة البلوطات السبع حيث يعزف مصاحبا مغنية
من أوبرا باريس فى إحدى سهرات اميل . وفى يوم الثلاثاء يقضى النهار
فى المساعدة لاعداد الترتيبات لعشاء راقص فى بيانفينى تعزف فيه فرقة
من الملونين موسيقى الجاز ، وتنتشر فيه فوانيس البندقية وبها مصابيح
كهربائية على امتداد المروج بالحديقة ويأتى أرقى الناس وأرفعهم القابا
لتقديم احترامهم لابنة « ج » . باراماونت بارمز . أجل لم تنزل ثمة نفر
من الناس لديهم المال ولا يمكن أن يقصروا فى واجباتهم الاقتصادية ! وهم

أناس رأوا العاصفة تقترب فوضعوا ثروتهم في سندات . أناس يملكون صناعات استراتيجية مثل انتاج الاسباجيتي المعبأة لاستهلاك ملايين الناس ممن يعيشون في أجنحة صغيرة جدا بالمدن ولم يتعلموا قط كيف يصنعون صلصة الطماطم ! .

- ٧ -

وحضر روبي بد زائرا ذلك الشتاء ، وكان مشغولا بصفقة من نوع غريب ، فهو يجتمع بقائد غواصة ألمانية سابق كان قد دخل في خدمة حاكم صيني طرد من عرشه ويريد الآن الحصول على بندق آلي من طراز بد ليعود اليه . وكان يؤيده بعض اصحاب البنوك في الهند الصينية الفرنسية الا انهم غير راغبين في شراء أسلحة وذخائر فرنسية خشية التنديد بهم في الصحف . فهي عملية تحوطها ظلال الريبة من كل جانب ، الا أن روبي كان يقول بابتسامة فاترة على المرء ان يلتقط النقود حيثما يستطيع في هذه الأيام ، ولم تعد هناك فرصة متاحة لبيع شيء من منتجات السلم في أوربا الآن ! وراح يروي الاقاصيص عن الأوقات العصيبة ، وهي بعينها الاقاصيص التي كان ابنه قد سمعها في برلين وفيينا . فهناك نقص في الخبز في جميع المدن الأمريكية ، حتى أنك ترى عند أركان الشوارع رجالا وبعض النساء يضربون الأرض بأقدامهم وفي أيديهم المتجمدة تقريبا تفاح يعرضونه على المارة ، فقد تدهورت أسعار التفاح وهذه هي الوسيلة للتخلص منه : « الواحدة بقرش يا سيد ، . أفلا تأخذها لتساعد مسكينا في الحصول على فنجان من القهوة ؟ » ، ولم تكن ثمة طريقة لاحصاء المتعطلين ، ولكن كل انسان كان مجمعا على أن العدد في ازدياد وان الموقف فظيع . وحمد روبي الله على أنه ساعد المهندس العظيم في انتخابه رئيسا للجمهورية ، فذلك الرجل المضطرب ثابت في مكانه كالصخر مصر على أن يقوم الكونجرس بموازنة الميزانية . فان تم ذلك انتعشت الأحوال في النهاية . وقد كانت الأحوال دائما منتعشة وينبغي أن تظل دائما منتعشة .

وسدد روبي نصف الصكوك التي كان قد أعطاها للاني وبيوتي ومرسلين ضمانا للمال الذي حولوه اليه أثناء ذعر وول ستريت ، وكان قد استثمر مائة وخمسين ألف دولار لثلاثتهم في سندات حكومة الولايات المتحدة ، وهو الآن يحاول اقناعهم بنقل المبلغ الى أسهم . وتناقشوا في الأمر ساعة أو نحوها ، وهم جلوس أمام نار مستعرة من خشب السرور في

قاعة استقبال البيت . وترددت بيوتي ، أما لاني فقال : « لا » ، وكررها مرارا . وهتف الأب « انظر اين الصلب الآن ! » .

فجادله الشاب قائلا : « ولكنك قلت هذا الكلام بعينه عندما كنت هنا آخر مرة . فقد كنت واثقا بأنه لا يمكن ان يمعن في الهبوط أكثر مما هبط » .

واخذ لاني أباه في جولة حول العالم المتحضر . فابن الأمة التي لديها مال تشتري به صلبا أمريكيا ؟ ان بريطانيا وفرنسا والمانيا تستطيع كلها ان تنتج أكثر مما تستطيع تصريفه في الاسواق . والامم الاصغر من هذه استولى عليها الخوف من دائئها . وهذا روبى وهو نفسه من رجال الصلب قد نزل الى مستوى بيع منتجاته للحكام الصينيين وثوار أمريكا الجنوبية ! ان روسيا بحاجة يائسة الى الصلب ولكنها يجب ان تتعلم كيف تصنعه بنفسها لانها لا تملك عملة اجنبية ولا احد يريد ان يثق بها . ثم هتف الابن « وبعد هذا تحدثنا عن عودة الصلب الى سابق مجده ! فلم يستطع روبى ان يرد » ولكنه أيضا لم يغير رأيه فهو يعلم ان لاني يستمد أفكاره من تلك الصحف الحمراء أو الوردية التي يحتفظ بها مكتبه الخاص حتى لا تؤذى انظار اقاربه واصدقائه . وجميع هذه الصحف لها مصلحة في الكارثة . ولكن مايقوله لا يمكن ان يكون صحيحا ، لأنه ان صح فماذا يكون من مال عالم روبى ؟ . وقال الأب « انت وشأنك . ولكن تذكر ما اقله لك . ان استطاع هوفر ان يثبت في وجه الاتجاهات التضخمية فسوف نشهد انتعاشا لم يشهد العالم من قبل » .

- ٨ -

وعاد لاني الى مباحث دراسة الطفولة . وانه لشيء رائع حقا ان ترقب كيانا حيا صغيرا يفتح بهذا النظام الكامل ويحسب ترتيبا محددا للاوقات . وكان لديهم كتاب ينبئهم بما يتوقعون ، فكان حدثا مشهودا عندما نطقت الطفلة فرانس كلمتها الاولى قبل الموعد بأسبوعين كاملين . وكانت الاثارة اعظم عند مابدلت أول جهد لها للنهوض على قدميها واجمع الاصدقاء والخدم على السواء على انهم لم يروا قط طفلة أبدع منها . وشرع لاني بمزاجه التخيلي يفكر فيما ستصير اليه . انها ستكبر وتغدو امرأة شابة بديعة مثل أمها . فهل سيكون من الممكن

تعليمها اكثر مما تعرفه امها الآن ؟ قد لا يكون هذا . فسوف تمتلك من المال اكثر مما ينبغي . او لعله يكون ؟ ائمة احتمال لقيام ثورة خيرة على غرار ثورة فينا ترغمها على اداء عمل نافع ؟ .

كانت لديه افكار كهذه تماما فيما يختص باخته نصف الشقيقة التي كانت تنضج نضجا مبكرا في شمس الاقاليم الوسطى في فرنسا الدافئة مترسلة في البحث عن المباهج وسط مجتمعها الراقى . وستغدو مرسلين حناء كامها . وكيف كان من الممكن الا تعلم هذا ؟ فهي منذ طفولتها الباكورة تعيش في الغة مع وسائل خلق الجمال واطهاره ، من انواع غسول التجميل ، وادهنة التجميل ، ومساحيق التجميل واصباغه ، وقد صفت في حقائق بالغة الجمال حتى لا يطاوعك قلبك على القائها بميدا . والثياب تصمم لتكشف عن الجمال ، والمرايا معدة لدراسة الجمال ، والاحاديث تدور حول تأثير ذلك على الذكر الذي من اجله ابتكر برمته . فهي شاعرة بداتها ، شاعرة بجنسها وهذان الشعوران هما انفاس الحياة نفسها لدى هذه المخلوقة اليانية التي تشب على اصابع قدميها من فرط التوفز . عالمة بالفريزه انها تقترب من الفترة الحاسمة في حياتها .

وكانت الآنسة أدنيجتون المتزمته شديدة الاضطراب بشأن هذه الوديعة الموكولة اليها ، الا ان التي مرت بهذه المرحلة شخصيا على هذا النحو أخذت الامور بمزيد من اليسر . وكذلك لاني كان سابقا لسنه في النمو عندما كان في عمرها ، ولذا استطاع ان يفهمها ، وسيحاول ان يعلمها الحكمة والاتزان في رغائبها الدنيوية . وسيحدثها عن أبيها ، محاولا ان يجعل منه عاملا ذا اثر فعال في حياتها ان صورته تجعل منه شخصية حية ماثلة ، ولكن مرسلين لسوء الحظ لم تعرفه حين كان رساما فقيرا في كانب دنتيب يمارس عمله مرتديا بنطلونا من المخمل المضلع الملطخ وقبعة عتيقة زرقاء . لقد عرفته رجلا شهيرا ومصدرا للدخل وموضوعا للمناجزة . فثبت مثاله اعتقادها ان الجمال والشهرة شيء واحد . وهي لا تستمتع الا حين تكون محط اهتمام الناس ، من ذوي الالهية ما أمكن . ولكن ايما احد أفضل على كل حال من لا احد ! .

- ٩ -

ووسط هذه الأهرة العجيبة في تنوع تكوينها مضى ريسيفال دنجل يمارس أهذا حياة . وكان إيمانه رأسخا ان مجادلة الناس غير مسموح

١٥٨

١٥٨

بها ، وان السبيل الوحيد هو اعطاء القدوة ، والمثال ، وهو واثق بأن القدوة ستحدث اثرها في الوقت المناسب فلم يكن يشترك في أى نزاع في الراى ولا يبدى رأيا على الاطلاق ما لم يطلب منه ذلك ولا ينشد شيئا لنفسه لان كل شيء كما قال في دخليته . وكان يتنقل هنا وهناك في ارجاء المكان صديقا للازهار والطيور والكلاب ، يكثر من القراءة ويغض عينيه في كثير من الاحيان فلا تدري انائم هو ام يصلى . وهو عطوف على كل انسان يعامل الاغنياء والفقراء معاملة واحدة ، وكان الخدم يجلبونه وقد استقر في اذهانهم انه ضرب من القديسين . وانتشرت شهرته فصاروا يطلبون اليه ان يأتى لشفاء هذا الشخص أو ذاك ، وهو أمر ضاق به الاطباء وقساوسة المنطقة وعدوه عملا غير مباح انتهاكا خطيرا للاصول المرعية .

وكان يقضى مستر دنجل ساعة على الاقل كل يوم مع السيدة سيزنسكى ، وكثيرا ما كانت بيوتى تاتى معه . والارواح مسيطرة على ذهن هذين ، فينتقل تأثير العالم الآخر عن طريق هذه الجمعية الصغيرة . وتشرع بيوتى فى طلب نصيح الارواح ، وتتبع ذلك النصيح فى سائر الامور . وقد اخبرتها الارواح اننا فى اوقات خطرة ولا بد لها من الحذر فى تدبير مالها . قال لها مارسيل ذلك . وكذلك روح القس بلاكلى المحترم - فكهذا كان يدعو نفسه . ولم تكن بيوتى قد اتبعت نصيحة مطلقا وهو على قيد الحياة ، غير انها افترضت فيه فرط الحكمة وهو فى الحياة الأخرى . ولما كان لاني يريد منها ان تجنب الى الاقتصاد فى نفقاتها فقد شعر بأنه مدين بالشكر للارواح . ولما كانت بيوتى سيدة ثرثرة فقد حدثت صديقاتها عن « ارواحها المرشدة » فاكسبت بيانفينى شهرة غريبة ، اشد غرابة مما كان لها من قبل ، حتى عندما كانت فى مكان يرتاده الرسامون ومن يشتررون الاسلحة والذخائر والازواج الذين لا يجمعهم رباط الزوجية .

واحيانا يجرب لاني حظه بجلسة بين حين وآخر ، وتغير طابع حياته الروحية ، فتراجعت مارى الى المؤخرة واحتلت مكانها مارسيل وعمه الكبير ، الى بد ، وصار هذان الصديقان من اصديقاء طفولته يحدثانه بالشئ الكثير عن نفسيهما ، وتداول بينهما احاديث محتدمة فى الحبس الذى يقيمان به . وهكذا كان لاني قد تخيلهما بعد وفاتهما ، وقد زاد ذلك فى تأييد فكرته عن انه يتلقى من الوسيطة محتويات عقله شخصيا وقد اعيد بناؤها بحلق وبين حين وآخر تظهر واقعة لم يكن يعرفها من قبل بيد انه يرد على ذلك بأنه ربما كان قد سمعها ثم نسيها ،

تعليمها أكثر مما تعرفه أمها الآن ؟ قد لا يكون هذا . فسوف تمتلك من المال أكثر مما ينبغي . أو لعله يكون ؟ أثمة احتمال لقيام ثورة خيرة على غرار ثورة فينا ترغمها على اداء عمل نافع ؟ .

كانت لديه أفكار كهذه تماما فيما يختص باخته نصف الشقيقة التي كانت تنضج نضجا مبكرا في شمس الاقاليم الوسطى في فرنسا الدافئة مترسلة في البحث عن المباهج وسط مجتمعها الراقى . وستغدو مرسلين حناء كامها . وكيف كان من الممكن الا تعلم هذا ؟ فهي منذ طفولتها الباكورة تعيش في الفة مع وسائل خلق الجمال واطهاره ، من انواع غسول التجميل ، وادهنة التجميل ، ومساحيق التجميل واصباغه ، وقد صفت في حقائق بالفة الجمال حتى لا يطاوعك قلبك على القائها بعيدا . والثياب تصمم لتكشف عن الجمال ، والمرايا معدة لدراسة الجمال ، والاحاديث تدور حول تأثير ذلك على الذكر الذي من اجله ابتكر برمنه . فهي شاعرة بلذاتها ، شاعرة بجنسها وهذان الشعوران هما أنفاس الحياة نفسها لدى هذه المخلوقة اليانعة التي تشب على أصابع قدميها من فرط التوفر . عالمة بالفريزه انها تقترب من الفترة الحاسمة في حياتها .

وكانت الآنسة أدنيجتون المتزمتة شديدة الاضطراب بشأن هذه الوديعة الموكولة اليها ، الا ان التي مرت بهذه المرحلة شخصيا على هذا النحو أخذت الامور بمزيد من اليسر . وكذلك لاني كان سابقا لسنه في النمو عندما كان في عمرها ، ولذا استطاع ان يفهمها ، وسيحاول ان يعلمها الحكمة والاتزان في رغائبها الدنيوية . وسيحدثها عن أبيها ، محاولا ان يجعل منه عاملا ذا اثر فعال في حياتها ان صورته تجعل منه شخصية حية ماثلة ، ولكن مرسلين لسوء الحظ لم تعرفه حين كان رساما فقيرا في كانب دنتيب يمارس عمله مرتديا بنطلونا من المخمل المضلع الملطخ وقبعة عتيقة زرقاء . لقد عرفته رجلا شهيرا ، ومصدرا للدخل وموضوعا للمتاجرة . فثبت مثاله اعتقادها ان الجمال والشهرة شيء واحد . وهي لا تستمتع الا حين تكون محط اهتمام الناس ، من ذوي الاهمية ما أمكن . ولكن ايما احد أفضل على كل حال من لا احد ! .

- ٩ -

ووسط هذه الأبرة العجيبة في تنوع تكوينها مضى برسيغال دنجل يمارس هذا حياة . وكان إيمانه رأسخا ان مجادلة الناس غير مسموح

١٥٨

١٥٨

بها ، وان السبيل الوحيد هو اعطاء القدوة والمثال ، وهو واثق بأن القدوة ستحدث اثرها في الوقت المناسب فلم يكن يشترك في أى نزاع في الراى ولا يبدى رأيا على الاطلاق ما له يطلب منه ذلك ولا ينشد شيئا لنفسه لأن كل شيء كما قال في دخليته . وكان ينتقل هنا وهناك في ارجاء المكان صديقا للازهار والطيور والكلاب ، يكثر من القراءة ويغمض عينيه في كثير من الاحيان فلا تدري انائم هو أم يصلى . وهو عطوف على كل انسان يعامل الاغنياء والفقراء معاملة واحدة ، وكان الخدم يجلوونه وقد استقر في اذهانهم انه ضرب من القديسين . وانتشرت شهرته فصاروا يطلبون اليه ان يأتى لشفاء هذا الشخص أو ذاك ، وهو امر ضاق به الاطباء وقساوسة المنطقة وعدوه عملا غير مباح انتهاكا خطيرا للاصول المرعية .

وكان يقضى مستر دنجل ساعة على الاقل كل يوم مع السيدة سيزنسكى ، وكثيرا ما كانت بيوتى تأتى معه . والارواح مسيطرة على ذهن هذين ، فينتقل تأثير العالم الآخر عن طريق هذه الجمعية الصغيرة . وتشرع بيوتى فى طلب نصيح الارواح ، وتتبع ذلك النصيح فى سائر الأمور . وقد اخبرتها الارواح اننا فى أوقات خطرة ولا بد لها من الحذر فى تدبير مالها . قال لها مارسيل ذلك . وكذلك روح القس بلاكلس المحترم - فكهذا كان يدعو نفسه . ولم تكن بيوتى قد اتبعت نصيحة مطلقا وهو على قيد الحياة ، غير انها افترضت فيه فرط الحكمة وهو فى الحياة الأخرى . ولما كان لاني يريد منها ان تجنح الى الاقتصاد فى نفقاتها فقد شعر بأنه مدين بالشكر للارواح . ولما كانت بيوتى سيدة ثرثرة فقد حدثت صديقاتها عن « ارواحها المرشدة » فاكسبت بياتفينى شهرة غريبة ، اشد غرابة مما كان لها من قبل ، حتى عندما كانت فى مكان يرتاده الرسامون ومن يشتررون الاسلحة والذخائر والازواج الذين لا يجمعهم رباط الزوجية .

واحيانا يجرب لاني حظه بجلسة بين حين وآخر ، وتغير طابع حياته الروحية ، فتراجعت ماري الى المؤخرة واحتلت مكانها مارسيل وعمه الكبير « الى بد ، وصار هذان الصديقان من اصدقاء طفولته يحدثانه بالشئ الكثير عن نفسيهما ، وتدور بينهما احاديث محتدمة فى الحبس الذى يقيمان به . وهكذا كان لاني قد تخيلهما بعد وفاتهما ، وقد زاد ذلك فى تأييد فكرته عن انه يتلقى من الوسيطة محتويات عقله شخصيا وقد اعيد بناؤها بحلق وبين حين وآخر تظهر واقعة لم يكن يعرفها من قبل بيد انه يرد على ذلك بأنه ربما كان قد سمعها ثم نسيها ،

وكانت له احاديث صميعة مع قريبيه السابقين فيما مضى ، وهى كثيرة العدد فلا يسعه بالتاكيد ان يتذكر جميع التفصيلات .

وتأكدت نظريته عندما تلقى خطابا وديا من السيد عذراهكيورى الذى كان منصرفا الى تجنب الافلاس فى مدينة روبنس بولاية انديانا . وقال له الرجل ان الوقت فظيع ولكنه يأمل ان يستمر الناس فى شراء صابون المطبخ ويتولى الرد على هذا السؤال تقارير البيع الشهرية ، وفى هذه الاثناء يقوم السيد هكيورى بتركيب حداوى الخيل خلف البيدر كما كان يصنع فى الايام الماضية ، وتساءل الم يزل لاني محتفظا ببراعته فى هذا الفن . وعندما كتب اليه لاني بما قالته الارواح رد عليه صانع الصابون بان الامر بالنسبة اليه كما كان بالنسبة لمارك توين ! فخر وفاته مبالغ فيه . وعلى مدى السنة والنصف من الاتصال « بتكومسه » سجل لاني بضع حالات فشل فيها زعيم عشيرة الهنود الحمر فى التمييز بين الاحياء والموتى . واستنتج لاني من ذلك نتيجة اقتنع بها عقله ، وغض النظر فى الوقت نفسه من عدد آخر من الوقائع لم يقتنع بها . وهو فى هذا المسالك يحتذى مثال كثير من كبار رجال العلم .

- ١٠ -

وهكذا انقضت فترة سارة قضائها لاني فى السيارة الليموزين الوثيرة التى تتدرج به فى طريق الحياة . كان يشقى ما يعانىهِ العالم من ألوان العذاب ، بيد انه لم يكن شقاء يصل به الى عجزه عن مطالعة المخطوطات التى يرسلها اليه ريك ، ولا المسودة الاولى للمتتابعات السياسية التى أرسلها اليه كيرت . وكان يدرس فصله الاحمر ويناقش الشبان الحمر الذين كانوا يأتون لاستدراجه ، وفى الوقت نفسه لاقتراض نقود منه عندما تحل بهم ضائقة . وكان ينفق رصيده الخاص وجانباً من رصيد ايرما وهو يؤدى دور الراعى للسخط الاجتماعى فى فرنسا الوسطى ، الا ان ايرما لم تكن تكثرت لذلك اكرائا كبيرا لانها تملك المال، ولديها احساس غريزى بان الاسرة كلما ازداد اعتمادها عليها صار أفرادها أخرى أن يزدادوا تلطفا معها . فمن يأكل خبزي ينشد أناشيدي !

وحدث شيء يشير الدهشة . فبعد ظهر ذات يوم كان لاني فى

الاستديو الخاص به يعزف على ذلك البيانو شديد الضخامة الذى كان قد ابتاعه لكثرت ، الا انه بدا يبدى التائر بعقد كامل من السنين فى هواء البحر . وكان عصر ذلك اليوم من أيام الربيع مشمسا ، فترك لاني الأبواب والنوافذ مفتوحة وراح يملا الجو المحيطة به بتوترات فالس النزوة « لورين شتاين » واذ بالتليفون يرن . فلديهم الآن أجهزة للتليفون فى سائر ابنية الضيعة ، لأنه تراءى لايرما انه من السخف ان تضطر لارسال خادم فى كل مرة تريد ان تدعو فيها بيوتى للقدوم الى الكوخ لتناول الغداء ، او حينما تريد ان تطلب من لاني القدوم للسباحة معها . وكان المتكلم فى هذه المرة خادم فى الفيلا يبلغه ان ثمة سيدا منا يقول ان اسمه السيد جان « ولانى ليس بطيء الفهم عادة ، ولكنه فى هذه المرة اضطر لطلب اعادة الاسم على مسامحه . وفجأة تذكر مدينة ديب .

ان الفارس حامل وسام الحمام من طبقة كوماندر ووسام الليجيون دونير من طبقة ضابط عظيم لزم الصمت الجانب الاكبر من السنة الى أن تخلى لاني عن فكرة وصول أنباء منه . وبدا له ذلك صعب التصديق ، لأن زهاروف كان يعلم ولا شك انه حصل على معلومات صحيحة فى تلك الجلسة ، فكيف اطاق الا يحصل على المزيد ؟ هاهو قد قرر اخيرا ان يدعى ، وليس من طبعه ان يتخذ انصاف الحلول فهاهو قد جاء بشخصه ، وهى أول مرة يضىفى فيها هذا الشرف اطلاقا على آل بد بل ان من يشرفهم على هذا النحو قليلون جدا .

وكان « السيد جان » وحده ، وقد اتخذ مجلسه على حرف كرسى غير مريح كأنه لم يكن واثقا من الترحيب به . وقد احتفظ فى يده بعضا السير ، وقد اتكا عليها بكلتا يديه مطويتين فوقها . والتقت العينان الزرقاوان الباردتان بعينى لاني ، فهل ترى اخطأ لاني فى ظنه انه لمح سيفا القلق على محيا ذلك العنكبوت المعجوز ، ذلك الذئب المعجوز ؟ ذلك الشيطان المعجوز ؟ ومهما يكن من شيء فقد رحب الشاب بزائره فى حرارة قلبية ، وقال الزائر بسرعة « كنت اعلم منذ زمن طويل انى مدين لك باعتذار . » فقال الشاب : « لا تزعج نفسك بهذا الامر ياسيد جان » وقد استخدم ذلك الاسم لأن بعض الخدم ربما كانوا على مرمى السمع . واستطرد « ولقد تحقق عندى انك كنت منزعجا . وقد قيل لى فى مرات كثيرة بتلك الجلسات ما لم يكن صحيحا ، وما كان

حريرا ان يسبب الحرج لو كان غيرى حاضرا معى « وما من شىء كان من الممكن ان يكون أكثر كياه من هذا القول .

وقال الآخر « كان ينبغي ان اكتب اليك . ولكنى أجملت ذلك طنا منى انك ربما جئت لزيارتى « فأجابه لاني « لم تكن لدى وسيلة لمعرفة رغباتك « واضاف لاني قائلا لنفسه « لقد كنت تجرب وسطاء آخرين لترى هل يمكنك الوصول الى ما تريد ! فقال « لقد قررت ان التصرف اللائق ان أقدم اعتذارى بشخصى ، وسأقدم الاعتذار للوسيلة ان كانت لم تزل مقيمة معكم « فقال لاني : « انها لم تزل معنا . وانتظر كى يجعل الشيخ يطلب ما يريد . فقال : « اعتقد انه من الممكن لى ان أراها مرة أخرى ؟ « فأجابه : « اتعنى انك تريد ان تحاول عقد جلسة أخرى ؟ « فقال : « انى سأعتبر ذلك منة عظيمة « فأجابه لاني : « لا أستطيع الاجابة نيابة عنها ياسيد جان ، وكما بينت لك حينئذ فان اضطراب الأمور ايا كان نوعه يسبب لها ضيقا وتعبا شديدا جدا . وقد انزعجت انزعاجا شديدا جدا « فقال : « انا مدرك ذلك . وانا الآن مستعد تمام الاستعداد وفى وسعى ان أعدك بأن شيئا من هذا القبيل سوف لا يتكرر . فمهما حدث سأتحمله واثبت له كما تقولون معاشر الأمريكين فقال : له لاني مقترحا « لعلك تفضل ان تجلس معها بمفردك ؟ « ان وثقت بى هى كان ذلك افضل . ولك افضل . ولك أن تخبرها انى ساكافئها بسخاء « فقال « أرجوك لا تذكر هذا الموضوع ، فبيننا وبينها اتفاق مالى ، ووقتها ملك لنا ، فسأله : « أليس من اللائق يقينا ان اتحمل جانباً من التكاليف ؟ « فأجابه : « لا حاجة بك لاثارة هذه المسألة لأن المبلغ صغير ، وقد لا تحصل على النتائج التى تريدها .

فقال : « ان حصلت عليها وتيسر لى ان اقابلها بين حين وآخر ، أسمع لى ان أعتقد نوعا من التسوية المالية ؟ « فقال : « يمكننا ان نتحدث فى ذلك بعد قليل . اما الآن فسأرى أولا هل فى استطاعتى أن اقنعها بمنحك جلسة أخرى . « فسأله : « ألم تخبرها بحقيقتى ؟ « فأجابه : « بل لم اخبر احدا . ولعلك تذكر اننى كتبت اليك بأن هذا ما اعتزمته « فقال : « لقد كنت كريما جدا بالانى ، ولن انسى هذا . «

- ١١ -

ولم يكن من السهولة بمكان اقناع السيدة سيزنسكى فقد كانت لم تزل غاضبة من : ذلك السيد العجوز الفظ « وما صنعه بها لم يكن

ليفتخر . ولكن لانى اخبرها ان السيد المعجوز اللفظ كان شقيا غاية الشقاء ، وان جانبنا منا جاء من لدن « توكسمة » حطمه ، فاقتضى ذلك منه قرابة سنة للتجلد على الصدمة وهو الآن نائب اليها ، وقد قطع على نفسه عهدا ولانى واثق بأنه سيحافظ على هذا العهد . وكانت السيدة متعودة على الثقة بلانى ، فهي امرأة عجوز وحيدة وقد اتخذت منه ابنا في مخيلتها فقالت انها ستمنح السيد جان فرصة اخرى لتحسين سلوكه ، ولكن ينبغى ان يبين له لانى اولا تلك الصدمة الجسدية التى سببها لها ، وانها لبثت مريضة محطمة القوى والروح المعنوية جملة ايام ، وهلم جرا . ولا شك ان « توكسمة » سيفضب غضبا شديدا سيوبخ الجالس اليه بغير مراعاة لمكانته ووقاره . وعاد لانى وابلغ هذه الرسالة بكل امانة ودقة ، وقبل ملك التسليح في اوربا بكل رزانة ان يطأطأ من كبريائه امام زعيم القبيلة الا يروكوى . وقال لانى : « لست ادرى أى شئ هو على التحقيق ، ولكنه يتصرف كما لو كان شخصية كبيرة ، ولا بد لك ان تعامله على هذا الاساس . لقد اثرت استيائه باساءتك اليه ، عليك ان تتظاهر بالتماس العفو منه » . وكان لانى يبسم وهو يتكلم ، الا ان الفارس الكوماندر والضابط العظيم كان جادا واجاب بأنه فى سبيل الحصول على رسالة من المصدر المطلوب مستعد ان يتحمل التعذيب على يد جنود حمر حقيقيين .

وبذلك اخذه لانى الى الاستديو الخاص به واره طائفة من رسوم مارسل على الجدران ، وأن لم يكن لديه من خلو البال ما يصلح للاشتغال بمسائل الفن فى هذه اللحظة ودخلت الوسيطة وقالت : « طاب يومك ياسيدى ، واجابها زهارون » . واتخذ الاثنان مجلسيهما فى المقعدين اللذين كان لانى قد حركهما الى الموضع المناسب لجلوسهما وانتظر الى ان رأى المرأة تستغرق فى سباتها بنجاح ثم خرج واغلق باب الاستديو خلفه .

وكانت بيوتى وايرما فى « كان » للمرور بالتاجر ثم عادتا وبطبيعة الحال لم يعد من الممكن كتمان السر عنهما . ولا حاجة لكتمان السر على كل حال لان المسألة ستحسم بلا شك فى هذه المرة ، فاما ان تظهر اندوكة الاسيانية ، واما ان يتخلى زهاروف عن المحاولة . واخذهما لانى الى حجرة أمه وأخبرهما من الذى عقد الجلسة مع السيدة فى ديب ، وثار اهتمام السيدتين معا لان زهاروف يحتل مكانة ملكية من طراز مكانه ايرما الملكية ، والملوك لا يلتقون كثيرا باندادهم الاجتماعيين . وسأله بيوتى « اوه . اتظنه سيقبى للعشاء ؟ » .

ومهما يكن من شيء فللابد للسيدتين من ارتداء الثياب الملائمة ، ولكن بغير مبالغة في ازياء السهرة لان السيد جان سوف لا يكون مرتديا زى السهرة . وشرح لاني لهما سبب اتخاذ هذا الاسم ثم راح يذرع انشرفة الامامية للفيلا ويرقب غروب الشمس خلف الجبال القائمة عبر خليج جوان . وما اكثر ما راقب مغيب الشمس في مرات تمتد الى ابعد ما تصل اليه ذاكرته . وقد شهد نشوب الحرب واحترق السفائن وغرقها في ذلك المدى الازرق من الماء ، وشهد مصائر البشر تتداخل وتتعدد فوق اديم هذه الارض بالحب والكراهية والغيرة والطمع والعداوب والخوف . لقد رأى الناس يرقصون ويضحكون ويسمرون ، واكثر من مرة رأهم يكون . فهنا جلس مارسل بوجهه المحترق للاجتماع باصدقائه في العتمة التي تخفى وجهه وتحميه من الانظار . وهنا ايضا عزف كبرت موسيقاه ، ووضع ريك الخطوط المريضة لمرحياته ، وتفاوض روبى في صفقات أسلحة وذخائر ضخمة . وها هو الان لاني يمشى جيئة وذهابا في انتظار ان يعرف هل سيتحدث روح السيدة الاسبانية اننبيلة الى زوجها اليونانى من خلال شخصية هندی امريكى احمر مات منذ قرنين ويستخدم الحبال الصوتية لامرأة بولندية قروية كانت خادما في بيت تاجر بوارسو . ان في وسعك ان تنعت الحياة بصفة واحدة ! انها تمدك بالتنوع ! .

- ١٢ -

واقبل الشيخ من الاستديو وحده يمشى ممدود الرأس الى الامام شأنه دائما ، كانما يتحسس طريقة . وتوجه لاني لملاقاته ، فقال الرجل بحدة غير معتادة فيه « هذا يفتاى شيء مقلق حقا ، فسأله : هل حصلت على شيء من النتائج ؟ فاجابه : « لقد حصلت على ما يبدو نتائج بالتأكيد خبرني : امقتنع انت بأمانة هذه المرأة ؟ » اننا جميعا مقتنعون بذلك : » فسأله : « منذ متى تعرفونها ؟ » فاجابه : « منذ ثمانية عشر شهرا تقريبا » فسأله : « اتظن انها في غيبوبة حقا عندما تتظاهر بذلك ؟ » فاجابه : « لا بد ان تكون ممثلة بارعة جدا ان لم يكن هذا صحيحا . فقد راقبناها عن كثب ، ولا نظنها من الذكاء بحيث تتفعلنا » فسأله : « اوافق انت انها لا تعرف من أنا ؟ » فاجابه : « لا أستطيع أن أتصور كيف امكنها ان تكتشف حقيقتك . فلا احد سوى ابي يعرف شيئا عن هذا الموضوع ، وانت تعرف ان ابي ليس ثرثارا . وعندما كتبت الى عن الموعد اتخذت

احتياطي ومزقت خطابك ورميته في البحر » فقال الرجل : « يلانى .
كأنا كانت زوجتى جالسة في الحجرة المجاورة تبعث الى بالرسائل .
وتستطيع ان تدرك مدى أهمية ذلك عندي » فأجابه : « وهو شيء مهم
لنا جميعا ، فكلنا نتلقى رسائل من هذا القبيل . » فقال الرجل : « وقد
ذكرتنى بامور من طفولتى ومن طفولتها . وهى أمور نعرفها كلانا ولا
يعرفها احد سوانا ، فيما اعلم على الاقل . »

ودخلا الى بناء الفيلا ، لأن ساعة الغروب في الريفييرا تشد فيها
البرودة . وكان الشيخ يريد أن يعرف كل ما يجول بخاطر لاني عن هذه
الظاهرة ، وهى اغمض ظاهرة تواجه المفكر المصرى . وعندما اخبره
لاني بكتب جيلى واوستى اخرج زهاروف كراسة مذكراته ودون
الاسمين ، ودون كذلك اسم المجلدين الكبيرين من تأليف « بيري جانبه » ،
ووعده بدراستها كلها . لقد أهمل تعليمه ولكنه سيحاول الآن أن يكتشف
ما يقال عن اللاوعى وقواه المختلفة ، وهى قوى تختلف كثيرا عن قوى
ملك الذخائر : لقد فاته الكثير وقد شرع يظن الى ذلك فى أوام انحصار
الحياة .

واقبلت السيدتان « وهما من أشد السيدات أناقة وكان قد سمع
بهما . ولم يكن فيما سمعه عن إيرما الا الخير وظهر لهما مجاملة خارقة
للمعتاد منه ، وطلب منهما منه بأسلوب الملتبس المتواضع : هل تفضلان
فتسمحان للسيدة سيزنسكى بزيارته فى مونت كارلو اذا ما أرسل سيادته
لطلبها ثم يعيدها ؟ فقالت بيوتى : « طبعاً . هذا بطبيعة الحال اذا رغبت
السيدة نفسها ، وأنا واثقة بأنها ستقبل » فقال زهاروف : « لقد سارت
الامور بيننا على ما يرام هذه المرة » . وادرك لاني الذى لا يخلو من دربة
على الملاحظة ان العنكبوت المعجوز — وهو كذلك لا يخلو من دربة — كان
يتلمس اشارة خفيفة تدله على معرفة بيوتى بفشله السابق . ولما كانت
بيوتى لا تعرف شيئا عما حدث فى تلك المناسبة ، فقد كان من السهل
عليها ان تبدو بمظهر البراءة . وليس معنى ذلك ان التظاهر بالبراءة
كان عسرا عليها على كل حال ! .

واتجه لاني الى الاستديو بقصد استشارة السيدة فوجدها
مرورة جدا بما طرأ على السيد المعجوز من تواضع وقالت انها مستعدة

لزيارة مقره ، فعاد لاني وحدد موعدا . واعتذر زهاروف من عدم تناول
العشاء قائلا انه يأكل قليلا جدا وان ذهنه مشغول بالامور التي سمعها .
وخرج ليستقل سيارته التي انطلقت ، وقالت بيوتى لا يرما :
« يا للشيخ المسكين ! ان لديه مالا طائلا جدا بيد انه لا يستطيع الحصول
على الشي الوحيد الذي يريد من الدنيا ! » وبعد أن قالت الحماة هذه
العبارة تساءلت بينها وبين نفسها الا تبدو فيما قالت شائبة يسيرة من
مجاافة الذوق والكياسة !

**** معرفتي ****
www.ibtesama.com
منتديات مجلة الإبتسامة

الفصل التاسع

ارض مات فيها آبائي

- ١ -

كانت ايرما قد وعدت والدتها ان تزور لونيغ ايلند ذلك الصيف لتعرض الوراثة الجديدة لعشيرتي بارنز وفاندرنجهام . وكان يوهانسي روبن قد قال انهم سيجعلون من العودة رحلة اخرى باليخت ، بيد انه كتب الآن مبديا أسفه لاستحالة مفادته برلين ، فالاحوال المالية اصبحت عصيبة جدا بحيث يتحتم عليه ان يكون موجودا كل يوم ، وربما كل ساعة . وبلهجة جدية بالامراء عرض على آل بد يخته مكفول النفقات جميعا ، ولكن لعله كان يعلم انهم ما كانوا ليقبلوا مثل هذه المكرمة .

وقالت ايرما « ربما كان في وسعنا ان نستأجره منه » وتحدثوا في هذه الفكرة برهة ، ولكنهم كانوا يعلمون ان ابني روبن لن يحضرا ، لانهما سيحسان ان من واجبهما البقاء الى جانب امهما وابيهما . وسيفضل فريدي مواصلة العمل في المدرسة لان العمال لا يحظون بعطلات ، وحين يكفون عن العمل ينقطع اجرهم ، وهذا الانقطاع اخذ يحدد لعدد كبير جدا منهم . اما هانسي وبيس فيساعدان العمال بالعزف في حفلات زهيدة الاجر لجمهور الشعب في قاعات فسيحة . وعازف الفيولينا لا يرتقى بشهرته عن طريق مثل هذا العمل ، الا انه يريح ضميره .

وكان ثمة عدد كبير من الناس يسرهم ان تتاح لهم هذه الرحلة المجانية باليخت ، بيد ان ايرما وافقت على انه من المضجر ان تظل في صحبة مجموعة صغيرة كل هذا الوقت الطويل ، فالأفضل ان تكون غير مقيدة ، حرة في تغيير الاصدقاء حريتها في تغيير الاماكن . واستعد المكتب الدولي الكفء للسفر - الذي لم يعد مكونا الا من السيد بندلتون وزوجته دون غيرهما - ان يقدم لهم المعلومات عن البواخر الذاهبة من مارسيليا الى نيويورك ، فثمة رحلات فاخرة في البحر المتوسط يستطيع المرء ان يحجز فيها مجلات للعودة ، وثمة باواخر تقوم بما يسمى رحلات فاخرة

حول العالم ، وتسلك طريق قنال السويس وجبل طارق الى نيويورك .
وهذه البواخر الفاخرة هي التي رغبت فيها ايرما بارنز ، وسرها ان تعلم
ان صفوة الاجنحة في هذه القصور العائمة خالية بسبب الضائقة المالية ،
فاختارت ايرما احسنها لنفسها وللانى وجناحا مجاورا له للآنسة سيفيرن
والحادمة المربية والطفلة ، وقمرة بالدرجة الثانية لحادمتها ولفيزرس الذى
انحطت مرتبته فصارت مهمته الآن قضاء جميع (ما يطلب اليه) وتقبل
جميع انواع الهوان .

وفى اوائل مايو استقلت الجماعة الباخرة فالفى لانى نفسه وقد
عاد فجأة الى مجتمع المقاهى الذى كان قد هرب منه منذ عام ونصف عام .
فما بين عشرة واثني عشر مليوناً من الدولارات قد انفقت لانشاء باخرة
هي صورة طبق الاصل من الباخرة « الطريق الابيض الطويل » ، وعن
طريق وسائل الاعلان الموجهة بخبرة وحلق تم استدراج الطراز الملائم
تماماً من جموع الناس الى متنها وهذا القصر العائم به حمام سباحة
يكفى عمقه للقفز العالى ، وحجرة للاعب وجمنازيوم به مدربين ، وملعب
سكواش ، وملعب للاطفال وطريق مقوف يلاقوا به محلات للتجميع
وحوانيت للكماليات وبارات عديدة ودكاكين للحلاقين يستخدمها
السيدات خاصة ، وفرقة للجاز وفرقة موسيقية صغيرة وقاعة للصور
المتحركة ومطعم للحوم المشوية تستطيع ان تطلب فيه ايما شيء تريده
ان شعرت بالجوع فيما بين الوجبات المستفيضة المنتظمة . وها هنا اناس
ممن كنت قد التقيت بهم فى ليالى الافتتاح فى « برودواى » وفى النوادى
الليلية الراقية وفى المحال ذات السقوف المائلة فى بارك افينو نثار من
هواة المشاهد وطلاب الفرائب من المحدثين - وذلك يعنى اى مكان غربى
الشارع السابع - وهم اناس جمعوا ثرواتهم من تجارة الخزائير
او النحاس ثم استثمروها فى سندات ورغبوا فى الاعتماد عن متاعب
دنياهم . وكانوا يتوقعون ان ينتهى الهبوط والكساد فى الوقت الذى
يعودون فيه الى الوطن ، الا انهم اخطأوا التقدير .

وقبل ان ترسو الباخرة فى مارسيليا سرت بين الركاب انباء بقرب
صعود ايرما بارنز وزوجها الى متنها ، فاحتشد جمع كبير عند السياج
ليروهما ويراقبوهما . وكان التحديق يعتبر فى وقت من الاوقات فظافة
الا ان هذا الوقت قد انقضى او انه كما انقضى اوان اسبال الاجفان .
واندفع عديد من الصديقات القدامى للترحيب بايرما كى تقدمهن الى الامير
الشاب المجدود زوج الملكة . وبذلك غاص الزوجان منذ البداية وسط
الاحداث من حفلات غداء الى حفلات بريدج ورقص والعب رياضية من

هذا النوع او ذاك ، وما اكثر اللفظ الذى يسمع او يقال ، وما اكثر الاشخاص الجدد الذين يلتقيان بهم ويلعبان معهم . وقمرة كل انسان من هؤلاء غاصة بالتذكرات ، ولدى كل منهم قصص يرويها عن زيارته . ولكن ذلك كله كما تعلم كان فى مجموعه مضجرا . فكل منهم كان يسره ان يعود الى موطنه حيث يستطيع ان يلعب الجولف ويركب الخيل ويقود السيارة وليتخلص من الذين يستثمونه .

- ٢ -

لقد الفت ايرما نفسها حينما عاشت فى ظل النظام الاقطاعى مبهورة بفكرة التفرد ، بيد انها هنا عادت الى ذلك العالم السهل فوجدت الحياة فيه اقل عناء واكثر مجلبة للعبور . فشتى صفوف الناس يريدون ان يعرفوها ، ولكن كيف يمكن ان تعرف من هم وماذا يريدون ؟ فقد يكون الشخص خبيرا فى السرقة يحاول ان يعرف ماذا تتزين به من المجوهرات واين تحتفظ بها . وقد يكون من محترفى ابتزاز المال بالتشهير يتسقط شيئا كى يتمكن من استخدامه . وقد يكون مقامرا محترفا محتالا ، فكثيرون من هذا الطراز يفترسون ركاب عابرات المحيط . وكانت ايرما واحدى معارفها من نيويورك تلعبان ضد سيدتين من ذوات التهذيب وزيهما تحت مستوى النقد . وربما كان بين السيدتين اتفاق على طريقة من التفاهم بالاشارة سوى الاعلان عن الورق وهو جزء من اللعبة يدرسه اللاعبون معا ويتناقشون فيه . واقترحت السيدتان المراهنة بدولار عن كل نقطة ، ولم تبال ايرما . ولم تبال كثيرا جدا عند ما الفت بخسارة جانبها فى اللعب الفين من الدولارات فى نهاية ما بعد الظهر . وانهارت شريكها وبكت قائلة انها لا تملك نصيبها من المبلغ ، فدفعت ايرما عن كليهما ، ولم يرق لها كثيرا ان الح عليها لانى فى ان النساء الثلاث ربما كن على اتفاق .

وثمة ايضا مسألة الحمر . فالشبان على ظهر السفينة يحتسونه طول الوقت وانها لمعضلة كيف يستطيعون المشاورة والتحمل . وقال لها لانى لماذا لا تختارين اصدقاء يعرفون شيئا يتحدثون عنه ؟ ، ولكن هذا الصنف من الاشخاص اكبر سنا وايرما لا تحسن الا الاصغاء . وسرعان ما ياتى احد من مجموعتها فيمضى بها الى بار مزخرف زخرفة بهيجة ، او يأمران بالشراب. وهما يلعبان المينابنك على ظهر السفينة . ولم يعد فى

استطاعة لانى ان يقول لها « عليك ان تفكرى فى صحة طفلتنا » فصار وضعه وضع الرجل المفيق فى وليمة خمر ، يقتل السرور والشهية بسخطه وتنفمره النكد . ولم تقل له ايرما شيئا من ذلك ، ولكن غيرها قالو من وراء ظهرها ، وبدا عليهم اعتقادهم بوضوح . فانت اما ان تجارى الناس او تعاديهم ، فاستقر رأى لانى على استعجال الوقت الذى تصبح فيه زوجته تحت جناح فانى بارنز التى تملك حق توبيخ ابنتها ، ولا تتردد فى ممارسة هذا الحق .

وكان من بين التسهيلات ووسائل الراحة على ظهر هذه المدينة العائمة مكتب للمضاربة فى البورصة تستطيع ان تعرف منه الاسعار وتقامر على اسهمك المفضلة . وثمة ايضا صحيفة يومية تطلعك على ما يحدث فى « وول ستريت » وبقية انحاء العالم . وقبل ان تصل السفينة الى نيويورك بوقت قصير علم ان المتاعب فى فينا وصلت الى ذروتها فافلس « الكريد يتنشتالت » وهو اكبر بنك فى المدينة . وفى اليوم التالى امتد الذعر الى المانيا ، وسمع لانى اناسا يقولون « ليكن . فقد حان لهم ان يذوقوا شيئا من المتاعب » ولكن اناسا غيرهم ادركوا ان المانيا حين تعجز عن دفع التعويضات ، فلسوف تعجز بريطانيا وفرنسا عن الوفاء بديونهما للولايات المتحدة . وهذه المصاعب المالية شأنها شأن الموجهات الصوتية ، اذا ارتطمت بعائق ارتدت اليك على الفور . والعالم قد غدا أشبه بيهو كبير رنان ملآن ؟ بالاصداء المتلاطمة الهادرة فى هذا الاتجاه وذاك . ومن المستحيل ان تحدثس ماذا سيحدث فى اللحظة التالية !

- ٣ -

كان تمثال الحرية قائما منتصب القامة مهيبا رافعا شعلته بثبات فبدا فى ضوء النهار الساطع مفيقا رصينا ، وتساءل لانى اهو من الممتنعين عن شرب الخمر أم تراه مثل كثيرين من معارفه فى مجتمع المقاهى لا يسكرون قبل حلول الليل ؟ وكان خطر الخمر لم يزل قائما فلا تستطيع ان تشتري شيئا منها على ظهر السفينة بعد ان تجتاز خط الاميال الثلاثة الذى يحدد المياه الاقليمية ، ولكن الجميع يعلمون انهم بمجرد نزولهم الى الشاطئ يستطيعون الحصول على اى شئ يريدونه .

وكانت فانى بارنز وفى صحبتها شقيقها هوارس ينتظران على رصيف الميناء ليحظيا بأول نظرة من أثنى طفلة . ولما انزلت سلالم السفينة

وهبطها ركب الاسرة اخذت فلنى الحزمة الدافئة الناعمة بين ذراعيها ، ورأى لانى أول دموع شهدتها اطلاقا فى هاتين العينين اللتين كان يخالهما قاسيتين دنيوتين . ورفضت ان تترك الحزمة من بين ذراعيها وحملتها الى السيارة المنتظرة وجلست هناك تحطم جميع القواعد التى كانت الانسة سيعرن قد وضعتها لحماية الاطفال صحيا ونفسيا . ورأى لانى المرأة الانجليزية ترقب ذلك باستياء ، وخشى ان تكون مشاجرة من الطبقة الاولى تتجمع فى الافق ، لان رئيسة المربيات كانت قد اوضحت قرارات كثيرة انها شخصية محترفة وتعتبر خدماتها غير ذات موضوع اذا غضى الطرف عن نصائحها .

وتركوا فيدرس ليتم الاجراءات الجمركية ويحضر خادمة ايرما والخدمة المربية والحقائب فى سيارة اخرى وانطلقت السيارة بالاسرة فى وقار، وجلست الانسة سيفيرن فى المقدمة الى جوار السائق حتى لا تفتن كثيرا الى تدليل الجدة واحتضانها لطفلة فى شهرها الرابع عشر وهى تهز اصبعها فى وجهها وتكلمها هكذا . واستمر ذلك طوال المسافة التى اخترقوها عبر الشارع الرابع عشر واكواخ شرقى نيويورك الحقيبة وفوق جسر كبير ثم على طول الطريق السريع الجديد . وادرك لانى مدى جدية تصرفه حين ابقى المخلوقة الثمينة فى أوروبا ، وأى معركة سيخوضها فى سبيل العودة بها الى هناك ! .

وكانت ثمة انباء كثيرة دار حولها الكلام ، من شئون الاسرة وشئون العمل واخبار جميع اصدقائهم الذين تزوجوا أو ماتوا أو ولدوا . وسرعان ماراح الخال هوراس فاندنر نجهاً يحدث لانى عن الاسهم وكيف انها هبطت مرة اخرى ، فانباء المانيا سيئة جدا والشائعات تقول ان المتاعب قد تصل الى بريطانيا . واعلن خبير السوق السابق ان من رايه ان الاسعار وصلت الى اقصى درجات الهبوط ، وهى بعينها كلمات روبرى بد التى قالها من قبل : « انظر أين وصل الصليب الآن ! » وكان الخال هوراس قد كتب الى ايرما بروجوها ان تخصص مبلغا صغيرا من المال كى يستطيع العودة الى ممارسة اللعبة ، وسيقاسمها الربح مناصفة ، وانها لجريمة ان يهدد خبرته ومعرفته التى اكتسبها فى عمره كله . ولكن ايرما قالت لا من قبل ، واخبرت زوجها انها ستظل تقولها ولا تسمح لاحد ان يضايقها بالحاح ولجأته .

، واستؤنفت الحياة في « شور آكرز » من حيث كانت قد انقطعت .
وسويت مسألة الطفلة فرانسيس بسرعة ، لان كبيرة المربيات جاءت الى
ايرما التي استخدمتها ، ولم تقل ان ايرما نشأت بطريقة خاطئة ، ولا ان
الجدات من طراز انقضى زمنه ، بل قالت ببساطة ان العلم الحديث اهتدى
الى اكتشافات جديدة وانها تعلمت ودربت كي تضع هذه المكتشفات
موضع التطبيق . ولم تتصور ايرما ان تفقد هذه الشخصية المسرفة في
يقظة ضميرها ، ففرضت ارادتها على أمها التي تقبلت الامر بوداعة
مدهشة . وكذلك الحال هوراس لم يقم الا بأضعف المحاولات في اتجاه
« وول ستريت » . ولاحظ لاني انهم عقدوا جلسات عائلية للاستشارة
واتفق على ان تكون فاني المتعالية حصة مثالية ، وشقيقها سيحمل نفسه
على ان يكون لطيفا بأى ثمن . وكل من فى البيت سحذو حذوه على امل
ان يقتنع الامير زوج الملكة بالاستقرار فى قصره والاستمتاع بهذا النمط
من الحياة الذى شاء الرب ان يدعوه اليه .

وكل ما على لاني وزوجته الملكية ان يصنعا هو الشعور بالسعادة ،
ولديهما أعلى أنواع اللعب فى العالم للتلهى بها ، فقد أثنت الضيعة
لهذا الغرض وبذل الوف الصنائع المهرة جهودهم واجهد مئات الفنيين
عقولهم للوصول بها الى حد الكمال . فان اراد الزوجان الشابان الركوب
فهناك الخيول وان ارادا ركوب سيارة فهناك السيارات ، وان ارادا الخروج
الى متن البحر فثمة الزوارق الشراعية والبخارية . وهناك ايضا حمامان
للسباحة احدهما فى داخل الدار والآخر خارجها ، فضلا عن المحيط
الاطلسى بأكمله . وثمة خدم للقيام على شأنهما وتنظيف مخلفاتهما ،
واشخاص يتقاضون رواتب وبطانة كاملة لتملقهما وتسليتهما . فالعالم
قد رتب اموره بحيث صار من العسير جدا على هذين الزوجين ان يصنعا
شيئا نافعا على الاطلاق .

وجاء رفاق اللهو زرافات ، وهم فتیان وفتيات من مجموعة ايرما
يقولون عن أنفسهم انهم « متخمون الا انهم يعيشون ويحسون ويفكرون كما
لو كانوا مراهقين مايزالون . وقد أصاب الهبوط المالى كثيرين منهم ، واضطر
نفر قليل منهم الى التخلف ، بيد ان معظمهم واصلوا متابعة الركب وهم
يقودون سيارات سريعة ولا يبالون بان يتناولوا العشاء فى موضع ثم
يرقصون فى موضع يبعد عنه خمسين ميلا ، ثم يعودون بسرعة السباق
الى البيت عند الفجر ، ويختارون احدهم لقيادة السيارة فيجعل همه ان

يبر بوعد الشرف الا يسكر . وكان هؤلاء الفتيان قد ذهبوا الى الكليات ، اما الفتيات فذهبن الى المدارس الراقية الخاصة التي تعد الفتيات للحياة الاجتماعية وتزودهن بالثقافة اللازمة . فاكسبوا واكتسبن اساليب السلوك الراقية الحديثة ، ولكنهم لم يحظوا بافكار تقلقهم . وحديثهم حديث مجتمع سرى فلهم رطانتهم الخاصة ونكاتهم الخاصة بحيث انك ما لم تكن « منتبيا » اليهم فلا بد ان تسأل ماذا يعنون بكلامهم .

وكان واضحا ان ايرما انتقت لنفسها شخصا غريب الاطوار ، بيد انهم على استعداد لتقبله ، وكل ما عليه ان يتقبلهم كما هم ويصنع ما يصنعون ولا يحاول ان يفرض عليهم افكارا على الاطلاق . ووجد ذلك مسليا فترة من الوقت ، فقد كان الريف في افضل اوقات الربيع ، وضياح « لونج آيلند » مترامية وبعضها انيق ، وكل من لديه الشباب والصحة يستمتع هناك بالتنس والسباحة وتناول الطعام الطيب . ولكن لانى يتناول الصحيفة ويطلع فيها عن المتاعب التي تسود العالم اجمع ، وقد ينزل الى المدينة المكتظة بالناس حيث لا فرصة امام الملايين للعب ، بل وليس لديهم ما يكفيهم من الطعام ، وينظر الى باعة التفاح والرجال الشاحبين المفتقرين الى الحبز وعليهم ثياب لم تزل لها بقية من حشمة واحترام ، ملايين يهيمنون في انحاء الارض باحثين عبثا عن العمل ، واسر كثيرة مطرودة من مزارعها لانها عجزت عن اداء الضرائب . ولم يكتف لانى بمطالعة الصحف العادية المحترمة فراح يبحث عن الصحف الحمراء والوردية ثم يروى لأصدقائه الاثرياء ما وجده فيها ، فلا يصدقونه اكثرهم . ولا احد منهم لديه أدنى فكرة عما ينبغي ان يسمح حيال ذلك .

ما من احد لديه مثل هذه الافكار فيما يبدو ، فالطبقات الحاكمة في مختلف الامم ترقب انهيار اقتصادياتها وكانهم متفرجون عن كئيب على بركان يرون الحمم النارية تنبثق متدفقة من فوهته ، وسحب الرماد الكثيفة تنحدر نحو السفوح فتتبلع الكروم والحقول والاكواخ . وكذلك كانت الحال عندما وقف بلينى الاصغر قرب جبل فيزوف قبل الف وتسعمائة سنة تقريبا ثم كتب الى المؤرخ تاكيتوس يصف تجربته :

لقد نظرت ورائى فاذا ظلمة هائلة تخيم من خلفنا وتقبل هادرة فتغطي ولأرض من ورائنا كالطوفان . وما كدنا نجلس حتى خيمت فوقنا الظلمة ، وماهى بظلمة كظلمة ليل لا قمر فيه أو ملبد بالغيوم بل هى ظلمة حجرة مغلقة المنافذ مظفة المصباح . وكنت تسمع صراخ النساء وبكاء الاطفال وصياح الرجال ، وفريق منهم يبحث عن أطفاله ، وفريق

آخر عن والديه ، وفريق ثالث عن الزوجات والازواج لا يميزونهم الا بصواتهم . وهذا شخص يندب حظه ومصيره ، وآخر يندب اسرته ، ومنهم يصلى طالبا الموت لشدة خوفه من الموت ، وكثيرون يرفعون أيديهم الى الالهة ، ولكن خيل للجانب الأكبر من الناس انه لم تعد ثمة آلهة فى اى مكان ، وان الليل الأخير الأبدى قد ران على العالم .

- ٥ -

وعن طريق سفينة عبور السيارات ما بين لونيغ ايلند ونيولندن بولاية كنتيكت اخذ لاني زوجته بالسيارة الى بيت ابيه وقضيا هناك اسبوعا مع الأسرة . وكانت مدينة كاسل قد تأثرت بالكساد تأثرا شديدا فاغلق مصنع الأسلحة تماما ، ومصانع البضائع الحديدية والمصاعد وغيرها تدار ثلاثة ايام فى الاسبوع فقط . والعمال يعيشون على مدخراتهم ان كانت لديهم مدخرات ويهرنون دورهم ويفقدون سياراتهم وأجهزة الراديو لعجزهم عن اداء اقساطها . وكانت هناك قرابة ألف أسرة مملقة تمام الاملاق ومعظمهم من عمال بد ، فكان لذلك كله وقعه الشديد على ضمائر جميع أفراد الأسرة السائدة وجيوبها بها وكانت استر تبذل مجهودا أشد مما كانت تبذله أثناء الحرب العالمية ، فهي رئيسة اللجنة المالية لمطابخ الحساء الشعبى فى المدينة ومساعدة الاطفال ، ولذا فهي تطوف بمنتديات السيدات والكنائس لتسرد على الأسماع قصصا مرهقة مروعة تحمل النساء على البكاء ، حتى لا تتوقف أعمال الاحسان الفردية كل التوقف .

وكان الموقف حرجا كما أخبرها زوجها ، لأن امریکا اذا اضطرت لاتباع النظام الانجليزى فى المنح ، فسيكون ذلك نهاية النشاط الخاص والتلقائية الفردية . وبدا روبرى لابنه كأنه الوتد الأساسى فى فريق لشدة الحبل ، فهو قد حفر لعقبة مكانا فى الارض وكز على أسنانه ونفرت عروقه من جبينه القرمزى لفرط المجهود الذى يبذله لمنع بلاده من التحرك فى الاتجاه الخاطيء . وكان روبرى قد توجه الى واشنطن لمقابلة الرئيس هوفر بطله ورئيس فريقه . ووجد المهندس العظيم وقد احدث فعلا به ، فجميع قوى القوضى والهدم - فهكذا كان يعتبرهم روبرى - تحاول زحزحته عن موقفه فى اصراره على وجوب موازنة الميزانية والمحافظة على قيمة الدولار واثاحة الفرصة للأعمال المالية كى تعود سيرتها الاولى فى الوقت المناسب وعلى حسب القواعد الجارية .

وكانت المدن والاقاليم قد قاربت نهاية مواردها فراحت تطالب بمساعدات فيدرالية ، والجنود العائدون كانوا قد نظموا انفسهم للمطالبة بعلاوة عن الخدمات التي ادوها وراء البحار في حين كان رجال الأعمال في أرض الوطن يملثون جيوبهم بالمال . وهكذا قام المهيجون بالهجوم والزبد يتدفق من اشداقهم ، ومرروا مشروع قانونهم من الكونجرس رغم اعتراض رئيس الجمهورية . وواصل هربرت المسكين القاء خطبه عن نظام الفردية المهلهل في أمريكا وقوى من عزيمته ان يرى رجل أعمال متين كان رجال البترول مثله ذات يوم ، يأتي ليقول له انه ينقذ المدنية بسياسته .

وبطبيعة الحال كان على استر أن تصدق زوجها ، فكانت تخبر جميع سيدات النادي وسيدات الكنيسة انهن ينقذن المدنية فيضمن سنتاجهن أو دولاراتهن في صندوق التبرعات ويجتمعن فيغزلن الصنادرات أو يطبخن ويقدمن الحساء الساخن . ولكن كل تدهور في « وول ستريت » كان يخرج مزيدا من الرجال من أعمالهم في نيوكاسل ، مما جعل السيدات يضمنن بالحال ذرعا . وحينما كتبت ايرما شيكا بخمسة آلاف دولار للأطفال انهمرت دموع الشكر على وجنتي زوجة والد لاني . ولئن كان لاني قد سبب لها احزانا كبيرة في الاعوام الماضية ، فقد ارتفع الآن تقديره الى عليين .

بل وصبغته الوردية في السياسة صارت شيئا محترما بفضل لون بيس القرمزي ، وكانت أمها تسال عن أحوالها وهي في حالات أشد حالات القلق عليها .

وقرر نادي نيوكاسل الريفى أن يقيم حفلة راقصة تنكرية للاغراض الخيرية ، وثمان التذكرة خمسة وعشرون دولارا ، فان لم تحضر الحفلة فانت لست شيئا مذكورا . واضطرت ايرما ولاني للذهاب بالسيارة الى مدينة قريبة ، لأن كل من يعرفون الحياكة في نيوكاسل كانوا مشغولين فعلا بصنع الأتواب التنكرية . ولكن الأمر كان على مايرام في تلك المدينة الاخرى لان مداخل مصانعها كانت أيضا لا يتصاعد منها الدخان . وانكب على العمل ليل نهار عدد من النساء ، وكانت النتيجة ان ظهر الزوجان الزائران في ثوبين فاخرين جدا يمثلان بياتريس وبنيدك من المخمل الاحمر والارجواني وبطانة ذهبية . وكانت المناسبة مبهجة ، ولما انقضت اهدت ايرما ولاني الثوبين الى لجنة التمثيل بالنادي الريفى ، لأن ايرما قالت انك ان طويتهما وحملتهما في السيارة انتشرت فيهما الفضون والتجعدات فلا يصلحان للاستعمال مرة أخرى .

لم تكن زيارة مدينة صناعية في مثل هذه الاوقات مصدر بهجة ولكنها مدينة آل بد ، وفي أيام الرخاء كان كل انسان هناك ودودا في معاملته للزوجين الشابين واصدقائهما ، حتى اليهود منهم لذلك كان من الضروري الآن ان يبقيا ويبديا التعاطف وشيئا من العون ويتقبلا الحفلات التي تقام لتكريمهما ويصافحا عددا لا يحصى من آل بد ويثرثرا معهم ، ولم يكن لاني نفسه يستطيع ان يتذكرهم جميعا ، فكان لابد له من استذكار اسمائهم وقراباتهم على وجه السرعة كأنما يستعد لامتحان في الكلية . ولعبا كذلك الجولف والتنس في النادي وسبحا وركبا الزوارق الشراعية في جو يونية البديع . وكان الريف من حولهما كأنه معرض هائل للورود البرية ، والطبيعة بأسرها تدعوها الا يسرفا في القلق لأن الحياة سائرة في طريقها .

وكان لا بد لهما ايضا من التوجه لزيارة رئيس مؤسسة بد لصناعة البنادق ، وكان الشيخ قد قال للاني انه ربما يراه بعد ذلك مرة أخرى ، بيد انه ظل حيا ثابتا في مكانه ، ولم يزل قائما بإدارة الشركة عن طريق التليفون . وكانت يدها تهتزان بحيث يتألم من يرقبهما ، وخدها يتهدلان في طيات كأنما جلده الاصفر أصبح ضعف ما ينبغي لتغطية هيكله المنكمش . الا انه لم يزل ذلك المتطهر العبوس ولم يزل يستجوب لاني ليتأكد من انه لم ينس نصوص الكتاب المقدس . وكان قد سمع بالطبع بولادة الطفلة فرانس وقال انه بربوعده فذكرها في وصيته وان كان لا يعلم هل لم تزل لديه ممتلكات على الاطلاق أو هل تساوى أسهم بد الورق المطبوعة عليه . ودقق في سؤال الزوجين عن اعتزامهما العمل على انجاب آخر عسى أن يكون غلاما ، فقالت له ايرما انهما يتركان هذه المسألة للرب . ولم يكن الامر كذلك ، ولكن لاني لم يناقضا ، وقالت له فيما بعد انه لخزي أن تقلق بال ذلك الشيخ وهو على حافة القبر .

وكان كل انسان يعلم انه لن يستطيع الثبات فترة طويلة من الزمن وكانت ثمة حرب ناشبة من وراء ستار في سبيل السيطرة على الشركة ، فنشب صراع مؤلم بين روبي واخيه الاكبر لورفورد ، وهو رجل صموت مكتئب شكس يتولى شئون الانتاج ، ولم يره لاني وايرما الا عندما توجهها الى « الكنيسة المليئة الاولى » . ولم يكن الجد المعجوز قد صرح باسم من

يرغب فى ان يخلفه ، وبطبيعة الحال لم يحب احد ان يسأله . ومنذ فترة من الزمن يقوم لورفورد بمقابلة المديرين وعرض وجهة نظره فى الموضوع وهى تتضمن اطلاعهم على الاخطاء التى ارتكبها روبى ، أو التى يعتقد لورفورد انها اخطاء . وبطبيعة الحال أدى ذلك الموقف بالنسبة لروبى الى ضرورة الدفاع عن نفسه فصار الموقف قبيحا ويعتقد روبى ان زمام الموقف بيده حتى الآن فابوه قد جدد عقده بصفته ممثل الشركة لشئون المبيعات الأوروبية خمس سنوات أخرى ، فاذا حصل لورفورد على الرئاسة فسيضطر لدفع ثمن باهظ لشراء كل حقوقه واجلاء عن الميدان .

- ٧ -

وكانت الحالة المالية فى ألمانيا تسير من سيئ الى أسوأ ، وتلقى روبى خطابا من يوهانس قال له فيه ان الاحوال تبدو وكأن نهاية كل شيء قد حانت ، فالقروض الأجنبية قد انقطعت وألمانيا لا تستطيع المضي فى طريقها بدون هذه القروض . وكان يوهانس يقوم باخراج مزيد من أمواله من البلاد ويطلب من روبى مساعدته فى استثمارها . وقال روبى لابنه فى سرية شديدة - فايرما نفسها لا ينبغي أن تعلم ذلك ان الرئيس هوفر كان قد أعد تاجيلا جبريا للدفع بالنسبة للديون الدولية ، وهو لم يزل مترددا فى هذه الخطوة الخطيرة : هل تساعد على تحسن الاحوال أو تسبب مزيدا من الضرر ؟ فالفرنسيون الذين لم يؤخذ رأيهم فى هذا الاجراء قد يستشيطنون غضبا .

وصدر الاعلان بعيد عودة الزوجين الشابين الى شور آكرز ، واستشاط الفرنسيون غضبا ، ولكن هذا الاجراء لم يساعد الألمان كثيرا ، ففي منتصف شهر يوليه أفلس بنك دانات العظيم فى برلين وحدث إفلاسه ذعرا يضارع ما شهده لاني فى نيويورك من قبل . وتوجه المستشار برونج الى باريس يلتمس العون ، ولكن رئيس الوزراء لافال أباه عليه . فرنسا الآن أقوى دولة أوربية ماليا ، اذ تجلس متربعة فوق تل من الذهب ، وترفض أن تقرضه الا لتسليح بولندا وحلفائها الآخرين فى الشرق الذين كانوا يبتزون مالها بلا رحمة . وكانت بريطانيا قد اقترفت خطأ بمحاولة تدعيم المالية الألمانية ، فاذا بماليتها الآن تهتز نتيجة لذلك . وكتب دنيس دى بروين الشاب الى لاني يقول « لسنا بلهاء الى هذا الحد » فرد عليه لاني « ان تركتم الجمهورية الألمانية تسقط واستولى هتلر على الحكم ، فهل سيكون ذلك فى مصلحتكم ؟ » ولم يرد عليه الشاب دنيس .

كانت هذه هي المشكلات التي تواجه رجال السياسة في الوقت الذي ينعم فيه شابان مدللان ثريان بالبهجة والمرح في سائر انحاء الولايات الشمالية الشرقية ، تصلهما الدعوة الى مكان فيامران بحزم. حقائبهما ويستقلان سيارتهما في الصباح ليقوداها بضع ساعات او ربما طول النهار لينزلا منها الى ضيعة في بار هاربر او نيوبورت او بركشاير او تلال راماتو او اديروند اكس او جزر ناوزند . و اينما توجهها فثمة قصر - حتى ولو أطلقوا عليه اسم « كوخ » او « معسكر » . وتعرف المعسكر بأنه مقام من رقائق من الخشب ، يرتدى فيه الناس ملابس الرياضة ولا يرتدون ثياب السهرة لتناول العشاء ، الا ان وجبة العشاء ضخمة مستفيضة الألوان مع ذلك لأن ما من أحد يقيم بمكان الا بعد أن يكون قد أرسل مجموعة خدمه من قبل ، بحيث تكون جميع وسائل الراحة مكفولة بما فيها كمية كبيرة من الحمر المهربة وترسل أجهزة الراديو والجرامافون موسيقاها للرقص ، وان لم يتيسر العدد الكافي للالعاب يدعون بالتليفون بعض الأصدقاء من مسافات طويلة فيأتون بالسيارات من على بعد مائة ميل أو أكثر ، وعندما يصلون يتباهون بسرعتهم . ومرة أخرى ذكر لاني الشاعر الانجليزى كلاف وانشودته التي ينسبها الى الشيطان في تجسده من تجسدهاته الكثيرة « ما أجمل أن يملك المرء المال أوام ! ما أجمل أن يملك المرء المال ! » .

ولم يزل هؤلاء الشبان يملكون المال وان كانت جداوله بدأت تنضب . ولكن أسوأ ما يسببه هذا الكساد من الاحراج بالنسبة لبنت ج . باراماونت بارنز ، ان الكثيرين جدا من اصدقائها تحل بهم المتاعب تباعا ويحيطونها بذلك علما . وقد الفت نفسها في موقف مبرح حقيقة ، ففي وسط مباراة للبريدج في تكسيد وبارك تلقت المضيضة اشارة تليفونية من سمسارها في نيويورك ودخلت على ضيوفها شاحبة الوجه وقالت انها مالم تستطع أداء خمسين ألف دولار نقدا صباح الغد فسيقضى على مركزها المالى نهائيا . ولم يكن كل انسان يملك كل هذا القدر من المال في البنك ، ولا سيما في اوقات انتشرت فيها الشائعات حول هذا البنك وذاك . ورات ايرما عيني مضيفتها مثبتتين عليها ، فشعرت بضيق لا مزيد عليه ، لانها لا تستطيع أن تعالج الكساد بمفردها وحدها ، ولا بد أن تقف عند حد مهما كانت الاحوال .

اجل لم يكن امتلاك كل هذا المال مصدر بهجة خالصة ، فانت لا تريد أن تنطوى على نفسك وتصبح متحجر القلب غير مكثرت بعذاب الآخرين ،

ولكنك تجد نفسك محاطا بأناس يريدون ما في يدك ولا يستحقون ذلك في جميع الاحوال . وهم اناس لم يتعلموا قط أن يصنعوا شيئا نافعا ويجدوا أنفسهم لاحول لهم ولا حيلة كالاطفال في هذه الازمة . وينبغي بطبيعة الحال أن يعملوا شيئا ، ولكن ماذا يستطيعون أن يعملوا ؟ ان جميع المناصب مشغولة فيما يبدو بأشخاص يعرفون كيف ينهضون بأعبائها . وفي الوقت الحاضر يقال ان ستة او ثمانية او عشرة أشخاص يبحثون عن أعمال فلا يجدون . ثم ان لاني وايرما لا يبدو عليهما انهما الشخصان تماما لاعطاء هذا النوع من النصح !

- ٨ -

وكان يوم أول يوليه موعد توزيع الحصص ، ولكن كثيرا من أكبر الاتحادات المالية وأهمها أغفلت ذلك فأحدث هذا التصرف هزة في « وول ستريت » ولاولئك الذين يعيشون على هذه الحصص . واصيب دخل إيرما بمزيد من النقص ، وبدأ أن الانكماش يزعم أن يستمر . وكانت الانباء من الخارج من أسوأ ما يمكن . وريك الذي يعرف ما يدور وراء الكواليس كتب بما يعرف الى صديقه . فالمستشار الالماني في لندن يستجدي ارسدة ، ولكن مامن احد يجرؤ على مساعدته أكثر من ذلك ، وفرنسا قاسية متحجرة القلب لان الالمان ارتكبوا جريمة محاولة اقامة اتحاد جمركي مع النمسا . ولكن كيف يستطيع هذان البلدان البقاء ان لم يتمكننا من المتاجرة ؟

وكانت عادة لاني طول حياته ان يجلس ويصفى لمن هم اسن منه يتحدثون عن احوال الدنيا ، وهو الآن يعرف عن احوالها أكثر من معظم من يلتقى بهم ، حتى من هم اسن منه . ففي حين تلعب إيرما البريدج او تنس المائدة مع أصدقائها الشبان الذين كانوا قد أكتسبوا مهارة مدهشة في هذه اللعبة السريعة ، ينصرف لاني الى اخبار رئيس بنك من أكبر بنوك « وول ستريت » لماذا اخطأ حين نصح عملاءه بشراء سندات ايطاليا الفاشستية أو ينصرف الى اقناع عجوز من أغنى نساء امريكا بأنها لم تعمل حقيقة على مساعدة الكفاح ضد البلشفية عندما منحت مبلغا من المال لنشاط النازي في الولايات المتحدة . وكان شاب الماني مثقف لطيف جدا قد قدم اليها وشرح لها تلك الحرب الصليبية المقدسة لصون المدنية الغربية من الهمجية الآسيوية التي تهددها !

وانه لعالم شديد التعقيد بالنسبة لتابعة مخلصه للكنيسة الاسقفية
وعضو في جمعية بنات الثورة الأمريكية . وكانت ثروتها المصرفية تزودها
بقوة هائلة وهي شديدة الرغبة في استخدام هذه القوة بحكمة . واخبرها
لاني بالعناصر الاساسية المتباينة لبرنامج النازي ، فاستولى على السيدة
العجوز الرعب . اخبرها كيف ان هتلر اخذ يتخلل عن هذه العناصر
الاساسية واحدا بعد واحد فأخذت العجوز تنتعش مرة أخرى . بيد ان
لاني اكد لها ان هتلر غير مخلص في تخليه عن هذه العناصر كما انه لم يكن
مخلصا في اتخاذها ، فكل ما يريد هو الوصول الى الحكم وعندئذ يفعل
كل ما يتراءى له ضروريا للاحتفاظ بسلطته وزيادتها . ووجد لاني من
المستحيل اقناع السيدات الأمريكيات المتحرجات المذهبات الرقيقات بان
هذا المسلك حقيقة واقعة ، لفرط بشاعته . وانت حين تمنع في الحديث
عنه لا تفلح في اقناعهن الا بان نفسك الشاكة تعاني عيبا خفيا .

- ٩ -

ولم يكن في وسع لاني أن يعيش مع هذه الطبقات المتخمة طول
الوقت فعادته الحنين الى اصحابه من ذوى الآراء والوردية ، وهبط الى
المدينة الحارة المكتظة بالناس وقام بزيارة أخرى الى مدرسة رائد للعلم
الاجتماعي . واخبرهم بما كان يفعله في سبيل تعليم العمال في الريفيرا
واكتب بمبلغ في نفقات المدرسة فسرى الخبر بسرعة أن هاهو صاحب
كيس مكتنز بالنقود فاذا بكل صاحب قضية وثمة مئات منهم فيها بعدد -
يكتب اليه الرسائل أو يبعث اليه بوثائق ونداءات منسوخة أو مطبوعة
لجميع الاكتتابات . فالعالم ملان بالمتاعب ، وما أقل من يعينهم أمرها !

وأرسل أيضا اشتراكا في صحيفة القائد الجديد « نيوليدر »
فصارت توافيه بجرعة اسبوعية من فظائع النظام الراسمالي الذي كون
لنفسه قوة هائلة في مجال الانتاج ثم عجز عن استخدامها ، مما جعل
الملايين يتضورون جوعا في حين يتخم ويسمن عدد محدود من الطفيليين
يعيشون في الترف والبذخ . ويترك لاني هذه الصحيفة ملقاة على المنضدة
في حجرته فترى أيرما العناوين البارزة وتقول « ويحي أما زلت تقرّ
هذا الكلام ؟ فقد كان يضايقها ان توصف بأنها من الطفيليات ، وأن يقول
لها لاني « ولكن هذه حقيقتنا » ثم يمضي في اثبات ذلك .

وكان لعدد من جماعات العمال واتحادات العمل معسكرات صيفية

يستطيع اعضاؤها قضاء العطلة فيها . وذهب لاني ليلقى نظرة على معسكر منها ، وفي ذهنه أنه ينبغي أن يعزف العمال بطريقة مباشرة ، إلا أنه أخطأ باصطحاب زوجته معه فأفسد كل شيء . وقد بذلت إيرما وسعها ولكنها لم تعرف كيف تتصرف على سجيته . فقد كان المكان مكتظا ، وثيراب العمال بعيدة عن موافقة العرف وسلوكهم منطلق مرح وهم يحظون بوقت طيب على طريقتهم الخاصة غير مكثرئين باختلاف ذلك عن طريقتها هي ، فهم لا يرفعون ابصارهم الى المقام الملكي ولا يسرهم أن ينظر اليهم أحد كأنهم حديقة حيوان . وقصارى القول أن هذه الزيارة التي كانت جهدا لاقامة جسر عبر الهوة الاجتماعية التي تفصلها عنهم منيت بالفشل .

وعلى الساحل الجنوبي من لونغ أيلند توجد به ضيعة بارنز مصيف معروف باسم جزيرة كوني ، وكان لاني قد سمع به ولكنه لم يره قط . ولم يكن لدى إيرما إلا ذكريات غامضة عنه منذ زارته ذات مرة في طفولتها في صحبة أبيها . وبعد ظهر يوم أحد حار خطرت الفكرة الشاذة لأحد أصحابها الوجهاء فقال « هيا بنا نذهب ونشاهد كوني ! » وقال الجميع أن هذا المصيف مشهد يرى ، فهو أولى مكان في العالم بدراسة المهتمين بالأحياء القذرة ، اللهم إلا أن تكون قد ذهبت الى شنفهاى أو بومباى فى إحدى تلك الرحلات الفاخرة البحرية .

وتوجهوا بسيارتين كبيرتين للأحمال الثقيلة الى المصيف ، وكان لسانا طويلا من الأرض داخل فى البحر . ووجدوا عناء فى العثور على مكان تقف فيه سياراتهم واضطروا للسير على الأقدام ميلين ، ولكنهم كانوا شبانا قد خرجوا للهو . ولابد أن عدد الناس فى المصيف وصل الى المليون ، ومعظمهم محتشدون فوق الشاطئ العريض الممتد من العسير التنقل بين مجموعات المستلقين أو الجالسين على الرمل وقد ضاقت أنفاسهم من قيظ الشمس . فان كنت تريد معرفة الحقائق الأولية عن الحيوان الأدمى فهذا هو المكان الذى يمكن أن ترى فيه بالضبط أفراد هذا النوع الى أى حد تبلغ بدانتهم أو هزالهم ، وإلى أى حد هم مشعرون أو مقوسو السيقان أو منحدرى الكتاف ، وإلى أى حد يختلفون عما عداهم من المقاييس التى انشأها براكسيتيل . وفى وسعك أيضا أن تكتشف الى أى حد يصل نتن رائحتهم ، وإلى الأصوات الفظة تصدر عنهم ، وإلى صنوف المأكول كريمة الرائحة يتناولون ، وإلى أى مدى يبلغ اعتمادهم عن الرشاقة والأتاقة وكم ذا تبلغ سطحيته . لقد كان أسوأ سيئاتهم فى نظر لاني بد التزمت فراغ عقولهم ، فهم قد أتوا الى هنا فى عطلة ويريدون الترفيه ، وثمة شارع لا نهاية له

به كثير من الافانين المعدة لهذا الغرض ، وبشمن يبدأ من بضعة سنتات فصاعدا تستطيع أن تتركب عجالات دوارة هائلة ترتفع بك في الهواء أو تمتطي زرافات وحيرا وحشية مطلية بألوان براق فتدور بك في سرعة أو تتركب سيارات صغيرة يرتطم بعضها ببعض ، أو تمشي في أنفاق مظلمة بها زلازل مستمرة ، أو في أنفاق مضيئة تهب عليها تيارات هواء مفاجئة ترفع ثياب النساء ، الى فوق فيصرخن ، أو تسلم نفسك الى الأشباح والوحوش فتفزعك .

وقصارى القول أن ثمة آلاف الأشياء العجيبة ، وكلها تنطق بانك حيوان ولست كائنا ذا عقل . وفي الامكان اذلالك وتسخيفك ، ولكن قلما يمكن في جزيرة كوني أن يرتفع مسنوك أو تلهم شيئا أو تتعلم شيئا نافعا . واعتبر لاني ذلك المكان الذي يشبه الكابوس تجسيدا لسائر أنواع الانحطاط التي صبها النظام الرأسمالي على الملايين الكثيرة من ضحاياه . فهو يقوم على أي شيء يمنعهم من التفكير .

وهذا شأن شاب ذي لون سياسي ووردي ، وقد اقحم نفسه في جدل حامى الوطيس مع شحنة سيارة من رفاقه الشبان ، وكانوا قد استخلصوا نتائجهم الخاصة في هذا الانغماس في الحياة الجسدية . فايرما التي كانت تحتكر لنفسها نصف ميل من واجهة المحيط اثار تقززها ان يكتفى أحد من الناس باحتلال عشرة أقدام مربعة من هذه الواجهة أو نحوها . واما رفيق طفولتها بابس لوريمر الذي كان أبوه ذات يوم صاحب « كورنر » في المضاربة على القمح فاستخلص نتائج سياسية من هذا المنظر وتساءل كيف يتصور أي انسان ان تكون للجماهير كلمة في ادارة دفة الحكومة واما نودلز « ومعناه الاخرق او شعرية الحساء ونترون واسمه الاصلى نيوتن وتحصل امه الأرملة على كسر صغيرة من السنن من كل شخص يركب الترام الى جزيرة كوني - فنظر الى المشكلة من الناحية البيولوجية وقال انه لايتصور كيف استطاعت جموع هذه المخلوقات القبيحة ان تعيش ولا يستطيع ان يعرف لماذا يرغبون في الحياة . ومع هذا انظر الى اطفالهم وكثرتهم ؟

- ١٠ -

واتضح للاني ان احواله سائرة سيرا حسنا بصورة مدهشة مع أفراد أسرة ايرما المباشرة ففاني بارنز ذات الشخصية المسيطرة كانت جامدة في افكارها وآرائها ، ولكن معظم هذه الآراء تتصل بمسائل أداب

السلوك والذوق ومكانة الاسرة فلم تكن تعبر المسائل السياسية والاقتصادية كبير اهتمام وكان الدافع الرئيسى فى حياتها هو الكرامة والكبرياء ، فهي تعيش على ايمانها بأن ربها البروتستانتى الاسقفى قد خص أسرتها بأرومة قيمة ممتازة تسرى فى دمائها . وهي تعتقد اعتقادا جازما ان أصحاب هذا الدم الممتاز لا يمكن ان يقتربوا خطأ خطيرا ، ووجدت الوسيلة لاقنصاع نفسها بأنهم لم يقتربوا شيئا من هذا القبيل . وقد وطنت العزم على أن تتقبل على خير وجه ذلك الصهر الذى اختارته لها الأقدار ، وسرعان ما راحت تتلمس له المعاذير . ايسميه بعض الناس اشتراكيا ؟ حسن . لقد تربى فى أوروبا حيث لا تحمل مثل هذه الأفكار المغزى المعروف لها فى امريكا . أو لم يصرح انجليزى نابغ - لم تستطع فانى أن تتذكر اسمه بقوله - « كلنا الآن اشتراكيون » ؟ واما عن سلوك لانى بصفته زوج الملكة فثمة شيء كثير يقال ، فأداب سلوكه ممتازة وحديثه أكثر امتيازا . ولم يكن يسكر اطلاقا ، وكان يحتاج الى من يحثه على انفاق مال زوجته . والشكوك التى أحاطت بمراسم زواج أمه بأبيه لم تصل أنباؤها الى الصحف ، وأسرة أبيه العريقة جدا تستقبله . ولذا راحت الملكة الأم الطويلة العريضة المهيبة فى شور أكرز تملقه لتحصل منه على الامرين اللذين تصبو اليهما بشدة ، وأولهما أن يساعد ايرما فى انجاب حفيد يطلق عليه اسم فاندرنجهام، والأمر الثانى ان يتركها الطفلة فرانس فى شور اكرز حتى تربى على تقاليد آل فاندرنجهام .

أما الحال هوراس ذلك الرجل الشديد الاحتمال الذى يتحرك بنشاط عجيب فقد أثبت انه قريب رضى الخلق أيضا . وهو يتمتع بروح الفكاهة الذى يمازجه شيء غير قليل من الحُبث . فكان يروقه ان يسمع لانى « يسخر من » الطبقة الحاكمة الثرية الامريكية ، ولا سيما نماذج هذه الطبقة ممن يأتون الى ضيعة بارتز . فهو شخصا قد قضى على ثروته قضاء مبرما فتضاءل اعجابه بالنظام وازداد سروره برؤية من يتندرون به . وكان يقهقهه لسماع نكات لانى ذات اللون الوردى ، واتخذ لنفسه دور رجل البلاط المسن الذى يتملق ملكا حديث التتويج . فهل تراه كان يأمل فى ان يقنع لانى ايرما يوما ما باتاحة الفرصة له لتجربة حظه مرة أخرى فى السوق ؟ أم هو يريد فحسب أن يستوثق من استمرار المعاش المريح الذى تمنحه اياه ؟ مهما يكن من شيء ، نهر عشرين طيب .

أقبلت أصداء الكارثة هادرة من ألمانيا الى انجلترا ، فالتجارة تنوى والمصانع تغلق والبطالة تزداد والشكوك تنتشر حول سلامة الجنيه الاسترليني الذى ظل قرنا كاملا معيارا للقيمة النقدية فى العالم أجمع ، واخذ المستثمرون يلوذون بالدولار والفلورين الهولندي والفرنك السويسرى . وتحدث ريك عن الموقف فى بلاده فقال ان الحاجة تدعو الى جراحة والى فرض ضريبة على رأس المال واتجاه الى اشتراكية الائتمان ، ولكن ما من حزب سياسى لديه الشجاعة أو صواب الرؤيا ، فالمحافظون ينادون بموازنة الميزانية بأى ثمن وتخفيض المنح ومرتببات معلمى المدارس، بل ومرتببات رجال البحرية وهى قصة بعينها مع ما اسماء « الفردية المهلهلة » . فالهم انقاذ قاعدة الذهب بأى ثمن وانقاذ قوة الطبقة الدائنة .

وفى بداية سبتمبر سقطت حكومة العمال . وكل ماوقع سلسلة من الاحداث العجيبة ، فرئيس الوزراء العمالى رامسى مكدونالد وعدد من زملائه فى الوزارة القديمة انضموا الى المحافظين وكونوا ماسموه حكومة « قومية » تنفذ البرنامج المضاد لبرنامج العمال . وقد حدث مثل ذلك من قبل فى تاريخ الاشتراكية ، ولكن ليس بهذه الصورة المسرحية اطلاقا ، ولا بهذه الصراحة العلنية . وكتب ريك عن ذلك فى الصحف اليسارية فقال ان الذين يخونون آمال الطبقات الكادحة يحاولون عادة بعبارات منمقة ان يداروا انهم انما باعوا أنفسهم ، ولا يبرزون الى الطريق العام ليروا الناس انهم يتجردون من ثيابهم العمالية القديمة ليرتدوا كسوة الخدم الرسمية التى تحمل شعار سادتهم .

وكان ريك فيلسوفا يحاول أن يفهم أفعال البشر فقال ان الطبقات الحاكمة لا تستطيع أن تجد بين صفوفها العدد الكافى من ذوى المقدرة العقلية ، فتضطر باستمرار للاغارة على الطبقات الاخرى للحصول على ذوى العقول . وقد أضحي من مهمة الحركة الاشتراكية أن تدرب وتمعد فناني فى السياسة يتغيرون بسرعة البرق ، وهم رجال يفهمون العمال ويعرفون كيف يخدعونهم بالوعود الخلابة ثم يتسلقون على اكتافهم الى السلطة . ففى إيطاليا ظهر موسيليني الذى تعلم أصول مهنته من تحريره أهم صحيفة اشتراكية فى البلاد . وفى فرنسا لا أقل من أربعة رؤساء بدأوا حياتهم العملية ثوريين متحمسين ، وحدثهم عهدا ببير لافال وهو ابن صاحب حانة كان يقود عربة عامة لأبيه ذات حصان واحد ويطالع

اثناء قيادتها المطبوعات الاشتراكية فتعلم كيف يجعل الناس ينتخبونه
عمدة لبلده .

ولماذا يبيع هؤلاء الناس حزبهم وقضيتهم ؟ فى سبيل المال ؟ ان لهذا
الدافع اثره طبعاً ، ورئيس الوزارة فى انجلترا أو فرنسا يتقاضى مرتباً
أكبر بكثير من المحرر الصحفى الاشتراكي ، ويعيش على مستوى أعلى منه
بكثير . ولكن الأهم من هذا هو دافع الرغبة فى السلطة ، والفرصة لتوسيع
آفاق الشخصية والتاثير على العالم وان تظهر صور المرء واخباره فى
الصحف .

وان يقبض على الزمام ويقود سيارة الوطن العامة . وحول رجل
الدولة يتجمع الوف المتملقين ليقتنعه بأنه لا غنى عنه لرفاهية البلاد ،
وان الحظر على الابواب ، وانه وحده يستطيع ان يتصدى للدوامه ويوجه
العاصفة ويتحكم فيها .

وارسل ريك الى صديقه مجموعة كبيرة من قصاصات الصحف تبين
كيف صار هذا الرجل الذى فقد مقعده فى مجلس العموم ذات يوم بسبب
معتقداته السياسية بطلا محبوباً لدى الذين طردوه من مقعده بالذات .
فالصحافة الرأسمالية بأسرها وقفت خلفه صفاً واحداً مثنية على فعلته
باعتبارها أعظم خدمة عامة . وكتب ريك : ولكنه سيكتشف انه صار
أسيرهم فلن يستطيع أن يصنع الا ما يسمحون له به ، ولن تكون له حياة
سياسية الا فى خدمتهم .

واودع ريك خطابه البريد ، ولكن قبل أن تصل الباخرة نيويورك
جاءت البرقيات بأن أسير المحافظين قد سقط . وخرجت بريطانيا على
قاعدة الذهب ، ففقد الجنيه الاسترليني نحو عشرين فى المائة من قيمته .
واتفق ان وافق ذلك اليوم الحادى والعشرين من شهر سبتمبر ، وهو
يوم مشهود فى تاريخ وول ستريت ، لأنه كان قبل عامين اثنين تاريخ
أعلى قمة وصل اليها سوق الصعود الكبير . وفى هاتين السنن فقدت
الاوراق الامريكية المالية ستين فى المائة من قيمتها ، والآن جاءت هذه
الانباء المزلزلة فسببت هبوطاً جديداً ! وقال لاني بد لايه تليفونيا : انظر
أين الصلب الآن ! .

ووسط هذه الفوضى العالمية قام بيير لافام ابن صاحب الحانة بزياره
لالمانيا ليرى ماذا يمكن عمله لتلك الحكومه المتهوسه. وكان الفلام الحودى
قد كبر وصار رجلا قصيرا ممتلىء الجسم ذا شعر اسود ينحرف عن مكانه
دائما وملامح قاتمة أشبه بملامح القراصنة وشارب غليظ اسود . وكان
قد جمع مالا طائلا ، والمال عون ضخم على المستقبل السياسى ، واحتفظ
من عهد اشتراكيته بتذكار واحد : فكان يرتدى دائما أربطة عنق صغيرة
جاهزة قابلة للفصل كان طرازها شائعا أيام حدائته ، وكان ثمنها رخيصا
لأنه يستطيع ان يفصلها بنفسه . وفي فرنسا يستفيد رجل الدولة من
احتفاظه بأحد المظاهر البروليتارية المرفقة فى غرابتها ، والى جانب ذلك
لا يكثر الناس كثيرا بأنه باع عقيدته السياسية لأن الناس امنوا
بمتشككين مستهينين بقيمة الرجال العموميين بحيث انحصر أملهم فى ان
يتبينوا من بينهم اقلهم مجافاة للشرف والامانة .

وسافر مع لافال أوستيد بريان وزير خارجيته وهو ابن صاحب
حانة أيضا واشتراكى آخر كان قد غير تفكيره السياسى ، وكان قد اشترك
فى احدى وعشرين وزارة . وذلك شئ يحتاج الى مرونة غير قليلة ، الا انه
عمل باقتناع اصيل على توطيد السلام بين فرنسا والمانيا ، وهو الآن شيخ
محنى القامة أبيض الشعر ، وصوته الضخم الذى يشبه صوت الأرغن تحطم ،
وقلبه القوى صار على وشك التحطم . وهو لم يزل يتراجع مطالبيا بالسلام ،
بيد انه اسير لافال ، ثم ان الوقت كان قد فات ، والاحقاد والمخاوف القديمة
صارت لها الكلمة العليا ، وها هى المانيا الآن فى محنة يائسة ، وفرنسا
فى محنة أسوأ لم تدرك حقيقتها بعد .

ويالها من نزوة عجيبة للتاريخ ان يتقابل بريان وهندنبورج ! ان
يتقابل ابن الفسالة والارستقراطى ابن بروسيا الشرقية ، وهما عدوان
قديمان وقد اقترب كل منهما الآن من القبر ، فصار يفكر فى سلامة
بلاده ولا حيلة له فى تأمين هذه السلامة . ان السيد الهرم (هندنبورج)
يتحدث عن الثورة التى تتهدد المانيا . وهى ليست ثورة من النوع المحترم
الذى يمكن أن يعيد أبناء القيصر الى العرش ، بل هى ثورة خطيرة نابعة
من المجارى ، وتمرد يقوم به العمال المهلهلون بقيادة رجل كان عاملا فى
أشغال غريبة غير ثابتة او مستقرة ، رسام صور لبطاقات البريد وأونباشى
من يوهيميا اسمه شيكلجروير . وبريان يطلب التخلي عن مشروع الاتحاد
الجمركى النمساوى الالماني ، فى حين يلتمس هندنبورج اتاحة الفرصة
لبلاده كى تسه سلعها . وبريان يندد بالحوذة الفولاذية وبوارج الحب

الجديدة ، فى حين يتذمر هندنبورج من حنث فرنسا بوعدها فى نزع السلاح
وهندنبورج يستجدى القروض ، فى حين يبين له بريان ان فرنسا
مضطرة الى ان تحتفظ برصيدا من الذهب لأنه الحصن الاخير للاستقرار
المالى فى أوروبا . كلا لم يكن هناك مجال كبير لالتقاء وجهتى نظرها ، فاذا
الشخص الوحيد الذى له أمل فى الافادة من هذه الزيارة هو الاونباشى
البوهيمى سالف الذكر ، الذى كانت صحفه تصرخ منددة بالزائرين
الفرنسيين وبساسة الالمان الذين يلحقون احدثهم بلا جدوى على السواء .

ومما كان أدولف هتلر شيكولوجى ليهاجم هندنبورج ، لان
هندنبورج كان صرحا قويا وتقليدا راسيا واسطورة حية . فركزت
الصحافة النازية سمومها على المستشار ، وهو كاثوليكي وزعيم لحزب
الوسط ارتكب جريمة توقيع مشروع يانج الذى كان يرمى الى استبقاء
عبودية المانيا حتى سنة ١٩٨٨ . وها هو هووفر الآن قد اصدر تأجيلا
جبريا للدفع . ولكن لن يكون ثمة انذار نهائى بالنسبة لبروننج ولن
تتوقف الحملة النازية المستعرة ضده .

وعرف لاني ذلك كله ، لان هاينريش يونج كان قد حصل على
عنوانه - من كبرت على الارجح - وواصل امداده بالمطبوعات النازية . ولم
يكن فى شور آكرز كلها من يستطيع قراءتها سوى لاني نفسه . ولكن
لم تكن بالمرء حاجة الى معرفة اللغة الالمانية ، فنظرة واحدة الى العناوين
كافية للشعور بانها مشيرة ، ونظرة واحدة الى الصور الهزلية كافية لادراك
ما بها من دعاية للكراهية القاتلة القاسية . ومنها صور تمثل جون بول
بنكيرا بدينا يمتص دماء الاطفال الالمان ، او تمثل ماريان على شكل طائر
خرافي برأس امرأة يرمز للبشاعة والبخل وهو طائر من الجوارح الشرهة .
او صور تمثل الدب الروسى وبين أسنانه سكين وفى كل مقلب من مخالفه
قنبلة ، او تمثل العم سام فى صورة شيلوك شديد التحول وعلى وجهه
ابتسامة هازئة .

وكان الافضل ان يلقي بكل هذه المطبوعات فى صندوق القمامة من
غير ان ينزع اغلفتها . بيد ان ذلك ما كان ليمنع هذا الطوفان الشرير من
اجتياح المانيا ، وما كان ليمنع الملايين من الشبان هناك من التشبع
بنظرة نفسية مريضة الى العالم . وتساءل لاني بد - الذى يقترب من عيد
ميلاده الثانى والثلاثين - هل لم يعن الوقت كى يكف عن اللهو ويبحث
لنفسه عن عمل يؤديه ؟ ولكنه ظل يؤجل ذلك العزم ، لندرة الاعمال ،
فاذا ما شغلت عملا منها حيرت سواك من توليه ، وهو أحوج اليه منك
نكثير جدا ! .

الفصل العاشر

الضمير مجبنة

- ١ -

شهر أكتوبر وأوائل نوفمبر ذروة السنة الميلادية في الولاية الشمالية المطلة على المحيط الاطلسي لوفرة أشعة الشمس وصفاء الهواء وبعثه على الانتعاش ، ففي وسع الطفل الناشئ أن يدلف بين مواطن العشب في الحديقة ويمزج مع الكلاب تحت رعاية كبيرة المربيات الجديرة بالركون اليها ، وفي وسع الام والاب الشابان أن يستمتعا بقيادة السيارات ولعب الجولف أو المضي الى المدينة الكبيرة لزيارة معارض الفن وحضور الليالي الافتتاحية في المسارح . وكانت ايرما قد أخفت الى المتاحف وهي طفلة بيد أن ذكرياتها عنها غامضة ، أما الآن فهي تذهب اليها مع خبير تفخر به ، وتبذل جهدها لتركز ذهنها فيما ترى أن تتعلم ما تدور حوله هذه الفنون حتى لا تجلس مغلقة الفم حينما يدلى هو وأصدقائه المثقفون بأرائهم .

وقد وقع اختيار بيير لافال على هذا الوقت المستحب من السنة كي يزور واشنطن ، بيد أن زيارته لم تكن بسبب المناخ ، لقد جاء رئيس الوزارة الفرنسي لأن العالم لم تعد به سوى دولتين كبيرتين موسرتين تمام اليسر ، وينبغي أن تتفاهم هاتان الدولتان وتؤيد كل منهما الأخرى . وكانت المانيا قد حصلت على بضعة بلايين من الدولارات من أمريكا ، ولكنها بحاجة الآن الى المزيد وفرنسا لا تريد لها أن تحصل على مطلوبها الا اذا وافقت على تنفيذ ما تطلبه فرنسا . وحظي ابن صاحب الحانة باستقبال ودي وأقيمت له مأدب عشاء ممتازة ، ولم يثر أحد في وجهه آراءه الاشتراكية الاولى . وروى روبي بد أن ما طلبه لافال يتلخص في الا يصنع الرئيس الأمريكي شيئا . وكان رد ابن روبي الذلق اللسان « ولا بد أن هذا الطلب يلائم هربوت هوفز تمام الملاءمة » .

وبعد ذلك بأيام قلانلجرت الانتخابات العامة في بريطانيا . وناشد

رامسى ماكدونالد البلاد ان تؤيده . وأكدت جميع الصحف الكبرى
للتاخبين ان الامة افلتت من الانهيار بشقة ، ومع ذلك ظفرت حكومة
رامسى القومية الجديدة بعدد من الاصوات يقل شيئا طفيفا عن نصف
المجموع العام للتاخبين ولكن اعاجيب النظام الانتخابى اكسبتها عددا من
الدوائر الانتخابية يزيد شيئا طفيفا على ثمانية اتساع مجموع هذه
الدوائر . وكتب ريك يقول ان رامسى قد رجع الفقهرى بحزب العمال
قراية احدى وعشرين سنة .

ولم ينزعج روبى بد بهذا النبأ بطبيعة الحال ، فقد كان واثقا بان
السفينة اجتازت الصخور ، وصار امامها طريق طويل من المياه الصافية ،
وكان هربرت صديق روبى قد قال له ذلك ، ومن أعلم بهذه الامور من
المهندس العظيم ؟ انهم طبعا ليسوا محررى الصحف الحمراء والوردية
الاسبوعية الا ان لاني واصل بشذوذه مطالعة تلك الصحف ، وسرعان
ما نبه اياه الى ان تخفيض البريطانيين للجنيه اتاح لهم عشرين فى المائة
افضلية على المصانع الامريكية فى كل اسواق العالم . ومن العجيب ان
روبو لم يكن قد تبين ذلك ، الا أنه سرعان ما عرفه عن طريق البرق ،
اذلقى عقد كبير للمصنوعات الحديدية بين مصانع بد وبيونس ايرس ،
وارسل أحد عيون روبى اليه يخبره ان الصفقة تحولت الى مصانع
برمنجهام الانجليزية ، فكاد روبى يتميز غيظا !

- ٢ -

وركب السيد لاني بد وزوجه متن سفينة المانية الى مرسيليا . وهى
باخرة حديثة البناء جدا فى منتهى الاناقة والبريق ، شأن جميع السفن
المانية حتما ، ما دامت جميع سفن المانيا القديمة قد صودرت بمقتضى
معاهدة فرساي . فهذه الباخرة احدى النتائج غير المتوقعة لاجبار الالمان
على ان يبدأوا حياتهم من جديد ! ولم يسترح البريطانيون والفرنسيون
الى ان تكون لعدوتهم السابقة ومنافستهم الدائمة ابدع عابرتى محيط ،
هما الحائزتان لوسام الشرف الازرق فى خطوط الملاحة عبر الاطلنطى ،
وان تكون لهما أيضا أحدث سفينتين حربيتين ، وقد اطلق عليهما اسم
بارجتى الجيب لانه لم يكن مسموحا بأن يزيد وزن الواحدة على عشرة آلاف
طن ، الا أن الالمان اظهروا أن فى استطاعتهم تدبير جميع المزايا تقريبا فى
هذه الحدود الضيقة . ان هذه الامة الصاعدة عادت الى الصعود وأخذت

تسبق في المضمار كل من عداها . لقد ملا الالمان الجو بصراخهم ضد الاضطهادات والاهانات ، ولكنهم بادروا باقتراض المال وأنشأوا به قوة صناعية جديدة هي أحدث الجميع وأعظمها كفاءة ، وبذلك استطاعوا أن يبيعوا سلعهم أرخص بكثير من منافسيهم جميعا . وانت قد لا تحب الالمان ، ولكنك ان أردت أن تعبر المحيط فانت تحب أن يكون ذلك على سفينة جديدة لامعة ضباطها وسعاتها في أزياء رسمية جديدة ، وخدمة المائدة فوقها انظف وأفضل خدمة . وهم مهذبون جدا الا أنهم في الوقت نفسه أشداء العزم . وكان لاني مهتما بالتحدث اليهم والتعرف الى السر في أنهم أفراد جديرون بالاعجاب وسلالة شديدة الخطر .

وهم الآن بطبيعة الحال واقعون في المتاعب شأن جميع الناس . فليدبرهم القوة الصناعية ولكنهم لا يجدون لها أسواقا . ولديهم البواخر ولكن من العسير أن يجدوا لها ركابا ! وغيرهم من الشعوب تلقى اللوم على الفقر أو العناية الالهية ، أو على القانون الاقتصادي ، أو النظام الرأسمالي ، أو قاعدة الذهب ، أو الحرب ، أو الحمر ، أما الالمان في كل مكان فلا يلغون اللوم الا على شيء واحد هو معاهدة فرساي المملة عليهم وما فرضته من التعويضات . وكل الماني يعتقد اعتقادا راسخا أن الحلفاء يتعمدون الحيلولة بين وطنهم والنهوض على قدميه مرة أخرى ، وأن سائر متاعبهم نتيجة مباشرة لذلك . ويوضح لاني لهم أن تأجيلا جبريا للدفع بالنسبة لجميع الديون الدولية قد صدر ، وهذا التأجيل الجبري للدفع لا يشمل التعويضات فحسب بل قروض ما بعد الحرب أيضا ، فلا بد أنه من اليسير عليهم الآن أن ينهضوا من كبوتهم . ولكنه شعر أن هذه الحجة ليس لها أدنى تأثير ، فثمة عقدة اضطهاد قومية تفعل فعلها في اللاشعور القومي على غرار تأثير العقد في اللاشعور الفردي .

ولما كان عدد الركاب قليلا جدا فقد أتبع لاني أسبوع يدرس فيه السفينة ورجالها . وكانت اجادته للغة الالمانية جواز الدخول الى قلوبهم . فكان يقول للضباط أنه نزل فيما مضى ضيفا على الجنرال جراف شتوبندروف ويقول للسقا والمنظمين أنه تحدث مع أدولف هتلر ، ويقول للنوتية أنه صهر هانس روبن . فقد كانت السفينة أمة مصفوفة فيها ممثلون لجميع الفئات وبالنسب الصحيحة تقريبا . وكان بعض الضباط قد خدموا فيما مضى في البحرية الالمانية ، وفريق من العاملين في الآلات اشتركوا في التمرد عليهم وعلان الثورة الاشتراكية . وفيما بين هذين الفريقين الطبقات الوسطى من السقا والمنظمين والحلاقين والكتبة

ورجال اللاسلكي وصغار الضباط ، وجميعهم يعملون بتدنى في سبيل الحصول على هبات ، ولكنهم يعملون بمزيد من الجهد في سبيل الحب ان أنت همست لهم « هايل هتلر ! » حتى ولو على سبيل المزاح . وعجزت أيرما عن ادراك الدافع الى اهتمام لاني بالتحدث الى أمثال هؤلاء الناس. ولفترات طويلة . فبين لها أنه يقوم باستقصاء اجتماعي . ولو كان ريك معهم لكتب مقالا عنوانه « المانيا العائمة » فالمسألة تتعلق بمستقبل المانيا كله والى أى مدى من العرق وصل تأثير دعاية الدكتور جوزيف جوبلز ؟ وما ظن عمال الزيت ؟ وفيهم يدور حديث عمال تنظيف آنية المطبخ قبل أن يأووا الى مضاجعهم ؟ ان من بينهم حمرا اقحاحا بطبيعة الحال ياتون بموسكو ولا يحيدون عن ذلك الاتجاه ، ولكن ثمة آخرين أقتنعوا بأن هتلر صديق حقيقى للشعب وسوف يساعدهم فى الحصول على ساعات عمل اقصر واجر يكفل الحياة . واحتدمت المناقشات بينهم ليل نهار فنشبت حرب كلامية لا تفتقر فوق ظهر السفينة . فالى أى الجانبين تميل كفة الميزان ؟

وكان ما يقوله الربان روندجاسى مهما أيضا ، فكما يكتسب الطبيب سلوكا علاجيا ، فكذلك ربان باخرة للركاب يكتسب ما يمكن أن يسمى سلوكا ملاحيا ، ولذا تحدث الى الأمريكيين الثريين الشابين الانيقين قائلا انه يدرك لماذا يزعجهما المظهر السياسى لبلاده ولكن لا حاجة فى الواقع للانزعاج ، فجميع الالمان المان فى جوهرهم ، كما ان جميع الانجليز . وعندما يتعلق الامر برفاهية الوطن وسلامته سيصبح الجميع صفا واحدا . وينطبق هذا الكلام على الاشتراكيين المضللين ، بل على الشيوعيين جميعا فيما عدا بضعة قادة مجرمين ، وينطبق بصفة خاصة على الاشتراكيين الوطنيين . فلو أصبح هتلر مستشارا غدا لظهر أنه المانى صالح مثل أى انسان آخر . وجميع الالمان الصالحين سيؤيدونه ويطيعون قوانين بلادهم .

- ٣ -

وبدت ضيعة بيانفين اصغر وأقرب الى الرثاءة عند قدومهما اليها من ضيعة شوراكز ، ولكنها بينهما ، وفيها قلوب محبة لهما . وكانت بيوتى قد قضت صيفا هادئا ولكنه هانىء ، أو هكذا قالت . فأبعد الزيجات عن التصور اتضح أنه من افضل الزيجات ، ولم تعد تجد ما

يكفى من الثناء على طيبة برسيغال دنجل وحنانه • أى لا تجد ما يكفى من الثناء لارضاء نفسها ، وان كانت تجد يسرا كبيرا فى ارضاء اصداقائها من هذه الناحية • وهى تحاول بكل طاقاتها أن تصبح روحانية العقل ، وكان عليها أيضا أن تحارب شيطان البدانة ، الا انها عزت نفسها بأن امتلاء الجسم يمنع ظهور التجاعيد فهى الآن بلا شك مزدهرة الحسن •

وكانت السيدة سيزنسكى قد توجهت مرتين أو ثلاثا لزيارة زهاروف فى مونت كارلو ثم رحل الى الشمال وأقام فى قصر بالنكور ، وكتب يسال بيوتى هل تتكرم عليه بالسباح للسيدة بالقدوم عليه فترة من الوقت ، فذهبت السيدة وقضت شهر اغسطس هناك ولقيت معاملة طيبة ، واثرت فى نفسها فخامة المكان الا أنها شعرت بالوحشة مع أولئك الحتم الهندوس الغريبى الاطوار لانها كانت عاجزة عن التحدث اليهم • وعند رحيلها قدم اليها السيد الهرم خاتما ماسيا من فص واحد لا بد انه يساوى عشرين أو ثلاثين ألف فرنك ، وكانت فخورا به الا انها خافت ان تلبسه ، وخافت عليه ايضا من السرقة فطلبت من بيوتى ان تحفظه لها فى خزانة ودائعها •

واستأنف لانى موضوع دراسة الطفولة من جديد • وكان يحب أن يتبين هل ستكشف الطفلة فرانسس فن الرقص من تلقاء نفسها ، ولكن ذلك لم يكن ممكنا لوجود مرسلين هناك ترقص فى جميع أرجاء المكان ولا يمكن بأى شكل منها من أن تأخذ بيدي طفلة صغيرة تدرج على الأرض فتعلمها كيف تظفر وتشب • وفى كل يوم تزداد الطفلة قوة ، وقبل انقضاء ذلك الشتاء صار فى البيت راقصتان • وإذا لم يكن الجراموفون أو البيانو فى متناول اليد غنت مرسلين أنغاما صغيرة وربما ارتجلت كلمات لتلك الانغام عن الطفلة وعن نفسها •

وربما حضرت صوفى وزوجها للعب البريدج مع بيوتى وأيرما فيغدو لانى حرا لمواصلة ما فاتته من المطالعة أو الاسراع الى «كان» حيث مشروعه لتعليم العمال • ولم يكن العمال قد ظفروا بعطلة بل وجدهم حيث كان قد تركهم الا أنهم تقدموا ثقافيا فصاروا كلهم تقريبا قادرين الآن على الخطابة، وخطبهم بصفة عامة فى موضوع الاشتراكية ومناهضتها للشبيوعية • لمح أنهم جميعا يكرهون الفاشية فانهم لا يكرهونها بما يكفى لتحائفهم ضدها • وسرهم أن يسمعوا لانى يحدثهم عن نيويورك أرض العجائب حتى لقد خلط الكثيرون منهم بينها وبين الطوبيا أو المدينة المثالية • وادهشهم أن يسمعوا ان انهيار الرأسمالية لم يبق عليها ، فشة افتقار

الى الحبز وبيع الشحاذين التفاح فى شوارع مدينة الطبقة الثرية الحاكمة
تلك - ياللعجب ؟

- ٤ -

موسم آخر على شاطئ الريفييرا ، وهو أسوأ موسم من وجهة نظر
مديرى الفنادق منذ نهاية الحرب ، اما بالنسبة لمن لديهم المال ويحبون
الهدوء فهو الطف موسم اطلاقا ، فالمجدودون القلائل قد انفردوا وحدهم
بالمتنزه المطل على البحر وبالشواطئ . والشمس ساطعة والبحر على حاله
من الزرقة وأزهار الكاب دنتيب ، على حالها من الروعة . والطعام وفير
منخفض الثمن ، والعمل موفور مبذول ، ان العناية الالهية بايجاز قد
رتبت كل شئ لراحتك .

وعندما كانت إيرما وبيوتى بدتبرزان من تحت ايدى صانعات
القمبات ومصفات الشر متاهبتين لحضور حفلة ، كان منظرهما غاية
فى الابداع ، فيزهو لاني بصحبتهما ومشاهدة جذبهما لاهتمام سائر
الناس . وكان يعنى بهندامه حسب مقاييسهما ويقوم بالترحيب بالناس
على الاصول التى تعلمها ، ولبت برهة سعيدا بأن يكون شابا على الطراز
المرموق . وتأثرت نفس زوجته تأثرا عميقا باميلى شترزورث ، هذه
المضيغة الرشيدة الرصينة ، فاتخذت منها قدوة لها ، وصارت إيرما
تقول « لو أن لنا بيتا أكبر لاستضيفنا الناس على نحو ما تصنع اميلى ،
وتقوم بمحاولات تجريبية فتدعو هذه الشخصية البارزة وتلك ، وعندما
يأتى من دعتهن ملين تقول لزوجها أعتقد أننا نستطيع معا ان نفتح صالونا
ناجحا ان وطينا العزم على ذلك .

وبمرور الوقت أدرك لاني أنها تتطلع الى أن تعيش هذه الحياة ،
وكانت اميلى آخذة فى الوهن فهى لا تستطيع أن تستمر الى الابد ، ولا
بد أن يحل أحد محلها فى الجمع بين وجهاء الفرنسيين ووجهاء الامريكيين
واتاحة الفرصة للفريقين كى يلتقوا بالثقفين والكتاب والموسيقيين ورجال
الدولة ممن اكتسبوا شهرة بالطرق اللائقة المحترمة . والغالب الا يتوفر
لهؤلاء الناس المال او الوقت للاستضافة ، والا تكون زوجاتهم أهلا لذلك
المستوى ، فان أنت قمت بهذه الخدمة مجانا صرت « شيئا ما عن جداره » .

وكان لاني قد قال بشئ من الارتباك أنها ليست على القسط الكافى

(١٣) أنياب التنين - ١٩٣

من المعرفة للقيام بهذه المهمة ، ومنذ آل لها ذلك وأيرما ترقب وتدرس ، فهي قد التقت بعدد من المشاهير ودرست كل واحد منهم قائلة في نفسها : « ترى هل أستطيع أن أسوسك ؟ ما الذى تريد ؟ » وبدا لها أنهم يحبون الطعام الجيد والنبيل الجيد مثل سائر الناس ، ويقدرّون البيت الفاخر ويحبون زيارته والاستمتاع بشمسه . فهم قطعا يحبون النساء الحسان انهن الشمس المطلوبة ! وحجرة الملابس الخاصة بأيرما فى الكوخ صغيرة الا أن بها مرآة مستطيلة ، وقد أدركت أن ما رآته فى تلك المرآة هو على ما يرام . وهى تعلم أن سلوكها المتحفظة له وقع حسن على الناس لانه يضى عليها شيئا من الفموض فيتخيلون عنها أشياء ليس لها وجود حقيقى . والمعضلة كيف تحول بينهم وبين اكتشاف الحقيقة !

ولكل عظيم منهم « خط » خاص به ، أى شىء يتفوق فيه على جميع الناس . ولانى يفترض أنها يجب أن تطالع كتاب الرجل وتصفى لخطبه او ما الى ذلك . أما أيرما فقد ثبت فى ذهنها أن هذا الفرض سذاجة من زوجها . فعليه هو أن يصنع هذا ، أما المرأة فشأنها مختلف . المرأة تدرك أن الرجل يريد أن يتحدث عن نفسه . فالمرأة التى تحسن الاصغاء لكلامه عن نفسه تصلح لاي شىء وعليها أن تظهر الاعجاب ولكن بغير اسراف . فالاسراف فى الاعجاب خطأ ترتكبه المرأة الرعناء فيجزم الرجل بأنها بلهاء . أما المرأة الساكنة العميقة على غرار « موناليزا » فتقول بوقار « كم ذا أردت أن أعرف الكثير عن هذا الموضوع . فأرجوك أن تقص على المزيد عنه ، فتكون هى المرأة التى تدفىء قلب الرجل الشهير .

وأدركت أيرما أن المعضلة ليست فى دفعهم الى الكلام بل فى حملهم على التوقف ! فهمة ربة الصالون أن توزع وقتها وترقب الاجتماع وتقرر بحصافة متى يحتاج الموضوع الى تغيير فتحدثه بكياسة من غير أن يفتن أحد . وقد راقبت أيرما أسلوب مضيفتها فى العمل وبدأت تلقى عليها الاسئلة . ولم يحدث ذلك أثرا شيئا على الاطلاق لدى آميلى ، لأنها - هى ايضا - لم تكن فوق مستوى حب الملق ، وراقتها فكرة اتخاذها مضيغة تحت التمرين ، وأطلعت أيرما على دفتر عناوينها فوجدته حافلا بعلامات سرية لا تفهمها سوى سكرتيرتها الخاصة . وبعض هذه العلامات تأويله حسن وبعضها الآخر سيء .

ولاحظ لاني أن اهتمامها هذا المتزايد بانشاء صالون قائم على أساس دراسة لسماته الخاصة شخصيا ، فقد كان دائما يحب اميلي ويستمتع بعلاقاتها ، لانها سمحت له بالاطلاع عليها منذ كان غلاما ، لما كان عليه من سلوك مهذب غاية التهذيب ، ولكن فات ايرما ان لاني آخذ في التغير : فالامور التي كانت ترضيه وهو غلام لم تعد بالضرورة مرضية له وقد تجاوز عيد ميلاده الثاني والثلاثين ، والنظام الراسمالي قد تجاوز ذروته فهو يعود الآن من احدى سهرات اميلي ليفتح مجموعة من بريدة أشبه بكورس في مسرحية لسوفوكل ينوح على القضاء المضروب على بيت اوديب ، فالصفحة الاولى من اى صحيفة سجل كوارث حديثة النزول ، فى حين تنم صفحة المقالات على التوجس من كوارث أخرى 'توشك ان تحيق .

لقد ظل المفكرون الحصفاء فى فرنسا سنوات يهنتون تلك البلاد على حصانتها ضد الكساد ، فيفضل الثورة الفرنسية صارت الزراعة فى أيدي ملاك مزارعين ، وكذلك الصناعة فيها متنوعة وليست مركزة ولا متخصصة كما هى الحال فى المانيا وبريطانيا وأمريكا . وكانت فرنسا قد خفضت عملتها فعلا ، ولكل خطوة آوانها ، ولديها رصيد عظيم من الذهب ، وبذلك تفادت الاعصار الذى طوح ببريطانيا بعيدا عن قاعدة الذهب ، وتبعها فى ذلك صف ينتظم ائنتى عشرة دولة أخرى .

اما الآن فيبدو أن المفكرين الحصفاء كانوا مخدوعين بأمانهم ، فها هى الاوقات العصيبة تحل بغربا ، وها هى البطالة تنتشر ، والاثرياء يبعثون بأموالهم الى الخارج ، والفقراء يخفون ما لديهم فى الحشايا أو تحت أقدم شجرة زيتون فى الحقل . ان العذاب والخوف فى كل مكان ، فكيف يتسنى لك - ان كنت مثاليا شابا ذا قلب رقيق - أن تشعر بالسعادة ؟ ولا سيما اذا كانت مبادئك تقنمك بأنه لا حق لك فى هذا المال الذى تنفقه ! واذا كنت مصرا على مخالطة الثوريين والساخطين المستعدين كل الاستعداد لتأييد آرائك - ولا ستخلص النتيجة البديهة ، وهى أن هذا المال ما دام لا يخصك فهو حتما يخصهم ! والقاعدة أن يطلبوا منك منحة للقضية ، وكثيرون منهم مخلصون فى ذلك ، فهم ينفقون هذا المال فعلا فى اصدار المطبوعات أو استئجار أماكن الاجتماعات . وهذا تبرير كاف لافعالهم فى نظرهم وفى نظرك ، ولكنه لا يكاد يصلح مبررا فى نظر

السيدات والسادة ذوى العقول المحافظة الذين تتوقع زوجتك دعوتهم الى صالونها !

لقد انقضت خمس سنين منذ شرع لاني يعاون في تعليم العمال في الاقليم الاوسط في فرنسا وهو زمن كاف لتخريج جيل على يديه من الطلاب يقدم له فطرة عما حققه . فهل أعان تدريب قادة أصلاء للطبقة العاملة ؟ أو هو عمل على اعداد طالب منصب مستعد لببيع الحركة في سبيل كرسى رئاسة الوزارة ؟ لقد كان التشجيع وثبوت الهمة يتداولان نفس لاني ، وهذا نصيب كل معلم . بيد ان لاني لم يكن لديه أحد ممن سبقت لهم هذه الخبرة كي يقول له هذا الكلام . وقد برز من الفصول المتباينة فتيان وفتيات لامعون أمسوا موضع اعزازه وآماله ، وقد اكتشف انهم جميعا - وهم من أبناء وسط فرنسا - يريدون أن يصيروا خطباء . وقد اكتسب كثيرون منهم حيل البلاغة قبل ان يتيسر لهم أساس متين ، فاذا حاولت أن تكبحهم وفشلت أيقنت أنك أفسدت صانعا جيذا . وكثيرون منهم جرفهم الشيوعيون ، وهم لسبب ما أشد المهيجين البروليتاريين نشاطا ومثابرة ، ولديهم أيضا نظام في التفكير يتخذ مظهر العلم ويستخدم لفته ، وبذلك يؤثرون في العقول الشابة . واذ كان لاني بد يتكلم لغة القانون والنظام والاقناع السلمى والتطور المتدرج فقد الفى نفسه مدموغا بأنه « طراز قديم » أو متخلف . وكان الشبان الحمر يقولون له : « طبعي أن يكون شعورك على هذا النحو لان لديك المال . ففى وسعك أن تنتظر . أما نحن فأى شئ لدينا » .

وكان ذلك صحيحا الى درجة أزعجت ذهن لاني بصورة مستمرة . وجعل يرقب تأثيره الخاص في أصدقائه البروليتاريين وتساءل : أهو يسرى اليهم شيئا من الخير حقا ؟ أم المبشرون بالصراع الطبقي على حق ، والصدع الاجتماعى تتجاوز فرجته ذرع أبرع بناء المعابر والقناطر ؟ أى شركة فى الشعور أو الذوق يمكن أن تبقى بين المتائق الذى يعيش فى بيئاتى وبين ابن عامل غير فنى يعيش فى قبو عمارة سكنية فى مدينة « كان » القديمة ؟ أليس من الجائز أن لاني بقدمه الى المدرسة فى زى حسن ، متحدثا ارقى لغة فرنسية انما يقيم أمام نواظرهم مثلا عليا ومستويات من شأنها أن تفسدهم مثلما تحرك شاعرهم ؟ ان أصدقاءه فى المدرسة يرونه يقود سيارته المبهرجة ، ويرونه مع زوجته الشابة المزهوة ، فهى وان كانت قلما تحضر الا انهم يعرفونها بالنظر ، ويعرفونها أكثر من ذلك بالسمعة ، وإى تأثير لذلك فى شبان فى سن التأثير السريع

هل يعلمهم ذلك أن يكونوا أوفياء لفتاة من الطبقة العاملة ، لرفيقة متواضعة فقيرة الزى من رفيات حركتهم ؟ أم يملؤهم بأحلام الصعود الى السماوات حيث تعيش السيدات الانبيقات الثريات ؟ ويتفحص لاني زوجته الحلابة ويدرك انه ليس فى العالم «اغراء» أقوى منها لروح الرجل وعقله . وقد تلقف هذا الاغراء أكثر من مرة فى حياته ، وهو يعلم أيضا بعض الشيء من الاشتراكيين الاربعة الذين صاروا رؤساء وزارات فى فرنسا ، ويعلم أن كل واحد منهم قد اجتذبتة يد حورية أنيقة بعيدا عن طريق الولاء لتزج به فى طريق الحيانة .

- ٦ -

وفى ضيعة بيانفينى بناء مريح ، هو « اللورج » كان لاني قد شيده لينا وريك ، وقد رجاها أن يأتيا ويشغلاه هذا الموسم ، فلديه بضعة أقدار هامة يريد أن يناقشها ، ولكن ريك قال أن التدهور المالى أصاب أباه أصابة شديدة ، ويبدو أن هذا التدهور موجه الى ملاك الاراضى فى جميع أنحاء العالم ، فرد عليه لاني بشيك يغطى ثمن تذاكر السفر ، وكان قد ربح هذا المال من بيع احدى لوحات مارسل ، وهناك مائة غيرها فى المخزن . وذكر لاني له أيضا أن حديقة الخضر فى بيانفينى قد اتسعت لتيح الفرصة لبعض أبناء عمومة « ليز » فى كسب معاشهم ، فتعالوا لتساعدوا فى استهلاك ما تنتجه من الطعام !

وحضر الاب والام والاطفال الثلاثة ، وبعد أن استقروا كشف لاني عما فى ذهنه ، ألا وهو الحصول على مزيد من المال من تجارة الصور (ولعل إيرما تود الاكتاب بجانب من مالها أيضا) لتأسيس صحيفة اسبوعية يتولى ريك تحريرها ، ويحاولان أيقاظ المثقفين ، والعمل على إقامة نوع من النظام التعاونى فى أوربا قبل فوات الاوان . وقال لاني انه لا تتوفر له الدراية الكافية لتحرير صحيفة بنفسه ولكنه سيكون ما يسمونه فى أمريكا نصيرا غير محترف ، فقال ريك أنها مهمة عسيرة ضخمة ، فهل يدرى صديقه فى أى شىء سيورط نفسه ؟ أن ميدان المجلات التجارية شديدة الازدحام ، والصحف الدعائية لا تفى بنفقاتها وتكاليفها باهظة كالخطيئة ، فقال لاني : « ليكن » لقد أنفقت كثيرا على الخطيئة ، فلاحاول الانفاق على شىء آخر على سبيل التغير « فصارحه ريك ، ان المرء لا يستطيع أن ينشر صحيفة فى مكان مثل « كان » . فأين تريد أن

تذهب ؟ » فقال له : « لقد ساءلت لنفسي هل في المستطاع اصدار صحيفة في لندن ، وفي الوقت نفسه في باريس باللغة الفرنسية ؟ » فسأله « أتعني أن تصدر الصحيفةتان بمضمون واحد ؟ » فأجابه « بمضمون واحد عمليا . اما ان كنت تريد التعرض للاحداث الجارية فسوف تجد اهتمامات الشعبين وأذواقهما متباعدة تباعدا لايسمح بذلك . » فقال لاني « ان الهدف هو التقريب بينهما ياريك ، فان طالعا شيئا واحدا فقد تعلمنا كيف يفهم كل منهما الآخر . » فأجابه ريك « ولكنك تحاول أن تجبرهما على قراءة ما لا يريدان ، وبذلك تبدو الصحيفة أجنبية لكل منهما وهذا ما سينعتها به خصومك ، وسيحاولان اظهارها بهذا المظهر بشيء من المبالغة . » فقال المثالي الشاب « انا لا أزعم أن هذا المطلب يسير ، ولكن مشقته هي بالضبط مصدر أهميته فقال ريك : لست أماري في الحاجة اليه ، ولكنه سيتكلف مالا طائلا ، فلا بد للصحيفة من الصدور بانتظام ومتى ظهر عجز استمر بلا توقف . » فالح عليه لاني قائلا « هل من الممكن أن تهتم بهذا العمل بحيث تتخذه مهنة ؟ » فأجابه « لا بد من وقت للتفكير ، فقد جئت الى هنا وذهني تملؤه مسرحية جديدة . »

وكان هذا هو الاشكال الحقيقي ، كما اتضح فيما بعد . فلا جدوى من تخيل قدرة أحد على تحرير صحيفة باعتبارها عملا جانبيا ، فذلك عمل يشغل الوقت كله من بضعة رجال ، ومعنى هذا ان يتخلى ريك عن مطمح حياته ، الا وهو أن يغدو كاتباً مسرحيا . وكان قد حظى من النجاح بما يكفي بالضبط لاستمراره ، وهذه أيضا غاية مهمة : ان يدخل المشكلات الاجتماعية قسرا الى المسرح ويحطم التحريم الذي كان يدفع بالدعائية كل جهد لتصوير صراع الطبقات ، وهو الحقيقة الأساسية في العالم الحديث . وقد حاول لاني ذلك ثماني مرات او عشرة ، وقال لو انه كان قد بذل مثل ذلك المقدار كله من الطاقة والمقدرة في تصوير العلاقات الجنسية المتشابكة لدى السراة المتعطلين لكان حريا ان ينضم الى تلك الجماعة المحسودة ويحظى بعلاقات متشابكة وفيرة ، ولكنه كان يفكر على الدوام في فكرة جديدة رائعة لا يقدر الجمهور على مقاومتها . ولديه الآن فكرة من هذا القبيل ، ولذا يجب أن تنتظر المجلة الاسبوعية الفرنسية الانجليزية الى أن يخلى محررها المنتظر ذهنه لها .

وقال لاني « ان كانت مسرحية جيدة فقد نساندها انا وايرما ، وكان من عادته أن يشرك في عباراته زوجته بدافع التهذيب ، وقد يحدوها دافع مماثل الى الانضمام له فعلا . » وأجابه ريك « وهذا أيضا يتكلف مالا ،

ولكن المسرحية على الاقل متى سبقت لا تجد نفسك مضطرا لتقديمها في الاسبوع التالي أو الاسبوع الذى يليه .

- ٧ -

عاد زهاروف الى قصره فى مونت كارلو ، وصار يرسل سيارته لتأتيه بالسيدة سيزنسكى ، ويكتب رسائل يعبر فيها عن عرفانه بجميل الاسرة وقال فيها أنه يود لو كان ثمة شيء يستطيع القيام به مقابل هذا الجميل والظاهر أنه كان يعنى ذلك حقا ، لأنه عندما تملك روبي بد كتلة من أسهم الشركة العربية الانجليزية الجديدة وحضر لمقابلة الشيخ ، اشترى منه الأسهم بالسعر الذى طلبه . ولم يكن المبلغ طائلا ، ولكن لاني قال انها علامة على أن الدوقة الاسبانية تتصل به حقيقة .

وكان الفضول يلتهم بيوتى بصدد هذه الجلسات ، فتسال السيدة كلما عادت من عنده ، ولكن الوسيطة تمسكت بقولها أنها لا تدري شيئا مما يحدث عندما تكون فى شرودها . وبديهي أن « تكومسه » كان حسن السلوك ، لأنها كلما أفاقت وجدت جليسا لطيفا مجاملا ، وكانت تتناول الشاي دائما مع خادمة ابنة السير بازيل المتزوجة ، وفى بعض الاحيان كان الرجل العظيم نفسه يسألها عن حياتها وافكارها . وبديهي أنه كان يواصل قراءة الموضوعات الروحية ، ولكنه لم يقل قط كلمة واحدة عن نفسه ولم يذكر قط اسم الدوقة على لسانه .

وفى رأى بيوتى أنه لفساد ذوق من أى مقترض أن يبقى المالك فى جهل تام بما يجرى ، ولعل الفكرة خطرت للسير بازيل ، لأنه اتصل بلانى تليفونيا وسأله هل لديه من الفراغ ما يسمح له بالحضور لديه ، فعرض عليه أن يقود بنفسه السيدة فى الرحلة التالية ، فقال زهاروف وهو كذلك وفى وسع لاني أن يحضر الجلسة ان راقه ذلك . وكذلك هذا تقدما لا شك فيه، ولا يمكن أن يكون معناه سوى أن زهاروف قد استطاع أن يصل الى مصادقة الزعيم الايروكوى وزمرته من الارواح .

« أن الجسد كله كالشعب ، وملاحته كلها مثل ازهار الحقل » . بهذه العبارة كان « قد تمثل جدا » لاني فى حديثه عن علاقة فاضحة فى نيوكاسل بممثلة شابة اغرم بها . وخطر للفتى اللاهى ذلك الآن وهو جالس يرقب ذلك الرجل الذى قد يكون فى سن جده صمويل . ان

اسلوبه المهدب في السلوك ونعمته بشابة قناع ، اما روحه فحزمة من المخاوف . لقد ناضل نضالا قاسيا في سبيل الثراء والقوة ، وها هو الآن يجلس ويرقب الشيخوخة تدب اليه ويحس بكل شيء يتسرب من يديه . ثم التفت انا الى كل اعمالى التى عملتها يدائى والى التعب الذى تعبته فى عملى فاذا الكل باطل كقبض الريح انه لا نفع تحت الشمس .

والتكنم هو انفاس حياة ملك الذخائر . فمئذ عام تقريبا استأثر لنفسه بتكومسة والارواح . فان كان قد اخبر احدا بما كان يحدث فهذا شيء لم يصل الى مسامع لاني . الا أنه لا يستطيع أن يشبث على تكتمه الى مالا نهاية ، لان الشكوك كانت تهتك روحه . أهى الدوقة الاسبانية حقا التى تبعث اليه بالرسائل ؟ أم هو وهم فحسب أو ملعوب قاس من شخص أو من شيء مجهول ؟ لقد حضر لاني جلسات كثيرة وثابر على دراسة الموضوع ولا بد للشيخ من معرفة ما وصل اليه .

وكانت الجلسة نفسها عادية . وبديهي ان ملك الذخائر وروح زوجته المتوفاة قد توطدت بينهما الصلات على أساس متين فظهرت له على الفور على نحو ما كانت حرية أن تظهر ان هو ناداها من الحجرة المجاورة ولم تكن لديها الكثير تحدته به ، ولعلها كانت حرية أن تجد لديها الكثير لو ان « عشبها » لم يذو ولم تفره الرياح . وكل الفرق أن زهاروف كان حريا ان يعرف « العشب » بحقيقته الماضية ، اما هذا العشب المزيف ، هذا السراب ، هذا الرسم على الضباب ، فأى شيء هو ؟ لقد أكدت له أنها تحبه ، ولم يكن لديه قط فى ذلك شك . وأكدت أنها سعيدة ، وكانت قد ذكرت له ذلك مرارا وهو نبا طيب ان كانت هى القائلة حقا .

اما عن ظروف وجودها فهى غامضة فى حديثها عنها، شأن الارواح فى هذا الموضوع عموما ، ويقولون ان من العسير على العقول الفانية أن تدرك كيفية وجودها . وهذا جائز ، ولكنه ايضا من الممكن أن يكون هروبا من الاجابة . وكانت الدوقة قد قدمت له أدلة على حقيقتها ، اما الآن فيبدو أنها راغبة فى ان يعتبر هذه المسألة منتية ، فذلك يسعدها فوق سعادتها وهو بطبيعة الحال ينشد سعادتها ولكنه بعد ذلك يعذب نفسه بالشكوك ، فهل ينبغى أن يعذبها بهذه الشكوك أيضا ؟ .

لقد حيت لاني وتحدثت اليه . فقد ظهرت له أولا وبعثت معه برسائل الى زوجها . وهى الآن تشكره لقيامه بتبليغها . كأنها كانت معه فى حديقة قصر باريس . وقد ذكرته بذلك وبالكلاب الصغيرة الجسم

الطويلة الشعر البيضاء كالثلج التي حلقوا شعرها لتشبه الاسود ، وقد صحبته الى المكتبة فأدرك وهو الغلام المجامل المذهب أنه قد لا يكون لديها فراغ من الوقت له بعد الآن فتطوع بشغل نفسه بتصفح مجلة . فهل يذكر أى مجلة هي ؟ وقالت له انها مجلة الحياة الباريسية ، فتذكرها على الفور . ورمى بنظرة الى زهاروف فخيل اليه أنه رأى اللحية البيضاء المعجوز ترتجف . والحت الدوقة الاسبانية عليه فى لهجة بولندية « قل له ان هذا صحيح ، فشد ما يمضه القلق ، ذلك العزيز المسكين » .

وتحدثت الروح عن الجو الرطب بصورة غير عادية وعن الكساد ، فقالت أن كليهما سيزولان سريعا ، ومثل هذه المتاعب لا تؤثر فيها الا بمقدار تأثيرها فى من تحبهم ، وهي تعرف كل ما يحدث لهم . ويبدو انها كانت تعرف كل ماتريد أن تعرفه ، فسألها لانى بتهديب تستطيع أن تخبرها بواقعة حال عن أحوال اسرتها القديمة لم تصل قط الى علم زوجها ولكنه يستطيع التحقق منها عن طريق البحث والاستقصاء . كان تكون الواقعة واردة فى وثيقة قديمة أو شيئا مخيفا فى قبو سرى فى قلعة . ويستحسن ان يكون شيئا لم تكن تعرفه أثناء حياتها حتى لا يكون موجودا فى العقل اللاواعى لاي واحد من ثلاثهم ؟ فضحكت السيدة الاسبانية وقالت « يا لذلك العقل اللاواعى ! انه لا سم تشقون أنفسكم به . فما العقل مالم يكن واعيا ؟ هل عرفت قط شيئا كهذا ؟ » فقال لانى ، لا . لانه ان عرفته يكون واعيا ؟ ولكن ما الذى يفعل اذن وكأنه عقل لا واع ؟ « فكان الجواب « لعله الله وتساءل لانى اتراه احضر معه جانبا من عقل « راسيفال ونجل » اللاواعى فحقن به العقل اللاواعى الذى يسمى نفسه ماديا ديل ييلار أنطونيا أنجيلا باتروتشينو سيمون دى موجويرو اى بيروته ، دوقة ومركزه فيلا فرانكا دى لوس كباليروس ؟

- ٨ -

ولما انتهت الجلسة دعت الخادمة السيدة الى حجرة أخرى لتناول الشاي ، وتناول السير بازيل الشاي مع لانى وتجادب معه حديثا طويلا فقد كان يريد أن يعرف ما تعلمه الشاب وما يعتقده الآن وراقب لانى المحيا القلق المسن فأدرك بالضبط ماذا يريد . فزهاروف ليس عالما يحب الحقيقة وانما هو رجل يترنح على حافة القبر يريد أن يصدق أنه بعد

رحيله عن هذه الارض سوف ينضم الى المرأة التي كانت تعنى لديه الشيء الكثير . وهل لاني عالم أو صديق ؟ .

كان في وسعه أن يقول بأمانة أنه لا يدري ، وأنه متردد بين هذا الاتجاه الآخر تارة أخرى . وما من شك أنه يبدو ان المتحدثه هي الدوقة لا بصوتها بل بعقلها وشخصيتها وبشيء لا يلمسه الانسان مطلقا ولا يراه مطلقا ولكن المرء يستنتجه لانه يتضح بوسائل اتصال كثيرة . ان الامر أشبه بحديث الدوقة عبر تليفون خطوطه بحالة سيئة جدا مثلا !

وسر زهاروف وقال أنه كان يطالع في تلك الكتب « التليباني » ؟ هذه فيما يبدو لي كلمة اخترعوها ليوفروا على أنفسهم عناء التفكير . فأي شيء هذا التليباني ؟ وكيف يعمل ؟ لانه لا يمكن أن يكون ذبذبات مادية ، لان المسافة لا تؤثر فيه . وعليك أن تفترض أن عقلا يستطيع الفوص في عقل آخر كلما أراد ذلك فيحصل على أي شيء يشاء . وهل هذا أسهل في التصديق ما عدم فناء الشخصية ؟ « فقال لاني » من المعقول ان نفكر بأنه قد يوجد الباب للوعي يبقى فترة بعد الموت كما يبقى الهيكل العظمى بعد الجسد . ولكنه رأى أن هذه الصورة لا تروق السيد الهرم فأسرع مردفا « ولعل الزمن ليس حقيقة أساسية ، ولعل كل شيء وجد من قبل يظل موجودا على نحو ما فيما وراء ذرعنا أو فهمنا . وليست لدينا فكرة عما عسى أن تكونه الحقيقة أو صلتنا بها . ولعلنا نخلق الخلود لانفسنا برغبتنا فيه ، فبرنارد شو يقول ان الطيور أنبتت لنفسها أجنحة لانها كانت راغبة في الطيران محتاجة اليه .

ولم يكن الفارس الكومندر والضابط العظيم قد سمع اطلاقا بالعودة الى متوشالغ . فحدثه لاني عن تلك الصورة الضخمة الشاملة لما وراء علم الحياة ، وتحدثنا في أمور كثيرة غامضة وعويصة الى أن صارنا مثل ملائكة « ملتون » الساقطة ، ضائعين بين طوايا الدهشة الحائرة والذهول ، الى ان تذكر لاني أن عليه أن يسحب زوجته الى حفلة عشاء ، فغادر الشيخ في حالة عقلية أسعد كثيرا الا أنه شعر بشيء من الاثم وقال لنفسه « أرجو ألا تكون لدى روبي أسهم أخرى يبيعه اياها » !

ووجد لاني زوجته ترتدى ثيابها ، وفيما هو يرتدى ثيابه ابلغته
انباء جديدة « الخال جسي كان هنا » فقال لاني « حقا ؟ ومن قابله ؟
« فاجابت » كانت بيوتى فى المدينة ، فجرى لى معه حديث طويل « فسألها
وماذا يصنع ؟ فقالت انه مستغرق فى حملته الانتخابية « فسألها « وكيف
استطاع أن يجد فراغا للقعود الى هنا ؟ فاجابت « لقد جاء لعل . فهو
يريد منك أن تبيع بعض رسومه « فقال « يا الهى يا ايرما ! أنا لا أستطيع
أن أبيع هذه الاشياء ، وهو يعلم هذا » فسألته « ليست من الجودة بقدر
كاف ؟ « فقال « أنها لا بأس بها على نحو ما . ولكنها غير ممتازة ، فلا بد
أن فى باريس ألف رسام يحسنون مثلها « فسألته « وهل يفلحون فى بيع
أعمالهم ؟ « فاجابها « احيانا . ولكنى لا أستطيع أن ازكى فنا ما لم أعلم
له مزية خاصة . « فقالت : « لقد بدت لى رسومه فائنة واطن أن كثيرين
من الناس سيحبونها . « فسألها « اتعنين أنه احضر بعضها معه ؟ فقالت
شحنة سيارة آجرة كاملة . فظفرنا بمعرض طيلة العصر ، وتحدثنا عن
الكومنتيرن وعن - ما اسمها - الجرجرية ؟ « فقال « المادية الجدلية ؟
« فقالت « انه يقول أن بوسعه أن يجعل منى شيوعية لولا اموالى . ولذا
حاول أن يجردنى من جانب منها . « فسألها « هل طلب منك مالا ؟
« فاجابت « انه قد يكون رساما ردينا يا عزيزى ولكنه بائع جيد جدا
« فسألها « اتعنين أنك اشتريت بعضا من هذه الاشياء « فقالت « صورتين
« فهتف بحق السماء ! وماذا دفعت فيها ؟ « فاجابت « عشرة آلاف فرنك
لكل منها « فقال « ولكن هذا غير معقول يا ايرما انه لم يحصل قط على
نصف هذا المبلغ فى صورة له طيلة حياته « فقالت « لقد أسعده ذلك على
كل حال وهو أخو أمك ، وأنا أحب أن أقر السلام فى الاسرة « فقال «
الحقيقة يا حبيبتي أنك لست مطالبة بشئ من هذا القبيل . وبيوتى لن
تحب ذلك « فاجابت ايرما وهى ترقب امرأة مائدة زينتها وخدامتها تقوم
باللمسات الاخيرة من تصفيف شعرها « أن أقول نعم أسهل كثيرا من أن
أقول لا . والخال جسي ليس انسانا شريرا كما تعلم « فسألها زوجها «
وأي صورتان ؟ « فاجابت « وضعتهما فى خزانة الحجرة فى الوقت الحاضر
فلا تضيع الوقت الآن والا تاخرنا « فقال « دعينى الق نظرة واحدة عليهما
فألت زوجته قائلة « أنا لم اشتريهما لوجه الفن ، بيد انى أحبهما ، وقد
اعلقهما فى هذه الحجرة ان كانتا لا تؤذيان شعورك » .

وأخرج لاني اللوحتين ووضعهما فوق مقعدين ، وكانتا من النوع المعتاد الذي كان جسي بلاكلس ينتجه بمعدل صورة كل أسبوعين في أى وقت يشاء . واحدهما تمثل غلاما صغيرا ، وتمثل الاخرى بائع فحم مسن ، والصورتان كلتاهما عاطفية ، لان الخال جسي يحب حقيقة هؤلاء الفقراء ويتخيل فيهم أشياء تتفق مع نظرياته . أما إيرما فلم تكن لديها مثل هذه المشاعر ، الا ان لاني كان قد علمها انها ينبغي ان تتحلى بها ، ولا شك انها تبذل جهدها الآن . وسألته هل هما حقيقة رديئتان جدا ؟ « فاجابها » انهما ليستا مقنعا « فقالت » المبلغ كله ثمانمائة دولار ، وهو يقول انه مفلس بعد ان انفق كل شيء في المعركة الانتخابية . ثم لا تنسى يا لاني انه قد لا يكون أمرا سيئا ان يصير خال لك عضوا في مجلس النواب « فهتف لاني ، ولكن أى عضو هو يا إيرما ! أنه سيجعل من نفسه فضيحة دولية . وكان ينبغي أن أذكر لك انه اختار دائرة عمالية ورشح نفسه ضد رجل اشتراكي ، فقالت الزوجة الشاببة بدماعة « ليكن . سأساعد المرشح الاشتراكي أيضا ان اردت » فقال لها ، وبذلك أن تأتي بحصانين فتشدي أحدهما الى مقدمة عربتك وتشدي الآخر الى مؤخرتها ثم تسوقينها بأقصى ما تستطيعين من شدة في اتجاهين متضادين » .

ولم تكن إيرما سريعة الحاطر عادة ، ولكنها الآن فكرت في شوراكرز وقالت « انت تعلم أنني أدفع أجورا طول الوقت لرجال يمسرونون جيادى » .

- ١٠ -

كان الفريد بوميرى نيلسن الاصغر فى مدرسته بانجلترا وجاء الى بيانفينى لقضاء عطلة الفصح فاستأنف هو ومرسلين حياتهما من حيث كانا قد تركاها على ظهر اليخت بيسى بد قبل عام ونصف . وفى هذه الفترة كان كل منهما استعد لصاحبه وفى الوقت نفسه يقوم باكتشافات مهمة عن ذاته .

وكانت ابنة مارسيل ديتاز وبيوتى بد لم تتم الرابعة عشرة بعد ، وهى فى المرحلة التى يلتقى فيها الجدول بالنهر ، فتحلق الانوثة والطفولة معا « فكانما هى بطلة فى الفوص واقفة على حافة لوحة القفز وقد شدت

كل عضلة فى جسدها وتاهبت للخطئة الاندفاع قدما . فهى على هذا النحو بدت فوق حمام سباحة الاناقة والاستمتاع وصنوف شتى من الالبهة والبهاء . وراحت تطل فى حمام السباحة مسحورة وأعدت نفسها للغوص بأسرع مما درى احد من اعضاء أسرتهما أو أبناء بكثير . لقد كان هذا سرها . كان هذا مغزى القلب الخافق والوجنتين المتوردتين وحالة توفزها العامة ، فليس فى وسعها أن تنتظر كى تبدأ الحياة !

وكانت مرسلين تحب أمها ، وتعبد أخاها غير الشقيق الوسيم الانيق ، وتتطلع برهه الى جونو المزدهرة التى دخلت حياتها اخيرا تحف بها حالة ذهبيه ، فكل انسان يتحدث عنها ، وصورتها فى الصحف ، فهى بايجاز ملكة من جماعة الاثرياء الحاكمة ، ذلك العالم الذى كانت مرسلين قد تعلمت أن تعتبره جميلا عظيما عاليا انيقا متعاليا رشيقا وقفا على الصفوة الممتازة ، وهى مزعة أن تستلقت الانظار فى هذا العالم السحري ، ولا جدوى من محاولة ثنيها عن عزمها ، فالرجال قد شرعوا ينظرون اليها ، وليست بالتى يفوتها ادراك ذلك أو معرفة مغزاه . ألم يكن هذا المغزى مدار أحاديث جميع السيدات الانيقات منذ بدأت تعي معاني الالفاظ ؟ وهؤلاء السيدات بدأت تتقدم بهن السن ، فهن فى طريقهن الى الخروج من الميدان ، ومرسلين تزمع أن تدخل اليه ، فقد حل دورها !

والآن ها هو ذلك الفتى الانجليزى الذى يكاد يضاهيها فى العمر ، والذى اختارته أحاديث الاسرة كى يكون شريك حياتها . وقد يتم ذلك ، ولكنها أولا لابد أن تسوى بضع مشكلات . وأول هذه المشكلات أنه من الحتم تحديد من منهما ستكون بيده قيادة الاسرة . أن « الفى » جاد مثل أبيه ، يقظ الضمير الى أقصى حد ، صموت بصورة تتجاوز الحد الطبيعى لمن فى مثل حدائته ويعذبه احساس خفى بالكبرياء . أما مرسلين فمندفعة منطلقة ثرثارة ، ولها مثل كبريائه تماما ولكن على طريققتها الخاصة وكل من هذين المزاجين كان يخشى الآخر خلصة . وكانت الغرابة الطبيعية التى يستشعرها فتى يافع ازاء فتاة وتستشعرها الفتاة ازاء الفتى عاملا مشددا لما بينهما من اختلافات وجارحا لتقدير كل منهما لذاته . أهو يزدريها حين يلزم الضمت ؟ أهى تغيظه حينما تضحك ؟ وزاد الفيظ والحنق بظفرسة الطرفين .

ومن عادة الانجليز عندما يصل غلامان الى التلاكم أن يكونوا حلقة حولهما ثم يتركوهما ينهيان معركتهما وحدهما . وبدا الآن ان هذه هى

العادة المرعية أيضا في معركة الجنس ، فقد قال ريك « من الأفضل أن يحسما ما بينهما الآن لا فيما بعد » ولم يقدم نصيحة لابنه إلا أن طلبه منه ، فالفى المسكين متكبرا حتى معاييه . فمن شأن كل رجل أن يسوس نسائه بنفسه !

أما مرسلين فكانت تفر إلى أمها وتنطلق في نوبات بكاء ، وتحاول بيوتى أن توضح لها المزاج الخاص بالانجليز ، فيبدو عليهم البرود من غير أن تكون هذه حقيقتهم . واوشكت العطلة القصيرة أن تنقضى فنصحت بيوتى ابنتها أن تصالحه بسرعة ، ولكن مرسلين صاحت « أنهم شعب فظيح وما لم يتحسن سلوكه لن تكون لى به علاقة بعد الآن . » وهكذا كان الفرنسيون والانجليز في حرب متواصلة منذ سنة ١٠٦٦ .

ومن العجيب أن الرجل القادم من أيووا هو الذى قام بدور الوسيط الدولى فى الصلح . ولم يكن برسيغال دنجل يتدخل مطلقا فى شئون أى انسان دائما كان يتكلم عن محبة الله ليس غير ولعلها مصادفة أن كلامه يكون ابلغ ما يمكن حينما يعلم ان شخصين على خلاف . فالله هو الكل والله محبة والله حى والله حاضر ، والله يعلم ما نفعل وما نقول وما نفكر . وعندما نجانب الصواب فى افعالنا فكاننا نقطع أنفسنا عمدا عنه سبحانه وتعالى ونقضى على سعادتنا . وهذا هو القانون الروحى : ان الله لا يعاقبنا بل نحن نعاقب أنفسنا واننا اذا تواضعنا أمامه سمونا بأنفسنا أمام بعضنا بعضا . ويمضى فى كلامه على هذا النسق فى تسلسل من العبارات الصوفية كانها رسائل من عالم أفضل .

وهذا كله كان حريا أن يبدو عقيدة مألوفة لدى أسلاف كل من هذين اليافعين . ولعل الافكار ينبغي أن تنسى كى تبدو لنا وكأنها حقائق جديدة . ومهما يكن من شئ فهذا السيد الغريب بدا فى نظر مرسلين والفى كليهما مؤسسا ومكتشفا لمذاهب تبعت الرهبة فى النفس . وهو سيد ذو وجه ملائكى ووجنتين ورديتين وشعر أشيب يتكلم بلهجة أهل البرارى . وذات مرة عندما أراد أن يغسل يديه وهو فى زورق شراعى استخدم ما سماه « صفحة الغسيل » فخيل إلى الفى أن هذا أغرب تركيب للألفاظ سمعه فى حياته . ولكن يبدو ان الله لا اعتراض له على لهجة « أيووا » فقد كان يلهمه ما يصنع ، وعندما تفكر فى الله لا على أنه فى مكان ما من السماء جالسا فوق عرش ، بل على أنه حى فى قلبك وموجود فيك على صورة لا يمكن ادراكها ، يبدو لك على الفور انه من السخافة والحق

ان تتخاصم مع صديق للأسرة حتى ولو لم يكن زوج المستقبل . فمن
الافضل تناسى الخصام ، مدة مباراة في التنس على الاقل .

وخطر لبيوتى ان وجود روحانى يشفى الناس فى الأسرة مسألة
ملائمة جدا ! وقالت فى نفسها انى امرأة غير فاضلة ، ويجب ان احاول
التشبه به فأحب كل انسان وأقدر فى الناس افضل جوانبهم . وينبغى
فى الحقيقة ان اذهب الى مدرسة لانى واقابل بعض هؤلاء الفقراء واحاول
ان اجد فيهم ما يجده . وتجول ببالها هذه الافكار وهى ترتدى ثوب
سهرة ثمين اعطتها اياه ايرما بعد ان ارتدته مرتين او ثلاثة ، ثم تضى
الى حفلة فى بيت بارونة نوريت السابقة حيث تصفى الى اللفظ حول
راكب خيل فى سيرك كان قد تزوج مليونيرة مسنة وهو يستلقت جميع
الانظار على شاطئ الملذات هذا . وتمزق السيدات سمعة المليونيرة اربا
وتستمتع بيوتى ببراعتهم القاسية فى ذلك التمزيق وتنسى كل شئ عن
استماع الله لكل كلمة .

يا له من عالم معقد ، من العسير جدا ان يفدو المرء فيه صالحا !

**** معرفتى ****

www.ibtesama.com

منتديات مجلة الإبتسامة

الكتاب الثالث

هبي يا رياح وارتطمي

الفصل العاشر عشر

انه وجود المرأة باكملة

- ١ -

لقد فعلت خيانة الحركة العمالية البريطانية في اريك فيغان بوميروى نيلسون ما يفعله الحديد المحمى حين يغرس في لحم جسد الحى . واخذ يمعن التفكير في هذه الخيانة ويحلل اسبابها فملا رحاب نفسه بصور متعددة لها ، وكانت النتيجة مسرحية اسمها « رشوة بدلة السهرة » . وهو ليس عنوانا ادبيا فيه وقار وحيدة ، بل هو عنوان نضالى دعائى .

والشخصية الاساسية في المسرحية ابن عامل مناجم هرب من العمل في المناجم تحت الارض بان أصبح سكرتيرا لاتحاده العمالى ، وله زوجة كانت معلمة ، فهي اعلى منه مكانة بعض الشيء . ولم يكن لهما أطفال لان الحركة العمالية كان من المقرر أن تكون لهما بمثابة الولد . وفي مفتتح المسرحية نجده وقد انتخب حديثا لعضوية البرلمان . وثمة شخصيات ووقائع مروية تسترجع أيامه الاولى في الحماسة والمثالية ، أما الآن فخراه مستغرقا في تفصيلات غير بناءة أو مجدية كل الجدوى لسياسات الحزب والمناورات على السلطة والوفاء بالالتزامات الماضية أملا فى استجلاب المزيد من هذه الالتزامات .

والمرأة التى تمثل نساء الطبقة الثرية فى القصة مستوحاة من شخصية روزمارى كونتس سندهافن ، وهى معشوقة لاني القديمة واحدى أولئك النساء اللواتى استولت عليهن الحركة النسائية فلم يسمحن لأنفسهن بالوقوع فى حب عميق لان ذلك من شأنه أن يؤثر فى استقلالهن واستمتاعهن بالشهرة والظهور والتصفيق . وهى امرأة سياسية تحب

ممارسة السلطة ، شرعت في اغواء زعيم عمالي لا لانها تريد خدمة مصالح جماعتها من المحافظين بل لانها تستمتع باللغو برجل واخضاعه لارادتها . وحاولت أن تعلمه ما تسميه البداهة المشتركة ، لا في صدد الحب فحسب، بل أيضا في صدد السياسة وجميع أحوال العالم الذي يعيشان فيه . ولم تبال بتحطيم قلب زوجة تعتبرها شخصا أقل منها ولا لزوم لها . وان انتهى بها الامر أثناء هذه العملية الى تحطيم اتحاد عمالي فهو كسب عرضي لها .

وهو دور دسم لاية ممثلة ، وبايحاء من لاني جعل ريك لهذه المرأة اما أمريكية ، وهي ظاهرة شائعة في مجتمع لندن ، مما يجعل ذلك الدور من الممكن أن تؤديه فيليس جراسن . وكانت صديقة لاني القديمة ورفيقة لهوه قد برزت نجما لمسرحيتين اخفقتا في برودواي لأسباب لا ذنب لها فيها ، فكانت في حالة نفسية متواضعة ، وعندما كتب اليها لاني عن مسرحية ريك ابرقت على الفوز ترجو السماح لها بالاطلاع على المخطوط . وكان الدور قد كتب لها كي تؤديه ، الى حد السماح بشيء من اللكنة الامريكية .

وكان لاني قد أصبح شديد الانشغال بالمسرحية وتحدث عن كل مشهد فيها مع أصدقائه سواء قبل كتابة كل مشهد أو بعد كتابته ، وقرأتها ايرما وبيوتى واميلي وصوفى ، وزوجة ريك أيضا بطبيعة الحال .

وتشاورت أولئك السيدات معا وادلين بمقترحات حول كيفية شعور أفراد المجتمع الراقى الجميل العظيم وسلوكهم ، وبذلك أصبحت المسرحية مسألة عائلية على نحو ما ، ولم يعد هناك الا احتمال طفيف لوجود أدنى خطأ في جوها ولونها المحلى . وبعد أن قرأت اميلي المخطوط كاملا عرضت أن تسهم بخمسة آلاف دولار بالشروط عينها التي يسهم بها الباكون . وما كانت صوفى البارونة السابقة لتسمح لنفسها بالتخلف عنها .

والمسرحية ستكون باهظة التكاليف عند اخراجها بسبب جو الشراء لجيها . فان كنت تريد ممثلين يبدون كالعمال أو زعماء حزب العمال ففي جوسعك أن تستأجرهم بثمن بخس ، اما أن أردت ممثلا يستطيع أداء دور وزير الخزانة فلا بد لك من خزانة عامرة . وكان ريك الذي صارت له الآن خبرة وافية قد قدر مجموع النفقات بثلاثين ألف دولار ، وبدا الرقم حالوفا في نظر لاني ، لأنه كان تكاليف أول اخراج لرواية مثلتها جراسن ، ومن أجل هذا المبلغ هجرته . اما الآن فسيحاول أن يكون النصير غير

المحترف ، ومن نوع أعلى واسمى لن تحتاج للتمثيل له الا على خشبة المسرح .

- ٢ -

تمت المسرحية فى أوائل شهر ابريل واتجهت الأسرة الى الشمال ، مع عودة الفى الى المدرسة ، وقام لاني مع ايرما بتوصيل الأب والأم بالسيارة حتى باريس مبكرين بضعة أيام لان زلطان كرتيزى كان هناك وهما راغبان فى مشاهدة صالون الربيع من خلال عينيه الحيرتين . وكانت ثمة أيضا مسرحيات يجب أن تشاهد لأهميتها لدى المحترفين ، وهما يوشكان أن يدخلوا فى عدادهم . واتفق أن فرنسا كانت فى معمران معركة انتخابية طاحنة ، وعندما يكون لك خال مرشح لمجلس النواب فلا بد أن تعنيك مشاهدة مايجرى فيها . وكان هانسى وبيسى قد وافقا على الحضور لتقديم حفلة موسيقية لتأييده فى دائرته ، وستكون هذه الحفلة لونا من الاجتماع العائلي .

وكان الحبير المجرى فى الفنون رقيقا صافى النفس كعادته . وهو قد عاد لتوه من رحلة فى الغرب الأوسط حيث لم يزل - مع ما فى ذلك من غرابة - أصحاب ملايين ذوى دخول كبيرة يريدون شراء مايسمونه « رسوم فنية » . وكان لاني قد زود زلطان بصور فوتوغرافية للوحات ديتاز التى لم تزل فى المخزن ، فباع ثلاثا منها بأثمان ستساعد فى اخراج « رشوة بدلة السهرة » . وأصرت ايرما على أن تسهم بنصيب من المال ، لا لأنها تعرف شيئا عن المسرحيات ، بل لأنها تحب لاني وتريد له أن يحظى برغبات فؤاده .

ووقفت مثل ذلك الموقف المتسامح من الاجتماعات السياسية فان أراد لاني أن تذهب صحبته وحاولت ان تفهم اللغة الفرنسية التى يصيحون بها فى نبرات طائشة مستشارة . وكان جيسى بلاكلس متقدما للانتخاب عن دائرة ضاحية من الضواحي الصناعية التى تحيط بباريس بنطاق أحمر واسع . والقانون الفرنسى لا يحتم أن يكون المرشح من المقيمين فى الدائرة الانتخابية ، ولكنه ينبغى أن يكون صاحب ملكية فيها ، فاشترى المرشح الاحمر أرخص قطعة أرض خلاء استطاع العثور عليها . وكان شديد الاهتمام بأحوال الدائرة منذ زمن طويل ، يتحدث الى جماعات

من العمال كل ليلة شهورا متوالية ، ويحضر اجتماعات اللجنة ، بل يزور
الناخبين في بيوتهم ، لا شيء سوى الاكتفاء بالحلول محل خصم اشتراكي
خارج على « خط موسكو » . ولم تكن إيرما تفقه هذه المصطلحات الفنية ،
الا انها لم تتمالك الشعور بهزة وقد وجدت ذلك الحال الذي صار لها
منذ امد وجيز محور الاهتمام فوق المنصة ، وهو يلقي خطبة ملتبهة دفعت
الجمهور المحتشد الى افاق من الحبور الجنوني . ولم يفتها أن تشعر
بالتأثر حين رأت هانسي روبن يعزف لعمال بلد اجنبي فيستقبلونه
استقبال الرفيق والاخ . آه لو لم يكونوا اناسا ذوي منظر فظيع على هذا
النحو ! .

- ٣ -

كل هذا وضع لاني في موقف غريب ، فهو يحضر اجتماع خاله ولكنه
لا يريد له النجاح ، وصارحه بذلك . وبعد ذلك عرجوا مع مجموعة من
اصدقائهم الى مقهى تناولوا فيه العشاء وتناقشوا وتحاجوا حتى الساعات
الاولى من الصباح . وكان المقهى حافلا بزحام شديد من الناس والضجة
فيه عالية ودخان الطبايق يملأ جوه . وكانت إيرما قد صحبت زوجها الى
مثل هذه الاماكن في برلين ولندن ونيويورك فعرفت أن المثقفين يعيشون
على هذا النحو . والمفروض أنها حياة بوهيمية ، وهي بدون شك حياة
مختلفة عن حياة الناس . وليس في وسعها اطلاقا أن تشكو من أن زوجها
لم يزودها بالمقامرات .

والى جانب المليونيرة جلس شاب روسي أشقر يحدثها بالانجليزية
ما سهل التفاهم بينهما . وكان قد خرج لتوه من الاتحاد السوفييتي ،
ذلك المكان الذي سمعت عنه الكثير جدا من الحكايات الفظيعة . وحديثها
عن مشروع السنوات الخمس الذي قارب التمام . وقد تم بالفعل انجاز
كل جزء من أجزاء برنامج ذلك المشروع ، فالمزارع الكبيرة الجماعية تقوم
هذا الربيع ببذر مساحات من الحبوب أكثر مما بذر في التاريخ الروسي
كله من قبل ، ومعنى ذلك ابتداء حقبة جديدة تماما في تاريخ البشرية .
وكان الغريب أن الشاب يتكلم بثقة هائلة ، وإيرما ترتجف في مواجهة
القضاء المحتوم الذي يحيق بالعالم الذي نشأت فيه . ومن سلوك الآخرين
معه استنتجت أنه شخص هام ، من مندوبي الكومنتيرن . ولعله بعث
ليؤكد من أن المعركة تسير على الخط الصحيح الذي رسمه الحزب .

ولعله يحمل معه شيئا ما « ذهب موسكو » الذى سمع المرء كلاما كثيرا حوله ! .

وعبر المائدة جلس هانسى وبيسى . وسرعان ما شرغا يخبران رجل الكومنتيرن بتفصيلات عن الموقف فى ألمانيا . وكانت الانتخابات للمجالس النيابية فى مختلف الولايات قد أجريت حديثا جدا ، وظفر الحزبان المتطرفان المتضادان بمكاسب هائلة ، ومحيت من الميدان الطبقات المتوسطة ومعها وجهة النظر التى تمثلها . وقال هانسى ان الصراع على الشوارع فى المدن الألمانية ذلك الصراع الذى استمر فى السنتين أو الثلاث سنوات الأخيرة أخذ يتجه ضد مصلحة الشيوعيين ، فلدى أعدائهم المال والأسلحة . وكان هانسى قد شهد معركة فى وضغ النهار ببرلين ، وكانت كتيبة من جنود العاصفة سائرة رافعة أعلام الصليب المعقوف تتقدمها الصفارات والطبول ، فمرت بمتجر تعاونى وأخذت تقذف نوافذه بالحجارة ، فاندفع من بداخل المتجر من الرجال ونشبت معركة بالهراوات والخناجر . ولم ينتظر عازف الفيوлина حتى يرى النتيجة ، وقال وهو يبسط يديه بلهجة الاعتذار « لست أعتقد أنه ينبغي ان استخدم يدي فى ضرب الناس » . وقالت ايرما فى نفسها : « يالهانسى المسكين . فهو وفريدى شقيان بعد أن اكتشفا مدى اتصال أبيهما بجميع المعسكرات فى هذه الحرب الأهلية الألمانية . فالنازيون يستخدمون بنادق بد الآلية فى قتل العمال ، وكيف كان من الممكن أن يحصلوا عليها من غير أن تكون مؤسسة « ر ، ر » على علم بذلك ؟ ان الشابين لم يتشاجرا مع أبيهما - فلا طاقة لهما بذلك - بيد ان راحة بالهما تلاشت وصارا يتساءلان كيف يمكن أن يواصلوا الحياة فى ذلك البيت .

وقالت ايرما فى نفسها أيضا « ياللانى المسكين ا » فقد رأت زوجها موزع النفس بين الطوائف المتحاربة ، فالحمر مهذبون معه فى هذا الزحام لأنه ابن أخت جسى ، ولأنه أيضا سيدفع ثمن العشاء ، وهو واجب ينهض به فى جميع الاحوال . ويبدو عليه كأنه يشعر أنه ينبغي أن يبرر حياته ، وهو شخص لا يستمتع بالقتال ولا يستطيع أن يجمع أمره على كراهية أحد من كل قلبه ، ومع ذلك فهو لا يستطيع البعد عن المجادلات . ولما قام المرشح الشيوعى لمجلس النواب بوضع فرصة المسجل المعهود - وقال ان الديموقراطيين الاشتراكيين عقبة فى سبيل التقدم أشد من الفاشيين رد عليه لانى بقوله : « ان ظلمت ياخالى جسى تمنى هذا فستجد

نفسك وجها لوجه مع الفاشيين » . فقال الجراموفون : « سواء أرادوا أو لم يريدوا فسوف يساعدون على تحطيم النظام الرأسمالي » . فقال لاني متهمكما هادئا : « اذهب وقل هذا الكلام لموسولينى ! لقد قضيت فى مجابته عشر سنين ، فالى أين بلغ بك المدى ؟ » فرد عليه « هو يعلم أنه قارب نهايته » . فقال لاني : « ولكننا نتكلم عن الرأسمالية ! هل درست تقارير حصص شركتى فيات وانسالدو ؟ » .

وهكذا استمرا يتناوشان جذبا وطردا ، وقالت ايرما فى نفسها « رباه ! كم اكره المثقفين ! » بيد انها لم تتمالك نفسها من التأثير عندما ظهرت نتائج الانتخابات وظهر اسم « زيس بلوك ليس » كما يسميه النخبون فى رأس احصائية الاقتراع فى دائرته ، وفى يوم الاحد التالى جرت انتخابات الاعادة بين أكثر اثنين من المرشحين أصواتا ، واتفق انهما الاحمر والوردي ، وجاء الخال جيسى الى ايرما سرا يرجوها ان تمدد بمعونة فأعطته ألفى فرنك كلفتها تسعة وسبعين دولارا . واتفق أيضا أن المرشح الاشتراكي كان صديقا لجان لونجيه فذهب الى لاني وحصل منه على ضعف ذلك المبلغ ، ومع ذلك ظفر « زيس بلوك ليس » ببضع مئات من الأصوات أكثر من منافسه ، واضفى على لاني شرف وجود خال له بين نواب الجمهورية الفرنسية ، وهى صلة استطاع شبان كثيرون أن يستغلوها للثراء ، أما لاني فكل ما كان يمكن أن يتوقعه هو مزيد من فواتير حسابات الطعام والخمر التى استهلكت فى حفلات فوز خاله فى المطاعم .

- ٤ -

وكان آل بوميروى نيلسون قد ذهبوا الى لندن حيث استعان ريك بخرج مسرحى ومدير مالى ، وذهب آل بد وآل روبن زائرين الى « ليه فوريه » حيث كانت اميلى سترزورث قد وصلت لتوها ، وعزف لها هانسى وبيس ، ثم عندما شغل لاني مع بيس بالتدرب على معزوفات ثنائية على البيانو اختلت ايرما بمضيفتها لتسألها النصيح فى معضلات زوج وردى (اشتراكي) ونسيب أحمر (شيوعى) . وكانت مسز سترزورث دائما متفتحة الذهن فى المسائل السياسية ، فسمحت لاصدقائها وضيوفها أن يقولوا وان يعتقدوا ما يشاءون ، وكانت تكتفى بوصفها ربة صالون بتوجيه دفة الأحاديث بعيدا عن المشاحنات . وها هى الآن تقول لها أن

العالم بسبيله الى التغير فيما يبدو ، فمنذ الحرب وجد السادة – والسيدات أيضا – مزيدا من العناء في ابقاء المناقشات السياسية داخل نطاق المجاملة المهذبة ويبدو أن هذه الظاهرة بدأت بنشوب الثورة الروسية التي كانت مسألة بعيدة عن التهذيب كل البعد . وعلقت اميلي عليها بقولها : « فعليك اما أن تكونى معها أو عليها ، وإيا كان اختيارك لا يمكنك بعدئذ أن تتسامحى مع أى انسان فى المعسكر الآخر . » فقالت إيرما : « مشكلة لانى انه مستعد للتسامح مع أى انسان ، ولذا تجدينه دائما واقعا تحت ضغط . » فأجابتها صديقتها : « لقد راقبتة وهو غلام صغير ، فبدأ لى عذبا جدا حبه لاستطلاع أفكار الناس وجهده لفهمهم . ولكن هذه المزية من الممكن – كائى مزية – أن تصل الى حد التطرف . »

وكان لانى قمينا أن تحمر أذناه لو انه سمع هاتين المراتين تفكان أجزاءه ثم تحولان تجميعهما ثانية على حسب مشيئتهما . وكانت اميلي الحكيمة العطوف – التي كانت المسئولة عن زواجه – تريد أن يستمر ذلك الزواج موفقا ، ولذا دعت ضيوفها الشبان للاقامة لديها فترة كى يتسنى لها سبر غور هذه المشكلة ونبهت الزوجة الشابة الى أن الحذر والكياسة ضروريان ، لأن الرجال مخلوقات عنيدة وهم لا ينظرون بمودة الى محاولات توجيههم وتحريكهم . ان تسامح لانى مع الحمر والورديين متأصل فى عطفه على العذاب ، وان إيرما حرة أن يقل حبها له لو أن هذه الصفة نزعته من فطرته . فقالت إيرما : « لست أبالى أن يتبرع بالمال لو انه لم يقابل مثل هؤلاء الناس البشعين ، وكل هذا العدد العديد منهم ! » فأجابتها : « انه مهتم بالأفكار ، ويبدو أن الأفكار فى هذه الأيام تنبع من الطبقة الدنيا ، وقد لا يعجبك أو يعجبني هذا ، ولكن الواقع أنهم يحطمون الآن البوابات ، ولعل من الحكمة أن نسمح لبعضهم بالدخول أحيانا . »

وكانت إيرما مستعدة أن تتجشم ايما عناء فى سبيل فهم زوجها ودوام الترفيه عنه ، فحاولت أن تكتسب أفكارا جديدة ، بيد أنها كانت تريد لها أفكارا مأمونة ذات صلة بالموسيقى والفن والكتب والمسرحيات لا بالسياسة والاطاحة بالنظام الرأسمالى . وكانت بطريقتها فى التعبير تقول : « مايسميه بالنظام الرأسمالى » ، كأنما هى غلطة فى التكتيك أن تعترف بوجود شيء كهذا . وقالت : « لقد تأكد عندى أنه لن يهتم بأصدقائى فى نيويورك ، ولكنه يتأثر كثيرا فيما يبدو بطراز الناس الذين يلتقى بهم من معارفك ، فلو أريتنى كيف أنمى صلتى بهم قبل فوات الأوان ، ذلك أنه ان أمعن فى صلاته بالاشتراكيين والشيوعيين فلن

يرضى المحترمون من الناس أن تكون لهم به صلة . » فقالت اميلي باسمة :
« أشك في أن هذا سيحدث ، فسوف يتسامحون معه اكراما لك . ثم
انهم يتسامحون عادة مع الأمريكيين ، فالمفروض أننا قوم فيهم شذوذ ،
والفرنسيون يجدوننا مسلمين ، على نحو ما يجد لاني أصحابه الحمر
والورديين . »

- ٥ -

ولم يحط لاني علما بهذا الحديث أو بغيره من الاحاديث التالية من
قبيله ، بيد أنه فطن - وليس ذلك لأول وهلة في حياته - لاحداق أذرع
نسوية به ، باذلة شيئا يسيرا من الضغط في اتجاه يبعد عن اتجاه
آخر . لم يحس كوعا نسائيا ينغرس في أضلاعه ، بل ذراعين ناعمتين
تطويانه فيشعر بالدفء ، وربما شعر بمس شفاه أو همس بكلمات تدل
من قبيل حبيبي وعزيزي وأسماء أخرى من نداءات التحبيب التي تبدو
في الطباعة سخيفة ، وتبدو سخيفة في السمع أيضا مالم تكن صادرة عن
الشخص المختار . ولم يسمع قط : « دعنا لا نذهب الى هناك يا عزيزي »
بل يسمع بدلا من ذلك : « فلنذهب الى هنا يا عزيزي » و « هنا ، دائما
مكان له صلة بالموسيقى أو الصور أو الكتب أو المسرحيات ، ولا صلة
له بتقويض النظام الرأسمالي المزعوم أو الموهوم . »

وبارشاد اميلي عرفت ايرما أنها ارتكبت خطأ بتثبيط جهود لاني
كمن يكون خبيرا فنيا . وبقينا انه من السخف في الظاهر أن يحاول المرء
كسب مزيد من المال ولديه كل هذه الثروة ، ولكن معتقدات الرجال
التحكمية لا بد من احترامها ، فهم لا يحبون أن يمدوا أيديهم الى زوجاتهم
للحصول على المال ، ويعتبرون من أوليات الكرامة أن يكسبوا على الأقل
نفقاتهم الشخصية . وقررت ايرما أن تأثير سلطان كرتيزي على حياة
زوجها ممتاز ، وكانت حتى الآن تنظر اليه على أنه خادم من مستوى أعلى
من الخدم البادين أما الآن فقد قررت أن تعامله معاملة الصديق .

وقالت مقترحة على زوجها : « دعنا نتلبث في باريس قليلا يا عزيزي ،
فانا في الحقيقة أريد أن أفهم شيئا عن الصور ، وانها لمتعة كبيرة أن نانس
براي زلطان . »

وبطبيعة الحال تأثر لاني بهذه العلامة الدالة على الاذعان ، وزارا

المعارض الفنية التي يبدو أن عددها في باريس لا نهاية له . وكانت ثمة أيضا بيوت خاصة بها مجموعات ، وزلطان لديه المفاتيح السرية التي تفتح أمامه الأبواب هو ضيوفه . وسرعان ما اكتشفت إيرما أن بوسعها الاستمتاع بالنظر الى الاعمال الابداعية الجميلة ، وكانت تركز انتباهها وتحاول أن تفهم النقاط التي يشرحها زلطان : منحنيات الجبال أو أشكال الاشجار التي تقيم التوازن في المنظر الخلوى ، والمفارقات بين الألوان في الصور الداخلية ، وطريقة وضع الأشكال وترتيب الخطوط بحيث تقود العين الى السمة الرئيسية . أجل ، هذا مثير للاهتمام ، ولئن كان هذا مايميل اليه لاني ، فسوف تميل اليه زوجته أيضا . ان الزواج - فيما سمعت - عملية « يانصيب » ، وعلى المرء أن يتقبل نصيبه المقسوم بروح طيبة .

- ٦ -

وقال لاني : « بيت زهاروف في شارع هوش يضم بعض لوحات بوشيه المرحلة الزاهية ، وليس من المنتظر أن يكون هناك ، ولكن الخدم يعرفونني ، ولذا لست أشك في أننا سنستطيع الدخول » .

وتوجه ثلاثتهم الى القصر المشيد بالحجر الابيض ، وصناديق الزهر المغطاه بالزجاج في نوافذه حافلة بالازهار ، وكان كبير الخدم المترنح لم يزل قائما بالعمل ، والصور الجميلة لم تزل معلقة في حجرة الاستقبال حيث أحرق السير بازيل أوراقه الخاصة وأشعل النار في مدفئته . وقال كبير الخدم ان سيده في القصر الريفى وقلما يحضر الآن الى المدينة ، ولكن لا أحد يدري متى يحضر وهو مثابر على العادة التي ظلت مرعية منذ عرفه لاني ، الا وهى اعداد عشاء كامل كل مساء يكفى له ولبضعة ضيوف . فان لم يحضر حتى ساعة معينة أكل الخدم مايشاءون وأعطوا الباقي للفقراء المستحقين . وكانت أزهار البيبلومن والبيزار التي تحبها الدوقة لم تزل ناضرة في حديقتها بعد مرور خمسة عشر عاما على اطلاقها لاني عليها . وكانت قد قالت له : « ان لها نوعا خاصا بها من الخلود » . وقد كررت على مسامعه هذه الكلمات امرأة بولندية عجوز في « مثرث » ، يوم كانت تعيش في حجرة بعمارة في الشارع السادس بنيويورك ، وقطارات الترام المعلقة تمر بنوافذها في جلبة صاخبة .

وفى قصر بالنكور الريفى لوحات للاسباتفة القدامى تستحق المشاهدة ، فاتصل لانى تليفونيا واتفق على موعد لاجتماع زوجته وصديقه ، وقادهما بالسيارة الى هناك فى يوم شامس بهيج ، واستقبل الفارس الكومندر والضابط العظيم الجماعة الصغيرة بكل علامات المودة . وكان قد اكتشف ان زوجة لانى عطوف ، واى شيخ وحيد يقدر اهتمام امرأة شابة جميلة بشأنه . واراهم مالمديه من لوحة دافيد الى لوحة فراجونا الى لوحة جويا ، الى لوحات انجر ولوحات كورو . وهذه ايضا لها نوعها الخاص بها من الخلود ، يتمثل فى قدرة سحرية على ايقاف الحياة فى نفوس من ينظرون اليها . وكان زهاروف قد قال للانى انه سثمها ، ولكن يبدو الآن ان نيران اعجاب هؤلاء الشبان بها قد اذكت مما كان خابيا كالرماد من اعجابه .

وما كان ليفوت الخبير المجرى ان يقول شيئا ذا بال حول كل صورة ، ولم يفت زهاروف ان يرى صواب كلامه . وتحدثوا عن الاثمان ، وهو امر يهمه هو ولانى معا ، وله اهميته عند زلطان ، فالمرء لا يمكن ان يدري ماذا تتمخض عنه صلة من الصلات . وقال لانى : « هذا هو الرجل الذى علمنى معظم ما أعرفه عن الفن » فقال زلطان وقد تضرع وجهه دما من السرور : « أيعقل هذا بالنسبة لريبب مارسل ديتاز ؟ ! » .

وتحدثوا عن ذلك الرسام الذى كان زهاروف قد سمع به ، ووجه اسئلة وقد سقطت فى عقله بذرة فكرة وشرعت فى الانبات ، فقد تكون هذه هى الوسيلة للحصول على مزيد من وقت السيدة سيزنسكى ان يشتري لوحة من رسم ديتاز ! » .

وقدم الشاى فوق مسطح من العشب أمام القصر ، وكان المنظر الجميل يتألف من حدائق منسقة وغابة بعيدة ، ولما علق لانى عليه قال زهاروف : « لقد اختارت زوجتى هذا المكان فاشتريته من ليوبولد ملك بلجيكا » . ولم يزد ولكن لانى كان يعرف القصة ، وأثناء العودة بالسيارة الى باريس امتع صاحبيه فى الرحلة بالتفاصيل اللاذعة ، فملك البلجيكيين كان رجلا طويلا فخما ذا لحية عظيمة بيضاء مربعة ، وقد ألف ارتياد مسالك باريس الظاهرة والخفية بحثا عن قطع شهية من اللحم الانثوى ، فوقع العاهل ابن الخمسة والستين عاما ذات مرة على فتاة فى السادسة عشرة شقيقة احدى شهيرات انصاف الحرائر فى المدينة ، وأرسل قوادة تبتاعها له ، وأخذها لتعيش فى المجر فترة وجن بها غراما وأعادها الى

باريس واشترى لها هذا القصر ليكون بيتا لها . ولم يكن راضيا عنه بل أصر على إعادة تشكيل جانب كبير منه ، وحلم سقف مخدع السيدة وأعاد بناءه بارتفاع طابقين كأنه كنيسة ، وتكلفت الستائر المقامة على النوافذ الأربع المواجهة للفراش عشرين ألف فرنك ، وغطاء الفراش من المخمرات الانجليزية النقش تكلف مائة ألف وعشرة آلاف فرنك ، من فرنكات ما قبل الحرب ! وقاعة حمامها شيد من الحجر السماقي المسط وأما حوض الاستحمام فمن الفضة ، وفي البدروم حمام سباحة من الموزايكو الذهبي . وتساءل لاني الذي لم يستحم هنا قط هل احتفظت الدوقة المركزية الحريصة على اللياقة والسداد بتلك الافانين من الأبهة البيزنطية .

- ٧ -

ومن البيوت الأخرى التي زارها الثلاثي بيت دوق بلومون في المدينة ، وهو سليل أسرة فرنسية من الأسر النبيلة القديمة وقد تزوج ابنة أحد ملوك قطعان الماشية في الارجنتين وبذلك تسنى له أن يعيش في أبهة أسلافه ، ويقع القصر على ناصية شارع بالقرب من حديقة مونسو ، وله واجهة مهيبة من الرخام الأبيض وبه نحو ثلاثين حجرة كثير منها فسيح جدا ، وهو مزين بتلك الأبهة التي نماها الفرنسيون على مر الاجيال ، فكل قطعة أثاث ، وكل قطعة رياش وتمثال وزهرية جديرة بدراسة مستقلة . فهذا صليب من الكريستال به نقوش تمثل تذكارات مقدسة من الميناء يرجع الى القرن السادس عشر ، وتلك مائدة كتابة مطعمة من عهد لويس السادس عشر ، وهذه قدور زنجبيل لازوردية نصف شفافة من الصين القديمة ، وهذا القبيل من الاشياء ترفع زلطان كرتيزي الى سماوات النشوة . والقصر في مجموعه أشبه بمتحف ، وهذا شيء لا يثير أحدا في فرنسا ، وقد يكون له نظير في لونيغ آيلند أيضا .

وكانت الاسرة على سفر ، والاثاث مغطى لحمايته من التراب ، ولكن زلطان يعرف القصر الذي كان على يقين من هبة سخية فعرض على أنظارهما كل شيء أبدى اهتماما به . وخطرت لايرما فكرة مؤداها أن الكساد ربما أدرك سوق الماشية في الارجنتين ، واستفسرت عن امكان تأجير المكان ، وكان الرد أن في وسع السيدة الرجوع الى وكيل الدوق ، ورجعت ايرما اليه فطلعت ان في وسع أسرة موثوق بها أن تستأجر هذا

«القصر مقابل مليون فرنك سنويا . فصاحت ايرما : « ياله من مبلغ زهيد يالانى اقل من اربعة آلاف دولار » فسألتها : « ولكن ماذا عساك تصنعين به ؟ » فأجابته : « أفلا تحب أن تعيش فى باريس ويتاح لك استضافة أصدقائك ؟ » فقال : « ولكن لديك فيلا أبيض فعلا ! » (يعنى أن لديها قصرا باذخا نادرا كالفيلا الأبيض) . فقالت : « كن معقولا يا حبيبى وواجه الواقع . أنت لا تحب شور أكرز ولا من يأتون اليها ، فأنت تريد أن تعيش فى فرنسا » فقال : « ولكنى لم أطلب قط قصرا ! » فقالت : « أنت تريد أن يكون أصدقائك من حولك ، وتريد أن تصنع لهم شيئا ، وقد ظلمت طول حياتك تأخذ مأخذ التسليم أن يقوم أحد بالضيافة ، وتستفيد أنت منها . انه يبهجك أن نذهب الى « البلوطات السبع » ونقابل المثقفين ورجال الفكر . وتسمع مشاهير الموسيقيين ، وتسمع الشعراء يقرأون أعمالهم ، ويبدو أنك تخال هذه المباحج تنمو على الأشجار ، وأنت لا تكلف نفسك قطف الثمرة ، فهى تاتيكم مشدبة حنسة وتقدم اليك وسط قطع الثلج ! ألم يخطر لك أن صحة اميلى آخذة فى الانحطاط ؟ وانك يوما ما لن تجد أمك ، أو صوفى ، أو مارجى ، وسيكون اعتمادك كله على ماتعلمته زوجتك ! » .

وتبين له أنها فكرت فى الموضوع طويلا ، وخطر له أنها استشارت السيدات الأخريات ، وهن بطبيعة الحال وافقن ، لأن ذلك سيتيح لهن متعة طيبة ، واعترض فى وهن : « ستحملين على كاهلك عبئا ثقيلا . » فقالت : « لن يكون الأمر سهلا فى بلد أجنبى ، ولكنى سأجد العون وسأتعلم . ستكون هذه مهنتى مثلما كانت مهنة اميلى . » فسألتها : « وماذا أنت صانعة بشور أكرز ؟ » فقالت : « فلنجرّب هذا المكان عاما ، ولعلنا ان أحبيناه نستطيع أن نشتره ونبيع شور أكرز . أو ان كانت أسمى تريد مواصلة الإقامة هناك ، ففى وسعها أن تنقص عدد الموظفين والخدم . وان استمر الكساد فانه سيسر الخدم أن يعملوا نظير قوتهم واىوائهم ، وسيكون ذلك عدلا . » فسألتها : « ولكن هبى دخلك استمر فى التناقص يا ابرما ؟ » فأجابته : « ان كان العالم سينتهى ، فمن الذى يستطيع أن يتنبأ بما سيفعل ؟ ! وعلى كل حال لن يضرنا ان يكون لنا رهط من الأصدقاء . » .

وكان ماتقترحه تسوية مضمونها أن تعيش في فرنسا كما يريد ، ولكن بحسب مقاييسها هي • ولكن يوقفها عن اتباع تلك المقاييس يجب أن يقول لا بصراحة ، وهو ليس من حقه أن يقول لا ، فالمال مالها ، والعالم أجمع يعلم ذلك •

ولم تكن فكرة المعيشة في باريس شيئا جديدا كل الجلة بالنسبة للاني بد ، فهو قد قضى شتاء بأكمله هنا أثناء انعقاد مؤتمر الصلح ، وقضى فيها شتاء آخر في فترة الحياة الثلاثية مع ماري دي بروين وزوجها وكانت باريس تقدم لروادها جميع أنواع المتع الفنية ، وموقعها متوسط ، والطرق والسيارات صارت من التقدم بحيث تستطيع الوصول من هناك الى لندن أو جنيف أو امستردام في بضع ساعات ففي وسعها أن يستقلا سيارتهما في الصباح ليصلا الى بيانفيني عند هبوط الليل • وقالت ايما « سيكون ذلك في الحقيقة نوعا من المقايضة • »

وقد أدهشه ما أبدته من حمة في الاقبال على العمل ومن سرعة في إنجاز الموضوع • فهي ابنة ج. باراماونت بارنز وقد ألفت طول حياتها سماع القرارات تتخذ والأوامر تصدر • وبمجرد أن تفوه لاني بالموافقة جلست الى التليفون واتصلت بجيري بندلتون في كان وسأله « كيف حال الأعمال ؟ » ولما جاءها الصوت والمرح المألوف بأن الأعمال ميتة وموسدة التراب سأله هل يجب أن يحظى بعمل ، فأجابها انه يتلطف على ذلك ويثب اليه وثبا • فقالت : « اذن عليك أن تثب الى قطار الليل السريع ولا تجعله يفلت من قبضتك » فاعترض لاني : « ولكن يا حبيبتي ! انه لا يعرف شيئا عن كيفية ادارة قصر ا » فأجابته : « انه أمين ، وقد عاش في فرنسا خمسة عشر عاما وعاون في اعمال كثيرة ولن يطول به الوقت كي يتعلم أسرار العمل • »

ولما وصل الملازم السابق الأحمر الشعر ابن كنساس واجهته بالموضوع فهو سيصبح ناظرا للقصر أو مراقبا عاما مثل الهرمايسنر في شتوبندورف • ونصحته قائلة : « تششمنخ وأظهر للناس قيمتك » وكان عليه أن يستخدم مديرا للقصر من الدرجة الأولى ورئيسا للختم يعرف ما يجب أن يصنع وما لا يجب • وسوف يكون أجره كافيا بحيث يتمكن من شراء سيارة خاصة يذهب بها لرؤية أسرته بين الحين والحين •

وكان جبرى بادلتون قد نهض ذات مرة بالاشراف على تثقيف لاني يد من غير اعداد سابق ، وها هو الآن تتاح له فرصة أخرى مماثلة . فلا وقت لديه حتى لقراءة كتاب عن واجبات المراقب العام ! بل يجب أن ينبرى للعمل فوراً لأن الموسم يوشك أن يبدأ . وإيرما تريد ما تريد حينما تريد . وثم الجرد المستفيض لمحتويات القصر وروجعت القوائم ووقعت كل صفحة منها ، وثم توقيع عقد الايجار وتسليم المبلغ وتسليم المفاتيح . وكان لكبير خدم اميل أخ يحترف هذه المهنة أيضاً ويعرف كل شيء تجب معرفته عن مجتمع باريس . ويعرف أيضاً خدما يكفون للقيام بالأعمال الطارئة الصاجلة فاتوا ورفعوا الأغطيه التي تمنع التراب عن الأثاث والرياش وأعدوا كل شيء بسرعة أمريكية .

وانتقلت إيرما وزوجها الملكي ومراقبها العام الى بيتهم الجديد . ولم تنقض بضع ساعات حتى كانت الصحف قد علمت بالخبر ، وأخذ جرس الباب يرن وأنوار مصابيح آلات التصوير الخاطفه راحت تنفجر . وتبين لاني أن زوجته حصلت مرة أخرى على قيمة أموالها فهاهما قد عادا الى مجتمع المقهى وقد تركزت عليهما الأضواء ، فباريس توشك أن تظفر بمضيفه جديده شهيره . وبليت سلالم القصر الرخاميه من وقع أقدام السائقين والحجاب الذين جاءوا يتركون بطاقات الزياره التي تحمل أبرز الأسماء ، وجرس المدخل الجانبى يرن معلنا حضور تجار الجواهر والحياطين وتجار الأزياء . وقالت إيرما : « ينبغي أن تحضر أمك وتساعدنا » فكتب اليها لاني على الفور ، وقالت فرس الحرب العوان : « ها ها ! » وقد شمت رائحة الوغى عن بعد . ولو أنها دعت احدى الحماطين دون الأخرى لكانت أهانة قاتله . ولذا أرسلت إيرما برقيه الى شور أكرز ، وعلى الفور نفضت تلك الفرس الأسن والأعظم خبره من أفراس الهجوم جميع خططها وأستقلت أول باخره . بل أن اميل حضرت الى المدينه لقضاء بضعة ايام وجاءت معها بقوائم المدعوين وعلاماتها السرية ، وجلست فيدرس الى جوارها وأمامها كراسة اختزال لتجمع درر المعلومات التي تتساقط من شفتى أعظم مضيفه أمريكية فرنسيه .

وقصارى القول أن لاني بد ألفى نفسه وسط دوامه اجتماعيه . وكان حرياً أن يعتبر نفوره منها جفوة قاسية ، فهاهن السيدات مره أخرى يتولين قيادة حياتهن ، وما يرينه ملائماً يفعلنه . فهو يصفى لكلامهن ويقابل من يأتين لمقابلته . وإن أراد أن يعزف على البيانو فيجب أن يكون ذلك في أوقات متقطعة فيما بين الارتباطات الاجتماعيه ، أما جلوسه في مكتبة

فخمة ودفن نفسه بين الكتب فحماقة واستيحاش وإناية واستهانة
بجميع أولئك الذين يريدون تقديم تحياتهم وتقديرهم لمستأجر كل هذه
الأيام .

- ٩ -

أحدثت نتائج الانتخابات هزة هائلة بين العناصر المحافظة في
فرنسا ، فقد كسب حزب جسي بلاكلس مقعدين فقط ، أما حزب ليون
بلوم فكسب سبعة عشر مقعدا ، في حين كسب الراديكاليون ثمانية
وأربعين مقعدا . وليس لهذه الكلمة المعنى الذي لها في الولايات المتحدة
بالتأكيد ، فالراديكاليون هم حزب المزارعين وصغار رجال الأعمال ، ولكن
من المنتظر أن يتعاون مع الاشتراكيين فتحظي فرنسا بحكومة يسارية
تشوبها عفونة رديئة من التمسك بالسلم ، والأرجح أن تقدم على تنازلات
خطيرة للألمان . ودب الذعر الشديد في الجماعات التي كانت تحكم فرنسا
من قبل ، وهم جماعات ممثلة الصناعات الكبرى ورؤوس الأموال
الضخمة ، أولئك الذين يطلقون عليهم هناك في الأوساط الشعبية اسم
« جدار المال » .

وكان من بين واجبات لاني في باريس أن يظفر على اتصال بانسبائه
السابقين آل دي بروين . ولما كان قد صار له بيت ملائم خاص في باريس
فقد دعاهم للعشاء ، وحضر الأب والولدان وزوجه دنيس الابن الشاب .
ولم تكن إيرما قد التقت بهم قبل ذلك إلا أنها كانت قد سمعت عنهم
الكثير ، وشعرت أنها صارت فرنسية بصورة ساحرة وهي ترحب بأسرة
عشيقة زوجها السابقة . أما هم فقد أخذوا المسألة من جانبهم فيما يبدو
على أنها طبيعية جدا ، مما جعلها تبدو ذات صبغة فرنسية أشد . وكانوا
أناسا على جانب كبير من الثقافة العالمية وأدب في السلوك مستحبه
فسرت إيرما بالمعاونة في تنفيذ الوعود التي كان لاني قد قطعها لتلك
المراه على فراش الموت ، وهي التي صنعت الكثير جدا لأعداده كي يكون
زوجا صالحا مرضيا .

وتحدثوا في السياسة وفي الأحوال العالمية . ولثل هذا الحديث أعد
هذا البيت الفاخر ، حتى لا يضطر لاني لمقابلة أصدقائه في المقاهي المكتظة
حيث يحدث التدافع بالمناكب ولا يكاد أحدهم يسمع صوت الآخرين ،

فهنا يجلسون بكل راحة ويمبرون عن آرائهم على مهل بوقار . وكان في مرجو إيرما أن تتخذ الأحاديث شيئا من جو الأشياء المحيطة بهم ، وقد بدأ ذلك صحيحا بالتأكيد فيما يختص آل بروين ، فقد كانوا أربعتهم من الوطنيين وفي حالة قلق شديد من اتجاه البلاد الجديد ووضعها في العالم .

وقال مالك الأسطول الكبير من سيارات الأجرة متحدثا بشيء من التردد الى المضييفة القادمة من وراء البحار « أخشى الا يكون لدى أبناء وطنك تصور واضح للوضع الذي وضعوا بلادى فيه » فأجابت إيرما بأقصى ما استطاعته من التعبير بالفرنسية في لهجه رسمية : « خذ حريتك كامله في الكلام بصراحة ياسيدى » فقال : « هناك حاجز طبيعي يستطيع وحده أن يحمى هذه البلاد من غزو البرابره ، وهذا الحاجز هو نهر الراين . وكان في نيتنا أن نستولى عليه ونحصنه ، ولكن رئيسكم فيلسون (فهكذا ينطقون اسمه في فرنسا مع اخراج حرف النون خفيفا ومن الأنف) أجبرنا على التراجع من هناك الى أرض يكاد يستحيل الدفاع عنها ، بالفا ما بلغ اجتهادنا باقامة خط ما حينئذ . وقد أقدمنا على ذلك التنازل بسبب تعهد رئيسكم باقامة اتفاقية للحماية ضد المانيا ، بيد أن الكونجرس تجاهل هذه الاتفاقية ، وهكذا نقف اليوم مجردين من وسائل الدفاع تقريبا . والآن ها هو رئيسكم أوبا (فهكذا ينطقون هوفر في فرنسا) قد أعلن تأجيلا جبريا لدفع تعويضات الحرب ، وبذلك انتهت مسألة التعويضات ولا نكون قد حصلنا تقريبا على شيء . »

واراد لاني أن يقول : « لقد حصلت على خمسة وعشرين بليونًا من الفرنكات على أساس مشروع داووز ، وقد غصت بالمنتجات أسواق العالم ، الا أنه تعلم في بيت دنيس أن كل مناقشة معه عقيمة ، ولن تكون أقل عقمًا في قصر الدوق دي بيلومون ، وهو أحد شركاء دنيس الماليين . »

وسالت إيرما محاولة أن تكمل تعليمها السياسي : « الا تشمر بان من الممكن اطلاقا الثقة بالجمهورية الألمانية ؟ » فأجابها : « عندما يقول المرء المانيا اليوم ياسيدتى فهو يعنى بروسيا . والنية الطيبة في نظر هؤلاء الناس كلمه سخريه واستهزاء . وفي نظر رجال مثل تيسن وهو جنبرج ومقرضى النفوذ من اليهود ليست كلمة الجمهورية الا شكلا من أشكال البموية . وأنا أتكلم بصراحة لأن حديثنا محصور في نطاق الأسره كما كان من قبل . » فقالت المضييفة : « بالتأكيد » فاستطرد : « ان كل تنازل نقدم عليه يقابله من جانبه طلبات أخرى . لقد انسحبنا من الراين

ولم تعد لنا أى سيطرة عليه ، ولذا فهم يبتسمون خلسة ساخرين ويمضون فى إعادة التسليح . وقد انتظروا كما رأيت الى ما بعد انتخاباتنا حتى لا يفزعونا ، فلما رأوا انتصار اليسار نبذوا مستشارهم الكاثوليكي وصارت لهم وزارة من البارونات كما تسمى بحق . وان كان فى أوربا كلها رجل أقل جداره بالشقة من فرانزفون بابن فلسست أدري أين أجده .

ولاحظت ايروما انك تستطيع أن تدعو وطنيا فرنسيا الى أفخم البيوت وتقدم له أفضل العشاء ، ولكنك لن تستطيع بذلك أن تجعله سعيدا تمام السعادة . وأرادت أن تمارس دورها الجديد بوصفها ربة صالون فادخلت الشباب فى الحديث ، الا ان هذا لم يحسن الموقف اذ اتضح ان شارلو المهندس الشاب منضم الى : « الصليب النارى » وهو من المنظمات الوطنية التى لا يمكن أن تقبل تسليم الوطن للحمر ولا للبروسيين . والصليب النارى يستخدم وسائل الاعلام والازياء العسكرية والاستعراضات والأناشيد كما يفعل الفاشيون فى ايطاليا والنازى فى ألمانيا . ولكن لاني قال له : « أخشى يا شارلو انكم لن تصلوا الى نجاح كبير لانكم لا تبذلون مثلهم الوعود الكثيرة للعمال » فقال الشاب الفرنسى بترفع : « انهم يقولون للناس الاكاذيب ، أما نحن فرجال شرفاء » . فتنهد صديقه القديم وقال : « أجل . ولكن الى أى مدى ينجح الشرف فى السياسة ؟ » فأجابه : « انه لا يصل الى شئ على الاطلاق فى هذه الجمهورية المنحلة ، ولكننا شرعنا فى تحويل فرنسا الى وطن للرجال الذين يعنون ما يقولون » .

ولم يقل لاني بعد ذلك شيئا . فقد أحزنه ان يرى ربيبيه - المأمروض انهما شئ من هذا القبيل - يسيران فى طريق الفاشية ، بيد انه لم يكن بيده أن يصنع شيئا فى سبيل منعهما ، وهو يعلم ان أمهما كانت تشاركهما هذه الاتجاهات . فهما فرنسيان وطنيان ولن يستطيع أن يجعلهما عالميين ، ممن يسميهم « الاوربيين الصالحين » .

- ١٠ -

أما وقد حصل على جرعة كبيرة الى هذا الحد من الرجعية ، فقد صار لا بد له من جرعة أمل ، فقال لايرما ينبغى على فى الحقيقة ان أزور ليون بلوم وقد أدعوه للغداء فى الخارج . فهل يعنيك أن تاتى الى ذلك

«الغداء ؟» «فهمت» ولكن يالانى ، لاي شىء جعل هذا البيت ؟» فقال :
«لم يخطر لي انك تريد ان تستقبالي هنا .» فسألته : «ولكن يا عزيزى ،
لما بيت يكون هذا ان لم يكن فى مقدورك ان تحضر اليه اصدقاءك ؟»
فادرك انها مصممة على الانصاف فى تصرفاتها ، وخطر له انها بحثت هذا
الموضوع مع المضيفة اميلى وانها تنفذ البرنامج الذى رسمته لها . فان
كان لا بد لزوج المرأة منا ان تكون له رذائله ، فلنسمح له باتيان هذه
الرذائل فى البيت حيث قد يمكننا تخفيف حدتها وابقاؤها داخل حدود
معقولة . وليون بلوم بعد كل شىء زعيم ثانى حزب سياسى من حيث
الضخامة فى فرنسا ، وهو عالم وشاعر وكانت له ذات يوم ثروة . وفى
تلك الايام ، عندما كان شابا مشغولا بمسائل الجمال ، كان يكثر من
التردد على صالون اميلى . اما الآن فقد استبدل بمارسيل بروسست كارل
ماركس ، الا انه ظل سيدا مهذبا وصاحب ذهن متوقد . ومن الممكن
بال تأكيد دعوته للغداء ، بل وللغشاء اذا ما اختار المرأة المجموعة المدعوة
بعناية . وقد تأتى اميلى نفسها . فادرك لانى من ذلك الكلام ان المسألة
كانت قد نوقشت من قبل .

وتقبل الخير الذى ساقته اليه الآلهة ، وجاء الزعيم الاشتراكي
فجلس فى المقعد نفسه الذى شغله دنيس دى بروين من قبل . ولعله
شعر لذلك ببعض ذبذبات سيئة فقد راح يتكلم بلهجة حزينة جدا ، انه
فى غمار هذا الفساد الذى لا حد له يحاول ان يؤمن بالامانة . وفى غمار
القسوة الشاملة يحاول الايمان بالركة . فالنظام القائم على الربح ،
والصراع التنافسى الاعمى على المواد الاولى والاسواق يحطمان الحضارة .
وما من أمة تستطيع تغيير ذلك بمفردها ، بل يجب ان يعاون الجميع ،
الا ان أمة ما ينبغى ان تكون البادئة ، وصوت الحق ينبغى ان يسمح فى
كل مكان . وليون بلوم يتكلم بلا كلل فى مجلس النواب ويكتب
افتتاحيات يومية لصحيفة البوبليير ، ويتنقل مسافرا هنا وهناك مناشدا
وموضحا . وقد يفعل ذلك أيضا على مائدة الغداء عند صديق ثم يكف
ويعتذر باسمه ويقول ان السياسة تفسد سلوك المرأة المهذب كما تفسد
طباعه .

وهو رجل طويل القامة نحيل ويداه الطويلتان النحيلتان كيدي
فنان ، ووجهه نحيل حساس به شارب غزير جعله مصدر بهجة لدى
«الرسميين الكاريكاتوريين فى الصحافة الفرنسية» . وقد خاض معارك
وحملات ذات مرارة لا يصدقها العقل . لأن أنصار اليمين الفرنسى كانوا

يعتبرون ضغثا على ابالة أن يتخذ خصومهم يهوديا ناطقا بلسانهم ، مما جعل حركة العمل في نظرهم جزءا من المؤامرة اليهودية الدولية ، وزود الهجمات الفاشية على فرنسا بسم فعال . وقال ذلك السياسى : « وقد يكون من الخطأ بعد كل شيء أن يحاول خدمة القضية . »

وهو ساخط عن النتيجة التي أحرزها حزبه في الاقتراع ، فكسب سبعة عشر مقعدا غير كاف للنصر . وقال ان عملا جريشا فوريا قد صار لا بد منه ان أردنا تجنب أوربا فظائع حرب اخرى . وقال أيضا ان الجمهورية الالمانية لا يمكن أن تعيش بدون معاونة سخية من فرنسا . «وزارة البارونات» هي الرد الطبيعي على وزارة المتعصب بوانكاريه ، وعلى وزارة الفشاش لافال . ان بلوم يناصر نزع السلاح الحقيقي لجميع الأمم بما في ذلك فرنسا ، وهو مستعد لمجابهة انقسام في حزبه حتى لا يلين في هذا الصدد أو يتراجع . وقالت ايرما بعد الغداء : « لن ندعوه مطلقا مع آل بروين في وقت واحد ! » .

- ١١ -

ومنذ اتخذت ايرما قرارها باستئجار هذا القصر صار ذهنها مشغولا بمشكلة اقامة حفله تحضرها باريس كلها ، لتكون بمثابة تدفئة للبيت ، فقد قال لانى أن بناء بهذا الحجم من الرخام الابيض يحتاج الى قدر كبير من المودة للتأثير في درجة حرارته . وأرادت زوجته أن تفكر في شيء مبتكر ، والحفلات متشابهة جدا ، فالناس يأكلون طعامك ويشربون خمرك - ويسرفون في ذلك معظم الاحيان - ويرقصون أو يصفون لمغنية سمعوها مرارا كثيرة في الاوبرا وسمعوها . واستشهد لانى بعبارة قديمة « ثرثرة والتهام ودندنه » .

وأصرت ايرما على ان باريس كلها لا بد أن تتوقع من أمريكا شيئا براقا من طراز جديد لا نظير له . ألا يسعها أن يفكرا في شيء ؟ وأدلى الزوج باقتراحات شتى : أن تستقدم فيلا من السيرك يقوم بعرض العابه ، أو جماعة من لاعبي الاكروبات العرب كان قد شاهدتهم في ملهى ليلي ، فشعرهم الاسود طوله قدما ، وعندما يؤدون جملة شقلبات في قفزة واحدة يهدمون البيت . فقالت له زوجته : « لا تكن سخيفا يا عزيزي » . ففكر في فكرة تضع حدا لجميع الافكار : « اعلنى عن جائزة بمائة ألف

فرنك لاحسن اقتراح مبتكر لنظام حفله . وسوف يجعلهم هذا الاعلان يتحدثون ويلغظون بك كما لم يسبق لهم أن يتحدثوا ويلغظوا . وكان يرمى الى الهزل بهذا الاقتراح ، بيد ان ايرما - لدهشته - اهتمت بالموضوع وتحدثت فيه وراحت تتخيل أنواع الاقتراحات التي يمكن أن تحصل عليها وما الى ذلك . ولم تكف الا بعد أن سألت اميلي فأكدت لها انها فكرة طيبة لشيكاغو لا لباريس . وحتى بعد أن طرحت ايرما هذا الموضوع من اهتمامها ظلت تنازعها نفسها اليه وتقول « أعتقد ان أبى كان حقيقا أن ينفذه . فهو لم يكن يسمح للناس بافزاعه من الاقدام على شىء » .

وتقرر أن تكون السهرة مما جرى به العرف ، فيأتى هانسى وبيس ويعرفان ، فمن دلائل الرقى أن يقدم المرء المواهب من أسرته الخاصة ، وأن تكون من أفضل المواهب . ولحسن الحظ ان صحف باريس لا تنشر شيئا عن الاعمال الشيوعية مالم تكن شغباً أو شيئا من هذا القبيل . ولذا لم يعرف الا القليلون ان هانسى ساعد على انتخاب زيس بلوك ليس لمجلس النواب . (وكان هذا المجلس قد انعقد بالفعل وأبى العضو الجديد لفخامة الأشياء المحيطة به أن تقلل من جرأته فأطلق اسطواناته القديمة وقد أصبح لها الآن مكبر صوت ضخم بحيث سمعت تهديداته ضد جدار المال فى تونس وتاهيتى والهند الصينية الفرنسية وغينيا .

وأخذ لاني يرقب كالمسحور زوجته الشابة وهي تؤدي الدور الذى اختارته لنفسها . ولم تكن قد بلغت بعد الرابعة والعشرين من عمرها ، الا انها ملكة ، وقد اكتشفت كيف يكون سلوك الملكات فلا قلق هناك ولا توتر ، ولا احساس بعدم الثقة بالنفس . ولانها أمريكية فقد استطاعت من غير توضيح بكرامتها أن تسأل رئيس الطهارة أو رئيس الخدم كيف يتصرف الناس فى فرنسا ، ثم تقرر هل تتبع هذه الطريقة فى بيتها أو لا تتبع . وكانت تتكلم بحزم هادى فتعلم الخدم بسرعة كيف يحترمونها . وحتى المراقب العام الجديد أخذ بشخصيتها وقال للانى : « بحق الشيطان ، انها لطاقة جبارة ! » .

ولما حل اليوم العظيم لم تتوفز أعصابها شأن مضيفات كثيرات فترهق نفسها بحيث لا تتمكن من الاستمتاع بانتصارها ، فلا تدخين متصل للسجائر ، ولا قهوة ولا رشقات من البراندى لتساعد على التماسك . وهي أيضا لم تلق المسئوليات على أميا أو حماتها ، فذلك يعتبر

سابقة سيئة ، بل قالت : « هذا بيتي وأريد أن أتعلم كيف أديره . » وكانت قد فكرت فى كل شيء سلفا ، وأمرت بأعداد قوائم ، ثم استدعت المشرفين من الخدم أمامها وراجعت ما تم انجازه ثم أصدرت اليهم التعليمات الحتامية . وكانت قد تعلمت كيف تحكم عليهم فى اسبوعين أو ثلاثة . فجبرى همام وكل ما يتعهد به فى حكم المنجز . وامبرواز كبير الخدم دقيق يقظ الضمير ولكن لا بد من تملقه . وسيمون المديرة قلقة الأعصاب مرتبكة تنقصها ممارسة السلطة . وفيذرست كانت دائما مغتله ويمكن أن ترتبك عند أى مفاجأة . وبعد أن راجعت إيرما كل شيء نعمت بنوم طويل بعد الظهر .

وفى نحو التاسعة مساء بدأت سيارات الليموزين اللامعة تدرج أمام القصر ، وارتقى تيار متدفق من المدعوين المتأنقين السلم الرخامى الأبيض المكسو ببساط عريض من المخمل الأحمر . ذكأنوا زبدة المجتمع الدولى الذى جعل مقر قيادته العليا فى عاصمة الأناقة فى العالم . وكان كثيرون منهم قد التقوا بإيرما من قبل فى نيويورك أو على شاطئ الريفييرا أو فى برلين أو لندن أو فيينا أو روما . وكان من بينهم غرباء وجهت اليهم الدعوة لمكانتهم الرفيعة وحضروا بدافع الفضول بالنسبة لوارثة يتحدث عنها الناس كثيرا ، بقصد مشاهدة ما أعدته للناس ، وكيف ستبدو ، وهم مستعدون لرفع أحد حاجبيهم والهمس خلصة عند أهون خطأ فى التفاصيل .

ولكن لم يكن ثمة موضع لنزاع ذى بال ، فجونو الشاب حسنة المنظر ، وأفضل الفنانين بذلوا جهدهم فى ذلك ، وطراز الزى السائد كان فى مصلحتها ، وهو طراز ارتد الى مراعاة الخطوط الطبيعية وإبرازها مع الارتفاع بالخصر ، وفتحة الظهر كانت منخفضة ، بل الواقع انه حيث كان ينبغي أن يوجد ظهر الثوب لم يكن لشيء وجود سوى إيرما نفسها . بيد ان ذلك كانت فيه الكفاية . وشعرها البنى الداكن كان مجموعات من التموجات أضفى عليها الشباب والصحة ، وثوبها المصنوع من الحرير الأزرق الشاحب بدا بسيطا الا انه تكلف مبلغا طائلا ، ومثل ذلك يصدق على عقدها الطويل من اللآلىء .

وكانت بنت ملك المشروعات العظام رقيقة بطبيعتها تحب الناس وتشعرهم بذلك . وقامت بالترحيب بضيوفها من غير تدريب ظاهر للمعيان ، لانها تجشمت أن تتعلم من هم أشخاص ضيوفها ، وان كانت

لقيتهم قبل ذلك تذكرت اين كان هذا وقالت لهم كلمة تدل على المودة .
وان كانوا غرباء افترضت انهم قدموا للترحيب بها فى باريس وشكرتهم
على مجاملتهم المهدبة . والى جوارها وقف شاب وسيم ، وهو «ولد طيب»
ابن أبيه - من اصحاب مصانع بد للاسلحة كما تعلم ، وهى مؤسسة
ضخمة فى أمريكا . وفى المؤخرة فيلق من نساء أكبر سنا هن الوالدتان
الطويلتان الوجيھتان ومسز شترزورث التى يعرفها كل انسان . وقصارى
القول ان كل شىء كان كما ينبغى من وجهة نظر جميع الناس .

- ١٢ -

وتقدم عازف فيولينا شاب متواضع المظهر وعزف بمصاحبة زوجته
سوناتا سيزار فرانك على الفيولينا ، وهى موسيقى فرنسية كتبها فى
باريس عازف ارغن مغمور ومعلم موسيقى عاش بينهم مجهولا الى ان
دهمته سيارة عامة فقتلته ، وهم الآن يكرمونه ويصفقون لمن يعزف هذه
الموسيقى . وعند طلب المزيد عزف هانسى مقطوعة هيرى كانى من تأليف
هوبوى ، وهى مقطوعة نارية عاطفية . ولما صفقوا له مرة أخرى ابتسم
وانحنى بيد انه لم يعزف شيئا بعد ذلك . وتقدمت زوجة اخيه راحيل
روبن التى لم يسمع بها أحد قط نحو البيانو وبمصاحبة لانى بد غنت -
فى حين تولى زوجها العزف على المزمار - أغنيتين ريفيتين كانت قد وزعت
موسيقاهما بنفسها . وكان صوتها راثقا وبدت العملية كلها عائلية بيتية
بحيث تتساءل أهم يعرضون أنفسهم أم يقصدون من وراء ذلك الى توفير
التقود . الا انهم بالتأكيد لم يراعوا التوفير فى الطعام والشراب ، وهذا
شىء له أهميته فى أية حفلة . وفى قاعة الرقص عزفت جوقة من الملونين
موسيقى الجاز . وفى الحجرات الاخرى كانت الزوجة الشابة والزوج
الشاب يتنقلان هنا وهناك لتجاذب اطراف الحديث مع هذا وذاك . وكانت
من بين المدعوين السيدة هلشتاين من العائلة المصرفية الدرية الشهيرة
ومعها ابنتها اوليفيا التى صارت الآن السيدة دى بروساى . وكان لانى
قد قال لزوجته : « كان من الجائز ان أتزوجها لو لم تبعث الى روزمارى
بإشارة تحذير فى اللحظة الحاسمة ! » فكان طبيعيا أن تهتم ايرما بالنظر
اليها ، فاذا هى فتاة من بنات أورشليم حسنة الشكل الا انها آخذة فى
البدانة ، وقالت ايرما فى نفسها : « أولئك النساء اليهوديات جميعا فيهن
استعداد للبدانة » .

ثم كانت هناك أيضا إحدى بنات زهاروف المتزوجات . وكانت يوما ما تتطلع الى ابن بد باعتباره مرشحا مناسباً للزواج بها ، وهناك كذلك السيد فور العجوز وهو مستورد خمور وزيت زيتون ثرى كان قد اشترى لوحات تمثل سيدات عاريات من زلطان . وثمة أيضا مهرجا رحالة يشتري السيدات أنفسهن ولكن من تاجر آخر ! وجراندوق روسى منفى وأمير ملكى من اسكندناوه ، واثنان من الادباء الشبان الصاعدين حتى لا تبدو الداعية متعالية . وكان لاني لطيفا فلم يطلب منها دعوة احد من الحمر أو الورديين ، وقال لها انهم ما كانوا ليقدروا هذا الشرف . ولم تكن ايرما بارعة الذكاء ، ولكن هذه ميزة فى نظر غير المنتمين ، فى حين انها الليلة بين المنتمين . فهي هادئة لطيفة رشيقة ، تحس وهي تجوس خلال هذه الصحبة الانيقة برجفات يسيرة من السعادة تعترىها . وتقول لنفسها : « لقد أحرزت الفوز . فالحفلة بمنازة راقية حقا » . ونطقت هذه الصفة الاخيرة بالفرنسية ، وهي من أوائل الكلمات الفرنسية التي تعلمتها . أما لاني ابن الثانية والثلاثين الذى سئم الدنيويات فقال فى نفسه : « ما أشق الجهد الذى يبذلونه جميعا فى التصنع والظهور بالمظهر الذى يزعمونه لأنفسهم ! ان العالم كله خشبة مسرح وجميع الرجال والنساء ان هم الا ممثلون » وكانت العبارة الاخيرة من أوائل ماثورات شكسبير التي تعلمها هو .

انه يعرف عن هؤلاء الممثلين أكثر مما تعرفه زوجته عنهم بكثير ، فقد سمع قصصا كثيرة من أبيه ومن أصدقائه رجال الاعمال ومن أمه وصديقاتها الانىقات ومن خاله الاحمر ومن بلوم ولونجيه وغيرهما من الورديين . فهذا المحامى عن لجنة مصانع الحديد الذى تكمن داخل جمجمته جميع أسرار السياسة المالية العليا ، وذلك المالى الذى يتحكم فى المدفوعات للبنوك الكبرى وتضم قوائم مأجوريه نصف أعضاء الحزب الراديكالى ، وهذا الناشر الذى أخذ ذهب القيصر قبل الحرب وصار الآن مدير مصانع سكودا وشنايدر كريسو ! من من الناس يمكن أن يحسد هؤلاء الرجال على أدوارهم المسرحية ؟ ان الرواية كلها تبدو محتملة فى نظر الممثلين لا لشيء الا لما يجهلونه عنها ، أو لانهم يلقون بالجانب البغيض الى مؤخرة رؤوسهم . وكان لاني بد وهو يخطو فوق أرض القاعات يؤدي بصورة مقبولة دور الامير زوج الملكة ويستمتع بنصف ذهنه بهذا الدور ، طى حين يتساءل بالنصف الآخر من ذهنه : كم من هؤلاء الضيوف يمكن أن يطبقوا الرقص ان هم علموا بما يزعم أن يحدث لهم بعد عشر سنين . الآن ؟

الفصل الثانى عشر

افراح فى مركز القيادة

- ١ -

كانت تجارب مسرحية « رشوة بدلة السهرة » تجرى فى لندن ؟
ولو ترك الامر لانى لكان قد ذهب الى هناك ليرقب كل لحظة من لحظاتها ،
بيد ان ايرما كان لديها فيلها الابيض الجديد ترعاه ولا بد لها من استخدامه ،
وينبغى ان تنقضى عدة اسابيع قبل ان تجد مسوغا للرحيل ومفادرة
مجموعة خدمها بلا عمل . اما الآن فلا بد لها من دعوة الناس للقدوم
لزيارتها فى اى ساعة ما بين الظهر ونصف الليل وكان المفروض انهما
تدعوهم للحضور لرغبتها فى رؤيتهم ، ولكن السبب الحقيقى انها تريد
ان يروها . وما دامت قد منحتهم ضيافتها فهي ملتزمة بقبول ضيافتهم ،
فهي دائما فى نشاط تحضر المناسبات الاجتماعية او تستعد لمناسبات
مقبلة . وهي دائما راغبة فى الصحبة ، فيصحبها لانى لانه تعود طيلة
حياته ان يفعل مالا يريد لان ذلك افضل عنده من رؤية ايرما المحبوبة وقد
خاب أملها او استاءت منه . اما زوجته فكانت حائزة على اقصى رغبة لها
بوقوفها فوق قمة الهرم الاجتماعى ، فماذا يعينها الهبوط عن هذه القمة
للتوجه الى لندن كي ترقب زمرة من الممثلين والممثلات يتدربون طول
النهار فى مسرح خال من النظارة ، وقد ارتدت النساء منهن بلوزات وخلع
الرجال ستراتهم فى الايام الحارة ؟ اما ان احدى اولئك النساء فيلبس
جراسن فامر لا يزيد من اهتمامها ، ويجب الا يدع لانى هذا الامر يزيد
من اهتمامه أكثر مما يعنى !

واقنع آل روبن الشبان بالبقاء فترة ، لانه يفضل صحبتهم كثيرا
على صحبة اولئك المتأنقين فيعزفون معا الموسيقى كل صباح وفى اوقات
مختلفة عندما تسمح بذلك الواجبات الاجتماعية . ولن يسمح لشيء
بالتدخل فى تمرين هانسى على الفيولينا ، فمن واجبه ان يتقن معزوفات
الكونشرتو الكبرى واحدة بعد الاخرى ، ومعنى هذا ان يثبت فى رأسه

مئات الألوف من النغمات مع طريقته الخاصة المحددة لأداء كل نغمة منها .
وما من أحد ممن يعيشون بقربه يستطيع مغالبة التأثير بتدقيقه الحارق
فى الأداء . وتمنى لانى لو أنه كان لديه مثل هذا الهدف لحياته شخصياً ،
بدلاً من نشأته متعطلاً متلافاً . أما الآن فقد فات الأوان طبعاً ، وفسد
حاله فساداً ميئوساً منه !

- ٢ -

واذ كان لانى جالساً فى مكتبة الدوق دى بللومون البديعة الحافلة
بذخائر الثقافة الفرنسية المتراكمة ، تبادل مع أخته نصف الشقيقة
حديثاً صريحاً قلبياً ، وكان قد تباعد عن هذه الأخت فى السنوات الأخيرة .
أما هى فكانت من قبل تتوقع منه أموراً جلييلة فخاب أملها فيه . وأصرت
على أنه ليس من الضرورى أن يوافقها فى آرائها ، إلا أنه من الضرورى أن
يحزم أمره على شىء ويثبت عليه . وكان لانى يحسب أنه قد حزم أمره
على شىء واحد : أن البرنامج الشيوعى إذا ما طبق على الأمم ذات المنظمات
البرلمانية يصبح نوعاً من الخطأ فى التكتيك . إلا أنه من مضيعة الوقت
أن يفتح ببس فى هذا الموضوع . وكان لديها أمر آخر تريد أن تتكلم
فيه ، إلا وهو الشقاء الذى يأكل كالسرطان نفوس أعضاء أسرة روبن ،
لأنهم انقسموا إلى ثلاثة معسكرات ، وكل زوج متفق مع زوجته ولكنه
غير متفق مع أحد من العضوين الآخرين فى الأسرة . فصار على كل زوجين
أن يتحاشيا الإشارة إلى أى مشكلة سياسية أو اقتصادية فى حضور
الآخرين . وفى ضوء الأحوال الجارية الآن فى ألمانيا يكون معنى ذلك تقريباً
تجنب جميع الموضوعات ما عدا الموسيقى والفن والكتب القديمة . فيوهانس
يطالع « صحيفة السوق المالية » وهانسى وبيس يطالعان « العلم الأحمر » ،
فى حين يطالع فريدى وراخيل « التقدم » وكل زوجين يبغضان مجرد النظر
إلى الصحيفتين الآخرين ولا يصدقان كلمة واحدة مما ينشر فىهما والام
المسكينة التى لا تقرأ الصحيفة إطلاقاً وليست لديها إلا فكرة غامضة
جداً عن موضوع النزاع تقوم بدور ضابط الاتصال بين أحيائها الثلاثة .

ولم يكن فى ذلك شىء خارج على المؤلف جداً ، فقد عاش لانى فى
خلافات مع أبيه معظم أيام حياته ، بيد أنهما كليهما يتمتعان بروح
الفكاهة فينتهى الموضوع بمداخلة كل منهما للآخر . وجيسى بلاكلس
غادر البيت لأنه لم يستطع الاتفاق مع أبيه ، وهو الآن لا تناقش فى

السياسة اطلاقا مع أخته وينتهي دائما بالتخاصم مع ابن أخته . ومعظم الراديكاليين يقصون عليك هذا القبيل بعينه من الحكايات ، فهي جزء من عملية التغير التي تحدث للعالم . والصغار يكبرون مخالفين لوالديهم ، وقد يحدث ان يجد الآباء اليساريون انفسهم ولهم أبناء ذوو عقلية محافظة وقال الفتى اللاهوى لنفسه « سيكون هذا مصيرى » .

وفى أسرة روبن زادت المشكلة حدة لأن جميع شبانها يأخذون الحياة بجدة شديد فلا يدعون الامور تمر بملاحظات أو تعليقات هازلة . فأربعتهم يرون من البديهي أن والدهم لديه من المال ما يكفيه وزيادة ، فلماذا بحق كارل ماركس لا يعتزل ويغادر هذه الحمأة الفاسدة من الاعمال المالىيه المظلمة بالسياسة ويصر على التمرغ فيها ؟ ومن لم يجرب المقامرة قط لا يمكن أن يدرك لماذا يشاير من اعتاد المقامرة على ملازمة المائدة الخضراء متشبثا بتعويض خسائر ليلته . ومجتنب المسكرات لا يمكن أن يفهم الشذوذ الذى يجبر المدمي على طلب رشفة أخرى . اما يوهانس روبن فالיום الذى لم يكسب فيه شيئا من المال ليس من عمره ، ولمح فرصة للكسب واهتبالها انما هو عمل منعكس شرطى آلى . ثم انك حين تملك المال يكون لك أعداء يحاولون انتزاعه منك ، فتحتاج الى مزيد من المال لتكون بمأمن حقيقى . ثم ان لك أيضا حلفاء وشركاء وعليك نحوهم التزامات ، فاذا ما حلت بهم أزمة توقعوا منك أن تقوم بدور معين فان لم تقم به اعتبروك متنكلا عنهم . فليست لك حرية الاعتزال الا بقدر ما لدى قائد عسكري من الحرية فى الاستقالة وهو فى معمعان معركة حربية .

والمأساة ان الناس لهم صفاتهم المستحبة وصفاتهم المستهجنة والفصل بين الجانبين مستحيل . ثم انك نشأت بينهم والفتهم وارتبطت بهم وقد تكون مدينا لبعضهم بجميل تعجز عن رده . ولو أن صغار آل روبن فرضوا ارادتهم قائلين « اما ان تكف عن القيام بدور رأس المال الكبير فى المانيا واما ان تغادر قصرك ولا نركب يختك » لكانوا حربين ان يظفروا بتحقيق رغبتهم . ولكن ماذا يبقى بعد ذلك من يوهانس روبن ؟ واين عساهم يأخذونه وماذا عساهم يصنعون به . ان لاني كان قد ضغط على أبيه ضغطا شديدا فى موضوع اللعب فى سوق الاوراق المالية وأملى ارادته عليه . ولكن فى حالة يوهانس كانت المسألة تتجاوز ذلك بكثير . لأنه جرى على أن يتخلى عن كل ما يصنعه ، وعن كل صلة ، وعن كل شريك ، وعن كل اهتماماته فيما عدا اولاده وشؤونهم . وقال لاني ليس « هبى انه يكره الموسيقى وبرى الفيولينا شيئا لا أخلاقيا ، فماذا كنت

صانعة أنت وهانسي ؟ فاجابته « ولكن ما من أحد يمكن أن يظن ذلك يالانى
« فقال لها » كثيرون من أجدادنا المتطهرين كانوا يعتقدون ذلك . ويخيل
الى أن جدى يعتقد ذلك الآن . وهو بالتأكيد يعتقد أن فى منع رجال
الاعمال من كسب المال أو تجريدهم مما كسبوا منافاة للأخلاق » .

وهكذا راح لانى محب التوفيق يحاول تهدئة هؤلاء النشبان واقناعهم
بأنهم يستطيعون الاستمرار فى تناول طعامهم فى قصر برلين من غير
أن يفصوا به . فها هم خمسة أشخاص - بما فيهم هو شخصيا - قضى
عليهم أن يقيموا فى أبهاء من الرخام ، وفى الخارج خمسة ملايين ، بل
خمسمائة مليون ، ينظرون اليهم على اعتبار أنهم أجدر أهل الغناء جميعا
بأن يغبطوا خمسة مقيمون فى الابهاء الرخامية يتوسلون أن يطردها منها ،
ولسبب غريب يعجزون عن اقناع ملايين الحاسدين بالاقدام على العمل .
وقبلهم باكثر من قرن نادى شاعر من أبناء الطبقة الممتازة هؤلاء الملايين
أن يهبوا كالأسود بعد الكرى فى اعداد لا تقهر ، بيد ان الاكثرية ما زالت
نائمة بينما الاقلية ما زالت حاكمة ، والاغلال الواهنة ، وكأنها الندى ،
لم تزل مكبله من لهم ثقل الرصاص الوزين !

- ٣ -

كانت الملكة الام ، ملكة فاندرنجهام بارنز قد توجهت الى جوان كى
تكون مع ولية العهد ، فقد حدث شئ فظيع فى أمريكا ، شئ بعث رعدة
رعب فى اوصال كل جنة وأم وبنت من الطبقة الممتازة فى العالم المتحضر ،
ففى ريف نيوجيرسى الوداع أقدم مجرم - أو عصابة من المجرمين - على
احضار سلم تعلق به الى داخل بيت الطيار لندبرج وزوجته المليونيرة
واختطف طفل هذين الزوجين السعيدين وهو ابن تسعة عشر شهرا ،
وتبودلت طلبات الفدية وعروضها ، ولكن يبدو أن الحاطفين أصابهم
الذعر ، ووجدت جثة الطفل المقتول فى غابة قريبة . واتفق وقوع هذا
الاكتشاف المروع فى الأسبوع نفسه الذى أطلق فيه الرصاص على رئيس
الجمهورية الفرنسية بيد قاتل وصف نفسه بأنه « فاشى روسى » ، وفاضت
الصحف بتفصيلات الفاجعتين وصورهما ، فياله من عالم مخيف عنيف
ذلك الذى نعيش فيه ، وارتعدت فرائص الاغنياء والاقوياء وطار نومهم .

وكانت أسرة روبي بد الشاذة قد عاشت جيلا كاملا فى ضيعة
بيانفينى الواسعة ، وقلما خطرت ببالها فكرة الخطر ، حتى فى زمن الحرب .

ولكن صار من العسير الآن أن يفكروا - ولا سيما السيدات في شيء
سواه . ففانى بارنز تتخيل الخطافين كامنين وراء كل شجرة ، وكلما
أحدثت الريح صريرا في مصاريع النوافذ - وهو أمر كثير الحدوث في الكوت
دايزر - جلست وتحسست فراش النطفلة التي كانت قد نقلت الى
حجرتها . وليس من المعقول أن تواصل الحياة في بناء من طبقة واحدة
نوافذه مفتوحة ولا تحصنها الا ستائر يمكن تمزيقها بمدية من مدى
الحبيب ، ولذا أرادت فاني أن تأخذ سميتها الصغيرة الى شو اكرز وتقيم
معها في حجرة بالطبقة الخامسة بعيدا عن متناول أى سلم خارجي ، ولكن
بيوتى قالت : « وماذا عن الحرائق ؟ فأوشكت الجدتان أن تشتبكا في أول
شجار لهما .

وأرسل لاني برقية الى أبيه يسأله عن « باب سميث » وهو اعظم
حارس يعتمد عليه وأفضل المندوبين السريين ، وكان « باب » يعمل في
خدمة الشركة في نيوكاسل ، ولكن في الامكان الاستغناء عنه هناك .
وفعلا أرسله روبي على أول باخرة . وهكذا صارت أفنية بيانفيني تحت
الحراسة كل ليلة من راعى أبقار سابق من ولاية تكساس يستطيع أن
يقذف في الهواء بدولار فضي ثم يصيبه بمسدس آلي من صنع بد . وكان
« باب » قد جاش خلال أرجاء فرنسا كلها للقيام بأعمال سرية متباينة
لكبير باعة أسلحة بد ، ولذا كان يعرف لغة الناس هناك ، واستأجر
اثنين من المحاربين القدماء للقيام بالحراسة النهارية ، ومنذ ذلك الحين قلما
غابت الصغيرة الثمينة التي سترت ثروة آل بارنز عن أنظار رجل مسلح .
ولم يكن لاني واثقا بسداد هذه الفكرة ، لأن « الكاب انتيب » بأسره يعرف
السبب في وجود هؤلاء الرجال المسلحين ، مما يجعلهم اعلانا عن وجودها
في الوقت الذي يريدون فيه حمايتها ، ولكن لا جدوى من قوله هذا الكلام
للسيدات !

وكان وصول باب عن طريق باريس ليتشاور مع لاني وإيرما ،
وكان على مر الأيام خدينا لابن روبي ، وفي هذه المرة جرى بينهما حديث
سري ، وأماط فيه « باب » اللثام عن اعتناقه الاشتراكية ، فكان ذلك
مثار دهشة لدى الشاب ، لأن أعمال باب كانت دائما بين أشد المحافظين
جمودا ، وباب نفسه بأنفه المكسور وعينييه الباردتين الفولاذيتين لم يكن
يعطيق منظر انسان مثالي ، ولكنه كان قد قرأ فعلا الصحف والكتب وعرف
الموضوع النهي يخوض فيه ، وكان هذا بطبيعة الحال مصدر سرور لمخدومه
الشاب . وسافر الرجل الى الكاب وشرع يحضر مدرسة الأحد الاشتراكية

فى وقت فراغه ، وأصبح خدينا حميما للشباب الاسبانى المخلص راؤول بالما .

واستمر الحال هكذا سنة أو أكثر قبل أن يكتشف لاني الحقيقة الخافية ، وكانت الفكرة البارعة قد انبثقت فى رأس روبى بد - وفى نظره أن الفرضيين والشيوعيين والخطافين قبيل واحد كلهم بلا اختلاف فقال باب أن هذه الطريقة سريعة وسهلة للاتصال بذلك العالم السرى الذى يعمل تحت الارض فى « أواسط فرنسا » ولذا حصل « باب » قبل أن يستقل الباخرة على حمل من كامل المطبوعات الحمراء ، وظل طوال فترة عبور الاطلنطى يستذكر ما فيها بسرعة كأنه يستعد لامتحان دخول كايمة « ونجح » مع لاني . ثم مع راؤول وسائر الرفاق الذين لم تساورهم الشكوك بطبيعة الحال فى أى انسان يأتىهم من بيانفينى . وكان الموقف حرجا بعض الشيء لأن « باب » كان فى الوقت نفسه على اتصال بالبوليس الفرنسى ، الا أن لاني لم يدر ماذا يمكن بالضبط أن يصنع ازاء ذلك ، وهى نتيجة أخرى لمحاولة الحياة فى معسكرى جيشين متعادين يتأهبان للقتال .

- ٤ -

وكان لكثرة ما سمعت وفكرت فى قضية لندبرج اثره الكبير فى دوافع الامومة عند ايرما ، فقررت أنها لا تستطيع الاقدام على مزيد من الاسفار من غير أن تحظى بلمحة على الاقل من الطفلة ، فاقترحت أن يقفزا الى السيارة ويسرعا الى بيانفينى ، والحو هناك حار وفى مقدورهما ان يحظيا بالسباحة ايضا . ولم يكن شباب آل روبن قد راوا الطفلة منذ أكثر من سنة ، فهيا بنا معا ! وكان هانسي قد حضر الى باريس فى سيارة بيس التى تقودها بنفسها ، فقفزت العائلتان فى سيارتين وفى المساء وصلتا الى بيانفينى ، ووقفت ايرما الى جوار فراش حبيبتهى النائمة وراحت تطلق أصوات غبطة متأوهة وهى لا تكاد تغالب ايقاظ الطفلة .

وفى اليومين التاليين انفجرت فى اظهار عواطف الامومة ، حاشدة كل مظاهرها فى وقت وجيز ، فلم تسمح لأحد أن يلمس الطفلة ، بل قامت هى بغسلها والباسها ثيابها ، واطعامها ، واللعب معها والسير معها ، والتحدث اليها ، مهللة لكل كلمة طفلية تتمكن من التفوه بها . ولا بد أن هذا كله أذهل الطفلة بنت السبعة والعشرين شهرا بما فيه من اقتحام

حفاجىء لحياتها المنظمة تمام التنظيم بيد أنها تقبلته بهدوء وسمحت
للآنسة سيفيرن بإيقاف العمل ببعض الفوائد لفترة وجيزة .

وجرى حديث آخر مع « باب سميث » حارس كنز الملكة والمعتنق
الفجائى لقضية العدالة الاجتماعية . ورفع اليه « الباب » تقريراً عن
خبراته فى المدرسة ، وأبدى تقريره للعمل الذى يتم هناك ، وقال عن
القائمين عليها أنهم جماعة من المثاليين الحقيقيين ، وأنها مصدر أمل فى
المستقبل . ورأى لانى مصدر أمل فى المستقبل ان يرى راعى بقر سابق
وحارس شركة النور الحق يهتدى للتضامن مع العمال .

« وحدته » باب « أيضاً عن الاحوال فى نيوكاسل ، حيث بات
واضحاً ان من المستحيل تأجيل احداث تغير اجتماعى على نحو ما ، فليس
فى هذه المصانع الكبرى من النشاط ما يكفى لدفع الضرائب ونفقات
الصيانة وقد انتشر الجوع فعلاً بين العمال . وقد رهن الناس بيوتهم
وباعوا سياراتهم ورهنوا مقتنياتهم ، وسكنت عائلات معاً لتوفير الإيجار ،
وصار كل ستة أشخاص يعيشون على كسب شخص واحد له عمل ،
وكثيرون جداً من أهالى نيوانجلند تمنعهم كيرياؤهم من التماس الصدقة .
ويؤثرون الانزواء فى ركن ليتضوروا جوعاً . ومن المستحيل إلا يتأثر
المرء بمثل هذا الكرب ، أو الا يدرك أن شيئاً ما يجب أن يصنع كي تعود
هذه المصانع المضخمة للعمل .

ولكن « باب سميث » كان دائماً على اتصال وثيق بروبى بد ، ولذا
بدأ هذا التغير المفاجئ مهما . وصارحه الرجل بأن الامر لا سر فيه ،
فهو قد أخبر السيد روبرت بما فى ذهنه ، فقال السيد روبرت انه
لا يغير من الوضع شيئاً . ورأى لانى ان هذا الموقف من روبى له أهميته
أيضاً ، فهو منذ خمسة عشر عاماً أو نحوها كان يأمل ان يبصر والده
النور ، ويبدو الآن ان الوقت قد حان . وأعرب عن سروره فى خطاب الى
روبى ، ولا بد ان روبى افتر عن ابتسامة ذلت محزى - !

- ٥ -

حظى الشبان بالسباحة الموعودة ، واثبتن للفصوص من الصخور الى
هياه البحر الابيض الزرقاء ، وبعد ذلك جلسوا على الشواطىء ؟ وأحضر
« باب » من السيارة صندوقين ثقيلين ، فى احدهما أسلحة آلية وغير
آلية من صناعة بد . وفى الآخر بضع مئات من طلقات الذخيرة . وكان

« باب » قد جاء معه من نيوكاسل بمدد كبير منها يكفي لرد حصار يقوم به جميع قطاع الطرق في فرنسا . وقال ان الاسرة ينبغي ان تواظب على التدريب ، لانهم لا يدرون متى يقوم الفاشيون أو النازي بحركة انقلاب ، ونحن « الرفقاء » سنكون أول الضحايا ، وأذهله أن يعلم أن هانسي وفريدي لم يسبق لهم إطلاق النار في حياتهما كلها ، ولم يخطر لهما أنه من الممكن أن يحتاجا إلى ذلك . وأراد الحارس السابق أن يعرف ماذا يصنعان إذا حدث فرضا أن ثورتها فشلت وانتصر الجانب الآخر ؟

وأراحهما ما عساه يقترح القيام به . فقفز بزجاجة مقفلة بسدادة فلين إلى البحر ، ثم أطار السدادة بطلقة واحدة من مسدس من مسدسات الجيش ، وقذف بكتلة من الخشب إلى الماء وأطلق ثمانى رصاصات من مسدس آلي طراز بد ٣٢ ر في خيط واحد ، ولم تطش رصاصة واحدة في الماء واعترف « باب » أن ذلك يتطلب مرانا كثيرا ، لأن كتلة الخشب تقفز من مكانها مع كل إصابة ، ويجب أن تعلم مقدار وثبتها في كسر صغيرة من الثانية . ثم كرر التجربة ليبرهن لهما على أن الأمر لم يكن مصادفة . ولم يستطع أن يكررها للمرة الثالثة ، لأن الكتلة كانت قد اكتظت بالرصاص ففاصت في الماء .

ولم يكن بوسع لاني أن يقوم بحركات بهلوانية من هذا القبيل ، ولكنه كان – كما قال باب – قادرا على إصابة أي نازي . وكانت الأهداف كلها من النازي أو الفاشيين ، لأن الحارس كان قد استقر تفكيره على أن المتاعب القادمة من جهتهما ، ولا خير في استغفال المرء لنفسه . وأراد أن يعلم هانسي إطلاق الرصاص ، ولكن هانسي رفض أن يستخدم يده التي تحرك قوس الفيولينه في مثل هذا العمل المحطم للأعصاب . وسيكون على بيس أن تحميه ، فقد تعلمت إطلاق النار وهي طفلة ، وأثبتت الآن أنها لم تنس ما تعلمته . وجاء دور فريدي فحاول إطلاق المسدس ، ولكنه وجد عناء شديدا في إبقاء عينيه مفتوحتين وهو يضغط الزناد . وكانت نتائج هذا الضغط على مسدس آلي من طراز بد مفزعة جدا حقا ، ولم ييسر الأمر على مثالي رقيق النفس أن يتخيل داخل المجال البصري عضوا في حزب العمال الألمان الاشتراكي الوطني .

ولم تكن لدى لاني – الذي ألف المسدسات طيلة حياته – أية فكرة عن تأثير هذه الأعمال على الشابين الحجولين . فقد أعلن هانسي أن موسيقاه ظلت أسبوعا بعد ذلك غير صائبة الوقع ، أما بالنسبة لآخيه الأصغر فقد أحدثت التجربة لديه نوعا من التقلص المعنوي في نفسه . وما من شك في

انه كان قد رأى المسدسات فى برلين وغيرها يحملها الجنود ورجال الشرطة و فرق الأمن و فرق الهجوم ، ولكنه لم يقبض بيده على مسدس من قبل ، ولم يسبق له أن تحقق من الأثر المدمر الفورى للمسدس الآلى . وكان اطلاق أسماء أجزاء من الجسم البشرى على الأهداف مزحة مستملحة لدى راعى البقر السابق ، ولكن مخيلة فريدى غصت بصور الجثث المجندلة ، فظل يتكلم عن ذلك فترة طويلة ويسأل لانى : « اتعتقد يالانى أننا مقبلون حقا على حرب أخرى ؟ اتظن أننا يمكن أن نعيش بعدها ؟ » .

بل لقد تحدث فريدى عن هذه المشكلة الى فانى بارنز ، متسائلا ألا يمكن تنظيم جماعة من نوع ما لتعليم الأطفال الرقة المثلى ، فى مقابل تلك القسوة الفظيعة التى يعلمونها الآن فى المانيا . وتأثرت الملكة الأم الجليلة بعواطف الشاب ، ولكنها اعربت عن خشيتها أن تحول واجباتها الكثيرة فى بيتها دون افساح الوقت أمامها لتنظيم جمعية سلام للأطفال فى نيويورك . ثم ليست المانيا هى البلد الذى يحتاج الى انشاء هذه الجماعة فيه !؟

أكثر فانى اظهار التذمر من شدة الحر فى بيانفينى وأخذت ينتابها الاعياء وتستلقى وتجلب الهواء لنفسها بالمروحة وتطلب مشروبات مثلجة، وكانت بيوتى - التى طالت خبرتها بجو الريفيرا - تبتسم ساخرة لعملها انها محاولة أخرى - ترجو أن تكون الأخيرة - لاصطحاب الطفلة فرانسس معها . ووجدت بيوتى لذة فى تنبيهها الى عدد الأطفال الأصحاء السمر البشرة على الشواطىء وفى شوارع جوان ، وأشارت الى لانى ومرسلين باعتبارهما دليلا على أن أعضاء الطبقات غير الحسنة يمكن تربيتهم هنا بنجاح . والطفلة نفسها لم يظهر عليها ظفح جلدى او شيء من أمراض الصيف ، بل هى على عكس تمرح فى الشمس و (تبليط) فى الماء ، وتنام ساعات طويلة وتاكل كل ما تصل اليه يدها ، ولم يصبها شر أسوأ من عضة فى أصبع قدمها من أبى جلمبو !

وهكذا تركت الملكة الأم حقائبها تحزم وتوضع فى الصندوق الخلفى من سيارة لانى ، ثم استقرت هى وخادمتها فى المقعد الخلفى لتمضى بها السيارة الى اقصى ما يسمح لها به زوج ابنتها المهدب . وفى مساء اليوم التالى أوصلاها سالمة الى لندن ، وحصلا لها على مقعد فى الصف الثالث عند المرور الحظوري الحفلة الافتتاحية لمسرحية « رشوة بدلة السهرة » ، وهى مسرحية أنكرتها أشد الانكار ولم تتردد فى التصريح بذلك . وفى اليوم التالى ، عندما وجدت معظم النقاد على رأيها ، واجهت المؤلف بهذه

الحقيقة ، وهى أنه وقد بلغ الرابعة والثلاثين من عمره ينبغي أن يترك هذا الطيش الأدبى ويشرع فى النفاذ بمسئوليياته نحو طبقته التى شادت الامبراطورية البريطانية الجبارة . فقد كانت سليله آل فاندرنجهام وكنة آل بارنز تدعى بمبادئ حزب المحافظين كأشوأ الغلاة المتشددين فى مجلس اللوردات ، وكلما التقت بأحد من دعاة التخريب روادتها نفسها أن تصيح بكلمات ملكة أخرى شهيرة « اقطعوا رأسه أو رأسها » .

ولكن الجمهور كله لم يكن متفقا معها فى الرأى ، بل كان المسرح مقسوما قسمة أفقية ، فمن المقاعد الامامية والممتازة لا تسمع الا الصمت المتجمد ، أما من أعلى المسرح فتعلو عواصف من التصفيق . وكان النقاد أيضا منقسمين على هذا المتوال نفسه ، فأصحاب الصبغات الوردية يهملون للمسرحية ويعتبرونها صورة حقيقية للذو الذى يقوم به المجتمع الراقى فى السياسة ، وصحيفة اتهام لذلك الفساد المتنوع الأشكال الخاص ببريطانيا ، فحيث يدفع ثمن الامتيازات فى فرنسا بالمال ، وفى أمريكا بالمناصب تعتبر الامتيازات فى إنجلترا بصورة طبيعية حقا من حقوق الوراثة أو المكانة الاجتماعية . فالسلطة على كل حال تنضاف الى السلطة و « القوة تشد أزر الأقوياء باستمرار » .

كانت المسرحية من النوع الذى يدفع آليا بأنه دعاية ، وبذلك لا يمكن أن يكون فنا ، ولكنها مكتوبة عن معرفة باطنة بالأمور الجارية فى الحياة العامة ببريطانيا وتقول للناس ما هم بحاجة الى معرفته عنها . ومنذ الليلة الأولى تحول المسرح الى ساحة حرب ، وكانت المقاعد المرتفعة الثمن نصف خالية أما المقاعد الرخيصة فكانت مكتظة . وقال ريك : « المسألة هل نستطيع دفع الايجار اسبوعين أو ثلاثة الى أن نثبت اقدامها » فأجابه لانى : « سندفعه ولو اقتضى ذلك منى أن أبيع بضع صور فى المزاد العلنى » ولم يكن أمرا سهلا أن تجمع المال انلازم والأزمات العصبية تنتشر فى أرجاء العالم أجمع ، بيد أنه اتصل تليفونيا بجميع المرموقين الذين يعرفهم يرجوهم أن يشاهدوا المسرحية ، واستطاع بالمداجاة أن يقنع مارجى ، وهى الليدى أفرشام والسون الأم ، باقامة سهرة موسيقية ودفع مائتى جنيه الى آل روبن كى يعزفوا فيها على أن يتبرعوا بالمبلغ للمسرحية . واسهمت ايرما بنصيبها وان كانت فى أعماق قلبها لاتحب هذه المسرحية . وأما هانسى فكتب الى ابيه الذى أودع لحسابه خمسمائة جنيه لدى البنك الذى يعامله بلندن ، وهى طريقة رخيصة سهلة لشراء السلام فى أسرته وننبرحنة مرة أخرى على المباحج التى يتيحها المال ، وما أحلاه !

وبطريقة او بأخرى ابقوا المسرحية معروضة على الجمهور ، وعرضت جراسين - التى كان دورها دسما جدا فى نظرها - تأجيل الحصول على مرتبها أسبوعين ، وكتب لاني مقالات فى صحف العمال مبينا اهمية انتاج هذه الرواية بالنسبة للعمال ، فاستمروا فى مشاهدتها والتهاف لها . وتطورت المسألة الى فضيحة ، مما حدا للطبقات المتأزاة الى الكلام عنها ، ثم الى رغبتهم جميعا فى معرفة هذا الشيء الذى يتحدث عنه الجميع . وانتهى الأمر بأن حقق اريك فيفيان بوميرى نيلسون ضربة نجاح كبيرة وهو شئ كان يرمى اليه منذ أكثر من عشر سنين ، وصمم على رد النقود لجميع أصدقائه ، وبعد ذلك دفع جانبا من رهنيات أبيه الذى لبث يعوله ويساندته امدا طويلا . والمهم أن ريك استطاع أن يقول شيئا للشعب البريطانى ، واكتسب شهرة ستمكنه من أن يقول له المزيد .

- ٧ -

ظل آل روبن يرجون آل بد أن يقوموا بزيارة لألمانيا ، فوقت الرحلات باليخوت قد اقترب ، وأن كانوا قد أقنعوا « باب » أن يأمر بتشغيل يخت بيسى بدمرة أخرى ، لأنهم يريدونه أن يبتعد عن مزعجات العمل وقلقه . حينئذ يستطيع ذلك خيرا من لاني بد الرائع وزوجته التى تضارعه روعة ؟ ولعل لاني يستطيع أن يقنعه باعتزال العمل نهائيا ، أو ربما أقنعه بالقيام برحلة طويلة حول العالم بحيث يكون بعيدا عن متناول الأصدقاء والأعداء .

وكانت ألمانيا فى غمار معركة انتخابية حامية ، ومجلس رايشتاج جديد يوشك أن يختار ، فوزارة البارونات المعروفة أيضا باسم « وزارة المونوكل » تطلب من الشعب تأييدا كبيرا . وكانت الانتخابات دائما مثار اهتمام لاني فاستحثه الشباب على القدوم ليراها ، الا أن ايرما أصيبت بنوبة أمومة أخرى فقالت « هيا بنا نسرع الى جوان ثانية لنبدأ الرحلة البحرية فى نهاية المعركة » فقال لاني : « كما تشائين » .

وهكذا تفرقت المجموعة فاستقلت فاني باخرة الى نيويورك ، واستقل آل روبن سفينة عبرت بهم البحر الى فلاشينج ، وركب آل بد سفينة أخرى عبرت بهما الى كاليه . وأرسلا برقية الى القصر فى باريس فوجدا العشاء معدا عند وصولهما . وقالت ايرما « ما الطف أن يكون للانسان مسكنه الخاص فذلك الطف بكثير من النزول فى الفندق » فأدرك لاني أنها راغبة فى ايجاد تبرير أمام نفسها لانفاق كل هذا المال ، فوافقها على أن ذلك

« الطف » فعلا . وكان جرى موجودا ومعه كمية من الشيكات فى انتظار توقيعتها ، وأراد منها أن تراجع الحسابات ، ولكنها واثقة بأنها مضبوطة فوقعت من غير أن تنظر الى شئ وذهب الثلاثة الى استعراض فى ملهى ليلي بهيج جدا ، فيه موسيقى ورقص بأقل ما يمكن من الثياب ، مما جعل إيرما فى بعض المشاهد تحمر خجلا ، بيد أنها تحاول اكتساب الصبغة العالمية .

وفى المساء وصلا الى بيانفينى ، فاذا الطفلة وقد أمست اكبر وأذكى مما كانت ، تعرف كلمات أكثر وتذكر ما يلحق لها . وقد أخذ عقلها ينمو « أوه يا لاني ! تعالى أنظر هذا » تعالى أنظر ذاك ! » وكان لاني حريا أن يسعد بالاستقرار لدراسة الطفولة والسباحة وإصابة الأهداف مع باب ، والتحدث الى العمال فى المدرسة ، لولا أنهما كانا قد حددا موعدا مع آل روبن . ثم وصل خطاب من بيترو كورساتي الذى كان فى لوزان لتغطية أنباء المؤتمر موفدا من صحيفته ، وقال فى خطابه « انه حدث ضخم ! كيف يمكن أن يفوتك ؟ » .

وفى ذلك الوقت أقامت أوربا مهرجانين دوليين للكلام على هذه البحيرة السويسرية بعينها . ومنذ سنوات كثيرة وأمثال هذه الاجتماعات هى النوع المفضل لدى لاني من أنواع التسلية ، فحضر عددا كبيرا منها من قبل والتقى فيها بكل من يثيرون الاهتمام من الناس ، سواء من رجال السياسة أو الكتاب أو المصلحين أو المخبولين . ولم تكن إيرما حضرت اجتماعا منها قط ، وإن كانت قد سمعته يتحدث عنها وبعبارات تتقد حماسا . فلما اقترح عليها الآن قائلا « هيا بنا نتخلف هناك فى طريقنا الى برلين » قالت إيرما « لا مانع عندي » !

- ٨ -

وتتبعها مجرى نهر الرون الذى تحمل كل مرحلة منه شيئا من ذكريات ماري دي بروين ، فثمة الفنادق التى نزلت فيها مع لاني ، والمناظر الطبيعية التى أعجبا بها ، والتاريخ الذى استعاداه معا . ولكن لاني فضل لايرما أن تحظى بذكرياتها الخاصة بها غير مضمخة بعطر أية امرأة أخرى . وتسلقا معا منطقة أشجار الصنوبر وتجولا بين الممرات الصخرية الضيقة الفائرة بين الجبال حيث الهواء ساكن صاف . وصلا بعد ذلك الى منطقة تكثر بها القناطر وفيها سد هائل . وهناك ترامت أمامهما بحيرة ليماو وعليها تقع جنييف مقر عصبة الأمم ، تلك المؤسسة التى ظلت سنوات قليلة معقد رجاء الجنس البشرى ، بيد أنها تبدو الآن وكأنها خرت صرعة

علة غامضة . ومنذ بداية السنة ظل منعقدا ها هنا مؤتمر كبير لتحديد السلاح يضم ستمائة مندوب عن ثلاث عشرة دولة ، وسيظل هذا المؤتمر منعقدا سنة أخرى ، فكل دولة تتقدم بدورها باقتراح تحديد نوع السلاح الذى لا تملكه أو الذى لا تحتاج اليه ، فتنبى الدول الأخرى لبيان عيوب هذا المشروع .

وعلى مسافة أخرى فوق شاطئ هذه البحيرة نفسها توجد لوزان حيث اجتمع رؤساء الوزارات ووزراء الخارجية لبحث مسألة التعويضات القديمة . ورحب لاني بد بصديقه بيت (تدليل بيترو كورساتي) وغيره من الصحفيين الذين ظل يلتقى بهم فى فترات متقطعة منذ مؤتمر السلام الكبير قبل ذلك بثلاثة عشر صيفا ، وقد تذكروه جميعا وسرتهم رؤيته ، وكان لديهم علم بزواجه ذات الشراء الطائل وقصرها فى باريس ، ولديهم علم أيضا بريك ومسرحيته . وها هنا استعراض عظيم آخر ، أخذوا بيد الزوجين الشابين الموقنين الى ما وراء الكواليس مباشرة ليشهدوا خفايا .

ولوزان مشيدة على جانب الجبل ، فكل شارع من شوارعها له مستوى مختلف عن الشوارع الأخرى . وقد نزل الفرنسيون فى فندق على القمة ونزل الانجليز فى فندق عند القاع ، ونزل مندوبو الأمم الأخرى فيما بين هذين . وكان الدبلوماسيون يصعدون ويهبطون للمحاولة ومناقشة النزاع فى أجنحة بعضهم البعض ، وأصيب رجال الصحف بالهزال من جراء مطاردة أطراف الخصومة المتعددين صاعدين فى الجبل وهابطين أو هذا على كل حال هو الوصف الذى أدلى به « كورساتي » ، فرجال السياسة كانوا يجتهدون فى تكتم أعمالهم ، وقال بيت ان الواحد منهم متى رآك غاص داخل جحره كأنه فار فى الجبل ، فأمتست فرصتك الوحيدة لوضع يدك على أحد منهم ان تظفر به وهو يسبح فى البحيرة .

وكان هذا لونا جيدا نظيفا من المرح ، ان كنت مشاهدا يحب سماع اللفظ وحل الألفاظ أو صهفيا جريئا غير مكترث تحت يده حساب للنفقات ولديه الحرية لاتقاله كما يشاء . فالطعام كان من أفضل ما يكون ، والمناخ بديعا ، والمنظر الطبيعى كذلك ، فقمة مون بلان عند بابك الحلقى مباشرة أو هكذا تبدو لك فى هواء جبال الألب الخالى من الغبار . ولن يخامرك الشقاء الا أن فكرت فى ملايين البشر الذين تجرى المقامرة بمصيرهم على يد الساسة . وكانت مائدة القمار برمى بارود فى مثل ضخامة جبال الألب ، ولا هم للمقامرين الا أن يضع كل فريق منهم وطنه الخاص فوق القمة ، وان يضع طبقته الخاصة فوق قمة وطنه ، وأن يضع كل منهم ذاته فوق قمة طبقته .

واضطر الساسة للتخلي عن مشروع « ينج » الذى أقامته ألمانيا ملزمه بمقتضاه أن تدفع خمسة وعشرين بليون دولار تعويضات . بيد أن فرنسا لم تستطع التخلي عن الأمل فى الحصول على شيء . ولذا حاول مندوبوها بواسطة الجدل الذى لا ينقطع والمشادة أن يفرضوا مشروعا تؤدى بمقتضاه ألمانيا فى نهاية ثلاث سنوات سندات قيمتها ثلاثة بلايين مارك . ولكن معظم المراقبين اتفقوا على عقم هذا الاقتراح عقمًا تامًا ، فألمانيا تقترض ولا تدفع . وهى تقول لرجال البنوك فى الولايات المتحدة « لدينا خمسة بلايين من نقودكم ، فإن لم تنقذونا خسرتموها كلها ! » وشعب ألمانيا يقول « ان لم تطعمونا أعطينا أصواتا لهتلر ، أو لمن أسوأ منه وهو تيلمان البلشفي وساسة ألمانيا يقولون « نحن فزعون مما سيحدث » . ومن يدري هل هم فزعون حقًا أم يتظاهرون بالفزع فحسب ؟! منذ الذى يستطيع أن يثق بأحد فى الحكم ، فى أى مكان فى الدنيا ؟

وكان روبى بد قد روى لابنه حكاية وقال له ان جميع رجال الأعمال يعرفونها ، ومؤداها أن تاجر جلود ذهب الى مدير البنك الذى يعامله ليمد أجل سندات ديونه فرفض مدير البنك اجابة ملتزمة . فقص عليه تاجر الجلد ما يلاقيه من المتاعب والحف فى الرجاء ، وفى النهاية سأله « هل سبق لك الاشتغال بتجارة الجلود ؟ » ولما أجابه « لا » قال الرجل حسن . ها أنت ذا الآن غارق فى هذه التجارة . وكان من رأى بيترو كورساتى أن هذا بعينه موقف جمهور المستثمرين فى الولايات المتحدة فهم جميعا الآن غارقون فى تجارة الجلد الألمانية فى شئون الصلب والفحم والكهرباء والكيمياء هذا بخلاف شئون انشاء الطرق وحمامات السباحة . بل لم يعد كافيا أن تؤجل مواعيد استحقاق الديون ، فلا مناص من تقديم رأس مال التشغيل أيضا لتجنيب هذه الأعمال المالية كلها السقوط فى هاوية الحراب ، ولمنع العاملين فيها من التحول الى حمر ! .

وكانت إيرما تعلم ان هذا « العالم العظيم » الذى سترتبط به سيرة حياتها ، ولذا كانت تصفى لهذا اللفظ وتتعلم كل ماتستطيع أن تتعلمه عن الممثلين البارزين فى هذه الدراما الدبلوماسية . وكان لانى قد التقى من قبل بعدد من وكلاء الوزارة فأدرك هؤلاء أن الزوجين الشابين الثريين جديران بتقديمهما الى « المستوى الأعلى » . وقيل لايرما أن الشتاء التالى قد يشهد مزيدا من المباحثات فى باريس ، فاستقر فى نيتهما أن يجد هؤلاء الأشخاص المهمون فى بيتها مكانا للاسترخاء ، وربما للمؤتمرات الخاصة

السرية . فما كان فى وسع اميلي نفسها ان توفق الى ما هو خير من هذا .
ولاحظ لاني افتتاحان زوجته بالطبقة الحاكمة الانجليزية ، وهو افتتاحان
يصيب امريكيات . حتى عرف هذا المرض المحدد باسم « الجنون
بالانجليزى » والانجليز من ابناء الطبقة العليا رجال طوال القامة وسيمون
هادنون فى لسانهم عدوية ، يبدون المودة لاصدقائهم والتحفظ لمن عداهم .
وفى اعتقاد ايرما ان هذا هو الملك القويم . وكان ثمة لورد ديكثورب
الذى كان لاني قد التقى به ذات مرة فى سباق لعربات النزهة فى اسكوت
حين كان كل منهما فتى يافعا . اما الآن فقد اضحى ديكثورب
دبلوماسيا وقورا يحمل حقيبة اوراق ملانة بالمسئوليات ،
او هكذا يبدو عليه ، وهكذا ايضا تخيلته ايرما ، وان كان لاني
الذى خبر كثيرا مما وراء الكواليس فى مواطن شتى يؤكد لها
ان ابناء الاسر الكبيرة لا يقومون فى العادة بكثير جدا من
العمل الشاق . وكان ديكثورب وسيما وسامة تفوق التصور ، وله شارب
صغير لونه بنى فاتح ، فقالت ايرما « كيف تعمل بقاء رجل كهذا اعزب؟
فقال الزوج : « لا أدري وربما استطاعت مارجى ان تخبرك بالسبب . ربما
لم يستطع الظفر بالفتاة التى يريدما » . فقالت : « اعتقد ان اى فتاة تجد
عناء شديدا جدا فى رفض رجل كهذا ، فاجابها لاني : « بل قد يحدث
ذلك » . فيتشاحنان مثلا او يضطرب امرهما لسبب ما . فحتى الأغنياء
لا يستطيعون دائما ان يظفروا بما يريدون وهى فكرة لاني العتيقة ذات
اللون الوردى !

- ١٠ -

ووقع الساسة المجتمعون معاهدة جديدة فى لوزان اتفقوا فيها أن
يقوموا بعمل عدد من الأعمال بعد أن فات الأوان . وبعد انتهاء التوقيع
ووضع الأختام ذهب كل منهم لحال سبيله ، وغادرت ايرما ولاني سويسرا
بالسيارة عن طريق بال . وقبل وقت العشاء وصلا الى شتوتجارت .
وكانت لوحات الاعلان مغطاة بالشعارات وصيحات القتال التى تطلقها
الاحزاب المتباينة فى هذه المعركة الانتخابية المريرة . وقرا لاني الذى
حصل على الصحف بمجرد وصوله اعلانا عن اجتماع للنازى يعقد ذلك
المساء . وسيكون الخطيب الأساسى الزعيم رقم واحد لتنظيم الرايخ ،
وهو بعينه الذى كان قد تلقى ذلك التقريع الشديد من زعيمه فى حضور
لاني منذ عشرين شهرا تقريبا ، فقال لاني « أود أن أسمع ماذا سيقول

« الآن ؟ » • فهتفت إيرما : « ياله من شيء مضجر يا عزيزى ! » الا أنها لم تشأ أن يتركها فى حجرة الفندق بمفردها فقالت : « على ألا تبقى هناك طويلا » •

وفى خلال هذه العشرين شهرا كان الفتى الأمريكى الفرنسى اللاهى قد أكثر من التنقل فى الدنيا بالسرعة التى تتيحها سكك الحديد والسيارات والطائرات والبواخر واليخوت الخاصة ، فطاف بمعظم بقاع غرب أوروبا وانجلترا ونيو أنجلند ، وطالع كتباً فى موضوعات كثيرة وعزف الوفا من القطع الموسيقية ، وتطلع الى مثل عددها من الصور ، واختلف الى مسارح كثيرة ورقص فى قاعات رقص شتى وسبح فى بحار عديدة • وثرثر مع أصدقائه ولعب مع طفله وتناول أوفر الأظعمة ، واحتسى أفضل الخمور ، واستمتع بحب زوجة أنيقة حسناء • وقصارى القول أنه حظى بأبهج حياة يمكن أن يتصورها الرجل العادى •

ولكن فى هذه الأثناء كان شعب المانيا يعيش حياة مختلفة تماما ، فيقوم بعمل شاق رتيب ساعات طويلة بأجور منخفضة ، واثمان الضروريات فى ارتفاع متصل ، والقلق وانتفاء الضمان والأمان يتزايدان فلم يعد الرجل منهم واثقا أنه وأسرته سيجدون خبز يومها غدا ، ولهذا الحالة أسباب معقدة أغمض بكثير من فهم الرجل العادى ، بيد أن ثمة جماعة من الناس أخذت على عاتقها تبسيط هذه الأسباب وتوضيحها لأغبيى الأغبياء • ففى غضون هذه العشرين شهرا السالفة الذكر كان ابن موظف الجمارك النمساوى أدى شيكلجروبر يتنقل أكثر مما تنقل لانى بد ، مستخدما عين تلك التسهيلات فى المواصلات من السكك الحديدية الى السيارات والطائرات ، ولكنه لم يتنقل بقصد المتعة ، بل كان يعيش حياة الناسك ، النباتى ، الممتنع عن المعسكرات ، مخصصا طاقاته التعصبية جميعا لاقتناع الجماهير الألمانية أن متاعبهم راجعة الى معاهدة فرساي المملة على المانيا ، والى الأجانب الحاقدين الحاسدين الذين يحاولون قتل الوطن الألماني ، والى اليهود القذرين لمنحطين ، والى حلفائهم من رجال البنوك الدوليين والحرر الدوليين • وكان أسلوب أدولف هتلر أن يقول أبسط الأشياء وأكثرها وضوحا للعيان ثم يكررها تباعا كلما أمكن ذلك ، ويضع فى أقواله من الصراخ الانفعالى أقصى ما تطيقه الخنجرية البشرية • وقد ظل يطبق هذا الأسلوب ثلاث عشرة سنة منذ وقعت هذه المعاهدة الملعونة وهو قد أصبح الآن فى ذروة جهوده ، ومعاونوه يعقدون مئات الاجتماعات كل ليلة فى جميع أنحاء المانيا وكأنها كلها اجتماع واحد ، والمحطبة واحدة والكلام واحد سواء ورد فى جريدة مطبوعة أو صورة هزلية أو اعلان حائطى

او على اسطوانة جراموفون . ولا أهمية لصدق الكلام او عدم صدقه ،
» فادى ، كان يعنى حرفيا قاعدته الماثورة أن الاكذوبة كلما عظمت كان
تصديقها أسهل ، لأن الناس سيقولون أنك ماكنت لتجروا على اختلاق
شئ فظيع كهذا . فتخيل أسوأ ما يمكنك تخيله عن اعدائك ثم أقسم أنك
تعرف ذلك عنهم ، وأنت رأيتهم بعينيك ، وأن الله على ما تقول شهيد ،
وأنت مستعد للمراهنة بحياتك على ذلك . صاح بهذا الكلام ، وجار به
مرارا وتكرارا نهارا بعد نهار وليلة أثر ليلة . والكلام أن ادلى به شخص
واحد كان هراء ، ولكن اذا انضم اليه عشرة آلاف صار اتهاما قائما ، فاذا
صار عددهم عشرة ملايين انقلب الاتهام قطعة من التاريخ .

ها هو اذن اجتماع جماهيرى ضخمة آخر ، والزحام شديد حتى لتكاد
تعجز عن الدخول ، فاضطر الأمريكان الثريان للتسلق الى مكانين بعيدين
فى الصفوف العليا بأعلى المسرح ، ولكن ذلك لاضير فيه لوجود مكبرات
الصوت ، وهى ابتكار مدهش يستطيع به شخص صغير القامة فوق المنبر
أن يكون له صوت عشرين من العملاقة ، فى حين يبدو من يقاطعه قزما
ينبعث منه صرير كأنه جرد . والراديو اختراع أروع من هذا أيضا ، فهذا
الجهاز البلورى الضعيف الصغير ذو السماعات الذى كان روى قد أحضره
الى بيانفنى قبل عشر سنين قد أصبح الآن أشد القوى النفسية سيطرة
ونفوذا ، فيه يستطيع المرء أن يصل الى أسمع مائة مليون شخص وعقولهم ،
وقد استنبط الفنيون العلماء فى مسائل العقل البشرى وسائل لا تارة
الفضول والاستطلاع بحيث تصفى الملايين لما يقال . ومهما كانت شدة
مخالفة المرء لما يسمع فهو عاجز عن الرد . وقد صار حلم كل دكتاتور
أن يصبح المسيطر الأوحده على هذا الجهاز الجبار ، بحيث يستحيل على أحد
فى جميع حقب التاريخ أن يرد على أقوالهم . وعندئذ يصبح كل ما يقوله
الحقيقة ، ولا حقيقة سواء ، مهما بلغ من خطئ كلامه قبل سيطرته على
المذيع . فمن يتسنى له أن يسيطر على المذيع يصبح الها بين البشر .

ومرة أخرى لاحظ لاني تطبيق فن إثارة عقل الجماهير وتوجيهها .
وكان أدولف هتلر يعلم أعوانه أن الجماهير لا تفكر بأمخاها بل بدمائها ،
أى أنهم لا يستخدمون المنطق والقياس بل تسيرهم غرائزهم وأعظم الغرائز
الأساسية هى الرغبة فى البقاء والخوف من الفناء . ولذا جعل أدولف هتلر
يقول لهم أن أعداءهم يريدون افناءهم وأنه وحده يستطيع انقاذهم
وسينقذهم . ويقول لهم أيضا أنهم الجنس السيد الذى اختارته الطبيعة
ليعيش ويحكم جميع أجناس الأرض . والفريزة الأساسية الثانية هى
الجوع ، وقد ذاقوه وعانوه ، وهو يعدهم أن ألمانيا تحت زعامته ستقتحم

مخازن خيرات الدنيا جميعا ، وستحصل على مجالها الحيوى الذى تتوسع فيه وتنمو . والفريضة الأساسية الثالثة ، وهو يقول لهم ان القدر اختارهم ليكثروا فى الأرض ويعصروها بنسلهم ، وان كل فتاة آرية نقية الدماء هى الأم التى هياها القدر لولادة أبطال شقر ، وانها لهذا خلقت ، ولا حاجة بها الى ترخيص خاص كى تشرع فى أداء رسالتها فالوطن الحصيف سوف يعنى بامرها ويضفى عليها وعلى ذريتها الشرف والفخار .

وقد تراكمت هذه الغرائز فصارت مصدر فخر ونصر على أعداء ألمانيا ، وهم يصيحون « يحيا النصر » وقد ابتدع الحزب طقوسا مستفيضة لتجسيد هذه المفهومات وهز أشد النفوس غباء واثارتها . ففى مؤامرة حانة البيرة الفاشلة التى كان لاني قد شهداها فى ميونيخ حمل المتآمرون الأعلام ، وقد ثقبها وابل الرصاص بعد ذلك وصبغتها دماء الشهداء عند اخماد المؤامرة فصارت هذه الأعلام مقدسة ، وقد حملها أدولف هتلر فى جميع أرجاء ألمانيا ، وفوق المنابر العامة كان يلمس بها الأعلام الجديدة وبذلك صارت جميع أعلام النازى مقدسة جدية أن تلتطخ بدماء الشهداء . والآن كلما رفعت هذه الأعلام تعلو دقات القلوب ، ويصبو جميع أعضاء الحزب الصالحين الى فرصة الاستشهاد كى تؤلف الجماهير وتنشد عنهم نشيدا حماسيا جديدا . وكانت الأبواق تدوى عندما تدخل الأعلام الاجتماعات ، وتقرع الطبول وينفخ فى الزمور ويدخل حرس شرف من الأبطال الى القاعة وقد اكتست وجوههم بالجد والصرامة .

وصعد الى منبر الخطابة جريجور شتراسر الضخم بوزنه الثقيل . ولم يكن ذليلا مطاطيا الرأس على نحو ما رآه لاني آخر مرة ، بل كان يتفجر ثقة بسلطانه ، فهو أحد زعماء الحزب المؤسسين ، وقد ساعد أدولف على البقاء حيا فى الأيام الأولى لكفاحه ، وكان قد آمن بالبرنامج الأول للحزب بكل ما فيه من وعود بالقضاء على الأغنياء والاخذ بناصر المحرومين ، فهل تراه لم يزل مؤمنا بذلك وقد علم الآن أن الفوهرر لم يعد ينوى تلك الوعود ؟ انك لا يمكن أن تحدثس بذلك من سماع خطبته ، بل بدا أن لديه قاعدة واحدة هى التفكير فى كل شئ يمكن أن يريده عشرة آلاف من أهالى فرتنبرج فيعدهم به وبتحقيقه يوم ينتخبون مرشحي حزب العمال الألمان الاشتراكيين الوطنيين .

وقال لاني « هذه يقينا هى الطريقة المثلى للظفر بالأصوات ! » أما إيرما التى لم تفهم ما كان يعد به الخطيب وكان حكمها مستخلصا من

اشارات ونبرات صوته فقد قالت « كلامه شبيه في السمع بكلام خالك جسي بصورة تثير الدهشة جدا » . فضحك زوجها وقال « لا تدعى أحدا منهما بسمعك تقولين ذلك ! » .

- ١٢ -

كانت معركة سياسية وقودها الحقد الجنوني حتى اوشكت ان تكون حربا أهلية ، فكثائب الرجال المسلحين تسير في الشوارع وكل كتيبة تنظر الى الكثائب الاخرى عند ما تمر بها نظرات متوهجة كالبحر ، وكل منهم على استعداد للانقضاض على الآخرين . بل انهم كانوا يقدمون على ذلك فعلا في احياء الطبقات العاملة ودوائرهم ، فيضطر المارة الى الفرار ناجين بحياتهم . فالمحافظون الذين يسمون أنفسهم ديمقراطيين ووطنيين لديهم كثائب الخوذة الفولاذية ، وفرق الجهاد . والنازيون لديهم كثائب الحرس وكثائب الهجوم ، والاشتراكيون لديهم لواء الرايخ ، والشيوعيون لديهم الجبهة الحمراء ، وان كانت هذه الكثائب الاخيرة متنوعة من ارتداء زى عسكري خاص بها . والاعلانات الحائطية والصور الكاريكاتورية والرايات والاعلام كلها ذات رموز وشعارات ناطقة بالحقد على الآخرين من الناس ، سواء كانوا من الالمان المنتمين الى طبقة غير مرضى عنها ، او من الروس او الفرنسيين او التشيك او البولنديين او اليهود . ومن المستحيل ان تفهم كل هذه الانواع الكثيرة من الكراهية او اسبابها . وقالت ايرما « هذا فظيع يالانى . فلنقطع كل صلة لنا بهذا كله » .

وكانت قد التقت بأشخاص ظرفاء في برلين . وها هو يوهانس قد اقام لها حفلة استقبال فأتوا جميعا وعندما اكتشفوا انها لا تحب السياسة قالوا انهم لا يلومونها على ذلك ، وتكلموا عن المهرجانات الموسيقية ومعارض الفن وسباق اليخوت القادم . واجتهد اليهودى قطب المال الكبير أن يبقى على مودته مع الجميع ، وأدرك أن كثيرين ممن كانوا عادة لا يقبلون أن يدخلوا بيته رضوا بالحضور لأن ضيفته وارثة امريكية شهيرة . وجريا على عادته لم يحاول اخفاء هذه الحقيقة ، بل بالعكس حرص على ذكرها وشكرها عليها . وكانت تعلم أن هذه الاسرة اليهودية ارتقت الى مكانتها هذه في الدنيا بمساعدة آل بد وما داموا يظهرون الشكر اللائق والعرفان ولا يجنحون الى الفرور فلا بأس من استمرار آل بد في معاونتهم . حضر حفل الاستقبال كبار رجال المال الالمان وزوجاتهم وهم سادة طوال القامة

فيهم جفاف يضعون على عيونهم المونوكل ، ومعهم عقيلاتهم اللواتي كانهن أنشئن خصيصا لمسرح ماي روث (١) . وكلهم من ذوى الألقاب الطويلة ، لا يسقطون منها شيئا من اضافات الشرف مثل « فون » و « تزوس » . ووجدت إيرما عناء في تمييز الهرفون من الهربارون والهجراف (صاحب المقام الرفيع) من إيرلاوخت (صاحب المجد النبيل) وإيرلاوخت من دور خلاوخت (صاحب السمو) وحضر جراف شتوبندروف وتحدث عن عن الأحوال في موطنه ، وجدد بمودة دعوتهما لعيد الميلاد القادم أو لما سيسبقه من موسم الصيد . وحضر المستشار الجديد طويل القامة نحيل الوجه ، وهو أشد الدبلوماسيين رشاقة وآثق الارستقراطيين الكاثوليك ويعيش غارقا في حباله من الدسائس نسجها بنفسه . وكان ابن حي اليهود الفقراء في روسيا حريا ان يذهله شرف حضور المستشار ، بيد ان يوهانس اعتبر حضوره وفاء لدين ، فأعضاء نادى السادة الراقى لم يتمكنوا من جمع المال الكافى لانقاذ حزبهم ، فاضطر المستشار الى أن يلجأ لهذا اليهودى . لقد وجدته إيرما ظريفا ، وأعربت عن ذلك لزوجها الذى علق بقوله « ليس فى أوربا كلها وغد أعظم منه » لقد أخرج فرانزفون بابن من الولايات المتحدة قبل أن ندخل الحرب لأنه كان يمول عمليات نسف مصانع الذخيرة . « فهتفت « أوه ! انك تقول كلاما فظيحا جدا يا حبيبى ! ولا يمكن أن تكون واثقا حقا منه ! »

فقال الوردى الشاب « لم يكن من الفطنة بحيث يحرق كعوب شيكاته وقد أسر الانجليز سفينته فى طريقها الى بلاده ونشروا جميع الوقائع والوثائق » .

(١) مهرجان يعقد صفا فى « بايروت » فى بافاريا للاحتفال بأوبرا فاجنر - المترجم .

الفصل الثالث عشر

حتى شفا الدمار

- ٩ -

بدأت رحلة اليخت بسى بد . ولم تكن رحلة طويلة فلا يمكن ان تدوم أكثر من أسبوع فى المرة الواحدة فى تلك الأيام المضطربة .

وكانوا يقفون وسط البحر لصيد السمك والسباحة ويرسلون فوق وجه بحر الشمال ونسماته الكثير من الموسيقى الرومانسية البديعة .

ولابد ان رجال البحر وصيادى الاسماك الذين مروا بقربهم فى الليل كانت تستبد بهم الدهشة ولعل من بينهم شابا مثل هاينى حلق على أجنحة الخيال فبعيدا من هنا على الساحل الصخري لاسكتلندة حيث تشرف القلعة الصغيرة الشهباء على البحر المتلاطم ، هناك فى النافذة العالية التقويس تقف امرأة حسناء نحيلة شفاة الرقة مرمية الشحوب تعزف على الهارب وتقضى وتعبت الرياح بجداول شعرها الطويلة وتتخللها وتحمل أغنياتها الحزينة فوق وجه البحر العاصف المترامى .

وكان لانى بد كلما استراح من سبجات خياله هذه يتجاذب الاحاديث الهادئة مع مضيفه على أمل ان يفلح تدخله اللطيف اللبق فى تقليل توتر مشكلة هذه الاسرة التى تكشفته له . وبين له يوهانس بالفاظ تشبه كثيرا الالفاظ التى استخدمها روبى بد عندما كان لانى فتى صغيرا - ان رجل الاعمال لا يفكر فى المال الذى يكسبه أو يمكن أن يكسبه فحسب ، بل انه يحمل على عاتقه مسئوليات نحو ألوف المستثمرين . وليسوا جميعا من المتعطلين المشرحين ، بل بينهم مسنون كثيرون وارامل وايتام ليس لهم مورد سوى انصبتهم أو اسهمهم ومسئوليات أيضا ازاء العمال الذين تقضون أسرهم جوعا مالم تدفع اليهم مرتباتهم الاسبوعية . وانه لافتراء فى حق مديرى الاعمال المالية ان يظن خلوصهم من الاحساس بالواجب نحو غيرهم من الناس ، حتى ولو كان معظمهم غرباء .

وقال يوهانس أيضا ثم ان المرء حينما يكون قد أمضى حياته كلها يتعلم ما ينبغي للقيام بنشاط معين ، فليس من السهل اقناعه بالتخلي عنه وهو في أوج قوته « أجل هناك مصاعب ولكنه كان يتوقعها ويأخذها مأخذ التحدى ، فهو يجد متعة في التصدى لها واثبات قدرته على قهرها . فترك الميدان والفرار امام الصعاب جبن لا بد أن يدمر معنوياته فلا يستطيع ان ينتفع بنفسه بعدها ويقضى وقته كله مطرقا مهوما ، مثل أمير البحر الذى نكص على عقبيه وهجر أسطوله .

واستطرد قطب المال الكبير يقول « ابنائى لهما قانونهما الاخلاقى الخاص بهما ، ويريان من واجبهما اقناعى بأن قانونهما ينطبق على حياتى . فهما راغبان فى انشاء عالم جديد أفضل وسوف يسرنى ان ينجحا ، وان وجدت أمامهما أى أمل فى النجاح فقد انضم اليهما . فأنا أسألهما عن مشروعاتهما فيقدمان لى احلاما غامضة لا أرى فيها أنا رجل الأعمال أى صفة عملية . فهى بختام أوبرا « ذهب الراين » الفاجتر : ثمة فردوس (فالها لا) وهو رائع الجمال ، ولكن سبيل الوصول اليه ليس سوى قنطرة من قوس قزح . وقد يكون فى مقدور الارباب أن يسيروا فوق قوس قزح ، اما المستثمرون والعمال فليس فى مقدورهم هذا . ويؤكد لى ابنائى ان قنطرة امتن سوف تقام ، وعندما أسألهما عن أسماء المهندسين يقدمون لى أسماء زعماء حزبيين ورجال دعاية وخطباء لا يستطيعون حتى ان يتفقوا فيما بينهم . ولولا ما يسمونه البوليس الرأسمالى لاشتبكوا فى قتال حامى الوطنى وصرنا الى حرب أهلية بدلا من الطوبيا (المدينة المثالية الفاضلة) . فكيف يتوقع منى ان أوافقهما قبل ان يصلا على الأقل الى الاتفاق فيما بينهما ؟

وأحزن لانى ألا يجد لديه جوابا عن هذا السؤال . وكان قد وجهه من قبل الى أخته ، فلم تستطع أن تقول شيئا سوى انها وزوجها على حق وان فريدى وراحيل على ضلال . ولا جدوى من توجيه السؤال الى الزوجين الآخرين لأن جوابهما سيكون جواب أخته بعينه ولا سبيل الى زحزحة أى من الطرفين عن رأيه كما أنه لا سبيل لنزول لانى نفسه عن اقتناعه بأن برنامج الشيوعيين هو الذى تسبب فى نمو الفاشية والنازية ، او على الأقل مكن لهما من الانتشار فى ايطاليا والمانيا . اما فى اسكندناوه والبلاد الانجلوسكسونية حيث رسخت فى الأرض جذور الانظمة الديمقراطية فلم يستطع الحمر ولا نقيض الحمر أن يجدوا لهم سبيلا للانتشار .

لم يكن ثمة اذن سبيل لاقتناع يوهانس روبن بالانسحاب للقامة في دير أو حتى في يخت خاص في الوقت الحاضر . وهو لا يزعم أنه يعرف ماذا سيحدث في المانيا ، ولكنه يعرف ان هذه الفترة عاصفة وانه وهو أمير البحر يجب ان يقف الى جانب أسطوله المقاتل ، فيحوى ممتلكاته ويبقى مصانعه عاملة . وفي سبيل الحصول على عقود وامتيازات يجب ان لزم الأمر تقديم هدايا لبعض الساسة الأقوياء ، وفي هذه الحالة يساوم يوهانس بحصافة فلا يدفع أكثر مما ينبغي . وهكذا كانت أحوال الدنيا منذ عرف فيها نظام الحكومات وعلى من كان مثله تاجرا يهوديا منفيا يقبله الناس على مضض في أرض غريبة ان يكتفى بتوجيه عنايته الى منفعه الخاصة . اما ابنه فيشمران بمزيد من الألفة والارتباط بالمانيا ويحلمان بمحاولة تغييرها . اما هو وهو ابن حى اليهود الفقير في روسيا فحسبه ان يطيع القانون . وانه ليعترف بأسى « ان هذا الملك ليس شديد النبيل ، ولكن عندما يأتينى من هم أنبل منى طالبين العون فقد يحصلون عليه منى » .

ان العالم فى حالة سيئة وتزداد كل يوم سوءا . فالبنوك تفلس فى جميع أنحاء الولايات المتحدة ، والبطالة هناك تزيد باطراد . وانتخابات الرئاسة موعدها نوفمبر ، والاحزاب السياسية عقدت مؤتمراتها واختارت مرشحيها ، فأيد الجمهوريون المهندس العظيم (هوفر) وكل أعماله ، فى حين رشح الديموقراطيون محافظ نيويورك واسمه فرانكلين روزفلت واستفسر يوهانس من لاني هل يعرف شيئا عن هذا الرجل فقال لاني لا . ولكن عندما وصلت الى اليخت رسائل البريد كان من بينها الخطاب الاسبوعى الذى يرسله روبى ، وهو مزيج من تقرير رجل الأعمال ومربية من مرائى أرميا . وفى هذا الخطاب قال روبى ان المرشح الديموقراطى رجل ليست لديه أية خبرة بالأعمال المالية ، وهو فضلا عن ذلك مقعد ساقاه مقعدتان ومجمدتان بشلل الأطفال ولاشك ان هذه الأوقات بحاجة الى رجل صحيح البنية على الأقل فالرئاسة عمل يحتاج الى مجهود قاتل وهذا الروزفلت ان تم انتخابه لا يمكن أن يعمر مع هذا المجهور الرئاسى أكثر من سنة ، ولكنه لن ينتخب لأن روبى وأصدقائه سيخلمون ستراتهم ناشطين لمقاومته ، ولا نريد ان نقول شيئا عن فتحهم أكياس نقودهم على سعتها .

وضحك الابن الذى لا يعرف التوقيع قائلا « أحسب روبى ، سيطلب

منك اكتبابا لهذا الغرض « فاجابه اليهودى « ان لى مصالح كثيرة فى امريكا ، فتذكر لانى الكلمة التى كان قد سمع زهاروف يقولها ذات مرة « انا مواطن كل بلد لى فيه استثمارات » .

- ٣ -

وتناقشا فى احوال المانيا التى تعيش على رأس مال مقترض وتنزلق كل يوم الى درك أعمق من الهاوية . والحكومة القائمة ليس لها سند شعبى ، بل يديرها نادى السادة وهو منظمة من كبار رجال الاعمال والارستقراطيين وكبار اصحاب المناصب ، وله نحو عشرين فرعا فى أنحاء المانيا . وانشط اثنين من ساسته هما المستشار فون بابن والجنرال فون شلايخر ، والمفروض انهما زميلان ، بيد ان كلا منهما لم يكن يثق بالآخر متى بعد عن نظره . وبابن فى الوقت الحاضر يتولى الحكم ، اما شلايخر فيتفاوض سرا مع النازى ليؤيدوه فى عملية اخراجه من الحكم . ولا احد يثق بأحد ، فيما عدا صرح طبقة اليونكر البالغ من العمر خمسة وثمانين عاما ، وهو الماريشال فون هندبنورج والسيد العجوز المسكين كلما تقلبت عليه اعباء الدولة لا يجد كلمة يقولها سوى « يجب ان أخلد للراحة ! »

وقدر يوهانس أنه من المؤكد حصول النازى على مكاسب ضخمة فى الانتخابات القادمة ، الا انه أبى أن يقلق باله بذلك ، فكثيرون من النازى أسماؤهم فى قوائم من يحصلون منه على نقود ، ولكن اعتماده بالأكثر على ما حدث من ذهاب هتلر الى دوسلدورف حيث عقد اجتماعا طويلا مع تيسن وآخرين من أقطاب وادى الرور . وقد طلبوا حل اتحادات العمال الحمراء ، واقنعهم هتلر باستعداده للاقدام على ذلك . وقد تستطيع خداع واحد واثنين من رجال الصلب الحشنيين هؤلاء ، ولكنك لا تستطيع ان تخدع الكثيرين منهم فهم يعرفون السياسة وطالما تعاملوا مع رعييل منهم بعد رعييل ، ان ذلك جانب أساسى من لعبة توجيه الصناعة وادارتها فى عالم حافل بالبرلمانات والاحزاب وهذا شئ مزعج ولكنك تتعلم منه كيف تحكم على الرجال وكيف تحرص على الا يصل الى الحكم أحد لا يمكنك ان تثق به .

ويقال مثل ذلك عن كبار ملاك الاراضى فى بروسيا ، فهم يريدون قبل كل شئ اقامة استحكامات ضد البلشفية ، وهم مستعدون لأداء أفدح الأثمان نظير هذه الخدمة . وهاتان القوتان ، قوة رجال الصناعة فى الغرب وكبار ملاك الاراضى فى الشرق ، هما اللتان حكمتا ألمانيا منذ أيام بسمارك وستظلان تحكمانيها .

وسأله لاني « ولكن الا تخشى من قبل هتلر عداوة للسامية ؟ »

فهتف صاحب يخت يسي « يا الهى ! لقد نشأت وسط الفتن والمذابح ، فماذا كان بوسعى أن أصنع وماذا بوسع أى واحد منا أن يصنع اللهم الا التضرع الا يحدث شيء من ذلك فى الشارع الذى نقطنه ؟ » فقال لاني « ولكنهم يتوعدون بأن يجعلوا هذا العداء عاما شاملا يا يوهانس ! » فاجابه « انما هى وسيلة للوصول الى الحكم فى عالم تستبد فيه الحيرة بالناس ولا بد لهم من أحد يلقون عليه الملام . وكل ما أستطيعه من أمل ان النازى ان وصلوا الى الحكم فسيواجهون من المشكلات الحقيقية ما يحول بؤرة الضوء عن قومي » .

وكانت ايرما قد بدت رغبتها فى الابتعاد عن الشئون السياسية الالمانية ، ولكن ذلك لم يتيسر بصورة كاملة ، فثمة مدرسة العمال التى كان فريدى شديد الاهتمام بها ، والتى كانت منشأة على غرار مشروع لاني تقريبا . فلما عادا الى برلين انصرفت زوجة لاني للعب البريدج فى حين ذهب هو مع فريدى وراخيل الى حفل استقبال قابل فيه المعلمين وأصدقاء المشروع وسمع مشكلاته تناقش واخبرهم كيف تسير الامور فى وسط فرنسا .

وكان لاني فى طريقة تفكيره اقرب الى هؤلاء الاشتراكيين الشبان منه الى اية جماعة اخرى ، ومع هذا فما أشد تباين الآراء فيما بينهم ، وما أشق جمعهم حول برنامج للعمل ! وقبل الانتخاب ببضعة أيام قامت حكومة فون بابن بانقلاب فى ولاية بروسيا التى تضم مدينة برلين ، وتم اخراج رئيس الوزارة والوزراء وكلهم من الديمقراطيين الاشتراكيين - من مناصبهم ، وهددوهم بالقاء القبض عليهم ان هم حاولوا المقاومة ، وكانت مقاومتهم ضعيفة بحيث امكن اعتبارها استسلاما . وكان من نتيجة ذلك ان انتشر الطنين بين الاشتراكيين كأنهم سرب من النحل هوجمت خليته ، بيد انهم للأسف بدوا نحلا لا ابر له ! واقترح الشيوعيون اضرابا عاما للعمال ، وطلبوا من الاشتراكيين التعاون معهم ، ولكن كيف يسع أى انسان ان يتعاون مع الشيوعيين ؟ انهم يستغلون أى هياج للاستيلاء على ازمة الامور لأنفسهم وينقلبون على حلفائهم مثلما فعلوا بكيرنسكى فى روسيا . والاشتراكيون يخشون الشيوعيين اكثر مما يخشون الرجعيين ، ويخشون ان يعملوا ما عمله الشيوعيون ، وان يبدوا كالشيوعيين ، وان يسميهم الناس شيوعيين .

وهكذا سيطرت وزارة البارونات على شرطة برلين وسائر سلطات

الحكومة المحلية . وكم كان الحال مختلفا قبل اثني عشر عاما اثناء « انقلاب كاب » ففي ذلك الحين لم ينتظر العمال اوامر قادتهم ، بل عرفوا على الفور ماذا ينبغي أن يصنعوا ، فالتقوا بأدواتهم من ايديهم وخرجوا الى الشوارع واطهروا بأسهم . اما الآن فالظاهر أنهم فقدوا اهتمامهم بالجمهورية . فاي خير افاءته عليهم في هذه السنوات الاثنتي عشرة ، انها لم تستطع رد غائلة ضنك البطالة عنهم . بل انها لم تعد تقدم لهم الوعود ! فهي مكبلة بأرائها الخاصة عن الوسائل المشروعة بحيث تعجز عن مكافحة وسائل الآخرين غير المشروعة .

وأصفي لاني لمناقشات هؤلاء المثقفين الألمان ، وهم من طبقات شتى جمع شتاتهم ما بينهم من شركة في الافكار . ووجد لديهم ادراكا ثابتا جدا للخطر المحدق بقضية الحرية والعدالة الاجتماعية . وكانوا جميعا يريدون ان يعملوا شيئا ، ولكنهم ينبغي ان يتفقوا اولا على ما يجب عمله والظاهر انهم لا يقدرّون على ذلك ، فظلوا يتجادلون الى ان انهكت قواهم . وتساءل لاني : اهو داء يصيب جميع المثقفين ؟ اهو شلل يصاحب حياة العقل ؟ ان كان ذلك كذلك فلا بد ان يظل المفكرون على الدوام خاضعين لرجل القوة الفاشمة ، وسيظل حلم افلاطون بدولة يحكمها الفلاسفة لا طائل تحته الى الأبد .

وقال لاني لنفسه : « ينبغي ان يتزعمهم أحد ! وكان يريد ان يقول : « يا الهى ! قد يحسم الامر الليلة . وتموت جمهوريتكم ! هيا بنا الآن ندعو العمال للخروج الى الشوارع بيد انه قال لنفسه بعدها : « كيف يمكن ان ابدو وانا اتزعم ثورة المانيا ، انا الامريكى ؟ » واسترخى في جلسته وأصفي لمزيد من المجادلات وقال لنفسه « انا كالأخرين . فأنا مثقف ايضا ! وعندى بضعة مسدسات واعرف كيف استخدمها ولكنى لا استخدمها ! » .



وكانت في المدرسة معلمة للفن اسمها ترودى شولتز ، حديثة السن جدا ، وهي شخصيا طالبة في مدرسة فنية ، ولكنها تأتي ليلتين او ثلاثا كل اسبوع لتلقن العمال ما تعرفه ، ومعظمهم أسن منها وهي متزوجة من فنان شاب يعمل في الرسوم التجارية بمرتب صغير لدى مؤسسة للاعلان ، ويكره هذا العمل وترودى ولودى شولتز كلاهما من النمط الآرى الكامل الذى ينوه به ادولف هتلر بيد انه من الواضح عدم انتمائه اليه . فللفتاة

شعر اشقر موج ، وعينان زرقاوان صافيتان بريشتان وملامح حساسة توحى بالصراحة والاخلاص . وقد راقبها لاني وهي ترسم على السبورة لتلاميذ صفها اشكالا تخطيطية ، وخيل اليه ان لديها موهبة خارقة في رسم خطوطها . فهي ترسم شيئا ما ثم تمحوه بلا مبالاة ، فيكره ان يراه يمحي .

وسرها اهتمامه فدعته للحضور ومشاهدة عملها . وهكذا قاد لاني بالسيارة فريدي وراحيل - في مساء آخر اثناء انصراف ايرما للعب البريدج الى احياء طبقة العمال في المدينة حيث يعيش الزوجان الشابان في مسكن صغير . وتفقد لاني كمية كبيرة من الرسوم بقلم الرصاص وعددا قليلا من الرسوم بألوان الماء واشتد اهتمامه بما اعتقد انه موهبة حقيقية . وكانت هذه الفتاة ترسم ما تراه في برلين ، الا انها تلونه بشخصيتها . وهي مثل جسي بلاكلس تحب العمال وتنظر الى الاثرياء باستنكار خفي مما جعل اعمالها « دعاية » من العسير بيعها . بيد ان لاني خطر له انها ينبغي ان تروق الصحافة الاشتراكية فعرض عليها ان يأخذ بعضا منها معه فيريه لليون بلوم وجان لونجيه . وبطبيعة الحال اهتم الشابان الزوجان شولتز بذلك ، لانهما كانا قد سمعا بأن لاني هو الذي اختار لوحات الاساتذة الاقدمين لقصر يوهانس روبن ونظرا الى الأمريكي الشاب الثرى نظرتهما الى قوة في عالم الفن .

ولاني من جانبه كان سعيدا بلقاء شخصيات حيوية في الحركة العمالية وقد ازداد مع الوقت اقترابه من اعتبار الفن سلاحا في صراع اجتماعي وها هما شابان يشاركانه وجهة نظره ويفهمان على الفور ما يقول . وهو قد سافر الى اماكن كثيرة قاصية ، اما هما فلم يعرفا سوى برلين وضواحيها والريف المحيط بها حيث كانا يقومان احيانا برحلات على الاقدام ، بيد انهما استطاعا ان يستنبطا المفزى بعينه الذي استنبطه من الحياة . ان العالم الحديث يزداد في كل يوم توحدا ، والاشياء المادية متجهة عن طريق الانتاج الكبير الى ان تكون لها مستويات واحدة . في حين يشكل صراع الطبقات عقول العمال والسادة ونفوسهم .

وقد راقب لاني انتشار الفاشستية من ايطاليا الى المانيا مغيرة اسمها ولون قميصها ، اما فيما عدا ذلك فما اقل التغير ، وقد سمع المجادلات بعينها بالضبط حول الفاشية هنا في برلين وفي باريس وفي اواسط فرنسا وفي مدرسة راند للعلم الاجتماعي في نيويورك .

ان هؤلاء الشبان الخمسة متشابهون كثيرا جدا في مستوياتهم

ورغباتهم ، ويعبرون عما في قلوبهم بطريقة لم يتح مثلها للاننى منذ زمن طويل . وكلهم تعذبهم المخاوف مما يحدق بأوروبا ويتوقون الى تحديد ما يجب عليهم عمله في مواجهة عاصفة الرجعية التى تتأهب للهبوب . فما هى اسباب الشلل الفظيخ الذى يبدو انه اصاب حركة العمال فى العالم ؟ ان ترودى شوتز وهى فنانة مثالية تعتقد ان السبب فشل القوى المعنوية . فقد نشأت فى بيت ماركس الا انها ساخطة على بعض القواعد التى كانت تعتبرها من قبل انجيلا . ولاحظت أن المادية الجدلية لا تمنع الناس من الشحناء ولا من الغيرة ولا من الحقد الانتقامى وضيق افق العقل . والاشتراكيون يتحدثون كثيرا عن الزمالة ولكنهم كثيرا ما يفشلون فى ممارستها ، واستقر رأى ترودى على ان البشر بحاجة الى اكثر من الاحساس الطبقي او الوعى الطبقي كى تتكون منهم وحدة اجتماعية .

وفريدى روبن الذى كانت لديه معرفة دراسية علمية بهذه الأمور كان من رايه ان التوحيد بين الديمقراطية الاجتماعية والفلسفة المادية امر عرضى محض ، مرجعه الى ان كليهما نشأ بألمانيا فى القرن التاسع عشر . ولم تكن بين المسألتين صلة أساسية . والآن وقد ابتعد العلم الحديث عن الفكرة المذهبية القديمة القائلة بأن الذرة الفيزيائية هى مادة بناء الوجود كله . فقد حان اذن للاشتراكيين ان يجدوا لانفسهم فلسفة تفسر الجهد الخالق والغاية الاخلاقية .

وكانت الفتاة الطالبة متلهفة وسعيدة بسماع أحد يقول هذا الكلام مستخدما الالفاظ الاصطلاحية الفلسفية الطويلة التى تجعل الكلام يبدو صوابا فى سمع أى ألماني . وقالت انها لاحظت ذلك الخطأ يسرى فى الحياة اليومية . فالذين ينادون بأن المادة والقوة هما اساس الحياة والحقيقة الوحيدة يميلون لتطبيق هذه النظرية فى حياتهم الخاصة . وعندما تصل يدهم الى شئ من السلطة يفكرون فى الاحتفاظ به وينسون تضامنهم مع الكادحين المتواضعين . ان الناس ينبغي أن يؤمنوا بالقوة الخلقية وان يتركوا الحب يعمل عمله فى الدنيا . ويجب عليهم أن يكونوا مستعدين للتضحية براحتهم الشخصية وأعمالهم ومرتباتهم ، بل وأرواحهم ان لزم الأمر . وهذا الافتقار الى روح الأخوة والتضامن الحى هو الذى مكن اوتو براون الديموقراطى الاشتراكى رئيس وزارة ولاية بروسيا ، وكارل سيفيرنج وزير الداخلية من الانحاء أمام تهديدات الارستقراطيين لابسى المونوكل بحيث اذا بالقرار الى بيتهما من غير أن يبذلا أقل مجهود لاثارة الشعب كى يحمى جمهوريته والحريات التى تضمنها له . وقال لاننى فى نفسه « هنا أخيرا وجدت ألمانيا يفهم معنى الحرية ! »

وفي يوم احد ، آخر ايام شهر يولية توجه اكثر من سبعة وثلاثين مواطنا في الجمهورية الالمانية ما بين رجال ونساء الى صناديق الاقتراع وسجلوا اختيارهم للنواب الذين سيمثلونهم في الرايشتاج .

وبالمقارنة بالاقتراع الذى جرى قبله بسنتين خسر الاشتراكيون ستمائة الف صوت تقريبا ، وكسب الشيوعيون مثل هذا العدد ، اما النازى فزادت اصواتهم من ستة ملايين ونصف مليون الى اربعة عشر مليونا . وصار لهم مائتان وثلاثون نائبا من مجموع النواب البالغ ستمائة وثمانية ، وهو عدد يزيد على ما ظفر به الشيوعيون والاشتراكيون معا لو أنهم اتحدوا ، وهو ما لن يقدموا عليه . وبذلك صار من المستحيل من الآن فصاعدا ان يحكم المانيا أى امرى دون موافقة ادولف هتلر .

وبدأت سلسلة طويلة من الدسائس والشد وجس النبض وراء الكواليس . ويروى يوهانس ما يعلمه عن الاحداث للانى ، ولوالد لانى ايضا الذى قد اتى للتشاور مع شريكه وركب مع الاسرتين اليخت بس بد فى رحلة بحرية قصيرة . فساسا اليمين الذين ظفروا بأقل من خمسة فى المائة من الاصوات ما زالوا متشبثين مع ذلك بالسلطة ويحاولون اقناع هتلر بالدخول فى وزارتهم كى يتسنى لهم تملكه وتهدة ثائرتة وكما حدث من قبل مع ماكدونالد فى انجلترا . ويبدون استعدادهم لتقديم هذا المنصب الوزارى وذاك اليه . ويحاولون كسب انصاره وابعادهم عنه ويستدعى « ادى » المنتخبين من هؤلاء الانصار الى المثل امامه ويصيح فى وجوههم بطريقة هستيرية . وعندما يعجز عن املاء رأيه يهددهم بالانتحار . وانصاره لا يمكن ان يعرفوا أهو جاد فى تهديده ام غير جاد .

وكان حدثا ضخما فى حياة برلين عندما رضى الفيلد مارشال العجوز ان يستقبل الاونباشى البوهيمى . وركب هتلر السيارة الى شارع فيلهلم وحشود الجماهير تهتف له على جانبي الطريق . وهناك تناول الغداء مع فون بابن المستشار الذى يطالب هتلر بمنصبه . وعندما ادخلوه الى حضرة هندنبورج كان فى حالة عصبية شديدة حتى انه تعثر فى بساط . وشرع يلقي احدى خطبه المعهودة ، على نحو ما كان يفعل جلادستون امام الملكة فيكتوريا بالضبط ، حتى اضطر قائده القديم ان يوقفه عند حده . واخبره هندنبورج انه لا يمكن ان يسند منصب المستشار الى رجل يمارس انصاره الارهاب وانتهاك القانون بطريقة منظمة . فهو يعتقد ان منصب نائب المستشار كاف جدا لمثل هذا الرجل ، ولكن هتلر رفضه وطلب

سلطة كاملة . وثار اليونكر العجوز ، بيد ان الاونباشي السابق كان قد
الف هذه العاصفة ، وكان كل رده « المعارضة حتى الرمق الاخير » . فقال
هندنبورج « لا بد لي من الحلود الى الراحة ! » .

وبدأت موجة جديدة من الارهاب فتمت هجمات على الحمر بجميع
ظلال ألوانهم على يد كتائب الهجوم النازية فى ملابسهم الرسمية ودون
هذه الملابس . وسمعت ايرما بذلك وبدأت ترجو لانى أن يقطع زيارته
لهؤلاء الناس ، وحاولت ان تستعين بروبى على ذلك ، ولما اخفقت هذه
الاستعانة أبدت رغبتها فى مغادرة برلين . فما هذه الاستجابة اللاارادية
التي تدفع زوجها الى صحبة اشخاص يريدون على الاقل ان يستولوا على
ماله وكثيرا ما يتآمرون لتوريثه فى دسائس خطيرة ؟ ما الذى صنعوه له ؟
ما الذى يمكن ان يكون مدينا به لهم ؟ .

وأصر لانى على أنه لا بد ان يسمع جميع الاطراف فدعا اميل مايسنر
للغداء ، ولكن ليس فى بيت روبن ، لان اميل ما كان لياتى الى هناك .
وكان الشقيق الاكبر لكثير قد صار الآن كولونيلا ، ولانى يريد أن يعرف
راى ضابط بروسى فى هذا المازق السياسى . وقال اميل ان الموقف يرئى
له ، واتفق فى الراى مع لانى على ان النازيين لا يصلحون على الاطلاق
لحكم المانيا . وقال ان فون بابن لو كان رجلا قويا حقيقة لما سمح بتاتا
باجراء الاقتراع . ولو كان الفيلد مارشال هو الرجل الذى كانه فى سالف
ايامه لأخذ بيده أزمة الامور وحكم البلاد الى ان تنتهى هذه الازمة
الاقتصادية لاستطاع الشعب ان يستقر بحالة عقلية سوية . فسأله لانى :
« ولكن افلا يعنى هذا نهاية الجمهورية ؟ » فقال الكولونيل مايسنر :
« الجمهوريات تغدو وتروح ، اما الامم فتبقى » .



واتصل هنريش يونج تليفونيا وهو يتفجر زهوا بانتصار حزبه .
وعرض على لانى ان يخبره بالقصة من الداخل ، فقال لانى : « ولكننى
ضالع مع اعدائك » فضحك الآخر واجابه : « اذن تستطيع انت ان تخبرنى
بالقصة من الداخل ! » ويبدو انه كان يرى لانى الامريكى فوق المعركة .
فهل كان النازى الشاب يسعى الى اعجاب شخص اجنبى ؟ هل كان فى
اعماق فؤاده يشعر بلذة المناقشة الحرة والتعبير عن الراى غير المتحيز الذى
لا يظفر به فى صحافة حزبه ؟ ام الحقيقة ان لانى لانه طائل الشراء فانه
يبدو له اشبه بشخصية فى فيلم من هوليوود ؟ .

وكانت أسرة يونج قد زادت زيادة جديدة فمارحه لاني قائلا ان معنى ذلك : « زيادة عدد اليونكر » مستغلا التقارب اللفظي بين يونج واليونكر . وكان مرتب هانيريش قد زاد وانتقل الى بيت اوسع ، ودعا بمناسبة قدوم لاني هوجوير ، فجلس ثلاثتهم ساعتين يرشفون البيرة الخفيفة ويحسمون مصير المانيا وجيرانها . واثار اهتمام لاني ما لاحظته من وجود خلافات بين المثقفين النازيين كما عند سواهم ، والصفقتان الاساسيتان لحزب هتلر تضمان وجهات نظر شديدة الاختلاف بعيدة عن التماسك . وكان هانيريش يمثل صفة الوطنية وهوجو يمثل الاشتراكية . وفي حين كانا متفقين على تاليه الفوهرر والجزم بعصمته من الخطا كانا مختلفين في خطط الحزب السياسية المباشرة وفي اهدافه النهائية على السواء . وخيل للزائر ان الصدع قد اتسع كثيرا منذ آخر مرة رآهما فيها . فهوجو الذي ارتد عن الماركسية جاء معه بمسلك الوعي بالطبقة العاملة وبرنامج التأميم . اما هانيريش وهو ابن أحد موظفي جراف شتوبندروف فله عقلية مستخدم في ضيعة بروسية يعتبر الضبط والربط أساس الوجود .

وخيل للاني ان في هذه المفارقة نصرا دراميا ، وانه قد يفيد كاتبنا مسرحيا انجليزيا ان يأتى الى برلين ويدرس ما يجرى فيها . وكان قد اقترح هذه الفكرة على ريك الذى لم ير الحركة النازية على جانب كاف من الاهمية ، ولكن لعل الاقتراح الاخير غير رأيه في الموضوع ! ومهما يكن من شيء فقد اهتم لاني بالاصغاء للشابين المتعصبين المتحمسين المصممين على تغيير العالم على غرار زعيمهما الملهم . وسره أن يتناول عتلة ذهنية يزج بها في الصدع القائم في عقليهما فيوسعه ويعمقه . والى أى مدى من العمق يمكن ان يصل قبل ان يفتننا اليه شخصيا ؟ ولم يسع لاني ان يخبرهما بما يعلم . لم يكن في مقدوره ان يقول لهوجو : « ان زعيمك في معمعان مفاوضات مع تيسن وكروب فون بولن وكارل فون سيمنس وغيرهم من اشد رجال الصناعة جشعا في بلادك . وهو يبذل لهم وعودا جديدة بانتهاج مسلك محافظ يتقيد بالوسائل المشروعة وهو مستعد للاقدام على أى شيء في سبيل الوصول للسلطة ، وعلى أى شيء في سبيل الاحتفاظ بها . وما أنت واصحابك سوى جموع من العساكر الخشبية كعساكر الشطرنج يحركها هنا وهناك وهو على استعداد للتضحية بها حينما تتطلب منه اللعبة ذلك » . كلا لم يسمع ان يقول لهما هذا لانهما كانا سيسألانه : « وكيف عرفت هذا ؟ » ولم يكن في وسعه ان يجيبهما : « فريتز تيسن اخبر أبى بالأمس » . لانهما كانا سيفترضان انه عرف هذه المعلومات من يوهانس روبن اليهودى . وذلك يعنى لديهما امرين : اولهما

من هذه المعلومات اكاذيب . والامر الثانى ان فريقا من الوطنيين النازيين ينبغي ان يزور قصر روبن ليلا ويحطم جميع نوافذه ويكتبون بالطلاء : « الموت لليهود ! » على بابه الامامى .

كلا . . ان المرء لا يناقش بين الكاثوليك طهارة العذراء المقدسة . وبين النازى لا يناقش المرء شرف الفوهرر فهو عندما قال فى كتابه انه لن يكون شريفا كان يقصد بذلك مع أعدائه ، اما مع أعضاء حزبه فهو لهم الراعى المحب الذى ينبغي ان يتبعوه على غرار الغنم . وكل ما استطاعه لانى وتوجيهه أسئلة غير شخصية : « كيف يستطيع الفوهرر الحصول على ائتمانات تجارية ان قصرت المانيا فى دفع قیمة سنداتھا ؟ ولست اعنى التعويضات بل سندات المستثمرين من الافراد العاديين ، وكان هوجوير الاشتراكى الشاب الساذج لا يدري حتى بمجرد وجود مثل هذه السندات . فقال لانى : « عندى عدد منها فى خزانة حصينة بنیوكاسل بولاية كنیکتيكت . وقد اشتريتها لانى كنت اريد مساعدة جمهوريتكم الاشتراكية » فقال : ماركس السابق : « هذه خدعة برجوازية ! » فكان هذا الرد ختام جميع دعاوى لانى .

- ٨ -

وكان كيرت قد كتب يرجو ايرما ولانى فى القدوم للزيارة ، ولم يكن لانى قد توجه قط الى ستويندورف الا فى وقت عيد الميلاد ، فخطر له انه مما يستحب ان يشاهد الريف هناك فى منتصف الصيف ، وانطلقا بأسرع من الريح فوق طرق بروسيا المستوية الفاخرة مارين بجماعات من البولنديات المهاجرات يعملن فى جمع البطاطس . والطرق على جانبيها أشجار فاكهة قد عنى بها فقالت : ايرما : « لا يمكننا ان نصنع مثل ذلك فى أمريكا لان الناس يسرقون عندئذ جميع الفاكهة » ولم تكن رات فى حياتها اطلاقا حقولا مترامية مزروعة بهذا الاتقان التام ، فكل بوصة فى الأرض مستخدمة ، ولا وجود لشيء اسمه الحشائش الفطرية ، والغابات نفسها أشجارها مفروسة فى صفوف منتظمة كالبساتين . وجددت أعجابها بالشعب الألماني .

وفزلا فى القلعة ، مع ان الجراف لم يكن موجودا . وكان كيرت قد رزق بيونكر جديد ، وكذلك اسرة أخيه واسرة اخته . وقد ضعفت صحة هرمايسنر بيد انه استطاع ان يتكلم فى السياسة فجدد تدمره من فساد

الحكومة الألمانية التي أكره على الحياة تحت نيرها ومن عدم كفايتها . وفي هذه الآونة بالذات نشبت منازعات حول المسائل الدينية ، فمشكلة العلاقات بين الكنيسة والدولة وهي مشكلة قديمة اثرت وصارت تناقش بكل المراتة الموروثة خلال ستة قرون أو أكثر . فالبولنديون اللوثيريون والألمان اللوثيريون لا يقبلون أن يصلوا للرب معا . والكاثوليك البولنديون يحاولون صبغ الألمان الكاثوليك بالصبغة البولندية . وهناك أيضا الكنيسة الروسية الفولونية والكنيسة الاونية وهما وسط بين الكنيسة الروسية الارثوذكسية والكنيسة الرومانية الكاثوليكية ، فهم يقبلون رئاسة بابا روما ولكن قسوسهم يتزوجون وينجبون عددا كبيرا من الابناء . وفضلا عن هذا كله نشأ نظام كنسى بولندى جديد يقضى بخضوع جميع الكنائس للحكومة . ولما كان الهر مایسنر على وشك مغادرة هذه الارض ، فقد ألفى خروجه منها خروجاً مناسباً مشكلة معقدة كأعقد ماتكون المشكلات التي واجهته مدة اقامته فوقها .

وكان لاني يتطلع منذ مدة الى حديث صريح من خدينه القديم . وكان يريد أن يخبر كيرت بما عرفه عن الجهاز السياسى للنازى وببذل جهدا أخيرا لاجراجه منه ، بيد انه تحقق ان كل جهد فى هذا السبيل عبث ، فقد كان كيرت فى حالة حبور حماسى بسبب نتائج الاقتراع ، وهى النتائج التى كان يأمل فيها منذ عشر سنين ويعمل لها منذ خمس . فهو يعتبر أن ألمانيا وجدت خلاصها ، ولذا فهو يؤلف مارش النصر الذى يختم به سائر المارشات . وقرر لاني محزونا أن الأفضل له أن يعزف ثنائيات على البيانو وأن يعتبر السياسة شيئا يجاوز فطنة الموسيقيين الموهوبين .

وكان فى نيته أن يعود مع ايرما الى برلين للقيام بتنزه بحرية أخرى ، لولا وصول برقية من الآنسة سيفرن التى كان لديها معلومات مشددة بالتبليغ عن أقل علامة تدل على انحراف صحة وديعتها . وتضمنت البرقية اضطرابا فى الهضم ودرجة حرارة ١٠١ فهرنهايت ، وهذا لا يعنى شيئا ذا بال لدى الطفلة ، فالمربية تؤكد ان الأمر خطير ، بيد ان ايرما أصيبت بذعر على الفور ، وراحت تقول انها أم مهملة انانية تهرب من مسئولياتها لتتلهى فى أنحاء أوروبا . وأرادت أن تستقل طائرة ، ولكن لاني قال لها : « ان الوقت الذى ننقذه فى الوصول الى المطار وترتيب الحصول على مكان فى طائرة يمكن أن يوصلنا الى منتصف الطريق نحو البيت . فهيا نتناوب القيادة الى هناك مباشرة » .

وهكذا فعلا ، فوصلا الى جوان بعد يومين بقليل ، وليس هذا معدلا سيئا جدا اذا راعينا وجود الجبال فى النمسا وإيطاليا . وقد توقفا فى

الطريق مرتين للاتصال تليفونيا . وعند وصولهما الفيا الحرارة هبطت تماما . فهل كان ذلك بتأثير سحري من برسيغال دنجل ، أم هو الاستعداد الطبيعي لدى جميع الأطفال الصغار للتغلب على الحمى بمثل السرعة التي تصيبهم بها ؟ لم يكن ثمة سبيل لمعرفة الجواب ، وحسبهما أن زوج أم لاني قد بذل خير ما في وسعه ، وأن الآنسة سيفرن بذلت خير ما في وسعها ، وأن الطفلة فرانسس بخير ، وعلى استعداد للاستفادة الكاملة من عواطف أمها المتهتدية الثابتة ! وسعدت إيرما بالهذر والرقص واللعب مع عزيزتها الصغيرة بحيث لم تعد تدري كيف رغبت في أى وقت في الظهور وجاء المجتمعات .

- ٩ -

واستقرا مخلصين لحياتهما العائلية . وفي المساء قد تحضر صوفى وزوجها للعب البريدج مع إيرما وبيوتى . وكانت مرسلين قد بدأت الانتظام في مدرسة خاصة لا تتعلم فيها الشابات الراقات شيئا كثيرا جدا ولكنهن يكن تحت الملاحظة بعيدات عن العبث والسوء . وبذلك ترك لاني حرا يقرأ المجلات التي كانت قد تراكت مدة غيابه ، ويعزف الموسيقى التي تروقه ، ويختلف الى مدرسة العمال ويحدثهم بما وصل اليه عمله في انجلترا وألمانيا وينصحهم كيف يتجنبون الكوارث التي حلت برفاقهم في هذين البلدين .

وكانت العضلة الوحيدة أن الوقائع تبدو معقدة والنتائج المستخلصة غير مؤكدة . فماكدونالد تبدو مسالته دليلا على عقم التدرج والوسائل المشروعة . ومتى ذكرت الماكدونالدية وثب اليك شاب أحمر قائلا : « ها أنت ترى ما يحدث عندما يشق العمال بالبرلمانات ! » ، وحينما تذكر هتلر يثور على الفور نزاع في أسباب ظهوره وانتصاره . أهو عميل الصناعة الألمانية الثقيلة ودليل على أن الرأسمالية لا يمكن أن تخضع بالوسائل السلمية لأى تحديد لسيطرتها ؟ أم أن النازيين ثمرة المخاوف التي أوحتها البلشفية إلى الطبقة الوسطى الصغيرة ، من صغار رجال الأعمال وصغار الموظفين المؤهلين أصحاب الشهادات الذين ليست لهم نقابات ولا يستطيعون حماية مراكزهم ؟

وفي وسعك أن تأخذ أيا من الجانبين في هذه المناظرة ، وتبدل بعدد كبير من الوقائع لاثبات قضيتك ، وتخرج شاعرا بانتصارك عن يقين . أما

الشخص الذى لا سبيل له الى الراحة فهو من كان على غرار لاني يريد الحقيقة كاملة ، ويرى جانبا منها فى كل من المعسكرين . وما من أحد يستطيع أن ينظر فى طبعة من الصحف النازية دون أن يتبين انهم يستغلون الخوف من روسيا الحمراء أقصى استفلال . وفى الوقت نفسه من الذى يستطيع أن ينظر الى بيت هتلر البنى بتجهيزه الثمين ، أو يرى كتائب الهجوم تسير بأزيائها الجديدة اللامعة وأسلحتها البراقة ولا يدرك ان هذه الحركة تمولها أموال كبيرة من نوع ما ؟ ان رأس المال الكبير يخاف روسيا كما يخاف صاحب المؤهلات . ولكن رأس المال الكبير يستغل جميع العاملين ، والفريقان لا يمكن أن يتفقا على السياسة الداخلية . وان عاجلا أو آجلا سيجد النازى أنفسهم مضطرين لاتخاذ قرار حاسم بصدد السيد الذى ينوون خدمته . وهذه هى مأساة الأحداث الراهنة فى ألمانيا ، ولاني يتوق لتوضيحها للعمال الفرنسيين ولمن يلتقى بهم من زعمائهم . فهتلر جالس فى مكتبه ببرلين ، أو فى ميونيخ ، أو فى المعتزل الذى اشتراه لنفسه فى الجبال وزعماء النازى يأتون اليه ويجادلونه ويتجادبونه فى هذا الاتجاه وذاك ، وهو يفكر فى ذلك كله ويقبله فى ذهنه ويختار ايما اتجاه يبدو له انه يفتح له الطريق الى السلطة . انه شديد الزوجان والتخلص مثل تعبان الماء ، وسريع فى حركاته مثله أيضا ، ولا أحد يستطيع أن يتنبأ بما سيصنعه الا بعد أن يقوم به فعلا . والأمير الوحيد الذى تستطيع أن تقوله عن يقين ان الاشتراكية الوطنية قوة بغير ضمير . ففى وسعك أن تسميها ذروة الرأسمالية ، أو صورة منحلة من البلشفية ، ولا مشاحة فى الأسماء ما دمت مدركا ان هذه الحركة ثورة مضادة .

والسؤال الهام هو هل ينتظر حدوث مثل ذلك فى كل بلد . هل يحو الكساد الطبقات المتوسطة مما يدفعها للارتقاء فى أحضان الديماجوجيين ؟ هل يدفع العمال الى الثورة ، فيقابل ذلك بنبذ البرلمانات ؟ هل الشيوعيون على صواب فى فكرتهم التى تبدو جنونية ومؤداها ان الفاشية مرحلة ضرورية من مراحل انهيار الرأسمالية .

الظاهر ان السؤال كان مطروحا للإجابة عنه فى البلد الذى كان يدعوه لاني وإيرما بلدهما ، فرجال الجيش السابقون الذين عبروا البحار ليقاتلوا فى سبيل أوطانهم عادوا ليجدوا المناصب والأموال فى أيدي الآخرين وأصبحوا متعطلين ، وكثيرون منهم يتضورون جوعا فكانوا يتجمعون فى واشنطن لطلب المعونة ، وأحضر بعضهم أسراتهم المدممة واحتشدوا فوق درجات سلم الكابيتول أو عسكروا فى الأراضى الفضاء

بجوار نهر بوتوما • وأصيب المهندس العظيم بالذعر ولم يستطع التفكير في شيء سوى إطلاق الجيش عليهم ، فقتل أربعة وأحرق الخيام كلها وسائر ما بها من المقتنيات الزهيدة • وطرد « أنصار العلالة » وهم جماعة لا حول لهم من الفوغاء لم يهتم أحد أين يذهبون ما داموا قد كفوا عن ازعاج الساسة المشغولين بإعادة انتخابهم •

وبدا في نظر لاني أن هذا شبيه تماما بوزارة البارونات واستيلائها على الوزارة البروسية وحكمها ألمانيا. وهي لم تغفر الا بأصوات قليلة من الرايشتاج • ومثل ذلك أيضا ما فعله بوان كاريه حين احتل الرور لمصلحة لجنة مصانع الحديد • وما صنعه زهاروف حين أرسل جيشا الى تركيا كي يحصل على امتيازات البترول • فهو نمط واحد من الرجال في جميع أنحاء العالم ، يحاول كل منهم سلب مالدى الآخرين من فحم وصلب وبترول وذهب • بيد أنهم جميعا في اللحظة التي يتهددهم فيها عبيدهم الأجراء في أى مكان يتحدون معا ليكافحوا الخطر المشترك • ويكافحون ذلك الخطر المشترك بالجيش أو بالعصابات المسلحة أو عن طريق زعماء العمال أنفسهم الذين يشترونهم أو يغرونهم باللقاب • ومظاهر التكريم والتصفيق ! •

تبين لاني ذلك كله بوضوح وانها لمصلحة للعقل أن يكتشف الوحدة في غمار التباين ثم يخطر له خاطر : « أبى أحد هؤلاء الرجال • • وكذلك أبوه وأخوته • • واحدهم أيضا حمو أختى • • وكذلك كان والد زوجتى وجميع رجال أسرتهما » • فيفسد ذلك الحاطر لذة لاني العقلية •

- ١٠ -

مر أسبوعان أو ثلاثة وبدأ الطموح يعتل مرة أخرى في نفس إيرما بارنز بد • فثمة ذلك القصر الباذخ في باريس الذى كانت تدفع إيجارا شهريا له فوق الثمانين ألف فرنك ، وقرابة ذلك المبلغ في نفقاته وصيانتة سواء استخدمته أو لم تستخدمه • وها قد حل الحريف وهو من أفضل الفصول في مدينة النور يعود فيه المجتمع الوجيه من مناطق الجبال والبحر وتقام صالونات الحريف الفنية والأوبرات والحفلات الموسيقية وسائر تلك الأشياء التى يحبها لاني • وهناك أيضا السهرات الراقصة والحفلات ومعرض للسيارات وغير ذلك من مظاهر الترف وانطلق الزوجان الشابان في سيارتهما ، وصوفى وزوجها في سيارة لهما أيضا ، وبيوتى وزوجها في

سيارتها • ولم يكن السيد دنجل يبالى أين تأخذه ، لان الله فى باريس - وان كان ذلك قد يبدو غريبا - وهناك ايضا يوجد اناس يعرفونه سبحانه ، حتى فى غمار التهالك على الملذات • وحضرت مارجى ليدى افرشام وطسون الوالدة من لندن وجاءت معها بنينا وريك لقضاء عطلة قصيرة • وكان ريك قد أضحى الآن شهيرا تتهافت عليه المضيفات • ودعى ايضا الجنرال جارفشتوبندورف ردا لضيافته، ولدهشة لاني لئى الدعوة • وأتى آخرون غيره من وجهاء أهل برلين ومرة أخرى عاد التصافح عبر نهر الراين ، بيد ان لاني لم يعد ساذجا ، لقد عجز عن اقناع نفسه ان ذلك من شأنه ان يبقى السلام سائدا بين دول أوربا الكبرى • وكان مؤتمر تحديد التسليح لم يزل مستمرا فى مجادلاته بجنييف وأخذ يواجه الاخفاق التام • ورجال السياسة والمرموقون من أهل الوجاهة حتى رجال الجيش قد يشربون النبيذ ويتناولون العشاء معا على خير ما يكون الأصدقاء الا انهم مستمرون فى تكديس الأسلحة ونسج الدسائس ، كل منهم ضد الآخرين الى ان يدوى ذات يوم صوت النفير فتراهم جميعا قد انطلقوا مسارعين كل منهم الى ضفته من النهر أو جانبه من الجبل أو ايا كان خط الحدود •

ولم تستغرق ايرما وقتا طويلا كي تفدو المضيضة الكاملة ، وكانت تساندها اميلى شترزورت وغيرها من السيدات فقامت بدورها فى وقار وتوفيق وأحبها الجميع • واشد الدخلاء المتزمتين فى حى سان جرمان وهم الطبقة المتعالية لم يستطيعوا أن يجدوا فيها عيبا • فهى لم تضع فى ذهنها أن تحاول انشاء صالون ، فهذا مطلب يستغرق وقتا طويلا ، وقد يأتى بالتدريج وكأنه ثمرة عرضية اما الآن فهى تقيم دعوات ترفيفية أنيقة فى غير شح على الاطلاق ، فى وقت اضطر فيه الناس جميعا الا أقل القليل لانتهاج هذه الحطة التى لا تفتقر •

وقد ظل أنبياء الأعمال المالية ثلاث سنوات يقولون للعالم أجمع ان التدهور وقتى ، وان الرخاء على الأبواب • أو هو كامن وراء زاوية البيت • ولكن يبدو ان ذلك البيت مستدير • والظاهر ان شيطانا تسلل الى داخل الجهاز الاقتصادى وراح يخربه • ففى وول ستريت والمركة السياسية المستعمرة فى أوجها بدأت من موجة جديدة من افلاس البنوك ، وتوقف دفع الحصص والآن توقفت ايضا فوائد السندات • ودخل ايرما فى الربع الثالث من السنة هبط الى أقل من مائة ألف دولار • فقالت لزوجها : « سنبذل جهدا جبارا حتى نهاية مدة هذا الايجار ثم نعود وننكمش داخل مخبأ العواصف » فأجابها : « وهو كذلك وترك المسألة عند هذا الحد • فقد كان يعلم انه لا قبل له بتغيير عقيدة ايرما بانها تساعد على حفظ

النظام الاجتماعي بتوزيع المال على خدم منزلها وتجار الحمول وتجار الازهار وصناع الازياء وكل ذلك الطابور الطويل الذي كان يأتى الى الباب الجانبى لهذا القصر على نحو ما كانوا يأتون فى أيام ماري انطونيت منذ مائه وخمسين سنه . ولكن ذلك لم يجد قديما فى انقاذ النظام الاقطاعى ولانى يشك اليوم فى ان هذا المسلك يمكن ان ينقذ النظام الرأسمالى ولكن لا فائدة من ازعاج أى انسان قبل الاوان ! .

واقلق لانى ان يرى حياته مفرطة فى السهولة . والواقع ان ذلك ظل يقلقه منذ سنين ، ولكن كيف يسعه ان يجعلها شاقة ؟ حتى جسى بلاك الوعر المرور نائب الجمهورية الفرنسية لم يستطع ان ينسى انه فى الواقع مدين بانتخابه لتبرعات ايرما ، وانه ان عاجلا أو آجلا سيحتاج لدخول معركة انتخابية جديدة بل ان جان لونجيه نفسه وهو أديب ومحرر اشتراكى لم يكن يحاول مناقشة احكام شاب أمريكى ثرى يأتیه ببضعة رسوم من ريشة طالبة فن المانية . بل انه يسره ان ينشر هذه الرسوم ، وأسعد ترودى شولتز ان تتلقى اكرامية متواضعة من صحيفة «البوبيلير» ولم يخطر ببالها أن هذه النقود جزء من الاكتتاب الذى تبرع به لانى لصندوق الحرب فى هذه الجريدة الحزبية .

- ١١ -

حتم برنامج هتلر للمعارضة حتى الرمح الأخير حل الرايشستاغ ، وبدأت معركة انتخابية جديدة كان وقعها شديدا على ادولف لانه عجز عن الحصول على المال الذى يتطلبه مثل ذلك المجهود وحين تمت الانتخابات فى أوائل نوفمبر اتضح انه خسر مليونين من الاصوات فى ثلاثة أشهر . وسرى عن يوهانس روبن كثيرا وكتب يقول انها علامة تحول التيار أو انحسار الموج . وشعر بأنه كان على حق فى ايمانه بالشعب الالماني الذى لا يمكن اقناعه بلن يعهد بأموره الى شخص مختل العقل . وقال يوهانس ان سلوك الفوهور منذ هذه النكسة دل على انه عاجز عن السيطرة على نفسه وينبغى ايداعه مؤسسة من المؤسسات .

وبعد الانتخابات الالمانية بيومين تمت الانتخابات فى الولايات المتحدة . وكان روبى بد مؤمنا بالشعب الأمريكى ، وظل متعلقا بذلك الايمان حتى الساعة السابعة من مساء يوم الثلاثاء غداه أول يوم اثنين فى شهر نوفمبر سنة ١٩٣٢ ، ثم تحطم ذلك الايمان تحطما تاما لارجاء

ليه فقد هزم المهندس العظيم صديق روبى ومعبوده هزيمة ساحقة واكتسح : « ذلك الرجل روزفلت » جميع الولايات ما عدا ستا . وكانت إحدى الولايات التى فشل فى اكتساحها موطن روبى . وللجمهورى المتعصب ان يحمى الله على هذه الذرة الصغيرة من احترام الذات الباقية له ! قد يكون آدى هتلر مخبولا ، ولكنه المثل الاعلى للحكمة اذا قيس بروزفلت كما كان يتراءى فى عين روبى فذلك المرشح قد انطلق فى نزهة مرحلة يجوب أنحاء البلاد يعد كل انسان بأى شىء فجاءت وعوده متناقضة تمام التناقض ، من قبيل موازنة الميزانية وبرنامج حكومى للتوسع يرفع الدين العام الى مستوى الارقام المستخدمة فى علم الفلك .

وكان من عادة روبى ويوهانس كليهما ان يرسلوا صورة بالكربون من رسائلهما التى تتضمن تعليقا على المسائل العامة . ولاول مرة منذ الحرب العالمية غدا التاجر اليهودى هو المتفائل . فكرر عبارته التى يستعيرها من فن الطهو ، وهى ان الحساء لا يمكن أن يشرب بمثل الحرارة التى طهى بها ، وعرض ان يثبت ايمانه بأرض « مفخرة الحجاج » عن طريق سماحه لروبي ان يشتري له مزيدا من حصص بد ، ولكن روبى رد عليه فى سرية تامة - حتى انه كتب الخطاب على الآلة الكاتبة بنفسه - ان مصانع بد من المحتمل ان تغلق أبوابها تماما عن قريب ، وان حكمة هوفر ومزاحم الاتحاد المالى لاعادة البناء هما اللتان حالتا دون نكوصها عن أداء سنداتهما .

وبمقتضى النظام الأمريكى لا بد من انقضاء أربعة أشهر بين انتخاب روزفلت وتقليده السلطة . وطن روبى ان هذه الفترة ستسمح له باسترداد أنفاسه الا أنها كانت فترة شلل ، فلم يتم فيها شىء وصار كل فريق يلوم الفريق الآخر . وكان هربرت واثقا من فرانكلن يريد أن يرى البلاد حطاما كى يحظى بمجد انقاذها ومهما يكن من شىء فها هو الدمار فى صورة موجة بعد موجة من افلاس البنوك ، حتى صار الناس يخفون نقودهم فى حشايا الفراش ، واقبل رجال الاعمال على شراء الذهب توقعا للتضخم واهل أوروبا الذين كانوا قد أرسلوا أموالهم الى أمريكا شرعوا فى استردادها . ويقال ان سبعة عشر مليوناً من العمال لا عمل لهم وهو رقم قياسي عالمي ! -

وفى هذه الأثناء كان المازق فى ألمانيا لم يزل قائما فالاشتراكيون خسروا كتلة كبيرة أخرى من الاصوات كسبها الشيوعيون ، وازدادت كراهية كل منهما للآخر . وحظى هتلر بمقابلة أخرى مع هندنبورج وطلب منصب المستشار لنفسه ولم يظفر به . واستشاط متطرفو النازى غضبا من « عقدة الوسائل القانونية » عند هتلر وصاحوا يطالبونه بالاستيلاء على السلطة . ونشب خصام عنيف آخر بين الفوهور وجريجور شتراسر الزعيم رقم واحد لتنظيم الرايخ ، وهدد أولهما بالانتحار مرة أخرى ، وهدد الآخر بالاستقالة من الحزب وانشاء حزب جديد خاص به .

وشرع شتراسر فى حبك الدسائس مع أعضاء نادى السادة الذين كانوا مستعدين لعقد صفقة مع أى شخص يمكن أن يتيح لهم الاصوات . وكان الجنرال فون شلايخو يريد ان يحل محل فون بابن الذى كان مفروضا انه صديقه وحليفه . وخطرت له فكرة بارعة وهى تأليف وزارة تضم متطرفى اليونكر ومتطرفى النازى ، وبذلك يستطيعون تخويف هتلر لان حزبه مفلس ومموليه قبضوا أيديهم عنه ، وهو شخصيا فى حالة ذهول ويتحالف شلايخو وشتراسر يهددان بحل آخر للرأيشستاج واجراء انتخابات أخرى واثقين ان أصوات النازى ولا مال لديهم ستهبط الى النصف . وكانت هذه صورة الاشعة للسياسة الألمانية كما أرسلها يوهانس روبن الى صديقيه الموثوق بهما . ولم يقل بصريح العبارة أن كلا من المتأمرين حضرا اليه فى طلب المدد ، ولكنه قال انه لم يحصل على المعلومات سالفة الذكر بواسطة .

والظاهر ان هذه الصفقة أبرمت ، فعندما وصل أفراد أسرة بد بالسيارات الى بيانفيني لقضاء عيد الميلاد كان الجنرال قد أصبح مستشار الجمهورية الألمانية ، وكان جريجور شتراسر قد انفصل عن هتلر ودار حول اسمه الكلام باعتباره مرشحا لمنصب وزارى ، وأمكن تخويف هتلر فوافق على تأجيل الرأيشستاج حتى شهر يناير .

ومن كنيكتيكت ومن لونيغ ايلند جاءت رسائل عيد الميلاد وكان واضحا فيها ان من كتبوها أجهدوا أنفسهم كى يفكروا فى شىء بهيج يقولونه . ولما طالعتهما ايرما قالت لزوجها « قد يكون من الافضل ان نغلق القصر ونوفر النقود كى يتسنى لنا رعاية والدتى والدك ان لزم الامر » .

فأجابها الأمير زوج الملكة : « على رسلك ! لقد استأجرت ذلك الفيل الأبيض حتى شهر ابريل ، فمن الخير أن تركبيه هذه المدة » روى لا يقامر في سوق الاوراق المالية ، وكذلك والدتك فيما أظن ، ولذا لا يمكن ان يفلسا : افلاسا تاما .

وفكرت ايما برهة ثم قالت « انه لأمر مدهش حقيقة يالانى كيف صدقت نظرتك تماما في الامور المالية . ان جميع الاشخاص المهمين كانوا على خطأ ، اما انت فأصبحت كبد الحقيقة » . فقال الوردى الشاب : « ان يسمع المرء هذا من زوجته أمر يهون في سبيله معاناة الكساد » ! .

**** معرفتي ****
www.ibtesama.com
منتديات مجلة الإبتسامة

الفصل الرابع عشر

الرياح العاصفة تهب

- ١ -

واذ عاد لاني الى باريس في شهر يناير أخذ يتلقى كل صباح نسخة من صحيفة « التقدم » البرلينية بعد صدورها بأربع وعشرين ساعة ، فيجد في صفحتها الأولى تفصيلات الموقف السياسي معروضة تحت عناوين مفزعة ومشفوعة بمقالات حافلة بالندر ، وذلك كله من وجهة نظر اشتراكية بالطبع ، ولكن لاني يسعه أن يخفف من هذه الغلواء بصعوده الى أكمة مونمارتر وسماع تعليقات خاله عضو مجلس النواب المبنية على أساس قراءة صحيفة « الأومانيته » ، وهي الصحيفة التي أنشأها جوريس وصارت الآن في يد الشيوعيين . وفيها أيضا أنباء برلين تحت عناوين مفرغة من مقالات حافلة بالندر . ولما كانت الأومانيته تحصل على أنبائها تلك بالبرق ، فقد كان لاني يتجرع الترياق أحيانا قبل أن يتجرع السم .

ويصبح الحال الأحمر : « أرايت ؟ ان الديمقراطية الاشتراكية ليس لديها اقتراح واحد بنساء ، وكل همهم أن ينددوا بما نقترحه نحن ! فيجيبه : « ولكنكم تنددون بهم أيضا يا خالي جيسى » فيقول : العمال يعرفون برنامجنا ، وفي كل مرة تجرى فيها انتخابات يخسر الديمقراطيون الاشتراكيون نصف مليون أو مليون صوت ونكسبها نحن ! » فيجيبه : « ولكن هب انه لم تجر انتخابات أخرى يا خالي جيسى . هب أن هتلر استولى على الحكم ! » فيقول : « انه لا يستطيع أن يصيب حزبنا المتماسك بأذى ، فقد علمنا ودرّبنا أعضاءنا وسيبقون في المقاومة » . فيجيبه : « ولكن هب انه اعتبر تنظيمكم خارجا على القانون ! » فيقول : « انك لا تستطيع أن تقضى على حزب يضم عدة مئات الوف من الأعضاء ، وحصل على أربعة أو خمسة ملايين صوت » فيجيبه : « لا تنزلق الى بخس قوة عدوك » فيقول « حسن . ان لزم الأمر لجأنا للعمل السرى . وقد حدث هذا من قبل ، ولك أن تشق بأننا أعددنا خططا ، في فرنسا وفي ألمانيا على

السواء . « فاجابه لاني : آمل الا تكون مخطئا يا خالي جيسى . وكان يعنى مايقول فهو يجادل ضد الشيوعيين . ولكن بقلب غير خالص ، فهم بعد كل شيء حزب عمالى ، ولا أحد يستطيع أن يجزم بأن الحالة لن تدعو لوجودهم . وكان مشروع السنوات الخمس الأولى فى الاتحاد السوفيتى قد تم بنجاح ، وجميع الحمر يهللون له فرحا به . ولم يغالب الورديون الشعور بالانهيار ، ودخل كثيرين منهم التردد وأخذوا يتساءلون أفلا يكون الاسلوب الروسى هو الاسلوب الاوحد . ومهما يكن من شيء فمن حقهم أن يصفى اليهم فيما يقولون ، وقد بذل لاني كل ما فى وسعه لاقناع كل من الفريقين بالكف عن الشجار ، وضرب لهم المثل برفضه السماح لهم بالشجار معه .

- ٢ -

وكلما ساورته الشكوك حول ما يحدث فى المانيا حقيقة فلا بأس عليه من أن يكتب الى يوهانس روبن . وخطاب قطب المال اليهودى اشبه ربح وتكتسح امامها وتكشف لعينيها المنظر ، فاذا بالامة الالمانية سائرة فى طريق محفوف بالمخاطر ، على جانبيه هوات فاغرة ، والزلازل تهز الصخور وتقتلع جذورها ، والبراكين تنفث سحبا من رماد نارى . وبقينا ان لا بلينى الكبير ولا ابن اخيه واجها ظاهرة طبيعية أشد هولاً من الظاهرة التى واجهتها جمهورية فيمار فى مطلع سنة ١٩٣٣ . فالنازيون الذين لا يكفون عن العدوان يشنون غاراتهم ليل نهار على الشيوعيين فى جميع انحاء البلاد . والفئتان الحاكمتان وهما فئة رجال الصناعة فى الغرب وفئة كبار ملاك الاراضى فى الشرق تركز اهتمامهما كله فى الحصول على تعريفات جمركية اعلى لحماية مصالحيهما ، فربح مائة فى المائة لم يكن كافيا فى أيام كساد الاسواق تلك . وقد رفض العمال الذين يريدون اسعار أرخص للسلع والطعام ان يمنحوا أصواتهم لمرشحي هاتين الفئتين ، بيد أن الساسة الرجعيين ظلوا متشبثين بالحكم وأصواتهم أقل من خمسة فى المائة ، ضاربين كل طائفة من الامة بالطوائف الأخرى ، مستخدمين مزيجا من المداجاة والوعيد .

وكان المستشار شلايخر قد شرع يخطب ود نقابات العمال ، مطلقا على نفسه اسم « الجنرال الاشتراكى مبينا للمعتدلين من الاشتراكيين والكاثوليك مدى سوء الحالة ان دخل الفريقان المتطرفان الميدان . وبهذه المراهنات خسر الحظوة لدى موليه فى الرور الذين كانوا يريدون حل

نقابات العمال فراحوا يصفون لانشودة هتلر السخرية التي يعدمهم فيها باداء هذه الخدمة . وكانت هناك أيضا مشكلة اعانات استبقاء نظام الضياع الشرقية ، وهي فضيحة معلقة فوق رؤوس الارستقراطيين اصحاب الاراضى فى بروسيا الشرقية . فقد تقرر مبالغ كبيرة من الاموال العامة لانقاذ الفلاحين من الخراب ، بيد أن اصحاب الضياع الكبيرة وهم ارستقراطيون اقوياء تمكنوا من الحصول على معظم هذه الاموال ، وقد استخدموها فى غير أغراض تحسين الأرض . والآن لا يكاد يمر يوم من غير أن تنشر الصحافة الاشتراكية والشيوعية اتهامات طالبة التحقيق فيها .

وبابن وشلايخر مازالا يتظاهران بالصدقة ، فى حين يدبر كل منهما الحطط سرا للقضاء على صاحبه ولئن كان شلايخر قد ازاح بابن من طريقه بصفقه عقدها مع النازيين ، ففى وسع الآخر أن يلعب لعبة مماثلة وبابن « الجوكى الجنتلمان » متآمر لا يعرف الكلل . فمضى هذا الارستقراطى الأشقر الشاحب ذو الوجه النحيل المتفضلن الذى تعلوه ابتسامة دائمة من اجتماع سرى الى اجتماع آخر ، راويا لكل فريق قصة مختلفة ، ولكن جميع رواياته مقصود بها الاسامة لخصومه .

وكتب ياهانس يقول : « بابن يجتمع بهلتر فى بيت البارون فوف شرودر صديق تيسن » ولم يكن لانى بحاجة الى سؤاله عن مغزى هذا الخبر . وكتب أيضا : « وقيل لى أن بابن وهو جنبرج تفاهما » وهذا الكلام أيضا ليس فيه خفاء . فقد حضر هو جنبرج « الثعلب الفضى » احدى سهرات روبن . وكان رجلا ضخما ذا شارب أشبه فيل البحر ، فيه فظاظه ولكنه بارع ، وهو زعيم طائفة الجامعة الألمانية وصاحب أكبر جهاز دعاية فى العالم يتكون من جميع الصحف الرأسمالية تقريبا فى المانيا ، فضلا عن مؤسسة « ا . ف . ا » التى تحتكر صناعة الأفلام . وكتب يوهانس : « ان بابن يجمع أموالا لهتلر من رجال الصناعة . وقد سمعت أن الفوهرر عليه ديون مقدارها مليونان من الماركات لا يستطيع الوفاء بها ، والمسألة الآن هل يصل الى الجنون قبل وصوله الى المستشارية » .

عقد النازيون اجتماعا من اجتماعاتهم الضخمة في قصر الرياضة وألقى هتلر خطبة من خطب حملاته الملهبة ، فوعد الناس بالسلام والنظام وإعادة الاعتبار الى الشعب الألماني ، ونشرت الصحف المحافظة في باريس وعوده وكادت تصدقها ، لأن المحافظين يخافون الحمر أشد مما يخافون النازي ، واكتشف لاني أن دنيس دي بروين ميال للنظر الى هتلر باعتباره نموذجا للسياسة الفرنسيين . وانتاب لاني نفسه التردد ، وتلهف لهفة شديدة على أن يثبت له أنه على حق . فهتلر يناشد الله القدير أن يمنحه الشجاعة والقوة لانقاذ الشعب الألماني وتصحيح نظام فرساي . وأخذ لاني - الذي سبق أن احتج بشدة على هذه المظالم - يتساءل الآن اليس من الجائز أن يفزع هتلر فرنسا وبريطانيا بحيث تقدمان على التنازلات الضرورية ، وعندئذ يستقر له الأمر ويهدأ ويخلد لحكم بلاده بما فيه صالح أولئك الملايين من « صفار الناس » الذين يتكلم عنهم بهذه الفصاحة .

ان ابن روبي بد زوج بارنز قد يتردد ، أما العمال الالمان فلا . لقد اجتمع منهم مائة ألف في حديقة ملاهى برلين مطالبين بالدفاع عن الجمهورية ضد أعدائها الخونة . وكتب يوهانس مصطنعا التعبير على الطريقة الامريكية: « ان شيئا ما يوشك أن يحدث فجأة . فالسيد المعجوز فزع من احتمال مناقشة مسألة اعانة الضياع الشرقية امام الريشتاج . وشلايخر يبحث مع نقابات العمال فكرة رفض الاستقالة والبقاء في الحكم بمساندتهم . وقد قيل ان الكاثوليك وافقوا على الفكرة ، اما الاشتراكيون فيخشون الا يكون هذا الاجراء مشروعا . فما رأيك أنت ؟ » وأدرك لاني أن صديقه القديم يفيظه ، فلم يدل برأيه في القانون الدستوري الألماني .

ولم يذكر يوهانس ما كان يصنعه في هذه الازمة ، ولكن لاني حدس أنه ماض في برنامج الحاص باستبقاء مودة جميع الاطراف . ولا شك في أن لديه معرفة خارقة بالوسائل الجارية . وبين الحين والحين يطلبه لاني بالتليفون البعيد المدى ، وهو ملهة كبار الاغنياء ، ويتحدث يوهانس بشيء من التعمية فيقول « صديقي فرينز شن يريد أن يصير الكلب الاكبر ، ولكن صديقه الناشر يريد ذلك أيضا ، وقد تحقق مشروعاتهما بسبب عدم اتفاقهما » . فيدرك لاني أنه بابن وهو جنبرج . وعندما يستطرد يوهانس : « أنهما قد يشدان الرجل الطائش الى العربة ويسوقانه معا . » لا يجد لاني

صعوبة في فهم المراد . وسرعان ما قال يوهانس : « فكلنا يطالع رواية حفيظ بالدماء والعواطف على حلقات ، ولا بد له من انتظار الطبعة التالية ليعرف ترى هل تصل جماعة الانقاذ في الوقت المناسب » .

- ٤ -

وفي الثالث عشر من يناير اذيع على العالم المأخوذ نبأ تعيين الرئيس هيندنبرج أدولف هتلر مستشارا للجمهورية الألمانية . بل ان النازيين أنفسهم استولت عليهم الدهشة ، فهم لم يدعوا للاشتراك في الدسائس ، ولم يتصوروا أية قوة سحرية جعلت أعداء زعيمهم يرفعونه فجأة الى الحكم . وصار فوانز فون بابن نائب المستشار ، ودخل هوجنبرج الوزارة . وكان عدد الرجعيين تسعة مقابل ثلاثة من النازي فماذا عسى أن يكون ذلك ؟ لقد أكدت الصحف خارج ألمانيا أن معناه استسلام هتلر ، وأنه خضع للإشراف والتوجيه ، وصار رامسي مكدونالد آخر . وأثرت تلك الصحف فماذا عسى أن يكون مغزى ذلك ! لقد أكدت الصحف خارج ألمانيا ان معناه استسلام هتلر ، وأنه خضع للإشراف والتوجيه ، وصار رامسي مكدونالد آخر . وأثرت تلك الصحف الا تلتفت الى الاعلان الذي أصدره الفوهرر نفسه الى أتباعه بأن هذه الخطوة انما هي بداية الكفاح ، ولكن كتائب الهجوم التفتت اليه ، وانطلقت تقوم باستعراضاتها في حبور شديد حاملة المشاعل في شارع ظلال الزيزفون (اونتردن ليندن) ومر سبعمائة ألف شخص في موكب زاحف امام مبنى المستشارية ، وهندنبرج - يحييهم من نافذة فيه ، وهتلر يحييهم من نافذة اخرى . ومر تداء الشيوعيين الى اعلان اضراب عام من غير أن يلتفت اليه احد .

وهكذا وقع ما كان لاني يخشاه في السنوات الثلاث أو الأربع الاخيرة ، واستولى النازي على ألمانيا ! ان معظم اصدقائه كانوا يعتقدون ذلك أمرا غير محتمل الحدوث ، اما الآن وقد حدث فهم يفضلون ان يعتقدوا ان ذلك غير صحيح ، وقالوا ان هتلر لا يملك زمام السلطة حقا ، وأنه لا يمكن أن يبقى أكثر من اسبوع أو اسبوعين في الحكم . ان الشعب الألماني أعقل من هذا ، والطبقات الحاكمة هناك أقدر وأشد دربة من أن يسمحوا له بذلك ، بل سوف يكسرون من حدة تعصبه ، وعندئذ يمكن تناول الحساء وقد برد .

ولكن أدولف هتلر تسلم سلطة هامة جدا ، بل اهم ما تكون لديه ،

وسوف يحتفظ بها ، وتلك هي سلطة الدعاية ، فهو الآن الرئيس التنفيذي للحكومة الألمانية ، وأيما منشور يجب إصداره يحتل الصفحة الأولى من جميع الصحف . وهرمان جورنيج صار وزير الداخلية لحكومة بروسيا وفي وسعه أن يقول للعالم اجمع عن طريق الاذاعة « الحبز والعمل لمواطنينا، الحرية والشرف للامة ! » والقزم يوب جيبلز رئيس لجنة الدعاية في الحزب النازي نفسه وزير الدعاية والارشاد القومي للجمهورية الألمانية . وحركة النازي خلقتها الدعاية ، والآن ستفمر هذه الدعاية المانيا كلها كأنها الانفجار .

وأبى هتلر أن يتنازل عن شيء للأحزاب الاخرى، وبذلك اجبر هندنبرج على حل الراشستاج والامر بإجراء انتخابات جديدة . ومعنى هذا أن تظل البلاد شهرا في دوامة المعركة الانتخابية . ولكن ما أشد اختلاف هذه المعركة عن سابقتها ! لا مشكلة من حيث الموارد المالية ، لا لدى هتلر الآن موارد الامة ، وخطبه التنديدية صارت وثائق رسمية . وفي مقدور جيبلز ان يقول الآن ايما شيء يشاء عن أعدائه ويمنع اذاعة ردهم . وفي مقدور جورنيج وهو المسيطر على شرطة برلين أن يلقي بخصومه السياسيين في السجن فلا يدري أحد اين هم . وهذه هي الامور التي ظل آدمي شيكلجروبر يحلم بها منذ نهاية الحرب العالمية ، واين - فيما عدا ألف ليلة وليلة - حدث لرجل قط أن يستيقظ من منامه ليجد مثل هذه الاحلام، قد تحققت ؟

- ٥ -

كان لاني بد يعيش في الظاهر حياة شاب من اهل الوجاهة ، فيصحب زوجته الى حفلات شتى ، وعند ما تقيم الحفلات يؤدي دور المضيف بوقار . ولما كان قد انقضى على زواجه زهاء أربع سنوات فقد كان من حقه أن يستمتع بشيء من المفازلة الخفيفة مع فائتات شتى من سيدات المجتمع ، وكن يتوقعن ذلك منه ، ووسامته وعذب حديثه يسوغان له توقع النجاح في ذلك الغزل ، ولكنه بدلا من ذلك يتخير دبلوماسيا أو رجلا من رجال الاعمال فيختفي معه داخل المكتبة كي يتناقشا في مشكلات أوروبا . وكان هؤلاء السادة يؤخذون بما يتمتع به هذا الشاب من سعة المعلومات ، الا أنهم يرونه قلقا بغير موجب من جهة هذه الحركة النازية الجديدة . فهم قد عرفوا ما الثورة الفرنسية ، وما الثورة الروسية ، بيد أنهم يجدون

عناء في معرفة حقيقة ثورة تحدث على حلقات صغيرة وتحت ستار بارع من التخفي . ولا يكاد يوجد من ذوى الثراء أو المكانة في فرنسا من لا يتقبل النازية على أنهار رد رجل الاعمال على البلشفية . وعندما يطالعون في الصحف أن الشيوعيين يطلق عليهم الرصاص لأعدامهم بكثرة في أنحاء ألمانيا يهزون اكتافهم على طريقتهم الفرنسية ويقولون : « ثم ماذا ؟ اترى يشكو الحمر الآن من مجافاة الوسائل الشرعية ؟ » .

ودفع لاني مبلغا طائلا سدادا لحساب الاحاديث التليفونية مع اصدقائه في برلين ، وتلك كانت وسيلة اسرافه الوحيدة ، وقد تعلمت ايرما كيف تشاكره اياها ، فتتناول المسامع عندما يفرغ من حديثه وتسال راحيل عن طفلها ، او تسال ماما عن أى شيء لأن لهجة ماما الغريبة في التحدث باللغة الانجليزية كانت تطربها كأنها « نمر » من نمر الفودفيل . وكان لاني قلقا جدا على سلامة اصدقائه ولكن يوهانس قال له : « لا ! لا ! تشغل بالك ، فلدى ضمانات لا يستطيع أن اخبرك بها . انا لابس طاقة الاخفاء ويروى تفاصيل آخر مستحدثات حيل هؤلاء النازي ، الذين لا يستطيع مغالبة اعجابهم بمهارتهم وكفاءتهم : « لا . انهم لن يحلوا الحزب الشيوعي ، لان اصواتهم في هذه الحالة ستذهب الى الاشتراكيين ، ويتكرر المازق القديم في الرايشتاج . اما ان تركوا نواب الشيوعيين ينتخبون ثم اقصوهم عن مقاعدهم ، فسوف تكون للنازي الاغلبية بين الباقين في المجلس ! ما هذا الذي تقول عن سلخ جلد القطة ؟ هناك تسعة طرق للقيام بسلخه ؟ » .

والى متى يسمح ليهودي - حتى ولو كان اغنى اغنيائهم - ان يروى اذق اسرار الفوهرر عن طريق التليفون لباريس ؟ تسأل لاني عن ذلك ، وتساءل عن الطاقة السحرية التي يخال يوهانس أنه يرتديها . أفلا يكون خادعا نفسه مثل كثيرين غيره ممن اودعوا ثقتهم في المفامرين السياسيين؟ ومن من بين ذوى النقود النازيين يكن ادنى احترام ليهودي ، او يظل على عهوده معه اكثر مما يناسب اغراضه بدقيقة واحدة ؟ ان الالتجاء الى مستغل ثرى لطلب المال لحزب منبوذ مكافح شيء ، واداء الدين بعد الوصول الى مركز السلطان في الدولة شيء آخر ، كما يقول اليهود في نيويورك .

لقد كان لاني قلقا على الحصوص بشأن هانسي الذي لم يكن من الجنس البغيض فحسب ، بل من الحزب البغيض أيضا ، وقد أعلن ذلك عن نفسه من فوق المنابر العامة . وقد التفتت اليه الصحافة النازية ووصفته بأنه عازف ربابة من الدرجة العاشرة لا يستطيع ان يعزف عزفا

سليما من النشاط . فهل يسمحون له بالمضي في الخروج على النسق المنفوم في اجتماعات الحمر ؟ لقد أطلقوا العنان الآن لافراد الهجوم ليصبوا نقيمتهم على الحمر ، وكم من الوقت سيمضي قبل ان يخطر لوطني متحمس أن يمنع هذا الخنزير اليهودي من تدنيس الموسيقى الالمانية ؟

وكتب لاني يرجو هانس القدوم الى باريس ، وكتب الى بيس التي اعترفت له بخوفها ، ولكنها حفيذة المتطهرين (البيوريتان) الذين لم يفروا امام الهنود الحمر . وبينت له انها وزوجها شاركا في نشر الشيوعية ببرلين ، افلا يعتبر التخلي عنهم الآن في ساعة المحنة أبعد ما يكون عن البطولة ؟ ورد عليها لاني قائلا ان الفنان الكبير مخلوق من نوع خاص مختلف عن الانسان المحارب ، ولا ينبغي اخضاعه للقانون العسكري . وكتب لاني الى « ماما » يقول لها أن من واجبها أن تتولى تصريف أمور الاسرة في وقت كهذا . ولكن توجيه الابناء الحمر لم يعد الآن سهلا على نحو ما كانت الحال على عهد موسى والوصايا العشر .

واتفق في ذلك الحين أن كبيرة مغنيات في الاوبرا الايطالية التي لها شهرة كبيرة في باريس أصيبت في حادث سيارة ، وشامت العناية الرحيمة الا تكون اصابتها بالغة الخطورة ، وانما هما ضلعان لها فحسب اللذين كسرا مما يمنعها من الغناء فترة من الزمن . وظهر هذا النبا في الصحف وقت وجود لاني وايرما في بيانفيني وكانا قد توجهنا الى هناك لرؤية الطفلة وحضور احدى حفلات اميلي الاجتماعية . وتذكر لاني ان المغنية كانت متعاقدة على الظهور في أحد برامج الاركسترا السيمفونية بباريس ، فلا بد اذن من أحد يحل محلها ، فطلب من اميلي أن تستخدم التليفون بعيد المدى ، فهي تعرف قائد هذا الاوركسترا ، وتقترح عليه احلال هانسي روبن محل المغنية المصابة ، ولما كانت مسر شترزورث راعية معروفة للفنون ، فقد كان من الطبيعي ان تعرض التبرع للجمعية السيمفونية بمبلغ يضارع الاتعاب التي يتوقع هانسي روبن الحصول عليها .

وأبرمت الصفقة ، وشرع لاني يتصل بهانسي تليفونيا، بمعدل عشرين فرنك لكل دقيقة من الحديث ، كي يقنعه بوجوب تقديم الموسيقى الالمانية في فرنسا ، وان كل عرض من هذا النوع خدمة للثقافة العالمية ، وخدمة أيضا للجنس اليهودي الذي بات في ميسيس الحاجة الى اثاره العطف عليه دوليا ، وبعد ظهوره في باريس ستقيم اميلي سهرة في ضيعتها « البلوطات السبع » كما أن اتفاقات أخرى ستسهم في جعل رحلته تستحق العناء

المبذول فيها ، فأجابه عازف الفيولينا المتلهف على وقف ما فى المحادثة من اتفاق مسرف للفرنكات : « وهو كذلك • أنا متفق على العزف فى كولون ، وهى فى منتصف الطريق • » فقال لانى : « ناشدتك الله ان تتجنب السير فى الشوارع ليلا ، والا تخرج بمفردك ! » •

- ٦ -

أفتقد لانى مصدر اخباره من داخل المانيا ، لان حكومتها منعت نشر صحيفة « التقدم » الاشتراكية ثلاثة ايام لنشرها نداء انتخابيا للحزب الديمقراطى الاشتراكى • ومنعت الاجتماعات الشيوعية فى طول البلاد وعرضها ، وأوقف صدور كثير من الصحف الشيوعية والاشتراكية نهائيا • واعلن الفوهرر « انه فى مدى عشر سنوات لن تكون فى المانيا ماركسية • » وكان جورنج يقوم فى بروسيا كلها باحلال رؤساء للشرطة من النازيين محل الرؤساء الحاليين ، وكتائب الهجوم تحضر الاجتماعات بكامل أهبتها وتفض منها ما يجرى فيه انتقاد الحكومة • وبعد ذلك منعت اجتماعات المركزيين والحزب الكاثوليكي ، وألغيت صحيفة الكاثوليك « جرمانيا » التى كان بابن أهم أصحاب الاسهم فيها • ومن بعدها ألغيت صحيفة « العلم الاحمر » وهى صحيفة الشيوعيين فى برلين وأذيعت هذه الاحداث تحت أضخم العناوين فى صحيفة « الاومانيتية » وندد بها الحال جيسى فى مجلس النواب بفضب شديد ، ولكن يبدو ان ذلك لم يكن له أدنى تأثير فى هتلر •

لقد كان النازيون مصممين على شىء واحد ، وهو كسب الانتخابات التى ستجرى اليوم الخامس من مارس ، لانهم ان حصلوا على الاغلبية فى الرايخستاج فقد صاروا سادة البلاد ، ويتم اقضاء الوطنيين والارستقراطيين عن الوزارة وبذلك تتم الثورة • وكان بابن وهو جنبرج وانصارهما يعرفون ذلك تمام المعرفة ، وكانوا فى محنة شديدة كما يقول يوهانس • وبألها من حالة غريبة : فأعضاء نادى السادة يدافعون عن الحمر لانهم يعلمون ان هتلر يستخدم الغول الاحمر لتخويف الشعب كى يمنحوه أصواتهم ا وجوبلز يطالب برأس مدير شرطة برلين لانه لا يريد تقديم ما يثبت اعمال الخيانة على الشيوعيين • وكاتب رجل المال اليهودى يقول : « ان تاريخ المانيا يوشك ان يصبح ميلودراما ، وسيرفض الناس فى المستقبل تصديق هذا التاريخ • » فالرجل قد بدأ الآن يقلق من جهة امكان وقوع هجوم

على ولديه ، وهما اللذان يعيشان بالنار من غير ان يدركا الى أى حد يمكن أن تكون محرقة ، مع انها وقد بلغا الآن الثامنة والعشرين والسادسة والعشرين من عمريهما كان ينبغي أن يشوبا لرشدتهما . ولم يقل يوهانس أن أخت لانى غير الشقيقة هي التي قادتهما الى أسوأ حالات التطرف ، ولكن لانى يعلم أنه يعتقد ذلك ، ولم يكن اعتقاده بلا أساس . ومهما يكن من شيء فلديه فى القصر حارس موثوق به ، وهو حارس آرى لا شك فى آريته الراسخة . ومدرسة لانى اغلقت ، وكانت عملية اغلاقها بسيطة جدا ، فقد حضر جماعة من كتائب الهجوم وأمروا الناس بالخروج منها ، ولم يكن بوسع أحد عمل شيء لانهم مسلحون ومتلهفون على استخدام أسلحتهم فخرج الجميع من غير ان يسمح لهم بارتداء قبعاتهم ومعاطفهم فى شهر فبراير ، واغلق المبنى ، وحملت جميع الأوراق فى سيارة شحن .

ولن يجد النازيون دليل خيانة فى هذه الوثائق ، وانما هي ايصالات وأوراق امتحان فى النظرية الماركسية . ولكن هذا قد يكون الآن دليل خيانة ! أو لعل النازى يعدون وثائق أخرى يدسونها فى الملفات كان يكون ذلك أوامر صادرة الى الطلاب بنسف مقر قيادة النازى ، أو ربما دار المستشارية ؟ فمثل هذه التزويرات أعدت فى الماضى أكثر من مرة ، وليس فى المانيا وحدها . ألم يتم كسب الانتخابات فى بريطانيا على أساس « خطاب زينوفيف » المزعوم ؟

ان مقر قيادة الحزب الشيوعى فى المانيا فى « بيت كارل ليبكنشت » ، وهذا هو المكان الذى يجب ان تنشذ فيه الحياة . واستولى الشرطة على وثائقه ، وبعد يومين نشرت صحافة الهر جوبلز التفصيلات عن « سراديب القبور » و « الاقبية تحت الارض » والتنظيم السرى غير الشرعى الذى يعمل فى بدروم المبنى وما الى ذلك . وذكر يوهانس فى خطابه أمر الجدل المرير الذى ثار فى اجتماع الوزارة حول هذه التزويرات الفاضحة والتي اعتبرت دون مستوى الوقار اللازم للحكومة الالمانية ، ولكن لعل الحكومة الالمانية لن تتمسك بالوقار من الآن فصاعدا ! ولم يقالب المالى اليهودى اظهار سروره باندحار « الجوكرى السيد المهذب » و « الثعلب الفضى » وبقيّة زمرة اليونكر . فهم الذين أعدوا هذا الفراش من الورد ، ثم اكتشفوا بعد فوات الإوان كثرة ما به من الشوك .

والامر الذى اقلق لانى جواز ابراز عميل نازى خطابات تثبت أن هانس روبرن كان يحمل الديناميت فى صندوق فيولينه ، أو أن فريدى يحمله فى صندوق كلارينته ، فلا بد أنه كان للننازى جواسيس فى

المدرسة وهم على علم بكل ما كان الشابان يقولان ويصنعان . وقال لاني : « لماذا يا يوهانس لا تأتي أنت وأسرتك كلها لزيارتنا برهة ؟ » فأجابه رجل المال ضاحكا : « ربما قمنا برحلة باليخت عند ما يتحسن الجو » فقال لاني بالحاح وهو على طرف الخط في باريس : « بل سيزداد الجو سوءا » .

- ٧ -

تحدث لاني في هذه المشكلة مع زوجته ، ولم يكن في مقدورها بسهولة أن ترفض استضافة آل يوهانس التي قبلت من جانبهم الشيء الكثير بيد أنها لا تحب الجو الذي يجلبه آل روبن الشبان معهم ، وكانت تراهم ذوي تأثير سيء على زوجها . وجادلته قائلة ان الخطر لا يمكن أن يكون كبيرا حقا على نحو ما يخشى لاني « فان كان النازيون قلقين متلهفين على الاصوات ، فلا يمكن أن يؤذوا الاشخاص المهمين ولا سيما المعروفين في الخارج » فأجابها لاني « ان الحزب ملآن بالمجرمين والمنحليين ، وقد أثلمهم الاحساس بالسلطة » ولم يستطع أن يكف عن القلق ، ولما اقترب يوم قدوم هانسي قال لايرما « ما رأيك في الذهاب معي بالسيارة الى كولون فنتاتي بهما معنا ؟ » فسألته وماذا في مقدورنا أن نصنع يا لاني ؟ « فأجابها في كثرة العدد نوع من الامان . ثم ان الامريكيين لهم لون معين من الهيبة في المانيا » .

ولم يكن الوقت مستحبا للرحلة بالسيارة في أواخر فبراير ، ولكنهما كانا يتمتعان بالتدفئة الصناعية في سيارتهما ويرتديان معاطف الفراء فلا بأس عليهما مالم تثر عاصفة شديدة الوطاة . وكانت أيرما تحب المفامرة ، ومن الاسباب التي جعلتها هي ولاني موفقين الى هذا الحد البعيد انه كلما اقترح أحدهما القفز الى سيارة بادر الآخر على الفور « هيا بنا » ولم يقف في طريق هذه الرحلة أي ارتباط هام فسمحا لنفسيهما بيوم اضافي احتياطيا لسوء الحالة الجوية .

وكان بورياس المعجوز رحيما بهما فدرجا في وادي الميز الذي دخل الالمان فرنسا عن طريقه منذ ثمانية عشر عاما ونصف . وأخبر لاني زوجته بقصة صوفي تيمونز ، بارونة لاتوريت ، التي حبسها عن المضي في طريقها اندفاع الجيوش وتمكنت من الفرار في عربة فلاح يجرها حصان هرم متورم العرقوب .

وكان وصولهما الى كولون بأخرة من تلك الليلة ، وقضيا اليوم
التالى فى مشاهدة كاتدرائية عظيمة ولوحات فى معرض للفن القوطى
قريب منها . ووصل هانسى وبيسى بقطار بعد الظهر ولزما جناحهما فى
الفندق لايفعلان شيئا يلفت النظر الى أحد أفراد الجنس اللعين . اما بين
محبى الموسيقى فسيكون هانسى بخير لانهم « أورييون صالحون » ظلوا
قرنين من الزمان يشيدون صرح تقاليد دولية » .

فهل كان جمهور السامعين يحاول التعبير عن ذلك بمواطن
التصفيق التى حيوا بها أداء ذلك العازف اليهودى النابغ الشاب
الكونشرتو مندلسن الرشيق ؟ وهل كان هذا الاعتبار فى ذهن هانسى
عندما عزف « كول نيدري » لبروخ فى إحدى اعاداته ؟ وعند ما وثب
جمهور السامعين واقفين على أقدامهم وهتفوا « برافوا » هل كانوا يعنون
حقيقة أن يقولوا « اننا لسنا نازيين ! ولن نكون نازيين ! » وقد أثر لانى
أن يصدق ذلك وانشرح صدره . وكان واثقا ان كثيرين من اهالى الراين
المعجبين تعمدوا الانتظار عند باب المسرح واصطحاب الشبان الاربعة الى
سيارتهم . ولكن فى الشارع المظلم تحت وابل المطر البارد داهمت
الشكوك مرة أخرى وتساءل هل يحمل أهل الراين الودودون مسدساتهم
لحمايتهم ؟ ومهما يكن من شيء لم تتبعهم سيارات النازى ، ولم يكن احد
من كتائب الهجوم فى انتظارهم عند فندق مونوبول . وفى الصباح التالى
ركبوا السيارة الى الحدود ولم يقم احد بتفتيش صندوقي فيولنتى هانسى
بحشا عن الديناميت ، وجرت الأمور فى مجراها الرتيب من حيث اعلانهم
عن النقود التى سياخذونها معهم الى خارج البلاد ثم تسلمهم رجال
الجمرک البلجيكى . وتذكر لانى اليوم الذى تلقى فيه الامر بمغادرة ايطاليا
وكيف كان ارتياحه بالفا عند ما رأى الازياء العسكرية الفرنسية وسمع
الاصوات الفرنسية وها قد مرت ثمانى سنوات ولم يزل بنيتو كالحمام
الهزاز يعلن بغطرسة ان خليفته لم يولد بعد . والآن ها هى اعماله
تكرر بحذافيرها فى بلد أقوى من بلده بكثير ، وتدور الشائعات بأنه
يبدل النصب للحركة الجديدة . ترى فى كم من البلاد الاخرى سبرى
لانى بد ذلك النمط يحتذى ؟ وكم من التعديلات ستحدث له ؟ وهل
سيأخذ اليابانيون غزاة منشوريا قمصانا اخرى مستحدثة الالوان ، أو
سيأخذون الكيمونو الملون ؟ وهل ستشهد فرنسا قيام الصليب النازى ؟
أم ستشهد انجلترا تفوق جماعة موزلى ؟ وان حدث هذا فالى أى بقعة
من العالم يمكن أن يلوذ محبو الحرية ؟

بدا هانسي بقامته الطويلة النحيلة امام الجمهور في القاعة السيمفونية ، وهو جمهور من الباريسيين المتزمطين المتحفظين في تحياتهم . وفي الصف الامامي جلس لاني وايرما وبيس متوقزي الاعصاب جدا . وكان مظهر هانسي وقورا ، وكذلك انحناءاته فهو يعلم ان هذا العرض هام - ولكنه لم يكن مفرط العصبية بعد ان عرف بمرور الوقت ما يستطيع ان يحققه . وكان القائد فرنسيا خصص حياته الطويلة لخدمة الفن الذي يعشقه فابيض شعره ، وصار ما تبقى منه أشبه بسياج يحيط بيافوخة الاصلح اللامع من أسفل . ودق الرجل النوتة الموسيقية ثم رفع العصا وانطلقت اربع نقرات من الطبلة الصغيرة ثم اعقبتها انغام قليلة من انشودة للسير خجول ، ثم اربع نقرات أخرى ومزيد من النغمات ، انه كونشرتو الفيولينه لبيتهوفن .

ولبت هانسي واقفا ينتظر وفيولينته في ثنية ذراعهُ وقوسه الى جانبه . وكانت المقدمة مستفيضة ولم يحاول ولو بحركة من عينيه أن يحول انتباه الناس عن النغمات . وكان لاني بد ، وهو جالس في الصف الامامي مع زوجته وبيس ، يعرف كل نغمة من هذه المعزوفة . وكان قد عزف على البيانو الجزء الاوركستراي منها لهانسي في ضيعة « ليه فوريه » في ذلك اليوم الحاسم منذ سبع سنين الذي التقت فيه بيس بالفتي هانسي لأول مرة ووقعت تحت تأثيره السحري . وهذا من بين الاسباب التي جعلت هانسي يكن لهذا الكونشرتو منزلة خاصة ، واشرب اداؤه له بالحلب ، على نحو ما يصنع الحب لكل ما يلامسه .

واكتسب السير خطوة بيتهوفن الثابتة ، وأرعد الاوركسترا ، وود لاني أن يقول « حذار يامايسترو . لم تكن لدى الرجل كل هذه الآلات! » ولكن يدي القائد المعبرتين اشارت للفريق بالهواة عند ما مست قوس هانسي الاوتار ، وانبعثت الانشودة بهيجة بيد أنها حنون ، رقيقة بيد أنها قوية . وهذه هي الصفات العالية التي تحلت بها روح بيتهوفن التي يكبرها هانسي . وتغنّت القيثارة وجعل الاوركسترا يعلق على غنائها ، وتناقلت آلات شتى أداء النغمة المتوافقة المعذبة ، في حين راح هانسي يطرز الوشي بالنغمات من حولها ، ويرقص محدقا بها ومن فوقها ومن تحتها ، قافزا ومحلقا في حركات بهلوانية مرحة بارعة . والكونشرتو وسيلة مبتكرة لاستعراض امكانيات اية آلة موسيقية ، ولكنه في أفضل

صوره قد يستطيع أيضا تصوير امكانيات العقل البشرى بأفراحه وأحزانه وكدحه وانتصاراته وامجاده وعظيمته . ان الرجال والنساء يكدون في عملهم اليومي الرتيب فيستولى عليهم الاعياء وخمول الحس والاستهانة بالقيم أو ما هو شر من ذلك ، ثم يأتى فكر جبار فيفتح أبواب وجودهم أمام أعينهم فيدركون أى شيء رائع كاد يفوتهم فى حياتهم .

لقد قضى هذا الشاب الحساس اكثر من عشرين سنة مخصصا حياته كلها لاتقان مهارة واحدة محددة ، فجعل من نفسه عبدا لبضع قطع من الخشب وشذرات من امعاء الخنازير وشعرات من ذبول الخيل . وبمثل هذه الوسائط غير المقبولة استطاع بيتهوفن وهانسى أن يعبرا عن الثراء والاناقة والتنوع فى حياة البشر ، فصحبك الى مصنع الكون حيث ترسم تصميمات المعجزات وتنفذ والى ينبوع ذلك الانتاج الضخم الذى يبرز الى الوجود ربوات من فروع الاشجار وأوراق الازهار واجنحة الحشرات والطيور وانماط بلورات البرد والمنظومات الشمسية . لقد أمارت بيتهوفن وهانسى اللثام عن عمليات هذا الجهاز الضخم الذى يتدفق منه طوفان لا ينقطع من اللون والركة والقوة والرونى .

وكان لانى قد مازح زوج شقيقته كثيرا حول اسم عائلته بحيث لم تعد هذه القفشات اللفظية تخطر بباله على أنها قفشات . ولم يكن فى منظر هانسى شيء يدل على انتسابه الى « الهزار » المفرد (واسمه بالانجليزية روبن) ولكنك عند ما تصفى لموسيقاه تتذكر أن اجنحة الهزار بدع فى خفتها ورشاقتها وان كل ريشة تمثل انتصارا قائما بنفسه . وقلب الهزار قوى ، فهو يطير طويلا بغير توقف ويمضى فى طيرانه الى ارض بعيدة وراء البحار . وهانسى روبن يحلق عاليا فى الطبقات العليا من النضات التوافقية حيث تكون الهواس أرهف بكثير من المعهود على وجه الارض . وعزف هانسى السريع على الفيولينه يتجمع فيه ما للطيور كلها من قدرة على الانقضااض والارتفاع ، وهزات أنفامه الطويلة أشبه برفيف اجنحة الطيور الطنانة التى تبدو قرمزية وخضراء وذهبية فى ضوء الشمس حين تحلق فتبدو وكأنها لا تتحرك ، وفى كل لحظة تتوقع منها أن تندفع مبتعدة ، بيد أنها تبقى وكأنها بقاؤها بسحر ساحر .

- ٩ -

كان هانسى يعزف الكادينة المطولة ، ولا يسمع سوى صوت عزفه فى القاعة كلها ، فأفراد الاوركسترا جالسون كأنهم اصنام وكذلك

جمهور السامعين ، والنغمات الطائفة تصعد السلم الموسيقى وتهبطه مندفعة ، تصعد كالرياح حين ينبعث رفيقها بين أشجار الصنوبر على جانب الجبل ، وتهبط كمساقط الماء يتطاير منها في شعاع الشمس ما يشبه الوفا من قوس قزح . وكان بيتهوفن قد أدى ببراعة ذلك التداخل بين النغمتين المتقابلتين وها هو هانسى يؤدي ببراعة تلك الهزات الصوتية بأصبعين فقط ويحدث التوافق فى النغم بالأصبعين الآخرين . ولا يستطيع أن يدرك سوى المشتغل بالموسيقى كم من السنين ينقضى فى عمل شاق لتدريب الاعصاب والعضلات على مثل هذا « التوقيف المزدوج » ولكن كل سامع يستطيع أن يدرك كم هو جميل ذلك الاداء وكم هو جامع فى الوقت نفسه .

وكانت الحركة الثانية صلاة يمتزج فيها الاسى بالتشوف . وعن طريقها استطاع هانسى أن يعبر عما يثقل روحه فيقول ان العالم شاق وقاس . وراحت رياح الغابة تن : « ولدنا للاحزان . ولدنا للاحزان » وفيولينة هانسى تحلق نغماتها حول انين الريح وتغمغم بالرثاء ، ولكن المرء لا يبكى طويلا مع بيتهوفن لانه يحول الألم الى جمال ، ومن العسير أن تجد فى كنوزه كلها عملا واحدا يفادرك فريسة الياس . فها هى نفحة من الشجاعة والعزم تهب ، وها هو الاسى ينقلب الى رقص . لقد شعر مؤلف هذا الكونشرتو بالمذلة واثار غضبه استيلاء جنود نابليون على مدينته الحبيبة فينا تلك المدينة الجميلة ، فخرج الى الغابة بمفرده وذكر نفسه بأن قاهرى العالم يقدون ويروحون ، أما الحب والفرح فيعيشان فى قلوب البشر .

« تعالوا وامرحوا . تعالوا وافرحوا . تعالوا كلكم وارقصوا معي ! » هكذا راح لاني يسلي نفسه باكتشاف الفاظ لهذه النغمات الموسيقية . واستمر ذلك الرقص فوق مروج مفروشة بالأزهار ، تطرد فيها النسيمات ومخلوقات الطبيعة تشارك فى هذا الموكب البهيج فترفرف الطيور فى الهواء ، والارانب وغيرها من الكائنات اللطيفة تتواثب على الارض مولىه . وأقبلت زمر من الشباب متشابكة الايدي فى أردية فضفاضة هفهافة « أيها الفتيان والفتيات . أيها الفتيان والفتيات تعالوا أضحكوا وغنوا وراقصوا معي ! » وفى ذاكرة لاني ستظل حية الى الأبد اهتزازات « ايزادورا » الجامحة . وعند ما طفت عاصفة الاوركسترا فاغرقت فيولينة هانسى شعر السامع بأنه وثب الى قمة جبل ، ومن تلك القمة الى قمة وراءها ، وهكذا دواليك .

ولابد أن سواء من السامعين حدثت لهم مغامرات من هذا القبيل ، فعند ما رنت النغمة الأخيرة هبوا واقفين على أقدامهم وراحوا يعبرون للفنان عن احساسهم ، وتبين لاني أن زوج اخته أحرز نصرا • وبدأ شخصاً عذبا رقيقا وقد أحمر وجهه من الاجهاد ، فبدأ أشد نحولا من عادته ، وظهر عليه العبء الذي يوزع تحته في حياته • ويبدو أن الناس أدركوا انهم بإزاء شخص لا يفسده الاطراء ، ولن يطغيه مجده فيمسي مغرورا ضجرا ، بل سيعيش لمحبة فنه وخدمته • وأدركوا أن هتافهم لهذا النابغ الشاب نوع من التأييد لقضية الحرية والكرامة الانسانية ، وفكر لاني في المؤلف الموسيقي العظيم صديق البشر وبطل المضطهدين ، وكان هذا الكونشرتو قد عزف عزفا سيئا في مدة حياته ، فما كان أحراه أن يفرح حين سمعه يؤدي على يد عازف منفرد وقائد أوركسترا ليس أمام أحد منهما نوته موسيقية • ثم بعد ذلك خطر للاني • وماذا يقول بيتهوفن لو رأى ما يحدث الآن في أرض مولده ؟ ، وبذلك طارت أحلام الفن وحلت محلها الحقيقة المؤلمة • وقال لاني في نفسه • ان الروح الالماني سقط في قبضة هتلر 1 وما الذي يستطيع ان يمنحه آياه سوى جنونه وشنوذه ؟ وما الذي يستطيع ان يصنعه به سوى أن يجعله صورة من نفسه الملتوية ؟ ، •

- ١٠ -

كان هانسي يريد دائما أن يعود الى البيت مباشرة بعد الانتهاء من كل عرض موسيقي لما ينتابه من الاعياء ، فلا يطيب الجلوس في المقاهي الساخرة • ودخل القصر وأوشك أن يذهب الى حجرته حين دق التليفون • وقيل أن برلين على الخط فقال هانسي • هذا أبي يريد أن يعرف كيف كان الكونشرتو ، وكان على صواب في ذلك ، فقد أخبر أباه ان كل شيء مضى على مايرام • ولم يسأله يوهانسي عن التفاصيل فقد كانت لديه أنباء يفضي بها • مبنى الرايشستاغ يحترق فهتف الابن • يا الله ! ، والتفت الى الآخرين وكرر على اسماعهم كلمات أبيه الذي قال بعد ذلك • والنازيون يقولون ان الشيوعيين هم الذين أشعلوا النار فيه • فقال هانسي ، ولكن هذا جنون يا أبي ! • فقال أبوه ، ينبغي ألا أتحدث في هذا الخصوص ، وستجد الانهاء في الصحف وتستنتج منها ما تشاء • والمبنى يحترق منذ ساعتين ويقال أن رجالا شوهدوا وهم يحرقونه بالمشاعل • فصاح هانسي • انها مؤامرة ! • فقال أبوه ، لا أستطيع أن أجزم • ولكني سعيد لانك لست هنا ، فيجب أن تبقى حيث أنت في الوقت الحاضر • فالحالة رهيبة •

ولم يأو هانسى الى فراشه فترة طويلة بل جلسوا يتحدثون ، واتصل
لانى بأصدقائه فى صحيفة البوبيلير للحصول على مزيد من التفاصيل .
والمعتقد أن المبنى العظيم تقوض ، والحكومة تتهم بذلك الحريق العمد مبعوثين
من قبل الشيوعية الدولية .

وكان الشبان الاربعة جميعا يعرفون ذلك النموذج الضخم لطراز
بسمارك فى فن العمارة ، فوسمهم ان يتصوروا المنظر ووقعه هناك وفى
غير ذلك الموضع ايضا من المدينة . وقالت بيس «انها قرية» فالشيوعيون
ليسوا ارحابيين ووافقها لانى على رايها . أما ايرما فايا كان رايها فقد
احتفظت به لنفسها . فلا مفر من أن يقول جميع الشيوعيين انها مؤامرة ،
وان يؤكد جميع النازيين العكس . وقال هانسى « المسألة واضحة حقا !
فالانتخابات ستتم بعد اقل من ستة أيام ، وهؤلاء الاوغاد مستميتون للعثور
على وسيلة ليشوهوا بها سمعتنا ! » وقالت بيس باصرار « ولكن العمال
لمن يندفعوا ! فحزبنا متماسك » وقال لانى فى نفسه « انها اسطوانة
الجراموفون المعهودة ! » الا أنه قال بصوت مسموع « ان الحالة فظيعة كما
يقول أبوك ، والليلة سيهاجمون مراكز الحزب الشيوعى فى جميع أنحاء
المانيا ، فمن حسن حظك أن لديك هذا العذر الحسن للغياب » بيد أن
الموسيقين لم يبتسما لهذه الفكرة لانهما فى دخيلة نفسيهما كانا يشعران
بوقع اللطمات التى يعلمان انها لابد منها له على رفاقهما فى الحزب .

- ١١ -

أن ما حدث فى مبنى الرايشستاغ فى تلك الليلة من السابع
والعشرين من فبراير سيظل موضع خلاف فى الراى خارج المانيا وداخلها
لسنوات طويلة قادمة ، ولكن لا محل للشك فيما حدث فى غير ذلك المكان .
فى الوقت الذى كان فيه الشبان الاربعة يتبادلون الحديث فى باريس كان
قائد كتائب الحرس فى برلين الكونت هلدورف يصدر أوامره بالقبض على
البارزين من الشيوعيين والاشتراكيين وكانت قوائم الضحايا قد أعدت
سلفا ، وكذلك أوامر القبض ومع كل أمر منها صورة فوتوغرافية للضحية
المقصودة . وقال الكونت انه يعلم أن الماركسيين هم الجناة المجرمون ، وعلن
جورنيج أن الهولندى المعتوه الذى عثر عليه فى المبنى ومعه ثقب وأدوات
اشعال النيران كان يحمل بطاقة عضوية فى الحزب الشيوعى . وقد اتضح
عدم صدق هذا القول . ولكنه أدى الغرض منه فى حينه .

وفى اليوم التالى اقنع هتلر هند بنورج بتوقيع مرسوم « لحماية الدولة من الخطر الشيوعى » وبعد ذلك جرى كل شىء على ما يروم النازيون ، فقصت السجون بالمشتبه فيهم . وبدأت اقامة معسكرات الاعتقال على قدم وساق . واصدرت حكومة بروسيا التى على رأسها جورنج بلاغا بخصوص الوثائق التى عثر عليها عند الاغارة على بيت كارل ليبكنشت قبل الحريق بثلاثة ايام ، واتضح منه ان الشيوعيين كانوا يعدون لاحراق الابنية العامة فى جميع انحاء المانيا واشعال حرب اهلية وثورة على الطراز الروسى وان السلب والنهب كانا سيبدأن مباشرة بعد الحريق ، وان أعمالا ارامية كانت ستقترب ضد الارواح والممتلكات . ووعدت الحكومة البروسية بنشر هذه ان أدت الغرض منها ، الا وهو تبرير الغاء الحريات المدنية فى جميع انحاء ما كان يسمى الجمهورية الالمانية .

- ١٢ -

وبتسرب وقائع الاحداث الى صحف فرنسا وبريطانيا قضى الشبان من الحمر والوردين ساعات طويلة فى محاولة تفهم احدى المفتريات الكبرى للسؤال الاول على طيار الحرب العالمية الالمانى الذى فر الى السويد حيث أصبح من مدمنى المخدرات ودخل مصحبا للأمراض النفسية ، فهيرمان جورنج فى التاريخ ، أى عقل دبرها ؟ وأى يد نفذتها ؟ وتركزت شكوكهم بالنسبة لرجل شديد الجسامة ، مغرور بصورة مضحكة ، شغوف بالازياء العسكرية ذات الزخارف الكثيرة التى جعلته اضحوكة لاهل الفكاهة فى برلين . وهو أيضا رجل ذو طاقة هائلة ، فيه فظاظة وحشية ولا يعرف التخرج أو الندم ، فهو النمط الكامل لاولئك النهايين الذين خربوا حدود الامبراطورية الالمانية فى العصور الوسطى واضفوا على انفسهم الالقاب وصارت لهم الآن تماثيل ضخمة من الرخام الابيض فى طريق النصر المعروف لاهل الفكاهة فى برلين باسم « جبانة الفن » .

وقد حصل هيرمان جورنج على القابه التى يشتهيها ، فهو وزير بغير وزارة ، والمندوب الفيدرالى للنقل الجوى ، ووزير الداخلية البروسية . وهذه الالقاب تخول لصاحبها من السلطات ما كان على عهد السلب والنهب الغابر ، ولكن هذه السلطات تخضع الآن للأسف للانتخابات ، وفى يوم الاحد التالى قد يذهب البروليتاريا الى مراكز الاقتراع فيجردون هيرمان من أمجاده ، وذلك امر شديد الازعاج لرجل ذى ميول ارسقراطية وصديق

لولى العهد السابق ولتيسن • والذي حدث ان هذا الرجل العملى كان فى مركز يسمح له بالعمل لان مركزه الرسمى يتصل بمبنى الرايشستاج بممر طويل تحت الارض ، وتحت يده جيش حسن التدريب متلف على تنفيذ أى امر يصدره اليه • وما قيمة مبنى بالقياس الى مستقبل حزب العمال الالماني الاشتراكي الوطنى ؟

والرجل الذى اسند اليه النازى فى النهاية الجريمة هولندى ضعيف العقل كان قد طرد من الحزب الشيوعى فى هولنده فهام على وجهه فى سائر انحاء أوربا • وزعم الشرطة انه عند التحقيق المبدئى ذكر قصة مفصلة عن اشعاله النيران فى ستائر مطعم المجلس بالثقاب ومشعلات النار ، ولكن المطعم لم يكن القاعة الوحيدة التى احرقت بل حدث انفجار عنيف فى حجرة الاجتماع • وتحول المكان الرحب الى كتلة من اللهب والغازات المفجرة ولاحظ رئيس قسم الاطفاء فى برلين وجود اثر على شكل خطوط من البترول على ارض حجرات المبنى وبعد الحريق مباشرة أعلن أن الشرطة اخرجوا شحنة سيارة من مواد محرقة لم تشتعل كانت فى مسرح الحريق ، وبعد تصريحه هذا مباشرة أقيل من منصبه •

وكانت هذه هى التفاصيل التى اذاعها الراديكاليون الشبان فى الخارج بعد ان جمعوا اشتاتاتها ونشروها فى صحفهم ، أما فى داخل المانيا فجميع الصحف التى كان من الجائز ان تنشر هذه التفاصيل كانت قد اوقفت عن الصدور وزج بمحرريها فى السجون وتعرض كثيرون منهم لالوان قاسية من التعذيب ومن المولم ان تعلم أن رفاقك المثاليين الذين وثقت بهم وتبعتهم يضربون بخراطيم المطاط ، أو يرقصون فوق أجسادهم بأحذية ذات مسامير مدببة، ويركلونهم فى كلابهم الى أن تنخلع من مواضعها، وفى خصاهم الى ان يسحقوها سحقا • ولكن الأشد الما من هذا أن تعلم أن الحقوق المدنية قضي عليها فى أمة من أرقى أمم العالم ، وان موطن جوته وباخ صار فى أيدي رجال قادرين على تدبير مثل هذه الفظاعات وارتكابها •

- ١٣ -

كان للحريق اثره المقصود من القاء موجة من الفزع فى قلوب الالمان جميعا • فليس النازى هم الذين ينددون بالحر فقط ، بل ان بابن وهو جنبرح أيضا ينددون بالمتأمرين الحر عن طريق الاذاعة فجميع وسائل الدعاية نشطت فى عقالها لاقتناع الناخبين بأن الوطن فى خطر ماحق من

الثورة الشيوعية و أعلن يوم الجمعة • يوم يقظة الأمة • وسار النازي بالمشاعل على قمم الجبال وفوق الابراج العالية فى المدن واشعلت محركات عظيمة اطلقوا عليها اسم نيران التحرير ، وراح هتلر يبتهل فى الاذاعة • يا رب حررنا ! • فنقلت مكبرات الصوت كلماته الى كل ميدان وساحة فى كل مدينة •

وفى يوم الاحد ادلى الناس بأصواتهم ، وارتفع عدد الاصوات التى حصل عليها النازي من اثنى عشر مليوناً تقريباً الى أكثر من سبعة عشر مليوناً ، ولكن الشيوعيين خسروا نحو مليون صوت فقط ، ولم يخسر الاشتراكيون شيئاً تقريباً ، والكاثوليك كسبوا فعلاً على الرغم من جميع المصادرات ، فأتضح أن الشعب الالماني ليس من السهل هزيمته بعد كل شيء ، فالنازيون مازالوا غير حائزين لاجلبيه مقاعد الرايشستاغ وبذلك لا يمكنهم تكوين حكومة من غير مساندة وموافقة الارستقراطيين • فماذا سترتب على ذلك ؟

والجواب أن هتلر سيكون له ما يريد ، فهو ماضى فى طريقه يوماً بعد يوم نحو هدفه • ولن يوقفه أحد • وقد تنور هذه المعارضة فى مجلس الوزراء ، فيفعل ما كان يفعله فى مؤتمرات الحزب ، يجادل ويثور ويناشد ويندد ويهدد ، ويجعل من المستحيل على أحد سواء أن يسمع له كلام ، ويثير من المقاطعات ما لا يمكن تحمله ، ويثبت أن باستطاعته الثبات ضد أية معارضة ، وأن غضبه الجنونى لا يمكن السيطرة عليه ، وأن ارادته لا تقهر • ولكن وراء هذا الجنون الظاهرى عين فاحصة وذهن حصيف دقيق الحساب • فأدى يعلم بالضبط ما يصنع والى أى مدى يمكن أن يمضى ، فاذا وجد المعارضة أقوى مما ينبغى انقاد ومنح الوعود ، ثم يتضح فى اليوم أن أتباعه ماضون فى تنفيذ ما يريد ، ثم يزعم أنه عاجز عن السيطرة عليهم • وأن كان الامر خطيراً مثل حريق الرايشستاغ فهو لا يعلم عنه شيئاً ، ويبدو مأخوذاً تماماً ، مذهولاً ، مرتاحاً ، ولكن الوقت يكون قد فات لأن المبنى قد احترق فعلاً ، والضحية ماتت ، وسبق السيف العزل •

وقد لبث أكثر من عقد من الزمن يدرب أتباعه على هذه الخطط ، فلا بد لهم أن يكونوا عصابة من الاوباش لا يقفون فى غاياتهم عند حد ، وليس فى السماء ولا على الارض شيء مقدس سوى قضيتهم ، ولا عيب فى أية وسيلة تعين قضيتهم ولا صواب فى أية وسيلة تعرقل هذه القضية ساعة واحدة • ولا بد أنهم فرادى وجماعات أكفأ المجرمين وأنشطتهم ، وأوقع الكذابين وأشداهم أصراراً ، فهم على استعداد لأن يقولوا أى شيء فى براءة

مظهر وجمود ملامح ، وأن ضبطوا لا يعترفون بشيء بل يلقون الاتهام ضد الطرف الآخر فهو الكذاب وهو الشرير وهو القادر وحده على كل معصية .
وأدولف هتلر لم يعترف قط بشيء لاي انسان ، ولم يكذب مرة في حياته .
ولم يقترف قط فعلا غير لائق ، فهو نفس مقدسة لقد عاش وهو مستعد أن يموت في سبيل قضية واحدة هي انتصار الاشتراكية الوطنية وتحرير الشعب الالماني .

لقد ظل عشر سنين ينظم جيشيه السريين من الشبان، ويضمن بضع مئات الألوف من المتعصبين المتشبعين بهذه الروح وهما كتائب الهجوم ، وتشكيلات الحرس أو الدفاع . وهؤلاء هم الرجال الذين سينفذون أراذته ، وهم الآن يعرفون هذه الارادة جيدا بحيث يستطيعون العمل وهو يتناول طعامه أو يستريح أو ينام ، بل أثناء حديثه الى العالم أجمع أنه لا يريد منهم أن يصنعوا ما يصنعون فحتى لو طلب منهم أن يكفوا لمضوا قدما في سحق آخر عدو للاشتراكية الوطنية داخل ارض الوطن ، وفي أخلاء الشوارع للكتائب البنية ، وهي الامل في انشودة « وكر النسر » التي علمهم هتلر كيف ينشدونها .

- ١٤ -

سلسلة فظيعة من الاحداث ، وليس بكاف أن تجد نفسك في أمان جسديا من غوائلها ان كنت ذا نفس حساسه . وعاف هانسي وبيس الطعام ، وجفاهما النوم ، وعجزا عن التفكير في اى شيء سوى ما يحدث لاصدقائهم وشركائهم في الوطن ، فكتائب الهجوم تأتي حين تشاء وتفعل ما تشاء ، ولدى الشرطة أوامر بالتعاون معهم . فهم يأتون الى بيوت الناس ليلا ، يحملونهم الى حيث لا يسمح احد عنهم شيئا بعد ذلك . ولكن تدريجا وبوسائل سرية بدأت أنباء هذه الافاعيل البشعة تتسرب متحدثة عما يجرى فى اقبية مراكز قيادة النازى فى شارع هيديمان ، وفى بيت كوليس وفى السجن الحربى القديم بشارع الجنرال بابن .

وكتب أبوه مذكرات موجزة بلهجة شديدة الحيلة قال فيها « لا تقلق علينا فلنا أصدقاء » ولكن هانسي وبيس يعرفان مائة شخص يقلقهما

أمرهم ، وكانا يطالغان جميع الصحف التي يستطيعان الحصول عليها ويحاولان وضع طرف من هذا النبا إلى جانب طرف من نبا آخر ليحدثا شيئا عن مصير « حزبهما المتماسك » وحررا رسائل تفيض قلقا ثم ازعجهما الا يصلهما رد . فماذا حدث لهذا الزعيم وذاك ؟ لابد حتما أن يكون نفر منهم قد فروا ، والوصول من برلين إلى باريس لا يستغرق وقتا طويلا . ومن العسير جدا التدريب على الموسيقى في مثل هذه الظروف ، فما قيمة تلوين جملة موسيقية عندما يكون المجاذيب مطلقى السراح في وطن المرء ، وتكون حضارة عظيمة على وشك الانهيار ؟ بيد أن الزوجين الشابين كانا مقيدين بارتباطات لا بد لهما من الوفاء بها ، فتركوا مضطرين لأنى وأيرما يقلانهما إلى جوان حيث ارتديا ثيابا مناسبة ، وتوجها إلى فيلا أميلي ليعزفا برنامجا لا يطغى عليه الوجوم .

**** معرفتي ****
www.ibtesama.com
منتديات مجلة الإبتسامة

الفصل الخامس عشر

الطريق الخامس

- ١ -

لم يعد هانس وبيس الى ألمانيا فقد حرم عليهما والدتهما القدوم ، وحرم عليهما لاني الذهاب ، وأبرق روبي بد يحرم الذهاب على بيس . وأهم من هذا كله ان أدولف هتلر حرم القدوم على كليهما بان تصيد جميع الشيوعيين البارزين وزج بهم في السجون فصار من الواضح ان الشيوعيين لا يستطيعون بعد الآن ممارسة نفوذهم أو تحقيق أى هدف لهم فى ألمانيا . ان سياسة الرعب التى اشتهرت أيام الحرب العالمية الاولى لم تفلح عند استخدامها ضد العالم الخارجى ، بيد انها من الممكن بالتاكيد أن تفلح فى داخل البلاد .

واستقر الزوجان الشابان فى المبنى المعروف باسم اللودج فى بيانفنى . وكان شعور بيوتى مطابقا لشعور ايرما تمام المطابقة ، فهى لا تحب أن يحيط بها الحمر ، ولا تحب أن يكون لبيتها مثل هذا الجو ، بيد انها أيضا كانت ضيفة فيما مضى على اليخت بيسى بد وفى قصر برلين ولا يمكنها أن تتخلف عن رد الضيافة ، ثم لا يمكنها أيضا أن تقصر فى اظهار الرقة والمودة لابنة روبي . وتمت التسوية الودية من غير أن يشار اليها بكلمة واحدة فلم يكن هانس وبيس يدعوان اصداقاهما الحمر الى الضيعة ، بل يلقيانهم فى جوان أو فى كان . وكان ذلك عاملا مخففا ولكن كل التخفيف ، لأن الزوجين الشابين لا يسعهما ان يقالبا احضار المتاعب معهما الى البيت ، سواء فى تفكيرهما أو مظهرهما .

وكان هذا شبيه جدا بما شهده لاني قبل عشر سنين عندما استولى موسوليني على السلطة . زرافات من اللاجئيين فروا امام ذلك الارهاب ، وكان طبيعيا الا يطول بهم الأمد حتى يعرفوا أين يقيم هانس وبيس . والزوجان من المفروض انهما غنيان ، والواقع انهما غنيان فعلا بالقياس الى حالة معظم الشيوعيين ، وليس فى وسعهما بسهولة ان يقولوا لاحد

فلهم لا ، اذ ما معنى كلمة « رفيق » ما لم يكن معناها ان تفتح قلبك
وكيس نقودك في وقت فظيح كهذا ؟ ويرسل الأب نقودا لا يقولان له
لماذا يريدانها ، فالمفروض ان الخطابات الواردة والصادرة عرضة للفتح ،
الا ان الوالد كان يستطيع ان يخمن وما من ثمن يراه أبهظ من ابقاء عزيزيه
بعيدين عن موطن الخطر بعدم عودتهما . بيد ان ما يرسله ما كان ليكفى ،
فأموال فورتونا تس ولمسة ما ميدوس التي تحول كل شيء الى ذهب ما كانا
ليكفيا حاجات كل ضحايا هتلر منذ هذا الوقت وبسنوات طويلة لا
يستطيع تخمين عددها أحد . واما ان يكون لك جلد وحيد القرن أو يعتصر
قلبك الألم . وسيبتكر القدر وسائل جديدة لتعذيبك في كل يوم وكل
ساعة ان أنت سمحت بذلك . فهنا ضحايا يثرون الشفقة اثاره شديدة
ويقصون أشد القصص ايلاما ، عن أولئك الذين ذهبوا الى ان صاروا
حطاما بدنا وعقلا ، اناس تعذب أزواجهم أو زوجاتهم أو احبائهم أو
اطفالهم أو والداهم أو ما الى ذلك من ذوى المنزلة والقربة ، أو قد يعذبون
غدا . انهم اناس هربوا تاركين كل شيء ولا يملكون ثمن وجبة واحدة ،
أو يستجدون اجر السفر لاحضار هذا الشخص أو ذاك وقد احدث به
الخطر من بين برائن الشياطين .

وكان هانس وبيس يأكلان منفصلين من طعام تعده إحدى قريبات
« ليز » لهما . وسرعان ما روت هذه الفتاة انهما لا يأكلان ما فيه الكفاية
بعد ان اعطيا آخر فرنك لديهما لرفيق جائع ، ثم راحا يخرججان من البيت
الطعام الذي حصلوا عليه نسيته ، فكانت بيوتى تدعوهما الى مائدتها للاكل
فيأتيان ، لانك على كل حال لا يستطيع ان تعزف الموسيقى ما لم تاكل ،
ولن يجدى على هانس ان يغمى عليه وسط الحفلات الموسيقية التي يقيمها
لمصلحة اللاجئين . وانهارت بيوتى وبكت ، وبكت ببس ، فكان بينهما
استعراض عاطفي كبير ، ولكن ما من كلمة يمكن ان تتبادلاها حرفيا الا
وينشب بينهما جدال .

ارادت بيوتى ان تقول « بالله يافتاني الا تعرفين اوربا ؟ لقد عشت
هنا أعواما أطول مما استطيع الاعتراف به ، ولست أذكر وقتا مضى لم
يأت فيه اقوام فارون من الاضطهاد من مكان ما . فحتى قبل الحرب كان
هناك الثوار الروس ، واشخاص قادمون من البلقان ومن اسبانيا ومن
أرمينيا ، وقد نسييت معظم أسماء تلك الاماكن . فهل تعتقد ان في
استطاعتك حل سائر مشكلات العالم ؟ وارادت ببس ان تجيبها هذا هو
تفكيرك البورجوازي ولكنها لم تستطع ان تقول ذلك لمضيفتها . فاكتفت
بان قالت « هؤلاء رفاقي وهذه قضيتي » .

وعاد لاني وايرما الى باريس فاذا كل شيء هناك على ذلك النحو فقد حصل اللاجئين على عنوان لاني . حصل عليه القادمون الاوائل من خاله جس ، وحصل عليه الباقيون من بعضهم بعضا وهو عنوان راق غاية الرقي ، وغير مفهوم لدى أي رفيق في ضائقة أن شخصا يعيش ولو بصفة مؤقتة في قصر الدوق دي بلومو يمكن الا يكون غارقا في الشراء وفي وضع يسمح له بمساعدته ومساعدة جميع رفاقه واخواته وبنات عمه وخالاته المقيمت في مسقط رأسه ، بحيث يحضرهم جميعا الى باريس وينزلهم في جناح من اجنحة الضيافة بالقصر ، أو على الأقل يدفع ايجار حجرة في السطح . وهو موقف يثير أعصاب اشخاص كثيرين عاثرى الحظ ويجرح احساسهم الخلقى فليسوا من القديسين ، والجوع ذو اثر فعال يدفع الناس الى سلوك شتى السبل . فهناك حمر ليسوا فوق مستوى المبالغة في ضائقتهم . وهناك متسولون عاديون ونصابون يتظاهرون بأنهم حمر أو بأنهم أي شيء في سبيل الحصول على صدقة . وبمرور الوقت تزداد هذه المشكلات سوءا لان الطفيليين يتكاثرون ويزيد عددهم مثل سائر الكائنات وتدفعها الظروف بطريقة آلية الى تجويد فنون بقائهم على قيد الحياة .

وقد مر لاني بمثل هذه الظروف وتعلم بضمن باهظ دروسا مؤلمة من اللاجئين فرارا من الفاشية ولكن الحالة الآن أسوأ لأن هتلر أخذ فنون موسوليني وراح يطبقها باتقان الماني . ثم أن موقف لاني أصبح الآن أسوأ لأن له زوجة غنية ، وما لاجيء يمكن أن يفهم كيف انه وهو يعيش معها لا يستطيع الحصول منها على نقود . لابد انه يحصل على نقود كثيرة منها ، وانظر الى سيارته ، والى ملبسه ، والى الاماكن التي يتردد عليها ! اهو نصير حقيقي أم مجرد فتى لاه يبحث عن الاثارة ؟ ان كان الاحتمال الأخير هو الصحيح فهو اذن هدف مناسب . فانك ان لم تحصل منه على هذا المال حصل عليه الخياطون واصحاب المطاعم ومن اليهم ، فعليك به ولا يقل من عزمك الاحتشام الكاذب .

وكان لايرما مثل بيوتى تفكير بورجوازي ، وتريد أن تقول ما تقوله السيدات البورجوازيات ، ولكنها اكتشفت الآن ما الذي يجرح مشاعر زوجها ، وما الذي أن تمادت فيه يثير غضبه . ان لديهما وسائل كثيرة ليسعدا معا ، وهي شديدة الرغبة في تجنب الشجار على نحو ما يصنع أزواج كثيرون آخرون من الشبان ، ولذا كانت تكتم آراءها في موضوع صراع الطبقات وتحاول بأفانين متباينة من الحيل أن تبعد شريكها الضعيف العقل عن طريق الغواية . فليل للمخدم انه اذا ما جاء غرباء يثير مظهرهم

الشك ان يخبروهم ان السيد بد ليس فى الدار وانهم لا يعلمون متى يعود . وكانت ايرما تبتكر خططاً لبقه لتشتغل وقته دائماً بعيداً عن صحبة النواب الشيوعيين والمحربين الورديين . ولكن لانى لم يكن عاجزاً عن ادراك هذه الافانين ، فهو قد نشأ مع سيدات بورجوازيات ويعرف تفكيرهن ومتى بالضبط يشرعن فى توجيه قياده ولماذا .

وحاول ان يكون منصفاً فلا يعطى اكثر مما ينبغى من اموال ايرما للاجئين ولا اكثر مما ينبغى من ماله الخاص حتى لا يمسى خاوى الوفاض . ومعنى هذا ان عليه كذلك ان يكثر من التملص وتقديم الأعذار للمتكوبين ، ثم يشعر بعد ذلك بالخجل من نفسه وبفصاة فى قلبه اكثر من ذى قبل ، لأن العالم ليس كما يريد ان يكون ولأنه شخصياً ليس من النبل وكرم النفس كما كان يؤثر ان يظن فى نفسه .

- ٣ -

وعلى الرغم من أصدق الجهود التى بذلها لانى فقد وجد من المستحيل ان يظل بعيداً عن المجادلات مع من يلقيهم من الناس ، فظلت الامور الاقتصادية والسياسية تفرض نفسها عليه فضيوف البيت يريدون التحدث فيما يجرى بالمانيا ويريدون ان يعرفوا رايه . ولعلمهم كانوا يعرفون رايه سلفاً ويريدون ان يتحرشوا به . ولم يكن بين الناس من يجيد آداب الاجتماعات الراقية اكثر مما يجيدها ابن بيوتى بد ، ولكن حتى الدمائه الفرنسية لم تكن لتستطيع الثبات فى هذه الاحايين ، لان الناس عجزوا عن الاصغاء للاراء التى يعتبرونها فظيعة من غير ان يبدوا علائم الاستهجان . وانقضت الايام السالفة التى كان فيها من طرائف اللفظ والاحاديث التى يلوكها الناس ان السيد ايرما بانز وردى وان زوجته منزعجة لهذا السبب ، فقد صارت هذه المسألة الآن مسألة جدية ولا يمكن ان تطاق . فهذه السيدة دى كلوسون زوجة مدير البنك الشهير ، تقول له بلهجتها اللاذعة حسبتك كنت تقول انك لست شيوعياً فأجابها وانا لست شيوعياً يا سيدتى ، وانما انا مدافع عن تلك الحريات الاساسية التى ظلت حتى الآن لباب مجد الجمهورية الفرنسية فقالت وهى حريات يحجدها الشيوعيون فيما قيل لى جحدوها ياسيدتى فنحن لا نريد ان نجاريهم فى ذلك أو نتخلى عما نعتر به فاجابته : هذا كلام يبدو جميلاً ، ولكنه يعنى انك تفعل بالضبط ما كانوا يحبون ان يفعله الناس .

كان هذا كل مافى الامر ، بيد انه كاف ، فالسيدة دى كلواسون

سيدة عظيمة المكانة ونفوذها قد يعنى نجاح اية امريكية ذات طموح اجتماعي او فشلها . ولم تسمع ايرما شخصيا هذه المناوشة ، ولكن صديقة رقيقة القلب جشمت نفسها نقلها اليها ، وهي تعلم ان هذه المبارزة الكلامية قد تقضى على جهودها التي ظلت تبذلها طيلة السنة الماضية ، ومع ذلك لم تقل شيئا ، وهي تريد ان تكون منصفة وهي تعلم ان لانى ظل منصفنا بعد ان اخبرها بتطرفه قبل ان يطلب يدها ، وهي قد قبلته على علاقته . ومن سوء حظها انها لم تدرك معنى ان يكون لها زوج ذو صبغة وردية قاتمة بحيث يلتبس امرها على التفكير البورجوازي فيظنونها قرمزية .

- ٤ -

ودعى الرايشستاغ الجديد الى الاجتماع على عجل وتم اجتماعه في مدينة بوتسدام موطن الامجاد القديمة في بروسيا وقد استخدم هتلر عبقريته في ابتكار المراسم المعبرة عن مقاصده الوطنية ولانعاش آمال الشعب الالماني ، فانفجرت اراضي الوطن كلها بالاعلام ، وهي اعلام الصليب المعقوف الجديدة التي اعلن مجلس الوزراء انها يجب ان تحل محل علم الجمهورية المحتضرة . ومرة اخرى اوقدت النيران المتوهجة فوق قمم الجبال واقيمت استعراضات بالمشاعل ليلا اشتركت فيها جميع منظمات النازي والطلبة والاطفال . ووضع هتلر باقة من الزهر على قبر رفاقه الراحلين . وافتتح هند نبورج الرايشستاغ واذيع حفل الافتتاح على جميع المدارس . والقي الاونباشي البوهيمي خطبة من خطبه الملهمة قال فيها لقائمه الاعلى السابق الفيلد مارشال انه حين عينه مستشارا « ابرم الزواج بين رموز المجد القديم والعنفوان الصاعد الحديث » .

وكان هتلر يريد شيئين : ان يصل الى السيطرة على المانيا ، وان يتركه العالم الخارجي وشأنه وهو يتم هذه السيطرة . ولما بدأ الرايشستاغ دور انعقاده العادي في دار أوبرا « كرول » ببرلين وجه الى المجلس خطابا اهد بعناية اعلن فيه ان الشيوعيين هم الذين احرقوا مبنى الرايشستاغ . وان خيانتهم يجب ان تمحى من الوجود بقسوة بربرية . وقال للاغنياء ان : « رأس المال يخدم الاعمال التجارية والصناعية » ولم يكن الاغنياء يطلبون ما هو اكثر من هذا . اما المزارعون الالمان فوعدهم بمعونات الانقاذ ووعده جيش المتعطلين بالعودة الى التوسع في الانتاج .

ولكى يتسنى له تنفيذ هذا البرنامج طلب من المجلس تفويضاً
بسلطة العمل فى قرار صيغت الفاظه بطريقة ماهرة ، وقد سمي هذا
القرار « قانون رفع العوز عن الشعب والامبراطورية » والغرض من هذا
القانون السماح للوزارة الحالية ، وللوزارة الحالية وحدها ، باصدار
القوانين وانفاق الاموال دون الرجوع الى الرايشستاغ . ولكن القانون
لم يقل ذلك بصريح العبارة بل عمد الى ايقاف العمل بمواد محددة فى
الدستور كانت تحتفظ بهذه السلطات الرئيسية لمجلس الرايشستاغ .
ومدة هذا التفويض اربع سنوات الا اذا سقطت الوزارة الحالية وتلتها
وزارة اخرى فيعتبر هذا التفويض ملغى فلن يكون احد سوى أدولف فى
يوم من الايام فوهرر المانيا ! .

وهذه الحيلة تتفق مع ما يتصف به المستشار الجديد من « عقدة
الاجراءات الشرعية » فهو حريص على ان يستجمع فى يده ادوات السلطة
باساليب تراها الكتلة الكبرى من الشعب متفقة مع القانون . وكانت
خطبته فى تأييد هذا القرار مصاغة بحذق وحصانة بحيث تتفق مع
ميول شتى الاحزاب فيما عدا الشيوعيين الذين كانوا قد اقصوا عن
مقاعدهم ، والاشتراكيين الذين سيلحقون بهم ويقاسمونهم مصيرهم بعد
قليل . وكان جمهور من النازى المسلحين يقف خارج المبنى ويصرخ طالبا
الموافقة على ذلك القرار بقانون ، وتم ذلك باغلبية ٤٤١ صوتا ضد ٩٤ ،
وهذا العدد من المخالفين كلهم من الاشتراكيين . ثم اعلن جورنج رئيس
الرايشستاغ الجديد تأجيل دور الانعقاد ، وهكذا فقد شعب عظيم
حرياته فى الوقت الذى كان يبتهج فيه بحصوله عليها .

- ٥ -

وفى هذه الفترة كانت الولايات المتحدة مسرحا لاحداث مثيرة مثلما
كانت الحال فى المانيا ، اذ اصبحت الازمات والافلاس وباء ، واذا بحاكم
ولاية بعد اخرى لا يجد مفرا من اعلان اغلاق جميع البنوك فى الولاية .
وكتب روبى يقول ان السبب فى ذلك استنكار الناس الشديد لقرب
مصير امورهم الى رئيس جمهورية من الحزب الديمقراطى . وعند ما تسلم
الرئيس الجديد السلطة - وكان ذلك اليوم عشية انتخابات هتلر -
كان اول عمل اقدم عليه هو الامر باغلاق جميع البنوك فى الولايات
المتحدة كلها ، وهو ما يعادل فى نظر روبى بد قيام القيامة . وكان

خطابه فى هذا الموضوع شديد التشاؤم حتى لقد دفع ابنه الى ان يبرق اليه قائلا : « تشجع فستجد القوت على كل حال » .

والحقيقة ان الموقف لم يكن من السنوء بحيث توقع كل انسان ، لان الناس اخذوا المسألة مأخذ الهزل ، فاغنى اغنياء البلاد قد لا يكون فى كيس نقوده فى ذلك اليوم الا ملييمات قليلة وهذا كل ما يملكه نقودا سائلة ، فكان اصحابه يرون ذلك مثيرا للضحك ، فيضطر هو ايضا للضحك مثلهم . ولم يمنع ذلك احدا من الثقة به وقبول شيكاته ثمنا لآى شىء وبذلك استطاع ان يحصل على كل ما يريد كما كانت الحال من قبل تماما . وبذلك لم يخسر روبى وجبة واحدة لا هو ولا اى فرد من عائلة بد . وفى هذه الاثناء اصغوا الى صوت رائع فى الراديو يقول لهم بشقة هادئة ان الحكومة الجديدة ستعمل ، وستعمل بسرعة ، وان جميع مشكلات البلاد ستحل . وان الاسلوب الجديد قد بدأ فى العمل .

وكانت الخطوة الاولى هى الانضمام الى بريطانيا والامم الاخرى فى خروجها على قاعدة الذهب . وكان معنى ذلك فى نظر روبى حدوث التضخم ، وان هذا البلد سيحدث له ما حدث لالمانيا . والخطوة التالية اجراء عملية تصنيف او فرز للبنوك ليتقرر تحديد الصالح او المركز المتين منها كى يفتح ابوابه لمساندة الحكومة . وكان من نتيجة ذلك ان انتقل وول ستريت من نيويورك الى وشنطن ، وصارت الحكومة مركز السلطة ، وهرع اليها رجال البنوك ومعهم محاموهم وحقائب اوراقهم ، وهذه خطة رعناء ستؤدى الى شتى الوان الازعاج . وستظل امريكا ارض المفارقات والمتناقضات سنوات طويلة وستسنع لروبى بد وامثاله فرص لا حصر لها للسخرية والتنديد ، ولكن الاعمال ستأخذ فى الانتعاش وسيجد الشعب مرة اخرى ما يأكله ، ولن يكون الاكلون آل بد وامثالهم وحدهم .

ولم يجد لانى متاعب من اى نوع لان البنوك الفرنسية لم تغلق ابوابها ، فكان لديه مال ينفقه على لاجئيه . وان ظل دخل ايرما على انخفاضه ففى وسعها العودة الى بيايفينى وهى المخبأ من الاعاصير كما تسميها . ولم تكن قد اضطرت لكسب شىء من النقود فى حياتها ، ولذا كان من اليسير عليها ان تتخذ موقفا مستهينا متفائلا مثل موقف زوجها . فهى ان فقدت اموالها فكل انسان آخر سيكون قد فقد ماله ايضا فلن تشعر بأى نقص . والحقيقة ان الموقف كان مشيرا وان الجيل الجديد

اعتبروه نوعا من التحدى الرياضى . وتتردد ايرما بين هذا الموقف وبين حلمها بافتتاح صالون بارز فخم . ولما وضح لها لانى عدم التوافق بين هذين الموقفين اكتفت بالضحك .

- ٦ -

وحضر ريك لتمضية بضعة ايام معها . وهو لم يعد من الفقر بحيث يقلقه التفكير فى نفقات رحلة الى باريس . بل صار من ضمن عمله ان يلتقى بشتى انواع الناس ويرقب مايجرى من الامور . والطيار السابق الاعرج الذى قد يصبح حائزا للقب سير بالوراثة يوما ما ، والذى حقق بالفعل نجاحا ككاتب مسرحى ، يعتبر شخصية رومانتيكية ولو أنه متطرف فى حديثه . فالسيدات مسرورات به ، وقد اكتشفت ايرما ان لديها ما يمكن ان يسمى فنا صاعدا من صناعة بيتها . فتروى لأكثر الناس جاها كيف كان لانى خدن طفوله ريك وقد صحبه الى جميع مؤتمرات أوروبا وساعده على تخطيط بل على مراجعة مسرحياته . وتروى لهم ايضا كيف انها - اى ايرما - ساعدت فى تمويل رواية « رشوة بدلة السهرة » فلم تسترد نقودها فقط بل حصلت ايضا على ربح كبير . وهذا اول استثمار انفردت به فى حياتها ، ولذا يفتر لها ان تزهر به ، وان تتفاخر بشانه لدى امها وأعمامها وأخوالها العديدين .

وزاد يقين ايرما بميلها الى موقف الانجليز من الحياة . فالرجل الانجليزى عميق الاحساس كما تكشف لها فيما بعد ، ولكنه يكتفى بالكلام عن موقفه بهدوء ، بل هو أميل الى التقليل من شأنه ، فلا يرفع صوته مثل كثير من الأمريكين ، ولا يلوح بيديه كالفرنسيين ، ولا يجمع كالألمان . فرجال الانجليز سلخوا زما طويلا فى ممارسة الحكم ، ولذا فهم ينظرون الى الحكم نظرة شيء مفروغ منه ، بيد أنهم فى الوقت نفسه مستعدون لوضع وجهة نظر الآخر موضع الاعتبار ، بل أنهم مستعدون للوصول الى نوع من التسوية معه . ويبدو ذلك بصفة خاصة فى مسائل القارة الأوروبية حيث يحاولون بجد ان يتوسطوا بين الفرنسيين والألمان . وقال ديس دى بروين « ما أكرمهم فى الحقيقة عندما يتصرفون فى المصالح الفرنسية ! » .

وكان مؤتمر تحديد التسليح لم يزل منعقدا فى جنيف تتقارع فيه الآراء ، كاشفا عن عدم استعداد أية أمة للثقة بأية أمة أخرى ، أو الازعان

والقبول لما يمكن ان تكون فيه مصلحة امة منافسة لها . وقال ريك الاشتراكي : « ليس في الدنيا مايكفي من التجارة لتيسير احوال الجميع ولذا فهم لا يستطيعون التفاهم على طريقة تقسيمها » . اما جيسى بلاكلس الشيوعي فقال : « انهم كقوم مغرقين فوق طوف ، وقد اخذ الطعام ينفذ ، فهم يعلمون ان احدهم لابد ان يؤكل ، فمن ذا الذي يوافق على ان يكون اول مأكول ؟ » .

وكانت هناك مفاوضات خاصة كثيرة بين الانجليز والفرنسيين ، فكان كبار الموظفين البريطانيين يكثررون من التردد على باريس . وقد احضر ريك عددا منهم الى القصر لتناول الشاي او للرقص . وهذا ما استأجرت ايرما القصر له ، فشعر انها تحصل بذلك على مقابل عادل لنقودها ، وان كانت بالطبع لم تقل الكلام بهذه الفجاجة . ومن بين من جاءوا اللورد ويكتورب الذي كانت قد قابلته في جنيف في السنة الماضية وهو يشغل منصبا له جانب من المظورة وكان يتكلم على سجيته وهو بين « المنتمين » وكان يعد ريك وآل بد من المنتمين . فكانت ايرما تصفي بانتباه لانها باعتبارها المضيضة لابد ان تقول شيئا ، وهي تريد ان يكون كلامها صوابا حين تتكلم . وبعد خروجه تتحدث مع لاني وتجعله يفسر لها مالم تفهم . وتقول عرضا « اتمنى لو أنك نظرت الى الأمور نظرة موازنة على غرار ويكتورب » فيجيبها : « ياعزيزتي ان ويكتورب عضو في الارستقراطية البريطانية ، وهو هنا ليحارب في سبيل الامبراطورية ، وهو حاصل على الشيء الكثير من كل مايريد من الطبيعي انه يستطيع ان ياخذ الامور مأخذا هينا » فسأله : « وانت ألم تحصل على ما تريد يا لاني ؟ » فأجابها : « اطلاقا ! اني اريد حياة افضل لسواد الناس الذين ليسوا في الامبراطورية البريطانية ، بل ولكثيرين في تلك الامبراطورية ممن يخرجهم ويكتورب من حسابه » فقالت : « ولكنك سمعته يا لاني يقول اننا الآن جميعا اشتراكيون » فأجابها « أعلم ذلك ياعزيزتي . وهي صيغة محفوظة ، ولكنهم يحددون لانفسهم تعريف هذه الكلمة ، ومعناها لديهم ان ويكتورب يتولى الحكم ويحدد للعمال ما يحصلون عليه . وبذلك يستمر سكان السيوت الحقيرة في ايست اند يدفعون الاتاوات لأصحاب المساكن ، ويقوم الفلاحون المدممون في الهند والزنوج في جنوب افريقيا ببذل عرقهم كي يوفروا الترف والبذخ لحمله السندات من البريطانيين » فقالت ربة الصالون المنتظرة : « وبحي ! من ذا الذي يحب ان يأتي لزيارتنا ان كان حديثك على هذا المنوال ؟ » .

وكان لاني مهتما بوجهة نظر هؤلاء الأشخاص الرسميين فكان يجلس في المكتبة الضخمة بالبيت الذي استأجرته زوجته ويصفي لريك يناقش الحركة النازية مع ويكتورب وسكرتيره ريجي كالتدج الذي كان أيضا ابن عمه . ولم تكن وجهة نظره جديدة بأية حال على لاني ، فهي وجهة نظر كان والده قد شرحها له حينما كان فتى صغيرا جدا . والطبقات الحاكمة في بريطانيا اتخذت سياسة ثابتة لها الا تسمح لاية أمة واحدة بأن تصل من القوة بحيث تسيطر على القارة الأوروبية بصرف النظر عن أى هذه الأمم يمكن أن تكون المسيطرة ، فهم في هذه الحالة يأخذون على عاتقهم إقامة أمة منافسة لها لتحدث التوازن معها .

ويكتورب يكره النازي ويكره مايصنعون ولكنه لا يهدر بالفضب عليهم ، وكل مايقوله عنهم أنهم جماعة من الأوباش . وهو يأخذ مأخذ التسليم أن وعودهم الخيالية انما هي وسيلة استعانوا بها للحصول على السلطة ، وقال عنها : « أن هذه الاحيل ، سياسية ، وأبى أن يشغل باله باحتمال أن يكون هؤلاء الأوباش يعنون حقاً مايقولون . وأصغى الانجليزيون باهتمام عندما روى لهما عن مقابلته لهتلر ووجها اليه بضعة أسئلة ، ولكنهما في النهاية احتفظا برأيهما . وقال فخامة اللورد « لدينا في حياتنا العامة رجال كثيرون جامحون . وأنا وانت أصغر سنا من أن نتذكر كيف كان جون بيرلز المعجوز يهذى في خطبه في ميدان الطرف الأغر ، ولكن والدي كانا يجهزان جماعات لزيارة الأحياء الفقيرة ويذهبان لسماعه . وبعد ذلك بمدة طويلة كان في وسعك أن تقابل ذلك المعجوز في نادى الاصلاح الجديد وتسمعه يتحدث عن ذلك . والواقع أنه كان من العسير أن تجعله يتحدث عن أى شيء آخر . » وأضاف كالتدج الى ذلك قوله « لقد كان ممتنعا صارما جدا عن المسكرات ولكن وجهه كان في حمرة غيب الديك الرومي ، فقال لاني « وهتلر أيضا لا يشرب الخمر ، ولكن الآخرين لم يبد عليهما أنهما قدرا لهذه الملاحظة أهميتها ، ومضيا في افهام ريك ان أنصار الامبراطورية الفرنسيين متخطفسون ، واذ دبلوماسيهم تسببوا في كثير من المتاعب بسوريا والعراق وغيرهما من الأماكن ، وان لدى رجال المصارف الفرنسيين مخزونا كبيرا من الذهب يستخدمونه بأساليب تضر منافسيهم . ولم يقل ويكتورب أن هتلر قد يفيد وجوده في شغل بال الفرنسيين ، ولكن حججه وضحت الفكرة العامة وهي انك لا تستطيع أن تثق بأية مجموعة من الاجانب متى حصلت

على سلطة أكثر مما ينبغي . بل كان من الممكن أن تدرك أن قلبه لم يتحطم أسى لما حدث في وول ستريت أثناء السنوات الأربعة الأخيرة ، لأن جانبا كبيرا من رخاء بريطانيا يتوقف على خدماتها باعتبارها غرفة المقاصة في العمليات التجارية الدولية ، فما يضايقهم جدا هو أن يثبت الدولار أنه أرسخ وضعاً من الجنيه .

وقام ويكتورب وابن عمه بتصوير مريح لما سيكون عليه دور هتلر في الشئون العالمية . يفترض أنه استمر في السلطة ، فالروس هم الذين سيحاربهم . وهو المرشح منطقياً لذلك بسبب موقعه الجغرافي . فهذا العامل يجعل من المستحيل على بريطانيا أن تقوم بذلك تقريباً . وأراد لاني أن يسأله : « ولماذا لابد لأحد أن يحارب روسيا ؟ » ولكنه كان يخشى أن يكون هذا السؤال غير لائق .

هاهو اللورد الشاب الطويل جالس ، ببشرته الناعمة ، وخده الوردى ، وشعره الأشقر ، وشاربه الصغير كأنه اللعبة ، كامل الأناقة وعلى سجيته تماما . ولكن ليس في الاستطاعة أن يقال عنه أنه كامل التعليم ، فثمة أمور هامة لا يعرف عنها شيئا ، كالعلوم مثلا ، واقتصاديات الواقع في مقابل اقتصاديات النظرية الكلاسيكية . وهو يعرف الحضارتين الاغريقية والرومانية ، والفيولوجيا العبرية كما عدلتها كنيسة انجلترا ، ويعرف الشئون العالمية الحديثة على طرف لسانه ، وفيه رصانة تامة وسحر في آداب سلوكه ، وبراعة في الاحتفاظ لنفسه بتلك الافكار التي ليس لأشخاص معينين الحق في الاطلاع عليها . وهو واثق بأنه سيد مهذب ومسيحي ، ومع هذا فهو يأخذ مأخذ التسليم ان من واجبه العمل واعداد العدة لقيام حرب من أقسى الحروب وأشدّها حمقا .

وقال لاني مقترحا برفق « في وسعكم كما تعلم أن تقوموا بتبادل تجارى ضخم مع الاتحاد السوفيتي فلديهم المواد الخام ولديكم الآلات » فاجابه : « نعم يايد ، ولكن المرء ينبغي ألا يقصر تفكيره على الاعمال التجارية فهناك اعتبارات خلقية » فقال لاني : « ولكن ألا يجوز أن يخفف الحمر من غلوائهم ويشعروا بالمسئولية كما تنتظر هذا من النازي ؟ » فقال اللورد : « اننا لا نستطيع ان نشق بالمفسدين » فقال لاني : « لقد قيل لي انهم يؤدون التزاماتهم بانتظام فبنك تشيس القومي تمضى أموره معهم على مايرام » فقال اللورد : « لست أعنى ماليا بل سياسيا . فقد يشرعون في الهجوم على البلقان أو الهند أو الصين ، فعملاؤهم يحاربون اشغال الثورات طول الوقت » . فالحج لاني قائلا : « هل خطر لك أنه من

المجائز ان لم تتاجروا معهم ان يتاجر معهم النازي ؟ ان اقتصادياتهم تكمل احدها الأخرى ، فأجاب اللورد : « ولكن ايدولوجياتهما على طرفي نقيض ! » فأجاب لانى : « هكذا تبدو ان ولكنك قلت شخصيا ان الايدولوجية تتغير عندما يصل الرجال الى السلطة ويخيل الى ان ستالين وهتلر كليهما رجل عصامي وقد يتسنى لهما ان يتفاهما . فما الراى اذا فرضنا ان ستالين قال ذات يوم لهتلر ، وقال هتلر لستالين : اسمع يا صاحبي : ان الانجليز قد رتبوا أمورهم على أن يقضى كل منا على صاحبه بالقتال فلماذا نخدم أغراضهم ؟ » فقال لورد ويكثورب الشاب : « اعترف ان ذلك اليوم سيكون بالغ السوء » ولكنه قالها بابتسامة ولم يأخذ الامر مأخذ الجد فلما ضيق عليه ريك الخناق أدلى بسبب آخر لاستحالة التفكير فى تبادل تجارى على نطاق واسع مع الاتحاد السوفيتى ، ويتعلق هذا السبب بتأثير هذه السياسة على الموقف السياسى فى الداخل « انها ستشدد أزر الحمر وقد تاتى بالعمال الى الحكم » .

وقال ريك للانى عندما صارا بمفردهما : « الطبقة فوق الوطن ! » .

- ٨ -

كان برنامج النازى لكبح اليهود يوضع موضع التنفيذ خطوة خطوة، وستكون هذه طريقة النازى فى كل شىء . فالموظفون المدنيون الذين تجرى فى عروقهم دماء يهودية طردوا من وظائفهم وحل محلهم آريون صالحيون من ذوى الانساب الصحيحة الثابتة . والمحامون اليهود منعوا من الترافع أمام المحاكم . والصقت علامات اليهود أو رسمت بالطلاء على محال اعمال الجنس البغيض . وكان الضرب والارهاب يجدان تشجيعا سريا بقصد ارغام اليهود على الخروج من البلاد وحرمانهم بذلك من الوظائف والممتلكات . وعندما كانت تذكر هذه الحوادث فى الصحف كانت تنسب الى « أشخاص مجهولين متنكرين فى ثياب جنود كتائب الهجوم » ولكن اللاجئيين الهاربين الى العالم الخارجى كانوا يذيعون الحقيقة، وبذلك بدأ غليان الاستنكار بين اليهود فى جميع البلدان فعمدوا مع العاطفين عليهم اجتماعات للاحتجاج وبدأت حركة لمقاطعة التعامل مع المانيا ، وكان رد الفعل فى المانيا مباشرا ، وقد كتب يوهانسى فى ذلك الشأن ، ومما له مغزى كبير انه لم يكتب الا للانى ، لا لوالديه ، ولم يوقع الخطابات ولم يترك عليها علامة تدل على شخصيته ، فقد صار جريمة

(٢٠) انياب التنين - ٣٠٥

عقوبتها الحبس أن يقدم أى المانى معلومات الى الاجانب • وكان يوهانسى يخاطب لانى باعتباره المانيا ويحذره من أخبار أى انسان فى باريس بهذه المعلومات !

وكانت المقاطعة تقلق بال رجال الاعمال فى المانيا وفى الوقت نفسه تثير غضب زعماء الحزب ولا يدري أحد أى وجهتى النظر يكتب لها التفوق • ان « يوب جوبلز » كان ينادى بوقف التعامل مع اليهود فى المانيا ، وكانت النتيجة حدوث زعر فى سوق الأوراق المالية ، لان جانباً من أهم الاعمال فى المانيا مملوك لليهود بما فى ذلك المتاجر الكبرى فى برلين ، وهى التى كان البرنامج الاصلى للحزب قد وعد بتأميمها ، والآن أصبح الشباب المتحمس فى كتائب الهجوم وكتائب الدفاع أو الامن متحمسين لاقتحامها والقيام بمهمتهم •

ونشبت فى الوزارة منازعات على المتوال المألوف حول هذه المسألة كما قال يوهانسى ، فأقطاب المال والاعمال الذين مولوا ظهور هتلر صاروا منحون عليه فكيف يستطيعون أداء الضرائب وكيف يمكن أن تمول الحكومة اذا ترك البلطجية طلبهم العنان لتخريب الاعمال والتجارة سواء فى الداخل أو الخارج ؟ وكانت نتيجة لعبة شد الحبل هذه اتفاقية غريبة ومضحكة ، فالمقاطعة التى كان متعصبو الحزب قد أعلنوا بدأها فى اليوم الاول من شهر ابريل ستنفذ ، ولكنها ستستمر يوماً واحداً من أيام العمل وهو ثمان ساعات ، ثم تنتظر المانيا ثلاثة أيام لتبى ماذا سيكون رد الفعل من العملاء الاجانب ومصاصى الدماء من اليهود الذين يقترون الاكاذيب بلا حياء عن المانيا • فان أظهروا الندم وتخلوا عن تهديداتهم الوقحة سمحت المانيا مقابل ذلك باستمرار الاعمال والمصالح اليهودية فى سلام ، والا نزل بهم عقاب صارم ، وربما استؤصلت شأفتهم ، وسيكون اللوم فى هذه الحالة واقعا على اليهود مصاصى الدماء خارج المانيا •

والمقاطعة فكرة اقترحها الدكتور جوبلز ، لان الفوهرر نفسه كان مشغولاً باعادة تنظيم شتى حكومات الولايات • وعشية يوم المقاطعة وقف القزم الصغير الاعرج بقمه الهائل الواسع يتحدث الى رفاقه فى الحزب فى اجتماع بقاعة فى الطرف الغربى ، وكان رجال كتائب الهجوم فى سائر انحاء المانيا يصفون لما يقوله فى المذيع • وطالب الخطيب بمظاهرة تدل على : « النظام الحديدي » فينبغى ألا يكون هناك عنف ، بل تراقب جميع المؤسسات اليهودية ولا يسمح للمانى أو المانية بدخولها وجعل ذلك اليوم عطلة نازية ، فلبث اليهود فى بيوتهم وسار ذوو القمصان البنية فى

جميع مدن المانيا وبلدانها الريفية منشدين أناشيدهم القائلة ان الدماء اليهودية ينبغي أن تنبجس بحد السكين ، ووضعوا علامات يهودية على متجر كل تاجر يعجز عن اثبات أربعة جدود له من الآريين . وصنعوا مثل ذلك بالاطباء والمستشفيات مستخدمين لافتة عبارة عن نقطة دائرية كبيرة صفراء وسط ارضية سوداء ، وهي العلامة المعروفة في جميع أنحاء أوربا للعزل الصحي . وبذلك يقولون للعالم ان الطبيب اليهودي وباء مثل الجدري أو الحمى القرمزية أو التيفود أو الجذام مما يتصدى لعلاج .

وقد نفذت هذه التعليمات بدقة في الاحياء الراقية . أما في المناطق الفقيرة والمدن الصفرى فقد الصق جنود الهجوم المتحمسون علامات على جباه المتعاملين مع المتاجر اليهودية ، وضربوا ومزقوا ثياب امرأة أصرت على دخول متجر منها . وفي ذلك المساء عقد اجتماع هائل في مطار تمبلهوف وأظهر جويلز حواره لتلك المظاهرة التي شهدتها العالم أجمع ، وأعلن ان الاجانب الوقحين سيجزعون ويركعون على ركبهم . ولما كانت معظم الصحف قد صودرت ، فعلى الناس اما ان يصدقوا ذلك او لا يصدقوا شيئاً . وضحك الاجانب بطبيعة الحال لانهم يعرفون انهم غير جزعين ، واستمرت الاجتماعات الجماهيرية وتوزيع نشرات المقاطعة ، ولكن زعماء النازي آثروا ان يعلنوا خلاف ذلك ، في اليوم التالي تم غسل جميع واجهات المحال في أنحاء المانيا ، وصار شعار الآريين وغير الآريين « العمل كالمعتاد » .

- ٩ -

وكانت لهذه الحركة آثار غير مرتقبة ، فتكون ما سمي « اتحاد اليهود الالمان الوطنيين » واصدر منشورا قال فيه ان اليهود يجدون معاملة منصفة وانه لا نصيب من الصحة لما يشاع من الشائعات . ووقع نفر من أقطاب اليهود ذلك المنشور ، ومن بينهم اسم يوهانسي روبن .

وخيل للامريكي ان الانسان لا يمكن ان يعيش سعيدا في مثل هذه الظروف ، فكتب لاني خطابا كتبه بعناية وحذر مؤداه ان هانسي سيقوم حفلات موسيقية مهمة وان ايرما ستقيم مناسبات اجتماعية شتى ، وانه يسرهم ان تحضرها الاسرة ، واجاب يوهانسي بأن دواعي العمل تمنعه من مفادرة المانيا في الوقت الحاضر . وطلب اليهم الا ينزعجوا بسبب المراسيم الجديدة التي تحرم على أي شخص مفادرة المانيا بدون جواز سفر خاص ،

لان في وسعه ان يحصل على هذه الجوازات الخاصة لنفسه وللأسرة متى شاء . وقال ان ألمانيا وطنهم وانهم جميعا يحبون الشعب الألماني . وهو الخطاب الذي يليق بيهودي في تلك الظروف أن يكتبه ، وقد يكون ما به صحيحا مع قليل من التحفظات .

وكان النازيون قد وعوا درس المقاطعة ، وان لم يعترفوا بذلك قط ، فانتهمت مرحلة استخدام ضجة الفرق الموسيقية النحاسية في الاضطهاد وشرعوا في تحقيق أغراضهم بهدوء وسكينة ، وواصلوا بسرعة انتزاع اليهود والمتزوجين من يهوديات من أعمالهم . فلا يسمح لليهودي أن يعلم في مدرسة أو جامعة بألمانيا ، ولا لحام يهودي بالتراجع ، ولا لأي يهودي بشغل منصب رسمي حتى أصغر الوظائف الكتابية ، وهذا معناه توفير عشرات الألوف من المناصب لضباط وجنود النازي ، وهي وسيلة للوفاء بالوعود المقطوعة لهم أسهل بكثير من تأمين الصناعة أو تقسيم الضياع الزراعية الكبيرة . ووجد المثقفون المتعطلون عملا كثيرا بأجراء أبحاث في الانساب للملايين الاشخاص الراغبين في اثبات نسب أسلافهم وحدث شيء عجيب خارق للمعتاد ، وهو ان أشخاصا ممن لهم أم آرية وأب يهودي أو جده آرية وجد يهودي شرعوا في أبحاث حول السيرة الخلقية لجذاتهم الاناث ليثبتوا انهم آريون خلصاء عن طريق التدليل على انهم أبناء سفاح . وقبل مضي وقت طويل اكتشف النازيون أن بعض اليهود نافعون ، وبذلك أنشئت رسميا طائفة أطلق عليها اسم « الارين الفخريين » .

وبوسيلة أو أخرى أفهم أقطاب اليهود ان الأفضل لهم الاستقالة من ادارات الاتحادات الكبرى ومن المناصب التنفيذية المرغوب في شغلها بأبناء أخوة أو أبناء اعمام بعض كبار النازيين . ويقال ان هذه الوسائل كانت من القسوة أحيانا بحيث أقدم نفر منهم على الانتحار . ومثل هذه الاحداث لا تنشرها الصحف ولكن الشبائعات نشرتها في خارج ألمانيا بطرق خفية . والسجون القديمة والمؤسسات الرسمية وثكنات الجيش التي ظلت خاوية منذ معاهدة فرساي حولت الى معسكرات للاعتقال سرعان ما امتلأت بالرجال والنساء ، فالناقلات تحمل شحنات جديدة اليها كل يوم حتى قارب عدد المعتقلين مائة ألف .

وكتب لاني مرة أخرى يقول ان أصدقاءه مخطئون جدا بعدم قدومهم لحضور انتصارات هانسي الموسيقية وانتصارات إيرما الاجتماعية . وفي هذه المرة رد يوهانسي بقوله ان مشاغله العملية بدأت تشغل عليه . وان أطباءه نصحوه بالقيام برحلة بحرية ، وانه بسبيل اعداد اليخت بيبي بد

لرحلة أخرى حقيقية هذه المرة ، فهو يريد من هانسي وبيس أن يقابلاه في احدى موانئ شمال فرنسا ، وهو يأمل في قدوم آل بد معهما ، ويعنى بذلك الاسرة كلها : لاني وايرما والسيد دنجل وزوجه ومرسلين والطفلة فرانسيس واى عدد من المربيات يشاءون . وكذا قيل ستكون الرحلة الى اى جزء من العالم تفضله اسرة بد ، واقترح يوهانس عبور الاطلنطى مرة أخرى لزيارة نيوكاسل ولنچ آيلند ، ثم فى الخريف قد يهبطون الى جزر الهند الغربية وربما عبروا قناة بنما الى كاليفورنيا ، وان شاءوا الى جزائر هونولولو واليابان وبالى وجاوه والهند وايران وجميع المواضع التاريخية والرومانتيكية التى يمكن أن تخطر لهم . سيكون اليخت جامعة تسير بالديزل !

- ١٠ -

وصار من المحتم بذلك على ايرما أن تصل الى قرار فيما أجلته حتى اللحظة الاخيرة ، فهل هى عازمة على استئجار القصر سنة أخرى ؟ لقد الفته وصار لها فيه مجموعة من الخدم الكفاء حسنى التدريب ، ثم هى أيضا قد ثبتت مكانتها مضييفة . ويبدو من العار أن تفقد ذلك كله ولكن من جهة أخرى اخذ المال يشع ، فالكساد الفظيع مستمر ، وقد اطلعها لاني على الحسابات التى أجراها أحد رجال الاقتصاد مثبتا ان هذا الكساد كلف الولايات المتحدة ستة أمثال ما تكلفته الحرب العالمية . وبفضل مؤسسه اعادة البناء المالى أمكن دفع فوائد سندات الصناعة ، بيد ان كثيرا من الاوراق المالية الثمينة على صورة أسهم مما تملكه ايرما لا تؤدى حصصا فى الوقت الحاضر ، وهى تقول لأصدقائها انها تعيش الآن على الشوكلاته والبسكويت والكوكاكولا . لا على انها عناصر غذائها ، كما قد يبدو لأول وهلة ، بل انها مصادر ايرادها . ولديها شور اكرز بنفقاتها الاضافية الهائلة . فاضطرت لانقاص مخصصات أمها ، وقامت الأم باعلان الجميع هناك انهم يستطيعون على سبيل المساعدة لهم أن يبقوا فى الضيعة ويعملوا فيها مقابل الاقامة والطعام ولكن بدون مرتبات . وحتى على هذا الاساس كانت نفقات الطعام كبيرة والضرائب باهظة . ومتى لم تكن الضرائب كذلك ؟ وتضمنت خطابات السيدة بارنز الى ابنتها احساسا بقرب الاملاق . وقالت هذه الابنة المكروبة وهى مستلقية فوق الساتان الوردى الفاخر فى فراش استقبلت فيه السيدة دى منتنون الملكة الشمس : « انك لا تهتم كثيرا جدا بهذا القصر يا لاني ، أليس كذلك ؟ » فاجابها : « انت

تعليمي يا عزيزتي اني لا احاول ان اُرشدك كيف تُنفق مَالك ، . فقالت :
« ولكنني اسألك الآن ، . فاجاب : « انت تعرفين بدون سؤال . فان
أنفقت أكثر مما لديك فانت فقيرة ولا أهمية للمبلغ ، . فسألته : « اتظن
ان عدنا الى باريس بعد الكساد انني يمكن ان اُشرع في القيام بدور
المضيضة مرة أخرى ؟ ، فاجاب : « هذا يتوقف تماما على مقدار المال الذي
تنجحين في الاحتفاظ به ، فصاحت المضيضة : « الا ما افطعك يالاني ! ،
فقهاه قائلا : « انت التي سألتني ، .

وكان قد انقضى عام تقريبا منذ رات الملكة الأم حفيدتها ، وهذا أمر
يجب ان يؤخذ في الاعتبار . فسيكون سرورها لا حد له ، وسيكون مبهجا
كذلك الالتقاء بكل اولئك الأصدقاء في نيويورك وسماع لفظهم . ويستطيع
لاني ان يتحمل ذلك ما لم يطل كثيرا . وبالحال من راحة لعمها جوزيف
بارتر الوصي ومدير ممتلكات بارتر ان يعلم انها سوف لا تسحب شيكا
لمدة سنة ا .

وسألت زوجها : « اتعتقد يالاني ان يوهانسي يستطيع حقيقة ان
ينفق علينا طيلة هذه الوقت ؟ ، فاجاب سليل آل بد : « كان في وسعه
ان يذهب وحده ان شاء . والواقع انني احسب هذا الوغد يملك الآن من
المال أكثر مما كان لديه طول عمره . فهو دائم التحريك لأمواله في أحسن
الأوقات واسوئها ، وسواء ارتفعت السوق أم هبطت ، فسألته : « كيف
يستطيع ذلك يالاني ؟ ، فاجابها : لأنه يرقب الأمور طول الوقت ويحتفظ
بأمواله حيث يستطيع نقلها بسرعة فهو مضارب على الصعود في الأوقات
الطيبة ومضارب على النزول في الأوقات السيئة ، فقالت ايرما : « هذا
رائع حقا . اتظنه يستطيع ان يعلمنا ان نصنع مثله ؟ ، فاجاب : « مامن
شيء يسره مثلما يسره تعليمك ، ولكن المشكلة في أنك لا بد ان تركزي
ذهنك في هذه المسألة ولا تفغليها مطلقا ، فقالت ايرما وهي تتمطى
بذراعيها البديعتين وتتشمب في الفراش الحريري الوردى الذي كان يوما ما
للعشيقة الرسمية للعاهل العظيم : « أظن ان ذلك سيكون مضجرا ان طال
عليه الوقت ، .

- ١١ -

هبط الزوجان الشابان الى جوان ، وعقدت ايرما مع بيوتى مؤتمرا
للأمومة حول مشكلات مستقبلهما ، وكانت بيوتى تحب رحلات اليخت

وتجدها وسيلة راقية للأسفار ، وقد تعلمت الجغرافيا والتاريخ بهذه الطريقة ، وقد يحدث ذلك أيضا لايرما ، ولكن أهم شيء ما يوفره اليخت من الامان فيبوتى لا تبالى كثرة ماينغمس فيه صفارها من أحاديث حمراء وورديه بشرط ألا يصل اليهم من فى الخارج من الحمر والوردين ليقترضوا نقودهم ويفروهم بانشاء المدارس والصحف وما الى ذلك ، ويورطوهم فى معارك مع الفاشية والشرطة فمن الافضل أن تحملهم الى البحر وتبقيهم هناك ، وقد تجد جزيرة استوائية بديعة يستطيعون الاستقرار فيها ليعيشوا فى سلام وونام الى أن تتم دورة الثورات والثورات المضادة ! وليقيم اليخت بمهمه سفينة الامدادات فيأتيهم بآخر المؤلفات الموسيقية او اى شيء آخر قرأوا عنه ، ولكن بشرط أن لا يأتيهم بالمهيجين الشيوعيين او الاشتراكيين ، ولا بالفاشيين او النازيين الذين يسرون صانحين ملوحين بمسدساتهم وخناجرهم ! وسالت بيوتى بد الورديه الخفيفة :
« اتظنين أن فى البحار الجنوبية بعوضا ؟ » .

واقنعت ايرما أن هذه هى الطريقة المثلى لابقاء زوجها ذى المزاج المتقلب سعيدا وفى امان ، لأن باريس فى الوقت الحاضر مكان خطر ، وانظرى الى الأسلوب الذى ينبع جيسى مندوما من اجتماع الى آخر ليلقى الخطب الهستيرية وملصقا بالنازى جميع الشتائم التى تحفل بها اللغة الفرنسية ! وكانت تصل كل يوم الى بيافينى نسخة من « الاومانيتيه » ، فتنظر فيها بيوتى أحيانا وفى حساباتها أن من واجبها أن تتعقب أعمال أخيها . فكان ذلك يوهن قواها لأنها تعلم مايمكن أن يشهه هذا الكلام بين الهتلرين ، وهى تعلم أيضا أن كثيرين من الاشخاص الهامين والاثرياء فى فرنسا عاطفون على الهتلرين . فالصليب النارى والشبيبة الفرنسية وغيرهما من الجماعات تناهب لمقابلة القوة بالقوة . والبنوك الكبرى والمصالح الاستثمارية الأخرى لن تسمح بتدمير سلطانها بدون قتال ، وسوف يكون ما يحدث أشد حمقا وفضاعة مما حدث فى المانيا . وناشدتها بيوتى قائلة : « هيا بنا نبتعد عن هذا كله ونبقى الى أن تنتهى العاصفة ونستطيع عندئذ أن نحكم هل من المأمون أن نعود » .

واقنعت ايرما وجلستا فحورتا فيما بينهما خطابا الى نينا احتالنا فى كتابته بكياسة بحيث يطالعه ريك من غير أن يستاء . فلا خطر يمكن أن يحدث فى انجلترا - أو على الأقل يمكن أن يعترف به ريك - وكلمة « فار » من اشد الفاظ الاحتقار عنده . ولذلك حرصتا على تصوير الرحلة أساسا بالنسبة لريك على أنها فرصة لتركيز اهتمامه فى كتابة مسرحية

جديدة • وسيكون الحضور من جانب نينا دليل صداقة لأنها ستكون الرابعة في لعب البريدج وبالنسبة « لآلفي » ستكون الرحلة بمثابة دروس متاحة له في الجغرافيا والتاريخ فوق أنها فرصة لتصفية اختلافات المزاج بينه وبين مرسلين فان لم يشأ الابوان اقصاه عن المدرسة في هذا الوقت المبكر ففي وسعه أن يعبر المحيط الى نيويورك بالباخرة لقضاء الصيف مع المجموعة •

وقرأتا هذا الخطاب على لاني الذي استصوبه ، ولكنه يستطيع أن يصنع خيرا من هذا فيما يختص بخدينه • فلاني كان ينضج في ذهنه مشروعا رائعا لأنه يستطيع أن يحدث حقيقة الحالة النفسية لسيد من سادات المال يهودي شهد أخيرا استيلاء عصابة من القراصنة – في نظره – على الحكم في بلاده فلا بد أن ذلك أحدث تأثيرا في ذهنه وجعله مستعدا لدراك أنه وغيره من الراسماليين يعيشون ويصلون داخل فوهة بركان • فراح لاني يرسم الخطة لنصب فخ شديد الحفاء لرجل من أثرياء اليهود وهو اقناعه بأنه لا مفر من نوع ما من التغيير الاجتماعي ، ثم يحصل على معونته لاحداث هذا التغيير بأسلوب نظامي • وهي بعينها الخطة التي كان لاني قد ناقشها مع ريك لاصدار صحيفة اسبوعية للمناقشة الحرة غير مرتبطة بحزب أو مذهب بل هي ذات اتجاه عام نحو الصناعة التعاونية تحت رعاية الاساليب الديموقراطية • وكتب الى ريك يقول : « سيكون خالصا لنا بضعة أشهر ، وربما سنة كاملة • فان استطعنا اقناعه بمساندتنا فسيكون في وسعنا انشاء العملية على نطاق واسع مما يضمن لها نجاحا حقيقيا • أفلا تأتي وتساعدني في ذلك ؟ فأنت أقدر مني على الاجابة عن أسئلته ، واعتقد أنك تستطيع الوصول بهذه الخطة الى النجاح التام » •

وكان هذا الاغراء أقوى من مقاومة أي حالم (يحيا في طوبا من صنع خياله) • فقال ريك : « وهو كذلك » وأبرق لاني بالقرار الى يوهانس • واغرته نفسه بتكرير النص المقتبس من « أوليس » للشاعر تنيسون ، وهو النص الذي كان قد استخدمه منذ بضع سنين في مناسبة مماثلة : « هدفني أن امخر البحر الى ما وراء مغرب الشمس حيث تستحم سائر نجوم الغرب ، الى أن أموت » ولكنه ذكر نفسه بأن المانيا صارت الآن أرض هتلر ، وان حاسة الفكاهة لم تكن في يوم من الايام سمة بارزة من سمات الالمان • ترى أي خاطر يمكن الا يخطر ببال رقيب من حزب النازي وهو يقرأ ثمانية أسطر أو عشرة من الشعر الانجليزي المرسل في برقية واردة من الريفيرا الفرنسية ! •

الكتاب الرابع

(وخيمت الظلمة)

الفصل السادس عشر

« اصل جميع الشر »

- ١ -

ان غازيا عالميا ظهر في العصور الحديثة ، مثيل لاسكندر وقيصر
واتيلا وجانكيز خان ونابليون . ظهر في عصر الكهرباء ، وعصر المطابع
الدورة ، وعصر الراديو ، في العصر الذي يجزم تسعة من كل عشرة
رجال ان ظهور مثله فيه مستحيل . والغازي للعالم لا بد ان يكون رجلا
ليس عنده الآن قلة من الافكار ، وما لديه من الافكار ثابت لا يتغير ، فهو
مزيج غريب من الخصائص المنشودة بالضبط سواء منها الصالح والطالح :
تصميم كالحديد ، وطاقة لا تقاوم ، ولا تخرج من أى نوع كان . فلا بد
له ان يعرف ما يريد ولا يسمح لأى عقبات ان تقف فى طريق حصوله
عليها . وعليه ان يفهم عقول سواء من البشر سواء كانوا اعداء أو اصدقاء
وأى الاطماع والخواف والبغضاء واللوان الحسد والغيرة من شأنها ان
تدفعهم الى العمل ، ويجب ان يكون فاهما لعقلية الجماهير والمثل العليا أو
الضلالات التى تهيم عليهم . ويجب ان يكون على جانب كاف من التعصب
بحيث يتكلم لفتهم ، والا يبلغ من التعصب الحد الذى يهيمن عليه تعصبه .
ويجب ألا يؤمن بشئ سوى قدره ومصيره ، وصورة ذاته متوجه بالمجد
على صفحة التاريخ ، ان سلالات كاملة من الجنس البشرى قد صيغت على
غواره ووفق ارادته . ولكى يحقق هذا الهدف يجب ان يكون كذابا لصا
قاتلا على نطاق يتسع للعالم أجمع ، ويجب ان يكون مستعدا بلا تردد
لاقتراف أية جريمة تقتضيها مصلحته الخاصة سواء بالنسبة للأفراد أو
الشعوب ، يجب ان يرصف الطريق الذى تدب فوقه كتائبه بعظام أعدائه ،

ويجب أن تطفو بوارجه الحربية فوق بحار من دماء البشر ، ويجب أن ينظم أناشيد مجده من أنات البشرية ولعناتها .

والميزة المنفردة التي حظى بها أدولف هتلر هي ان شعبه كان يصدق ما يقول في حين أن الشعوب الاخرى لم تستطع أن تصدقه ولا تريد أن تصدقه . فسلوك العالم الخارجى ازامه سلوك الفلاح الذى يخلق فى زرافة يراها فى السيرك ويهتف : « لا وجود لمثل هذا الحيوان فى الدنيا ! » وكلما أمعن أدولف فى اطلاق العالم على حقيقة نفسه وما يروم ان يصنع ازدادت ابتسامة العالم تعبيرا عن عدم التصديق . فأمثاله لهم وجود فى كل مستشفى للمجاذيب ، ونمطه مألوف جدا حتى ان أى طبيب او محلل نفسى يستطيع أن يقوم بتشخيصه من فقرة واحدة من خطبة او صفحة واحدة من كتاب له . ولكن العقلاء قالوا « هراء ! » وانصرفوا الى شأنهم تاركين أدولف يقزو العالم . وهنا وهناك صاح رجل ذو بصيرة اجتماعية محذرا مما يحدث ، ولكن هؤلاء المحذرين كانوا أيضا نمطا معروفا ولدى المحللين النفسانيين أسماء يطلقونها عليهم .

لقد وصل أدولف هتلر الى السيطرة على الحزب الاشتراكى الوطنى بسبب هذا المزيج من الخصائص ، ولأنه كان أشد المتعصبين تعصبا ، وأشد المصممين تصميمًا ، لا يعرف الكلل أو التعب ، وهو فى الوقت نفسه أشد الجميع حصافة وأبعدهم عن التحرج وأفتكهم . ومنذ البداية تمرد رجال على سلطته فحرص فى حال ضعفه على مداراتهم ومداجاتهم حتى اذا قوى بأسه سحقهم . وحدث فى حركته الانقسام تلو الانقسام ، فتعقب زعماء الانقسام بغير رحمة أو هوادة حتى قبل أن يصل الى مقاليد الحكم ، وظلت كتائب هجومه المتعصبة تضرب ، وتقتل فى بعض الاحيان خصوم هذه الديانة السوداء الجديدة ، ديانة الدم والثرى . اعمل مع أدولف هتلر تصعد الى ذروة السلطة فى العالم ، أما ان عارضته فسوف ينثر مخك على قارعة الطريق أو يطلق على ظهورك الرصاص وتترك جثتك لقي بغير دفن فى الغابة المظلمة .

ان هيرمان جورنج الطيار وضابط الجيش ورجل المال والثراء صاحب الذوق المترف والفرور الذى لا يعرف الارتواء يبغض ويحتقر جوزيف جوبلز الصحفى الثرثار والقزم الصغير المشوه القدم الذى ينفث لسانه السم الزعاف . وكانت هذه المشاعر متبادلة بين الرجلين باخلاص، فيوب كان حريا أن يلقي بماء النار على وجه هيرمان ، وهيرمان كان حريا أن يصرع يوب بالرصاص بمجرد وقوع نظره عليه ، لو ان كلا منهما وجد

الجرأة الكافية . ولكن الفوهرر كان بحاجة الى هيرمان ليكون رئيس الجهاز التنفيذي ، والى يوب ليكون كبير الدعاة ، فشدهما فى عنانين امسكهما بيده وقادهما كأنهما حصانان مشدودان الى مركبة واحدة . ويصدق هذا القول على مئات من الرجال فى ذلك الحزب القائم على الجنون والبغضاء . فهم من ضحايا الحرب العالمية وضحايا الكساد والمرضى النفسانيين ومدمنى المخدرات والمتحرفين والشعواء والمجرمين ، وكلهم بحاجة الى ادولف أكثر مما يحتاج ادولف اليهم لأنه يصوغ شيئا أقوى من ذواتهم ولا يكاد يوجد أحد منهم لا يثق بأنه أعظم من ادولف واكفا منه لقيادة الحزب . وفى الايام الخوالي كان من الجائز أن يشمله برعايته ، بل ان الكثيرين منهم ما زالوا يشعرون انهم فى هذا الوضع فعلا فى أعماق قلوبهم ، بيد أنه أفلح فى التفوق عليهم بسبب هذا المزيج من الخصائص ، فهو الشخص الذى اقنع الجماهير أن تثق به ، وهو القادر على أن يتزعم حزب العمال الالمان الاشتراكيين الوطنيين وجميع أعضائه ورجاله الرسميين فى طريقهم الى الغزو والقهر .

- ٢ -

لقد راقب ادولف هتلر من قبل لينين ، وهو اليوم يراقب ستالين وموسوليني ، وقد تعلم منهم جميعا . وفى شهر يونيه ، من سنة ١٩٢٤ عندما كان لاني فى روما كان بنيتو موسوليني قد تولى رئاسة الوزارة فى ايطاليا منذ أكثر من عشرين شهرا ، بيد أن الاشتراكيين كانوا مستمرين فى إصدار صحف لها من القراء أضعاف عدد قراء صحف موسوليني مرات كثيرة . وكانت حرية الكلام لم تزل مكفولة فى البرلمان الايطالى وخارجه ، فثمة حزب معارض لم يزل قائما ، وثمة نقابات عمال وهيئات تعاونية ووسائل أخرى لمقاومة ارادة الفاشيين . لقد احتاج قاتل مانيوتى الى سنة أخرى أو أكثر للوصول الى هدفه وهو سحق المعارضة وتنصيب نفسه سيذا مطلقا على الامة الايطالية . اما جدول توقيت ادولف فكان مختلفا عن ذلك ، فلدى ادولف عمل يقول به فى العالم الخارجى ، وليس فى نيته أن يتلكا ثلاث سنوات قبل الابتداء بتنفيذه ، أجل انه عرف كيف ينتظر ، ولكنه لا يمكن أن ينتظر ساعة واحدة أكثر مما هو ضرورى ، وهو الحكم الوحيد فى التوقيت الذى يحدده ، وسيذهل العالم ، بل وسيذهل أتباعه شخصا بما فى حركاته من عنصري المباغتة والسرعة . ان الاعداد النفسى يجب أن يسبق كل خطوة . فهل هو مقدم على

مع حقوق العمال الالمان والقضاء على حركة ظل العمال يشيدونها بصبر
قراءة قرن كامل ؟ اذن يجب ان تكون الخطوة الاولى الاقبال على هيئات
العمال بيدين ممدودتين مفتوحتين كى يضمها الى صدره ضمة اخوية فى
حين تتلقى فى ظهرها الطعنة القاضية ، او يجلسها على عرش بحيث
يتسنى اختراق جسدها بالرصاص بأمان وثقة بالمدافع الرشاشة .

ويوم العمل فى أوربا هو اليوم الاول من شهر مايو ، وفى كل مكان
من تلك القارة يقوم العمال فى ذلك اليوم بمواكب واستعراضات ويعقدون
اجتماعات كبيرة ويقومون برحلات ومهرجانات رياضية وينشدون الاناشيد
ويصفون لخطب زعمائهم ويشجعون انفسهم على استقبال مائة وأربعة
وستين يوما شاقا . اما الآن فقد أعلن قبل ذلك الموعد ببضعة أسابيع ان
حكومة هتلر ستتبنى اليوم الاول من مايو وتجعله : «عيد العمال القومى »
فهى حكومة « الاشتراكية الصحيحة » وهى صديقة العمال لأنها حكومة
عمال . ولا يمكن أن يثور بعد الآن صراع طبقات أو أى تعارض طبقى فى
المصالح ، فقد تمت الثورة ويستطيع العمال ان يحتفلوا بانتصارهم
وبالمستقبل الجديد المجيد الذى يرتسم امامهم . وهذه كلها الفاظ ذهبية
براقة قامت كل قوى الصحافة والاذاعة بنشرها وبثها فى جميع أنحاء
الوطن الالمانى . وبطبيعة الحال قامت أيضا فى الوقت نفسه قوة الشرطة
وجيوش النازى الخاصة بارهاب وسحق أى شخص يمكن أن يحاول
الافصح عن أية فكرة تخالف ذلك .

وكتب هنريش يونج بنشوة وحماس قائلا : « اوه يالانى آ ينبغى
ان تاتى لترى هذا اليوم فسيكون شيئا لم يسبق له مثيل فى العالم من
قبل . فجميع قوات الشباب ستتجمع فى الصباح فى حديقة الملاهى
وسيقوم الرئيس هيندنبورج بنفسه بالقاء خطبة فينا . وبعد الظهر
ستقام استعراضات تنكرية لجميع الحرف والمهن ، بل ولكل مصنع كبير فى
المانيا . وسيجتمع الكل فى مطار تمبلهوف وستتجاوز الزينات كل
ما يتصوره العقل . والاغنياء هم الذين دفعوا تكاليفها بأثمان المقاعد
القريبة من مكان الفوهرر . وبطبيعة الحال سيخطب الفوهرر وبعد ذلك
ستطلق الألعاب النارية وكأنها معركة حقيقية ، وسيتساقط المطر الفضى
من ارتفاع ثلاثمائة متر ! وأنا أرجوك أنت وزوجتك أن تحضرا ضيوفا
على ، وستشعران دائما بالسرور لانكما شهدتما هذه المناظر التاريخية ..
حاشية : ارسل اليك طائفة من المطبوعات عن برنامجنا العمال الجديد
الرائع ، ولن تساورك الشكوك بعد ذلك ،

وكتب اليه لاني شاكر ا على خطابه معربا عن أسفه • ولم يكن يكلفه شيئا أن يظل على اتصال بهذا المسئول الشاب المتحمس ، والمطبوعات التي أرسلها قد تغدو ذات فائدة يوما لريك • وكان لاني واثقا بأنه لن يفكر في دخول ألمانيا ما بقي أدولف هتلر مستشارا لها •

- ٣ -

وتم الاحتفال بكل الابهة التي وعد بها هاينريش • فقد كان كل شيء فيه على أضخم نطاق عرف من قبل ، حتى ان المراسلين الاجانب المتحفظين جدا أصابهم الارتياح وأرسلوا الى صحفهم يقولون أن شيئا جديدا قد ولد في العالم • ففي المطار الضخم اجتمع عند الظهر ثلاثمائة ألف شخص جلسوا على الارض في انتظار الاحتفالات التي لا تبدأ قبل الساعة الثامنة مساء • فلما حان ذلك الموعد بلغ عدد المحتشدين مليوناً او مليوناً ونصف يقال انهم أكبر عدد من الناس اجتمع في مكان واحد • وحضر هتلر وهندنبورج راكبين متجاورين في سيارة واحدة ، وهي أول مرة يحدث فيها شيء من ذلك القبيل ، فاخترقا شارع فردريش بطوله كله وقد اكتظ عن آخره بالجماهير الهائفة وعلقت فيه بيارق تحمل شعارات « نحو الاشتراكية الألمانية » و « المجد للعاملين » وما الى ذلك • وأمام منصة الخطابة وقف المستشار الجديد يجيل ببصره في بحر مترام من الوجوه • وكان وقوفه تحت الاضواء المركزة وهو يؤدي التحية النازية مرارا وتكرارا • ولما تكلم في النهاية حملت مكبرات الصوت كلماته الى كل ركن من أركان المطار ، وحملت أجهزة الاذاعة وأسلاك البرق خطبته الى جميع بقاع العالم •

وكانت رسالة المستشار الجديد ان « الشعب الألماني يجب أن يتعلم مرة أخرى كيف يعرف أفرادهم بعضهم بعضاً » وأن التقسيمات الداخلية لألمانيا ابتدعتها البلاهة البشرية ويمكن علاجها بالحكمة البشرية • وقرر هتلر أنه منذ الآن سيكون اليوم الاول من مايو يوما يحتفل فيه الجميع بالتصافي والتضامن ، وشعاره « مجدوا العمل واحترموا العامل » وقال للألمان ما هم بحاجة قصوى لسماعة ، « انكم لستم أمة من الدرجة الثانية بل انتم أقوياء ان أردتم أن تكونوا أقوياء » • وانقلب الى التقوى وراح يبتهل : « اللهم ساعدنا على كفاحنا في سبيل الحرية ! » •

ولم يكن في الامكان ان يقال ما هو ابلغ أو انبل من هذا • فهل غمز

أدى بعينه لصحفيه قائلا : « ها قد افلحنا يا يوبشن » أو أى عبارة المانية تفيد هذا المعنى الدارج ؟ مهما يكن من شيء فقد حدث فى صباح اليوم التالى ان محيت من الوجود بضربة واحدة جميع نقابات العمال فى المانيا التى تمثل ملايين العمال ويبلغ دخلها السنوى قرابة مائتى مليون مارك . وكان عملاء هذه العملية يسمون « لجان العمل » وهم من منظمة خلية التجسرة ، وهى المنظمة النازية التى قامت ببيت الدعاية النازية فى النقابات . وظهرت عصابات مسلحة عند مقار الرياسات العامة لجميع النقابات وقبضت على الموظفين المسئولين وألقت بهم فى معسكرات الاعتقال وصودرت جميع الارصدة وألقت الصحف الخاصة بالنقابات وزج محرروها فى السجون وأغلقت بنوك النقابات ، وقد تم ذلك كله دون مقاومة . وقد كان الاشتراكيون مصريين على الانتظار الى أن يقترب النازى شيئا « غير شرعى » وها هو ذلك الشيء قد وقع .

وكتب فريدى الى لانى فى خطاب غفل من التوقيع مكتوب على الآلة الكاتبة لأن مثل هذا الخطاب كان حريا أن يكلفه حياته : وماذا نستطيع أن نصنع ؟ ان أصدقاءنا يعقدون اجتماعاتهم الصغيرة فى بيوتهم ، ولكنهم لا يملكون سلاحا ، والضباط والجنود قد فت فى عزيمتهم جبن زعمائهم . والشائع على الألسنة أن المؤسسات التعاونية ستصادر أيضا ، وسينشأ تنظيم جديد يسمى « جبهة العمل الالمانية » يرأسها روبرت لى ، وهو الوجد السكير الذى أمر بهذه الفارات . وأحال الصحف فى باريس لابد نشرت منشوره الذى يقول فيه : كلا أيها العمال ان منظماتكم مقدسة مصونة من العدوان فى نظرنا نحن الاشتراكيين الوطنيين ! ، فهل يمكن أن يتخيل أحد مثل هذا الرياء ؟ هل فقدت الالفاظ كل معانيها ؟ لا ترد على هذا الخطاب ولا تكتب الينا شيئا الا مالا ضرر منه ، فمن المؤكد أن يريدنا مراقب ولا بد أن نطلب من أقاربنا فى الخارج ألا يحضروا أى اجتماعات سياسية فى الوقت الراهن والسبب فى ذلك واضح .

وانه لمصدر عذاب لهانس وبيس أن يجلسا معقودى الايدي فى حين يستمر الفزع والارهاب ، ولكن النازى كانوا قد بينوا بما لا يدع مجالا للشك انهم سيحيون عادة همجية قديمة وهى عادة معاقبة الاعضاء الابرياء فى الاسرة حتى يرهبوا المذنبين . ولا يمكن لانسان أن يكون مكافحا حقا ضد النازية وهو يعلم أنه قد يتسبب لزوجه أو أطفاله أو والديه أو اخوته فى القائهم فى معسكرات الاعتقال وتعذيبهم . ولم يكن امام هانس اختيار سوى الغاء ارتباطاته بالعزف فى حفلات موسيقية لمساعدة اللاجئين .

وقالت بيوتى للزوجين : « انتظرا على الاقل الى أن تخرج الاسرة من المانيا » وسال الاحمران الشابان ضميرهما « ثم ماذا ؟ » هل من حقهما ان يمضيا النزعة على اليخت فى حين يقاسى اصداقاؤهما ورفاقهما العذاب الاليم ؟ ومن جهة اخرى ما القول فى حاجة الوالد الى الراحة ؟ وفكر هانس فى ابيه الذى اتاح له احسن الطبيات جميعا فى هذه الدنيا ، ولن يحظى بالراحة اذا ما أعلن ابنه الاكبر الحرب على النازية . ثم هناك امه التى عاشت للأسرة ولم تفكر فى شئ سوى سعادتها ، فهل يحكم عليها بالفزع والرغب ابتداء من الآن ؟

وسال الشاب الذى يريد أن يكون فنانا ومصلحا فى الوقت نفسه « ما رأيك يا لاني ؟ » فخطر للاني أن يكشف له عن المشروع الذى كان يختم فى ذهنه وهو اقتناص يوهانس واستغلال أمواله ، فراقت الفكرة هانس كثيرا ، لأنها يمكن أن تريح ضميره فيمضى فى دراسته على الفيولينا . أما بيس ذات المراس الصعب فقالت : « ستكون مجلتكم مجرد مجلة أخرى تناصر الحرية » فقال لاني باسم : « فى وسعكما أن تستقلا داخلها بقسم أحمر » فقالت حفيذة المتطهرين : « ان ذلك من شأنه أن يحدث انقساما فى الاسرة » .

- ٤ -

وكتب يوهانس أنه حصل على جوازات سفر لرحلته وحدد تاريخ وصول اليخت الى كاليه ومن هناك يتوجهون جميعا الى رامسجيت ثم يذهبون الى لندن لقضاء بضعة أيام وربما زاروا آل بومبروى نيلس لأن هذه الرحلة ستكون رحلة تسلية ، ويتسع فيها الوقت للقيام بأى عمل يخطر ببال أحدهم . وقال فى الخطاب أيضا : « لقد استحققنا عطلة » وفكر لاني فى أن هذا قد ينطبق على يوهانس روبن ولكن أترأى ينطبق على إيرما بارفن ؟

وكتب ردا جاء فيه : « لقد وصلت اميلى شترزورث الى ضيعتها ليه فوريه وان هانس يقيم لها حفلا موسيقيا ببرنامج بديع جدا فلماذا لاتحضر أنت والاسرة على الفور لقضاء بضعة أيام فى باريس ؟ اننا فى أشد اللهفة لرؤياكم . وصالون الربيع هو أطرف ما رأيت منذ سنوات . زلطان هنا وسيببكم بضع صور بديعة . زهاروف فى بليנקور والسيدة معه هناك وسأأخذك لتحظى بجلسة وربما التقيت مرة أخرى بأرواح أعمامك

الراجلين . وثمة أسرار أخرى أستطيع أن أقترحها عليك وعندي من الأسباب ما يبرر شدة لهفتنا على رؤياكم .

ورد عليه يوهانس والابتنسامة تلوح بين السطور : « ان دعوتك موضع تقدير ولكن أرجو أن تشرح لأرواح أعمامى انه لم تزل أمامى موضوعات مهمة لا بد من تسويتها أولا ، فانا أقوم بخدمات لبعض ذوى النفوذ وسيكون ذلك لمصلحتنا جميعا ، وهو كلام مبهم جدا ولكن لاني أستطيع أن يخمن منه أن يوهانس يبيع شيئا ، أو لعله يتخلى عن الاشراف على مشروع كبير ولا يمكنه أن تقدره . وكتب استاذ الحرس والحذر وذلك امر تستطيع أرواح أعمامه أن تقدره . وكتب استاذ الحرس والحذر يقول أيضا : « لا تصدق شيئا مما تقوله الصحافة الاجنبية عن المانيا . ان تغييرات اجتماعية مهمة تجرى الآن وروح الشعب فيما عدا جماعات معينة صغيرة عالية جدا . » وبدراسة هذه العبارة تجدها ذات الفاظ مختارة بعناية ويمكن أن تؤول على عدة وجوه . وكان لاني يعرف تفكير صديقه القديم وعددا غير قليل من المتصلين به ومن بينهم أمراء الاقطاع المفلسين الذين اقترضهم الاموال ، ومنهم أمراء الصلب والفحم الذين تحالف معهم وما زالوا يواصلون كفاحهم للسيطرة على المانيا . وهم يعملون داخل الحزب النازي وما به من انقسامات فهم سببه الى حد ما . ولاحظ لاني ان الاغارات على نقابات العمال قام بها روبرت لى وعصاباته . فهل حول الوغد السكير البنادق ضد زملائه فى الحزب ؟ ان صح هذا فللمرء ان يشك فى أن يد تسن الفولاذية كانت تعمل وراء الكواليس . ومن أستطيع أن يتصور كم بليوننا من الماركات تعنى فى نظر رئيس احتكارات الرور أن يتخلص من النقابات البغيضة ويأمن جانب الاضطرابات منذ ذلك اليوم ؟

وقد كتب روبي بد عن هذا الموقف المهم فى نظره قائلا : « هناك نضال مرير للسيطرة على الصناعة فى المانيا ، فثمة فريقان كلاهما قوى سياسيا وهما فريق تسن وكروب فى مقابل فريق اتوفولف والفريق الاخير بعضه يهودى والوضع الراهن غير ملائم له . ويوهانس يعتقد ان له اصدقاء فى المعسكرين كليهما ، وانا أرجو الا يكون مخدوعا فهو يسخر بسفينة صغيرة وسط بحر عاصف . » وأورد روبي أيضا انباء أخرى : « أبى صحته منحطة وأخشى الا تجده هنا عندما تصل . وهو ليس مصابا بمرض معين وانما هو الانهيار البطيء الذى يلزم الشيخوخة ، وهو شيء محزن جدا لمن يشاهده ، ومعنى ذلك مسئوليات ثقيلة بالنسبة لى ، ولا احب ان اكتب عن هذا الموقف الآن ولكتى ساخبرك به عندما

لها أراك . اكتب الى السيد العجوز وأكد له تقديرك لحنانه عليك فهو يحاول الاحتفاظ بسيطرته على الاسرة كلها وعلى العمل أيضا . وهو ينسى ماقلته له بالامس . ولكنه يذكر بوضوح أمورا حدثت منذ زمن بعيد ، وهذا أمر شاق على جدا لأننى سببت له شقاء عظيما فى الايام الماضية فى حين بدأ الشيخ يتعلم فى السنوات الاخيرة كيف يأخذنى على علائى ويفيد من ذلك بقدر الامكان وأنا أحاول ألا أحزن عليه ، لأنه حصل من الحياة على أكثر مما يحصل عليه معظم الناس ، والقدر لا يتركنا نعيش الى الأبد ولا يسمح لنا بالحصول على مرادنا ونحن على قيد الحياة .

- ٥ -

ان ادولف هتلر هو الرجل الذى ينال ما يريد أكثر من أى شخص عاش فى العصور الحديثة ، فهو ماض فى السيطرة على كل شىء فى ألمانيا حكومة ومنظمات وحياة اجتماعية وثقافية . وكل تنظيم اعترض طريقه حطه فى سرعة وبلا هوادة بحيث يترك المعارضة ذاهلة تشعر بدوار . والحزب الوطنى الذى تخيل انه يستطيع السيطرة عليه وجد نفسه لاحول له ولا طول ، فباين نائب المستشار تحول الى صورة رمزية لا سلطان لها ، وحل جورنج محله فى السيطرة على الدولة البروسية . وهو جنبرج الفيت عدة صحف له ، وعندما هدد بالاستقالة من الوزارة لم يابه لذلك أحد . وأرغم الاعضاء الوطنيون على الخروج واحدا بعد الآخر وحل النازى محلهم . والمرءوسون كان يتم القبض عليهم ويتمون بالاختلاس وما الى ذلك ، فقد كان فى سلطة وزير الاستعلامات أن يتهم أى انسان بأى شىء ، وكان من الخطورة أن يرد على الاتهام .

وفى اليوم العاشر من شهر مايو أقيمت احتفالات فى أنحاء ألمانيا استلقت انظار العالم المتمدين فقد جمعت كميات ضخمة من الكتب من مكتبة برلين العظيمة ومن بينها معظم الكتب القيمة التى ألقت فى المائة سنة الاخيرة فى أى موضوع يمس ولو من بعيد المشكلات السياسية او الاجتماعية او الجنسية ، وتم تكديس نحو أربعين ألف مجلد فى الميدان الواقع بين الجامعة ودار الاوبرا وأغرقت بالبترول ، وقام الطلبة بالاستعراضات مرتدين قلائسهم الاحتفالية البراقة ومنشدين اغان وطنية وانشيد النازى ، ثم أشعلوا المحرقة بكل جد ووقف الجمهور الحاشد تحت رذاذ المطر يرقب الكتب وهى تحترق . وهكذا دمر الفكر الحديث

(٢١) انياب التنين - ٢٢١

رمزيا فى المانيا ، وتاهبت امة كانت فى طليعة الحياة العقلية لان تتعلم كيف تفكر ووسيلتها الى ذلك هى اراقة الدماء .

وفى ذلك اليوم العاشر من مايو أيضا صدرت الاوامر الى المدارس فى المانيا أن تبدأ تلقين مبادئ النازى الخاصة بالسلالة . وفى ذلك اليوم صدرت الحكومة الارصدة الخاصة بالحزب الاشتراكى وحولتها الى النقابات الجديدة التى يسيطر عليها النازى . وفى ذلك اليوم كذلك خطب المستشار هتلر فى مؤتمر العمل قائلا : ان أصله المتواضع ونشأته المتواضعة يؤهلانه لفهم احتياجات العمال ورعايتها . وفى ذلك اليوم منع مراسل النيويورك تايمز من الاوراق بانباء انتحار ابنة شيدمان الزعيم الاشتراكى وانتحار بطلة فى التنس كسبت المجد لالمانيا ولكنها تعارض فى ربط الرياضة الالمانية بالدعاية النازية .

- ٦ -

كان أعضاء أسرة بد فى بيانفينى وباريس يحزمون حقائبهم ويستعدون لغيبة تطول عاما عن البيت . فماذا ينبغى أن يأخذوا وماذا يتركون ؟ ان كل شىء يؤخذ الى ظهر اليخت يجب أن يرقم بعلامات تبين القمرات أو جوف السفينة . اما ما يرسل من باريس الى بيانفينى فترك فى عهدة جبرى بندلتون الذى يتولى أمر تعبئته وتفريغه . وكان المؤدب السابق والملازم السابق قد اقتصد معظم مرتب السنة وسيعود الى المنزل وينتظر عودة السائحين . والسيدة سيزنسكى ستعار سنة لملك الذخائر لأن أرواح آل بد وآل دنجل يبدو انها قالت كل ما كان لديها ، أما الدوقة المركيزة فلم تزل بحالة جيدة . وبب سمث سيحرس الصغيرة الثمينة فرانسس الى اليخت ويتأكد من وصولها سليمة الى ظهره ثم يستقل باخرة فيعود الى عمله فى نيوكاسل الى أن تصل الطفلة الى أرض العصابات ووطن الخطافين .

ووصل القادمون من بيانفينى الى باريس بالقطار ، وهم هانس وبيس وبيوتى وزوجها ومرسلين ومربيتها وقد صارت مرسلين فى السادسة عشرة تقريبا شابة أنيقة ولكنها يجب أن ترغب على الدراسة كل يوم على ظهر اليخت . واذا صادفها شىء لا تعرفه الآنسة ادنجتون مربيتها ففر. وسعها أن تبحث عنه فى دائرة المعارف ، أو يخبرها بجليته لاني العارف بكل شىء . والطفلة فرانسس سنها الآن ثلاث سنوات .

وكانت بطانتها عبارة عن الأنسة سيفيرن ومربية وراعى القصر السابق من تكساس . وكان وصول هؤلاء الاشخاص العشرة فى الصباح ، وثار زواط وصراخ لأنهم جميعا يريدون هذا أو ذاك قبل الصعود الى اليخت ، وبدأ أن بهو المدخل فى القصر لم يشهد من قبل كل هذه الكومة من الحقائق والصناديق .

وفى المساء اتجهت البعثة الى كاليه وقد زادت أربعة أشخاص هم ايرما وزوجها وخادمتها وسكرتيرتها فيدرس التى كانت على حد وصف ايرما لها مرارا وتكرارا ، بلهاء ولكنها بلهاء طيبة تقوم بجميع المهام التى تحتاج الى انتقال وتقوم بشراء السلع من السوق والاتصالات التليفونية وتدون الحسابات وترتبك عند ضبطها ارتباكاً لا حيلة فيه ، وتتقبل التوبيخ بالدموع وتعد باصلاح شأنها وبذلت المسكينة خير جهودها ولكنها لا تستطيع شيئا من ذلك لأنها نشأت سيده ، وتفكر فى ذاتها أكثر مما تستطيع التفكير فى عملها .

لقد تضاعف الآن عدد الصناديق والحقائب ، وتضاعفت الارتباكات والهرج ، ولكن ذلك كله حدث بصوت منخفض لأن ايرما تنشط فى المحافظة على كرامة الاسرة ، فهى أسرة بارزة وفى المحطة مندوبون للصحف يشهدون سفرها ويسألون عن رحلتها المزمعة . وملايين الناس سيظالمون أعمال الاسرة فتسرى اليهم هزات الاثارة ، وملايين سيعجبون بهم وملايين سيحسدونهم ، ولكن حفنة صغيرة فحسب ستحبهم - وهذا فيما يبدو هو حال الدنيا .

- ٧ -

وفى صباح اليوم التالى ظهرت المجموعة على رصيف محطة ذلك المرفأ القديم . ومقصد السابحين وانتظروا ريثما اتصل لاني تليفونيا ثم أكد لهم أن اليخت لم تعرف له أنباء بعد ، فركبوا سيارات الاجرة الى فندقى التجارة واكسلسيور حيث كدست الامتعة فى حجرة وقد كومت على شكل جبل وعينت فيدرس لحراستها وكان يوما رائعا من أيام الربيع فشرعت الاسرة تبحث عن نقطة للمراقبة لترصد فيها اقتراب اليخت بس بد الأبيض الانيق . ولدى ايرما ولانى ذكرى لهذا المنظر لا تنسى ، وهى ذكرى يومهما فى رامسجيت حينما كانا يحاولان الزواج على عجل ، فهى لهما اليخت وصاحبه المرح وسيلة للتهرب من سلطان رئيس أساقفة كانتربرى .

والآن يزمع هذا اليخت أن يقلعها الى طوبيا ، او الى جزيرة استوائية
يها برج عاجي ، او اى مكان فى العالم لا يرى فيه النازى صارخين
مستعرضين صفوفهم منشدين اناشيدهم . والسفن التى تسير بالبترو
لا تترك على صفحة الافق لطخا من الدخان الاسود ، ولذا يجب ان
يتسقطوا نقطة باهتة تنمو وتكبر تدريجا . وامثال هذه النقطة يظهر كثيرا
على الافق ولكنها متى كبرت تكشففت عن شىء آخر . وهكذا مضت المجموعة
للغداء فجلس اربعة عشر شخصا على مائدة واحدة طويلة ، وقد اقتضى
جلوسهم بعض الجهد وكذلك تسجيل طلباتهم ثم توزيعها توزيعا صائبا .
ولانتمائهم الى الطبقات الهامة لا ينبغي لهم ولا لخدمهم ان يأتوا شيئا يلفت
اليه الانظار علنا . وقد فرض ذلك حتى على من عمرها ثلاث سنوات .
هس . هس . أيتها الطفلة !

وجلسوا طيلة بعد الظهر فى المتنزه المطل على البحر وراحوا يرقبون
بالافق الشرقى ، وسبىح نفر منهم ، ومضى نفر آخر لمشاهدة المدينة
كالحصن الذى أنشئ منذ أربعمئة سنة ، والقلعة ، وكنيسة نوتردام وبها
لوحة من تصوير روبنسن . واشتروا بطاقات بريد أرسلوها الى أصدقائهم
العديدين . وبين الحين والحين يتفقدون المرفأ ، ولكن لا أثر لليخت بس بد
الانيق الابيض . ومرة أخرى صفت لهم الموائد على شكل مائدة واحدة
طويلة فى المطعم وتناول الاشخاص الاربعة عشر العشاء ثم خرجوا وترقبوا
حتى حلول الظلمة ولكن لا أثر لليخت .

واخذ القلق يساورهم ، فقد حدد يوهانس ساعة معينة لمبارحة
بريمر هافن وهو رجل دقيق يؤدى كل شىء فى وقته ويحمل مستخدميه
على ذلك . فلو قد حدث شىء غير متوقع لأرسل برقية او اتصل تليفونيا .
وكان قد تحرى فى خطابه الاخير أن يحدد الفندق الذى ينزلون به كى
يعرف أين يلتصقهم . وهم قد ركبوا البحر معه كثيرا من قبل فيعرفون
كم ساعة يستغرقها اليخت ليصل الى كاليه . وقد وضعت الحطة لليخت
كى يصل فى وقت واحد مع القطار القادم من باريس . وها قد مضى على
هذا الموعد اثنتا عشر ساعة .

لا بد ان شيئا قد حدث ، وقضوا الوقت فى مناقشة الاحتمالات
فالليخوت الخاصة التى يعتز بها كما يجب لا يحدث لآلاتها عطب فى الجو
الهادى ولا ترتطم بجزائر فريزيان وهى فى طريقها من ألمانيا الى فرنسا ،
بل تسير بأمان ليلا ونهارا على السواء . ولكن بطبيعة الحال قد تعترض
سفينة للصيادين أو غير ذلك من العقبات طريق اليخت وقال لاني هاوى
قيادة السيارات « متاعب فى مطاط العجلات ! »

ولما حان وقت الايواء الى الفراش من غير ان يصل نبأ اليخت اتجه لاني الى التليفون وطلب الاتصال باليخت بسى بد فى بريرهافن ، فهذه اسرع طريقة لمعرفة هل اقلع من هناك . وجلس هانسى وبيسى معه وبعد انتظار الفترة المألوفة سمع صوتا حلقيا يقول بالالمانية « اليخت المسير بالديزل بسى بد » فسأل لاني : « من المتكلم ؟ » فأجاب الصوت : « بريسمان » فسأله : « ومن بريسمان ؟ » فأجاب « القائد الثانى لقوة الاعتقال الادارية بالرايخ ، والالمان يحملون هذه الالقاب باعتداد ويقولونها بسرعة . فسأله لاني : « وماذا تصنع على ظهر اليخت ؟ » فأجاب الصوت : « الادلاء بالمعلومات ممنوع ا » فقال لاني : « ولكن اليخت كان من المفروض أن يبحر بالامس ! » فقال مرة أخرى : « الادلاء بالمعلومات ممنوع » فقال لاني : « ولكن من فضلك ... » فقال الآخر : « آسف هذا غير مصرح به . ثم سمع صوت اقفال الاتصال واصفى لاني مأخوذا الى سلك ميت ثم هتف « يا الهى ! هل من الممكن أن يكون النازى قد استولوا على بسى بد ؟ » فشحب لون هانسى وغرست بيسى اظافرها فى راحيتها وهتفت : « ولماذا يقدمون على ذلك ؟ » فأجاب لاني : « لا أدري الا اذا كان أحدهم يريد يختا ، وهمس هانسى « لقد قبضوا على بابا ؟ » وبدأ عليه كما لو كان سيخر على وجهه فأمسكت ببسى بكتفيه وصاحت « هانسى ! يالها نسى المسكين ! » وكان من رايها أن تفكر فيه بصفة خاصة ، فهو الذى كتب عليه أشد التأثير بالالم ا

وكانما نزلت من السماء صاعقة فبددت خططهم وحولت مسراتهم الى كابوس من العذاب . خراب تام وبوار لا فرار منه . هكذا بدا الامر ، ولم يستطع أحد أن يفكر فى شيء يقوله للتسرية عن الآخرين . ومرت أكثر من ست وثلاثين ساعة منذ الموعد المحدد للإبحار ، فهل من المقصود أن يتريث يوهانس كل هذا الوقت قبل أن يبعث بكلمة الى أصدقائه ؟ وهل لو ظل أحد من أفراد الاسرة طليقا كان يفوته الاتصال بهم ؟ لم يبق الا احتمال واحد هو أن يكونوا افلتوا من الاعتقال وهربوا من الجائز انهم الآن فى طريقهم الى خارج المانيا ، أو لعلهم مختبئون فى مكان ما ولا يجسرون على ارسال برقية . وفى الحالة الاخيرة قد يعمدون الى الوسيلة التى استخدموها بالفعل من قبل وهى وسيلة الخطابات الغفل من التوقيع . فان كان مثل هذا الخطاب فى الطريق فمن المنتظر وصوله فى الصباح .

وقال لاني : « سأحاول الاتصال ببرلين » . فلا بد من عمل شيء .
للتحطيم حالة الجمود ! وطلب الاتصال بقصر روبن ، ورد عليه صوت غير
مألوف له فسأله لاني هل يوهانس روبن موجود فحاول الصوت الغريب
أن يعرف من المتكلم . ولما ذكر له لاني اسمه انطلق الآخر يستجوبه عن
الاسباب التي دعت له هذا الاتصال التليفوني . ولما الح لاني أن يعرف من
الذي يكلمه قطع المتكلم الاتصال فجأة . وهذا أيضا يعني شيئا واحدا ،
وهو أن النازي استولوا على القصر ! وصاح هانسي : « يجب أن أذهب
وأساعد بابا ! » ونهض واقفا كمن يريد أن يجري صوب المحطة على الفور ،
أو ربما صوب المطار ان كان ثمة مطار ، وأمسك به لاني وبيسى في آن
واحد وأمره صهره : « اجلس . تعقل . ليس أمامك ما تصنعه في المانيا
حسوى أن تجعلهم يقتلونك » فقال هانسي : « ولكني لا بد أن أحاول حتما
يا لاني » فأجابه : « بل ينبغي حتما الا تحاول ! فليس هناك من يفضلون
القبض عليه أكثر منك » فقال : « سأذهب تحت اسم آخر » فقال لاني :
« بجواز سفر مستعار ؟ أنت الذي عزفت على كثير من المسارح الموسيقية؟
ان لاعدائنا عقولا يا هانسي ويجب أن نظهر لهم أن لدينا عقولا أيضا »
وقالت بيبي « انه على حق » وكل ما يمكن عمله فأننا التي يجب أن أقوم
به » فتحول لاني اليها قائلا « انهم يعرفونك كما يعرفون هانسي تقريبا
ولا بد أنهم يبحثون عنك ، لن يجسروا على التعرض بشيء لأمريكية » فقال
لها « انهم يقدمون على ذلك بلا تحرج » ثم أنت لست أمريكية ، لانك
زوجة مواطن الماني . مما يجعلك المانية » . وكان الاربعة من شباب آل
روبن قد جعلوا أنفسهم مواطنين لجمهورية فيمار لانهم آمنوا بها ورتبوا
أمورهم على قضاء حياتهم هناك . واستطرد لاني « وهذا يضع حدا
لتفكيرك في الذهاب . ويجب أن يعدني كلاكما وعد الشرف الا تدخلنا
المانيا والا تقتربا من حدودها حيث يمكنهم اختطافكما . وبعد الحصول على
هذا الوعد منكما سأدخل أنا وايرما المانيا لنرى ماذا نستطيع أن نصنع » .
فنظر هانسي الى صهره بعينين يبدو فيهما عرفان الجميل كأنه كلب وقال
« اتقدمان على ذلك حقا يا لاني ؟ » اعدك بذلك عن نفسي واحسب ايرما
ستذهب معي . ولكنني بطبيعة الحال يجب أن أسألها رأيها » .

- ٩ -

وكانت ايرما وحدها في حجرتها تستريح فذهب اليها بمفرده ولم
يكن متاكدا من كيفية تقبلها لهذا النبأ المروع . وأراد أن يمنحها فرصة

للتفكير قبل أن يذاع النبأ على أى شخص آخر . وإيرما ليست مصلحة ولا قديسة . وانما هى شابة حصلت دائما على ما تريد وكانت تأخذ مأخذ التسليم ان العالم انما وجد ليحقق لها مرادها . وما هو القدر الآن يوجه اليها ضربة قذرة . وجلست تحملق فى زوجها فى ذهول . فلم تستطع أن تحمل نفسها على التصديق بأن شيئا من هذا القبيل يمكن أن يحدث فى هذا العالم المتمدين المريح الذى خلق لها ولمن على شاكلتها ، وهتفت « انهم لا يمكن أن يصنعوا ذلك يا لاني ! » فقال « انهم يصنعون ما يرونه مناسباً لهم يا عزيزتى » فقالت « ولكنه يقضى على رحلتنا البحرية! ويتركنا غائسين فى وحول الشاطئ » ! فقال لها « لعلهم الآن قد زوجوا بأصدقائنا فى السجن ، ولعلهم أيضا يضربونهم ويهينونهم » فصاحت « ان هذا غير معقول يا لاني ! » فقال « نعم . ولكن هذا لن يكفهم عن المضى فى ذلك . ويجب أن نتدبر طريقة لانقاذهم » فسألته « وماذا نستطيع أن نصنع ؟ » فقال « لست أدري بعد . يجب أن أذهب الى برلين وارى ماذا حدث » فقالت « لاني لا يمكنك أن تدخل ذلك البلد الفظيع ! » فقال « ليس فى استطاعتي أن أرفض يا عزيزتى . ولا تنسى اننا كنا ضيوفا على يوهانس ، واننا كنا بسبيل أن ننزل ضيوفا عليه سنة أخرى كاملة . فكيف يسعنا أن نتخلى عنه ؟ » فلم تدر ماذا تقول واكتفت بالجلوس محمقة فيه . فلم يخطر ببالها قط أن الحياة يمكن أن تلعب عليها مثل هذا الملعوب هى وشريك لهوها المختار . ان ذلك فظيع وجنوني ! وراى لاني شفتيها ترتجفان ولم يكن ابصرها على هذا النحو من قبل ، ولعلها لم تكن على هذا النحو قط من قبل . وهو شخصيا لم يكن راضيا كل الرضى عن هذا الموقف ، ولكن كانا القدر امسك بتلابيبه فلا يستطيع أن يتحرر من قبضته . وقال لها « تمالكى اعصابك يا حبيبتي وتذكرى ان يوهانس والد هانسي . وأن هانسي زوج اختي . ولا استطع أن أتركهما يروني نكسا رعيدا » . فسألته « ولكن ماذا تستطيع أن تصنع هناك يا لاني ؟ » ان هؤلاء النازي يسيطرون على كل شيء فى المانيا ، فأجابها « اننا نعرف نفرا من ذوى النفوذ هناك وسأسألهم النصيح . واول ما نفعله بطبيعة الحال هو ان نعرف ماذا حدث ولماذا حدث » فقالت « انك يا لاني ستكون فى خطر ماحق ! » فقال « انه ليس خطرا عظيما جدا فيما اظن . فالهيات العليا هناك لا تريد فضائح من الاجانب فى يقيني » . فسألته « ماذا تتوقع منى أن أصنع ؟ أن أذهب معك ؟ » فأجابها « انها ليست رحلة عطلة . وقد تفضلين الذهاب الى بيانفيني مع الطفلة ، وفى استطاعتك أن تستقدمي والدتك أو ان تأخذي الطفلة وتذهبي لزيارتها » فقالت « لن

أحظى بلحظة هدوء واحدة إذا خطر لي أنك فى مازق . وليست لدى أقل فكرة عما أستطيعه ولكنى أظن من واجبى أن أكون معك ، فقال « لا شك عندى أن وجودك سيساعدنى ، فشروتك لها وقع كبير عند الألمان ، بما فيهم النازى ، فقالت : « اوه يا لانى . هذا ازعاج فظيع وخيبة أمل ! كنت أحسبنا سنلهو ونستمتع كثيرا ! » فقال « نعم يا عزيزتى ولكن لا تدعى هانسى وبيس يسمعانك تقولين هذا . تذكرى ماذا يعنى الأمر بالنسبة لهما » فقالت « كان ينبغى عليهما أن يفكرا فى ذلك منذ زمن طويل ، ولكنهما لا يسمحان لأحد أن ينصحهما وها هما يريان الآن نتيجة سلوكهما . وقد صار منتظرا منا الآن أن ندفع الثمن ! » فقال « ليس هناك مبرر يا عزيزتى لافتراض أنهما سبب ما حدث » فقالت « لا بد أن هناك سببا لاضطهاد يوهانس دون غيره من أغنياء اليهود . ولا بد أن تحمس أحد ولديه للشيوعية وتحمس الولد الآخر للاشتراكية قد خلق له أعداء » . ولم يستطع لانى أن ينكر ذلك ولكنه قال « أرجوك ألا تشيرى الى ذلك الآن وهانسى وبيس يكاد الحزن يجعلهما نصف مخبولين . ولتذهب نحن لنخرج اسرتهما من المانيا وعندئذ ستكون فى وضع يسمح لنا بمصارحتهما القول » فقالت إيرما بتجهم « نعم . ولكنك لن تكلمهما بصراحة ! » فهى مستعدة للذهاب معه الى جوف عرين الأسد ، ولكنها لا يمكن أن تتظاهر برضاها عن ذلك ! وعندما ينتهى الموضوع ستقوم هى بتوجيه الكلام اليهما شخصا .

- ١٠ -

لم يحظ البالغون من أفراد الأسرة بنوم تلك الليلة ، فجلس ستتهم على هيئة مؤتمر يراجعون ويعيدون مراجعة المعلومات الهزيلة التى لديهم ويحاولون التكهّن بالمستقبل ورسم خطة لتحركاتهم . وانه لأمر محزن أن تهدم مشروعات سعادتهم لمدة سنة وان يجدوا أنفسهم غائصين فى وحول الشاطئ هنا فى كالية بيد أنهم أشخاص حسنو التربية ولذا اخفوا ضيقهم . وبيوتى لم تستطع فى البداية تحمل افحام عزيزها نفسه فى موطن الخطر وظلت برهة تلج فى الذهاب معه واستخدام نفوذها الاجتماعى هناك ، ولكن لانى عارضها فهو ليس منزعجا على الإطلاق بخصوص نفسه شخصا وبعد بضعة أيام قد يطلق سراح اليخت ويستأنفون تنفيذ خططهم . فلتمكث الأسرة هنا بضعة أيام لتكون بمثابة دار للمقاصة تصلح للاتصال بأصدقائهم فى العالم الخارجى فان صح

اسموا انغروى وتوقعوا اقامة طويلة فى المانيا وفى استطاعة مرسلين وفرائس ان تعود الى جوان ، وان يذهب الزوجان دنجل والزوجان هانسى روبن الى باريس ، او لعل اميل تستضيفهم فى ضيعتها « البلوطات السبع » .

واتصل لاني تليفونيا بجيرى بندلتون فى منتصف الليل وكان جيرى لم يزل مقيما فى باريس لدفع قوائم الحساب وتسويته وغير ذلك من الامور . وكانت الاوامر الصادرة اليه قبل ذلك ان يعود بسيارته الى بيته ، وأن يقود السائق المرسيدس سيارة ايرما ولاني . اما الآن فقد أمر لاني جيرى بالبقاء فى باريس ، وأن يغادرها السائق فورا الى كاليه . فاذا قاد السيارة بسرعة وصلها قبل الظهر فيتسنى للاني وايرما ركوبها صوب برلين . وسيدهبان وحدهما لأن السائق وباب سمث وفيدرس لا جدوى منهم فى المانيا لجهلهم اللغة . وقالت ايرما لسكرتيرتها وهى تصب على المسكينة ضيقها « لو كنت جديرة بلقيتك لتعلمت الالمانية » .

وارسل لاني برقيتين الى أبيه والى ريك يخبرهما بما حدث . وخطر له أن فى مثل هذه الاوقات يشب الصحفى الاجنبى أنه شخصية اقوى من أى قطب من رجال الصناعة أو وارثه ثرية . وتمثل لاني نفسه فى حملة لاثارة العالم المتمدنين لمناصرة ذلك اليهودى المستغل واسرته . وكان رأسه يغلي بالخطابات والبرقيات والمنشورات والندوات . وفى استطاعة روبي ان يستثير رجال الاعمال . وفى استطاعة الحال جيسى ان يستثير الشيوعيين وفى استطاعة لونجيه وبلوم استثارة الشيوعيين . وفى استطاعة هانسى وبيس اثارة دنيا الموسيقى وفى استطاعة زلطان اثارة محبى الفن . وفى استطاعة برسيغال اثارة المتدينين وفى استطاعة بيوتى واميل وصوفى ومارجى اثارة الطبقة الانيقة . وفى استطاعة ريك اثارة الصحافة البريطانية وفى استطاعة كورساتى اثارة الصحافة الامريكية . فأى ضجة صاخبة تنشا عندما ينشط هؤلاء جميعا !

ونزع لاني ورقة من دفتر مذكرات أبيه وأعد شفرة يستطيع بها الاتصال بامه سرا . فرسائله وبرقياتة ستوجه الى مسز دنجل ، لأن اسمها غير مشهور . وسيكون رمز بابا روبن « النقود » ورمز ماما روبن « المشد » لأنها ترتدى هذا النوع من قطع الثياب . وسيكون رمز فريدى « الكلارينت » ورمز راحيل « متزو » . وقال لاني يجب افتراض أن جميع الخطابات والبرقيات الموجهة اليه سيطالعها النازى ، وان جميع الاتصالات التليفونية سيستمعونها . وقد يرتب فيما بعد طريقة سرية للاتصال

ولكن شيئا من ذلك لا يمكن أن يكون بعنوان فندق ادلون . فان كان لديه شيء خاص يريد تبليغه سيكتبه على آله الكاتبة الصغيرة التي يحملها معه ويرسله بدون توقيع من مكان متطرف في برلين . وعلى بيوتى أن تفض جميع الرسائل الواردة باسم لانى وتحول اليه مالا حرج منه فقط . وجميع الرسائل المضاة الصادرة والواردة يجب أن تضم عبارات الاعجاب بما حققته الاشتراكية الوطنية . وقال الفتى اللاهوى وقد ارتد جادا « لا تدهشوا اذا سمعتم انهم ادخلوني مذهبهم » فقالت امه محذرة « لا تسرف في ذلك ، فانك لن تخدع كيرت وهو حتما سيسمع بذلك » . فقال لها « فى وسعى ان ادعه يقنعنى ويهدينى شيئا فشيئا » فهزت بيوتى رأسها الاشقر الجميل ، فهي قد قامت بنصيب غير قليل من الخداع فى شبابها ولا ايمان لها لقدرة لانى فى هذا المجال . ولذا قالت سيصرف كيرت بالضبط سبب وجودك هناك . ففرصتك المشلى أن تصارحه بكل شيء فقد انقذت حياته فى باريس ومن حقه أن تطلب منه العون الآن » فقال لانى « ان كيرت نازى ولن يساعد احدا سوى حزبه » .

واصفت ايرما لهذا الحديث وقالت لنفسها « هذا لا يمكن أن يكون حقيقيا . انه ميلودراما ! » واستولى عليها الفزع ولكنها فى الوقت نفسه بدأت تشعر بآثار غريبة وتساءلت « افى مقدورى أن اتظاهر بالنازية ؟ استطيع أن اخدعهم ؟ ومضى ذهنها الى ماهو اجرا من ذلك » افى استطاعتي أن اغدو فتاة اغراء نفعية مثل اللواتى رايتهن على الشاشة القضية ؟ وكيف عساي أن اشرع فى ذلك ؟ وما الذى يمكن أن اصل اليه عن هذا الطريق ؟ » .

- ١١ -

وجاءتهم صحف الصباح ، ومن العسير أن يتخيل المرء الاستيلاء على يخت مليونير وقصره من غير أن تصل كلمة واحدة عن ذلك الى العالم الخارجى ، ولكن القواعد فى بلاد النازى تغيرت بحيث لا تعرف ماهو المحكن الا عندما تراه نصب عينيك . وبحثوا فى الصحف الفرنسية ووجدوا فيها انباء كثيرة عن المانيا فيما يتصل بمؤتمر تحديد التسليح فى جنيف وتهديد المانيا بالانسحاب منه . وكان هتلر قد دعا الريشستاج للاجتماع على غير انتظار واعتقد المراسلون انه اراد بذلك أن يتخذ من الريشستاج منبرا يخاطب منه العالم وكانت فرنسا كلها تترقب فى تلهف ما سيقوله .

ويبدو أن ذلك لم يترك في الصحف متسعا لتعاب يهودي مستغل . وكانت الفرصة التالية البريد ، فالخطاب الذي يرسل من بريرهافن أو برلين أمس الاول قد يصل بعد ظهر أمس أو لا يصل ، ولكنه يقينا لا بد أن يصل هذا الصباح . وانتظر هانسي البريد في الطابق السفلي بمكتب الفندق وعجز عن التفكير في أى شيء آخر ، حتى ولافى خطة لاني . وأقبل مندفعاً الى داخل الحجرة يلهث من الجرى واللهفة صائحا « خطاب بخط ماما ! » وسلم الخطاب الى لاني لانه كان موجهاً اليه ، فاحساسه باصول اللياقة لم يسمح له بفضه . وكان الخطاب مكتوباً بخط ردىء على عجل على قصاصة من الورق داخل مطروف عادى رخيص فضفه لاني وقراً مضمونه بنظرة واحدة . وكره أن يرفع صوته بتلك الكلمات لولا وجود خمسة أشخاص في انتظار سماعها بقلق . وكان الخطاب باللغة الألمانية فترجمه لهم : « يا لاني لقد استولى النازي على السفينة وقبضوا على بابا ولا يريدون أن يقولوا لنا كلمة واحدة عما سيفعلونه به ويهددون بالقبض علينا ان اقتربنا منهم ولكنهم لن يقبضوا عليك . نحن ذاهبون الى برلين وسنحاول البقاء هناك وانتظارك . تعال الى فندق ادلون ونشر ذلك في الصحف . وسنتربها نحن خائفون جدا . لاتخذل بابا المسكين يا عزيزي لاني . ماذا سيصنعون به ؟ أنا وحدي هنا ، فلقد حملت الاطفال على الابتعاد لانهم ينبغي الا يجدونا معا . كان الله في عوننا جميعاً . ماما » .

هذه هي المسألة اذن ! هؤلاء المساكين يسافرون متفرقين ويقضون ايامهم ولياليهم في رعب على أنفسهم وحزن على ما قد يحدث لوالد الاسرة وانهار هانسي وبكى كالطفل وكذلك فعلت بيوتى . وجلست بیس تلوى يديها احدهما بالآخرى . والآخرون وجدوا من العسير عليهم أن يتكلموا . وكان لا بد لاحد أن يتولى زمام الموقف، ورأى لاني أن ذلك من واجبه فقال « اننا على الاقل نعرف الآن اسوأ ما فى الامر ولدينا أساس للعمل . وبمجرد وصول السيارة ساتوجه بها أنا وايرما الى برلين لا نلوى على شيء » فقالت بیس « ألا تعتقد انكما ينبغي ان تذهبا بالطائرة ؟ » فاجابها « لن يكون الفرق أكثر من بضع ساعات ، وسنحتاج للسيارة هناك فهي من الطراز المناسب وستترك اثرا حسنا لدى النازي . وسوف لا تكون هذه المهمة مما ينجز فى ساعات قليلة فيما أخشى » فقالت له : « ولكن فكر فيما عساهم يفعلون به الآن يا لاني ! » فقال « لقد فكرت فى ذلك كثيرا ، واشك فى الحاقهم اذى جدياً به . فلا بد انهم يريدون أمواله ، وستكون المسألة مسألة مساومة » . فقالت « ولكنه يهودى يا لاني » فاجابها « أعلم هذا ولكن له اصدقاء كثيرين فى وطنه وفى الخارج » .

والنازي يعلمون ذلك وأنا لا أعتقد أنهم يريدون فضائح لا لزوم لها . وفي استطاعة إيرما واستطاعتى أن تقوم بدور الوسطاء باعتبارنا صديقى الطرفين ، وأن نقابل الأشخاص المناسبين ونعرف كم ستتكلف المسألة ! فاعترضت بيوتى وهى تغالب دموعها قائلة : « ستكون مجهدا عندما تصل » فقد كانت تريد أن يأخذ السائق . فقال « لا » . سنتناوب النوم فى المقعد الخلفى ، وكل ما نحتاج اليه عند وصولنا دخول الحمام وأن أحلق ذقنى وتصلح إيرما من زينتها . وحين نقود السيارة وحدنا سيكون فى وسعنا أن نتكلم بحرية دون خوف من الجواسيس . ولا أريد أن أثق بخادم سواء كان المانيا أو فرنسا . وسيظل ذلك ساريا طيلة وجودنا فى أرض النازى .

- ١٢ -

ودعى لاني لاتصال تليفونى ، وكان المتحدث جبرى بندلتون من باريس ليقول أن خطابا وصل من المانيا ولا يحمل اسم المرسل منه بيد أن جبرى حدس أنه قد يكون ذا صلة بالموقف . فطلب منه لاني أن يفذه ويتلوه عليه ، فاتضح أنه خطاب غفل من التوقيع بعث به فريدى الذى كان قد وصل الى برلين . وقد كتبه بالانجليزية ليفضى اليه بالانباء نفسها (التى بعثت بها أمه) الا أنه أضاف اليها أنه وزوجته مختلفيان وليست لهما حرية التصريح بعنوانهما . وليسا واثقين كم يستطيعان المكث حيث هما . أما ان حضر لاني الى فندق ادلون فسيبلغها ذلك ويرتبان مقابلته .

وقال لاني لجبرى : « اسرتى قادمة الى باريس فورا فاصنع ما تستطيع لمساعدتهم وقد اخبرتهم أن يشقوا بك كل الثقة ، وليس لك أن تشق بأحد سواهم » . فأجابه « أدركت ما تعنى » فقال لاني « انك لم تزل المراقب انعام ومرتبك مستمر وجميع النفقات التى تتكبدتها ستعاد اليك » . هل رحل السائق ؟ فقال : « انطلق فى الساعة الرابعة هذا الصباح ، وهو يعتقد أنه سيصل فى العاشرة » . فقال لاني : « وهو كذلك » . شكرا .

وابلغ لاني ذلك كله الى الاسرة وقالت أمه « ينبغي أن تنام قليلا قبل أن تبدأ قيادة السيارة » فأجابها : « ذهنى مشغول بأشياء أكثر مما ينبغي » . اذهبي أنت ونامى يا إيرما وفى وسعك أن تتولى النوبة الأولى فى القيادة .

واحيت ايرما ذلك الزوج الجديد الذى يبدو عليه انه يعرف بالضبط ما ينبغى أن يصنع ويتحدث بكل هذا الحزم . وقد كان لها يوما ما أب على هذه الشاكلة . وكانت بالصدفة تشعر بتعب شديد جدا فسرهما أن تبتعد عن هذا الحزن اليهودى المظهرى . ولئن كان لاني طلب اليها أن تنام فهي حيوان شاب صحيح البدن . يواتيه النوم بسهولة . وكانت نصف منومة مغناطيسيا وهي ترقب برسيغال دنجل الذى جلس فى مقعده برهة طويلة مغلق العينين . فان لم تكن تعرفه جيدا ظنته غائبا ، ولكنه كان يتأمل فهل كان يسأل الله أن ينقذ يوهانس روبن ؟ أم كان يسأل الله أن يرقق قلوب النازي ؟ ان الله يستطيع أن يصنع مثل هذه الامور بلا شك . ولكن من العسير أن يدرك الامر سر هذه العضلة ، لانه لماذا خلق الله النازي ابتداء ؟ فان قلت أن الشيطان هو الذى خلقهم، فلماذا خلق الله الشيطان ؟

ولم يعد هناك مبرر لبقاء أى أحد منهم فى كاليه بعد ذلك ، ولذا ذهبت فيدرس لتبتاع تذاكر السفر الى باريس ولترتب نقل جبل الحقائق ، وفى الوقت نفسه اخذ هانسي وبيس ولاني يتناقشون فى أفضل الوسائل لاذاعة كارثة يوهانس على العالم الخارجى ، وذلك قد يكون مصدرا مهما للكون ، بل لعله أهم المصادر جميعا . واول ما خطر للاني أن يطلب تليفونيا مكاتب صحيفة البوبيلير ، الا أنه كبح جماح نفسه وقد تحقق لديه انه ان كان مزمعا أن يتحول الى عاطف على النازي أو نصير لهم فلا ينبغى أن يقدم أبناء مثيرة متفجرة الى صحيفة اشتراكية . يضاف الى هذا ان المسألة ليست مسألة اشتراكية أو شيوعية ، لانها تتعلق بقطب من كبار اقطاب المال ومكانها الصحافة البرجوازية ، ويجب أن يصدر النبا من ابن الضحية وهو شخص مرموق فى حد ذاته . فينبغى أن يتوجه هانسي وزوجته الى فندق كريون وهناك يستدعيان رجال الصحف من فرنسيين وأجانب ليخبراهم ويطلبنا عن طريقهم عطف العالم . وكان لاني قد قابل عددا من المراسلين الامريكيين فى باريس فاعطى هانسي أسماءهم . وقال المتأمر الناشء : ان النازي يكذبون بسخاء ويجبرونك على أن تحذو

حنوهم . فلا تذكر لرجال الصحف شيئا عن بقية اسرتك ، وان سألك
قل انك لم تسمع شيئا عنهم ولا فكرة لديك عن مكان وجودهم . وقل
انك حصلت على معلوماتك عندما اتصلت تليفونيا باليخت والقصر والت
المسئولية كلها على القائد الثانى لقوة الاعتقال الادارية للرايخ المسمى
بريسمان ، فذلك حري أن يجعل قائده الاول ينزله الى القبو القبر ويرميه
بالرصاص عقابا له . فلا تذكر ولو تلميحا انك حصلت على المعلومات من
اسرتك أو من ايرما أو منى . ووضح هذه النقطة لجيرى أيضا فاننا يجب
أن نتعلم مراعاة الحذر فى كل خطوة منذ هذه اللحظة ، فالنازى يريدون
شيئا ونحن نريد شيئا آخر وان كسبوا هم خسروا نحن ! » .

**** معرفتى ****
www.ibtesama.com
منتديات مجلة الإبتسامة

الفصل السابع عشر

انتفضل بدخول حجرة جلوسى ؟

- ١ -

سجل السيد لانتج برسكوت بد من جوان ليه بأن بفرنسا اسمه واسم زوجته فى فندق ادلون بشارع اونترو دن ليندن (أى تحت ظلال الزيزفون) . وهو الفندق الذى ينزل به ثراة الامريكيين ، وحل ائرى زوجين شابين فى جناح يتناسب ومكانتهما ووضع تحت تصرفهما كل ما يمكن من الوان الترف . وتولى المستخدمون أمر سيارتهما من حيث التشحيم وما الى ذلك بسرعة وامانة . وحضرت خادمة ووصيف لتفريغ حقائبهما وحمل ملابسهما لكيها ، وأحضر حاجب صغير مشروبات مثلجة ونسحا من شتى صحف الصباح . وجلس لانى على الفور فتأكد من خلو هذه الصحف من الاشارة الى قصر ويخت مصادرين . وقد تشور ضجة هائلة فى العالم الخارجى أما الشعب الالماني فلا يعرف الا ما يراه سادته الجدد ملائما . وكان اليوم هو السابع عشر من شهر مايو وقد خصصت العناوين الكبرى للخطبة التى سيلقيها الفوهرر أمام الرايشستاغ فى الساعة الثالثة بعد الظهر بشأن مؤتمر جنيف لتحديد التسليح وموقف الحكومة الألمانية من مقترحاته .

ودق التليفون . وكان المتحدث مخبرا صحفيا يلتبس شرف أجراه حديث مع السيد بد وزوجته . وكان لانى قد تساءل كيف ستكون الاحوال فى هذا العالم الجديد وهل سيظل المال الطائل مصدرا للمكانة الكبيرة . ويبدو أن الامر كذلك فالسياحة وهى من العناصر الحيوية فى الاقتصاد الالماني كانت قد هبطت الى درجة الندرة بسبب اهانة الاجانب الذين تخلفوا عن أداء التحية النازية فى المناسبات الملائمة فكان لابد للصحف من الاهتمام الشديد بالزائرين القلائل من الاجانب . ولدى كل صحيفة كبرى ثلاثة مشرحة يسمونها فى المانيا الارشيف ، ومنه يستطيع المرء أن يتأكد بلا ابطاء مما نشر سابقا عن أى شخص . وكل مخبر يكلف

بمهمة ذات شأن يراجع الارشيف قبل أن يشرع فيها . ولذا كان هذا المندوب القادم لمقابلتهما نموذجاً من الشبان النشطين يمثل صحيفة أنباء الظهر التي تم تنظيمها سياسياً في المدة الاخيرة ، ولديه معلومات كاملة عن القادمين الجدد ، فسألها الاسئلة المعتادة بادنا بالاستفسار عن رأيهما في بلاده ، فقال لاني أنهما حضرا بالسيارة الى برلين في أربع وعشرين ساعة ، ولذا فانطباعاتهما سريعة سطحية . ولكنهما دهشا للنظام والاناقة التي شاهداها على طول الطريق ، وهما شخصان غير مشتغلين بالسياسة وليست لديهما آراء عن الاشتراكية الوطنية الا انهما متفتحان الذهن ويسرهما أن يشاهدوا ويطلعوا على كل شيء . وأجفل لاني قليلا وهو يتحدث عندما فكر في أصدقائه الاشتراكيين الذين قد يطالعون هذا الكلام . ولما سأل المخبر هل يصدق العالم الخارجي قصص الفظائع والاضطهادات الجارية في المانيا ، قال لاني ان البعض يصدقون ذلك فيما يظن والبعض الآخر لا يصدقونه ، كل بحسب ميوله . وهو قد حضر مع زوجته لتجديد الصداقات القديمة ولشراء أعمال الاساقفة التقدمي لهواة المجموعات الفنية من الامريكيين .

وهذا كله من شأنه أن يجعله في وضع مناسب بالنسبة لعالم النازي ويتيح له البقاء بدون إثارة للشبهات . فلم يذكر شيئا عن زوج أخت له يهودي أو والد لزوج أخته مستغل ، لا لهذا المخبر الصحفي ولا لغيره ممن جاءوا في أعقابهم . بل كانا يستقبلان المخبرين بالترحيب ويقدمان لهم السجائر والمشروبات في مودة وبلا رسميات والامريكان قوم بهيجون يعجب بهم الالمان كثيرا ويذهبون لمشاهدة أفلامهم ويتبعون لهجتهم ورياضتهم ومشروباتهم ووسائلهم الآلية وأزياءهم .

- ٢ -

وكان أول واجبات لاني أن يبلغ عن وصوله شخصيا في مركز البوليس فقدم جوازي سفره وسفر زوجته وحدد مهنته بأنه خبير في الفن وحدد سلالته بأنها آرية ، ثم عاد للفندق حيث وجد برقية من أمه في باريس تقول « أبلغنا روبي أن جدك توفي ليلة أمس » حضور روبي الآن مستحيل وقد أبرق للسفارة بشأنك وينصحك بالتوجه الى هناك فوراً . »

اذن مات صانع الاسلحة المتطهر العجوز ! وكان لاني قد فكر طويلا

جدا في قرب وفاته فلم يحدث له النبا صدمة . وكان لا بد له من حصر تفكيره في مهمته ببرلين ، وبلا إبطاء كتب رسائل قصيرة الى صاحب المقام الرفيع الجنرال جراف شتوبندورف وإلى العقيد أميل مايسستر وإلى هاینريش يونج . وبناء على اقتراحه كتبت إيرما إلى عدد من السيدات البارزات اللواتي التقت بهن من قبل . ولكن لا يهود ولا نساء مستغلات بل الانقياء الذين لا تشوبهم شائبة اجتماعية !

وفي هذه الآونة كانت صحف بعد الظهر قد صدرت وتباع في الشوارع حاملة نبأ وصول لاني فطفق يتوقع اتصالا تليفونيا ، وجاء الاتصال التليفوني وسمع صوتا يقول « أعتقد أنك مهمم برسوم الكسندر ياكوفلف » فاجاب لاني بدون تردد انه مهمم اهتماما عظيما ، فقال له الصوت « ثمة طائفة من أعماله في معارض دوباسيت ينبغي أن تشاهدها » فقال لاني « حسن جدا . ينبغي أن أحضر فورا ؟ » فقال الصوت « ان سمحت » ؟ .

وكان قد اتفق مع إيرما على أن حجرات الفندق قد تكون لها ، آذان ، فكان كل ما قاله لها « تعالى » فتطلعت إليه وأوما براسه ودون كلمة نهضت وارتدت ثوبا من ازياء الربيع حديث الكي ، وأمر لاني بإحضار سيارته وبعد برهة وجيزة استقرا فيها آمنين من الآذان التي تسترق السمع فقال لها « نعم انه فريدي » وكان معرض تاجر اللوحات الفنية في شارع فريدريش على مسافة قصيرة من فندق ادولون . وقاد لاني السيارة أمام المعرض ببطء فاذا بشاب أسمر طويل القامة يهودي السحنة يذرع الرصيف فإبطات المرسيديس جدا عند المنعطف وركبها الشاب وانطلقت السيارة في الشارع ودارت حول عدة منعطفات إلى أن تأكدوا من انهم غير متبوعين بسيارة أخرى . وتضعض صوت فريدي وهو يقول « أوه . كم أنا مسرور لرؤيتكما . » ودفن وجهه في راحتي يده وطفق يبكي ويقول « شكرا لك يا لاني . شكرا لك يا إيرما . » وكان يعلم انه لا ينبغي أن يكون سلوكه على هذا النحو الا انه كان تحت ضغط عصبي هائل . وقال له الشاب الآري « انس هذا كله يا فتى ، فقد كان لابد له من قيادة السيارة ومواصلة المراقبة عن طريق المرأة . ثم سأله « خبرنا هل سمعت أنباء من أيك ؟ » فأجابه فريدي : « ولا كلمة واحدة » فسأله لاني : « هل نشر أي شيء فيه ؟ » فأجابه : لا شيء « فسأله « ليست لديك فكرة إلى أين أخذه ؟ » فأجابه « لا فكرة لدى عن هذا . فنحن لا نجسر على التوجه إلى السلطات كما تعلم » فسأله « وهل

والدتك وراجيل والطفل بخير ؟ فاجابه كانوا بخير عندما غادرتهم
« فساله » الست مقيما معهم ؟ فاجابه انا نخشى ان تلفت الانظار اليها،
ولذلك تقيم أمى مع بعض خدمنا القدماء وتقيم راحيل والطفل لدى أسرة
أبيها « فساله » وانت ؟ فاجابه لقد نمت ليلة أمس في حديقة الحيوان.
« فضاحت ايرما برعب » أوه . فريدى . « فقال فريدى » كان الحال
لا بأس به . لم يكن الجو باردا « فساله » الا تعرف احدا يمكن ان
ياوبك ؟ « فقال » أعرف كثيرين ولكننى ساجر عليهم وعلى نفسى
المتاعب . فظهور يهودى فى مكان جديد يوحى بأنه مطلوب القبض عليه .
ولا تستطيع ان تتصور حقيقة الحال . فشة جواسيس فى كل مكان بين
الخدم ووكلاء العمارات السكنية وشتى صنوف الناس يحاولون التزلف
الى النازى . ولم يكن فى وسعى ان ادعهم يضعون يدهم على قبل ان
اتحدث اليك . « فقال لانى » ولن يضعوا يدهم عليك بعد ذلك ف سوف
نخرجكم من هذه البلاد . فقد يكون من الاحكم لك وللآخرين ان تغادروها
على الفور . فمن الواضح انكم لا تستطيعون شيئا لمساعدة والدك
فاجاب الشاب التمس « ليس فى وسعنا ان نغادرها لو شئنا فوالدى
كان يحمل جوازات الخروج . والان قد استولى عليها النازيون » .

واخبرهما بايجاز بما حدث . وكانت الاسرة قد ذهبت مع عدد من
الخدم الى بريمرها فى قطار الليل وركبوا سيارات الاجرة الى اليخت .
وبمجرد وصولهم الى حوض الميناء استوقفتهم جماعة من ذوى القمصان
البنية واخبروا اباه انه مقبوض عليه . فسألهم أبوه بتهذيب شديد هل
يستطيع ان يعرف السبب فبصق قائد الجماعة فى وجهه على الفور ونعته
بالخنزير اليهودى وزجوه داخل سيارة انطلقت به وتركوا الباقيين واقفين
مذهولين . ولم يجسروا على الصعود الى ظهر اليخت فراحوا يتسكعون على
رصيف الميناء حاملين حقائبهم . وتبادلوا الراى ثم قرروا انه ليس فى
استطاعتهم تحسين موقف الوالد بتسكين النازى من القبض عليهم . وكان
كل من فريدى وراجيل من الجائز ان يزج بهما فى معسكرات الاعتقال
بسبب نشاطهما الاشتراكى فقررا السفر متفرقين الى برلين والاقامة فى
أماكن سرية الى أن تصلهما انباء من اصدقائهما .

- ٣ -

وقال فريدى « وكان معى مبلغ قليل من النقود وانا اهم بركوب
اليخت وكان على أن ادفع أجر سفرى عائدا الى هنا » فأخرج لانى حافظة

نقوده واراد ان يعطيه مبلغا ضخما ولكنه قال لا فهو قد يسرق ، او يقبض عليه فيستولى النازى على النقود . فمن الافضل ان يعطيه مبلغا صغيرا فى كل مرة . وشرع يقول ان اباه سيسدد جميع هذه المبالغ ولكن لانى طلب اليه ان يكف عن السخف فكل ما يحتاج اليه فهو له . وسالته ايرما « واين تزمع ان تقيم ؟ » فقال انه سينضم الى زحام المقيمين فى « النخيل » وهو ملجأ لمن لا موى لهم . والمكان سيء جدا ولكنه لن يضيره ولن يلتفت اليه احد هناك . ولن ينعتبه بأنه خنزير يهودى . وهو يأمل الا يطول الانتظار كثيرا . واضطر لانى أن يقول له ان الانتظار سيطول بعض الوقت لأن نشاطه سيكون داخل الدوائر العليا . والأمور فى هذه الدوائر لا تمضى بسرعة . اذ لا بد من تطبيق الفنون الاجتماعية هناك . فقال فريدى « آمل أن يتحمل أبى المسكين الانتظار » فأجابه لانى « سيكون على يقين من اننا نبذل قصارى جهدنا . وبذلك سيظل لديه الأمل على الأقل . »

ولم يخض الأمريكى فى تفاصيل خططه لأنه خشى أن ينزلق فريدى الى الافضاء بجانب منها الى زوجته أو أمه . ثم هناك أيضا ذلك الاحتمال المخيف أن يتمكن النازى من انتزاع شيء منه بالتعذيب . وهو بالتأكيد لا يمكن أن يخبرهم بما لا يعرف . وقال له لانى « فى وسطك دائما أن تكتب الى وتطلبنى تليفونيا فى الفندق وتحدد موعدا لاطلاعى على أعمال فنية . واتفقا على شفرة سرية فالصور بريشة بوجيرو معناها أن كل شيء على ما يرام . اما جويا فمعناها الخطر . وقال لانى « فكر فى أى شيء يمكن أن تقوله عن الصور والتصوير بحيث يؤدى المعنى الذى فى ذهنك » . ولم يسأله عن عناوين بقية أفراد الأسرة لعلهم أنهم عند الحاجة يستطيعون الكتابة اليه أو الاتصال به تليفونيا بحجة الصور والتصوير . ورأى فريدى أن اللقاء يجب أن يكون أقل ما يمكن لأن السيارة الفارغة التى يقودها أجنبى تلفت الانظار جدا . ومن يركبونها أو يهبطون منها قد يقعون تحت المراقبة . ووقفوا قليلا فى شارع سكنى هادىء وتجاوزوا الحديث . ثم قال فريدى « ينبغى الا أعطلك عن مشروعاتك . انزلنى قرب مدخل أى مترو تحت الأرض كى أستقله الى ملجأ النخيل » وانطلقت بهم السيارة وقال لانى على الطريقة الانجليزية « استبشر » فأجابه اليهودى الشاب على الطريقة الأمريكية التى يعرفها « شكرا لك مليون مرة » . وابطأت السيارة ونزل منها . وسرعان ما ابتلعت فوهة الحفرة الكبيرة فى أرض شوارع برلين . وقالت ايرما وقد مسحت دمعة فى

عينها « انا بحاجة الى شيء من النوم » فهي ايضا قد تعلمت الاساليب
الانجليزية .

- ٤ -

اجتمع الرايشستاج في دار أوبرا كرول بعد ظهر ذلك اليوم ولتسمع
واستمع لخطبة أدولف هتلر عن الشئون الخارجية . وقد استغرقت
الخطبة ثلاثة أرباع الساعة وبعدها مباشرة طرح جورنج الموافقة التي
حظيت بالاجماع وتأجل على الاثر اجتماع الرايشستاج . وبعد ذلك بقليل
كان باعة الصحف يصيحون منادين على طبعات خاصة بها النص الكامل
للخطبة تحت عناوين ضخمة . وبطبيعة الحال وصفت تلك الصحف
المتائلة الخطبة بأنها عمل سياسي خارق جدا .

والقى لاني نظرة مجلى عليها فادرك أنها خطبة ليست كاية خطبة
أخرى في تاريخ الفوهرر السياسي فهذه أول مرة يتلو فيها خطبة مكتوبة
سلفا . وقد اتضح أن شارع فلهم - هو مقر وزارة الخارجية الألمانية -
قام بضغط كبير عليه واقنعه أن ثمة خطرا حقيقيا من قيام فرنسا بعمل
هلنى . وليس لدى ألمانيا وسائل للمقاومة . وبقينا أن هذا آخر ما ترغب
فيه حكومة النازى الوليدة . ولذا بدأ هتلر بصورة جديدة . وأنه لشيء
مريب أن يكون المرء قادرا على اتخاذ صورة جديدة كلما رغب في ذلك فلا
يعوقه عن ذلك ما كان عليه من قبل . وتحدث الفوهرر بلهجة ، فيها من
الأسى أكثر مما فيها من الغضب ، عن الأضرار التي عانت منها بلاده .
وقال للرايشستاج انه رجل شديد التعلق بالسلام والعدالة بين الأمم .
وكل ما يطلبه من بقية العالم أن يحذوا حذو ألمانيا وينزعوا سلاحهم .
فلا يبقى بين الأمم مجال لاستخدام القوة . وهو ما سماه « الاندفاع
الجنونى الذى لا حد له » وقال انه سينتهى الى « غرق أوروبا فى الفوضى
الشيوعية » .

وأطلقت فرنسا وبريطانيا القلقتان زفرة ارتياح . فالفوهرر ليس
فى الحقيقة بالسوء الذى صور به نفسه آنفا . وحساؤه لن يشوى لسان
أحد . فهو مستعد أن يثوب للهدوء والاستقرار ويدع سواء يكتب له
خطبة ويحكم البلاد بصورة سليمة . وكان من الواضح جدا فى نظر
الدبلوماسيين ورجال الدولة فى البلاد الاجنبية أن أونباشيا ورسام
بطاقات بريدية لا يمكن أن يدير دولة حديثة كبيرة فهذا عمل يحتاج الى

رجال مدرّبين • ولدى المانيا كثيرون منهم وهؤلاء فى وقت الضرورة يتسلمون زمام الامور •

ولم يكن لاني متأكدا من ذلك • ولكنه رأى خطبة اليوم احسن فال ممكن لآل روبن • فادى خفف من غلوائه • فهو لا يريد نزاعات عائلية او فضائح تتسرب الى العالم الخارجى • فهو فى موقف يمكن فيه ابتزازه بلطف وتهذيب • وكانت لدى لاني فكرة عن كيفية الشروع فى ذلك •

ورن جرس التليفون • ان رسالته الى هاينريش يونج وصلت بسرعة • وقد حضرها يئريش اجتماع الرايشستاج • وها هو الآن ينتهز فرصة للاتصال بصديقه قائلا • اوه يا لاني • أنها ابدع عمل سياسى • هل قرأت الخطبة ؟ فاجابه • لقد قرأتها فعلا واعتبرها عملا سياسيا عظيما • فصاح هاينريش • رائع • • ورد عليه لاني • هائل • باللغة الالمانى فى غنة فخمة الرنين • فقال هاينريش • براعة سياسية كاملة • • فرد عليه لاني • بصورة مطلقة • هى فى الالمانية كلمة تنطق وكانها بندقية صوت • فهتف المسكول النازى • • عبقرية أصلية • • وهكذا مضيا يتغنيان • وكانهما ثنائى فى الأوبرا الايطالية • بحاسن ادولف هتلر وخطبته وحزبه ومذهبه وبلاده • وانتشى هاينريش فهتف • ها أنت قد رايت الحقيقية الآن • • فقال الزائر الانيس • • لم أكن أظنه قادرا على هذا • فقال هاينريش فى عذوبة غنائية حاول أن يجعلها أمريكية • لقد استطاع ذلك بنجاح • ويستمر فى النجاح • وكما تقولون فى بلادك لقد فاز بها • وضحك لاني فقال المسكول النازى الشاب • • متى استطيع أن أراك ؟ • فسأله لاني • • أنت مشغول هذا المساء ؟ • فاجابه • ليس لدى شىء لا أستطيع التحرر منه • • فقال لاني • • اذن تعال عندنا • • كنا بصدد طلب ناكله وسننتظرك • ووضع لاني المسماع • • فقالت له ايرما • • الست تبالح قليلا ؟ • فوضع لاني أصبعه على شفثيه وقال • • هيا نرتدى ملابسنا وننزل للعشاء فى قاعة الطعام • ارتدى أفضل ثيابك • فالانتر الادبى يستحق هذا العناء • •



كانوا ثلاثة فى حجرة الطعام المهيبة فى أرقى فنادق برلين • الوارثة الأمريكية فى أفخم ثوب سهرة أحضرته معها • ولانى فى بدلة سموكن وهاينريش فى كسوته الرسمية الأنيقة التى كان ارتداها لحضور الاجتماع

في دار اوبرا كروول . ان المجتمع الراقى يحدق في ثلاثتهم . فكاد قلب هاینریش یونج ابن الخطاب ينشق زهوا ، لا بنفسه طبعاً ، بل بزعيمة وبالحرکة الرائعة التي يشيد صرحها . واحترام المكانة والمنصب متسرب الى عظام الصبي الذي نشأ في ضيعة شتو بندورف . وهذا العشاء هو ارقى درجة صعد اليها في الهرم الاجتماعي فهذان الزوجان الامريكيان الانيقان كانا ضيفين في مناسبتين بالقلعة . وقد يحدث ان يدخل الجنرال جراف هذه القاعة فيقدماء الى ابن مراقب غاباته . ولم يفت لاني ان يشير الى انه كتب الى مقامه الرفيع في قصره ببرلين . وعزفت الفرقة الموسيقية عزفا خافتا . وكان السقاة ينحنون في تذلل . وكشف لاني وهو البق مضيف عن استاذيته في معرفة فنون الطعام الانيقة . هل يفضل هاینریش لونا بلداته ؟ لا ان هاینریش يترك ذلك لمضيفه . وقال المضيف الم ينبغي ان يتناولوا شيئاً يحمل طابع برلين الحقيقي . ما رأيه في شيء من سرطان البحر الذي كتبوا اسمه في القائمة باللغة الفرنسية ؟ فقال هاینریش ان ذلك يسره كثيراً . وأخفى في طوايا نفسه انه لم يذقه في حياته من قبل . ثم اتضح انه عبارة عن سرطان الماء العذب صغير الحجم يقم ساخناً يتصاعد منه البخار في صحفة كبيرة من الفضة يعلوها غطاء من الفضة مزین بكثير من النقوش البارزة . وعرض عليهم الساقى فخامة الصحفة قبل أن يضع جانباً مما فيها في الصحاف المتفرقة . وكان لا بد من اطلاع هاینریش على الطريقة المثلى لاستخراج اللحم الاحمر الحار من القشرة الرقيقة الصلبة ثم يغمسه في اناء به زبد ساخن . أجل . ولكن طعمه كان لذيذاً .

وماذا يحب هاینریش ان يشرب ؟ وترك هاینریش ذلك أيضاً لمضيفه . وبذلك حظى بنبيذ الراين ولونه كالماس الاصفر . وبعد ذلك حظى بشمبانيا فواره . واكل أيضاً الشليك البري بالقشدة المخفوفة وكعكات صغيرة تعلوها قشرة سكرية متعددة الالوان . ثم قالت الوارثة : هلا شربنا القهوة في جناحنا ؟ ، وصعدوا الى هناك . وفي طريق صعودهم رمقتهم عيون كثيرة . وتكفلت كسوة هاینریش بعلاماتها الخاصة التي تدل على رتبته في الحزب بالا تدع مجالاً للشك في ان السيد والسيدة ايما بارنز لا غبار عليهما . وسيسرى هذا القول في الفندق ويسمع به المخبرون الصحفيون وبعد ذلك تنشر أعمال الزوجين الشابين الاجتماعية في الصحافة الخاضعة للرقابة والسيطرة . ان النازيين لن يجبوها بطبيعة الحال لان النازيين ليسوا عاطفيين ولكنهم يرحبون بمن يتسلقون عربة

غرقتهم النحاسية ويتركونهم يركبونها الى المدى الذى يراه زعيم الفرقة النحاسية مناسبا .

- ٦ -

وفى الحجرة شربوا القهوة وشربوا كذلك البراندى فى كئوس كبيرة الا انها رقيقة جدا . ولم يشعر هاينريش قط فى حياته كلها بانه كان افضل حالا مما هو الآن وظل يتحدث ساعتين عن حزب العمال الالماني الاشتراكي الوطنى والاعاجيب التى أنجزها وسينجزها . وكان لاني يصفى بانتباه ويشرح موقفه بصراحة . فمنذ اثنتى عشرة سنة عندما عرف ابن مراقب الغابة لأول مرة حركة شيكلجروبر لم تكن لدى لاني أدنى فكرة عن احتمال نجاحها أو حصولها على أهمية كافية . ولكنه راقب نموها خطوة خطوة وبطبيعة الحال لم يتمالك نفسه من التأثير بذلك . أما الآن فقد تحقق لديه ان هذه الحركة هى ما كان الالماني بحاجة اليها . وبطبيعة الحال أيضا يرى ان من حق الالماني الكامل ان يحصلوا على هذه الحركة التى يريدونها . ولم يستطع لاني ان يقول انه آمن واهتدى ولكنه دارس جاد للحركة متلهف على التحدث الى زعمائها وسؤالهم عنها بحيث يتسنى له ان يحمل الى العالم الخارجى صورة حقيقية أمينة عن التغيرات التى تحدث فى ألمانيا . وقال « أنا أعرف عددا كبيرا جدا من الصحفيين وقد يتسنى لى ان أمارس شيئا من النفوذ لديهم » فأجابه هاينريش بحرارة « أنا واثق فى الحقيقة بانك تستطيع ذلك » فجذب لاني نفسا عميقا وتلا فى سره صلاة صغيرة ثم قال « هناك عقبة وحيدة ياهاينريش . فانت تعلم طبعا ان أختى متزوجة من اليهودى » فأجاب المستول الشاب بجدة « نعم » وهذا أمر بالغ السوء » . فقال لاني « ومن المصادفات انه عازف فيولينة ممتاز . هو أفضل عازف عرفته . هل سمعته ؟ » فقال « مطلقا » فقال لاني « لقد عزف كونشرتو لبيتهوفن فى باريس منذ بضعة أسابيع فاعتبروه خارقا » فأجاب هاينريش « لاأظننى أهتم بسماع يهودى يعزف لبيتهوفن » وهكذا اصببت حماسه ببرودة ثلجية مفاجئة . فاستطرد لاني « هاك موقفى . أن والد يوهانس كان شريك أبى فى أعماله فترة طويلة . » فقال هاينريش « لقد بلغنى انه من كبار المستغلين » فقال لاني « ربما » فقد كان بين الالماني عدد كبير من المستغلين . وأكبرهم جميعا شتينس . فقد كانت السوق مفتوحة والناس يبيعون فيها ويشترون ولا أحد يدري ممن

يشترى ولا لمن يبيع . المهم اننى مرتبط بال روبن وهذا ما يجعل موقفى حرجا ، فقال هاينريش : ينبغى على هؤلاء الناس اذن ان يغادروا البلاد يا لاني . دعهم يذهبوا الى امريكا ان كنتم تحبونهم وتستطيعون معاشرتهم والتعامل معهم ، فقال لاني : بالضبط . هكذا ما كنت احاول اقناعهم به حتى رغبوا فيه . ولكن لسوء حظى اختفى يوهانس . فسأله هاينريش : اختفى ؟ ماذا تعنى ؟ ، فقال لاني : كان بسبيل الصعود الى ظهر يخته فى بريرها فن عندما قبض عليه بعض ذوى القمصان البنية وانطلقوا به ولا يدري أحد أين هو الآن ، فقال هاينريش : ولكن هذا سخف يا لاني . فأجابه : أنا واثق انه لا يبدو سخفا لصديقى العجوز ، فقال هاينريش : وماذا أقترف ؟ لابد انه ارتكب خرقا للقانون ، فقال لاني : ليست لدى ادنى فكرة ولكنى اشك كثيرا جدا ان يكون أقدم على شيء من ذلك ، فسأله : وكيف عرفت بالامر يا لاني ؟ ، فأجابه اتصلت تليفونيا باليخت فرد على صوت غريب وقال لى انه القائد الثانى لقوة الاعتقال الادارية بالرايخ . فقال هاينريش : هذه القوة قسم من جبهة العمل الجديدة التابعة للدكتور لى . ولكن ما شأنه بيهودى مستغل ؟ ، فقال لاني : تسدى الى جميلا عظيما ان استجليت لى هذا الامر يا هاينريش ، فقال : انك تعرف ما يحدث . فى الثورات . فاذا أناس يأخذون بيدهم أزمة الامور فتقع حوادث مؤسفة . والفوهرر لا يمكن أن يعرف كل شيء مما يجرى فى البلاد ، فقال لاني : أنا جدد واثق بهذا . ومنذ سمعت الامر قلت انى أعرف بالضبط أين ينبغى أن اذهب . فهاينريش يونج هو الشخص الذى سيفهمنى ويساعدنى . وها أنذا .

-٧-

ولم يكن المسئول التنفيذى النازى الشاب مغفلا ولو بعد الذى احتسأه من نبذ الراين والشمباتيا والبراندى ، فقد أدرك على الفور السر فى حظوته بكل هذه الضيافة . بيد انه كان قد عرف لاني بد منذ اثنى عشرة سنة وكان قد تناول وجبات أخرى على نفقته من غير أن يسأله معروفا مقابلها . ومن المهن لغرور المرء أن يضطر للشك فى أصدقائه القدامى . وهاينريش لديه استعداد طبيعى للمكاشفة ولذلك سأله : ماذا تريدنى أن أصنع ؟ ، فأجابه : أريد أولا أن تفهم موقفى فى هذه المسألة التعسفة . فلى أصدقاء كثيرون فى ألمانيا ولا أريد أن أؤذيهم . ولكنى فى الوقت نفسه لا أستطيع أن أدع فردا من أسرتى ملقى فى معسكر للاعتقال.

من غير ان أحاول على الأقل أن أعرف تهمة . أتري ذلك في وسمى
يا هاينريش ؟ فاعترف على مضض « لا . لا أظن ذلك . » فقال لاني « وحتى
الآن لم تنشر هذه المسألة فيما رأيت من وسائل الاعلام . ولكن قد
يتسرب نبا عن ذلك الى الخارج بطبيعة الحال فيحدث اثره . فيوهانس له
أصدقاء وشركاء هناك . وعندما تنقطع أخباره عنهم قد يلجأون الى
استخدام التليفون للاستفسار . وعندئذ تحدث فضيحة . وإخالني أؤدى
معروفا لك ولكيرت ولصاحب المقام الرفيع يل وللغوهري اذ أتيت الى هنا
وأحيطكم علما بالموقف . وأول شخص أقابله في برلين حر ان يسألني
اين يوهانس ؟ « فماذا عساي أقول له ؟ وهو حمو أختي وشريك أبى ومن
المفروض على أن أزور بيته أو على الأقل اتصل تليفونيا وأخبره بوصولى ،
فوافقه هاينريش قائلا ان الامر محرج بالتأكيد » فقال لاني « وثمة
شيء آخر عندما يصل خطابى صباح غد الى مقامه الرفيع قد يتصل بنا
تليفونيا . وهو صديق ليوهانس والواقع اننى التقيت به أول مرة في
قصر يوهانس . وكذلك ايرما تتوقع أن تقابل الاميرة بسمارك غدا .
ولعلك تعرفها . فهى سيدة سويدية فائنة جدا . فماذا عساها تقول في
هذا الشأن ؟ »

واعترف هاينريش أن الامر فظيع واستطرد لاني « فان أخبرت
هؤلاء الناس بما حدث سأكون في وضع من جاء الى هنا ليهاجم النظام
الحالى . وهذا آخر شيء أريده . ولكن القصة لا يمكن أن تبقى مكتومة
الى الابد . وعند انفجارها ستفوح لها رائحة كريهة . ولذا قلت لايرما
هيا بنا نذهب بسرعة الى هاينريش لنوقف المسألة قبل انفجارها
ويوهانس شخص غير سياسى على الإطلاق ولا مصلحة له في نشر
الفضائح . وأنا واثق بأنه سيوافق بسرور على اغلاق فمه ونسيان كل
ما حدث . فقال هاينريش « ولكن لابد أن الرجل اقترف شيئا يا لاني .
انهم في ألمانيا لا يجرون الناس ببساطة ليزجوا بهم في السجن بلا
سبب ، فسأله « حتى ولا اليهود يا هاينريش ؟ » فأجابه حتى ولا اليهود .
لقد رأيت بنفسك كيف كانت المقاطعة منظمة . أم لعل الصحافة الاجنبية
كذبت عليكم بصورها ، » فقال « لقد سمعت قصصا رهيبة ولكنى رفضت
أن أصدقها ولا أريد أن أصدقها . بل أريد أن يتاح لى الخروج لأقول
لأصدقائى اننى بمجرد أن أبلغت هذه القضية الى سلطات النازى صحح
الخطأ . وأنا أقدم لك فرصة تبرز فيها شأنك يا هاينريش لان رؤساءك
سيحمدون لك مساعدتك على تجنب فضيحة كبيرة في العالم الخارجى . »

جرت هذه المحادثة باللغة الألمانية لان انجليزية هاينريش لم تكن وافية بالفرض . والمأنية ايرما كانت أشد هزالا من انجليزية هاينريش . ولكنها كانت على علم بخطة لانى فى المعركة فاستطاعت أن تتبج أطوارها على وجه المستول الشاب . وهو وجه شمالي محدد الملامح فيه عينان فى زرقة السماء تنظران نظرة جادة . وتعلوه جمرة من شعر بلون الدريس حليق بحيث يمكن أن يلبس فوقه خوذة مدببة . وان كان هاينريش لم يلبس شيئا كهذا قط . وكان هذا الوجه ورديا من فرط السرور فى بداية السهرة وأصبح أكثر وردية بتأثير الطعام الجيد والشراب الجيد والصحة . أما الآن فهو يبدو اميل الى الشحوب من فرط القلق وعناء التفكير الباهظ .

وسأل مضيفه « ولكن ماذا يسعنى أن أصنع يا لانى ؟ » فقال « خطر لى انك قد تساعدنى فى وضع الامر مباشرة أمام الفوهرر » فقال « لا يمكننى أن أصنع هذا يا لانى بأى حال » . فقال له « انك على صلة به مباشرة . اليس كذلك ؟ » فأجابه « لم يعد الامر كما كان فقد تغيرت الاوضاع . ففي الايام الخالية كان مجرد زعيم حزب أما الآن فهو رئيس الحكومة وليست لديك فكرة عن الضغط الواقع عليه وحشود الناس الذين يحاولون الوصول اليه طول الوقت » فقال لانى « أستطيع أن أفهم هذا . ولكن هذه حالة خاصة طارئة وبقينا انه سيشكرنا على اللجوء اليه » . فقال « لن أجرؤ ببساطة يا لانى . ويجب أن تفهم اننى لست سوى موظف حددوا لى عملا معيناً أقوم به بكفاية فيعطوننى مزيداً من المهام . ولكنى لم أتدخل قط فى السياسة » فسأله لانى « وهل هذه سياسة ياهاينريش؟ » فأجابه « ستكتشف سريعا انها سياسة . وما دام الدكتور لى قد قبض على يهودى غنى فلا بد ان لديه مبررا . وهو سياسى قوى وله أصدقاء فى البلاط - أعنى حاشية الفوهرر . فإذا مضيت أنا واصطدمت به فساكون بمثابة من يدخل المنطقة الحرام أثناء تبادل اطلاق النار وكل خطواتى لدى الفوهرر مستمدة من اننى معجب قديم . لم أطلب منه شيئا على الاطلاق طول حياتى . فإذا جئت اليه الآن ووجد اننى أتدخل فى شئون الدولة فقد يثور غضبه ويصبح « أخرج من هنا ولا يرانى بعد ذلك أبدا » فقال لانى « ومن جهة أخرى يا هاينريش اذا ما بلغ مسامعه انه كانت لديك سلفا دراية بهذه المسألة وفاتك أن تنبهه إليها فهل سبرى فى ذلك دليلا على صداقة عظيمة ؟ » ولم يرد النازى الشاب ولكن الخطوط التى ظهرت

على جبينه دلت بوضوح على انه يواجه أزمة اخلاقية . ثم قال « الحقيقة انى لا أدري ماذا أقول يا لانى . اذ يقال لى انه فى الوقت الحاضر سريع الهياج بصورة مخيفة ومن السهل اغضابه جدا » فقال لانى « انى أراه لا بد شاعر بالسعادة بعد خطبته الرائعة والثناء الذى لا بد أن تحرزه له فى العالم الخارجى . واعتقد انه الآن أشد تلهفا على تجنب كل ما يفسد هذا الأثر الذى أحدثته خطوته المدبرة بعناية » فهتف محدثه « يا اله السماء . لا بد لى أن أحصل على مشورة شخص يعرف حالته العقلية » فقال لانى فى نفسه « ها هو البيروقراطى يواجه حالة طارئة ليس لديه أوامر بصدها » . ولكنه قال بصوت مرتفع « كن حذرا فى اختيار من تثق به » فقال الالمانى « طبعاً . وهذا أسوأ ما فى العضلة . ففى الامور السياسية لا تستطيع الثقة بأحد . وقد سمعت الفوهرر يقول ذلك شخصياً » وقطب هاينريش جاجبيه أكثر من ذى قبل وقال أخيراً « ان المسألة تتعلق بالتأثير الذى سيحدث فى العالم الخارجى . ولذلك يمكن بصورة سليمة عرضها على وزير الرايخ للارشاد القومى والدعاية » فسأله لانى « أتعرفه ؟ » فاجاب « أعرف زوجته معرفة جيدة جدا . فقد كانت تعمل قبل الزواج فى مقر القيادة العليا للحزب فى برلين . فهل تدعنى آخذك اليها ؟ » فقال لانى « بالتأكيد . ان كنت واثقا بأن هذه خطوة حكيمة . ولما كانت المسألة سياسية فيجب أن تراعى الموقف بين الدكتور جوبلز والدكتور لى . فان كانا صديقين فسيحاول جوبلز أن يطوى الموضوع وربما منعنا من مقابلة الفوهرر » فهتف هاينريش « يا اله السماء . لا أحد فى العالم يستطيع تقصى كل المنازعات والمنافسات والدسائس هذا شئ فظيع » فاجابه لانى « أعرف ذلك . فقد كنت أسمعك أنت وكبرت تتحدثان فيه فى الايام الخوالى » فقال « ان الحالة الآن أسوأ ألف مرة مما كانت لان المهام والمناصب صارت كثيرة جدا . واعتقد ان الحالة كذلك فى السياسة فى كل مكان . ولذا حرصت على الابتعاد عنها » فقال لانى لنفسه « ها هى ذى قد أدركتك الآن » ولكنه قال بصوت مسموع « لابد أن نبداً من مكان ما . فلنر ما ستنصحنا به فراوجوبلز » .

- ٩ -

اتجه هاينريش يونج الى التليفون وطلب منزل وزير الرايخ الدكتور يوسف جوبلز . ولما اتصل الخط بزوجة وزير الرايخ ناداها باسم «عاجدة» وسألها هل سمعت قط بلانى يد وايرما بارنز ويبدو انها لم تكن

سمعت بهما فراح يخبرها بالحقائق الاساسية عنهما . وهى كم من المال تمتلكه ايرما وكم من البنادق صنعها والد لانى . وايضا انها زارا قلعة شتوبندورف ونزلا عليها ضيفين . وان لانى تناول الشاى ذات مرة مع الفوهرر . ولديهما الآن موضوع له اهميته بالنسبة للحزب ويريدان نصيحة ماجدة فى صدد . وقال هاينريش « اننا فى فندق ادلون . نعم بأسرع ما يمكن الى اللقاء » .

وطلب لانى سيارته . واثناء قيادتها الى ميدان الريشستاج اخبرها هاينريش عن جمال السيدة التى سيلقيانها قريبا وفتنتها ودفع قلبها . وقد تكون هناك مسألة فى مصلحتهما وهى انها طفلة متبناة لأسرة يهودية . وكانت متزوجة من قبل من الهر كوانت وهو من أغنى رجال المانيا واكبر منها سنا بكثير . وقد طلقته وتحصل منه الآن على نفقة كبيرة . فى حين حل الرجل الذى يدفع لها نفقتها فى معسكر للاعتقال . وقد اعتنقت الاشتراكية الوطنية وذهبت للعمل فى قيادة الحزب . ومنذ برهة وجيزة أصبحت عروس الدكتور جوبلز . وكان شاهد العريس هتلر . وهو حدث كبير فى عالم النازى . وهى الآن السيدة وزيرة الرايخ او عقيلة وزير الرايخ ولها صالون . ويبدو ان الرجال لا يستطيعون المضى قدما فى حياتهم دون تأثير النساء . ولو كانوا من دعاة مذهب الطعام والاطفال والكنيسة بالنسبة لجماهير الشعب .

ومضى المسئول الشاب فى شرحه « الناس يتهمون ماجدة بالطموح . ولكنها ذكية قادرة وبطبيعة الحال تحب أن تستخدم ذكائها ومقدرتها لمصلحة القضية » فاجابه لانى « ستسنع لها الفرصة الليلة لذلك » .

واقترحوا الى المسكن الاثيق الراقى الذى كانت السيدة كوانت تعيش فيه ذات يوم مع رجل الصناعة المسن . وبدأت السيدة وزيرة الرايخ فى ثوب سهرة بلون الكرز وفى عنقها عقد مزدوج من اللؤلؤ يضاهى عقد ايرما . وكلا العقدتين صحيح حر خالص غير زائف . ولكن كلا من السيدتين كان يهمها أن تعض عقد السيدة الاخرى لتتأكد من ذلك . وكان لماجدة شعر أشقر متموج ووجه مليح يكاد يكون وجه طفل وعينان حزينتان وبدأت تتكون حولهما حلقات سوداء . وكان لانى يعرف انها متزوجة من رجل من أشد رجال المانيا قبحا . فاعتقد انها كانت بحاجة للاقدام على ذلك الزواج مدفوعة بحافز الطموح . وتساءل هل لم تزل تجد الرضا فى ذلك الزواج الذى تشوقت اليه .

وكانت الساعة قد تأخرت . فدخل الزائرون فى الموضوع بسرعة .

ولما كان لاني يعلم ان وزير الارشاد القومي والدعاية عدو لدود للمسامية فقد قال « مهما كانت آراء الانسان » فالحقيقة ان هانسي روبن موسيقى عن الطراز الاول . والحفل الموسيقي الذي قدمه بالاشتراك مع فرقة ياريس السيموفنية هذا الربيع كسب له حفاوة هائلة . وقد قدم حفلات موسيقية مماثلة في لندن وفي جميع المدن الكبرى بالولايات المتحدة وهذا يعني ان الوف الناس مستعدون لمناصرتهم والدفاع عنه . ويقال ذلك أيضا يصدق عن رجال الاعمال الذين يعرفون اباة . فمن وجهة النظر العملية المحضة يا سيدتي وزيرة الرايخ تعتبر هذه المسألة ضارة بنظامكم . ولست ارى ماذا يمكن أن تكسبوا من اعتقال يوهانسي روبن بحيث يوازي هذا الكسب خسارة المكانة التي ستمنون بها في البلاد الاجنبية » .

فقالت المرأة على الفور « اني اتفق معك » فهذه مسألة من اشد المسائل مجافاة للعقل . ويجب أن تعترف ياسيد بد أن ثورتنا تمت بعنف اقل من أي ثورة أخرى سبقت في التاريخ . ولكن هناك حالات لم يكن لها لزوم علم بها زوجي واستخدم نفوذه لتصحيحها . فهو بطبيعة الحال رجل مرهق بالمهام في الوقت الحاضر ومن واجبي باعتباري زوجته أن أحبيه من الهموم لا أن ألقى على كاهله مزيدا منها . ولكن هذه حالة خاصة كما تقول وسألفت نظره اليها . فماذا قلت لي عن تلك المنظمة الحزبية المستولة ؟ ، فأجابها « قوة الاعتقال الادارية بالرايخ » فقالت « أعتقد انها تابعة لجهة العمل التي يقودها الدكتور لي » . فهل تعرف روبرت لي ؟ ، فقال « لم يكن لي هذا الشرف » فقالت « انه أحد الرجال الذين دخلوا حزبنا من القوات الجوية . وكثيرون من أكفأ قادتنا كانوا طيارين سابقين . جريجور شتراسر » . فقال لاني « لقد قابلته » واستطردت « وهيرمان جورننج ورودولف هيس » . لئلا القائمة طويلة . فرجال الطيران يتعلمون كيف يعملون من غير أن تؤثر عليهم المشاعر . والدكتور لي مثل زوجي من أهالي الراين . ولست أدري هل تعرف حقيقة الحال في بلاد الصلب » . فقال « ان أبي من رجال الصلب يا سيدتي وزيرة الرايخ » فقالت « هكذا » . اذن تستطيع ان تتصور أهمية العمل والعمال في الرور . وكان الحمر يعتبرونه ميدانهم . فلم يعد جزءا من ألمانيا بل من روسيا . وقد كدرب روبرت الى على العمل باغاراته على اجتماعاتهم والقاء الخطب من فوق المنبر . وفي كثير من المرات كان قميصه ينزع عن ظهره . ولكنه يستمر في الخطبة . وبعد عشر سنين من النضال على هذه الوتيرة لا يمكن أن يكون شخصا مهذبا في جميع الاحوال » فقال « لقد سمعت عنه حكايات كثيرة » فقالت « وهو الآن على رأس جبهة العمل عندنا وقد حطم

الاتحادات الماركسية وسجن الزعماء الذين كانوا يستغلون عمالنا الالمان
ويمزقون الوطن اربا بحرب الطبقات . وهذا نصر شخصى عظيم للدكتور
لى . ولعله مسرف فى اعتزازه به بعض الشيء . فهو ما تطلقون عليه معشر
الامريكيين لفظ « الراس المتورم » كناية عن الفرور ، وابتسمت السيدة
وزيرة الرايخ فابتسم لانى . واستطردت « واعتقد انه رأى يهوديا غنيا
يفادر البلاد فى يخت خاص اقتناه بالوسائل التى جعلت اليهود مكروهين
جدا فى بلادنا . ولعله خطر له أن يحصل على هذا اليخت ليكون مستشفى
لعمال الحزب الاشتراكي الوطنى الذين اعتدت عليهم عصابات الشيعيين
بالضرب واطلاق الرصاص » فضحك لانى قائلا « ألم أقل لك يا سيدتى
وزيرة الرايخ . لقد أكد لى هاينريش اننى ان جثتك سأحصل على حقيقة
الموقف . فلتأخذ جبهة العمل اليخت ولتعطنى والد زوج اختى ولنعتبر
ذلك صفقة مفروغا منها . وسنعتبرها منة وفضلا » .

- ١٠ -

وسمع صوت اغلاق الباب فقالت ماجدة جوبلز « أظن القادم وزير
الرايخ ، ونهضت ونهض هاينريش . فحدت ايما ولانى حذوها . لانك
ما دمت فى برلين فينبغى أن تصنع ما يصنعه البرلينيون ولا سيما حينما
تلمس المكرمات من عضو فى الوزارة له منزلة تربو على منزلة الملوك فى
هذه الايام .

وظهر يوكشن جوبلز فى فرجة باب حجرة الاستقبال . وكان قصيرا
حقا ولكنه ليس من القصر كما تراهى للانى عندما رآه واقفا على المنصة
فى أحد الاجتماعات الجبارة . وهو يطلع فى مشيته ظلعا لا يمكن اخفاؤه .
وله وجه نحيل ينتهى بقمة هى انفه الحاد وله قم واسع مرسوم باحكام
يبدو كالفناع الاغريقى عندما يفتح ليتكلم . وعيناه بارزتان وشعره
الاسود مرجل الى الخلف من جبهة منحسرة واذناه الواسعتان معلقتان
بقمة راسه . وله أيضا مخ ولسان . ولكن مخه سطحي الا انه يضم كل
ما هو ضرورى لامتناع مائة ألف برجوازي المانى صغير محتشدين فى
استاد مزين بالصلبان المعقوفة . أما لسانه فعاد كلسان الثعبان ويسيل
منه السم مثله أيضا . وذهن جوبلز مكس بوقائع مشينة لكل شخص
وجماعة وأمة يمكن أن تصدى لمعارضة الاشتراكية الوطنية .

ومخيلته المتلهفة تستطيع أن تخترق ما تشاء من الوقائع بحيث

يجارى أى شاعر أو قصاص عاش على وجه الأرض . ولم يعد هناك فارق بين الخيال والحقيقة لدى الدكتور يوكثن . وهذا الرجل القصير السوقي له فى داخل ألمانيا سلطان تام ومسئولية لا معقب عليها على الصحف والافلام والاذاعة والمسرح والادب والفنون وجميع المعارض والمهرجانات والاستعراضات والاجتماعات والمحاضرات فى أى موضوع كانت ، وكتب المدارس والاعلانات والعلاقات الثقافية من أى نوع كانت بين ألمانيا والعالم الخارجى بما فى ذلك تلك المنظمات والنشرات التى تقوم بالدعاية للنازى فى عشرات من الامم . ان هذا الرجل القبيح الاسمر المشوه الذى يثير الرثاء لديه ميزانية تعادل مائة مليون دولار فى السنة للتفنى بمحاسن الآرى الكامل الاشقر الجميل .

وهو فى حياته الخاصة انيس حاضر النكتة واسع الحيلة سريع البديهة فى الجدل . مستهين تماما بقية عمله بحيث تستطيع ان تعابشه فى صدد ما يصنع وتتنذر به فيتندر معك أيضا بنفسه فالعالم كله مسرح وجميع من عليه من الرجال والنساء مجرد ممثلين . فكيف وجدت ماعرضته عليك الليلة ؟ وكجميع الممثلين العظام الحقيقيين كان الهر وزير الرايخ الدكتور جوبلز يعمل باجتهاد ودأب فظيعين . تدفعه عزيمة حديدية للوصول الى القمة فى مهنته والبقاء فوق القمة رغم أنف جميع المنافسين له . ولقد كان فى بداية حياته العملية خصما عنيدا لحزب النازى ولكن الحزب عرض عليه مرتبا اكبر فاعتنق مبادئه على الفور . وها هو الآن فضلا عن كونه وزير الارشاد القومى والدعاية قد أصبح قائد منطقة الحزب فى برلين ومدير « الهجوم » وهى صحيفة النازى القوية فى المدينة .

وقد سره ان يجد امريكيين ثريين من ذوى النفوذ فى بيته . فمن واجباته ان يستقبل امثالهما ويشرح لهم الاشتراكية الوطنية . وكان سريعا فى قراءة الطبائع وملاحظة ما يقوله لمكانة سامعيه ومعتقداتهم . وللمرة الثالثة هذا المساء سرد لاني قصته ، واصفى الدكتور وزير الرايخ بانتباه . فلما سمع ختامها التفت الى زوجته قائلا « ها قد رايت يا ماجدة . هذا الرجل بلطجى الحانات وفتوة المذبح » لى ، « امثل هذا الجلف يمثلنا امام العالم الخارجى ويورطنا فى اعمال عصاباته » . فحذرته ماجدة قائلة « حذار » . ولكن زعماء النازية فوق مستوى تحذيرات زوجاتهم . قال جوبلز قائلا « بلطجى سكير يريد ان يسيطر على جميع العمال الالمان وهو لا يستطيع السيطرة على نفسه » . هل رايت ذلك المنظم العظيم عندنا يا مستر بد ؟ فأجابه « فيما أعلم لا ياسيدى وزير الرايخ » فقال « انه

وغد صخاب بطنه كالقدر لا يستطيع الحياة من غير أن تكون الفنية الى
جواره .

ويحب سرد النكات وينفجر ضاحكا فتتطاير على المحيطين به كمية
عظيمة من الرذاذ . وهو الذى ينشئ الان صرح جبهة العمل الجديدة .
ولا بد له فى ذلك من الميلودراما . فهو يصر على الاغارة بنفسه على مقر
ادارة الاتحادات هنا فى برلين . ولا تكفيه المسدسات والقنابل اليدوية
بل لا بد من تركيب المدافع الآلية أمام الأبواب للقبض على الطفيليين
الجبنة البدناء من قادة اتحادات العمال الذين يجسسون عناء فى النهوض
من كراسيهم الدوارة بغير معاونة . وهكذا أصبحت الامور فى بلادنا
المعروفة بالضبط والربط . وبذلك سنحول برلين الى شيكاغو اخرى
ونطلق يد القراصنة والخطافين للعمل فى شوارعنا . ارجو الا اكون قد
أسأت اليك بهذه المقارنة يا مستر بد ، فضحك لا نى قائلا « اطلاقا فوطن
ابائى وأجدادى يبعد الوف الامبال عن شيكاغو ونحن أيضا قد لاحظنا
أحيانا نقائص الطبيعة البشرية تطل برأسها فى نظامنا السياسى الكامل » .
فقال الدكتور وزير الرايخ « أرايت . » ثم ثاب الى الجد فقال « انى
أترك اجراء العدالة للسلطات المختصة . ولكن حين يتعلق الأمر بشخص
له سمعته الدولية فمن حقى بالتاكيد أن استشار . وأعدك أنى سأنظر
فى الأمر أول شئ فى الصباح وسأبلغك ما اصل اليه » فقال لانى « أشكرك
كثيرا جدا هذا كل ما أطلبه » .

ويبدو أن الرجل العظيم القصير لاحظ نظرة القلق على ملامح زوجته
الرقيقة فأضاف « ومفهوم طبعاً أنى لا أعرف الجريمة المتهم بها صديقك
اليهودى . ولا أعرف أيضاً هل للدكتور لى ذى النشاط المفرط علاقة
حقيقية بالموضوع . فلنترك أذهاننا مفتوحة لجميع الاحتمالات الى أن نعرف
بالضبط ما حدث » فقال لانى على الفور « ان ما قلته منذ قليل لى لن يتجاوز
شخصى وحده أوكد لك فلست هنا لأثير اللفظ بل لأوقفه . » .

- ١١ -

استرخى وزير الرايخ للارشاد القومى والدعاية فى مقعده ورشق
النبيذ الذى صبته زوجته له وللضيوف ثم هتف « والآن أخبرنى ما
رأيت فى خطبة زعيمنا » فشرع لانى يكرر ما قاله سابقا لابن مراقب
الغابات . وانشد الانشودة الايطالية الثنائية الجميلة مرة اخرى لمساعدته

« فأتيت يوبشن انه مفن (تنور) أكثر رومانسية من هاينريش . فما من لغة مهما كانت حرارتها يعجز عن استخدامها في الشناء على هتلر . وادرك لاني الموقف . فلنائب من نواب الزعيم كل الحرية في انتقاد زملائه نواب الزعيم من أمثال لي وشتراسر وهيس ورهم . أما الواحد العظيم فهو الكمال المطلق . ويجب ان يغطى بطبقة كثيفة من زبد التملق . وكان هاينريش قد أخبر لاني ان بيت آل جوبلز أمسى مزار « آدى » المفضل حينما يكون في برلين . وتحرص ماجدة على أن تكون صحائف الخضروات التي يحبها معدة له دائما ويعد تناولها يسترخى ويصفي للموسيقى ويلعب مع طفلها . ولم يكن لاني بحاجة الى أن يقال له أن الدساس الداهية يستغل هذه انفرصة ليملا ذهن زعيمه بأرائه الخاصة في شتى الشخصيات التي تتشابه حياتهم مع حياته . وعلى هذا النحو يساس المواهل وتتم السيطرة على مصائر الدول .

وزير الرايخ للارشاد القومى والدعاية يستمتع بكل جانب من عمله وينكب عليه ليل نهار . وها هو أمام أمريكيين ثريين حسنى الهندام يبدو أن أحدهما على الأقل ذكى . فخطر له ما ظل هاينريش يفكر فيه طيلة السنوات الاثنى عشرة الأخيرة . وهو أن يرسل لاني الى الخارج مبعوثا لنشر الايمان بالنازية في البلاد التي يعتبرها بمثابة اوطان له . فقال جوبلز « كل ما نريده نحن الاشتراكيين الوطنيين أن نترك وشأننا بحيث نستطيع اعادة تنظيم صناعة بلادنا وحل مشكلة البطالة بالأعمال العامة فيرى العالم كيف يمكن أن توجد الدولة النموذجية . وليس هناك ما نجنيه على الاطلاق من ارغام الشعوب الأخرى على اعتناق افكارنا » فقال لاني « منذ عشر سنوات قال لي موسولينى أن الفاشية ليست للتصدير ولكننى منذ ذلك الحين أراه يصدرها الى المانيا » وادرك الدكتور وزير الرايخ أنه بازاء شاب ذكى بالرغم من ثيابه المتقنة الصنع وزوجته الثرية فاعترف قائلا « لقد تعلمنا حيثما استطعنا » فابتسم الآخر وقال « حتى من لينين » فقال جوبلز « ان أجبت عن هذا السؤال ياسيد بد فيجب أن يكون ذلك كما تقولون معاشر الأمريكيين كلاما ليس للنشر » فقال لاني « طبعا ياسيدى وزير الرايخ . وينبغى أن أوضح لك أنه كان من حسن طالعى أن عملت سكرتيرا ومترجما لأحد الخبراء في الوفد الأمريكى الى مؤتمر السلام ، فتعلمت هناك كيف تجرى الشئون الدولية . وتعلمت أيضا كيف أكم آرائى واحتفظ بمعلوماتى لنفسى » فسأله جوبلز « انت أسن من عمرك ياسيد بد أم أنت أسن مما تبدو من مظهرك ؟ » فأجابه « كنت فى التاسعة عشرة يومئذ فحسب . ولكنى كنت قبل ذلك قد

عشت فى جميع أنحاء أوربا وعرفت اللغات خيرا من أى جغرافى تخرج
مما نسميه فى ولايات الغرب الوسطى كلية المياه العذبة ، فاختلط الأمر
على وزير الارشاد القومى وظن المعنى المياه الباردة لا المياه العذبة لغموض
الكلمة فى اللهجة الامريكية ، فلما صحح له لانى الترجمة ضحك الاثنان
من غرابة التعبيرات الامريكية ، ثم قال جوبلز « يخيّل الى أنك فيلسوف
ياسيد بد » وأنا أيضا لى تطلعات فى هذا الاتجاه • ولكن مشاغل الدنيا
استأثرت بى • فخيرنى بأمانة وبدون روغان ما الذى ستفهمه أوربا
وامريكا من خطبة الفوهرر ؟ » فأجابه « سيسرون منها بالطبع ولكنهم
سيدهشون من لهجتها المهدبة • والمتشككون سيقولون انه يريد تحاشى
التأعب الى أن يتسع الوقت أمام ألمانيا لاعادة تسليحها ، فقال جوبلز
« فليتعلموا احدى عباراته وهى ان ألمانيا لا تريد شيئا سوى الحفاظ على
استقلالها وحماية حدودها » فقال لانى « نعم ياسيدى وزير الرايخ • ولكن
ثمة أحيانا شك فى موضوع الحدود أين هى وأين ينبغى أن تكون » فلم
يسع الآخر الا أن يبتسم ولكنه أصر قائلا سترى أن تسليحنا كله
دفاعى • فنحن غارقون تماما فى مشكلات اقتصادنا • وننوى أن نثبت
سلامة الاشتراكية وقوتها فى اسم حزبنا ونرى العالم الخارجى وشعبنا
أن مشكلات البطالة من الممكن حلها • ففى مدى خمس سنوات - لا بل
أجرؤ أن أقول فى مدى ثلاث سنوات لن يبقى فى ألمانيا رجل واحد يريد
العمل ولا يجده » فقال لانى « سيكون ذلك شيئا يستحق أن نتطلع اليه
فعلا ياسيدى وزير الرايخ » فشرع الرجل العظيم يشرح له كيف يمكن
ذلك • ومن الغم الخارق الاتساع تدفق طوفان من الكلمات وكان لانى
قد لاحظ ذلك الشئ بعينه لدى هتلر وموسولينى ولدى دعاة كثيرين أقل
منهم • فهم جميعا ينسون الفارق بين أربعة من السامعين وأربعة ملايين -
ويبدلون من طاقاتهم للأولين والآخرين جهدا متساويا ومضى يوبشن
يتكلم • ولعله كان حقيقيا أن يستمر فى الكلام طول الليل • لولا أن
زوجته اللبقة تخيرت فرصة كان يلتقط فيها نفسه فقالت « ان السيد
الدكتور وزير الرايخ قضى يوما فى العمل الشاق وأمامه مثله فينبغى أن
يحظى ببعض النوم » • فنهض الآخرون على أقدامهم فورا وبذلك فاتهم
الحديث عن طريق السيارات السريع الذى تعتزم الحكومة الجديدة انشاءه
فى جميع أنحاء ألمانيا وشكروا الضيف والمضييفة وانصرفوا مسرعين •

وبعد أن أوصلا هاينرش الى بيته وصارا وحدهما في أمان بالسيارة.
قالت إيرما « أعتقد أنك وصلت الى هدفك ؟ » فأجابها « لا نستطيع التنبؤ
بشيء في عالم الدسائس هذا . فسوف يقلب جوبلز الامر في ذهنه ويقرر
اين مصلحته » وكانت إيرما قد فهمت قليلا من الحديث هنا وهناك
فقالت « انك على الأقل أقيمت القذارة على الدكتور لي » . فأجابها زوجته
« نعم . وان أسعدتنا الظروف بمقابلة الدكتور لي فسنلقى القذارة .
الدكتور جوبلز ؟ » .

**** معرفتي ****
www.ibtesama.com
منتديات مجلة الإبتسامة

الفصل الثامن عشر

هنا أنا

لم يكن في نية لاني ان ينفذ اقتراح ابيه بالتوجه الى السفارة الامريكية فالمحقق الذي كان صديقا قديما لروبي لم يعد موجودا هناك . والسفير ممن عينهم هوفر وهو شيخ جمهوري سابق من كنتاكي والرجل النموذجي في نظر روبي بد ، بيد انه كان مريضا فذهب الى فيشي بفرنسا . ومن هناك ادلى بحديث صحفي يدافع فيه عن نظام النازي . اما من جهة لاني نفسه فهو لم يكن يتوقع متاعب جدية ، ولو واجه المتاعب فسوف يلجأ الى السفارة لاجراجه من ورطته . وقد اتفق مع ايرما على انه عند خروجه وحده يحدد موعدا لعودته . فان عاقه عائق اتصل بها تليفونيا ، فان لم يفعل ابلغت عنه باعتباره مفقودا .

وفي الصباح اخذا الامور في يسر فتناولوا الافطار في الفراش وطالعا الصحف التي تضمنت احاديث معهما وبيانا مفصلا عن اجتماع الرايشتاج . واخبار النازي الأخرى . وكاتب تعليقاتهما حذره لانهما يجب ان يتوقعا وسيلة من وسائل التجسس . وما لم يكونا وحدهما في السيارة فكل شيء في ألمانيا رائع ، ولا يستخدمان الاسماء الصريحة بل كنيات عنها . فهاينريش اسمه « الأري » وجوبلز اسمه « الفم » وعقيلته « السيدة فم » وهي كنيات خالية من الاحترام ، ولكنهما شابان وتصرفاتهما فيها ذكاء .

وحدث اتصال تليفوني من جانب فريدي ، ولكن لاني عرف صوته فقال على الفور « لقد راينا طائفة من صور بوجيروا في الليلة الماضية ونحن في انتظار حديث تليفوني جدد لنا السر . واتصل بنا فيما بعد ، » ثم جلس فكتب خطابا قصيرا الى السيدة دنجل في باريس ارفق به قصاصات شتى من الصحف قائلا « سوق الصور تبدو مشجعة

ونأمل القيام بالمشتريات سريعا . الكلارينيت والآلات الأخرى بحالة طيبة » .

وفيما هو يكتب اتصلت الأميرة دونر شتاين تليفونيا - وهي إحدى صديقات إيرما - لتدعو الزوجين الشابين للغداء ، فطلب لاني من إيرما أن تقبل الدعوة بالنسبة لنفسها لأنها تضيع وقتها بالجلوس أثناء المقابلات الطويلة . والحاديث مع المسؤولين باللغة الألمانية فلتخرج وتشر النبا الخاص بيوهانس لتعرف رد الفعل لدى المجتمع الراقي عن اختفاء قطب المال اليهودي وسينتظر لاني شخصيا في جناحهما لتلقى الرسائل .

وفيما هما يرتديان ثيابهما رن جرس التليفون . وكان المتحدث هو السكرتير الخاص للسيد وزير الرايخ الدكتور جوبلز معلنا ان السيد وزير الرايخ يريد ان يخبرك انه اخذ على عاتقه المسؤولية الكاملة عن الموضوع الذي لفت اليه نظره . وسيتصل بك بمجرد فراغه من التحقيق فيه . فشكره لاني ثم قال لزوجته « لا انا نصل الى نتيجة ! » فقالت إيرما « لقد كان حقيقة شخصا لطيفا بالاني » فتطلع اليها متوقعا غمرة صغيرة من عينها ولكنها فيما يبدو كانت تعني ما قالت . وكان يود أن يقول لها « انها لخسارة ان خطبه العلنية ليست في لطافة احاديثه الخاصة » . ولكن ذلك لا يمكن أن يقال الا في السيارة » .

واضاف حاشية الى رسالته لأمه : « لقد وصلني الآن ما يبرر الأمل في سرعة انجاز صفقتنا » . وكان على وشك ان يعرض على إيرما ان يصحبها الى الغداء عندما طرقا على الباب وقدم اليه أحد السعاة بطاقة قرا عليها « الهر جوتتر لودفيج فورتغنجلر رئيس الدائرة الرابعة بلجنة التحقيق والتحكيم بحزب العمال الألماني الاشتراكي الوطني » . ولم يتوقف لاني ليحل الغاز هذه الحروف الألمانية المتشابكة بل قال « دع السيد يصعد » . ثم اخذ يفحص البطاقة فاستطاع ان يكون فكرة عن زائره لأن الألمان لا يضعون عادة اللقب هر على بطاقتهم ، اذ يعتبر ذلك من باب الفجاجة .

ودخل الضابط حجرة الاستقبال فصك كعبيه وانحنى بخاصرته . وقال « هايل هتلر » . صباح الخير ياهربد ، وكان رجلا لم يجاوز الشباب يبدو انيقا في كسوته الفضية السوداء الخاصة بكتائب الأمن وعليها الجمجمة البيضاء والعظمتين المتقاطعتين « اشرف ياهربد بابلاغك انني عينت بالأمس في الحاشية الشخصية لوزير الرايخ ورئيس وزراء بروسيا النقيب جورنج ، ورتبتي ملازم أول ولكنني لم أجد بعد متسعا من الوقت

تطبع بطاقات جديدة • وصاحب السعادة يرغب فى دعوتكم وفراو بد
لاحتفالاته الافتتاحية التى ستقام بعد غد « فقال لانى مخفيا دهشته »
لنا عظيم الشرف ايها السيد الملازم اول « فقال : « واقدم لكما بطاقة
الدخول هذه . ومفهوم طبعا انه من الضرورى ان تحملها معك » فقال
لانى : « بالتأكيد » ووضع الكنز الثمين فى موضع امين داخل جيب سترته
فوق صدره . واستطرد الآخر « وصاحب السعادة رئيس الوزراء يريد
ان يحيطك علما بانه يولى موضوع يوهانس روين اهتمامه الشخصى
العاجل » فقال الامريكى « اشكرك ايها الملازم اول » وفى هذه المرة لم
يستطيع اخفاء دهشته فاضطر ان يفسرها له « منذ بضع دقائق اتصل
بى مكتب وزير آخر من وزراء الرايخ واخبرنى ان الوزير اخذ المسألة
على عاتقه » فقال الضابط « لدى تعليمات ان احيطك علما بانك اذا
صحبتنى الى مقر صاحب السعادة رئيس الوزراء فسيتولى شخصيا
احاطتكم علما بالموضوع » فاجابه لانى « لى الشرف وأنا يسعدنى بطبيعة
الحال ان اذهب . اسمح لى بلحظة ريثما اخبر زوجتى . » وشعب
وجه ايرما عندما اخبرها بذلك النبا لانها كانت قد سمعت عن جورنج
الذى لم يظهر له منافس حتى الآن فى لقب اشد رجال حكومة النازى
وحشية . وسالته « هل من الممكن ان يكون هذا بمثابة القبض عليك
يالانى ؟ » فابتسم وقال « من فساد اللدوق الشديد ان يخطر ببالنا ذلك .
سأتصل بك حتما فى قصر الاميرة دونر شتاين فى الساعة الثانية .
انتظرى ذلك هناك فان لم اتصل بك فقد يكون الامر خطيرا . ولكن فى
هذه الاثناء لا تفسدى غداءك بالقلق . ومنحها قبلة سريعة ثم هبط
الى السيارة الرسمية الكبيرة ، وهى مرسيديس فى حجم المصفحات لها
ست عجلات ولها سائق وحارس وكلاهما فى الكسوة النازية . وقال لانى
لنفسه « بحق الجحيم اذ لابد ان يكون يوهانس أغنى بكثير مما أعلم ! » .

- ٢ -

وبعد رحلة قصيرة بالسيارة فى شارع تحت ظلال الزيزفون وتحت
بوابة براند نبرجر وصلا الى المقر الرسمى لرئيس الوزارة عبر الشارع
فى مواجهة الرايشستاغ بقبته المحترقة ، وكان لانى قد سمع مناقشات
لا نهاية لها عن نفق طوله ثلاثمائة قدم يمر تحت ذلك الشارع ، ويقال
ان رجال كتائب الهجوم اخترقوه ليلا ليمثلوا المبنى بالمواد الحارقة ثم
اشعلوا فيها النار بالمشاعل . وكل العالم غير النازى يعتقد ان هيرمان

فيلهام جورنچ كان قد أمر بهذا الحريق ودبره . وبقينا انه ما من احد يمارى في انه هو الذى أمر ودبر اصطباد وقتل وسجن وتعذيب عشرات الالوف من الشيوعيين والاشتراكيين والديمقراطيين وانصار السلام خلال الثلاثة شهور ونصف الماضية وبصفته وزيرا بدون وزارة في الرايخ الالماني اصدر قرارا رسميا الى الشرطة بالتعاون مع القوات النازية . وفي خطبة له بدور تموند دافع عن قراره هذا قائلا : في المستقبل لن يكون سوى رجل واحد فقط يستخدم السلطة ويتحمل المسؤولية في بروسيا . وهذا الرجل هو انا . فكل رصاصة تنطلق من فوهة مدس رجل من رجال الشرطة فهي رصاصتى فان قلت ان هذا قتل فاننا اذن القاتل وانا لا أعرف الا نوعين من القانون لاني لا أعرف الا نوعين من البشر : من هم معنا ومن هم ضدنا » .

ومع مضيف كهذا كل شيء ممكن . ولا جدوى من محاولة لاني ان يخمن ما سيحدث . فما الذى استطاع ان يعرفه قائد الشرطة البروسية ومؤسس الجستابو وهو شرطة الدولة السرية عن ذلك الوردى الامريكى الفرنسى في مدى بضع ساعات ؟ لقد كان لاني متهورا حين ذكر لجوبلز انه قابل موسولينى . فهل اقدموا على اتصال تليفونيا بروما وعرفوا كيف طرد ابن بد من المدينة لمحاولته نشر نبذ مقتل جاكومو مابيتونى ؟ هل من الجائز انهم اتصلوا تليفونيا بكان وعرفوا شيئا عن مدرسة العمال ؟ او بباريس وعرفوا شيئا عن خاله الاحمر واكتتابات ايرما بادنز في الحملة الانتخابية التى جعلت منه نائبا فرنسيا ؟ ان لاني يستطيع ان يتظاهر انه مناصر للنازى امام هاينريش يونج ، ولكنه لا يستطيع بسهولة ان يتظاهر بذلك امام اكبر رجل قوى حازم من بطانة الفوهرر ! .

ان كل شيء يبدو غامضا الى اقصى حد . وقال لاني لنفسه : هل حول جوبلز الموضوع الى جورنچ ، أم أن جورنچ انتزعه من بين يدي جوبلز ؟ هل ان الجميع يعلمون ان الاثنين الد المتنافسين ولكن منذ صارا عضوين في الوزارة فمكتباهما يجب ان يتعاونتا حتى في شتى الامور . فهل بينهما منازعات على الاختصاصات ؟ وهل يمكن ان ينشب بينهما صراع حول امتلاك ذلك اليهودى الثرى والفدية التى يمكن استخلاصها منه ؟ ان جورنچ يصدر أوامره الى شرطة برلين فى حين يقود جوبلز باعتباره قائد منطقة برلين جهاز الحزب هناك ، وبالتالي له القيادة على ذوى القمصان البنية . فهل يمسى يوهانس روبن المتهاك على ركبته سببا في حرب أهلية ؟ .

وثمة أيضا خواطر أشد من هذه غرابة : كيف استطاع جورنج ان يعرف مسألة يوهانس روبن ؟ اله جاسوس فى بيت جوبلز ؟ او فى مكتب جوبلز ؟ أم هل اخطأ جوبلز فاتصل تليفونيا بأحد أقسام الاستعلامات الكثيرة التابعة لجورنج ؟ وتخيل لاني دسائس كخيوط العنكبوت تنسج حول قضية روبن ، ولا يستغرق نسجها طويلا حين يتم ذلك عن طريق اسلاك التليفون .

- ٣ -

وادخلهما الحجاب فى كسواتهم الرسمية مشيعين بالانحناء ، وقاد سكرتير لاني فصعد به سلما عريضا الى حجرة باذخة ذات سقف مرتفع فاذا الرجل العظيم يجلس متكاسلا فى مقعد كبير وثير واثى جواره كومة من الاوراق فوق منضده صغيرة ، والى جواره من الناحية الاخرى منضده عليها مشروبات وكان لاني قد شاهد صورا كثيرة للرجل فكان يعرف ما يتوقع ان يراه . فهو رجل كالجبل له وجه عريض مقطب وغيب ضخم وشفتان غائرتان واكياس من الدهن تحت عينيه . وهو فى الاربعين من عمره لا يزيد ولكنه اصاب تضخما عظيما فى الصدر والبطن يغطيهما بكسوة رسمية زرقاء زاهية ذات قلابات بيضاء . وحول عنقه شريطان ابيضان معلق عليهما نجم ذهبى له أربعة أطراف مزدوجة . وكان حب الطيار السابق للسلطة بحيث جعله يتولى مزيدا من المناصب على التوالى ، فهو وزير من وزراء الرايخ بغير وزارة ورئيس وزراء بروسيا ووزير الطيران والقائد الأعلى لقوة الطيران الألمانية وكبير مراقبى الغابات فى الرايخ ومندوب الرايخ المفوض . ولكل منصب من هذه المناصب يتخذ كسوة رسمية جديدة زرقاء سماوية أو بلون الزبد البقرى أو حمراء وردية . ولن يمر وقت طويل قبل ان يخترع أحد ارباب الفكاهة فى برلين قصة هتلر يحضر عرضا لاوبرا لوهنجرين فيستغرق فى النوم ، وبين الفصول يقبل اليه كبير المغنين فى كسوته الفخمة التى تمثل زورق البجع وفى نيته أن يقدم احترامه الى الفوهرر ، فيستيقظ هتلر من غفوته ويفرك عينيه ويصيح به لا . لا يا هيرمان ! هذا كثير ! .

وكان جورنج التالى لزعميه مباشرة فى الشهرة بين النازيين فقد كان فيما مضى من أبطال الطيران وقد أبدى شجاعة فائقة ، ولديه قدره المانية خارقة على الجمع بين الضراوة والتسامح ، فهو مع خلافه متبحر

انيس كثير التنكيت سكير صخاب يشرب الباطية باكملها وله قدرة على استيعاب كميات غير محدودة من البيرة . وقصارى القول انه من أبطال الاساطير التوتونية الاقدمين ، اولئك المحاربين الذين يقضون النهار بطوله في ذبيح اعدائهم وفي الليل يشربون الانخاب بايديهم التى لم يفلوها من الدماء . فان قتلوا اقبلت الفلكيرى (وهن عذارى المعبود اودين اللواتى يطفن ساحات المعارك ليتخيرن الشجعان لادخالهم الجنة) على ظهور خيولهن السريعة ليحملنهم الى الفلهلا (وهى الجنة فى الديزة الشمالية القديمة الوثنية) ليشربوا الانخاب بعد ذلك الى الابد .

- ٤ -

كانت اول خاطرة للانى « هذا ابغض البشر ! » ولكن الخاطرة الثانية التى وافته فى اعقابها مباشرة « انا معجب بجميع النازيين ! » فانحنى امامه بالطريقة الصحيحة وقال « طاب صباحك يا صاحب السعادة » فقال النقيب فى صوت مقمع كخوار الثور : « طاب صباحك يا سيد بد . تفضل بالجلوس ، واشسار الى كرسى بجواره فاطاع لانى . وكان قد قابل كثيرين من عظماء الارض فى سنوات عمره الثلاث والثلاثين فتعلم كيف يعاملهم باحترام ولكن بغير تدلل ، والاسلوب الأمريكى الذى ظل مقبولا حتى الان . وكان يعلم ان على المضيف ان يذكر لماذا استدعاه للحضور فى الوقت نفسه اذعن لتظرات التفحص فى صمت . وقال الرجل العظيم اخيرا « ياسيد بد . هل رايت صحف هذا الصباح الصادرة فى باريس ولندن ؟ » ولما كان لانى قد سمع ان جورنج لديه حاسة الفكاهة فقد اجابه قائلا « ليست لى مزية امتلاك اسطول جوى يا صاحب السعادة » فقال مضيفه وهو يتسم « بل اننى احيانا اعرف ما فى هذه الصحف تليفونيا فى الليلة السابقة لصدورها . ان صحف هذا الصباح فيها قصة مفادها ان مرايبا يهوديا اسمه يوهانس روين قد اختفى فى المانيا واسنا حريصين على ان ياخذ العالم الخارجى انطبعا عنا اننا بصدد اقتباس العادات الامريكية ولذا امرت باستقصاء الموضوع على الفور ، ومنذ قليل اخبرت الصحف ان هذا المستفل قد قبض عليه بصورة شرعية لمجاواته اخراج مبلغ هائل من الاموال من بلادنا معه على ظهر يخته . وهذا كما قد تعلم امر يحرمه قانوننا . » فقال لانى « يؤسفنى ان اسمع هذا النبأ يا صاحب السعادة » فقال : « ان السجين حقيق ان يعاقب بعش سنين مع الاشغال الشاقة وستكون

شاقة جدا حقا اؤكد لك ، فقال لاني « هذا طبيعي يا صاحب السعادة .
ولا استطيع ان اقول شيئا عن هذا الموضوع قبل ان اسمع جانب يوهانس
من القصة . فقد كان على الدوام مواطنا حريصا على طاعة القانون .
وانا واثق بانه ان كان قد خرق القانون فعلى سبيل السهو . فقد كان
شارعا في رحلة بحرية بالنيخت ، والمرء لا يستطيع ان يبحر الى بلاد غريبة
من غير ان يكون لديه اموال نقدية على ظهر يخته لشراء الطعام وللاوقود .
» فقال جورنج « من الضروري حتما الحصول على ترخيص من مراقبة
النقد ، وسجلاتنا تدل على ان مثل هذه الوثيقة لم تصدر وهذا القانون
نافذ منذ اكثر من سنة وقد تم الاعلان عنه بصورة وافية ولا يسعنا ان
نرى وطننا تستنزف ثروته القومية او نقودنا السائلة وقد هبطت قيمتها
في اسواق العالم . ونحن نجد في الوقت الحاضر - بسبب سفالة
النشوعين واليهود الذين حكموا المانيا - ان احتياطي الذهب لدينا قد
هبط الى ثمانية ونصف في المائة وحياة دولتنا صارت في خطر بسبب
نشاط هؤلاء المستغلين الخزائير . وقد اقرر توجيه ذلك الاتهام اليه فعلا . » فقال
لاني « هذا طبيعي يا صاحب السعادة واني شديد الاسى لسماع هذا
كله . فهل في نيتكم ان تسمحوا لي بمكرمة الاجتماع بالسجين ؟ » فقال
جورنج « هناك شيء اهم من حماية عملة الرايخ ، الا وهو حماية سمعته
الطيبة فقد اثار استنكارنا ما يقال من التثديد والتشنيع الدائم عن
طريق اعداء نظامنا وفي نيتنا ان نتخذ جميع الخطوات الممكنة ضد هؤلاء
الشياطين » . فقال لاني « استطيع ان اؤكد لك يا صاحب السعادة
انه فيما يتعلق بيوهانس لا توجد مثل هذه الدوافع فهو شخص غير
سياسي اطلاقا وقد ذهب الى ابعد مدى في حرصه على السلوك الودي .
فقال رئيس الدولة البروسية « اني بسبيل اتخاذ خطوات لاكتشاف
من هم هؤلاء الاصدقاء . وعندما اصل اليهم سأعدهم رميا بالرصاص » .

كانما قد اطلق الرصاص على لاني على نحو ما ، فقد ابصر من
وراء تلك الكرات من الشحم عيينين زواقوين بارزتين تحدقان فيه فادرك
ان ذلك النسر الحربي طير مميت من الطيور الجوارح . واستطرد جورنج :
« فلنصل الى موضوعنا يا سيد بد . اني مستعد للتفاوض معك . ولكني
اطلب منك كلمة الشرف باعتبارك سيدا مهذبا ان اية معلومات افشى
بها اليك او مقترحات اعرضها عليك ستظل سرا شديدا بيننا الان وفي
المستقبل . وهذا يعني بالضبط ما اقوله حرفيا ، وسبب مقابلاتي اياك
اننى سمعت عنك انك رجل يحافظ على عهوده » . فقال لاني « لست

أدري من الذى قال عنى هذه الكلمة الطيبة يا صاحب السعادة ، ولكنى
أؤكد لك انه لا رغبة لى فى هذا الموضوع سوى مساعدة صديق قديم
تربطنى به المصاهرة فى الخروج من المازق الذى تردى فيه . فان سمحت
لى ان اصنع ذلك ثنى ان لا يوهانس ولا انا ستكون لنا مصلحة فى اذاعة
شيء عن هذه المسألة المنكودة ، فقال جورج « حدث ان هذا الموضوع
يداه غيرى ، ولكنى اخذته الان على عاتقى . وكل ما سمعته خلاف
ذلك يجب ان تفض النظر عنه . فيوهانس روبن اسيرى وانا مستعد
لاطلاق سراحه بشروط معينة . وهى شروط نازية لن تحبها وهو
بالتاكيد لن يحبها . ولك ان تنقلها اليه وتنصحه بقبولها او عدم
قبولها . ولست أضغط عليك وانما اشترط عليك الشرط الذى ذكرته
لك آنفا : وهو بقاء المسألة فى طى الكتمان ، ويجب ان توافق على الا
تميط اللثام عن هذه الوقائع لاي انسان ، وان يوافق يوهانس على
ذلك أيضا » فأله لانى « ولنغرض ان يوهانس لا يريد ان يقبل
شروطك يا صاحب السعادة ؟ » فاجابه « ستكون مقيدا بعهد الكتمان
سواء قبل الشروط او رفضها . وسيكون هو مقيدا بذلك العهد أيضا
ان قبلها . أما ان رفضها فليس لذلك أهمية لانه لن يتحدث الى أى
إنسان بعد ذلك » فقال لانى « هذا واضح بما فيه الكفاية فيما يتصل
به . ولكنى لا أفهم لماذا ادخلتنى فى الموضوع ؟ » فقال جورج « لانك فى
برلين ولديك علم بالقضية وانا أعرض عليك فرصة لانقاذ صديقك من
أسوأ مصر تستطيع انت أو هو ان تتصوراه . وجزء من الثمن سكوتك
وسكوته . فان رفضت العرض ستكون حرا فى الخروج الى العالم
لتقول ما تشاء ولكنك بذلك تكون قد حكمت على قريبك اليهودى هذا
بميتة ساجعلها مؤلة قدر استطاعتى . » فقال لانى « هذا واضح بما
فيه الكفاية يا صاحب السعادة . فبديهى انك تتحكم فى كما تتحكم
فى يوهانس . ولا يسمنى ان اصنع شيئا سوى ان أقبل اقتراحك » .

- ٥ -

وكان لانى يعلم ان هذا الرجل المخلوق من الدم والحديد كان
مشغولا بقلب الحكومة الالمانية رأسا على عقب فهو يطرد المسئولين من
جمع الانواع ما بين مديرى الشرطة والعمد ، بل والاساتذة والمعلمين
ويحل محلهم النازيين المتعصبين وفى هذا اليوم بالذات قالت الصحف
ان مجلس التشريعى الاصفر فى ولاية بروسيا قد دعى للاجتماع كى

يقدم استقالته الجماعية ويتسنى بذلك لجورنج تعيين هيئة أخرى من أتباعه الحزبيين . ولكن رغم كل هذه المشاغل اتسع وقته كي يشرح لزائر امريكى شاب انه وهو رأس الدولة البروسية لا يمكن ان يعتبر في عداد المتعصبين ضد اليهود ، فخصومته معهم خصومة عملية محض ، ذلك انهم طائفة أثرت من امتصاص دم الشعب الالماني المسكين بعد الحرب حتى بات هذا الشعب على شفا الهلاك « فقد اشتغل هؤلاء اليهود بالمضاربة في المارك واستغلوا لمنفعتهم اسوأ نكبة وطنية بل ابشعها في العصور الحديثة » ولك ان تنظر الى اطفالنا في المدارس يا سيد بد ولن تجد صعوبة في تمييز من ولدوا منهم بين سنتي ١٩١٩ و ١٩٢٣ بسبب حجمه الذي توقف نموه دون الحد الطبيعي .

وظل لاني يصفى بتهذيب الى رأس الحكومة البروسية وهو يستخدم الفاظا يشيع استعمالها في الثكنات ، وجانب منها لم يسمع به ذلك الامريكى المشتغل بعلم الجمال قبل الان . وفجأة هوت قبضة انه الرعد السمينة على المنضدة بضربة مدوية « اما والأمر كذلك فالى العمل ! ان اليهودي الذي اتخم وسمن على دماننا يجب ان يتقيا ماملا به جوفه . فيخته سيكون وسيلة للترفيه عن الجديرين من أعضاء الحزب . وقصره سيتحول الى متحف عام . وقد بلغنى انه يضم مجموعة حسنة الاختيار من لوحات بريشة الاساتذة الاقدمين » فقال لاني « اشكرك على هذا الثناء يا صاحب السعادة . ام لعلك تعلم انه كان لى سرور القيام بانتقائها شخصا ؟ » فومضت العينان الزرقاوان القاسيتان بين الطبقات أثقيلة من الشحم وقال « هكلدا ! اتحب ان اطلق عليه اسم متحف لاني بد ؟ » فرد عليه لاني قائلا « بل ينبغي ان يحمل المتحف اسم من انشاء يا صاحب السعادة » واستطرد جورنج والومضة لم تزايل عينيه « وفي نيتي ان انجز هذه الامور على حسب الاجراءات القانونية . وسيقوم باعداد الاوراق نائبنا العام وسيقوم المستغل بتوقيعها أمام الموثق . وسيتم البيع القانوني بمبلغ وقدره مارك واحد عن اليخت ومارك آخر عن قصره وماركات أخرى عن أنصبته في مشروعاتنا الصناعية الكبرى وبشوكنا وسيؤدي الى اتعاب عن خدماتي في الامور سالفة الذكر على صورة شيكات بكل أرصده في البنوك . وثق اتى سأصرف هذه الشيكات قبل أن يبارح البلاد . » فسأله لاني « أتتوى ألا تترك له شيئا يا صاحب السعادة ؟ » فأجاب « ان كل عملية مقايضة من هذه العمليات ستكون مقابل مارك واحد . وستكون هذه الماركات ملكا شخصا له لا ينازعه فيه أحد . أما عن الباقي كله

فمريان جئت الى المانيا وعريان اخرج منها ! » فقال لاني « اسمح لي ان اصح شيئا يا سيدى فانا اعلم بالصدفة ان يوهانس كان رجلا ثريا عندما جاء الى المانيا ، فقد كان هو و ابى شريكين سنوات كثيرة ولذا اعرف تمام المعرفة ماذا كان يمتلك » فقال جورنج « ولكنه كون هذه الثروة من المتاجرة مع الحكومة الالمانية كما قيل لى » فاجاب لاني « جزئيا نعم . فقد كان يبيع اشياء اسعد الحكومة الالمانية ان تحصل عليها وقت الحرب مثل المولدات انكهربائية المغناطيسية التى لا بد انك استخدمتها فى الطائرات التى اديت بها أعمال بسالتك المشهورة » فقال جورنج « انك شاب حصيف يا سيد بد ، وبعد انتهاء هذه الصفقة ساكون انا وانت صديقين طيبين وربما قمنا بعمليات مربحة معا . اما فى الوقت الحاضر فانت محامى الشيطان الذى كتب عليه ان يخسر قضيته . فقد كنت حتى الان لا افهم السر فى ان مولداتنا الكهربية المغناطيسية كانت كثيرا ما تخوننا فى اللحظة الحاسمة ، اما الان فقد عرفت انها بيعت لنا على يد خنزير يهودى قدر لعله افسدها بحيث نضطر لشراء المزيد منها » قال الرجل العظيم ذلك بابتسامة عريضة فكانه قطعة ضخمة قوية تلعب بفار شديد الحيوية ولكن لا حول له ولا قوة . وامامه على البساط تحت قدميه يرقد شبل اسد لم يبلغ اشده يتشاهب ثم يلحق شعرات شاربه وهو يرقب سيده يتأهب لتسديد طلعة فى مقتل . وقال لاني لنفسه « ها انذا قد عدت الى الاشوريين ! » .

- ٦ -

وخامر الزائر الشعور انه ينبغي ان يناضل قليلا فى سبيل ثورة صديقه ولكنه لن يستطيع ان يتصور كيف يشرع فى ذلك فهو لم يقابل قط فى حياته كلها رجلا كهذا . فقد اخافه تماما لا على نفسه بل على يوهانس فاما نقودك واما حياتك !

وغامر بقوله « يا صاحب السعادة . الست قاسيا بعض الشيء على فرد عاثر الحظ ؟ فثمة مستفلون كثيرون من غير اليهود . وهناك يهود كثيرون اغنياء فى المانيا تمكنوا حتى الان من تحاشي سخطك » فقال جورنج « لان هؤلاء الخزائير كانوا حريصين على عدم خرق قوانيننا . اما هذا الخنزير فخرق الوصية الحادية عشر وقد ضبط متلبا بذلك . وهذه الوصية تقول لا تجلب الشر على نفسك وفضلا عن هذا فلدينا اوجه نستخدم فيها امواله . »

وفكر لاني في نفسه « ان الصفة ليست السبب كما يبدو لان الكثير جدا من اموال يوهانه ربي الخارج » وقرر الا يغامر بالدخول في معركة ، الا لانه قال « سأنقل رسالتك اليه » فاستطرد رأس الحكومة البروسية قائلا : « لاحظ عليك انك تتجنب الإشارة الى الاموال التي قام هذا المستغل بالفعل بنقلها الى خارج البلاد واخفاها في دول أخرى . فان كنت تعرف تاريخ أوروبا فانت لابد تعرف انه بين الحين والحين كان احد العوامل عندما يحتاج الى اموال يلقي برجل من اغنى رعاياه اليهود في الجب ويأمر بتعليقه الى ان يعترف بمكان المخبأ الذي اودعه ذهبه ومجوهراته » فقال لاني « لقد قرأت التاريخ يا صاحب السعادة » فقال جورنج « لحسن الحظ ان شيئا من هذا القبيل لن نكون بحاجة اليه فلدينا كل المعلومات المصرفية عن هذا الوغد بما فيها ايصالات الابداع وما الى ذلك . ولدينا صور فوتوغرافية من وثائق كان يظنها بمان من جميع العيون . وسنقدم اليه شيكات ليوقعها بحيث تحول الى جميع هذه الارصدة . وعندما يفرغ وكلائى من تحصيل آخر دولار وجنيه وفرنك في الخارج عندئذ سيكون قريبك اليهودى قد اصبحت بالنسبة لى قطعة عفنة من لحم الخنزير المتن اعاف ان اثمها وسوف يسرنى في هذه الحالة ان تحمله بعيدا عنى » فقال لاني « واسرته يا صاحب السعادة ؟ » فأجابه « هم ايضا ستكون رائحتهم نتنه في خياشيمي وسنحملهم الى الحدود ونعطى كل واحد منهم ركله فى عجزته لتأكد من أنهم سيمبرون الحدود بلا ابطاء » وأراد لاني أن يقول « وسيروقه ذلك » ولكنه خشى أن يعتبرها تهكما ولذا اكتفى بمواصلة الابتسام . وكان الرجل العظيم يبتسم أيضا لانه كان يستمتع بممارسة سلطانه الذى كافح طول حياته ليصل اليه وقد نجح فى ذلك نجاحا تجاوز كل تصور خطر بباله . وتشاءب شبلة وبسط رجليه ، فقد حان الوقت للذهاب الى الصيد .

وقال جورنج (وأخيرا دعنى أوضح لك ما سيحدث لهذا اليهودى القلرو ان هو تجاسر على تحدى ارادتى . فانت تعلم ان العلم الالمانى وصل الى درجة عالية فى العالم ولدينا خبراء فى كل باب من ابواب المعرفة ، وقد جعلناهم يعملون سنوات طويلة لاستنباط الوسائل التى تحطم ارادة من يقفون فى طريقنا . فنحن نعرف الان كل شىء عن الجسد البشرى والعقل البشرى وما يحلو لك أن تسمية الروح البشرية . ونعرف كيف ننوس كلا منيا . وسنضع ذلك الخنزير فى زنزانة شيدت خصيصا من حيث الحجم والشكل بحيث يستحيل عليه

ان يقف أو يجلس أو يستلقي من غير تعب ممض وسيظل الضوء الساطع مسلطاً على عينيه ليل نهاراً وسيرقبه حارس بنخسه كلما أغفى .
ودرجة حرارة الزنزانة ستكون بالضبط .درجة حرارة البرودة بحيث لا يموت ولكن يصير ذهنياً كقطعة من العجين في أيدينا ولن يسمح له بالانتحار . فان لم تنهر ارادته سريعاً وضعنا زيت الكافور في مسالكة البولية وعندئذ سيتلوى ويصرخ الما طول النهار والليل ويتمنى مايدون مرة لو انه مات ، ولكن جسمه لن تظهر فيه علامة واحدة للتعذيب . وهناك وسائل أخرى لن اذكرها لك لانها سرنا الخاص ، الذي حصلنا عليه في الثلاث عشرة سنة الاخيرة التي كان المفروض اننا قضيناها ، عاجزين وقد استنزف الدم من عروقنا المستقلون مصاصو الدماء القلدرون النتنون من اليهود والبلاشفة . ان الشعب الالماني سيتحرر يا سيد بد . وستساعدنا اموال هؤلاء الطفيليين على تحريره . الديك أسئلة أخرى تحب ان توجهها الى ؟ ، فقال لاني : « لا أريد الا ان أتأكد من اننى فهمتك بدقة . افان قبل يوهانس شروطك ووقع الاوراق المطلوبة التي تضعها امامه تسمح لى بأن آخذه واسرته الى خارج المانيا بدون امهال آخر ؟ » فقال جورنج « هذه هي الصفقة . وعليك من جانبك ان توافق على أنه لا أنت ولا اليهودى ولا أى عضو من أسرته سوف يقول شيئاً لأى انسان عن هذه المقابلة أو عن شروط مغادرته البلاد » فقال لاني « فهمت يا صاحب السعادة سأنصح يوهانس بأن رأى أن لا خيار له سوى الخضوع لطلباتك ، فقال جورنج « وأخبره ايضا ان هذه كلمتى الاخيرة » : « ان انت أو هو أو أى فرد من أسرته اخل بهذا الاتفاق فساعد قائمة بمائة من اقاربه واصدقائه اليهود فاقبض عليهم واجعلهم يدفعون ثمن ذلك نيابة عنه . اهلا واضح ؟ » فقال لاني « واضح جداً » فقال جورنج « ان اعدائى فى المانيا يكتشفون الآن اننى السيد واننى احطم من يعترضون سبيلى . وبعد انتهاء هذه المسألة سيكون عندى بعض بعد الفراغ فتعال وقابلنى مرة ثانية وسأريك كيف تستطيع ان تجمع ثروة كبيرة وتستمتع بحياة لذيذة » فقال لاني « شكرا لك ياسيدى ولكن الواقع أن أحب ما أحب من الاعمال عزف أعمال بيتهوفن على البيانو » . فقال القائد الثانى للنازى بضحكة مجلجلة أذهلت زائره « تعال اذن وأعزفها للفوهرر » وتساءل لاني هل ذلك الرجل النسر يسخر من ضعف زعيمه للموسيقى ؟ أهو مثلاً يترقب الفرصة التى يستولى فيها على ازمة الامور من يد هذا الرجل العاطفى الحالم الذى لديه موهبة الخطيب القادر على اثارة الغوغاء ولكن

ليست لديه القدرة على الحكم ؟ هل قال جواسيس رئيس الوزارة البروسية له ان لاني تناول ذات مرة الشاي مع الفوهرر ؟ أو انه قضى جانباً من الليلة الماضية في البيت الذي يؤثر الفوهرر التردد عليه ؟

وعندما نهض لاني للانصراف بسط الشبل وتمطى وزمجر . فقال الرجل العظيم « لقد كبر اكثر مما ينبغي وصار كل انسان يخافه عداي » .

- ٧ -

مرت أربعة ايام واربع ليال منذ اخذ يوهانس روين اسيراً وتسأل لاني كيف تحمل هذا الوضع . هل كانوا يذيقونه نماذج من ذلك التعذيب العلمي الذي استنبطوه ؟ أم تركوه للقسوة البربرية المتوفرة في كتائب الأمن التي طالع عنها لاني الكثير في المانشستر جارديان وفي الصحف الأسبوعية الوردية ؟ انه لم ير من الحكمة ان يسأل الجنرال عن ذلك ، ولم يسأل الملازم الأول الشاب في كتائب الأمن الذي جلس الى جواره في طريقه لزيارة السجن . وتحدث فورت فنجلر عن المشاهد الرائعة التي رآها الناس في عيد أول مايو الاشتراكي الوطني . ولم تكن ذكرياته عن ذلك اليوم قد بهتت في مدى ثمانية عشر يوماً ، ولا هي ، كما قال ، من الممكن ان تذهب جذتها في مثل ذلك العدد من الأعوام . وكان يتكلم بالحماسة السالجة التي تكلم بها هاينريش يونج من قبل ، وادرك لاني ان ذلك لم يكن مصادفة من مصادفات الاتفاق في الامزجة دائماً بل هو ثمرة اخرى من ثمرات العلم . فهذا الشاب من انتاج وسائل النازي الفنية في التربية التي طبقت على مدى عشر سنين . وسأله لاني فعرف ان اياه عامل قتل في المعركة الاخيرة على نهر السوم ، ولعله مات برصاصة من بندقية مارسيل ديتاز . وادخل الغلام اليتيم في جماعة شبيبة هتلر وهو في سن الخامسة عشرة وتدريب تدريباً عسكرياً في معسكراتهم وعرف الخبرة الحربية في معارك الشوارع مع المؤابيين والفويكولم والشوتبرج وغير ذلك من احياء العمال في برلين ، وكان يتلف لهفة شديدة على ان يصبح ضابطاً حقيقياً مثل ضباط جيش الرايخ . وكان حرس الأمن يتطلعون الى الحلول محل الجيش ويعتبرون ذلك التحويل للسلطة جزءاً من الثورة البروليتارية . ولذا كان هذا الملازم الأول يريد ان يصك كعبه ويحيى بشدة أقوى وحدة أكثر من اي رجل في

الجيش النظامي ، بيد انه في الوقت نفسه لا يستطيع ان يغالب كونه شابا ساذجا من طبقة العمال يتساءل دائما بينه وبين نفسه هل يقع الموقع الصائب لدى رجل اجنبي بادی الاناقة ، ولا بد انه مهم ، والا فلماذا أنفق رئيس وزارة بروسيا نصف ساعة من وقته لمقابلته في يوم مزدحم بالاعمال كهذا الصباح ؟ .

وفي هذه المرة اقلتهما سيارة هبانوسويزا عادية لا سيارة ذات ست عجلات أشبه بالصفحة ولكن هذه السيارة ايضا كان لها سائق وحارس في كوتين رسميتين . فكانت توجد مئات من هذه السيارات من جميع الماركات بما فيها الباكار واللينكولن واقفة امام المقر الرسمي لرئيس وزراء بروسيا والابنية العامة الاخرى القريبة منه ، فهذه هي مقتضيات المنصب واسباب الاستيلاء على السلطة ووسائل الاحتفاظ بها . والملازم اول فورت فنجلر سيحظى بكسوة رسمية جديدة وبيطاقات زيارة جديدة . فالיום يوم مشهود في حياته وهو في غاية الابتهاج ، وليس بحاجة الا الى تشجيع يسر كي يفرغ ما به من الزهو لامريكي لابد انه نصير للحزب - ومن الذي يفوته ان يكون نصيرا للحزب ؟ - وبدل لاني خير جهده ليكون لطيفا معه لانه بحاجة الى اصدقاء في البلاط .

وكان يوهانس قد اخرج من ثكنات النازي التي يسمونها ثكنات فريزن ووضعوه في المقر الرئيسي لرئاسة الشرطة ، بيد انه لم يزل في عهدة جماعة خاصة من فرق الامن . وهي فرق تشبه الحرس السويسري للوك فرنسا الاقدمين أو الانكشارية لسلطين الاتراك ، فهم غرباء عن المكان لهم ولاجب خاص ومهمة خاصة فيوهانس يمثل كنزا به يضع عشرات من ملايين الماركات . ولم يكن لاني يعرف بالضبط عددها . فان خطر له أن ينتحر فسيفقد رئيس الوزراء البروسي جورنج كل فرصة في الحصول على ذلك الجانب من الكنز المخزون في الخارج ، ولن يستطيع للحصول على الجانب المخزون في المانيا من غير ان يخرق ما لدى زعيمه من عقدة الاجراءات القانونية .

- ٨ -

وقفت السيارة امام مبنى كبير بالطوب الاحمر في ميدان الكسندر، وأدخل لاني وقفتت الابواب الفولاذية من خلفه ، وهو صوت سبق

له سماعه في مبنى «ادارة الامن العام بباريس ووجده مشرا للاشمئزاز جدا . واقتيد في دهليز خال ، أرضه من الحجر وفتحت وأقفلت أبواب أخرى تصل صليلا الى أن وجد نفسه في حجرة صغيرة لها نافذة واحدة بها قضبان من الفولاذ ، وهناك مائدة وثلاثة مقاعد . وقال الملازم الأول « تفضل بالجلوس » وجلس لاني في مقعد مواجه للباب . وتساءل « أتراهم خلقوا له رأسه بالموسى والبسوه الزى المخطط هل ساجد عليه علامات التعذيب ؟ » .

ولم تكن عليه علامات تعذيب الا اذا أردت ان تحصى العلامات النفسية . وكان مرتديا البدلة البنية التي ارتداها للتوجه الى يخته ولكنه كان بحاجة الى حمام وحلاقة لحيته ، وقد دخل الحجرة وكأنه في طريقة الى فرقة الاعداد . فلما رأى اخا زوجة ابنه غير الشقيق جالسا يهدوء في مقعد اجفل بصورة ظاهرة ثم استجمع اعصابه وضغط على شفثيه بشده كأنه لا يريد للاني ان يراهما مرتجفتين وقصاري القول انه كان نموذجا لليهودي الملعور المتخاذل ، فهيئته تشبه هيئة حيوان أسيئت معاملته - لا حيوان مقاتل بل حيوان داجن الياف . وقال الملازم الاول « اجلس يا هر روين » فقد كان مستعدا ان يكون مهذبا حتى مع هذا الوضع اكراما للهر يد . وجلس يوهانس في المقعد الثالث، ثم قال الضابط للاني « ارجو ان تتكلم الالمانية » .

وكان اثنان من كتائب الامن قد تبعنا السجين الى داخل الحجرة فأغلق الباب وراهما ووقفا أمامه . ولم يسمع لاني وهو في موضعه الا أن يراهما حتى وهو مستغرق في الحديث . لقد بدا له هذان الغلامان في الأحذية الطويلة السوداء اللامعة والكسوة السوداء والفضية التي تعلوها علامة الجمجمة والعظمتين المتقاطعتين في وقفتهما كأنهما تمثالان لتدكاريان للعسكرية البروسية ، فقامتهما متخشبة وصدرهما بارز للامام ، وبطناهما متراجعا الى الخلف . وكان لاني قد تعلم هذه التعبيرات من صديقه الجاويش السابق جيري بنلدلتون . وكانت ايديهما غير مدلاة الى جنبيهما بل مضغوطة بأكف مفتوحة واصابع متلاصقة الى فخذيهما بصورة ثابتة كأنما هي مثبتة بالغراء ولا تبدو على الوجه أي اثار معبرة ، ولا تبدو في العين أهون حركة . فكانما كل منهما قد تخير نقطة معينة في الجدار وراح يحدق فيها باستمرار لمدة ربع ساعة . فهل تراهما بفعلا ذلك لانهما في حضرة ضابط أم للتأثير في نفس ذلك الأجنبي ، أم لأنهما تدربا على ذلك بحيث يؤديانه بدون تفكير ؟ .

وقال لاني بالالمانية كما طلب منه « لقد جئت انا وايرما يابوهانس بمجرد سماعنا بمناعبك . وجميع افراد اسرتك بخير وسلام » . فغمغم السجين « الحمد لله ! » وكان قابضا على الكرسي الذي جلس فوقه . وحين تكلم ضغط شفثيه مرة اخرى . ولأول مرة في حياته بدا يوهانس روين رجلا منا . لقد كان في الستين ولكن لم يظهر عليه قط انه بلغ تلك السن . وقال لاني « ان الموقف خطير يابوهانس ولكن من الممكن تسويته بالمال . ويسمح لك ولاسرتك بالذهاب الى فرنسا معنا » فقال اليهودي بسرعة « لست ابالى بالمال » وثبت عينيه على وجه لاني ولم يحولهما عنه بعد ذلك وكأنه يسأله « ايجب ان اصدق ما تقول ؟ » وظل لاني يهز رأسه وكأنه يقول « نعم هذه هي الحقيقة وليس حلما » . واستطرد لاني بصوت مسموع « ان التهمة الموجهة اليك انك حاولت اخراج الاموال من البلاد على ظهر يختك » فهتف السجين وقد مال بجسمه الى الامام في مقعده « ولكني يالاني كنت حاصلا على تصريح بكل مارك اخذته معي ! » فسأله لاني « واين وضعت التصريح ؟ » فاجابه « كان في جيبى عندما قبض على » فسأله « اواثق انت بذلك ؟ » فاجابه « كل الثقة . فاني اعتبر مجنوننا لو اني حاولت حمل اموال الى خارج المانيا بدون ذلك التصريح »

ولم يدهش لاني كثيرا جدا لسماع هذا الكلام وقال « لا بد ان نفترض ان شخصا خبيثا قد اعدم هذه الورقة يابوهانس » فقال « نعم . ولكن لا بد ان لها اصل مسجل في مكتب مراقبة النقد » فقال لاني « لقد قيل لي من احسن المصادر الممكنة انه لا وجود لهذا الاصل في مراقبة النقد . واخشى أننا يجب ان نفترض ان خطأ ما قد وقع وانك لم تكن تحمل تصريحنا صحيحا » .

واتجهت عينا يوهانس جزءا من الثانية صوب ضابط كتائب الامن، ثم قال بذلة اى مراب في سجون القرون الوسطى « نعم يا لاني . بالطبع . لا بد ان الامر كذلك » . فقال لاني « وهذا جرم خطير جدا . واخشى ان تكون عقوبته اشد مما تستطيع صحتك ان تتحمله . فالمقابل الوحيد لذلك ان تتخلى عن مالك . عن كل مالك » .

وكان لاني مستعدا لشهد من مشاهد الجزع الشيلوكيه : «العدالة! القانون ! اموالى وابنتى ! » ولكن يوهانس غاص في مقعده واسترد لهجته الخاملة قائلا « لقد كنت اتوقع هذا يالاني وهو كذلك » وكان منظر الرجل ومملكه ينمان على أكثر ما نمت عليه كلماته فلاني يعرف

جيدا كيف كان يحب أمواله كم ذا أحبها وكم من المشروعات رسمها لها ولكن ها هو يقبلها قبلة الوداع وكأنه فتى محظوظ لا يبالي كل همه في الرقص وعزف البيانو والاستماع الى الورددين وهم يناقشون نزع ملكية من نزعوا الملكيات من قبل ! فما الذى حدث له حتى تغير كل هذا التغير ؟ هل كانوا يعالجونه بهراوات المطاط التى لا تترك اثرا مذكورا ؟ هل رقد مستيقظا طول الليل يصفى لصرخات الرجال الذين حقنوا بزيوت الكافور فى مآلكهم البولية ؟ لابد ان شيئا من هذا القبيل قد حدث .

- ٩ -

وكان على الزائر الابدع مجالا للشك فى ذهن صديقه . كان عليه ان يبدى ما ابداه رئيس وزراء بروسيا جورنيج نفسه من الجمود فقال « انه يعنى الحصول على كل شيء تملكه يا يوهانس سواء هنا او فى الخارج » . فاجابه « فاهم » فقال لاني « لقد كان لهم عميل فى مكتبك ولديهم جميع السجلات » فاجاب « كنت قد شعرت بشيء من هذا » فقال لاني « لقد سرت فى الموضوع بحذر وعناية واخشى انك لابد ان تستسلم » فاجاب « ان كانوا حقا سيتركوننى اذهب انا واسرني فلهم ان يحصلوا على كل شيء » فقال لاني « لقد حصلت على كلمة الشرف من رئيس الوزراء جورنيج واعتقد انه يعنى ما يقول . وقد اوضح لى بأجلى بيان انه لا ارب له فيك او فى ذوبك وسيبره ان يتخلص منكم » فاجاب « انا واثق ان رئيس الوزراء جورنيج رجل شريف واقبل وعده » فقال لاني « انه يريد أموالك لاستخدامها فى اقامة صرح الاشتراكية الوطنية وهذا من وجهة نظره طبعا غرض عظيم » فاجاب « ان المال لن تكون له فائدة لى وانا فى هذا المكان » فقال لاني « بالضبط يا يوهانس . نستطيع السفر الى الخارج وتشرع انت وروبي فى العمل مغامرة اخرى . وسوف تساندك ايرما » فاجاب « شكرا لك يالانى . ساستطيع المضي فى حياتى بنجاح وانا بذلك واثق » فقال لاني « كان لابد ان اوافق ، وانت ايضا يجب ان توافق على الاتقال أى كلمة عن هذه القضية لاي انسان . فنحن سنخرج من البلاد وننسى كل شيء » فقال « الله يعلم اننى لا اريد ان اتكلم عن هذه القضية يالانى . فما جدوى ذلك لى ؟ » فقال لاني « وهو كذلك اذن سيحضرون اليك اوراقا لتوقعها ، فاجاب

« ساوقعها » فقال لاني « بعض الاوراق يجب ان ترسل الى نيويورك كما تعلم فلا بد ان تستغرق اسبوعا او اسبوعين . وانا وايرما سنتنظر هنا لناخذك وناخذ الآخرين الى الخارج معنا » فأجاب « لن أفيك حقك من عرفان الجميل يالاني » فقال لاني « لا تهدر طاقتك في ذلك . فكل ما نريده ان تكون الاسرة معنا في الريفيرا . ونستطيع ان نحظى بوقت طيب بدون كل هذا المال الكثير . هل يعاملونك معاملة طيبة في حدود المعقول ؟ » فأجاب : « لست أشكو من شيء » فقال لاني « أئمة شيء تستطيع ان ارسله اليك على فرض حصولي على تصريح بذلك ؟ فأجاب « لدى كل ما احتاج اليه . كل شيء فيما عدا قليل من الحبر الاحمر .. ربما » . قال يوهانس العبارة الاخيرة من غير ان يهتز له هذب ، وأجابه لاني من غير أن تتغير لهجته ؟ واو سيماء ؟ « سأرى ان كان من الممكن ان تحصل على شيء منه » .

وقال لاني في نفسه « حبرا احمر ! يا للوغد البارع ! ان ذهنه يعمل بسرعة البرق الخاطف » فقد استطاع يوهانس وهو جالس بحضور ضابط في فرق الأمن وحارسين من الجنود وعليه كل هذا العبء من الرعب والحزن وهو مطالب باتخاذ لخطر قرار في حياته ، ان يفكر في طريقة يخبر بها لاني بما يريده ان يعرفه ودون أن يتسنى لأعدائه ان يحدسوا ماذا عناء بقوله .

لقد ظل لاني خمسة عشر عاما مع صديقه «المن يرقبان تجربة الاتحاد السوفيتي ويتناقشان في صدها . وكان يوهانس معارضا على طول الخط ويدخل السرور على نفسه بجمع الحكايات الساخرة واعادتها على مسامع لاني الذي يصدق كل شيء ، وعن طريق لاني تتسرب الى ولدي يوهانس الشاردين المضللين . واحدى هذه الحكايات عن رجل أعمال الماني كان بسبيل القيام برحلة الى فردوس البروليتاريا ووعده صديقا له من رجال الأعمال الالمان ان يكتب اليه بيانا كاملا عما وجدته هناك . فاعترض عليه صديقه قائلا « ولكنك لن تجسر على كتابه الحقيقة ان كانت في غير صالح السوفييت » فأجابه الآخر « سنتفق على طريقة . سأكتب اليك ان كل شيء بديع . فان كتبت ذلك بالحبر الاسود فهو صحيح ، وان كتبت بالحبر الاحمر فالعكس هو الصحيح » وسافر الرجل وفي الوقت المناسب تلقى صديقه خطابا بالحبر الاسود يورد تفاصيل أعاجيب وروائع فردوس البروليتاريا : « كل انسان حر ، والاسواق ملأه بالطعام ، والمتاجر مكدسة بالبضائع . والواقع

اننى لم أستطع العثور على شيء واحد فقط . الا وهو الحبر الاحمر : «
وفيما كان لاني والملازم الاول عائدين بالسيارة الى الفندق ساله
الاخير « وفيما يريد الحبر الاحمر ؟ » ولم يكن لاني بطيء الدهن ،
ففر له الامر على النحو التالي « انه يدون يومياته في مذكرات ويكتبها
بالحبر الاحمر ليميز باستمرار بينها وبين سائر أوراقه » فاجابه
الضابط « ان المرء لا يستطيع ان يدون مذكراته اليومية في السجن ،
لابد ان يأخذوها منه يقينا » .

- ١٠ -

كان على الملازم الاول ان يقدم تقريره لرئيسه فاضطر لاني
لانتظاره ، ووصل الى الفندق قبل الساعة الثانية بدقائق قليلة فاتصل
بزوجته تليفونيا وقال لها « لقد قابلت صديقنا وهو بخير واظن ان
الامور ستسوى . خذى وقتك . والى أمه وأبيه وريك أرسل برقيات
نصها « قابلت صديقنا . اعتقد ان الامور سويت . » ولم ير استعمال
اسماء متفق عليها على سبيل الشفرة . فان كان الجتابو مهتمين
بالامر فليعرفوا ماذا يقول ولن . واتصل تليفونيا بها ينريش وقال
له « اظن الامور قد سويت ، وانا شاكر لك ما قمت به وقام به أصدقائك
من المساعدة . وقد طلب منى ان أبقى الامر سرا ولذا لا أستطيع ان
أقول أكثر من هذا ، وكان في ذلك الكفاية ليبروقراطى شاب كامل
الصفات .

وتضمنت صحف بعد الظهر قصة القبض على يوهانس روبن وقد
أعلنتها الحكومة البروسية . وبذلك يتسنى لثمانين مليوناً من الالمان -
مع استبعاد الاطفال الصغار وعدد محدود من الساخطين - ان يعلموا
ان مستغلا يهوديا ضبط متلبسا بمحاولة تهريب العملة الى خارج
البلاد على ظهر يخته .

وعادت ايرما في منتصف بعد الظهر وأخذها للنزهة بالسيارة .
ولما كان يشعر انه غير مقيد بوعد لقاطع طريق فقد أخبرها القصة كلها،
وقال لها بعد ذلك « ان ذكرت طرفا منها ولو تلميحا لاحد هنا فقد
يكلف ذلك يوهانسي واسرته حياتهم » واصفت ايرما محملة بعينيها
فرعا . فما اشبه ما سمعته بما يطالعه الناس عن آل بورجيا . وقال

نها ردا على ذلك ان لا شيء فى التاريخ كله يمكن ان يعارن بما يحدث الان ، لان البرابرة لم يكن لهم من قبل السلطان على مصادر العلم الحديثة . فسأله « اتعتقد ان جورنج سياخذ هذا المال لنفسه ؟ » فقال « الامر سيان . فجورنج هو المانيا والمانيا ستكون جورنج سواء رضيت ولم ترض . فالنازى سينفقون كل ماتملكه المانيا ، . فسأله « والاموال التى فى الخارج ! ماذا سيصنع بها ؟ » فقال « لهم شبكة من العملاء فى البلاد الأخرى . لاشك ان عدد عملائهم سيزيد . ثم ان جاءت الامور على عكس ما يشتهى واضطر جورنج نركوب طائرة فى يوم من الايام فسيكون مستحبا ان تتوفر له ثروة طيبة فى الخارج بحيث يتسنى له قضاء شيخوخه مريحة فى باريس او بونس ايرس » فقالت « ياله من عذاب فظيع ليوهانس ان يتخلى عن كل هذا المال ! ان ابى كان حريا ان يموت قبل هذا » فقال « ان اباك ما كان ليردى فى مثل هذا المازق » فيوهانس كان مسرفا فى الثقة واعتقد انه يستطيع ادارة دفة الامور بالوسائل الدبلوماسية ولكن هؤلاء الناس قلبوا مائدة المؤتمر . ولهم مزية انه ما من احد يستطيع ان يدرك مدى سوءهم . فلو ذهبت انا وانت الى باريس او لندن غدا وقلنا هذه القصة لوصفنا النازى بالكلب ووجدوا تسعة اعشار الناس يصدقونهم » .

- ١١ -

وعادا الى الفندق متوقعين اتصالا تليفونيا من فريدى ، بيد انه لم يتصل . وفى المساء حضر الكولونيل اميل مايسنر لتناول العشاء وكان قد قرا عن قضية روين فى الصحف ، ولم يخطر له ان يشك فى كلام حكومته وقال ان شيئا كثيرا من المحاباة والتدليس كان سائدا فى عهد الجمهورية ، ولكن يبدو الان ان القوانين ستكون نافذه المفعول على الاغنياء والفقراء على السواء . واعرب هذا الضابط الروسى الطويل الصارم السحنة عن أسفه بأسلوب مهذب لوقوع مثل هذه الكارثة لاحد اقارب لاني . واكتفى المضيف بأن قال ان لديه اسبابا للامل فى تصحيح الامور فى وقت قريب ، وانه قد طلب منه ان يعتبر المسألة سرية . فتقبل اميل هذا الكلام كما تقبله هاينريش . فجميع الالمان الصالحين مستعدون لتقبل مثل هذا الكلام .

وتحدث اميل بحرية عن النظام الجديد وكان يحترق الجمهورية

الا انه كان يطيع اوامرها لان ذلك واجب ضابط الجيش . والان غدا ادولف هتلر قائده الاعلى ومن الضروري ان يطيعه ، حتى ولو كان المرء في دخيلة نفسه يبغض آداب سلوكه . بيد ان اميل كان واثقا بان اقاويص اساءة استعمال السلطة بولغ فيها كثيرا لاغراض خبيثة . ثم انه لابد من اعمال متطرفة في اى انقلاب في الحكم . والمهم ان المانيا انقلبت من برائن الحمر ، وان كل انسان متحضر مدين للمستشار الجديد بعرفان الجميل لهذا السبب ، ولم يتورط لاني في مجادلات وردية ، ولكنه قال انه وزوجته قد تأثرا كثيرا بما وجداه في البلاد .

وظلا منتظرين الى ساعة متأخرة اتصالا تليفونيا من جانب فريدي، ولكن الاتصال لم يحدث فاويا الى فراشهما وهما يفكران في ذلك . ومما لاشك فيه انه يتجنب المجازفة ، ولعله ايضا يخشى ان يضايقهما. ولكن من دواي الاسف الشديد الا يستطيعا الافضاء اليه بالنبا الذي يريح باله كثيرا . وكان لاني متأهبا لان يقول له انه عشر على لوحه رائعة لبوجيرو !

وجاء الصباح ونشرت الصحف مقالات افتتاحية عن قضية المستغل اليهودي . وفي بلاد هتلر صارت كل موضوعات الاخبار مقالات افتتاحية حافلة بالتهديد والوعيد . فاخيرا شعر الخونة المتسللون بيد القانون الحازمة ، واخيرا بدأ جسم المانيا ينفض عنه الحشرات الطفيلية الحقيرة ! وكانت صحيفة الهجوم متهلة بصفة خاصة لما حدث فهاهو الدليل امام كل بلاد العالم الاشتراكية الوطنية تعنى ما تقول ، وان نفوذ الطبقة الثرية الحاكمة من اليهود لم يعد يحكم المانيا ! وترجم لاني الكلمات لا يرما ثم قال « ان السيد « الفم الواسع » لا يبدو لطيفا في كتابته المطبوعة كحديثه الخاص . »

وتناولوا الافطار من غير ان يتم اتصال من جانب فريدي . ولم يحبا ان يخرجوا قبل ان يتصل بهما ، وانصرفوا الى عمليّة تصفيف شعرهما بيد المختصين ، ثم قام مختصون آخرون بالعناية بأظافر يديهما ، وقرا لاني قليلا ، وكتب بضع مذكرات وتمشى في الجناح الخاص وانتابه القلق ، وكانا مدعويين للغداء في قصر الجنرال جراف شتويندروفي في برلين ، وكان لابد لهما من الذهاب ، فقالت ايرما « في وسع كلارينيت ان تتصل بنا مرة أخرى او ترسل الينا مذكرة » .

وإثناء القيادة الى القصر خلا لهما الجو لمناقشة شتى الاحتمالات .
فمن الجائز أن يكون جورنج قد قبض على فريدى أو أن يكون ذوو
القمصان البنية اعتقلوه من غير أن يعلم جورنج شيئا عن ذلك . ففريدى
يهودى واشتراكى ، وأى صفة من هاتين كافية لاعتقاله .. وخطر
لايرما فرض آخر . الا يجوز أن يكون جورنج عازما على ابقاء الأسر كلها
تحت يده الى أن يصير متأهبا لخراجهم من البلاد ؟ ، فقال لاني « كل شيء
جائز فيما عدا اننى لا أستطيع أن اتخيل فريدى يتأخر كل هذه المدة
من غير أن يتصل بنا تليفونيا وهو مطلق السراح . »

وافسد القلق غداهما . والواقع ان الغداء لم يكن جيدا بصفة
خاصة ، والصحبة لم تكن طيبة جدا ، اللهم الا ان كان يكفيك ان تعلم
انك ضيف أحد اليونكر البارزين جدا . وكان مسلك الجنرال جراف
هو بعينه ملك اميل ، فهو ترس في آلة جيش الرايخ ويعطى الاوامر .
واهتمامه الخاص موجه الى استخلاص منطقة موطنه من برائن
البولنديين . وكان يعلم ان لاني يعطف على هذا الهدف ومع ذلك تحدث
عنه بحذر ، لأن المنتشر جنح في خطبته الاخيرة الى المسألة فمن
واجب جميع الالمان الصالحين ان يتركوا موضوع خطوط الحدود بدون
اثارة ويركزوا حديثهم على حق المانيا في المساواة في التسليح . وبعد
ان اعرب الجنرال جراف شتوبندروف عن اسفه لما حل بقريب لاني
اليهودى تحدث من أصدقائه الآخرين وعن حالة محصولاته وعن
أسواقها وماذا يرى والد لاني عن أسواقها وماذا يرى والد لاني عن
احتمالات نهوض العالم من كبوته الاقتصادية ؟ وكان لاني يرد عليه
بجانب من ذهنه ، اما الجانب الآخر فكان يتساءل « أترى يتصل بنا
فريدى الآن ؟ »

ولكن فريدى لم يتصل ..

الفصل التاسع عشر

لا سلام

- ٩ -

عندما زار السيد والسيدة إيرما بارنز برلين قبل ذلك بعام كانا قرة عين الطبقة الراقية . وسر جميع الأشخاص المهمين أن يستضيفوهما . أما الآن فقد تغير المناخ الاجتماعي كله ، وبدأت تتجمع عاصفة هادرة ولا أحد يدري متى تنقض الصاعقة . وكانت قصة يوهانس روبن معروفة للمدينة كلها ، ومن الذي يستطيع أن يحدث أية اعترافات عساه أدلى بها أو ماذا وجد في أوراقه ؟ وثمة أشخاص كثيرون لهم معاملات مع المرابين يعنيهم الا تظهر للملأ . وكثيرون أيضا لهم شئون من شتى الأنواع يفضلون الا يطلع عليها بوليس الدولة السرى . ويتحاشون بحرص كل انسان يمكن أن يكون موضع مراقبة من تلك الهيئة المرهوبة .

وفضلا عن هذا كانت إيرما ولانى قلقين ، وعندما يكون المرء قلقا لا تكون صحبته مستطابة . ومر يوم آخر وثالث فتأكد لديهما ان شيئا فظيما لا بد قد وقع لفريدى . وبطبيعة الحال من الجائز أن تكون دهمته سيارة نقل أو اعتدى عليه أحد نزلاء ملجأ من لا مأوى لهم من الفقراء أو ظن أنه يحمل مبلغا من المال كبيرا فسرقه . ولكن الاقرب من هذا الى الاحتمال بكثير انه وقع في براثن القمصان البنية الرهيبة . وكانت المعضلة فى نظرهما هل يعلم جورنج ذلك . فان كان يعلمه أهو نكت للعهد من جانبه أم هو مجرد احتياط ضد نكت العهد من جانبهم ؟ وهل يكتفى جورنج بالاحتفاظ برهيئته الى أن تتم الصفقة أم لا بد أن يبقى فريدى فى قبضته وقتا طويلا ؟

وكلما فكر لانى فى ذلك اكتشف مزيدا من التعقيدات . فهل من الجائز أن تكون ثمة حرب دائرة بين الزعيمين النازيين القويين ؟ هل نار غضب جوبلز لأن جورنج استولى على السجين ؟ وهل وضع يده على

فريدى كى يحبط مسمى جورنج ويمنعه من انجاز صفقته ، وان صبح هذا فما المفروض ان يصنعه لاني ؟ وما الدور الذى يستطيع ان يقوم به بشر عادى فى معركة الجبابرة . اللهم الا ان يهشم رأسه بصخرة طائرة او شجرة مجتثة . ان لاني لا يستطيع ان يذهب الى جوبلز ويساله لان هذا معناه نكث وعده لجورنج . لا . ان كان ذاهبا الى أحد فلا بد ان يكون ذهابه الى جورنج ولكن هل يجوز له ذلك ؟ امن عناصر الصفقة ان رئيس وزراء بروسيا الذى يشغل ستة مناصب او ثمانية هامة يجب ان يترك جانبا من واجباته ومهامه كى يقتضى اثر الكوارث التى تحل بأسرة يهودى مستغل ؟ ان كل ما التزم به جورنج ان يتركهم لشأنهم . وما اسهل ان يقول له « يا سيد بد انا لا اعرف شيئا عن هذا الموضوع ولا رغبة لى فى ذلك » فهل من حق لاني ان يجيبه انا لا أصدقك يا صاحب السعادة ؟

كان واضحا ان كل ما يستطيعه لاني هو تركيز اهتمام الجستابو على أسرة روبن . لان الجستابو اذا شرع يبحث عن فريدى فلا بد ان يسأل عنه لدى اصدقائه . وقد يطلبون من لاني قائمة بهؤلاء الاصدقاء . فماذا عسى لاني ان يجيبهم ؟ ايقول لهم « انا لا اتق بكم ايها السادة رجال بوليس الدولة السرى ؟ » ومن جهة اخرى ان اعطاهم الاسماء فقد يقضى على كل هؤلاء الاصدقاء بالزج فى معسكر الاعتقال . وزوجة يوهانس مختفية لدى احدى خادمااتها السابقات . وسيحصل الجستابو على قائمة للخدم فيخرجهم من جحورهم ومعظمهم من اليهود . ولا بد ان لديهم اسرارا خاصة بيوهانس وشركائه . ومن الذى يستطيع ان يعدس ماذا يمكن ان يسيطروا اللثام عنه . او ما الذى يمكن ان يخلقه اى واحد منهم تحت تأثير الاساليب العلمية الجديدة للتعذيب .

- ٢ -

حضر لاني وزوجته مراسم الاحتفال الشديدة الفخامة لتنصيب رئيس وزراء بروسيا وقد استقبلهما الملازم الاول فورت فنجلر وقدمهما الى مدير الوزارة الدكتور من والجنرال ريترفون ص . وأحاط بهما النازى فى كسوات فخمة تغطيها الاوسمة والنياشين . وكانوا جميعا يتصرفون بوقار بل وفى شئ كثير من الرشاقة والسحر . وكان من الصعب جدا ان يصدق المرء انهم اخطر من فى العالم من اللثام . وكانت ايرما عاجزة فى دخيلة نفسها عن تصديق ذلك . وفى طريق عودتهما بالسيارة بعد ذلك

نشب بينهما جدال على النحو المألوف لدى الأزواج . فايirma بنت الحضارة
واذا شكت في وقوع جريمة اتجهت الى الشرطة أما الآن فيبدو أن رجال
الشرطة هم المجرمون . وكانت ايرما قد سمعت أصدقاء لانى الحمر
والورديون ينددون بالشرطة في جميع البلاد فكان ذلك يضايقها أشد مما
يبدو من كلامها . وكانت لم تزل تمة آثار لهذا الضيق في نفسها فاضطر
لانى أن يصيح بها : يا الهى . اليس جورنج قد اخبرنى بفمه انه حرى
أن يبحث عن مائة من اقارب يوهانس وأصدقائه ويعذبهم ؟ ، فأجابته
زوجته بذلك الاسلوب اللطيف الذى يمكن أن يكون مثيرا جدا للاعصاب ،
نعم يا حبيبى . ولكن اليس من الجائز انه كان يحاول اثاره رعبك ؟ ،
فانفجر قائلا : يا يسوع من بضع سنين وأنا احاول أن أقول للناس من هم
النازى . ولكن يبدو اننى لم أفلح و لاحتى فى اقناع زوجتى ، . ورأى انه
جرحها فابدى لها أسفه على الفور . وكان قد مر بذلك كله مع امه قبل
عقد من السنين . فبيوتى لم تستطع أن تصدق أن موسولينى من السوء
بحيث يصوره ابنها . وكانت لا تستطيع أن تظن بأى لاجئ ايطالى سوى
انه مقترف جريمة من نوع ما . وأصدقاء بيوتى القادمين من ايطاليا
يذكرون لها ان كل شيء هناك قد تقدم . فالشوارع نظيفة . والقطارات
تسير فى مواعيدها المحددة . وأخيرا ذهبت لترى بنفسها فهل رات احدا
يضرب أو علامة من علامات الارهاب ؟ بالطبع لا .

والآن ما هو الشيء بعينه يحدث بالنسبة لالمانيا . فايirma قدت
سيارتك لا ترى الا النظام التام . والناس نظيفون تبدو عليهم جودة
التغذية ومهذبون وودودون . وجملة القول أن المانيا بلد ساحر يسر
المرء أن يزوره . وكيف يستطيع أى انسان أن يثق بهذه الاقاصيص عن
الارهاب والرعب ؟ ولذا كانت ايرما فى صراع مستمر بين ما تريد أن
تصدقه وبين ما يفرض على ذهنها المتعاس . ولما بحثت عن شيء تصنعه
للمسكين فريدى خطرت لها فكرة براءة . اليس فى امكانى أن اذهب
واكلم جورنج ؟ ، فسألها : لتخاطبى طبيعته الخيرة . اهذا ما ترومين ؟ ،
فأجابته : خطر لى انى أستطيع أن احدهه بأمور كثيرة عن آل روبين ،
فقال لها : انك ان ذهبت الى جورنج فلن يريد منك الا شيئا واحدا . ولن
يكون هذا الشيء قصصا عن اليهود .

وماذا كان باستطاعة ايرما أن تقول فى هذا؟ فهى تعلم انها رفضت
أن تصدقه ستضايق زوجها . ولكنها الحت : وهل تمة ضرر من المحاولة؟
فرد عليها عدو النازى قائلا : قد يكون لذلك ضرر بالغ . فانك ان رفضت

الاذعان له ثار غضبه وصب انتقامه من هذه الاساءة على آل روبن ،
فسأله : اتعرف حقا انه من هذا الطراز من الرجال يا لاني ؟ ، فاجابها
« لقد تعبت من اخبارك عن هؤلاء الناس . انتحى جانبا بالاميرة دونريشتاين
في ركن وسليها أن تخبرك بقذارتهم » .

- ٣ -

لقد دمرت كل لذة في امكانهما الحصول عليها من زيارة برلين .
فكانا يجلسان في حجرتهما متوقعين اتصالا تليفونيا . وينتظران كل
دورة من دورات البريد . ولم يستطيعا التفكير في شيء يصلانه لثلا يزيد
الامور سوءا . ومع هذا كان عدم قيامهما بعمل ما فظيع الوقع عليهما .
فكانا يقولان لنفسيهما « حتى لو كان في معسكر اعتقال لوجد وسيلة
لتهريب رسالة . يقينا ان جميع الحراس ليسوا مخلصين ولا بد ان يكون
فيهم أحد من الممكن رشوته » .

وازعج لاني نفسه بهذا السؤال . اتراه يرتكب خطأ في حق
يوهانس ويخون ثقته بعدم اطلاعه على هذا الموقف الجديد ؟ لقد أكد
ليوهانس أن الاسرة كلها بخير . فهل من واجبه الآن أن يقابل السجين
مرة أخرى ويقول له ان فريدي قد اختفى ؟ ان ذلك معناه ايضا اخبار
الجستابو . وبذلك تبدأ المعضلة الكبرى من جديد . وحتى لو اخبر
يوهانس فماذا بوسع يوهانس أن يصنع ؟ اتراه مستطيعا أن يقول « كلا
يا صاحب السعادة أنا لن أوقع الاوراق الا بعد أن أعرف أين ابني الاصغر
هيا عذبوني ان شئتم » ولنفرض أن جورنيج أجابه « ليست لدى فكرة عن
مكان ابنك . وقد حاولت العثور عليه واخفقت . وقع والا عذبت » .

ووجه العذاب في المسألة أن لاني كلما حاول أن يتوجه بالسؤال
الى جهة ما الفى نفسه سيورط شخصا ما في متاعب آل روبين .
فالاصدقاء والاقارب اما أن يكونوا جميعا في قائمة الجستابو أو أنه
سيتسبب في ادراج اسمائهم في تلك القائمة . اهناك من يتبعه ؟ انه
لم ير دليلا على ذلك حتى الآن . ولكن هذا لا يقطع بأنه غير متبوع . أو
أن التعقب يبدأ متى غادر الفندق . ومن يتوجه لمقابلتهم ايا كانوا
سيعرفون ما في الاتصال به من خطر وستكون أول خاطرة لهم « بحق
السماء اذهب عنا الى مكان آخر » .

انه يعرف مثلا اسم والدى زوجة فريدى . وهذا الاسم موجود فى دليل التليفون . ولكن فريدى كان قد قال له . لا تتصل بهما مطلقا . فذلك سيعرضهما للاخطار ؟ وماذا يحدث اذا استرق أحد السمع على الحديث التليفونى ورفع عنه تقريرا ؟ او اذا قام امريكى ثرى بزيارة عمارة سكنية من الدرجة الثالثة يحتقر سكانها اليهود . والنازى يتفخرون بان لهم اتباعا فى كل عمارة سكنية يترصدون حركات السكان ويبلغون عن كل حادث مريب او خارق للمألوف ؟ انه الارهاب البنى .

وكان لانى حرا فى تجاهل رجاء فريدى ولو فى سبيل انقاذ حياة فريدى ؟ وهل يرضى فريدى عن انقاذ حياته عن طريق المخاطرة بزوجه وطفله ؟ وهل يحب ان تعرف زوجته نبا اختفائه ؟ وماذا بوسعها ان تصنع لو عرفت سوى ان تضطرب حتى تمرض . وربما رفضت ان تسمح للانى وايرما باصطحابها الى خارج البلاد ؟ كلا . ان فريدى يريد لها يقينا ان تذهب . ولن يشكر للانى مخالفة رغباته . ومن الجائز انه لم يخبر زوجته بعنوان لانى وايرما . ولكن لا بد انها عرفت العنوان من الصحف او من والديها . ويقينا لو انها عرفت اين فريدى وكان بحاجة الى معونة لجازفت بكل شيء كى تبعث بكلمة الى لانى . فهل هى ايضا فى حالة فزع شديد بحيث تتردد فى الاتصال بلانى لان فريدى حرم عليها ذلك ؟ .

- ٤ -

وفكر لانى فى آل شولترز وهما زوجان من الفنانين . ولما كان قد نشر جانبا من اعمال ترودى فى باريس فلديه سبب مشروع لزيارتها . ويعيش الزوجان فى احدى المناطق الصناعية لرغبتهم فى البقاء على اتصال بالعمال . وهذا بطبيعة الحال جعلهما معروفين هناك . وتردد برهة ولكنه قاد السيارة اخيرا الى الموضع . وهو عمارة سكنية كبيرة المساحة ذات ست طوابق أشد أناقة من المباني المائلة فى أى بلد آخر . وفى جميع النوافذ تقريبا اصص للازهار . لان الشعب الالماني لا يتقبل سهولة ما فى الحياة المدنية من انحصار ويريد كل منهم ان يحظى بقطعة من الريف .

ومنذ شهور قلائل نشبت حرب أهلية فى هذه الشوارع . وذلك حين دخلها ذوو القمصان البنية بمواكبهم فالقى عليهم العمال الزجاجات

والطوب من أسطح المنازل • وتمت الاغارة على الاجتماعات وانتزع عمال الحزب من داخل بيوتهم وضربوا ضربا موجعا • اما الآن فقد انتهى هذا كله وتم الوعد الوارد في انشودة وكر السر بأن تصبح الشوارع خالية للكتائب البنية • وتضيق المظهر الكلي للمنطقة فالناس لم يعودوا يعيشون في الشوارع حتى في هذا الجو الصحو في فصل الربيع ، والاطفال يلزمون حجراتهم • والنساء حوامل سلال السوق لا يذهبن الى أبعد مما تحتمه الضرورة • ويرقبن الطريق وهن سائرات بنظرات حذرة •

واقف لاني سيارته في منعطف ثم سار الى البيت • وفتش عن اسم شولتزر فلم يعثر عليه • فبدأ يطرق الأبواب ويستفسر فلم يعثر على شخص واحد يعترف بأنه سمع في حياته باسم لوري وتودى شولتزر • وكان واثقا من مسلك الناس ان هذا غير صحيح وانهم خائفون منه • لأنه مصدر خطر سواء كان اشتراكيا او جاسوسا • فلم يستطع ان يحصل منهم الا على كلمة « لا نعرف » ومما لا شك فيه انه كان في هذا المبنى « رفاق » ولكنهم « اختفوا تحت الارض » ولا بد ان تعرف اين تحفر الارض كي تعثر عليهم • وهذه ليست مهمة احد من (الورديين الهواة) ولا احد يريد ان يتدخلوا في هذا الشأن •

- ٥ -

عاد لاني الى الفندق وواصل الانتظار • فان عاجلا أو اجلا لابد ان تصل اليه رسالة مكتوبة أو تليفونية وينتهي هذا التخمين المؤلم والتخيل الوجيع • ونزل الى الطابق الاسفل بالفندق ليقص شعره ولما عاد وجد زوجته في حالة توفز شديدة • وهمست قائلة « الأم تكلمت وهي ستشتري قفازات من متجر فيرتايم ولا بد ان أقابلها هناك في مدى نصف ساعة » وكانت ايرما قد امرت باعداد السيارة بالفعل فنزلا ، واثناء القيادة وضعا خطة تكتيكاتهما بحيث تدخل ايرما وحدها لان اللقاء بين سيدتين اقل استرخاء للانتباه • واقترح عليها لاني « من الافضل الا تتحدثي اليها • دعها تراك وتتبعك الى الخارج • وسأدور بالسيارة حول البناء لالتقطكما • »

ولم تكن زوجة يوهانس روبن بحاجة الى تحذير من الخطر • لأنها ارتدت الى عهد روسيا القديمة حينما كان الخوف يشتري في عظامها •

وعندما مرت ايرما فى مشى المتجر الكبير كانت الام تستفسر عن الاسعار
وهى مشغلة طبيعية لسيدة يهودية مسنة . وتبعث ايرما عن بعد .
وعندما خرجت ايرما الى الشارع واقبل لانى بالسيارة ركبتا معا . وكان
اول ما قالته همسا مع اول نفس لها فى داخل السيارة « اين فريدى ؟
» فقال لانى « لم نسمع اخبارا عنه » فصاحت « يا اله الناموس ...
واسرع لانى يقول « لقد رتبنا الامور بالنسبة ليوهانس . انه بخير
وسيسمح له بمغادرة المانيا معك ومع الآخرين » وقد سرى هذا عنها ولكن
مدى دقيقة واحدة . فهى كالرجل الذى لديه مائة نعجة ثم شردت واحدة
منها . فهو يترك التسع والتسعين نعجة ويمضى فى الجبال بحثا عن النعجة
الواحدة الضائعة .

ولم تكن الام سمعت شيئا عن ابنها منذ اتصل تليفونيا بلانى ثم
كتب اليها رسالة قصيرة مطمئنة . وظلت بعدها تصنع ما صنعه لانى
بالضبط . فانتظرت والخوف يملؤها وراحت تتصور الكوارث جميعا .
وكان فريدى قد حرم عليها الاتصال بال يد تليفونيا او الاقتراب منهم .
وقد اطاعته ما استطاعت الصبر على الطاعة . لقد كان ذهنها وكأنه فى
كابوس لما يفشاء من قصص الرعب التى تنتشر بين الجحور التى يختفى
فيها امثالها . بمعزل عن سائر المانيا . هى قصص جثث يعثر عليها كل
يوم فى الغابات أو تنتشل من البحيرات والقنوات فى برلين . وقصص
حوادث انتحار أو قتل لا يمكن لاحد ان يعرف حقيقة ما حدث لهم ولا
تذكر اسمائهم فى الصحف . وقصص عن ذلك المصنع المهجور فى شارع
فريدريش وقد استولى عليه النازى وصاروا يجلبون اليه ضحاياهم
لضربهم وتعذيبهم . وكيف ان الجدران لهذا البناء مبللة بالدم البشرى
بحيث تستطيع ان تسير الى جوارها وتسمع الصراخ . ولكن من الخير لك
ان تمضى فى سبيلك بسرعة . واقاصيص عن معسكرات الاعتقال حيث
يرغم الشيوخ والاشتراكيين واليهود على حفر قبورهم بأيديهم استعدادا
لعمليات الاعدام المزعومة . وتنزل بهم كل صنوف الاذلال التى يتفنن
المتوحشون والمنحلون فى ابتكارها فيجبرونهم على التمرغ فى الطين وغمس
وجوههم وابقائها مضمورة فى برازهم . وان يجلدوا ويضربوا بعضهم
بعضا الى ان يفقدوا الوعي . وبذلك يوفرون الجهد على حراسهم .

ولم تستطع الام ان تتماسك الا لسبب واحد هو احترامها لصديقيها
العطوفين . فتقول « انا لاحق لى فى التصرف على هذا النحو . فما اكرمكما
اذ حضرتما لمحاولة مساعدتنا نحن المنكوبين الساكنين . وبطبيعة الحال

فريدى يريد لنا جميعا ان نغادر البلاد وان نعيش على افضل وجه بدونه .
فهل تعتقدان حقا ان النازى سوف يطلقون سراح الوالد ؟ » ولم يخبرها
لانى بالقصة بل قال فقط ، ان ذلك سيتكلف مالا طائلا » فقد خطر له ان
هذا القول سيجعلها تتصور الموقف بصورة واقعية . فهي لا يمكن ان
تتوقع الرحمة من هؤلاء المذبذبين ولكنها تستطيع ان تفهم رغبتهم فى
الحصول على المال . وقالت « اوه لانى . لقد كانت غلطة اننا تملكنا كل
هذا القدر من المال . ولم يخطر ببالي قط انه يمكن ان يدوم لنا . فليذهب
هذا المال كله ان استطعنا ان نغادر البلد الرهيب » فاجاب ، اريد ان
ان اخرجكم وبعد ذلك ارى ماذا استطيع ان اصنع لفريدى . فانى لم
اجسر على محاولة شيء فى هذه الاثناء لان ذلك قد يسبب مزيدا من المتاعب
للوالد فان استطعت ان اخرج اربعة منكم بامان فانا واثق ان فريدى
سيرضى عن هذا . فقالت الام ، بالطبع . فهو يفكر فى كل انسان فى
الدنيا عدا نفسه وانت تعلم يا لانى انى مستعدة ان اجود بحياتى بعد
دقيقة واحدة لو تسبب هذا فى انقاذه . فلا بد لنا ان ننقذه . فقال
لانى اعلم هذا ولكننا يجب ان نفكر فى الآخرين . فلا بد للوالد ان يبدأ
حياته من جديد وسيحتاج الى مشورتك كما كانت الحال فى سالف الايام .
ثم لا تنسى ان لديكم ابن فريدى » فقالت ، لا استطيع ان اصدق ان امورا
طيبة ستحدث لنا بعد الآن . لا استطيع ان اصدق ان احدا منا سيخرج
من المانيا حيا . لا استطيع ان اصدق ان الرب لم يزل حيا .

- ٦ -

اتصل الملازم اول فورت فينجلر تليفونيا وقال ان السجين وقع
الاوراق الضرورية وان الترتيبات فى طريقها الى الانجاز . وسال لانى
ماذا ينوى ان يصنع به فقال انه سياخذ الاسرة كلها الى بلجيكا بمجرد
ان يسمح له بذلك . وتولى الضابط الشاب العمل تدوين اسماء اعضاء
الاسرة وقال انه سينجز تصريحات خروجهم والتأشيرات اللازمة فى الوقت
المحدد . وكان سيبدو طبيعيا ان يقول لانى « ان فريدى روبن مفقود
فارجو ان تبحثوا عنه وتجعلونى اتصل به » ولكنه بعد ان فكر وتداول
فى الامر بضعة ايام وليال قرر ان كان لم يزل حيا فسوف يكون فى
استطاعته غالبا ان يظل على قيد الحياة اسبوعا او اسبوعين الى ان يتم
اخراج بقية الاسرة من البلاد . ولم تكن تحت يد لانى وسيلة لارغام

جورنج على تنفيذ تعهداته ان كان لا يريد ذلك . ولما كان نصف الرغيف خيرا من لا شيء فأربعة أخماس أسرة خير من لا أحد منهم . الا اذا اخذت بوجهة نظر النازى الى الأسر اليهودية .

ومع ذلك فقد يكون من الحكمة ان يستعد للمستقبل . ولذلك دعا لاني الملازم الاول للضابط وقد سر الضابط بالحضور وباحضار زوجته معه وهي فتاة طويلة قوية البنية من الزيف . وكان واضحا انها شديدة الابتهاج لوجودها ضيفة على زوجين راقيين يتحدثان بطلاقة عن باريس ولندن ونيويورك ويعرفان جميع الأشخاص المهمين . وقد يكون النازى شديد التعصب لوطنهم ولكن عواصم العالم الكبرى لم تزل هيبتها عندهم . واراد لاني ان يغطي ماضيه السيء فأشار الى ورديته السابقة وقال ان المرء يكبر فيتجاوز هذه المرحلة مع تقدمه فى السن . وما يعنيه الآن حقيقة هو معرفة كيف يمكن حل مشكلة البطالة وكيف يمكن توزيع منتجات الصناعة الآلية الحديثة . وفى نيته ان يعود الى المانيا ليرى كيف يبر الفوهور بوعوده . ولم يكن ذلك النازى الشاب بحاجة الى أكثر من هذا فاذا بالملازم الاول يتحمس فى حديثه الى مضيفه ومضيفته . وقد قالت ايرما بعد ذلك : انهم يؤمنون حقا بمذهبهم هذا بكل قلوبهم . . . وراى لاني انها تجد من الأسهل عليها أن تثق بما يقال عن الجوانب الحسنة فى نظام هتلر أكثر من ثقتها بما يقال عن الجوانب السيئة . وهي تقبل بلا تشكك الفكرة السارية بين أصدقائها من أبناء الطبقات الموسرة عن أن موسوليني انقذ ايطاليا من البلشفة . وان هتلر يقوم بهذه المهمة نفسها بالنسبة لالمانيا . وهي تريد أن تعرف : أى جدوى من قلب كل شيء ومناصرة طغمة من الناس فى مثل فساد النازى أو شر منهم ؟ .

ولم يذكر لاني للضابط سوى كلمة واحدة على سبيل التلميح انى مبتعد عن آل روبن وأصدقائهم جميعا لاني لا أريد أن أورط نفسى بأى شكل من الأشكال فى الأمور السياسية . وارجو الا يقع شيء غير مستحب لال روبن ونحن فى الانتظار . وان وقع شيء من هذا القبيل فأنا معتمد على صاحب السعادة فى تصحيحه . « فأجاب الضابط » نعم . بالتأكيد . ان صاحب السعادة لن يسمح بأن يسهم اذى . والواقع انى أؤكد لك انه ما من ضرر يحدث فى المانيا لأى يهودى الا اذا بدأوا هم أنفسهم بأحداث الشغب والمتاعب . »

وكان النصف الاخير من هذا القول مقصودا به الغاء النصف الاول

وهذا شأن الدعاية النازية • وهو ايضا ما يجعلها عسيرة على النقد •
فعلبك ان تتناول كل كلمة جملة على حدة وان تتعرف على الاجزاء التى
يعنون بها ما يقولون فعلا وتميزها من الاجزاء التى تعتبر طعما للمففلين •
وكان الملازم الاول ودودا ويبدو عليه انه معجب بلانى وزوجته كثيرا •
ولكن هل يمنعه ذلك من الكذب بجرأة اذا كان رئيسه مثلا قد قبض على
فريدى روبن ويريد اخفاء هذه الحقيقة ؟ وهل يمنعه ذلك من ارتكاب اى
عمل آخر من اعمال الفس والخيانة التى قد تكون ضرورية لقضية
الاشتراكية الوطنية ؟ كان لا بد للانى من مواصلة تذكير نفسه بأن هؤلاء
الشبان قد تربوا على كتاب كفاحي • وكان لا بد له من مداومة تذكير
زوجته التى لم تطالع قط هذا الكتاب ولكنها بدلا من ذلك سمعت اللورد
ويكتورب يستشهد بنصوص من لينين ينادى فيها بمذاهب سياسية
تنطوى على الاستهانة وتبدو شبيهة بما يقوله هتلر •

- ٧ -

وهاينريش يونج ايضا كان قد اكتسب حق الضيافة ولذا دعى هو
وزوجته ربة البيت الصغيرة الزرقاء العينين الى العشاء فكان ذلك حدثا
بارزا فى حياتها • فهى قد اهدت الوطن ثلاثة من الآريين الصغار ولذا
لم تكن تخرج كثيرا جدا كما اعترفت • وقد ابدت دهشتها فى سذاجة
وحجور لنفائس الترف فى فندق ادلون • والحت على ايرما كى تؤكد لها
أن ثوبها المصنوع فى المنزل مناسب لهذه المناسبة العظيمة • وتحدث
هاينريش فى الشئون السياسية لحزب العمال الالمانى الاشتراكى
الوطنى • وحاول بصفة عرضية ان يعرف ماذا تم فى قضية يوهانس روبى
التي اثارت فضولا شديدا لا حد له فى دوائر الحزب كما قال • ولم يسع
لانى ان يقول الا ان لديه اوامر بعدم الكلام • وبعد قليل سأله • هل
قابلت عقيلة وزير الرايخ جوبلز منذ اجتماعنا الأخير ؟ • فعرف ان
هاينريش دعى للشاي فى بيتها وبذلك لم يكن لانى بحاجة للسؤال عن
ابدى الفضول فى دوائر الحزب • وسرعان ما قال هاينريش ان ماجدة
تريد ان تعرف هل يحب السيد بد وزوجته ان يدعيا لحدى حفلات
استقبالها • وسارعت ايرما تقول ان ذلك يسرها • وتعهد هاينريش
بتبليغ هذا الرد • وهكذا يستطيع المرء ان يتقدم فى المجتمع الراقى اذا
كان لديه المال والملابس المناسبة والسلوك الملائم فيمضى من قاعة استقبال

الى قاعة استقبال يحشو بطنه بأفضل الاطعمة والشراب ويملا أذنيه بالمختار من احاديث اللغظ .

وكان هوجو بير القائد الرياضى للمنطقة قد أعلن عن رغبته فى مقابلة لاني مرة أخرى . وحرص هاينريش وهو يبلغ ذلك ان يقول « أظن من واجبي أن أذكرك يالاني فأنا وهوجو مازلنا صديقين ولكن ثمة خلافات فى الراى تزداد جسامة فيما بيننا » فوجه اليه لاني بضعة أسئلة فعلم ان فريقا من النازى قد نفذ صبرهم لان الفو هرر لا يقوم بتنفيذ الدعامات الاقتصادية الاساسية التى قام حزبه عليها . فبدأ كأنه انقلب محافظا وانضم الى اصدقاء جورنج من كبار رجال الصناعة ونسى الوعود التى قطعها على نفسه للرجل العادى . وقال هاينريش ان من السهل العثور على أخطاء ولكن من واجب أعضاء الحزب أن يدركوا مدى ثقل الاعباء الملقاة على عاتق الفو هور وان يثقوا به ويمنحوه فسحة من الوقت لانه لابد ان يعيد تنظيم الحكومة والرجال الجدد الذين قلدهم المناصب يجب ان يتعلموا واجباتهم الجديدة قبل ان يشرعوا فى اجراء تغييرات أساسية . ومع ذلك فشمة اناس لا صبر لهم بطبيعتهم . ولعلمهم حاسدون لا يريدون ان يمنحوا الفو هور الثقة التى يستحقها . ولو ترك لهم الحبل على الغارب لدمر الحزب بالانقسامات الداخلية قبل ان ينطلق فى طريقه .

وتكلم هاينريش بأسهاب وبجد شديد كالعهد به دائما . وكانت زوجته الصغيرة المخلصة تصفى له وكأنما الفو هور شخصيا يتكلم . ومن هذا الحديث ادرك لاني ان الشقاق خطير حقا . وان الجناح الايمن كسب الموقف على طول الخط . وان الجناح الايسر فى حالة ارتباك . فجورج شتراسر الذى كان قد تلقى التوبيخ الشديد من هتلر فى حضور لاني استقال من مناصبه العالية فى الحزب واعتكف فى الريف متقززا . وارنست رهم رئيس اركان حزب كتائب الهجوم (العاصفة) ومن اقدم اصدقاء هتلر منهمك فى الاحتجاج ويقال انه على اتصال بشليختر الجنرال المالى الذى اقصاه هتلر عن منصب المستشار . وهو موقف خطر جدا وهوجو يرتكب خطأ فاحشا بالانزلاق فى هذا المعترك . ومضى هاينريش يقول « ولكنك تعرف ان هوجو كان ديمقراطيا اشتراكيا . وعندما يتسرب سم الماركسية الى عروقه مرة واحدة فمن العسير التخلص منه » فقال لاني « نعم » فهو يقرر هذا . لانه قضى برهة فى ذلك المعسكر . ولكن لا جدوى من توقع احداث تغييرات فى كل شيء فى مدى شهور قليلة . وانتم لديكم عنصران فى حزبكم هما الوطنية والاشتراكية . واعتقد انه

ليس من السهل على الدوام ان يحفظ المرء التوازن بين هذين العنصرين ، فقال هاينريش سيكون ذلك سهلا ان هم وثقوا بالفوهرر فهو يعلم ان اشتراكيتنا يجب ان تكون المانية ومناسبة لفهم الشعب الالماني . وسيقدم هذه الاشتراكية للشعب بمجرد قدرته على التكيف بها .

وبعد انصراف الضيفين قال لاني لزوجته : ان كنسا نريد معرفة الاسرار القدرة فهو جو هو الفتى الذى يقدمها الينا .

- ٨ -

اتفقت الام مع لاني وايرما على انه لا جدوى من اخبار الاسرة فى برلين باختفاء فريدى لانهم سيعجزون عن كتمان الامر وبذلك يعرضون يوهانس للخطر . بل انه قد يحدث ايضا ان هانس اوبيس يصران على القدوم الى المانيا . وكانت اقل اشارة الى هذا تصيب الام بالفزع . ولذا كتب لاني الى والدته خطابات مبهمه تحت تسوية كل شئ . كلما قلت العلنية كان ذلك افضل . اخبرى اصدقاءنا ان يتوجهوا الى جوان ليستريحوا فالحياة هناك رخيصة واعتقد ان الامور ستكون عصبية اقتصاديا ، وما الى ذلك من الاشارات الخفية .

ولم تذهب بيوتى شخصا الى جوان . وكان خطابها التالى مكتوبا على اوراق تحمل شعار قصر بالينكور ، هل تتذكر اليدى كيار ؟ انها ارملة السير فنسنت كار الذى كان من اقرب شركاء السير بازيل فى مصانع فيكرز . وهى روحانية متحمسة وقد نشرت كتيبا يضم الرسائل الروحية التى تلقتها من زوجها فى عالم الارواح . وهى شديدة التأثير بالسيدة وتريد ان تقترضها اطول مدة يمكن للسير بازيل ان يستغنى فيها عنها . وقد دعانى الى قصره هنا وعقدنا عدة جلسات . وقد ظهر شئ ازعجنى . لان تورمسة قال : هنا رجل يتكلم الالمانية فهل فيكم من يعرف الالمانية ؟ فقال السير بازيل ، انا اعرفها بعض الشئ . فقالت الروح ، الكلارينيت اختل توافقها ، ولم تقل اكثر من هذا وبدأت المدام تن وتندما افقت من سباتها كانت شديدة الاكتئاب ولم تستطع ان تقوم بجلسة اخرى فى ذلك اليوم . ولم أفهم شيئا فى بداية الامر . ولكنى الآن اتساءل ايمكن ان يكون حدث شئ للكلارينيت التى تعرفها ؟ لن اقول شيئا لاحد الى ان تصلنى اخبار منك .

رعا هي مرة أخرى إشارة من تلك الاشارات الغامضة تأتي من عالم
اللاشعور . فاللفظ الالماني الدال على اختلاف التوافق قد يعنى اختلال
الانظام أو تكدر المزاج . وقد ادركت بيوتى ان الكلايينيت معناها فريدى .
وكان من السهل ان يتخيل ان تورمه قد استخرج ذلك الخاطر من
اللاشعور عند بيوتى . ولكن بيوتى لم يكن لديها ما يدعو لتخيل ان
فريدى فى مازق . فهل يمكن القول ان بيوتى عندما جلست فى حلقة
لتحضير الارواح اندمج عقلها الباطن بعقل ابنها الباطن فانتقل انزعاجه
اليها ؟ ام ان الاسهل الاعتقاد بأن احد الاشتراكيين ظل يركل أو يضرب
او اطلق عليه الرصاص الى ان انتقل الى عالم الارواح على يد النازي وهو
الآن يحاول الاستنجاد لانقاذ رفيقه ؟

وارسل لاني برقية الى أمه . موسيقى الكلايينيت تثير الاهتمام
ارسل المزيد منها ان امكن . . وقد قرر ان هذه وسيلة يمضى بها الوقت
وهو ينتظر تعطف رئيس وزراء بروسيا جورنج وبرلين مثل باريس
ولندن ملآنة بالوسطاء والمرافين من جميع الانواع . ويقال ان الفوهرر
نفسه يستشير فلكنيا . ومن العجيب أنه يهودى . وها هو لاني مضطر ان
يجلس فارغا من كل عمل وقتا غير محدد ولا قابلية لديه للحياة الاجتماعية
او الموسيقى او الكتب . فلماذا لا ينتهز هذه الفرصة ليرى ان كان
يستطيع الحصول على مزيد من الاشارات من ذلك العالم السفلى الذى
أثار دهشته مرارا كثيرة ؟

واهتمت ايما بما حدث فاتفقا على ان يذهبا متفرقين الى وسط
مختلفين وبذلك يضاعفان الفرص امامهما . ولعل جميع الأرواح لا تكون
قد اعتنقت النازية فيستطيع الزوجان الشابان احراز سبق على جورنج
فى هذه المملكة الغامضة .

- ٩ -

أهو اذن لاني وقد ادخل الى المسكن الراقى الذى تقيم به أشهر
عرافات برلين السيدة ديزيز (ولو كانت تمارس مهنتها فى باريس لجلعت
اسمها مرادفا المانيا هو فراو فارساجيرى . والمعنى فى الحالتين المخبرة
بالفيب) ولا بد ان يتولى تقديمك اليها صديق . والجلسات بموعده سابق
قبل مدة طويلة . ولكن هذه الزيارة عاجلة وقد تولت تدبيرها فراوريترفون
فيبيفتش . وستكلف مائة مارك . وليست ثمة ملابس عربية ولا خرائط

تمثل الابراج السماوية ولاغير ذلك من اساليب التهويل والاحتيال . واما
هى حجرة استقبال بها اثاث على آخر طراز من الانابيب المعدنية الخفيفة .
وبالحجرة سيدة فرنسية أنيقة ذات شعر أبيض تتكلم بلهجة ضاحية
سان جيرمان بباريس . وفى بعض الأحيان تقدم ظاهرات بدنية وتتحدث
بأصوات شتى وبلغات تزعم أنها لا تعرف منها كلمة واحدة وتعقد الجلسات
فى حجرة داخلية صغيرة تزدو مظلمة تماما عندما يطفأ ضوء الفلورست
الهادى . وهناك جلس لانى صامتا مدة قد تصل الى عشرين دقيقة وكاد
يعتقد أن ماركاته المائة قد ذهبت هباء عندما سمع صوتا رخيبا كأنه صوت
طفل يقول بالانجليزية « ما الذى تريده يا سيدى ؟ » فأجابها « أريد أنباء
عن صديق شاب قد يكون أو لا يكون فى عالم الأرواح وبعد فترة انتظار
أخرى قال الصوت : « ها هو سيد مسن يحضر ويقول أنك لا تريده »
وكان لانى قد تعلم ان المرء ينبغي أن يكون مهذبا على الدوام مع أى روح .
فقال « يسعدنى دائما أن أقابل صديقا قديما . ومن هو ؟ » وعندئذ وقعت
تجربة يجدر بفيلسوف شاب أن يحتفظ بها ما تبقى من عمره موضوعا
للتأمل . فقد أجابه صوت فيه فحولة وكأنه انفجر فجأة فى الحجرة
الصغيرة صائحا به « لقد نسى الناس كلمة الرب » فلم تكن بلانى حاجة الى
أن يسأله « من أنت ؟ » لأنه شعر كما لو كان جالسا فى حجرة المكتب
بالقصر الجهم فى نيوانجلند باثاتها الذى يبلغ من العمر مائة سنة
مصفيا الى جده صموئيل يفسر الكتاب المقدس . ولم يكن المتكلم الآن ذلك
الشيخ الواهن بصوته المرتجف الذى قال له آخر مرة « انهم قد لا يكونون
هناك عندما يأتى لانى مرة أخرى » بل المتكلم صانع الأسلحة ابان الحرب
العالمية الذى كان يتكلم عن الأثم وهو يعلم أن لانى مولود الأثم – ولكننا
جميعا مولودو الأثم فى نظر رب السبت الصبوت ! » .

وأعلن الصوت العجيب فى الظلام « جميع متاعب العالم سببها أن
البشر كفوا عن سماع كلمة الرب . وسيظلون فى عذاب الى أن يسمعوا
ويطيعوا . وهكذا سيكونون الى أبد الأبدىن آمين » فقال لانى على نحو
ما كان يقول مرارا كثيرة فى مكتب جده « نعم يا جدى » . ولما كان يريد
أن يكون مهذبا بصفة خاصة فقد سأله « هذا أنت حقا يا جدى ؟ » فأجابه
« الجسد كالعشب » وصوتى باطل الا حينما أقول الكلمات التى أعطاها
الرب للبشر . فقد كنت شابا والآن ها أنذا قد شخت . ومع ذلك ألم ار
الابرار منبوذين وذرايرهم يستنجدون الحيز » فاما أن يكون هذا هو الرئيس
الراحل لمؤسسة بد لصناعة الأسلحة أو يكون المتكلم مثلا على درجة عالية
جدا من البراعة . وانتظر لانى برهة على سبيل الاحترام ثم سأله « ما الذى

تريده منى يا جدى ؟ ، فانفجر الصوت « أنك لم تظن الى الكلمة . »
وخطرت للانى كلمات كثيرة يمكن ان تصدق عليها هذه العبارة ولذا انتظر
وبعد برهة أخرى استطرد الصوت « اقسم الآن أمامى بالرب الهك انك
لن تقطع ذريتي من بعدى . »

وكان لانى يعرف خير المعرفة ما معنى هذا الكلام . فالشيخ كان
يعارض معارضة حامية ضد مزاوله ما يسمى تحديد النسل فقد كان يريد
أحفادا كثيرون العدد لأن هذه هى وصية الرب أنتمروا وتكاثروا واملأوا
الأرض . وكانت هذه إحدى افكار صموئيل بد المستولية عليه . وفى أول
مرة أخذ إيرما اليه لتراه استشهد بكلمات الملك شاؤل الشيخ لداود ولكن
إيرما تجاهلت هذه الوصية فهى لا تريد شرذمة من الأطفال لأنها تريد أن
نستمتع بوقت طيب وهى لم تزل شابة . والتمن الذى تتقاضاه الطبيعة
للأطفال أغلى بكثير من أن تطيقه السيدات الأنيقات الراقيات . ولذا جاء
الآن الشيخ خارجا من قبره ليحذره .

أم لعل المسألة كلها مصدرها عقل لانى الباطن ؟ فضميره يستشعر
الذنب . وكذلك ضمير إيرما لأنها لا تتحدى جد لانى فى عالم الأرواح
فحسب . بل تتحدى أيضا أمها المقيمة فى هذه الدنيا . ولكنها ظاهرة
غريبة على كل حال غريبة كافية .

وقال لانى باللباقة التى أصبحت جزءا من روحه « سأضع كلماتك
فى ذهني يا جدى . ولكن كيف أعرف ان من يكلمنى حقيقة أنت ؟ »
فأجابه الصوت « لقد اتخفت خطوات كفيفة بأن تجعلك تتأكد ولكن
لا تحاول أن تصرفنى عن هدفى بعبارات منمقة » وكان هذا الرد مقنعا
فاستولى الخوف فعلا على لانى . ومع هذا فهو غير مستعد أن ينسى موضوع
فريدى فقال « يا جدى . أتذكر زوج بيسى وشقيقه الأصفر ؟ هل تستطيع
أن تعرف لى شيئا عنه ؟ »

ولكن الجد كان فى استطاعته أن يضارع الحفيد فى عناده فصاح
به الصوت الأمر « تذكر كلمة الرب » ولم يسمع بعد ذلك شيئا . فتكلم
لانى بعد ذلك مرتين أو ثلاث مرات ولكنه لم يتلق ردا وأخيرا سمع زفرة
فى الظلام واضئ نور الفلورسنت وإذا به يرى السيدة ديزيز جالسة
نسأله بصوت خامد مجهد « هل حصلت على ما كنت تريد ؟ »

وصل لاني الى الفندق قبل ايرما بدقائق معدودة . وكانت ايرما قد استشارت وسيطتين اختارتهما عن طريق اعلانات الصحف بسبب اسميهما الانجليزين . وسألته « هل وصلت الى شيء ؟ » فأجابها لاني « لم أصل الى شيء عن الكلارينيت . وأنت ؟ » فقالت « أنا لم أصل الى شيء على الإطلاق فقد كان الأمر كله مضيعة للوقت . واحدى الوسيطتين كان المفروض أنها امرأة هندوسية وقد قالت اننى سأتلقي خطابا من عشيق أسمر وسيم . أما الوسيطة الأخرى فكانت امرأة بدينة دهنية البشرة عجوز ذات أسنان صناعية غير مضبوطة وكل ما قالت ان رجلا مسنا يحاول ان يخاطبني . ولم تخبرني باسمه فكل ما كان يريد منى ان اتعلم بضغ كلمات » فسألها « وهل تعلمتها ؟ » فأجابته لم يكن لي حيلة في ذلك فقد جعلني اكرر الكلمات ثلاث مرات وهو يقول : « استعرفين ماذا تعنى هذه الكلمات . وهى كلمات بدت لي كأنها مقتبسة من التوراة » . فهتف لاني « قولها ! » فقالت « وليس لك أن تمحو اسمى من بيت أبى » فصاح لاني « يا الهى يا ايرما !! هذا اتصال مزدوج بطرفين في آن واحد ! » فسألته « وما معنى هذا ؟ » فأجابها الا تتذكرين أول مرة قابلت فيها جدى فراح يستشهد بآية من التوراة ويوصيك بانجاب الأطفال والا تتدخل في ارادة الرب ؟ » فقالت « نعم . ولكنى لا أتذكر كلماته » فقال « هذا جزء مما قاله . وقد جاءني منذ قليل وأعطاني بداية النص : « أقسم الآن أمامي بالرب الهك أنك لن تقطع ذريتي من بعدى . وتتمتها : ولن تمحو اسمى من بيت أبى » . فهتفت الزوجة الشابة « ما أعجب هذا يا لاني ! » فقال « وقال لي أيضا انه قد اتخذ بالفعل خطوات لاقتاعى بأنه المتكلم حقيقة . ولعله كان بالفعل قد تحدث اليك » .

وكانت ايرما تعيش مع الأرواح منذ أربع سنوات تقريبا ، وقد الفتها على نحو ما . ولكن هذه أول مرة تصادفها ظاهرة من هذا القبيل . وقال لها لاني أن مطبوعات الأبحاث النفسية حافلة بهذا الاتصال المزدوج أو المتقاطع ففي بعض الأحيان تؤدي عبارة واحدة على جزئين في وقت واحد جزء منها في انجلترا وبقيتها في استراليا . وفي بعض الأحيان يشار الى مرجع مع تحديد الصفحة والسطر ، وعن طريق وسيط آخر يشار بالرجوع الى كتب أخرى في مواضع محددة . وعندما توضع النصوص متجاورة يتكون منها المعنى المنشود ويبدو أن هذا دليل على أن العقل الذى يعمل وراء هذه الظاهرة غير مقيد بحدود الزمان والمكان . والمعضلة الأساسية

هى صعوبة التصديق ، فالناس لا يستطيعون ولا يريدون مواجهة هذا الواقع . وقال لانى « والآن ، أتريدون أن ترزقى طفلا آخر ؟ » فسألته « وماذا تظن جدك فاعلا ان لم ترزق الطفل ؟ » فأجابها لانى مقهقه « اذهبي واسأليه » .

ولكن ايرما لم تذهب وتسأله . فبعد يوم او يومين وصل خطاب من روبي يخبرهما بما سيفعله الجد ان لم يطيعاه فقد انشا فى وصيته رصيذا لفرانسس بارنز بد رأس ماله خمسون ألف دولار ، ونص على مثل هذا المبلغ لكل طفل او اطفال آخرين قد تنجبهم ايرما بارنز بد فى مدى سنتين بعد وفاته . ولم يترك الواقعى المعجوز شيئا للمصدة فأضاف الى ذلك قوله « بشرط أن يكون لانى بد والدهم » .

- ١١ -

حضر القائد الرياضى الشاب الأزرق العينين الذهبى الشعر هوجو بير لزيارة صديقه الأمريكى فأخذه بجولة فى السيارة . ولم يكن هوجو بحاجة الى حث لاغرائه بفضح القاذورات حول الاتجاساهات الحالية فى الحزب الاشتراكى الوطنى . فقد قال أنه انما انضم اليه لاعتقاده أنه حزب اشتراكى ، وثمة ملايين يشعرون بمثل شعوره ، فهم يريدون للحزب أن يظل اشتراكيا ومن حقهم أن يحاولوا الإبقاء على اشتراكيته وجعله ينفذ جزءا على الأقل من البرنامج الذى كسب على أساسه ثقة الجماهير الألمانية . فتقسيم الضياع الزراعية الكبيرة وتأميم الصناعات الأساسية والمتساجر الكبرى والقضاء عبودية الربا ، هذه هى التعهدات التى قطعها الحزب على نفسه أمام الشعب ملايين المرات . أما الآن فالحزب على تفاهم وثيق مع قطاب الصناعة فى الرور ، وما هو البرنامج القديم قد نسي تماما . أن الفوهرر واقع تحت تأثير رجال لا هم لهم الا السلطة ، واذا ترك لهم الحبل على الغارب وجهت كل طاقات البلاد للاستعداد الحربى ، ولم يخصص منها شئ للرخاء الاجتماعى .

وقال هوجو « أجل أن كثيرين من القادة يشعرون بمثل شعورى ونفر منهم أقدم رفاق هتلر فى الحزب وليس ذلك تهديدا لزعامته وانما هو جهد مخلص لحمله على ادراك الخطر والرجوع الى الطريق السوى » وعرض المسئول الشاب أن يقدم لانى الى نفر من الرجال العاملين فى هذه الحركة . ولكن الزائر شرح الموقف الخاص الذى يجد نفسه فيه وله قريب يهودى

واقع تحت طائلة القانون وهو بحاجة الى التستر والمداواة بسبب ذلك .
وادی هذا الكلام الى طرق موضوع اليهود فاثبت الآرى الشاب ولاءه
لعقيدته بتنديده بذلك الجنس الشرير والدور الذى قام به فى افساد
الثقافة الالمانية ، ولكنه اضاف الى هذا انه لا يقر اضطهاد الأفراد الذين
لم يخرقوا القانون . وصاح مدير الرياضة « ولكن للأسف ! » واستطرد
بقول الكلام الذى كان يعرفه لاني عن ظهر قلب وهو ان أى انقلاب اجتماعى
كبير لابد ان تحدث فيه أمور مؤسفة . فقال لاني « ولهذا السبب يجب
على كل منا ان يفعل مايسطيع فى الحالات التى تصل الى علمه . وما أريده
الآن شخص فى الحزب استطيع الثقة به يؤدى لى خدمة وهى تحديد مكان
فريدى ويخبرنى بما هو متهم به . » فاجاب الآخر « قد لا يكون هذا سهلاً .
فمثل هذه المعلومات لا تقدم بسخاء . هذا اذا فرضنا انه حقيقة تحت يد
السلطات ، » فقال لاني « ظننت أنك ولك كل هذه الصلات الكثيرة مع
أفضل عناصر الحزب قد تكون قادرا على القيام بالاستفسار من غير ان
تستلغ الأنظار كثيرا . فانك ان أوليتنى هذا الجميل سيسعدنى جدا ان
أقدم لك مقابل ما انفقته من وقتك . » فقال الآخر « لا أريد شيئا
يا هر يد ! » فقال لاني « بل لابد ان تتناول ذلك المقابل لأن العمل قد
يتطلب منك كثيرا من الوقت . وكست أملك وسيلة أخرى لتعويضك عنه .
وزوجتى هنا ولا يستطيع احدا ان يستمتع بشيء لفرط قلقنا على ذلك
الفتى المسكين . واؤكد لك انها ستعتبر ألف مارك ثمنا زهيدا لراحة البال
التي ستشعر بها من مجرد معرفة أن فريدى لم يزل على قيد الحياة . وان
استطعت ان أعرف أين هو وما تهمة قد استطيع التوجه الى السلطة
المناسبة وأسوى معها الأمر دون فضيحة غير مرغوب فيها ، فبدأ المسئول
الشاب يقول فى تردد « لو تأكدت ان اسمى لن يذكر فى هذا الصدد . »
فقال لاني « أعدك بهذا وعد الشرف . فلا شيء يمكن ان يفرى زوجتى او
يغرينى بذكر اسمك . بل ولا لزوم لأن تذكره أنت عندما تطلبنى
تليفونيا . بل يكفي ان تقول مثلا أن لديك لوحة من ريشة آرنولد بوكلى
لتطلعنى عليها وأذكر لى مكانا أقابلك فيه فأتى اليك . وأرجو أن تتكرم
بقبول مائتى فرنك على سبيل البداية ، لأنك قد تحتاج لدفع مبالغ صغيرة
هنا وهناك ، »

طار رئيس الوزارة البروسية هيرمان فيلهلم جورنج الى روما على غير انتظار . وكان قد توجه الى هناك مرة من قبل ولم يوفق كثيرا فى مهمته ، مع « الحمام الهزاز » فكانت بينهما خصومة مريرة حول موضوع السيطرة على النمسا ، بيد أنهما هذه المرة وصلا الى اتفاق وقتى على نحو ما وخرجت صحف العالم على الناس بحدث ضخم وهو أن الدول الأوروبية الأربع الكبرى وقعت ميثاق سلام اتفقت بمقتضاه على الامتناع لمدة عشر سنوات عن أى عمل عدائى فيما بينها وعلى تسوية جميع المشكلات بالمفاوضة . ووقع موسولينى عن ايطاليا ، ووقع جورنج عن المانيا ، وقع السفيران البريطانى والفرنسى بفيينا عن حكومتيهما ! وعاد جورنج الى وطنه عود الظافرين ، وقالت ايرما ها أنت ترى أن الأمور ليست من السوء حيث كنت تظن ، .

وذهب الزوجان الى حفل استقبال فى بيت عقيلة وزير الرايخ جوبلز حيث قابلت كثيرين من كبراء النازى . وتذكر لاني الذى كان قد قرا تاريخ القوط الغربيين الذين غزوا روما القديمة بسهولة مذهشة وراحوا يجوبون المدينة الفخمة مبهورين باكتشاف ماصار تحت تصرفهم . وتذكر كلايف الذى أذهلته أيضا كنوز البنغال وقال بعد ذلك انه حينما فكر فى الفرص التى كانت مواتية له دهش لاعتداله . وهكذا الحال أيضا مع رجال كانوا منذ بضع سنين لا يجدون ثمن وجبة ولا يجدون مكانا يضعون أعضاء حزب العمال الاشتراكى الوطنى من حيث الاعتدال بل من حيث الفرص المتاحة . لهم فى رؤوسهم ، وفجأة تملكوا المانيا كلها فهم يرتدون أفخر الكسوات التى يستطيع خياطو برلين تصميمها ، وزوجاتهم يعرضن على الأنظار مفاتنهن فى آخر أزياء باريس . أو شحة ونياشين وأزهار أوركييد متألقة ، أتراهم حصلوا على ذلك كله من مرتبات الحزب أو من مرتبات المنصب فى الرايخ الألمانى أو فى بروسيا ؟ أم ان كل واحد منهم نشط للعمل لحسابه الخاص ؟ لا حاجة بهم الى السرقة ولا للتهديد ؟ ، فما عليهم الا أن يبقوا أيديهم مفتوحة فيأتى أصحاب الثراء والامتيازات مسرعين ليمثلوها بالعطايا .

ها هم أصدقاء ورفاق معسكر يوبشن جوبلز الصحفى الفاشل من بلاد الراين الذى أصبح الآن السيد المهيمن على الحياة العقلية فى بلاده . وكلمته يمكن أن تبني أو تهدم أى انسان فى أية مهنة . والدعوة الى بيته هى فى آن واحد أمر وفرصة عظيمة لمن توجه اليه . الرجال ينحنون

ويتزلفون والنساء يبتسمن ويتملقن والجميع فى الوقت نفسه يرقبون بحذر لأن عالمهم محفوف بالمخاطر ولا يستطيع المرء أن يحتفظ بمكانة فيه الا باليقظة الساهرة . قطط وحشية محبوسة كلها فى قفص واحد يدور كل واحد منها حول الآخر يحذر مع المحافظة على مسافة للآمان ، والفهد والببر كانا من الممكن أن يتشابكا لولا أنهما كليهما خائفان من النمر . ولكنهم قطط متمدينة تعلمت آداب السلوك وتطبق علم النفس وتظاهر بأنها لطيفة غير ضارة ، بل ودودة . وأفتك القتلة يفترون عن أحر الابتسامات ، وادهى الدهاة هم أشد الجميع وقارا وفخامة . فلديهم قضية عظيمة ومصير تاريخى وواجب وطنى وقائد ملهم . وهم يقولون « أننا نبني المانيا جديدة » وفى الوقت نفسه يجول بفكرهم « كيف أبقر بطن هذا المخلوق ؟ » ويقولون « طاب مساؤك أيضا أيها الرفيق فى الحزب » ويجول بفكرهم « أيها الوغد الأسود المفترى ، أنا أعرف تلك الأكاذيب التى تهمس بها ! » ويقولون « طاب مساؤك يا هربد » ويجول بفكرهم « من يحدث النعمة هذا وماذا يصنع هنا ؟ » ويهمس أحدهم « ان الرئيس يظن أنه يستطيع الافادة منه » فيخطر بذهن سامعه « لابد أن الرئيس يبتزه بوفرة وغزارة ! » .

- ١٣ -

وقالت المضيفة بأحلى ابتساماتها « مرحبا بك يا هر بد . سمعت أنك تحركت كثيرا فى مواطن شتى منذ التقينا آخر مرة » فقال لاني متوسلا « لا تقولى ذلك أيتها السيدة وزيرة الرايخ ! أرجوك أن تصدقى أن ما حدث لم أكن أتوقعه ولم أكن أسعى اليه » أتراها تصدقه ؟ انها طبعا لن تصدقه ما لم تكن لديها معلومات من الداخل وقالت له « لن تخبرنى بما حدث ؟ » وهو طلب خبيث فلا بد لستره من أخبث ابتسامة ، على حسب المبدأ القائل أنك لا تقول الصدق الا حينما تكون غير راغب فى أن يصدقك سامعك .

ولانى خبر الدسائس منذ كان صبيا صغيرا يسمع امه وأباه يناقشان تسليم أسلحة وذخائر متعاقد عليها . فلانى بد حفيد آل بد صناع الأسلحة لا يعرف شيئا يصنعه فى مازق افضل من الاخلاص والصدق فقال « سيدتى العزيزة وزيرة الرايخ أرجو أن تترفقى بغريب فى أرض غريبة فأنا فى موقف مؤلم ، وأتلقى أوامرى ممن يملكون السلطان فلا يسعنى الا أن أطيع » فقالت زوجة الوزير التى تعرف فيما يبدو وسائل أخرى للتعامل مع شخص فى وضع مؤلم : « وان أصدرت اليك

أنا الأوامر هل تطيعها يا هر بد ؟ ان ما تسميه السلطان يتنقل بسرعة مفاجئة . في اوقات كهذه فمن الخير لك أن تمنحني فرصة لا محضك النصيح ، فقال « الحقيقة يا سيدتي وزيرة الرايخ اني سوف اغنم لنفسي تعطفك بالنصح ، وكان يريد أن يقول « بمجرد أن أغدو حرا في التصرف ، ولكنه قرر أن يترك لنفسه فرصة لمعاودة التفكير .

وكانت ايرما في صحبة « بوتزى » هانفشتانجل وهو ابن ناشر اعمال فنية غنى يقوم بدور المهرج لهتلر وبطانته وهو نصف أمريكي متخرج في هارفارد طويل القامة ضخم الجسم يطوح ذراعيه كطاحونة الهواء . وقد ظل برهة جادا ثم فجأة رقص وقفز وأطلق النكات وأخذ يضحك منها بصوت مرتفع بحيث شرع الجميع يضحكون منه . وكان الشبان يشعرون بفضول ازاء الوراثة الشهيرة ، فراحت تمتع نفسها كما كانت تفعل عادة حين تكون في جماعة من الناس . وكان الرجال الانيقون ذوو الكسوات الرسمية ينحنون باحترام ويتملقونها ويأتونها بالطعام وبأنواع قوية جدا من الشراب . وكان كثير منهم يفرطون في الشرب ، بيد أن هذا ليس شيئا جديدا على المجتمع المرح ، وايرما تعرف كيف تعامل أمثال هؤلاء الرجال .

وعند العودة بالسيارة في ساعات الصباح الاولى كانت ثلثة بعض الشيء تغالب النوم . وفي الصباح التالي ، أو على الاصح في ساعة متأخرة من ذلك الصباح نفسه جلسا في فراشهما يحتسيان القهوة وقالت ايرما رأيتها في الموضوع . فهي قد قابلت هناك أناسا ظرفاء ولا تستطيع أن تصدق ما يقال عنهم من السوء واضطر لانى أن ينتظر ريشا صارا في سيلبرتها قبل أن يدلى برايه وهو « لقد شعرت أنا بانى في لقاء للقراصنة ، فقالت ايرما « اسمع يا حبيبى . هل التقيت قط بجماعة من الساسة في الولايات المتحدة ؟ » فاضطر أن يعترف لها بأن أساس المقارنة ينقصه ، فاستطردت زوجته « لقد كانوا يأتون الى بيت أبى كثيرا ، وكان من عادته أن يتحدث عنهم . فكان يقول أنهم سلابون بالفطرة وأن ما من واحد منهم أنتج شيئا ، فكل ما يصنعونه هو الاستيلاء على ما ينتجه رجال الاعمال . وكان يقول أنهم لن يكفوا عن ذلك الا بعد أن تستحوذ برائتهم على كل شىء ، فقال لانى « لقد تمت هذه النبوة في المانيا ! » .

الفصل العشرون

الغلاب هو الشعاع

- ١ -

وصل خطاب طويل من روبى بد يتحدث فيه عن الموقف الناجم عن وفاة ابيه فالسيد المعجوز كان قد تمسك بسلطته الى آخر لحظة الا انه لم يحسم موضوع خلفه . ومنذ زمن بعيد كان قد حاول تسوية النزاع بين ابنه الاكبر وابنه الاصغر ثم عدل عن ذلك وتركهما يصفيان ما بينهما بالقوة ، وهذا ما صنعاه بالفعل . فكل منهما يريد أن يغدو رئيس مؤسسة بد ، وكل منهما واثق بأن الآخر غير أهل لهذه المهمة . وقال روبى بمرارة « واحسب أن أبى لم يكن يعتبر أيا منا أهلا لها » .

ومهما يكن من شيء فالمسألة ستحسم على يد حملة الأسهم فقد اتفق حلول موعد انتخاب أعضاء مجلس الإدارة ، وسيظل « روبى » و « لوفورد » لمدة الستين يوما التالية يقومان بالمناورات والاتصالات الخفية ويحاولان حشد الاصوات . والواقع انهما منذ سنوات يمهدان لذلك خلسة . أما الآن فقد أصبح القتال بينهما مكشوفاً .

والى أن يحين موعد الانتخابات يتولى نائب الرئيس الرئاسة ويقبض بيده على الاسفنجة على حد تعبير روبى ، ونائب الرئيس اخو استرايد وابن رئيس بنك فيرست ناشيونال فى نيوكاسل وكتب روبى يقول عن ذلك « ان اخشى ما كان يخشاه الشيخ الهرم دائما أن تقبض البنوك على زمامنا ! » وكان لاني يعلم أنه يقول ذلك على سبيل المعابشة ، لأن روبى و « تشاس رمسن » كانا على وفاق ، والاثنان وزوجتاها يلعبون البريدج معا ليلة من كل أسبوع .

ان ما كان يقلق روبى حقيقة جواز تدخل جهاز من أجهزة وول ستريت بصورة اقتحامية ، وكانت مؤسسة بد قد اضطرت الى الاقتراض من احدى شركات التأمين الكبرى ، اما هذه او هيئة اعادة بناء الاقتصاد

المالى ، وهذا يعنى الدخول تحت رحمة الساسة • وروبى فى حالة جيشان مفرط من حيث ما تصنعه الادارة الحكومية الجديدة ، لان روزفلت سلخ الان ثلاثة اشهر يظهر فيها اتجاهه وبراعته ويبدو ان الشيء الوحيد الذى يدريه عن الحكم هو اقتراض المال وبعثرته كأنه بحار ثمل • وهذا بطبيعة الحال مجرد تأجيل للمعضلة عن طريق اغراق الوطن فى الديون التى يتكفل المستقبل بسدادها • وفى الوقت نفسه يرمى الى تعليم كل انسان كيف يتجه الى واشنطن • كما تتجه الحلايف الى الملف • على حد تعبير بانع الاسلحة والذخائر الذى يتخير أشد التشبيهات ابتذالا عند الكلام عن الاحوال الحكومية فى بلاده • فكل ما يمنح لسلطة معناه الديون والضرائب والمشكلات •

بيد ان روبى لم يخض فى هذا الموضوع الان ، فليديه مشكلاته العاجلة • فلو استطعت ان أدبر مالا سائلا لشراء جانب من اسهم بد التى اعرف شيئا من امرها لامكننى ان اسوى موضوع السيطرة على المؤسسة ، فقل لصديقنا اننى اريد ان اسمع منه انباء بمجرد توفر الوقت لديه ، وفى استطاعتى ان اقدم له عرضا يجده رابحا • وكان هذا الكلام قد كتب قبل ان يتسلم خطابا غفلا من التوقيع يخبره فيه لاني ان • صديقنا • قد حيل بينه وبين كل دولار يملكه على وجه الدنيا • فيا للمسكين يوهانس ، وبالمسكين روبى !

ولم يكن الوالد الكتوم دائما بحاجة الى تحذير بخصوص ما يكتبه عن الاحوال فى المانيا فكان خطابه نموذجيا فى القموض والابهام • قال • هناك مجال لصفقات كبيرة تعقد فى اوربا هذا العام ويجب ان اكون هناك لابرار العقود • ومتى تمت تسوية مشكلتنا هنا فى الوطن سانكب على هذا العمل • وادرك لاني ما يعنيه ، فاعادة تسليح المانيا قد بدأت ، وما يعجز النازى حتى الان عن صنعه بانفسهم سيشترونه عن طريق وسطاء فى هولنده وسويسرا والسويد • وبذلك تعود مداخن المصنع فى نيوكاسل الى ارسال دخانها • ولا يبالي روبى بد بان يكون معنى ذلك اتاحة وسائل السلطة فى يد هتلر وجورننج وجوبلز • فاول قاعدة يسلم بها لدى البائع ان جميع دول اوربا رديئة على السواء • وسواء كتبت الغلبة للبر او الفهد او النمر فهذا امر لا يعنى احدا خارج لغابة •

وتلا لاني هذا الخطاب لزوجته التى قالت (الا تعتقد انها قد تكون فكرة طيبة ان اساعد اباك ؟) فأجابها (انت تعلمين يا عزيزتى انى لم اكن راغبا فى يوم من الايام فى استغلال زواجى) فقالت « نعم • ولكن كن

معقولا ، فانا أملك كمية من الأسهم والسندات قلما لا استبدل ببعض منها
اسهم بد ؟ » فاجابها « ان والدك انتقى هذه الاستثمارات بحصافة شديدة
يا ايرما . وبعضها لم يزل يؤدي حصصا كبيرة ، واسهم بد لا تؤدي الآن
حصصا » فقالت « نعم . ولكن الاسعار يبدو انها تتجه الى التوازن على
حسب الارباح » . وكانت ايرما قد شغلت تفكيرها بأحوالها المالية منذ
منيت بتلك الهزة الفظيعة في فترة الذعر المالي . واستطردت « فان نحن
حصلنا على اسهم بد بثمانها الحالي افلا يكون من المأمون الاحتفاظ بها ؟ »
فسالها « افلا يزعجك أن تقومى بتمويل الاسلحة والذخائر ؟ » فاجابته
« ولماذا يزعجنى ؟ لابد لأحد ان يقوم بذلك » .

هذه هي المسألة اذن كل انسان « معقول » ما عدا لاني . ان كان
النازي بحاجة الى مدافع آلية ومسدسات آلية ففي السوق ماركات كثيرة
منها فلماذا لا تحصل مؤسسة بد على الصفقة مثل مصانع فيكرز أو بوفورز
أو سكودا أو شنيدر كريسو ؟ وحسنت ايرما المسألة قائلة « عندما نفرغ
من هذا الموضوع الذى يعترض طريقنا سنسرع الى نيويورك ونجمع بين
روبي وعمى جوزيف ونرى ما يتمخض عنه اجتماعهما » فقال لاني « هذه
رقة عظيمة منك » فقد علم انه لو قال غير ذلك لكان مجافيا لكل رقة .

- ٢ -

وصل خطاب من كيرت يرجوهما القدوم بالسيارة الى شتوبندورف
فى هذا الفصل البديع جدا من السنة وليست لدى كيرت سيارة فلا يسعه
ان يقبل على بذخ التنقل السريع هنا وهناك ، الا ان صاحب المقام الرفيع
قال له ان القلعة ستكون تحت تصرف ايرما ولاني فى اى وقت يحضران
فيه . ولم يكن لاني قد اخبر كيرت بموضوع فريدى ، وفيما هو يناقش
اطلاعه عليه او عدم اطلاعه رن جرس التليفون وسمع صوت الملازم الاول
فورت فينجلر « يا هر بد يسعدنى ان اخبرك ان الحكومة مستعدة لاطلاق
سراح ياهانس » . فدق قلب لاني بشدة وقال « هذا بالتأكيد نبا طيب
يا سيادة الملازم الاول » فساله (افنى نيتك ان تقله بالسيارة هو واسرته
الى بلجيكا ؟) فاجاب لاني « بمجرد ان يتاح لى ذلك » ان اعرف اين هم .
او على الاقل اعرف مكانهم جميعا فيما عدا واحدا ، فيؤسفنى ان اقول انى
لم اسمع اخبار عن الابن فريدى منذ مدة طويلة » فساله الضابط « ليست
لديك فكرة عن المكان الذى ذهب اليه ؟ فاجابه « ليست عندى أقل فكرة »

فسأله « لماذا لم تحطنى علما بذلك ؟ » فاجاب « لقد كنت اظن ان انباء
 ستصلنى منه حتما . ولم ارد ان اضايقك او ازعج رئيس وزراء بروسيا .
 وكنت واثقا بأنه لو كان سجيننا لدى الحكومة فسوف يطلق سراحه مع
 أبيه (فقال الضابط) لا أستطيع أن أقول شيئا عن هذا الموضوع لانى
 لا اعرف الظروف ولا بد من اجراء تحقيق . وماذا تريد ان تصنع بالآخرين
 فى تلك المدة) فقال لانى « اريد ان آخذهم الى خارج البلاد بمجرد السماح
 لى بذلك وفى استطاعتى ان اعود بفريدى ان عثرت عليه » فقال الضابط
 « لا حاجة بك للحضور الا اذا كنت راغبا فى ذلك فسوف نتولى ارساله الى
 الخارج ان وجدناه » فقال لانى « حسن جدا . هل اتجه الى رئاسة الشرطة
 لتسلم يوهانس ؟ » فقال الضابط (وهو كذلك) فقال لانى (انت مدرك
 اننا راغبون جدا فى تجنب مراسلى الصحف ولاسيما المراسلين الاجانب .
 ولهذا السبب من الحكمة ان نرحل بأسرع ما يمكن) فقال الضابط
 (سيسرنا ان نتعاون معك لهذا الغرض . ولدينا جوازات السفر
 والتصريحات جاهزة) فسأله لانى (بما فى ذلك من تأشيرات دخول
 بلجيكا ؟ فقال الضابط) لقد دبر كل شيء . فهكذا ننجز امورنا فى المانيا
 فقال لانى « اعرف هذا . فهو من فضائلكم الكبرى » . فقال الضابط
 استودعك الله « يا هربد وآمل ان يكون لى سرور مقابلتك عندما تزور
 برلين مرة أخرى فقال لانى وأنا أبادلك هذه المشاعر ياسيادة الملازم أول .
 وأنا شاكر لك مجاملاتك الكثيرة أثناء المسألة العصبية فقال الضابط
 اطلاقا يا هربد . واسمح لى أن أقول أن معالجتك للمسألة العصبية فقال
 مثالية ، وصاحب السعادة يريد منى ان تؤكد لك تقديره الخالص .

وهكذا داهن كل منهما الآخر وصك كمبيرة وانحنى ينزلف عبر
 التليفون . وبعد ان وضع لانى السماع التفت الى زوجته وقال ضعى
 امتعتك فى الحقائق فسوف نرحل ؟ وسارع بطلب منزل والدى راحيل
 تليفونيا فردت عليه شخصيا فقال لها انباء طيبة الوالد سيطلق سراحه
 فورا وانا ذاهب لتسلمه فهل الوالدة تقيم بعيدا عنك ؟ فأجابت على مسافة
 عشر دقائق بالسيارة فقال استدعى سيارة اجرة وخذى الطفل وحقائبك
 ثم مرى فخذى الوالدة وتعالوا الى فندق ادلون بأسرع ما تستطيعون .
 وستكون ايرما فى انتظاركم لاننا سنرحل على الفور . وهذا واضح ؟
 فقال نعم ولكن ماذا . . . فاسرع بوضع السماع لانه علم انها ستسأله عن
 فريدى وهو لا يريد ان يبلغها هذا الخبر ، فلتقم الوالدة بهذا الواجب
 الاليم ! .

قاد لاني السيارة الى المبنى الكبير المشيد بالطوب الاحمر في ميدان
الكسندر . وكثيرون ممن دخلوه لم يخرجوا منه بالسرعة التي تمنوها .
اما هو بجواز سفره الامريكى الساحر فسيجرب حظه واكتشف ان النظام
الالمانى الشهير حقيقة نافذة فالضابط الجالس الى المكتب كان قد تلقى
تعليمات وافية فقال له بادب لحظة واحدة يا هربد . ارجو ان تتفضل
بالجلوس . واصدر امرا وبعد دقائق قليلة جىء بيوهانس ويبدو انه كان
قد احيط علما بما سيحدث فقد حلق لحيته وبدأ مهتما بالحياة مرة أخرى .
والمقتنيات الصغيرة المتفرقة التي كانت معه عند دخوله السجن اعيدت اليه
فوق ايصالا بتسليمها وحيا سجانية تحية وداع مهذبة وخرج يمشى بخفة
نحو السيارة . وكان على لاني واجب مؤلم هو توجيه ضربة قاضية الى
سعادته الوليدة فقال « انباء مؤلمة يا صديقى فريدى مفقود منذ اسبوعين
ولسنا ندرى ماذا حدث له . » فجلس الاب فى السيارة والدموع تنهمر
فوق خديه ولاني يخبره عن آخر مقابلة له مع فريدى وعن الترتيبات التي
اتخذت ثم عن الصمت التام الذى خيم عليه . ولم يستطع لاني ان ينظر
اليه ، وكانت له ذريعة طيبة فى انهماكه فى قيادة السيارة وسط حركة
مرور ناشطة .

وشرح له قراراته ، ورد عليه الاب المرزوء « لقد فعلت افضل
ما يمكن . ولن استطيع التعبير لك عن عرفانى للجميل » واستطرد لاني
« انما هو تخمين ، ولكنى اظن جورنج يحتفظ بفريدى ويريد ان يبقيه
عنده الى ان تصير الفضيحة لا موضوع لها بين انباء الصحف . ففرصتنا
الوحيدة التزام شروط الاتفاق . و يبدو لى من الحكمة الا نقول للناس اكثر
مما ينبغى ، حتى ولا لاسرتنا . فكلما قل ما يعرفونه قل عناؤهم فى كتمان
السر . » فوافقه الاخر قائلا ، انت على حق (فقال لاني) اظن اننا ينبغى
ان نقول لهم ان فريدى لابد ان يكون رهينة . وما دام سيفرج عنه يوما
فليس من المعقول ان تساء معاملته . وهذا القول سيجعل من السهل عليهم
جميعا ان يتغلبوا على الصدمة . فقال يوهانس (سأقول لهم اننى تلقيت
ايجازا يفيد هذا المعنى . وهو كلام قد يهدى من روع زوجته والا اصرت
على البقاء ، فيجب ان ناخذها معنا باى شكل لانها لن تستطيع له شيئا
هنا . »

ولما وصلوا الى الفندق وجدوا الوالدة قد اخبرت راحيل بالنبأ فعلا

واكدته لها ايرما ، وفرغت الزوجة الشابة من نوبة بكائها الاولى . ولم يكن الموقف سيئا جدا لانها كانت قد رتبت ذهنها منذ بضعة ايام على اسوأ الفروض . وحديث حميها عن ذلك الايعاز ساعد قليلا في محنتها ، وكذلك وعد لاني بمواصلة البحث . ولم تستطع مقاومة تصميم الآخرين على اخراجها وطفلها من بلاد النازي .

ولم تكن شحنة السيارة التي غادرت فندق ادلون من النوع الانيق الراقى تماما ، فالشخص الذي يرتدى كسوة فاخرة ويفتح ابواب السيارات متعود على رؤية الشبان الامريكيين المستقلي السلوك يقودون سياراتهم بأنفسهم ، ولكنه نادرا ما رأى ثلاثة من اليهود ذوى العيون القاتمة ومعهم طفل محتشمين فى المقعد الخلفى لسيارة مرسيدس ليموزين على أهبة الرحيل الى الخارج . ولكن لاني وايرما كانا مصممين على الفراغ من هذه المهنة والا يتركا اصدقاءهما المعرضين للخطر بعيدا عن انظارهما الى ان يبلغاهم مأمهم . وفى جيب الصدر من حلة لاني الكتانية الحمراء القاتمة كدس لاني لاجوازي سفره وسفر زوجته فحسب بل مجموعة كبيرة من الوثائق سلمها اليه رسول من مقر قيادة رئيس الوزارة البروسية جورنج بما فى ذلك اربعة جوازات سفر واربعة تصريحات بالخروج ومع كل منها صورة فوتوغرافية للشخص المقصود . تحقق لاني من ان الحكومة وضعت يدها على جميع الاوراق فى يخت روبن وقصره ، وتذكر وعد جورنج بالركلة فى المؤخرة ولكنه تمنى ان يكون ذلك مبالغة بلفة الثكنات من جانب قائد السلاح الجوى الالماني .

ولم تكن الاسرة فى وضع غير مريح لاحتشادها فى المقعد الخلفى لان الاشخاص الثلاثة البالغين كانوا قد فقدوا كثيرا من وزنهم فى الاسابيع الماضية . واما الامتعة فكانت عبارة عن الحقائب التى حملوها معهم بعد القبض على يوهانس . وهذا كل ما كانوا يملكونه من متاع الدنيا . واما يوهانس الصغير فلم يكن مصدر عناء كبير ان يتبادلوا حمله فى حجورهم ، بل ان كلا منهم كان يسعده ان يستبقيه الوقت كله الى ان يصلوا به الى مكان لا يسمعون فيه صيحات « ايها اليهودى القذر » !

كانت إيرما ولاني ينويان الخروج بسرعة من الحدود كما دخلها بسرعة ، فيشتري لاني أطعمة جاهزة يأكلانها في السيارة أثناء سيرها ، ولن يجازفا بدخول مطعم حيث يجسدان لابس قميص بني يتنقل لبيع مطبوعات النازي يقف امام مائدتهم ليعرض على انظارهم نسخة من الجسور وفيها صورة كاريكاتورية تصور اليهود خنازير ذوى انوف بصلية منتفخة . فان ابوا شراء الصحيفة بصق في طعامهم وانصرف وهو يسبهم ويسخر منهم . وقد وقع مثل ذلك في برلين ، بل وقع ما هو اسوأ منه فحتى بضعة ايام كان باعة هذه المطبوعات يطوفون مسلحين بمسدس آلي وبهراوة من المطاط الصلب . وحدث في احد المقاهي التي تعود تجار اليهود تناول الطعام بها أن انهال عليهم جماعة من كتائب الهجوم وأذاقوهم مرارة التعبير والتهكم ثم ركلوهم وضربوهم بالهراوات حتى فقدوا الرشد .

قد السيارة بحذر ولكن بسرعة ولا تقف الا عند الضرورة ا وكانت الطرقات جيدة والمسالك مألوفة وفي أمان من الاذان المتلصصة ، ولديهم الكثير يتحدثون فيه ، وقيل لآل روبن انهم يملكون مبلغا من المال لم يستطع النازيون أن يصلوا اليه وهو تلك النقود التي أنفقها يوهانس في استضافة إيرما بارنز . وسيتم الوفاء بهذه المبالغ على دفعات على حسب حاجة الاسرة ولن تعتبر قرضا او هدية وانما هي أجور سفريات واقامة كاملة حل تاريخ استحقاقها منذ زمن بعيد . وقد قالت إيرما هذا الكلام بالحزم القاطع الذي اكتسبته ، فقد تعلمت ان مالها يخولها السلطة للبت في مصائر الناس ، ووجدت لذة في ممارسة تلك السلطة لمصلحة الناس دائما بطبيعة الحال .

وهناك ضيعة بيانفيني وليس فيها أحد سوى هانس وبيسى والطفلة فرانس مع حاشيتها . والأم وراجيل والطفل سيسلقرون في المبنى المعروف هناك باسم اللودج وسيتعلمون الاقتصاد في المعيشة حامدين الله على انعمه . اما يوهانس فقد يحب التوجه الى نيويورك مع إيرما ولاني فأمامهما مسألة يجب ان تسوى مع روبى ، وقد يكون يوهانس ذا عون لهما في ذلك . وقدم اليه لاني خطاب روبى ليقرأه ، فبدأت روح هذا التاجر المطبوع تبرز للحياة من جديد . اجل قد تكون لديه افكار عن بيع منتجات بد ، واذا تولى روبى مسئولية الشركة فسيعرض عليه يوهانس ان يتولى منصبه ممثلا اوربيا لها . او ان كان روبى يفضل غير ذلك فيستطيع أن

يجرب نشاطه فى التجارة فى امريكا الجنوبية وكان قد باع فيما مضى
كافة أنواع السلع هناك بما فيها المعدات العسكرية ، ولديه معلومات
كثيرة عن الثورات الماضية منها والحاضرة والمستقبلية .

- ٥ -

كانوا مسافرين بطريق هانوفر وكولون ، والطرق ممتازة وقيادة
السيارة ثلاثمائة او اربعمائة ميل ليست شيئا لى لانى ، فوصلوا الى
آخنى قبل حلول الليل ، ثم جاءت الحدود والمحنة الحاسمة التى كانت
تقيض الذروة . وكان تفتيش الحقائق والاشخاص بحثا عن الاموال
المخفاة يتم عادة بصورة غير مستحبة بقدر الامكان بالنسبة لليهود . ولكن
لعل ثمة علامات خاصة على تصريحات خروجهم ، او ربما كان السبب انهم
مسافرون فى سيارة فارغة وتحت رعاية امريكيين منظرهما فخم وعلى كل
حال لم تكن الاسئلة شديدة الصرامة ، وصدرت الاشارة بأسرع مما يتوقع
اى انسان الى اللاجئين المتلهفين كى يجتازوا خط الحدود . وفحص
جوازات السفر على الجانب البلجيكي لن يستغرق اكثر من دقيقة او
دقيقتين . وبعد ان تمت الاجراءات الشكلية الاخيرة ومرقت السيارة فى
الريف الوداع غير النازى انفجرت الام باكية بين ذراعى زوجها ، فلم تكن
مصدقة ان ذلك يمكن ان يحدث .

وقضوا الليل فى مدينة ليبج حيث كان اول واجب على لانى ان
يرسل برقيات لأمه وابيه وهانس وزنطان واميل وريك . وفى الصباح
استقلوا السيارة الى باريس . ومن هناك اتصل تليفونيا بصديقه الملازم
الاول فورت فينجلر ببرلين ما هى الاخبار عن فريدى روبن ؟ ورد الضابط
بان الشاب غير موجود فى اى مكان تحت يد السلطات الالمانية . الا اذا
كان قد تسمى باسم مستعار عند القبض عليه ، وهو امر كثيرا ما
يحاولونه ولكنه قلما ينجح . وقال لانى انه واثق بان فريدى لا باعث لديه
للاقدام على ذلك . ووعده الملازم الاول بمواصلة البحث ، واذا تمخض
البحث عن شىء يرسل برقية الى لانى فى عنوانه الدائم وهو جوان ليه
بان بكاب دنتيب . بفرنسا .

ووضع لانى المسامح وابلغهم ما سمعه ، وهو لا يدل على شىء كثير
بطبيعة الحال . فقد عرف لانى منذ زمن طويل ان الدبلوماسيين يكذبون
عندما يخدم الكذب اغراض دولهم ، والشرطة والمسؤولون الآخرون

ينتهجون هذا المنهج بعينه • ولدى النازيين يعتبر الكذب لمصلحة الحزب والنظام الحاكم عملا بطوليا • فما ذكره ياور جورنيج يعنى فقط ان جورنيج ان كان قد وضع يده على فريدى ففى نيته ان يحتفظ به فان اطلق سراحه فى وقت ما قال بلا شك ان خطأ قد وقع لسوء الحظ •

وكانت بيوتى قد ذهبت الى لندن مع زوجها ضيفين على ليدى كيار فأبرقت الى لاني كى ياتى ليرى ان كان فى استطاعته الحصول على تلميحات مفيدة عن طريق السيدة • ولما كان الذهاب الى نيويورك من انجلترا سهلا كالذهاب اليها من فرنسا فقد قررا تنفيذ هذه الحطة ، الا أنهما أولا يجب ان يذهبا الى جوان لان ايرما لا تستطيع ان تعبر المحيط من غير أن تحظى على الاقل بلمحة من ابنتها الصغيرة • وسيكون أيضا شيئا لطيفا ليوهانس وبيتس • وعلى وجه العموم كان لطيفا أن يتنقل الناس هنا وهناك مثل الطيور الطنانة راشفين شهد البهجة من أيما زهرة تستلفت نظرهم • وفى الصباح التالى تكدس آل روبن الاربعة مرة أخرى فى المقعد الخلفى ، وفى المساء درجت بهم السيارة داخل أبواب ضيعة بيانفينى وسط ضجة من صيحات الابتهاج التى يتميز بها الاطفال ، أما اصوات « الباص » فكانت خافتة ، بسبب النعجة الضائعة التى ربما تكون الذئب قد التهمتها الآن •

- ٦ -

ومرة أخرى حظى الزوجان بمظاهرة من المواطنين الوالدية ، واحتضنت ايرما فرانسس الصغيرة مخالفة جميع اللوائح وكلمتها بلغة الاطفال التى تعوق نضج كلامها ، وقدمت اليها اطعمة غير صحية وأسهرتها الى ساعات متأخرة جدا • وقصارى القول انها اشاعت الفوضى فى جميع أنواع التوقيت وأفسدت روح النظام عندها • بل وتحدثت عن اصطحاب جميع البطانة الى لونج ايلند لأن ذلك من شأنه ان يسر الجدة كثيرا • وعارض لاني فى ذلك قائلا ان الطفلة لديها كل ما يمكن لبنت الثالثة لتحرص عليه حقا ، وهى الآن تستمتع بصحبة روبن الصغير • ولاني وايرما يعتزمان البقاء وقتا قصيرا هناك فلماذا يتكبدان كل هذه النفقات فى وقت لم يعد فيه شيء مضمونا ؟ ولاني يحاول على الدوام الاقتصاد فى ثروة بارنز ، غافلا عن أن المتعة الوحيدة التى تتيحها لك الثروة الا تكون

مضطرا للاقتصاد . ولكن خطر له الآن انهم قد يضطرون لشراء فريدي واخراجه من المانيا ، فمن الذى يمكن ان يحدد ما الثمن ؟ وهو كذلك ، ستبقى ايرما يوما آخر ثم تنتزع نفسها انتزاعا . وشددت التوصيات على باب سميت الحارس الجدير بالثقة ، وانتزعت الوعود من الآنسة سفيرا ان تبرق اليها عند اهون بادرة تدل على وعكة « أتدركين كم مليوننا تمثلها هذه المخلوقة الصغيرة ؟ » ولم تقل ايرما هذا القول الفج بلفظة ، ولكنه كان المضمون الواضح لكل أمر من أوامرها وللظروف المحيطة بفرانس بامزيد . فالصحف تطلق عليها اسم « طفلة الثلاثة والعشرين مليون من الدولارات » فطفلة الثلاثة والعشرين مليون من الدولارات خرجت فى رحلة بحرية على ظهر يخت ، وجميع نفقات اعاله طفلة الثلاثة والعشرين مليون من الدولارات كان من الممكن أن تجمع من رسم الدخول الذى يدفعه السائحون المتقاطرون لرؤيتها لو ان الترتيبات لذلك قد اتخذت .

واجتمع رجال الاسرة على هيئة مؤتمر فى استديو لاني ولم يشأ يوهانس ان يخبر السيدات بما حدث له فى ألمانيا ، بيد انه اخبر يوهانس ولاني كيف أخذوه الى ثكنات كتائب الهجوم فى بريمنهافن حيث تعرض لسلسلة من الاهانات المذلة التى يراد بها طبعاً تحطيم روحه المعنوية ، فسقوه مليونات قوية جدا ، وامتعوا أنفسهم باجباره على التبرز على سجناء آخرين أصيبوا بمحنته نفسها ، ثم قام الآخرون بتلوينه بدورهم ، الى ان صاروا جميعا غرقى فى نفايات امعاء كل منهم . وفيما هم يفعلون ذلك كان عليهم ان يهتفوا : عاش مستشار الرايخ المحبوب ! وكانت قمة التعذيب ان أكرهوهم على حفر خندق طويل وصفوهم أمامه بحيث يطلق عليهم الرصاص فيسقطون فى الخندق كما قيل لهم . وكان ذلك الاعدام اكدوبة تمثيلية ولكنهم ماتوا فعلا من الناحية النفسية ، وبلغ يوهانس عندئذ من الاعياء والرعب والالام انه رجب بالنهاية ، وقال انه لن يعود رجلا كسالف عهده ، ولكنه سيواصل الحياة من أجل أسرته وأصدقائه . اما لعبة جمع الثروة فلم يعد لها طعمها القديم . قال هذا ولكنه اردف فى حصافة ونظر ثاقب : « الا انها عادة ، وأحسبني سأواصل السلوك على المنوال نفسه ، الا انى لا أخالنى سأكون سعيدا بذلك طبعاً .

وتحدثوا عن مشكلة المفقود وماذا يجب ان يصنع لأجله . وكان لاني قد وعد الا يذكر اسم هوجوبير ، ولم يذكره فعلا ، الا انه قال ان لديه عميلا سريا يعمل لحسابه وسيراسله على عنوانه بجوان ولذا يجب ان يفض

هانس جميع الرسائل التى يمكن أن ترد من ألمانيا فإن وجد فيها شيئا ذا مغزى أ برق بمضمونه . وقال يوهانس ان هانس وبيس يجب ان يتخليا عن لذة عزف الموسيقى فى الاجتماعات الحمراء او القيام بأى عمل يعلن على الملا مناهضتهما للنازية فهم ما زالوا اسرى جورنج ، وهذا بلا شك ما كان يرمى اليه جورنج .

وكان هانس مفلسا لأنه وبيس انفقا كل نقودهما على اللاجئين وكان لا بد لهذا أيضا أن يتوقف . ولما كان لا فائدة من الاستسلام للكآبة والحزن فقد قرر هانس أن يبرق الى وكيله فى نيويورك لتدبير جولة من الحفلات الموسيقية فى الولايات المتحدة فى الحريف . وحتى ذلك الحين ستفتح له ايرما حسابا فى بنكها بمدينة كان . وقالت ايرما مملية ارادتها ولكن تذكر : لا خمر ولا أحاديث حمراء بعد الآن !

وهكذا سويت جميع المشكلات وذات صباح مشرق انطلقت ايرما ولانى ومعهما يوهانس فى المقعد الخلفى وسط صيحات أخرى بالانجليزية والالمانية واللهجة اليهودية الالمانية ولكن الصيحات فى هذه المرة لم تكن لغاية فى السعادة . ووصلوا الى باريس وتناولوا العشاء مع زلطان كرتيزى، وفى الصباح ذهبوا الى ضيعة ليه فوريه وأخبروا اميلى شتروزورث بالقدر المسموح به من القصة ، وبعد الظهر رحلوا الى كاليه وهى المكان الذى تقترن به ذكريات مريرة ، ومن هنا ركبوا المعبدية الليلية ودرجت بهم السيارة فى ريف انجلترا وهو فى أبداع شهور السنة ، ووصلوا الى فندق دور شستر فى أبهج المواسم جميعا .

كان السير فينيست كيار - وينطق اسمه على هذا النحو بالطريقة الفرنسية - أحد شركاء زهاروف منذ الايام الاولى عندما اشترى معا مصانع فيكرز ، وبمضى السنين صار من أغنى رجال انجلترا . ومن العجيب انه أيضا كان شاعرا ، ولحن أناشيد البراءة للشاعر بليك تلحيننا موسيقيا ، وقد ترك كل هذه الاهتمامات لزوجته مع كتلة ضخمة من أسهم مصانع فيكرز . وبذلك حدث ان سيدة مسنة ذات شعر أشيب أقرب الى القصر شاحبة اللون لا يدل مظهرها على شيء صارت بيدها مقاليد السلطة فى لندن وركزت على شخصيتها اهتمام حشد من ذوى الاطوار الغريبة طائفة منهم مثاليون حقيقيون ، ولكن معظمهم نصابون حقيقيون . وكانت قد اشترت كنيسة كبيرة مبنية بالصخر فى شارع وست هلكن وحولتها الى بيت. من أغرب البيوت التى تخيلتها المرأة : فالرواق العلوى للكنيسة اكمل بحيث يدور حول بنائها وقسم الى حجرات للنوم وحمامات واحتفظت

بالأرغن ولكن عندما يعزف ثرنج فواصل جميع الحبرات . . . ولدى الطابق السفلى قاعة استقبال ضخمة بها كنوز فنية تصلح لمتحف ومن بينها مجموعة فاخرة من الساعات تدق احداها كل ربع ساعة فتفتح واجهة الساعة ويخرج منها طائر من العاج والذهب ويشدو شدوا مطربا . ولدى كايار تجمع أيضا المقصات . وكل من يحضر الى ذلك البيت تقدم له على الفور نسخة من اشعار الزوج الراحل ونسخة أيضا من كتيب من تأليف الليدى عنوانه « السير فينسنت كايار يتحدث من عالم الارواح » . فان استطعت ان تبتكر نوعا جديدا من الاطراء لأحد هذين الكتابين سيكون ذلك بمثابة تذكرة لتناول الطعام بقية أيام حياتك ، او على الأقل بقية أيام حياة الميلى كايار .

والسيد دنجل وزوجته والسيدة سيزنسكى كانوا متوازين بكل راحة فى بيت الرب السابق ، واتسع امام بيوتى الوقت لجميع اطراف اللفظ اللذيذ فيما يتصل بأحوال ذلك البيت . فلم يتوقف الا لاطهار واجب الاسى على فريدى ثم فتحت أمام ابنتها اتجاها مثيرا حقا فى الحديث، فالليدى كيار قد أصبحت مؤمنة بالروحانية وتعيش محاطة تمام الاحاطة بالملائكة وكهنة النعمة على نحو ما كان وليم بليك يعيش فى أشد ساهاته تصوفا . وهى تأوى قطيعا من الوسطاء وقد تولى أحد الارواح الارشاد الى اختراع آلة اسمها « آلة الاتصال » ، وبها يستطيع السير فينسنت - ويسمونه فينى - أن يبعث برسائله الى زوجته المسماة « بيردى » وقد أقيمت هذه الآلة فى « البلفرى » وهو الاسم الذى أطلق على هذا البيت ، وباركها « الارشيدوق ويلبفورس » بقداس حسب الاصول المرعية ، ومنذ ذلك اليوم وحجرة عقد الجلسات المعروفة باسم « القاعة العليا » مخصصة لهذا الغرض وحده . وفى ساعة منتظمة كل مساء أربعاء يبعث السير فينسنت الى زوجته برسالة يوقعها ف . ب . ق . ومعناها « فينى ويردى وقبله » وقد تم تجميع هذه الرسائل الآن فى كتاب عنوانه « مفهوم جديد للحب » .

ولكن للأسف لم يستمر الحب مهيمن بلا منازع على هذا المكان ذى القداسة المزدوجة ، فثمة وسيطة ذات حظوة جديدة بين الوسيطيات ، وهى امرأة تكرهها الاخريات جميعا . وانخفض صوت بيوتى الى الهمس وهى تذكر ضخامة المبالغ التى تحصل عليها هذه المرأة . وكيف أقنعت فخامة الليدى أن تهب ثروتها الطائلة لقضية الروحانيات على أن تتولى الارواح ادارتها . ولليدى كيار ابنان يفتقران الى ايمان بالعالم الآخر ويريدان

أموال أبيهما لشخصيهما ، وتشاجرا مع أمهما فطردهما من بيتها فوگلا المحامين واستنجدوا بسكوتلنديارد بلا جدوى . ونشأ عن ذلك اضطراب فظيع ! ووسط هذا الغليان الشديد من العداوات والتحاسد جاءت مابل بلاكلس التى صارت بيوتى بد ثم صارت السيدة ديتاز ثم صارت السيد دنجل وهى شخصيا موضوع شكوك كثيرة . وجاء أيضا زوجها الذى يحب الناس ويعلم غيره محبة جميع البشر بما فيهم المغامرات والابناء الموروثن ، وجاءت أيضا امرأة وسيطة بولندية لها اسم يستعصى هجاؤه . وبطبيعة الحال كان منظورا الى بيوتى على أنها طفيلية دساسة ، وعلى أن حب برسيغال دنجل رياء ، وعلى أن وساطة السيدة جهد تبذله لتحل محل الاخريات ممن لديهن هذه الموهبة الغامضة . وكانت بيوتى مسرورة جدا بهذا كله وكأنها طفلة تشهد فيلما من نوع الميلودراما وانطلق لسانها يصيب التفاصيل المثيرة « والحقيقة يا أعزائى لن يدهشنى أن يحاول شخص ما دس السم لنا ! » ودلت لهجتها على أنها حرة أن تجد فى ذلك مغامرة بهيجة .

وكان ضيف من هذه الكنيسة العجيبة (سابقا) حامل وسام الليجون دونير من طبقة ضابط عظيم والفارس حامل وسام الحمام من طبقة كومندر . وقد بدأ يظهر عليه التداعى فصار جلده بنيا ضاربا للصفرة وكان نسيجه من الورق ، ويداه ترتجفان بحيث صار يحرس على أبقائهما ملتصقتين بجزء من جسمه ولا يحاول أن يكتب فى حضور أى انسان . وغدا انحف بكثير من ذى قبل مما أبرز أنفه الشبيه بمنقار النسر . وكالعادة نأى زهاروف بنفسه بعيدا عن جميع أنواع المشكلات ولم يتحيز لأحد الجانبين فى هذا الخلاف العائلى ، فاهتمامه محصور فى الحصول على رسائل الدوقة ، فهو قد يجلس بلا كلل فترة طويلة تمتد ما استطاعت الوسيطة الثبات ، بيد أنه لم يقطع برأى حتى الآن ، وقد كاشف لانى بذلك ، بأسلوب مباشر بالاتجاه العام لأسئلته التى ظل يوجهها الى الشاب .

وكان مسموحا للانى أن يذكر أن صديقا شابا من أصدقائه انقطعت أخباره فى ألمانيا . وعندئذ شرعت هذه الخلية من الوسيطات فى العمل لأفراز الشمع والشهد له . واتضح أن معظم ذلك الشهد صناعى وتأكد لدى لانى أن انسانا ذا حيلة قد استطاع أن يخمن أن الشخص المفقود قريب ليوهانس روبى الذى ذكر اسمه فى الصحف منذ عهد قريب على أنه مفقود ، ثم اذا به يحضر فجأة مع آل « بد » . ولما كان هانس قد أدلى بتصريحات للصحف فى باريس حول هذا الموضوع ، فلا يمكن أن يكون هو القريب

المفقود ، ولما كان فريدى قد زار لندن فى المرة السابقة ومعروف لدى جميع اصدقاء آل بد فليس من فرط البراعة واساءة معاملة اليهود . وهكذا بدأت الارواح تتدفق بالتفصيلات ، والمعضلة الوحيدة انه ما من روحين اتفقا على شىء له أهمية ، ولم تكن هنا سوى وسيطة واحدة يعرفها لانى ويشق بها وهى السيدة ، ولكن رقيبها الروحى تكومسه كان لم يزل غاضبا من لانى ولا يريد ان يجهد نفسه لأجله . وفى نيويورك كان هذا الرقيب مستعدا أن يعيد جملا فرنسية مقطعا مقطعا اما الآن فهو يرفض القيام بهذه المهمة عينها بالنسبة للغة الالمانية قائلا انها لغة أقبح مما ينبغى وأصواتها لا يستطيع التلفظ بها لسان متحضر ، وناهيك بهذا الكلام من زعيم احدى قبائل الهنود الحمر ! وقال تكومسه ان فريدى ليس موجودا فى عالم الارواح وان الارواح التى تحاول الكلام عن فريدى لا يبدو أنها تعرف شيئا محددا وقد سئم تكومسه هذا الموضوع حتى أنه كان يقول لجليسه « أنت مزعم أن تسألنى عن الفتى اليهودى ؟ » مما هدد بتدمير موهبة الوساطة لدى السيدة وحياتها العملية .

- ٨ -

كانت مرسلين قد دعيت لقضاء الصيف مع آل بوميروى نيلسن على سبيل التعويض عن الرحلة البحرية باليخت التى ضاعت عليها بقسوة . ومرسلين والفى كلاهما فى السادسة عشرة يزدادان طولا على النحو الذى يسميه الانجليز « أبو طويلة » وهى سن الشعور بالذات وعدم الاستقرار . فثمة اشياء كثيرة تتغير فجأة فتربك عقلهما اليافع . ومع اصدقاء آخرين من سنهما كانا يلعبان متلهيين برسائل الحب الرقيقة وبلاغاته ويشعران بالجاذبية ثم يجفلان منها ، ويتغاضبان ثم يتصالحان ، ويتحدثان كثيرا عن نفسيهما ، او يتحدث كل منهما عن الآخر ، ويتأهبان بوسائل شتى لمهمة الزواج الجديدة . وقد تحاول مرسلين اغاظة الفى بالاهتمام بغيره من الفتيان . فهذا من حقها ، اليس كذلك ؟ أيجب عليها أن تقع فى الحب على النحو الذى توقعته أسرته ؟ أى فكرة عتيقة هذه ؟ وبارونيت المستقبل يشعر بالزهو ثم الاستياء والغضب ثم التعاطف ، يشق عنان السماء بصيحات الفرح ، ويستولى عليه الحزن حتى الموت !

وحضرت ايرما ولانى بالسيارة لقضاء عطلة الاسبوع وليريا كيف تسير الامور ، فاذا كان هناك مكان عتيق بديع على شاطئ التيمس مريح

جدا بعد اعاصير العالم الراقى وتوتراته ، ولا سيما بعد برلين بأبنيتها العامة الضخمة التى يغلب عليها فساد الذوق ، وتماثلها الفجة القاسية التى تشيد بالمجد العسكرى . أما هنا فى « الريتشز » فكل شيء وادع والنهر الصغير العجوز يبدو اليافا ودودا ، ومن المأمون أن يستقل المرء زورقا مسطح القاع فوق أديمه ، وهو أنسب مكان للمحبين والشعراء . وهو هنا منذ وقت طويل وسيبقى فى حين يظهر جيل بعد جيل من البارونات يشبون عن الطوق ويدرسون فى المدارس المناسبة ويرتدون الثياب المريحة اللائقة ويقيمون « مسارح صغيرة » ويكتبون المقالات للصحف والمجلات الأسبوعية فى اثبات ان البلاد على شفا البوار .

وكان هناك السير الفريد بقامته الطويلة وغرابة أطواره شيئا ما ، بيد انه أنيس يفيض بحب الفكاهة وقد ابيض شعره أما شاربه فظل أسود اللون . وقال ان الضرائب الباهظة دمرته تماما الا انه مستغرق فى جمع سجلات للدراما البريطانية فى القرن العشرين لمتحف يموله صديق ثرى . وها هى زوجته اللطيفة الرقيقة أشد مضيقات الدنيا اهتماما ورعاية . وها هى نينا تساعدنا فى ادارة ذلك البيت العتيق المبني من الطوب التامى على هواه ، فكل جيل يأتى بعد سابقه يضيف جزءا جديدا على غير هدى ، وفيه مدافىء كثيرة جدا ومداخل بحيث أن الحادمة الوحيدة فى مدة الحرب تقضى معظم وقتها فى حمل أوعية الفحم الى تلك المدافىء على اختلافها . هنا ثلاثة أطفال بديعوا الشكل جدا تملؤهم الحيوية والسعادة الا انهم تربوا بحيث يدون أهدا من أى أطفال يمكن أن تجدهم فى أمريكا . وثمة أخيرا الطيار السابق الاعرج الذى يعتبره لانى أعقل من الرجال . فهو الوحيد الذى يستطيع أن يتبادل معه الافكار بفهم تام . وريك له الحق فى أن يعرف كل شيء عن مغامرة لانى فى ألمانيا ، فخرجا يتنزهان على النهر حيث لا يستطيع أحد أن يسمعهما أن تحدثا بصوت منخفض ، وهناك أخبره لانى بالقصة من بدايتها الى نهايتها وقد يكون من الأفضل الا تسمعها نينا نفسها ، فثمة اغراء قوى لآى امرأة تتحدث الى امرأة أخرى ، وهكذا تنتقل القصة من امرأة الى أخرى وسرعان ما تصل الى أذنى صحفى . ويوهانس بعد كل شيء رجل هام ، وعملية نهب ثروته وسلبها يمكن أن تكون موضوعا نادرا فى الصحف اذا ما عولج معالجة مناسبة .

وصدم ريك عندما عرف كيف سمح لانى لصحف برلين أن تنشر عنه انه باحث عاطف على الاشتراكية الوطنية ، وقال له ان شيئا كهذا يمكن أن ينتشر ويلطخ لانى الى الابد ، ولن يستطيع أن يمحو هذه الوصمة ما عاش

أو يستعيد الثقة به . فقال لاني انه لا يبالي ان ممكنه ذلك من انقاذ فريدي . ولكن ريك صمم على أن المرء ليس من حقه أن يقدم على مثل هذه التضحية ، فليست المسألة مسألة انقاذ فرد بل مسألة قضية ينبغي الدفاع عنها . فالاشتراكية يجب النضال في سبيلها ضد تلك الوحشية البشعة التي سرقت اسمها وتهم أن تفتصب مكانها في التاريخ . وكان لاني قد فكر في ذلك ، ولكنه لم يفكر فيه كما يبدو بما فيه الكفاية ، فشعر بالم شديد وقال : اسمع يا ريك . لا بد من جواسيس في كل حرب . اليس كذلك ؟ فاجابه : « اظن ذلك » فقال لاني : « فماذا لو اني دخلت المانيا وصرت صديقا لمن في القمة هناك وحصلت على كل المعلومات السرية وأرسلتها اليك ؟ » فاجابه : « سيكتشفون الحيلة سريعا يا لاني » فقال : « اليس من الجائز أن اكون في مثل براعتهم ؟ » فاجاب ريك : « اعتقد انها مهمة سمجة جدا » فقال لاني : « اعلم هذا ولكن كبرت . ثم انك يجب أن تخدعه . فهل تظن أن هذا في استطاعتك ؟ » فقال لاني : بيوتى مصرّة على اننى لن استطيع خداعه ، ولكنى أعتقد ، ان انا وجدت متسعا من الوقت كافيا وركزت ذهني في ذلك ، مستطيع على الاقل أن ابقيه في شك من الامر . فلا بد أن ادعه يجادلنى ويقنعنى . وانت تعلم أن لدى مبررا نادر الجودة للذهاب الى هناك ، فانا خبير في الفنون ، ولدى المانيا الشيء الكثير منها تبيعه . وسييسر لى ذلك مقابلة شتى صنوف الناس فأتتمكن من جمع الادلة على جرائم النازى وفي استطاعتك أن تسجلها في كتاب » فاجابه : « لقد تحقق هذا بالفعل ، وسيسرك أن تسمع بذلك » . وكاشفه ريك بأن جماعة من ؟ انصار الانجليز مشغولون بتجميع المادة لعمل يسمونه الكتاب البنى في الارهاب الهتلري ، وهو الآن تحت الطبع وسينشر قريبا وفيه تفاصيل مصرع مائتين أو ثلاثمائة شخصية بارزة من المثقفين والخصوم السياسيين لنظام النازى . فقال لاني : « ستكون ثمة امور اخرى تستطيع التسجيل . فان عدت الى المانيا بسبب فريدي فسأحصل على ما أستطيع من الوقائع وسيكون الراى لك فيما يمكن أن تستخدمها فيه » .

- ٩ -

لم يذكر اسم عميله الالماني هوجوبير ، ولكنه كان حرا في الكلام عن حركة الجناح اليسارى فى داخل حزب النازى كان يخالها ذات أهمية عظيمة لدلالاتها على صراع الطبقات فى صورة جديدة غريبة فى الحرب بين

الواجدين والفاقدين ، تلك الحرب التي ليس في الامكان اقصاؤها عن اى جزء من المجتمع الحديث . ان الزعيم قد يخون حركة شعبية ، ولكن في استطاعته ان يجرف معه أتباعه ؟ كثيرون في المانيا يظنون ان هتلر يستطيع ان يسوق حزبه حيث يشاء ، ولكن لانى يرى خلاف ذلك ، وقال ان هتلر حساس بصورة خارقة لضغط أتباعه ويخف للاحتفاظ بالسبق والصدارة جيشا صمموا على المضي وهو قد حصل على المال من اكبر رجال الصناعة ، ويوهانس يصر على انه رجهلهم ، ولكنى اعتقد انه قد يخدعهم ويثبت فجأة الى اتجاه ليست لديهم عنه فكرة فقال ريك : « ليست هناك قوة ثالثة هي الجيش ؟ يستطيع احد في المانيا ان يصنع شيئا بدون موافقة جيش الرايخ ؟ »

واخبره لانى بحديثه مع اميل ومع شتوبندروف وكلاهما اتفقت كلمتهما على طاعتها للحكومة بكل ولاء فقال ريك : « اما اميل فنعم لانه مرهوس . ولكن هل يخبرك شتوبندروف افكاره الحقيقية ؟ حدسى انه وجماعته من اليونكر سيخدمون هتلر ما دام هتلر يخدمهم ، اى يعيد تسليح المانيا ويعيد دانزنج والاقاليم المفقودة الى ارض الوطن ، فوافقه لانى قائلا : « طبعا فشتوبندروف يفكر أولا فى أملاكه . اما ما سيصنعه بعد ذلك فلا أعلمه » فأصر ريك قائلا : « جميع الالمان يضعون جيشهم أولا . والديموقراطيون الاشتراكيون قاموا بالثورة بمساعدة عامة الجند ، ولكنهم تحولوا على الفور الى أسرى لطائفة الضباط ولم يحدثوا قط تغييرا حقيقيا فى رقابة الجيش . ووزير مالية الجمهورية كان لا بد دائما ان يكون مرضيا عنه من جيش الرايخ . ومهما تحدث السياسيون عن الاصلاحات الاجتماعية فلا يمكن ان ينتقصوا من الميزانية العسكرية » .

واعضى ريك لكل ما قاله صديقه ووجه اليه أسئلة كثيرة ورفض ان يصدق ان هتلر يمكن ان يدفع أو يجر الى اليسار . وقال : « ما من ثورى تحول محافظا. وارتد ثوريا بعد ذلك » . وأردف بابتسامة كالحة : « فهو قد عرف اليسار معرفة جيدة وجعل لنفسه أعداء أكثر مما ينبغى بين أهل اليسار » فسأله لانى : « ان يرشد الى اليسار ان رأى موجة أخرى من التمرد فى الطريق ؟ » فأجابه : « لن يراها لأنها لن تأتى . فموجة واحدة فيها الكفاية لجيل واحد . وشتراسرورهم وصديقك هوجو قد يشقون حناجرهم بالصراخ والهتاف ، ولكن متى طلب اليهم ادولف ان يسكتوا سكتوا . وفى اعتقادى ان اى تأميم يقوم به ادولف فى المانيا لا بد ان يزيد الحزب النازى قوة ويمكنه من تحطيم معاهدة فرساي بسرعة اشد وبصورة مؤكدة . »

صار مؤتمر تحديد التسليح في حكم الميت بعد أكثر من سنة من الجهود العقيمة ولكن الأمم لم تستطع أن تتخلى عن وقف الانهيار العام ، فاجتمع الآن ست وستون أمة في مؤتمر الاقتصاد العالمي . وهو منعقد في جنوب كنسنجتون بالطنطنة المعتادة عن حل جميع المشكلات وريك الذي يرتاب دائما فيما يسميه السياسة الرأسمالية قال ان هذا المؤتمر محاولة من بنك إنجلترا للعودة الى قاعدة الذهب بتأييد من الأمم المتحدة وفرنسا وسويسرا وهولنده والأمم القلائل التي لم تزل محكومة بالطبقات الدائمة . وفيما كان لاني يرقب ذلك الاستعراض ويجدد معرفته القديمة بالصحفيين ، أصدر الرئيس روزفلت بيانا يرفض فيه الارتباط بهذا البرنامج الذهبي ، فأطلقوا على تصرفه هذا عملية « نسف » للمؤتمر الذي اقتفى على الفور أثر المؤتمرات الأخرى في جبانة التاريخ .

وعاد اللورد ويكتورب الى الوطن وكله رغبة في رد الضيافة التي نعم بها في باريس ، ولا سيما بعد أن علم ان صديقيه الأمريكيين عادا لتوهما من ألمانيا حيث قابلا نفرا من أقطاب النازي . ودعى الزوجان الشابان لقضاء بضعة أيام في قلعة ويكتورب وهي من معالم إنجلترا ، مبنية بالحجر الرملي البني ، والجزء الأوسط منها له برجان عظيمان فيهما فتحات وشرفات ويرجع تاريخهما الى أيام أسرة تيودور ، ثم أضيف جناحان امتدان من الى الخلف على عهد الملكة آن لكن مع المحافظة على وحدة الطراز المعماري . وأشجار البلوط العتيقة صروح للديمومة الانجليزية والثبات والتماسك ، والاجزاء المزروعة بالعشب تحتفظ بخضرتها بفضل الامطار والضباب الذي يأتيها من بحار عديدة ، وتحتفظ بنعومتها قطعان الاغنام القصيرة المكتنزة . وقد فتن هذا المكان أيرما وسر مضيفها بسذاجة ثنائها ، وعندما سمعت أن الضيعة لابد من تقسيمها وبيعها قطعاً لسداد الضرائب عدت ذلك من الكوارث الكبرى التي سببتها الحرب الأخيرة .

والليدي ويكتورب الوالدة تدير البيت لابنها الاعزب وثمة أخ أصغر كان لاني قد قابله عند ريد وقد تزوج فتاة أمريكية عرفت بها أيرما في مجتمع المقهى ، فكانت المجموعة أشبه بمجموعة عائلية يسودها اليسر وعدم التكلف الا أنها تتصف بالوقار والهيبة . واسهل بكثير على المرء أن يدير ضيعة وبيتا في إنجلترا حيث كل شيء أشبه بساعة جدي التي تملؤها فتسير من تلقاء نفسها لثمانية أيام بل ثمانية أعوام أو ثمانية عقود .

ولا وجود لمشكلة الخدم لان أتباعك يولدون ولا يصنعون ، فالابن الكبير لراعى غنمك يتعلم كيف يعنى بغنمك ، والابن الاكبر لساقيك يتعلم السقيا . وجميع رحماء الخدم مخلصون يوقرون ساداتهم . وهذا على الأقل هو المفروض . فان قصر شيء دون الكمال تم اخفاؤه بعناية . وراى ايرما ذلك بديعا الى ان اكتشفت أنه ينتظر منها استحمام شخصها الثمين فى حوض من التصدير المطلق احضرتة اليها الخادمة ومن ورائها خادمتان اخريان تحملان أوعية كبيرة بها ماء حار وماء بارد . وبعد تمام هذه المراسم سألت زوجها « يالانى » كم تظن ادخال السباكة الحديثة الى مكان كهذا يمكن أن يتكلف ؟ « فاجابها باسماء « على غرار اكرز ؟ » مشيرا الى ما فى حجرة حمامه هناك من أدوات من الفضة الخالصة والى أدوات حمام ايرما من الذهب الخالص .

فقالت « بل أعنى النحو المعتاد فى باريك أفينيو » فسألتها « أفكرين فى شراء هذه القلعة ؟ » فردت عليه بسؤال آخر « أعتقد أنك ستستكون سعيدا فى انجلترا ؟ » فرد عليها مراوغا بدوره « أخشى أنك لن تستطيعى الحصول عليها يا حبيبتي . فلابد أنها موقوفة » وأكد لها بوجه جاد أن كل شيء هنا لابد أن يسلم للورثة سليما لم يمس ، لا الابراج واشجار البلوط ومساحات الحشائش فحسب ، بل وأيضا الخدم والغنم ووسائل الاستحمام

- ١١ -

وكان الجيران يأتون للزيارة بين حين وآخر فيصغى لاني لرجال الطبقة العليا وهم يناقشون مشكلات عالمهم وعالمه . ولاسبيل الى اقناعهم بأخذ أدولف هتلر وحزبه مأخذ الجد الخالص ، فهو على الرغم من فوزه لم يزل ذلك المهرج العجيبى موجه الخطيب الجمجاع الهستيرى على نحو الخطباء الذين تسمعهم فى هايدبارك بعد ظهر أى يوم من أيام الأحد . وسماء أحد سادة الريف هؤلاء « مبيض منازل قفز الى السلطة فجأة » أسفين لوجود معارضة فعالة لفرنسا فى القارة الاوربية ، فقد كان يضايقهم الى حد كبير أن يروا تلك الجمهورية الرثة من السياسيين تتربع فوق قاعدة الذهب فى حين أقصيت عنها بريطانيا بصورة شائنة . وأبدوا اهتماما بوصف لاني لأدولف ، بيد أنهم كانوا أشد اهتماما بوصف جورنج الذى كان طرازا من الرجال يستطيعون فهمه . وبصفته وزيرا للرايخ توجه

(٢٧) أنياب التنين - ٤١٧

الى جنيف وعرض بشدة حق المانيا فى المساواة فى التسلح ، واخذ ويكتوب بشخصيته القوية ، واثار اهتمامه أن يسمع عن شبل الاسد الذى اخذه من حديقة حيوانات برلين ، وعن ستائر المخل الذهبية الجديدة فى قاعة الاستقبال بالمقر الرسمى لرئيس وزارة بروسيا .

وقال لانى : « المهم أيها السادة أن تتذكروا أن جورنج قائد سرب جوى . وإن إعادة التسلح عنده سيكون معناها أساطيل من الطائرات ، وستكون كلها جديدة ومن طراز أدخلت عليه التحسينات » .

وكان أريك فيفيان بوميروى نيلسن الطيار السابق قد ألح كثيرا فى الكلام على هذه المسألة ، ولكن لانى وجد من المستحيل أن يثير بها اهتمام مثل وزارة الخارجية البريطانية . وفى نظره أن الطائرات شأن هتلر ، أى أنها شيء على غير أساس ، شيء مبتذل ، مظهرى ، ويدل على ذوق فاسد . أن بريطانيا تسيطر على البحار ، وتعزز سيطرتها ببوارج القتال المهيبة المتينة التى تزن كل منها خمسة وثلاثين ألف طن وتكلف عشرة أو عشرين مليوناً من الجنيهات . وقد كتب أميرال امريكى عن تأثير السيطرة البحرية على التاريخ ، وقرأت الاميرالية البريطانية هذا الكتاب ، وهذا ثناء نادر وجهته الاميرالية البريطانية الى أبناء العمومة الذين برزوا فجأة عبر البحر ، وقد صارت استراتيجيتهم العالمية قائمة على هذا الاساس واذا حاول أحد أن يناقشهم ردوا عليه وكأنهم ينفجرون متغنين بأنشودة « بريطانيا ليست بحاجة الى حصون ولا أبراج على طول المدى ! » .

واصغت ايرما للمناقشات وبعد ذلك تحدثا بشأنها هى ولانى أثناء عودتهما بالسيارة الى لندن واكتشف لانى أنها متفقة فى الراى مع مضيفها أكثر من اتفاقها مع زوجها . فقد تأثرت بصورة لا تقاوم بوقار هذه الأمة الجزرية ورسوخها وثقتها بنفسها ، وأيضا باللورد ويكتورب بأعباره النمط الكامل للسيد الانجليزى . ولم يكثرث لانى لانه تعود أن يخالفه الناس ولا سيما أعضاء أسرته . وعندما ذكر الموضوع عرضا لاه أكثرث جديا وقالت « الا يخطر لك أنك تأخذ الشيء الكثير مأخذ التسليم ؟ » فسألها « ماذا تعنين أيتها الحبيبة العجوز ؟ » فأجابته (خذ نصيحتى وفكر جديا فى أمر ايرما ، فأنت تسبب لها من الشقاء أكثر مما يخطر ببالك) فسألها (أتعنين من أخالطهم من الناس ؟) فقالت (بهؤلاء وبالأفكار التى تبديها لجلسائك وجلساء زوجتك) فقال « ولكنها يقينا ياعزيزتى لا يمكن أن تتوقع منى أن أتخلى عن معتقداتى السياسية نمنا لسعادتها » فقالت « لست أدري لماذا لا تتوقع ذلك منك على اعتبار أننا جميعا نعتمد على

مساعدتها المالية الى حد كبير ، فقال لاني « على رسلك ! فى وسعى دائما
أن أعود الى بيع الصور » .

فقالت « واهل لك يا لاني » انك تقول شيئا فظيما ! » .

وخطر لها أنها هي التى بدأت الفظاعات ، ولكن لا جدوى من
مصارحتها بذلك ، فقال « أبشرى أيتها العزيزة العجوز » فسوف آخذ
زوجتى الى نيويورك على الفور » فقالت « لا تعول على هذا أكثر مما ينبغى » .
واياك أن تنسى أنك تملك كنزا ، والكنز يقتضى منك كثيرا من الاهتمام
وشيئا من الحراسة » .

**** معرفتي ****

www.ibtesama.com

منتديات مجلة الإبتسامة

الكتاب الخامس

وهكذا تكون نهاية العالم

الفصل الحادى والعشرون

باسم الصداقة

- ١ -

قدرت إيرما ولانى أن مشاعر فانى بارنز ستصاب بجرح لأنها لم يأتيا معها بسميتها الصغيرة لتراها . ولتعويضها على ذلك أبرقا اليها أنها سيأتيان الى شوراكز أولا . وكانت الملكة الوالدة فى انتظار الباخرة ومعها سيارة كبيرة . وأول ما حرصت على معرفته أنباء حفيدتها العزيزة، وبعد ذلك ماذا كانا بالله يفعلان طيلة هذا الوقت فى المانيا ؟ ان كل انسان يفيض بالاسئلة عن أرض هتلر ، وهذا ما تبين لهما ، فعلى مسافة ثلاثة آلاف ميل كانت المانيا تبدو للناس وكأنها هوليوود ، وما أقل الذين استطاعوا حمل أنفسهم على الاعتقاد بأن ما يقال عنها حق . وكانت الصحف مصممة على معرفة ما حدث لقطب يهودى المانى من أقطاب المال فاستقبلوه على رصيف الميناء ولما رفض الكلام حاولوا الاتصال بكل شخص يعرفه ولكن جهودهم ذهبت سدى .

وفى شوراكز كانت الأمور ماضية على نهجها المعتاد ، فالمستخدمون فى الضيعة يقومون بأعمالهم نفسها كسابق العهد ولكن بلا أجر . الا أنهم كانوا شاكرين إبقاءهم على قيد الحياة وثمة سبعة عشر مليوناً من المتعطلين فى البلاد . أما أصدقاء إيرما فكانوا يضيعون الخطط للقيام بالجولات المعتادة الى شاطئ البحر والجبال ، ومن لم تزل تصرف لهم حصص الأسهم يقومون بدور المضيف لمن لا تصرف لهم حصص ، وهكذا تمضى الأمور بالنسبة لكل انسان . وكان ثمة اعتقاد عام بأن الأعمال بدأت تنتعش أخيراً . وقد أضيف فضل هذه الانتعاش الى روزفلت . ولم يتحدث عن

الديون التي تكبدها الحكومة سوى نفر صغير من غلاة المتشددين مثل روبي بد جعلوا يتساءلون متى سيتم الوفاء بها وكيف ، فمعظم الناس لا يريدون الوفاء بالديون اطلاقا ويقولون ان هذا ما جر البلاد الى المتاعب . وطريق الخلاص ان تقترض وتنفق ما تقترضه بأسرع ما يمكن . ومن وجوه الانفاق الجمة ، فروزفلت قد سمح للناس بشرائها بدلا من صنعها في أحواض حماماتهم .

وحضر روبي الى المدينة بموعد محدد ، وفي مكتب ادارة املاك بارنز جلست معه ايرما ولاني في مؤتمر للاشتراك مع العم جوزيف بارنز ورجلين آخرين من الأوصياء على ثروتها ، وكانت مع روبي حقيبة أوراق حافلة بالأرقام التي تبين حالة مؤسسة بد لصناعة الأسلحة وقائمة بأعضاء مجلس الادارة الموالين له وأنصبة التصويت التي يسيطر عليها والأنصبة الأخرى التي يستطيع شراءها وأثمانها . وقدم الأوصياء قائمة بأقل مالديهم عائدا ، وراحوا يزنونها بأدق الموازين . وبمقتضى الوصية ، من حق الأوصياء ان يقولوا لا ، ولكنهم أدركوا أنهم بصدد مسألة عائلية ، وأنه من المرغوب فيه ان يكون حمو ايرما رئيسا لمؤسسة صناعية كبرى . ثم ان ايرما نمت وصارت سيدة تعرف ما تريد وتعبّر عنه بأسلوب العهد السابق على انشاء الرقابة البرلمانية على خزانة الدولة . فقد قال لها عمها جوزيف محذرا : « لا جدوى من الدخول في العملية ما لم تدخلها بثقل كاف يكفل لك الكسب » فقالت ايرما باقتضاب : « طبعا . ليست لدينا أية فكرة عن عدم الكسب » وهكذا تكون الدولة أنا ! فقال عمها : « ان دفعت أكثر من سعر السوق في أسهم بد فمعنى ذلك أنك ستخفضين رأس مال املاكك ، لأننا سنسجل هذه الأسهم في حساباتنا بسعرها في السوق » فقالت ايرما : « سجلوها على أي وجه شئتم . فاني أريد لروبي ان ينتخب » فقال عمها مستر بارنز على استحياء : « ان في وسعك طبعا ان تعوضى نقص رأس المال بتقليل نفقاتك فترة من الزمن » فوافقت جلالتها قائلة : « وهو كذلك . ولكن على ان يكون أوان ذلك حينما تكفل لى مزيدا من الدخل » .

- ٢ -

توجه يوهانس الى نيوكاسل لزيارة آل روبي بد . وكان لدى مؤسسة ر . ر مشكلات كثيرة يتحدثان فيها ، وعندما وصلت ايرما

ولانى كان الاثنان غارقين فى العمل ، لأن روبى يعتبر يوهانس أبرع
بائع عرفه فى حياته بلا منازع ، وهو مصمم على أن يجعل له مكانا فى
مؤسسة بد . فان كسب روبى صار يوهانس الممثل الأوروبى للمؤسسة ،
وان خسر روبى صار يوهانس مساعدا لروبي على أساس المشاركة بصورة
معينة . ولدى روبى عقد مع الشركة لا يزال ولن تنقضى مدته قبل نحو
ثلاثة أعوام ومن حقه بمقتضاه أن يتقاضى عمولات على جميع المبيعات فى
البلاد الواقعة فى اختصاصه . وقد وضع روبى هذه الأمور أمام صديقه
بلا تحفظ . والدافع له الى ذلك طبى نفسى بقدر ما هو مالى ، فهو يريد أن
يخرج يوهانس من شعوره بالأسى والكآبة ، وسبيل ذلك أن يدفع به الى
غمار العمل .

واردف روبى : « هذا طبعا بشرط أن تبقى لنا بقية من الأعمال »
فقد كانت امريكا تعاني من انتفاضة حارقة تعرف باسم « العهد الجديد »
فى التعامل ، وهو ما يصفه روبى بأنه « حكومة أساتذة الكليات وتلاميذهم
المخرجين » فراحوا يقلبون البلاد رأسا على عقب . . . وأنشئت أسواق
جديدة للسلع عن طريق اقتراض المال ممن يملكونه واعطائه لمن لا يملكونه
وجانب من العاطلين استخدموا فى تجفيف المستنقعات لزراعة الحاصلات
فى الوقت الذى يشغل فيه جانب آخر منهم بحفر المستنقعات لايواء البط
البرى . وهلم جرا طيلة الوقت الذى يجد فيه روبى « بد » انسانا يصفى
اليه .

وقد سر جميع من فى نيوكاسل بمراى الزوجين الشابين مرة أخرى
فيما عدا العم لوفورد الذى لم يذهب لرؤيتهما . والمكان الوحيد الذى رايه
فيه من قبل هو الكنيسة ، والآن سيقضى لانى وايرما صباح الأحد فى لعب
الجولف أو التنس بعد أن أخلى الجد الطريق . ولكن أترأه حقا أخلى الطريق؟
يبدو أنه لا يستطيع الوصول اليهما الآن الا اذا ذهب الى وسيطة روحية !
وقال لانى : « كم أود أن أجرب النوم فى فراشه ليلة واحدة لارى هل
سأسمع دقا » فقالت ايرما : « يا لها من فكرة فظيعة ! » فقد بدأت تعتقد
بالأرواح نصف اعتقاد فهذه النظريات العويصة عن العقل اللاواعى لم تؤثر
فيها كثيرا لأنها ليست واثقة بأن لديها عقلا لاوعيا .

وبدأت رحلات اللهو وجولاته المعتادة فتوجهها بالسيارة الى مين وبعدها
الى أدبروند اكس فكثيرون جدا من الناس كانوا يريدون رؤيتها . وهؤلاء
هم اصدقاء ايرما القدامى من الشبان اللامعين المراحين ، وقد ألفوا غرابة
أطوار زوجها ، فان أراد أن يعزف على البيانو عزفا صاخبا وهم يلعبون

البريدج فلا بأس وسيفلقون الأبواب بينهم وبينه . ولم يعد يتكلم بأسلوب « وردى » كسابق عهده ولذا استقر لديهم أنه بدأ يثوب للرشد . أنهم يمارسون الألعاب ويقودون السيارات والزوارق الشراعية فيسبحون ويتغزلون قليلا ، وبعض الأزواج يتشاجرون ، وبعضهم الآخر يتبادلون الشركاء على المنوال الذى كان متبعاً فى رأس المربعات قديماً ، إلا أنهم جميعاً اتفقت كلمتهم على أن يتركوا من هم أسن منهم يقلقون ويحملون الأعباء .

« اننى ينبغي أن أقلق ولكننى أترك جورج يقوم غنى بذلك » وهكذا كان شعارهم فالفضيلة التى لا غنى عنها أن يكون لديك مال طائل . أما أن تذهب للعمل فتلك هى الكارثة التى لا تتصور . وقالت إيرما بعد زيارة أمتعتهما فيها كاتب مسرحى وجيه جداً بحديث متألق « لانى ! ... ألا تظن أنك مستطيع أن تتحمل الإقامة هنا جانباً من الوقت على الأقل ؟ » وكانت تريد أن تضيف إلى ذلك « بعد أن أصبحت الآن أكثر تعقلاً » فهى لا تعتقد حقاً أنه غير معتقداته السياسية ، ولكنها تجد المال أفضل بكثير وأوفق عندما يكتسب هذه المعتقدات . فان داوم على ذلك مدة كافية صارت المسألة عادة . وعندما مرا بنىويورك لم يزر مدرسة راند لعلم الاجتماع ولا أى معسكر من تلك المعسكرات الصيفية التى يحتشد فيها عدد كبير صاحب من الناس ومعظمهم عمال من أصل يهودى وكأنهم لكثرتهم نحل فى خلية . وقد كان يخشى أن يكون هؤلاء « الرفاق » قد علموا بما نشر عنه فى الصحف النازية ، وخشى أيضاً أن يقوم عملاء النازية فى نيويورك بتبليغ جورنج . فبقى مع زوجته وصنعت هى أقصى ما فى وسعها لتكون كل ما تستطيعه امرأة لرجل . وأفلحت هذه السياسة شهراً ، إلى أن كان ذات صباح فى شوراكرز على أهبة الاستعداد لرحلة بالسيارة إلى معسكر فى « تاويزند ايلندر » فإذا لانى يدعى إلى التلفون ليتلقى نص رسالة برقية جاءت من « كان » بتوقيع هانسى وهى خطاب غفل من التوقيع لم يمكن التثبيت من مرسله وعليه ختم بريد برلين ونصه فريدى فى « داخاو » .

- ٣ -

وكانت أمتعتهما قد أعدت ورتبت فى السيارة المنتظرة أمام واجهة القصر وايرمامنصرفة إلى اللمسات الأخيرة فى وجهها حين وقف لانى أمامها وعلى وجهه تقطيب التفكير قائلاً : « لست أدري يا عزيزتى كيف يمكننى أن أمضى فى هذه الرحلة بالسيارة » وكانت تعرفه جيداً بعد أربع سنوات من الزوجية فحاولت ألا تظهر خيبة أملها وسألته « وماذا تريد بالضبط

ان تصنع ؟ » فأجابها « أريد ان افكر فى كيفية مساعدة فريدى » فسألتها « اتظن ان الخطاب من هوجو ؟ » فأجابها « لقد افهمته بوضوح ان يوقع باسم بوكلىن ، فاعتقد ان الخطاب لابد ان يكون من أحد رفاق فريدى وهو شخص على علم بأننا ساعدنا يوهانس ، أو لعله شخص غادر « داخاو » ، فسألتها « الا تظن أنه يمكن ان يكون ملعوبا ؟ » فأجابها « ومن عساه يهدر طابع بريد ليلعب علينا ملعوبا كهذا ؟ » ولم يسعفها ذهنها بجواب فسألتها « ألم تزل على اعتقادك بأن فريدى أسير جورنج » فأجابها « يقينا . لانه ان كان فى معسكر الاعتقال فجورنج يعرف انه هناك ، وكان يعرف ذلك عندما اخبرنى فورت فنجلر أنه لم يستطع العثور عليه . وقد أمر بارساله الى ذلك المكان البعيد عن برلين كى يصعب علينا العثور عليه » فسألتها « اتظن أنك مستطيع أن تأخذه من تحت يد جورنج . ان كان جورنج غير راغب فى اطلاق سراحه ؟ » فأجابها « ان ما فى ذهنى هو أننا ينبغى أن نفكر فى ألف شىء قبل أن نوقن بأحسن وسيلة للعمل » فقالت له « هذه مهمة فظيعة قدرة يا لاني » فقال « أعلم ذلك يا حبيبتي ولكن ماذا نستطيع غير ذلك ؟ ليس فى وسعنا أن نمضى فى الاستمتاع والتلهى رافضين التفكير فى صديقنا . و « داخاو » مكان مرعب أشك فى أن له نظيرا فى فظاعته فى العالم كله اليوم . الا أن يكون ذلك معسكرا آخر من معسكرات النازى . ثكنات متهدمة لا تصلح اطلاقا للسكنى حشر فيها نحو ألفين أو ثلاثة آلاف شخص حشرا . وهم لا يبقونهم هناك سجناء فحسب بل يصنعون بهم ما قاله لى جورنج بفمه ، الا وهو استخدام العلم الحديث فى تدميرهم جسدا وعقلا وروحا . انهم العقول والقرائح فى المانيا وهم بسبيل تحطيمهم بحيث لا يستطيعون بعد ذلك القيام بأى عمل ضد نظام النازى » فسألتها « أتصدق ذلك حقا يا لاني ؟ » فأجابها « انى موقن من ذلك يقينى من أى شىء فى أحوال البشر ، فقد لبثت أدرس هتلر وحركته اثنتى عشرة سنة ، وأنا حقيقة أعرف شيئا عن هذه الحركة » فقالت : « ما أكثر الأكاذيب يا لاني ، فالمشتغلون بالسياسة يكرهون أعداءهم ويبالفون ويختلقون المفتريات » فقال : « أنا لم ألق كتاب كفاحي ، ولا القمصان البنية ولا أعمال القتل التى يرتكبونها ليلة اثر ليلة فيقتحمون بيوت الناس ويطعنونهم أو يطلقون عليهم الرصاص فى فراشهم أمام أعين زوجاتهم وأطفالهم أو يجرونهم الى ثكناتهم ويضربونهم حتى يفقدوا الرشده » فقالت : « لقد سمعت هذه الحكايات الى أن غشيت نفسى . ولكن فى الجانب الآخر أيضا رجال بهذا العنف ثم كانت هناك استفزازات على مر السنين والحمر فعلوا هذه الأفاعيل بعينها فى روسيا وحاولوا أن يفعلوها فى المانيا . . »

فقال لاني : « ولكن الشيوخ ليسوا هم الذين يعذبون هناك وحدهم
يا عزيزتي ، فهناك أنصار السلام والاحرار بل ورجال الكنيسة • والمثاليون
الودعاء وأنت بالتأكيد تعلمين أن فريدي ماكان ليؤذي كائنا حيا ، •

- ٤ -

ووضعت ايروما من يدها فرشاة الزينة الا انها ظلت جالسة على المقعد
الصغير المستدير امام مائدة زينتها ، وكانت لديها اشياء كثيرة أجلت
التصريح بها منذ وقت طويل • والآن فيما يبدو حان الوقت لتريح ذهنها
من هذه الناحية فشرعت تقول : « في وسعك أيضا أن تنتهز هذه المهلة
لتفهمني يالاني • فان كنت تنوي الغوص في أمر كهذا فيجب ان تعرف
شعور زوجتك من هذه الجهة » فأجابها بلطف « طبعا يا عزيزتي » فقد
استطاع أن يخمن ما ستقوله بعد ذلك • وقالت : « اجلس » فلما اطاعها
استدارت لتواجهه وقالت : « تقول ان فريدي مثالي وانك مثالي وهي كلمة
اراك شغوفاً بها ، وهي كلمة لطيفة جدا ، وكلاكما فتي بديع ولا يمكنكما
أن تؤذيا أحدا أو شيئا على وجه الأرض • وانت تصدق ما تريد ان تصدق
عن الدنيا ، وما تريد أن تصدقه هو أن الآخرين مثلك طيبون رحماء غير
أنانيين ، فهم بإيجاز مثاليون • ولكنهم ليسوا كذلك بل هم أهل حسد
وبغضاء وطمع وتلف على الثار ويريدون القضاء على الملاك ومعاقبتهم على
جريمة يسر حياتهم يسرا أكثر مما ينبغي • هذا ما في قلوبهم ، وهم
يتربصون الفرص لتنفيذ مخططاتهم وعندما يلتقون بكم معاشر المثاليين
يقولون هؤلاء طعامنا ! ويداجونكم بالحيلة ويعاملونكم معاملة المغفلين
ويأخذون نقودكم لبناء ما يسمونه حركتهم • وأنتم تخدمونهم بمساعدتهم
على بث الألام وتدمير ما تسمونه الرأسمالية • وهم يسمونكم الرفاق
ما استطاعوا استخدامكم ولكنكم في أول يوم تجسرون على الوقوف في
طريقهم أو التدخل في خططهم فسينقلبون عليكم كالذئاب • الا تعلم أن
هذا حق يا لاني ؟ » فأجابها : « هذا حق بالنسبة لكثيرين لا شك عندي »
فقالت : « وستجده يصدق على كل واحد منهم عندما يحين أوان تكشف
النيات الخفية • أنتم واجهتهم وستارهم الخادع • أنت تحدثني بما سمعته
من فم جورج ، وأنا أحدثك بما سمعته من فم الحال جيسي لا مرة واحدة
بل مائة مرة ! وهو يقول مازحا ولكنه يعنيه لأنه برنامجه • ان الاشتراكيين
سيقومون بثورتهم السلمية وعندئذ ينبري الشيوعيون ويأخذونها من

أيديهم انتزاعاً . وسيكون ذلك سهلاً لأن الاشتراكيين ظرفاء رقيقون . انهم مثاليون ! وقد رأيت ذلك يحدث في روسيا ثم في المجر . ألم أسمع بأذني كارولي يحدثك بذلك ؟ » فقال « نعم يا عزيزتي . » فاستطردت « بضمّة قال لك ذلك ! ولكن ما قاله لم يكن له وزن كبير لديك لأنه ليس ما تريد أن تعتقد أن كارولي سيد مهذب ذو نفس نبيلة - ولست أتهم - فقد حظيت معه بحديث طويل وأنا واثقة بأنه من أسامي العقليات التي عاشت على وجه الأرض . » كان نبيلاً يملك الضياع ، فلما رأى الحراب والفاقة بعد الحرب أعطى ضياعه للحكومة وما من انسان يستطيع أكثر من ذلك . وصار رئيس الوزارة الاشتراكية في المجر وحاول أن يحدث تغييراً سلمياً ، ولكن الشيوعيين ثاروا ضد حكومته ، فماذا صنع ؟ لقد قال لي بالحرف الواحد ، لم استطع أن أطلق الرصاص على العمال . فترك الفوضى بزعامة الشيوعيين يستولون على الحكومة ، وقام ذلك النظام الفظيع الدموي على يد ذلك اليهودي . ما اسمه ؟ » فقال بيلاكون فاستطردت : « نعم . » وأنت قلت لي الآن أنك لم تخلق كتاب كفاحي ولم تخلق القمصان البنية وكذلك أنا لم أخلق بيلاكون ولم أخلق ليبكنخت ولا تلك اليهودية الحمراء المسماة روزا التي حاولت أن تصنع ذلك الصنيع بعينه في ألمانيا ولم أخلق آيسنر الذي صنع ذلك في بافاريا ، ولا تروتسكي اليهودي الذي ساعد على مثل ذلك في روسيا . واعتقد أن اليهود عموماً لا يشعرون بالانتماء لوطن وهذا ما يحول بينهم وبين الوطنية . ولست أقصد بذلك أن ألقى عليهم اللام ، ولكني أعلل اتجاهاتهم الثورية وأواجه الوقائع على نحو ما ظلمت دائماً تدعوني لمواجهتها » فقال « لقد واجهت أنا منذ زمن طويل واقعا معينا هو كراهيتك لليهود يا إيرما » فأجابت « اني أبغض بعضاً منهم بغضا عميقاً ، وأبغض صفات معينة فيهم جميعاً . » ولكني أحب فريدي وأهتم بآل روبن وان نفرنتي آراء هانس ولقد قابلت يهوداً غيرهم أحبهم هم أيضاً »

- ٥ -

وظلا يتجادلان برهة ولكن بغير طائل . فقد تناقشا في هذه الأمور مرارا كثيرة من قبل ، ولم يتغير موقف أحد منهما تغيراً كبيراً . فعلى مدى أربعة أعوام أصفت إيرما بكل انتباه لمناظرات زوجها مع شتى صنوف الناس ، وما لم يكونوا شيوعيين كانت تلفي نفسها على الدوام تقريباً متفقة في الرأي مع من يناظرهم . فكأنما شبح ج . باراماونت بارنر

واقف الى جوارها يخبرها بما تعتقد ويقول لها « لقد عملت بجهد ولم يكن ذلك هباء . وقد منحتك مكافأة حسنة وأنت يقينا غير راغبة في تبديدها ! ولم يقل الشبح قط صراحة » وماذا تمسين بغير أموالك ؟ » بل قال « ان الأمور ليست بالسوء الذي يزعمه دعاة الخراب والكوارث . وثمة على كل حال وسائل للعلاج » وحينما يسألها لاني مهتاجا « وما هي وسائل العلاج هذه ؟ » يلوذ شبح ملك المشروعات العامة بالصمت ويغلب القموض على ايرما وتتحدث عن أشياء من قبيل الزمن والتعليم والاستنارة الروحية .

وقال زوجها « لا جدوى من المضي في هذا النقاش يا عزيزتي . فالمسألة هي ماذا نحن صانعون في شأن فريدي ؟ » فأجابته ليتك فقط تخبرني بشيء محدد نستطيعه له ! فقال « ولكن هذا غير ممكن يا عزيزتي . فيجيب اذ اذهب الى هناك وأحاول هذا الشيء وذلك وأبحث عن وقائع جديدة وأستخرج منها نتائج جديدة . فالشيء الوحيد الذي أستطيعه فيما يبدو لي هو ألا أترك فريدي لمصيره فهو ليس صديقا فحسب ، بل هو تلميذ لي على نحو ما . لقد ساعدت في تعليمه ما يؤمن به الآن وكنت أرسل اليه المطبوعات وأريه ما يصنع ويقوم بتنفيذه . فالتزامي نحوه مزدوج . فقالت « وعليك التزام نحو زوجتك وابنتك أيضا » فقال « طبعا . ولو كانتا في مازق لكانت لهما الأفضلية ، ولكن ابنتي على مايرام . وأما زوجتي فأمل أن ترى الأمور كما أراها » فسألته « أتريد مني أن آتي معك مرة أخرى ؟ » فأجابها « طبعا أريدك . ولكني أحاول أن أكون منصفًا ولا أضغط عليك ، فانا أريدك أن تصنعى ما يبدو لك صوابا » .

وكانت ايرما مفرمة بتنفيذ مشيئتها ولكنها لا تستريح كل الراحة لاستعداد لاني بترك الامر لها ، فذلك أشبه على نحو ما بعدم الاكتراث . وكانت تقول « ان المرأة تريد أن تكون مطلوبة » وناشدها « ولا تكوني سخيقة يا حبيبتي فانا طبعا أريد مساعدتك لي . وقد احتاج اليه أشد الحاجة في وقت من الاوقات ، ولكن ايجب لي أن أجرك الى هناك رغم ارادتك بحيث تشعرين أنك مكرهة ؟ » فقالت « يضجرني جدا أن أقيم في بلاد لا أفهم لغتها » فقال لها « ولماذا اذن لا تتعلمينها ؟ » ان اتفقنا انا وأنت إلا نتكلم نسوي الألمانية فيما بيننا ستمكين من الثروة بها بطلاقة بعد اسبوع أو أسبوعين » فسألته « وهل هذا ما أصنعه بالانجليزية يا لاني ؟ » فسارع الى معانقتها وتهدة مشاعرها الثائرة . وهذا هو الأسلوب الذي يسويان به خلافاتهما ، فهما ما زالا متحابين جدا . وعندما يجد نفسه

عاجزا عن حمل نفسه على التفكير على طريقته فأقل ما يستطيعه أن يغمرها بالقبلات ويقول لها انها أعز امرأة في الدنيا عليه .

وانجلت المناقشة عن قرارها بالذهاب معه مرة أخرى ، ولكن من حقها أن تعرف ما سيصنعه قبل أن يشرع فيه فأجابها « طبعاً يا حبيبتي . وكيف بغير ذلك أستطيع أن أحصل على عونك ؟ » فقالت « أعني أن الأمر اذا لم يرضني فمن حقى أن أقول ذلك وان أرفض المضى فيه » فقال مرة أخرى « ألم يكن لك هذا الحق دائما منذ زواجنا ؟ » .

- ٦ -

استقر يوهانس في نيويورك حيث كان يقوم بقضاء الأعمال لروبي ويحاول بطريقة عرضية أن يلتقط لنفسه بعض العمليات المالية ، وهو شيء لا يمكن أن يفوته ما عاش . واتصل لاني تليفونيا بأبيه الذي حضر بالسيارة وعقد الأربعة اجتماعا طويلا في حجرة يوهانس بالفندق وقبلوا المشكلة على جميع وجوهها واتفقوا على شفرة خاصة للتفاهم فيما بينهم . واتفقوا مع لاني على أن فريدى ان كان سجيننا لدى الحكومة فرييس وزارة بروسيا يعرف ذلك ولا يمكن أن تكون هناك جدوى من الاتصال به الا أن كان الغرض التعرض لاستنزاف أموال جديدة . وقال يوهانس « انه يعرف بلا شك مبلغ ما تملكه إيرما من الأموال » ولعله كان من شأن إيرما أن تقول « ويسعدني أن أنزل عنه بأكمله » ولكنها لم تقل ذلك . وبدلا من هذا قال روبي لابنه « ان أنت تركت أى انسان له صلة بالحكومة يعرف أنك هناك بسبب فريدى فمن المؤكد تقريبا أن يضعوك تحت المراقبة مستعدين لحصارك ويسببون المتاعب لكل من يعاونك » فأجاب لاني « ان لى مهنة وفكرتى أن أعمل فيها هناك بجهد واتخذها ستارا . فسأبرق الى زلطان وأرى هو مستعد لاقامة معرض لأعمال ديتاز فى برلين هذا الخريف . وسوف تترتب على هذا ضجة صحفية تتيح لى مقابلة الناس وفى الوقت نفسه سيعرف أصدقاء فريدى أين وكيف يتصلون بى . وكل هذا سيستغرق وقتا ، ولكنها الوسيلة الوحيدة التى خطرت لى للعمل فى ألمانيا الهتلرية » .

وهى فكرة يرجى نجاحها وترضى إيرما لانها محترمة . فقد قضت وقتا طيبا جدا فى لندن وعند عرض لوحات مارسيل هناك ، ويقترن ذلك فى ذهنها بأحداث رومانسية مثل الزواج على عجل وكتمان السر عن

اصدقائها ، وشعرت بمتعة الحبث لانه ما من أحد كان واثقا بأنهما متزوجان حقا . وكذلك معرض نيويورك كان متعة لها وان كان ذعر « وول ستريت » قد بدد هذه المتعة كأنها بالون مثقوب .

وقال لاني انهما قبل الإبحار يجب أن يقضيا فترة من الوقت في الاحتشاد للعمل ، لانه متى كانت معه دولارات أمريكية لشراء كنوز الفن الألمانية فلن يجد أشد النازيين تعصبا عيباً فيه . وكانت إيرما حتى ذاك الوقت تنظر الى مهنة الاتجار في الصور الفنية وكأنها النداء على عربة يد محملة بالفول السوداني . أما الآن فقد أصبح ذلك جزءاً من الميلودراما ، وكأنها ستتذكر في زى زوجة بائع الفول السوداني ؟ ولكن دون توضيحه حقيقية ببيتها الاجتماعية ، لأن أغنى الناس وأوجههم لا يمكن أن يساورهم الشك بأن ابنة ج . باراماونت بارنز تتجر في الصور سعياً وراء المال ، بل حبا في الفنون الجميلة ، وذلك شيء بديع ومحترم . وكلما أرسل لاني برقية الى عميل يخبره بأنه وزجته على وشك السفر الى ألمانيا ويحبب القدوم بالسيارة للتناقش مع العميل في أذواقه ورغباته ، فاقل ما يفعله ذلك الشخص أن يدعوها للشاي ، وكثيرا ما تكون الدعوة لقضاء الليل في مكان باذخ في بارهـاربر أو نيويورك ، في بريشـايرز وأعلى الهادسون .

وهكذا عندما استقل الشابان باخرة الى ساوثهامبتون كان لديهما مبرر ممتاز للإقامة في بلاد النازي . واختار عابرة محيط المانية لأن إيرما شرعت في تعلم اللغة وتريد فرصا للثروة . ونزلا في انجلترا لأن سيارتها كانت مخزنة هناك ، ولأن لاني أراد الاجتماع بريك قبل القفزة النهائية . وكان زلطان يخمن ما برأسيهما ، بيد أنه كان كتوما فلم يتفوه بكلمة .

وكانت بيوتى قد عادت الى جوان ، وبطبيعة الحال كان الزوجان الشابان يريدان رؤية فرنسيس الصغيرة والتباحث في الأمور مع آل روبن واطلاعهم على الشفرة . وفي طريقهما عرجا على أميلي وحصلا على نصيحها الحكيم . وذات ليلة مقمرة وصلا الى بيانفيني وسط العبير القوى الفواح من أزهار البرتقال والليمون . أتعرف هذه الأرض التي يزهر فيها الليمون ؟ وخيل الى إيرما انها لا تريد شيئا بعد هذا سوى البقاء في هذا الفردوس الأرضي .

وظلت ثلاثة أيام في نشوات حول حبيبته الصغيرة ، تستلفت نظر لاني الى كل كلمة جديدة تعلمتها . وكان لاني يستجيب الاستجابة الواجبة،

ولكنه يتساءل ماذا عسى أن ترى هذه الصغيرة في كائنين غامضين أشبه بالآلهة أسمهما ماما وبابا يقتحمان حياتها منقضين في فترات متباعدة ثم يختفيان وسط ضجة صاخبة من أصوات آلات السيارات وسحب الغبار .
ولاحظ ان الطفلة اشد اهتماما بكثير برفيقها الجديد في اللعب الذى أتاحه لها القدر بغير انقطاع . وكان الطفل فريدى مزدهرا كأنه وردة مخملية داكنة فى شمس ريف فرنسا الحارة التى أهلتها لها قرون كثيرة ماضية .
وقد نسي الخوف كما نسي أباه . وقالت إيرما فى نفسها : يجب أن أفرق بين هذين قبل أن يصلا الى سن الغرام ؟!

- ٧ -

اتخذت جميع التدابير والمعدات كأنما هى حملة حربية ، وفى أوائل سبتمبر توجه الزوجان الشابان الى برلين عن طريق ميلانو وفيينا . وكان لاني يعلم بأمر لوحات فنية فى هذه المدينة الاخيرة ، وموضوع تجارة اللوحات الفنية سيبدو اشد اقناعا اذا هو توقف هناك . وكان قد كتب رسائل الى عدد من أصدقائه فى ألمانيا يخبرهم بنيته قضاء الخريف فى وطنهم . وسيقررون أهدافه لأنه سيأتى الى بلادهم بعملة أجنبية . وبالعملة الأجنبية كان الألمان يحصلون على البن والشكولاته والبرتقال ، فضلا عن أقلام هوليود وبنادق بد الآلية . وكتب الى عقيلة وزير الرايخ جوبلز يذكرها بعرضها الرقيق أن تقدم له النصيح وأخبرها بمعرض ديتاز المزمع اقامته ، وأرفق رسالته ببضع صور فوتوغرافية وقصاصات صحف احتياطا لما يحتمل أن يكون أن عمل هذا الرسام لم يبلغ مسامعها . وفى الجزء الخلفى من السيارة كانت طائفة من أشهر أعمال مارسيل ملفوفة بعناية ومرتبة ، وليس من بينها صورة المحارب القديم ولا تلك الرسوم التى يندد فيها بالعسكرية الألمانية ، بل لوحة الخبز ولوحة أخت الرحمة ، بما فيها من لطافة مؤثرة تناسب شعبا وقع منذ قليل اتفاقية ضد الحرب ، وثمة نماذج لمناظر فى الأرض والبحر على ساحل الريفيرا الرومانسى الذى زاره كثير من الألمان وأحبوه . أتعرف تلك الأرض .

وإثناء اختراق السيارة إيطاليا وهما فى أمان ممن يسترقون السمع ناقشا شتى احتمالات هذه المعركة . هل ينبغى أن يلجأ الى ما عسى أن يكون لدى قائد الطيران الألماني من معنى الشرف ؟ ينبغى أن يحاولا التودد اليه والحصول منه على خدمة خاصة فى وقت يكون فيه مكتظا بالخطر الجيدة؟

أينبغي أن يعرضاً عليه مقابلاً نقدياً بصراحة : أم ينبغي أن يحاول الوصول بعد ذلك إلى الفوهرر وإقناعه بأنهما كانا ضحية حنث بعهد ؟ هل ينبغي أن يتجها إلى جناح جوبلز ليجدا هناك شخصاً ذا سلطان بحاجة إلى المال فيستطيع أن يحرك الحيوط الخفية ؟ أينبغي أن يحاول الاتصال سرا ببعض الاشتراكيين الشباب عساهم يعدون العدة لاقتحام السجن ؟ وراحا يغربلان هذه الفروض ومشروعات كثيرة غيرها ويقلبانهما في ذهنهما وهما يتحسسان طريقهما داخل غابة النازي . وكان شيء واحد فقط محققاً أيا كانت الخطة التي يقررانها ففي وسعهما تنفيذها بمزيد من الأمان إذا استقرا في برلين محتلين مكانة بارزة اجتماعياً مرموقة فنيا باعتبارهما الوارثين والمفسرين لأعمال رسام فرنسي عظيم ، والراعيين والصدّيقين لمؤلف موسيقى ألماني وهلم جرا إلى آخر صنوف البريق المتباعدة التي يستطيعان أضفائها على نفسيهما .

ولم يكن من العسير إطلاقاً على لاني في فينا أن يستأنف دور خبير الفنون . وفي أحد القصور نصف الميته على الطريق الدائري عشر على رأس رجل بريشة موبيم (رسام هولندي من القرن السابع عشر) ملاء حماسة فابرق إلى أحد الهواة في توكسيد وبارك وتم البيع في يومين وبذلك ربح تكاليف إقامة طويلة في برلين قبل أن يصل إلى هناك . وكان وقع ذلك على إيرما قويا فقالت « عسى أن يسمح لك جورنج ببيع لوحات قصر روبن لحسابه . وبذلك يحصل يوهانس على ابنه في مقابل ما كان يملكه من أعمال فنية !

- ٨ -

وقاما بدورة كي يقضيا يومين في شتوبندورف ، لأن كيرت مايسر كان أشبه بحصن لا بد من إخضاعه قبل أن يتمكن الجيش من التقدم إلى ما وراءه ولا شك أن هاينريش كان قد كتب إليه شيئاً عن تحول لاني إلى العطف على الاشتراكية الوطنية . وليس من المصلحة أن يرد عليه كيرت « أحذر منه فهو لا يعنى ذلك حقاً » فإن كان لاني عازماً على النجاح في الجاسوسية فما هنا يجب أن يبدأ ، وستكون الخطوة الأولى اشق الخطوات .

وانه لشيء عجيب أن يجدد المرء صداقات قديمة وفي الوقت نفسه يحولها إلى شيء آخر ! شيء عجيب أن يصفى لكونشر توكيرت الجديد على

البيانو بنصف عقله ، وبالنصف الآخر يقول لنفسه « ماذا أقول بحيث يبدو الكلام مناسباً بالضبط وكيف أنتقل منه الى ما أريد أن أحدثه به عن آل روبن ؟ » .

أهذا هو السبب في أن موسيقى كيرت بدت وكأنها فقدت حيويتها ؟ لقد كانت حماسة لاني في الأيام الخوالي تبدو طليقة غير محتجزة ، فكيف كان يتدفق مع هذه الأنغام التوافقية الكاسحة وقدماء كانتا تمضيان مع هذه الضربات الهادرة ، وكان موقنا يقينا مطلقا بأن هذه أبداع موسيقى في العصر الحاضر ولكنه الآن يقول لنفسه « لقد ربط كيرت نفسه بهؤلاء المتعصبين السياسيين وصار تفكيره كله ومتكيفاً بصيغهم الفكرية ، فهو يحاول أن ينفخ نفسه ليبدو شديد التأثير ولكنه في الواقع بضاعة عتيقة وقد وصل الى المرحلة التي يتكرر فيها نفسه » .

ولكن لاني ينبغي ألا يبدو عليه أقل أثر لهذا التفكير، فهو متأمر ومراء يستخدم الفن ونقد الفن ستارا يمويه به أيديولوجيته وصيغته الفكرية . فكان لابد أن يقول « هذا شيء خارق ياكيرت ، فالختم أعلى ذروة وصلت إليها قط ، والمقطوعة البطيئة تبكي ما في العالم من ويلات وكم بدت له هذه العبارات التي أفصح بها عن نشوته الموسيقية سخيفة ، وتفوهه بها سخيرة بالصدقة تجرد الضيافة من كل سحرها ، بل وتفسد مذاق الطعام الذي أعدته لضييفها الأم الطيبة العاقلة فراومايسنر . ولكن الحيلة نجحت ، وامتلا قلب كيرت بالدفع نحو صديقه وقرر أن الحلافات السياسية ينبغي ألا يسمح لها بأن تحجب عن عين المرء ما في خصمه من مزيد . وبعد ذلك ذهب لاني للسير في الغابة تاركا إيرما تتحدث حديثا قلبيا مع كيرت وتحاول معه ربما كان عسيرا على لاني . فمن العجيب أن إيرما كانت بصفة جزئية فحسب فقالت لذلك الموسيقي الألماني مالم تقله لأي إنسان آخر وما لم تكن تظن أنها قائلة قط ، وبذلك ادخلت الطمانينة عليه وأثرت فيه بطبيعة الحال . شرحت له كيف أن لاني أمين وقد عاملها بأنصاف ، فقد أخبرها بمعتقداته السياسية قبل أن يسمح لها بالاهتمام به . ولكنها كانت جاهلة بأمور الدنيا ولم تدرك معنى أن يكون المرء اشتراكيا أو عاطفا على أفكار الاشتراكيين وإنما يعني ذلك مقابلة أبشع الناس وتدخلهم في شئونهم . ولا تتعرض لذلك كله من المخلصين منهم فحسب ، بل ومن المحتالين والافاقين الذين تعلموا التشديق بالعبارات المحفوظة كاللبغاء ! ولاني عاجز عن التمييز بين هؤلاء وهؤلاء . ومن ذا يستطيع ذلك حقا ؟ فما أشبه هذا بخروجك الى الدنيا مسلوخ الجلد فتستطيع أية حشرة تحط

عليك أن تلدغك على هواها . وقالت الزوجة الشاببة « وليس الأمر قاصرا على الاشتراكيين ، بل هناك الشيوعيون وسائر صنوف المشاهدين وصناع القلاقل . وأنت تعرف الحال جيسى ومدى مرارته وأى خطب فظيعة يلقيها ، فأجابها كيرت « لدينا ملايين من أمثاله فى ألمانيا فالحمد لله أن هذا الخطر لم يعد له وجود » وقالت « لقد ظللت أناشد لاني وأجادله أكثر من أربع سنين وجاءت فترة كنت فيها مستعدة للكف عن ذلك يائسة ولكنى الآن بدأت أعتقد أننى أحرزت شيئا من النجاح . وأنت تعرف لاني وكيف يصدق ما يقوله له الناس . ولكنه فى المدة الأخيرة يبدو وكأنما أدرك الطبيعة الحقيقية لبعض الناس ممن ساعدتهم . ولذا أريد أن أطلب اليك أن تكلمه فى ذلك فهو يكن لك اعزازا عميقا وقد تكون قادرا على شرح ما يحدث الآن فى ألمانيا فتساعده على أن يرى الأمور فى ضوءها الصحيح » فقال كيرت « لقد حاولت مرارا كثيرة ، ولكنى لم أوفق إطلاقا » فقالت « حاول مرة أخرى ، فلانى سريع التأثير . وما رآه من نجاح حركتكم هز أفكاره هزا شديدا . وأهم ما يريد هو حل مشكلة البطالة . فهل تظن أن الفوهور سيتمكن حقا من حلها ؟ » فقال « لقد تحدثت إليه وأنا أعلم أن لديه خططا عملية وأنه شرع فعلا فى تنفيذها » فقالت « اشرح هذا للانى بحيث يتمكن أثناء وجوده هنا مع صور مارسيل من المراقبة والفهم . وقد يبدو غريبا أن أدعه يبيع صوراً ولدى كل هذه الأموال . ولكن عزمى صبح على وجوب تركه يزاول عملا ما لأجنبية مذلة العيش على أموال زوجته » فقال الموسيقى وقد تأثر كثيرا بسداد حكم هذه الشاببة التى كان يخالها فراشه اجتماعية هو جاء « أنت على صواب تماما . ولانى مجدود الطالع اذ وفق الى زوجة تفهم مواطن ضعفه هذا الفهم الحسن . دعيه يتعلق بشئ واحد يا إيرما وامنعيه من الجرى وراء كل سائحة بارقة كالسراب المتنقل تعترض طريقه » .

- ٩ -

وهكذا جدد صديقا الصبا هذان ما بينهما من ثقة ورغبة فى التكاشف ، وقد لعبت بهما الحياة أفانين عجيبة من الألاعيب تفوق التوقع . فمنذ عشرين سنة بالضبط عندما التقيا فى القرية السكسونية الوداعة قرية « هلاو » وهما يرقصان على موسيقى « أورفيوس » « لجلوك » ، ولو أن أحدا حدثهما عن الحرب العالمية قبل موعدها بسنة وعن قيام كيرت بعدها بخمس سنين فى باريس بدور الجاسوس الألماني الذى يعطى عشرة

(٢٨) أنياب التنين - ٤٣٣

آلاف فرنك فى المرة للخال جيسى لاستخدامها فى اثاره الشغب بين صفوف العمال الفرنسيين ا أو لو قيل لهما عن الفنان المسكين الفاضل الذى يكسب خبزه وسجقه برسم بطاقات البريد وينام فى الليل بين المتسولين والمتشردين فى فينا ، وقد كتب له أن يقدو بعد عشرين سنة سيد المانيا كلها ، فماذا كانا عساهما قائلين ؟

ولكن ها هو أدولف هتلر الفوهرر الواحد الاوحد لالمانيا والمالك الاوحد لحل المشكله الاجتماعيه وصاحب السلطه فى الوقت نفسه لوضع ذلك الحل موضع التنفيذ . وشرح كيرت ما كان يصنعه أدى وما ينوى أن يصنعه ، واصفى لاني بانفعال عميق ، ثم كان تعليق الرجل الاصفر سنا « هنا الكلام يبدو أجمل من أن يكون حقيقة واقعة » . فاجابه المؤلف الموسيقى « سترى بنفسك وعندئذ ستصدق وقال لنفسه « ياللانى المسكين ! انه طيب ولكنه ضعيف مثل سائر من فى الدنيا يبهمة النجاح » ولما كان قد قضى ثمانية اعوام عشيقا لبيوتى فهو يعرف اللغة الامريكية وقال لنفسه « لقد بدأ بالفعل ينضم الى المظاهرة الصاخبة » .

وهكذا عندما غادر الزوجان الشابان شتوبندورف الى برلين تركا كل شىء فيها على النحو الذى يريدان ، فكبرت ارتد صديقهما المستعد لتقبل أى نبا طيب فيما يتعلق بهما . وفى وسعهما أن يسالاه النصيح او تقديمهما الى من يعرفهم عند الحاجة . وفى وسعهما أن يدعوا الى برلين لمشاهدة معرض ديتاز وأن يستغلا شهرته الموسيقية لأغراضها الخاصة . ولم يدع لاني هذه الفكرة تؤرق ضميره لأنه يصنع ذلك لأجل فريدى لا لأجل نفسه . وفريدى موسيقى أيضا ومن سلالة باخ ، وبيتهوفن وبرامز شأنه شأن كيرت تماما . وهذان الالمانيان كثيرا ما عزفا المؤلفات الموسيقية معا ، وكثيرا ما دل عازف الكلارينيت المؤلف الموسيقى على وسائل عملية تفيد فى الكتابة لهذه الآلة . وعندما ذكر لاني لكيرت أن فريدى منذ شهر مايو قال كيرت « يا للفتى المسكين ؟ » ولكنه لم يزد ، فلم يقل « يجب أن نفحص هذا الامر يا لاني لان الاخطاء كثيرا ما تقع ولا ينبغى أن يترك مثالى رقيق لا ضرر منه يتحمل العقوبة عن اخطاء غيره من ولكن كيرت كان حريا أن يقول ذلك ، الا انه لم يقله لأنه صار نازيا كاملا يحتقر الشيوعيين واليهود وهو غير مستعد أن يحرك أصبعها واحده لمساعدة خير الناس من هؤلاء او أولئك . ولكن لاني مزعم أن يساعد فريدى ، وسيبيع لنفسه أن يجعل كيرت يقوم بنصيب فى هذه المحاولة .

وفى يوم وصول ايرما ولانى الى فندق آدلون ضرب ضيف آخر وهو أمريكى مسن ضربا قاسيا بيد جماعة من ذوى القمصان البنية لانه فاته ان يلاحظ مرور استعراض ولم يؤد التحية النازية . وعندما توجه الى مركز الشرطة للشكوى عرض عليه الشرطة ان يعلموه كيف يؤدى التحية النازية . وبتكرار مثل هذا الحادث كاد ينقطع النزر اليسير من السائحين ، وهذا من حسن طالع خبير الفن وزوجته لانه يضيف عليهما أهمية ويفسح المجال لديتار وأعماله . فكل واحد يريد أن يبين أن جمهور برلين العظيم محب الفن ليس ريفيا فى أذواقه بل هو متفتح لجميع التيارات التى تهب عبر العالم .

وتحدث لانى عن زوج أمه السابق الذى احترق وجهه فى الحرب وقام بأعظم رسومه وهو واضح قناعا من الحرير الابيض . وأعماله معروضة فى متحف اللوكسمبورج وفى المتحف الوطنى بلندن وفى متحف المتروبوليتان بنيويورك . ولانى يفكر الآن فى إقامة معرض منفرد له فى برلين وربما دعا الحجة الشهير سلطان كيرتيزى ليتولى الاشراف عليه . وقبل أن يوزع الصور الفوتوغرافية أو يقوم بمزيد من الدعاية حول الموضوع رغب فى استشارة وزير الرايخ الدكتور يوسف جوبلز ليتأكد من أن خطته ترضى عنها الحكومة فهذه هى الطريقة المثلى لمعالجة الأمور حينما تكون الصحافة موجهة . وكانت كياسة الزائر موضع التقدير فلقيت أحاديثه الصحفية مكانا أرحب مما كانت حرية أن تظهر به لو أظهر التلief .

وكان لانى قد أرسل بالفعل برقية الى ماجدة جوبلز فاتصلت به سكرتيرتها تليفونيا وحددت موعدا لليوم التالى . وبقيت ايرما فى حجراتها تتدرب على اللغة الألمانية مع الخادومات وعاملات المانيكير والحلاقين، وركب لانى السيارة الى المسكن الكائن فى ميدان الرايشستاج وانحنى وقبل يد السيدة الأولى فى المانيا . فالمفروض أن هذه هى مكانتها لأن هتلر أعزب وجوزنج أرمل . وجاء لانى معه بحاجبين من الفندق يحملان لوحات . على نحو ما كان يحدث فى أيام مارى انطوانيت وأيام والدتها ماريا تيريزا امبراطورة النمسا . ووضعت لوحة أخت الرحمة فى ضوء مناسب وظفرت بالاعجاب . وعندما سألته السيدة وزيرة الرايخ من هى لم يخف عليها انها أمه وانها معروفة فى مجتمع برلين .

وشرح لها موقفه ، فقد حظى بتفسير هذه الاعمال العظيمة من فم زوج امه ، وبذلك صار محبا للفن منذ صباه . وقد ساعد في اختيار عدة مجموعات كبرى في الولايات المتحدة ستصبح يوما ما ملكية عامة . وهو مسرور بكسب المال ولكن سروره اشد لأنها فرصة لارضاء ذوقه وميوله الى الاشياء الجميلة . وكان لاني واثقا بأن السيدة وزيرة الرايخ ستفهم ذلك ، وقد قالت له هذا فعلا ، واضاف ان طائفة من صور ديتاز قد تباع ولكن هذا ليس الهدف من المعرض ، وهو لا يريد ان يأخذ المال الى خارج المانيا ، لأن لديه توصيات بشراء أعمال فنية المانية لحساب الأمريكين بمبالغ تفوق بكثير ما ينوى أن يبيعه . وأخبرها كيف اشترى أخيرا جدا لوحة بريشة هوبما بفيينا . وأخبرها على خلاف عادته باسم طرفي الصفقة فكان لذلك وقعه .

وكان النتيجة ان أعلنت ماجدة جويلز ان هذا المعرض المزعم اقامته مشروع ثقافي جليل . وقالت ان الفوهرر له ذوق محدد في الفن فهو يبغض المذاهب الحديثة المتطرفة التي تعتبر من أعراض الانحلال اليهودي من أثر الديمقراطية التي باطنها سلطان ذوى الجاه والثراء . وقال لاني انه يعلم ذلك وهو من أسباب قدومه الى برلين فأعمال ديتاز بسيطة كمعظم الاعمال الفنية العظيمة ونظيفة ونبيلة الروح . وهو سيكون سعيدا بأخذ نماذج منها ليربها للفوهرر سلفا ، فقالت السيدة وزيرة الرايخ انه قد يكون من الممكن عمل الترتيب لذلك . وعرض عليها أن يترك اللوحات والصور الفوتوغرافية ليفقدها السيد وزير الرايخ فقبلت العرض . واستأذن في الانصراف وهو يشعر بالأمل في أن يغدو مارسيل ديتاز رساما مشهورا بين الالمان . وتساءل ترى هل سمع مارسيل بالنازي في عالم الارواح وما رايه فيهم ؟ وكان لاني يود لو ذهب على الفور لاستشارة السيدة ديزيز ، ولكن من يدري ماذا عسى أن ينفجر في حجرة الجلسات الروحية من فم زوج امه السابق الماكن ا

- ١١ -

وكان الواجب الثانى على لاني أن يتصل بالملازم الاول لورت فنجلر ويدعوه وزوجته للعشاء ويبين له رغبته في عرض اللوحات على صاحب السعادة السيد رئيس الوزارة البروسية الجنرال جورنج . وهذا هو

لقبه الآن ، لأن الصحف أعلنت أخيرا أن رئيس جمهورية الرايخ الفيلد مارشال فون هندنبرج تفضل فعين رئيس الوزارة البروسية جنرالاً في جيش الرايخ . وأكد الملازم الأول هذا التبا وأظهر الفخر بهذا الشرف فقد كان من المحرج بعض الشيء أن يكون رئيسه تقيباً فحسب وهو رئيس لكثيرين من الجنرالات في الشرطة البروسية .

وقال لاني أنه واثق بأن صاحب السعادة لا بد أن يكون من محبي الفن . ففي ظنه أن الرياش الجديدة في المقر الرسمي ، ومن بينها هذه المائدة السوداء العظيمة والستائر المخملية الذهبية لا بد أن تمثل ذوق صاحب السعادة ، فاعترف ضابط الحاشية أن الأمر كذلك ووعد بذكر ديتاز لدى الرجل العظيم . وقال لاني أنه خلال الأشهر الثلاثة الأخيرة طاف بلندن وباريس ونيويورك وكان وفيينا . فلم يستطع النازي الشاب الذي لم يبارح ألمانيا قط أن يغالب التهيب فأراد أن يعرف ماذا يقول العالم الخارجي عن الفوهور وأنجازاته . فقال لاني أنه يخشى أن الناس ليست لديهم صورة منصفة جداً عنه ، ويبدو أن مثل الاشتراكية الوطنية في الخارج لا يخدمون قضيتهم بكفاءة عظيمة . وتحدث عن الأشياء التي سمعها عن أشخاص عديدين ذوي القاب ومناصب مهمة ، وأيضاً عن الجهود التي بذلها للشرح والتبرير . وكان هذا التبرير في الحقيقة هو ما سمعه من اللورد ويكتورب . وأضاف لاني أن لديه مقترحات يسره أن يعرضها على صاحب السعادة لو استطاع ذلك الرجل المشغول أن يمنحه الوقت الكافي لسماعها . وأجاب ضابط الحاشية الشاب بأنه واثق بأن الأمر سيكون كذلك .

ولم يذكر لاني اسم روبن مرة واحدة لأنه كان يريد أن يرى هل سيذكره الملازم الأول من تلقاء نفسه ، فهذا سيعطيه فكرة عن جورنج وهل كاشف ضابط حاشيته بالسرا أم لا . وقرب نهاية السهرة حين كانت إيرما منصرفة إلى التدريب على اللغة الألمانية مع السيدة الريفية الطويلة السمحة عقيلة الملازم الأول . قال الضابط « على فكرة يا هربرد : هل سمعت شيئاً عن صديقك اليهودي الشاب ؟ » فأجاب « ولا كلمة واحدة

يا سيدى الملازل الأول ، فقال الضابط ، هذه بالتأيد مسألة غريبة ، فقال لاني ، كنت آمل الحصول على نتائج من التحريات التي تكرمت فقلت انكم ستجرونها ، فقال الضابط ، لقد فعلت كل ما خطر بذهنى يا هر بد ، ولكن بلا نتيجة ، فقال لاني ، لقد عن لى أن السجلات ربما لم تكن كاملة الدقة بسبب ما ساد الربيع الماضى من اضطرابات وقيام جماعات شتى بالعمل مستقلة بعضها عن بعض ، فقال الضابط ، أؤكد لك اننا لا نتصرف على هذا النحو فى المانيا يا هر بد . وفى ادارة بوليس الدولة السرى أرشيف كامل به حالات جميع الاشخاص المقبوض عليهم لآى سبب وبأى تهمة حتى ولو كانت قليلة الصلة بالسياسة . ولا اعتقد أن صديقك يمكن أن يكون مقبوضا عليه لأنه قاد السيارة مثلا وهو سكران فقال لاني ، انه لا يسكر ولا يقود السيارات يا سيدى الملازم الاول . فهو يعزف برقة وسحر على الكلارينيت ، ودارس شغوف بالكلاسيكيات الالمانية . فلو ذكرت له مستهل أى نص من جيته لا كمله لك وذكر لك موضعه من مؤلفاته ، فقال الضابط ، هذا حقيقة أمر بالغ السوء يا هر بد . فهل تقترح على شيئا ؟ ، فقال لاني ، لقد خطر لى أن الشاب ربما كان فى احد المعتقلات خارج بروسيا وبذلك لا يظهر اسمه فى أرشيف البطاقات ببوليسكم السرى . هب مثلا أنه فر داخاو ؟ .

وكان لاني يرقب زميله على العشاء عن كذب ، ولكن لا بد انه ممثل بارع جدا ان كان قد أدرك الحيلة . وقال ، صديقك لا يمكن أن يكون فى « داخاو » الا اذا كان بافلريا . اما وهو برلينى فلا بد ان يكون فى أورشينبورج أو مكان آخر قريب منها . ومع ذلك ان كانت هذه رغبتك فسأقوم بعمل التحريات عن طريق حكومة الرايخ ونرى ما ستنمخض عنه ، فقال لاني ، هذا منتهى الكرم منك . وهو أكثر مما كنت أطمح فى طلبه فى وقت كهذا لديك أنت وزملائك مهام كثيرة فيه . وأسمح لى أن أقول أن اسم الشاب الحقيقى فريدى ، ولكن احد الموظفين ربما ظن انه فريد ريش ، أو ربما كتبوا باسمه فرينز . ومن الجائز أيضا أن يكون احدهم قد سجله تحت اسم رابينوفتش وهو الاسم الذى كان أبوه يحمله فى مدينة لودز .

وأخرج الضابط دفتر مذكراته وسجل هذه المعلومات بدقة وقال ، أعدك ان أبذل غاية جهدى يا هر بد ، فقال الزائر الأمريكى ، قد يكون من الافضل الا تزعج صاحب السعادة بهذا الموضوع . فانا أعلم أنه أكثر الناس شغلا فى الدنيا ، وانا لا أريد له أن يظن أنني جئت الى برلين

لأزعجه بمشكلاتي الشخصية ، . فقال الضابط ، انه من أولئك العظماء الذين يعرفون كيف يخولون سلطاتهم لغيرهم ولا ينقل نفسه في التفاصيل . ولديه متسع من الوقت للحياة الاجتماعية . وأنا واثق بأنه سيهتم بسماع ما تروي له عن العالم الخارجى ، فقال الدبلوماسى المتنكر ، ولدى معلومات عن رد الفعل الذى أحدثته خطبة صاحب السعادة فى جنيف لدى وزارة الخارجية البريطانية . فان اللورد ويكثورب قد ذهل منها ذهولا حقيقيا . وأنت تعرف أن البريطانيين قد تعودوا فى السنوات الاخيرة أن تكون ارادتهم هى النافذة . وبسهولة أكثر مما ينبغى ، يا سيدى الملازم الاول ، واشك فى أن الامور ستظل بهذه السهولة نفسها بالنسبة لهم فى المستقبل ! ، .

**** معرفتي ****
www.ibtesama.com
منتديات مجلة الإبتسامة

الفصل الثانى والعشرون

اكسب نقودا اكثر ، يا فتى !

- ١ -

كان امل لانى ان يتلقى بمجرد اعلان وصوله فى الصحف اتصالا من نوع ما من جانب ذلك الشخص الذى تجشم الكتابة اليه قائلا ان فريدى فى داخاو . وكان حريصا فى احاديثه الصحفية على الاعلان عن نفسه بأنه شخص غير سياسى ، راجيا ان يفهم هذه الاشارة بعض معارفه السابقين بين صفوف الديمقراطيين السياسيين . ولكن الايام مرت ولم تصله رسالة او حديث تليفونى . وكان لانى قد حصل من راحيل على قائمة برفاق فريدى السابقين ومن المحتمل ان يحاول مقابلة احد منهم بدا له انه من الحكمة ان يجرب اتصالاته النازية ، فمن العسير أن يجمع بين هذين النوعين من الاتصالات .

وتوجه لزيارة هاينريش يونج الذى انفجر كالعادة فى بيان جار عن وجوه نشاطه . وكان قد عاد اخيرا من « يوم الحزب » فى نورنبورج ، وكان ذلك اليوم اروع ايام الحزب كلها فاستمر خمسة ايام لا يوما واحدا ، وكانت كل ساعة من الساعات المائة والعشرين قمة جديدة وكشفا جديدا من كشوف الاعجاز والجمال والنصر الكامنة فى روح الاشتراكية الوطنية « وبصدق يا لانى تأثر اشد الناس تشككا واستهانة حتى لقد دمعت عيونهم لما راوا ! » ولم يستطع لانى ان يذرف الدموع ولكنه استطاع ان يرسم الابتسامات على شفثيه ، ولعله ايضا افلح فى دفع التوهج الى وجنتيه .

وساله هاينريش « اتعرف نورنبورج ؟ » وكان لانى قد زار تلك المدينة العتيقة التى يحيط بها خندق . وبيوتها ذوات أسقف هرمية حادة لا حصر لها تتزاحم على جانبي شوارع ضيقة من النادر ان تمضى على استقامتها مدى مربعين متوالين من البناء . فهى مكان لا يبدو صالحا لمؤتمر حزب سياسى كبير ، ولكن النازى اختاروها لما تقترون به من ذكريات تاريخية تتصل بالمانيا القديمة التى يريدون بعثها الى الحياة . اما الصعوبات

العملية فلم تكن سوى تحد لقدراتهم على التنظيم فسيرى العالم كيف يدبرون أمور مليون زائر لمدينة تعدادها اقل من نصف هذا العدد ، ونصبت ضواحي كاملة من الخيام حول ارباض المدينة ، ونام جنود العاصفة وشبيبة هتلر على القش بمعدل ستمائة فى كل خيمة كبيرة وغطاءين لكل فرد . وجيء بصفوف كاملة من مطابخ الميدان ذوات الميازيب المصنوعة من الالمونيوم تتدفق منها القهوة او الجلاش . واعلن هاينريش ان ستين الفا من شبيبة هتلر تناولوا طعامهم فى نصف ساعة . فاستغرقت عملية الاطعام ثلاث فترات كل منها نصف ساعة كل يوم من الايام الخمسة ١

وهؤلاء الشبان منتخبون بعناية خاصة من بين من عملوا بهمة ونشاط طول السنة للحصول على هذه الجائزة . وقد احضروا فى قطارات خاصة وبسيارات نقل ، ثم دخلوا المدينة بفرقهم الموسيقية يهزون الهواء باناشيدهم ويهزون مرج زبلن الكبير بوقع احذيتهم . وظلوا خمسة ايام والجانب الاكبر من خمس ليال يصيحون وينشدون الى ان بحت اصواتهم ليعوضوا بنشاطهم هذا خمول الأحزاب السياسية الاربعة التى محوها من الوجود فى المانيا . فلا يوجد الآن الا حزب واحد وقانون واحد وايمان واحد وتعميد واحد ! واقامت قاعة مؤقتة تتسع لجزء صغير من المائة والستين الف مندوب رسمى . اما الآخرون فاصفوا الى مكبرات الصوت المنتشرة فى الحقول ، والنتيجة واحدة على كل حال لانه لم يحدث تصويت ، فكل شئ يقرره الفوهرر ، وما على المليون الآخرين الا ان يسمعوا الخطب ويصيحوا بالموافقة .

وكان هاينريش - الذى صار الآن من كبار المسئولين فى شبيبة هتلر - من بين من سمح لهم بحضور مراسم الافتتاح ، وقد اعوزته اللغة المناسبة لوصف تلك الاعاجيب فراح يلوح بذراعيه ويرفع صوته . والاستقبال الحماسى الجنونى عندما دخل الفوهرر على نفحات مارش بادنفيلر - ايعرف لاني هذا المارش ؟ اجل يعرفه لاني بيد ان هاينريش اخذ يدندن جملا منه مع هذا . وبعد ان وصل هتلر الى المنصة دخلت الاعلام وتم تقديس الرايات بمسها راية الدم التى كانت مرفوعة فى معركة ميونخ الاهلية . وكان هاينريش وهو يتحدث عن ذلك اشبه بكاثوليكي صالح يشهد اسراب القربان المقدس . واخبره كيف تلا ارنست روهم قائمة اولئك الشهداء الثمانية عشر ، وقائمة المائتين او الثلاثمائة الآخرين الذين ماتوا اثناء كفاح الحزب الطويل للحصول على السلطة . وكانت الطبول تدق دقا خافتا مكتوما ، وفى النهاية اعلن رئيس اركان حرب كتائب الهجوم « ان هؤلاء يزحفون معنا بالروح بين صفوفنا » .

خُمسَة أيّام من الخطابة والتهنّات والمسيرات والأناشيد التي يشترك فيها مليون من أكفأ رجال ألمانيا وانشطهم وكلهم تقريبا شبان . وقال هايرنيش « لو انك رأيتهم يا لاني لعرفت ان حركتنا انتصرت وان ارض آباءنا ستكون على نحو ما نصنعها » فقال لاني « لقد تحدثت حديثا طويلا مع كيرت فاقنعني بانكما كنتما على صواب » فابتهج المسئول الشاب بذلك القول حتى انه قبض على يد صديقه وعصرها عصرًا . فها هو نصر هتلري آخر . يحيا النصر !

- ٢ -

لم تكن اغلبية معارف ویرما الراقيات قد عدن بعد الى المدينة ، ولذا استغلت وقت فراغها في تعويد اذنيها على اللغة الألمانية وعقدت أواصر المعرفة مع عاملة الاطافر في الفندق وهي شقراء طبيعية تزيد نفسها شقرة بوسائل صناعية . وهي حصيفة مجربة بحكم مهنتها ولكنها في باطنها ساذجة كجميع الألمانيات في نظر ايرما . والطريقة المثلى لدى وارثة لاكتساب المعلومات هي ان تستاجر شخصا يضع المعلومات في ذهنها بغير الم . ومن الذي يقدر على ذلك بصورة الطف من شابة عاجلت ايدي عدد كبير من اصحاب الملايين والمشاهير من جميع انحاء الدنيا تثرثر وتشجعهم على الثروة ؟ والآنسة الزابورج قد ابهجها ان تبيع ساعات فراغها لفراو بد ابنة بارنز ، وان تعلمها اللهجة البرلينية في اشيع مصطلحاتها المستعملة في اللفظ . واخذت ايرما تتدرب بجد على اصوات السعال والنحنحة والعطس التي وجدها تكومسة همجية اكثر مما ينبغي بالنسبة له وقالت لزوجها : « ان طريقتهم في الحقيقة اشد الطرق جنونا للصق الكلمات بعضها ببعض وترتيبها فيما بينها !

« انا سوف الحقيبة الزرقاء ذات السيور البيضاء الى حجرة الفندق على الفور احضر . انا سوف البيض بدون قشر احصل على . وهذا ما يجعلني اشعر طول الوقت وكأن هذه اللغة من اختراع اطفال » . ولكن ما من احد يستطيع ان يناقش حق الالمان بواسطة الاطفال جملهم ان يتركوها تصاغ ، وايرما مصممة على ان تتكلم هذه اللغة كما يجب ان كانت ستتكلّمها اطلاقا ، ولا يمكن ان تسمح بان يسمعها اي انسان تتكلم على نحو ما كانت تسمع الام روبن . وبذلك كانت هي وعاملة الاطافر تتحدثان ساعات متوالية عن احداث اليوم ، وعندما ذكرت ايرما يوم الحزب قالت الزا نعم ، ان كنزها المحبوب كان هناك . وهذا الكنز زعيم

القطاع في حيه وعامل متخمس من عمال الحزب ولذا كوفه بشاره وتصریح بمفادرة عمله ونقل الى هناك حيث نام على القش وتغطى ببطانيتين وتناول الجلاش والقهوة ، وهذا كله بالمجان . ووجهت اليها ايرما اسئلة كثيرة ، لتتأكد من واجبات قائد القطاع ، فعرفت أن له مرهوسا في عمارة سكنية ويتلقى تقارير مباشرة فورية عن اى شخص جديد يظهر فيها وعن اى شخص تثير اعماله الشبهات او تخلف عن الاكتتاب فى صناديق التبرعات المتباينة التى يستخدمها الحزب وما الى ذلك . وهذا كله مما يهم لانى معرفته ، وربما استخدم قائد قطاع للحصول على معلومات بحيث يتمكن من خديعة قائد آخر عند اللزوم .

وكنز الزا فرصة مواتية لمراجعة مزاعم هاينريش واختبار كفاءة الجهاز النازى . وكنز الزا اسمه كارل وهو احد مائة من صفار الكتاب فى مكتب كبير للتأمين وهو يتقاضى اجرا هزىلا ، ولولا حبيبته الصغيرة لاضطر للاقامة فى حجرة مفروشة . ومع هذا ، فهو يمشى فى الهواء اختيالا بحزبه وانجازاته . ويعمل فى الليل وايام الاحد للقيام بمهام تطوعية شتى ، ولم يتلق قط بنسا واحدا على سبيل المكافاة ، اللهم الا اذا اعتبرت من هذا القبيل مهرجانات الحزب المتباينة وما يملكه الحزب من السلطة لاجبار مخدميه على منحه اجازة اسبوعا لحضور احتفالات يوم

الحزب . وهو والزا كلاهما منتفخ الاوداج فخرا بهذه السلطة ، وكلمة اطراء واحدة من رئيسه فى الحزب كافية لاسعاد كارل شهورا . وهو يرى الفوهرر شبه اله ، وكان فخورا بوجوده على قيد اقدام قليلة منه وان كان لم يره . فقد كان الكنز واحدا من الوف عديدة من ذوى القمصان البنية واصطفوا فى نورنبرج على جانبي الشارع الذى دخل منه الفوهرر دخول الفاتحين وكانت مهمة كارل ان يصعد تجمعات الناس ، فكان وجهه اليهم متيقظا حتى لا يحاول احد الاعداء المتعصبين ايقاع الاذى بالزعيم المقدس .

واخبرتها الزا كيف رأى كارل رئيس الوزارة البروسية الجنرال جورنيج راكبا سيارة مفتوحة وقد وضع وشاحا اخضر اللون بديعا بعرض صدره فوق كسوة الحزب البنية . وسمع الكلمات المهيبة التى فاه بها رودولف هيس مندوب الفوهرر « افتتح مؤتمر النصر ! » وكان قد سمع اعلان هتلر نفسه المزهو : « سوف نلتقى هنا بعد عام من الآن ، وسوف نلتقى هنا بعد عشرة اعوام من الآن ، وبعد مائة ، بل وبعد الف ! » وسمع ايضا وزير الرايخ جوبلز يسلق بلسانه اليهود الاجانب الذين يدأبون على تدنيس ارض الوطن . وقال زوج ماجده « ما من شعرة فى رأس يهودى مسسناها بغير سبب » . ولما قالت ايرما للاننى ذلك الكلام فكر فى شعر

رأس فريدى وثمانى ان يگون هذا الكلام صحيحا . وتساءل هل هذه الاحتفالات الحزبية الحماسية الفوارة كان الانفاق عليها من الاموال التى يسرها لهم يوهانس . فلا شك ان هذه الاموال كانت سببا كافيا لمس شعر رأس يوهانس .

- ٣ -

اخذ لاني هوجوير للنزهة بالسيارة وهى الوسيلة الوحيدة للكلام بحرية . ولم يساله لاني « هل كتبت الى ذلك الخطاب ؟ » كلا فهو قد تعلم بالممارسة مهنة الجاسوس فترك الشخص الآخر يقوم بالكلام . وعلى الفور فاتحه قائد الرياضة قائلا : « انى فى ضيق شديد لاني لم استطع ان اقوم لك باى خدمة يا لاني ، فساله « الم تستطع ان تعرف شيئا ؟ » فاجابه : « لو عرفت لكتبت اليك . وقد دفعت اكثر من نصف النقود لاشخاص قبلوا القيام بتحريرات فى سجون برلين وايضا فى اورانيين بروج وسونين بروج ، وشبانداو . وقالوا جميعا انه لا وجود لسجين كهذا ، ولا يمكن ان اتأكد من انهم نفذوا وعدهم ولكنى اعتقد ان هذا ما حدث . وارىد ان ارد اليك بقية المبلغ » . فاجابه لاني « هراء لقد منحتنى وقتك وفكرك وهذا كل ما طلبته منك . فهل تظن انه من الممكن ان يكون فريدى فى معسكر خارج بروسيا ؟ » فقال هوجو « لا بد فى هذه الحالة من سبب خاص لذلك » فقال لاني : « ان من نقله ربما كان يتوقع منى ان اقوم بهذا التحرى . فلنفرض انهم نقلوه الى داخاو فهل من سبيل لمعرفة ذلك ؟ » فقال « لى اصديق فى ميونيخ ، ولكن لا بد ان اذهب الى هناك واتحدث اليهم لاني لا استطيع الكتابة » فقال لاني : « بالطبع لا . فهل تظن انك تستطيع الحصول على اجازة للسفر ؟ » فاجابه « ربما استطعت ان افكر فى مهمة للحزب » فقال لاني « سيسرنى كثيرا ان ادفع لك نفقاتك والى مارك اخرى لتعبك . وكل ما قلته لك عن هذا الموضوع سارى المفعول الآن بصورة اشد ، فكلما طال فقد فريدى ازداد شقاء ابيه ، وازداد الضغط على كى اصنع شيئا . فان ثبت نجاح معرض ديتاز فى برلين قد انقله الى ميونيخ . وفى هذه الاثناء ان استطعت الحصول على معلومات سيكون فى وسعى ان ارسم الخطط المناسبة » فقال هوجو « ائمة سبب دعاك للتفكير فى داخاو بصفة خاصة ؟ » فقال لاني « سأقول لك الموضوع بصراحة . وقد يبدو ذلك سخيفا ، ولكن اثناء الحرب العالمية الاولى كان لى صديق انجليزى يعمل طيارا فى فرنسا ، وكنت انا فى بيت ابى بولاية

كونيكتيكت الامريكية . وعند الفجر بالضبط ايقظني شعور غريب ورأيت صديقي واقفا عند اقدام فراشي بصورة شبيهة وقد شجعت جبهته . وقد اتضح فيما بعد ان هذه الرؤيا حدثت مباشرة على اثر سقوط صديقي بالطيارة وكان ملقى جريحا في حقل ، فقال الآخر : « كثيرا ما يسمع المرء مثل هذه القصة ولكنه لا يدري هل يصدقها ام لا » فقال لاني « انا طبعا اصدق هذه القصة ، ولم تتكرر هذه التجربة الا منذ ليال فقد استيقظت لا ادري كيف وسمعت وانا راقد في الظلام صوتا يقول بوضوح ان فريدي في داخاو وانتظرت فترة طويلة طنا منى انه قد يظهر او انى قد أسمع المزيد ولكن بلا طائل . ولم يكن لدى مبرر للتفكير في داخاو ، فهي مكان بعيد عن الذهن جدا . ولذا تجدني مهتما طبعا بتتبع هذا الحيط لاعرف هل انا حقيقة ما يسمونه صاحب قوة نفسية » ووافقه هوجو أيضا على ان ذلك يهنه فعلا ، وزاد اهتمامه عند ما دس لاني عدد أوراق من ذات المائة مارك في جيبه قائلا وهو يضحك « ان امي وزوج امي دفعا أكثر من هذا بكثير لوسيطات روحيات عسى أن يحصلوا على نبا عن صديقنا » .

- ٤ -

وكان هوجو أيضا قد حضر الاحتفال بيوم الحزب . ولم يكن ذلك الاحتفال في نظره مجرد اظهار رائع للولاء بل هو كذلك نداء موجه الى كل رفيق في الحزب كي يرى ان الولاء لم يذهب سدى فهذا المليون من العمال المخلصين قاموا بخدماتهم دون اجر لانهم وعدوا بمكافأة جماعية عظيمة هي تحسين حال الرجل العادي في المانيا ، ولكن هؤلاء لم يحصلوا على شيء بعد فما من اصلاح من الاصلاحات الاقتصادية الموعودة وضعت موضع التنفيذ ، بل ان اجراءات كثيرة مما اتخذت كانت رجعية بحيث امست الاصلاحات المنشودة أبعد منالا وأصعب تنفيذا . فكبار المخدمين حصلوا على مناصب قيادية في الرقابة على مجالس ادارات المتاجر الجديدة ، وذلك يعني ببساطة ان الاجور ستتجمد على ما هي عليه وان العمال حرّموا من جميع الوسائل ذات التأثير في احوالهم . ويصدق هذا أيضا على الفلاحين لان الاسعار ثبتت . وقال هوجو « واذا استمر الحال على هذا المنوال فسينتهي الى نظام عبودي فحسب » .

وخيل الى لاني ان قائد الرياضة الشاب يتكلم على نحو ما يتكلم الديموقراطي الاشتراكي بالضبط ، فهو لم يغير شيئا سوى العنوان . وهو مصر على ان الضباط والجنود في الحزب على رأيه وتفكيره ، وان

ما يسميه « الثورة الثانية » لا يمكن ان تتأخر اكثر من بضعة اسابيع . وهو يعلق آماله على ارنست وهم رئيس اركان الحرب والقائد الاعلى لكتائب الهجوم ، وكان احد الرجال العشرة الذين حوكموا بتهمة الخيانة وسجنوا بعد انقلاب حانة البيرة الفشل ، وكان طيلة حياته جنديا محاربيا ، وقد اصبح بطلا في نظر اولئك الذين يريدون لحزب العمال الالمان الاشتراكي الوطني ان يظل على العهد به وان ينجز ما وعده . والفوهرر يجب ان يقتنع ، وعند اللزوم يجب ان يدفع دفعا ، فهكذا تمضى الامور في السياسة . فالمسألة ليست من مسائل حجرة الاستقبال وانما هي حرب كلمات وافكار ، وعند الحاجة ستكون حرب مظاهرات في الشوارع ومسيرات وتهديدات وما من احد يدري ذلك خيرا مما يدريه هتلر نفسه .

وقال لاني في نفسه « ان هوجو يخدع نفسه في رئيس الاركان كما خدع نفسه من قبل في الفوهرر » فارنست وهم لوطى اعترف علنا بعاداته هذه ، وهو مخلوق جاهل فظ نادرا ما تظاهر بالمثالية الاشتراكية . وحينما يندد بالرجعيين الذين ما زالوا اعضاء في الوزارة فهو انما يفعل ذلك لانه يريد مزيدا من السلطة لقمصانه البنية وقائدهم . ولكن ليس من شأن لاني ان يلمح الى ذلك ، بل يجب ان يعرف من هم الساخطون ، وان يعرف على الخصوص هل منهم احد من ذوى السلطان فى داخاو . ومثل هؤلاء الرجال يريدون نقودا لمذاتهم ، وان كانوا يصدد صراع على السلطة فهم بحاجة الى النقود لهذا الغرض . وقد تكون هناك فرصة طيبة للعشور على شخص منهم تمكن رشوته ليدع سجيننا يفلت من بين الفضبان .

وكان تشاورهما طويلا ، فامضت بهما النزهة فى السيارة الى الريف ، وهوريف جميل مستو . وكل قدم مربعة منه معتنى بها كأنها حجرة جلوس فى بيت انسان ، فلا مكان لعود واحد من الاعشاب الطفيلية فى ارض الوطن كلها . والغابات مزروعة فى صفوف كالبساتين ومعنى بها على هذا النحو ايضا . وكان ذلك بعد ظهر يوم السبت والبحيرات التى لا حصر لها حول برلين بهيجة بما فيها من زوارق شرعية صغيرة ، وشواطئها تحف بها الاكواخ وبيوت الاستحمام والدروب المتفرعة عن الطرق تحف بها الاشجار وهى غاصة بالطيور الرحل ! وهم الجواله فى حركة الشباب الالمانى) وبشبان يرتاضون سيرا على الاقدام ، وكلهم فى مظهر عسكري ، يرتدون ازياء فرق الهجوم وتفيض اغانيهم بالتحدى . وساحات التدريب منتشرة فى كل مكان والهواء يتجاوب بصيحات حادة أمرة وسط سحائب الغبار الذى يثيره وقع الاقدام . ان المانيا تنأهب

شيء ما . فان سألت ما هو قالوا « الدفاع » ولكنهم لا يحددون بوضوح من الذى يرغب فى الهجوم عليهم غداة توقيع اتفاقية جديّة ضد استخدام القوة فى اوربا . وثمة وجه آخر للشبهة بين هوجو والديموقراطيين الاشتراكيين اكثر من شبهه بالنازى ، الا وهو كراهيته للروح العسكرية . قال : « هناك طريقان يستطيع بهما الفوهرر أن يحل مشكلة البطالة . . أحدهما أن يرغم الكسالى على العمل وبذلك يتيحون الرخاء للجميع بما فى ذلك أشخاصهم ، والطريق الآخر أن يحولهم الى جيش يدرّبهم ثم يرسله للاستيلاء على أراضى الشعوب الأخرى ومصادر ثروتها . وهذه المسألة التى تتقرر فى الوقت الحاضر فى دوائر الحزب الداخلية ، فقال لاني : « خسارة انك لا يمكن أن تكون فى تلك الدوائر ! » فكشف صديقه الشاب عما فى أعماق نفسه بقوله : « قد يتم هذا يوما ما » .

- ٥ -

سر صاحب السعادة رئيس وزارة بروسيا الجنرال جورننج بدعوة السيد لاني بد زوجته للفداء فى مقره الرسمى . ولم يطلب منهما احضار اللوحات ، ولم يأسف لاني على ذلك لانه لم يستطع أن يتصور أخت الرحمة فى مكان واحد مع شبل أسد . وشك كثيرا جدا فى أن يكون صاحب السعادة مخدوعا فى السبب الحقيقى لحضور لاني الى برلين . ومهما يكن من شيء فقائد سلاح الطيران الألماني كان يشرف على ايجاد فنه الخاص به وحسب أوامره ، فى صورة تمثال عار تماما لزوجته المتوفاة من واقع الصور الفوتوغرافية ، ثم صب ذلك التمثال من الذهب الخالص !

وهذا على الأقل مآروته الأميرة دونرشتاين لايرما ، فلا سبيل الى كشف السن لاولئك السيدات الأنيقات ، وقد تدفقت الأميرة بالأسرار القذرة فجمعتها ايرما وعادت بها الى البيت . وكان الطيار الأشقر الوسيم جورننج قد هرب بعد أن أصيب بجرح فى انقلاب حانة البيرة الفاشل وتسلسل الى الخارج وتزوج بارونة سويدية . وكانت السيدة مصابة بالصرع وزوجها مدمن مورفين . ولا محل للشك فى هاتين الحقيقتين لانهما ثبتتا أمام المحكمة عندما حرمت البارونة من حضانة ابنها من زواج سابق . وقد ماتت السيدة فيما بعد بالسل وعاد جورننج الى ألمانيا وتخبر لمخادنته تسن وولى العهد السابق ، واختار أخت ملك الصلب « سكرتيرة » له . وهذا المعنى الخاص لكلمة السكرتيرة دلت عليه لهجة الأميرة وهى تنطق بها . وكان المفروض أن يتزوج انيتا تسن هذه ولكن ذلك لم يحدث ، ولعل

السبب انه أصبح اعظم مما ينبغي ، او أسمن مما ينبغي ! ففي الوقت الحاضر شطب اسم انيتا ورشحت بدلا منها ايمي سونمان وهي شقراء مثل جنيات الفالكيري في الاساطير الشمالية وتمثل في مسرح الدولة وفي وسعها أن تحصل على أى دور تختاره . وأردفت الاميرة دونرشتاين ، بلسانها الذى يشبه لسان الحية ، ولكن هذا لا ينفي وجود سيدات أخريات فى حياته . فخذى حذرک يا فراو بد ! » .

وهكذا تعلمت ايرما كلمة المانية جديدة : « خذى حذرک » .

- ٦ -

قضت بنت ملك المشروعات العامة معظم حياتها فى الابهاء الرخامية ، وما كان يرهبها منظر اكسية حجاب جونرج أو أزيائه العسكرية هو وبطائنه . ويبدو أن شبل الأسد لم يكن معدا لاستقبال السيدات ، ولم تفتقد ايرما وجوده . اما المائدة الكبيرة من خشب الأبنوس ومن خلفها الستائر الذهبية فكانت شيئا مذهلا حقا ، جعل ايرما تفكر فى لوحات ديك او كسنرد ، ولم تستطع أن تتصور لماذا سخر منها لانى . والحجاب يرتدون سترات وردية وسراويل ضيقة وجوارب من الحرير الأبيض ، ولكن هذا لا يكاد يناسب وقت النهار . وأوسمة الجنرال بدت لها ملائمة لحفلة عشاء رسمية أكثر منها لحفلة غداء خاص . ومع هذا كان الطيار السابق حسن الصحبة جدا ، فهو يتكلم الانجليزية جيدا ولعله أراد أن يثبت ذلك لها ، وقد قام بمعظم الحديث وضحك بابتهاج من نكاته الخاصة . ولم يكن حاضرا سوى فورت فينجلر وضابط آخر من حاشيته ، وغنى عن البيان انهما ضحكا من هذه النكات ولم يرويا شيئا من نكاتهما . فكان الغداء فى مظهره مسألة اجتماعية محض ، فلا كلمة واحدة عن الديات أو الرهائن أو اليهود أو معسكرات الاعتقال . ولم تكن بلانى فى حاجة الى أن يقول : « أرجو أن تكون قد لاحظت يا صاحب السعادة انى نفذت اتفاقى معك » . فان وجوده هنا وتقديم بيض طائر القطقاط المخزون فى الثلاجات وفرخ حمام سمين اليه دليل كاف على انه حافظ على كلمته وان مضيفه لاحظ ذلك .

وكان المظهر يدل على ان هذا الرجل الذى يشغل ثمانية مناصب أو عشرة من اشد المناصب مسئولية فى الرايخ الثالث لا يستمتع بشيء استمتاعه باحتساء البراندى والثرثرة مع ثريين أمريكيين فارغين من كل عمل . وصار الأمر متروكا للانى كى يقوم بدوره ويجعل الأمر يبدو وكأنه

محض الصدفة حين يذكر انه وزوجته زارا لوزان في اوائل أيام مؤتمر تحديد التسليح ، ثم يذكر الاقاصيص الداخلية عن الشخصيات البارزة هناك بما فيهم الالمان . ثم يقوده ذلك الى ذكر وجوده ضمن هيئة معاوني الوفد الامريكى في باريس حيث التقى برجال كثيرين وساعد جاسوسا ألمانيا على الهرب الى اسبانيا . وهو يعرف عددا من الأعضاء القياديين في عدد من الأحزاب الفرنسية منهم دلاديه رئيس الوزراء ، كما زار في بيوتهم نفرا من رجال وزارة الخارجية البريطانية . أجل ، ليس من شك في انه شاب أمامه فرص استثنائية ويمكن أن يكون مفيدا جدا لوزير الرايخ بدون وزارة وقد كان مستعدا لذلك . ولم تقل كلمة واحدة ولكن كانت ترفرف في الجو هذه الفكرة « لماذا لا تنتهز الفرصة يا صاحب السعادة وتطلق سراح صديقي ابن المستغل اليهودى ؟ » .

- ٧ -

كان السيد وزير الرايخ يوسف جوبلز من الرقة بحيث صرح بأنه يرى عمل مارسيل ديتاز مناسبا للعرض في ألمانيا ، ففنه لا ضرر منه وان لم يكن ممتازا بصورة خاصة . وفهم لانى انه لا يمكن أن يتوقع أكثر من ذلك لرسام من أمة يصفها الفوهرر بأنها ذات دماء زنجية . وكان ذلك كافيا فأبرق الى زلطان كى يحضر الى برلين .

وماذا يصنع المرء ليحصل على الدعاية لدى صحافة متماثلة الشكل ذات طابع موحد ؟ وقد اكتشف لانى مايجب أن يصنعه قبل وصول صديقه ، فقد جاء لزيارته سيد مذهب لم يزل شابا تلوح عليه سيما رجل الأعمال الى أقصى حد ، فهو من سكان برلين الذين يرتدون قبعة من نوع دربى ولهم في سترتهم مشبك يعلقون به القبعة فى اليوم الشديد الحر ، وبذلك يجمعون بين وسيلة للراحة واحترام المظهر . وبطاقة زيارته تعرف به على النحو التالى : فهو الهر الوزىوس فنكلر تزوشثورمشاتن المدرس الجامعى الخاص والدكتور فى الفلسفة . وبصوت فلسفى مذهب أخبر لانى انه فى موقف يسمح له برفع سمعة ديتاز ، أو العكس . وكان المدرس الجامعى الخاص يتحدث بلهجة من يملك السلطة والتصميم معا ، فلم يراوغ ولم يخفض بصره بل قال : « انت رجل خبير بأحوال الدنيا يا هر بد . وتعلم ان فى المستطاع كسب مبلغ طائل من المال من بيع هذه اللوحات اذا ما قدمت للناس بالطريقة اللائقة . والواقع اننى عضو فى الحزب منذ أيامه الأولى وصديق حميم لاشخاص لهم نفوذ كبير . وفى الأيام الماضية قدمت لهم

خدمات وبادلونى مثلها • وأنت تدري كيف تسير هذه الأمور ، فقال لاني انه يدري ذلك ، ولكن هذا المعرض ليس مشروعا تجاريا خالصا ، وانما هو مهتم بالتعريف بعمل رجل كان يحبه وهو على قيد الحياة ولم يزل يعجب به • فقال الغريب وصوته الناعم أشبه بخير سيارة غالية الثمن : « نعم نعم • • بالطبع • • أنا فاهم ماذا تريد وأنا فى وضع يسمح لى باتاحتة لك • فى مقابل مبلغ عشرين ألف مارك أستطيع أن أجعل من مارسيل ديتاز رساما شهيرا • وبمبلغ خمسين ألف مارك أستطيع أن أجعله رائد حقبة جديدة فى فن التصوير » فقال لاني : « هذا شىء بديع ان تم • • ولكن كيف أعرف أنك قادر عليه ؟ » فقال : بمبلغ ألفى مارك أستطيع أن أصل الى نشر مقال نقدى ممتاز عن ديتاز مع صورتين لعلمين من أعماله فى أى صحيفة يومية ببرلين يقع عليها اختيارك • وسيكون هذا كما تعلم اختبارا ولن تدفع شيئا الى أن يظهر المقال • ولكن يجب أن يكون مفهوما اننى اذا نشرت مقالا كهذا فانت مرتبط بالمعنى فى المشروعات الكبيرة التى اقترحتها عليك ، فانا لست شخصا رخيصا ، ولا أهتم بما تسمونه معاشر الامريكيين البطاطس الصغيرة • وذلك أن تكتب المقال بنفسك ، ولكن الأحجى أن تزودنى بالمادة وتتركنى أعد المقال لاني أعرف جمهور برلين وأستطيع أن أقدم له شيئا ليق أن يعينك على بلوغ هدفك • »

وهكذا أمكن فى الصباح الذى وصل فيه زلطان كرتيزى الى الفندق أن يضع لاني بين يديه صحيفة يومية حديثة الصدور وبها مقال على ديتاز يمتاز بالكفاءة النقدية وبالحيوية الصحفية فى آن واحد • وجرت عينا زلطان فوق السطور ثم هتف « كيف استطعت بالله أن تصنع هذا ؟ » فقال لاني : « لقد عثرت على وكيل كفء للشئون الصحفية » وكان يعلم ان زلطان متحرج ، فى حين أن شريك زلطان كان قد ترك تحرجه فى المدينة النمساوية التى اجتاز منها الحدود الى أرض النازى •

وفى ساعة متأخرة من ذلك الصباح حضر السيد المدرس الجامعى الخاص وأخذ لاني فى جولة بالسيارة وقال له ربيب ديتاز انه يريد لزوج أمه أن يصبح رائدا لحقبة جديدة فى فن التصوير ، وعرض عليه مبلغ عشرة آلاف مارك فى الأسبوع لمدة أسبوع واحد قبل المعرض وأسبوعين خلاله بشرط ظهور الدعاية بكميات وفيرة وعلى أساس مستوى العينة • وقبل السيد المدرس الجامعى الخاص وعاد الى الفندق حيث يوجد زلطان • ولعله لم يكن بريئا جدا كما يبدو عليه فقد جلس معها لرسم خطة الحملة •

لقد تم استئجار حجرات مناسبة للمعرض ، وقام جيري بندلتون الذى يمكن الاعتماد عليه دائما للإشراف على حزم اللوحات فى بيانفينى واستأجر سيارة نقل وتناوب قيادتها مع سائقها وكان ينام بداخلها ، وحضر مباشرة الى برلين بشحنته الثمينة . وجاءت بيوتى وزوجها بالقطار ، فلم تكن هناك وسيلة لإبقائها بعيدا ، وهى على كل حال يساوى حضورها ما يبذل فيه من نفقات باعتبارها معرضا مساعدا . وكانت فى منتصف العقد السادس من عمرها ، ولا سبيل لها الى انكار ذلك ولانى الى جوارها بيد انها لم تزل وردة مزدهرة . وان شككت فيما كانت عليه يوما ما فهناك لوحتان من أجمل ما يمكن لاثبات دعواها . وما من شيء يمكن أن يبلبل عقول الناس المحتشدين فى المعرض كان يروها واقفة بقرب الصورتين بحيث يتسنى لهم القيام بالمقارنة . فهى أرملة ذلك الرائد لحقبة جديدة ، وها هو ابنها - ولكنه ليس ابن الرسام - كلا . . . فهذه السلالات شبه الزنجية تجنح الى التخليط فى صلاتها . فأما الأمريكيون فالطلاق عندهم أضحوكة ، ولديهم مدينة خاصة فى ذلك الغرب الفطرى من بلادهم تلجأ اليها ذوات القلوب المحطمة من السيدات المرموقات فتقمن بها بضعة أسابيع للحصول على الطلاق ، ويجدون فى هذه الفترة العزاء والسلوان لدى رعاة البقر والرجال من الهنود الحمر !

وبالنسبة للجميلة المحترفة كانت هذه الرحلة نوعا من الاستقبال العام بعد الظهر وفى المساء لمدة أسبوعين ولم تفتها دقيقة واحدة منها . وانه لشيء بديع مبهج أن تكون قادرة على دعوة أصدقائها لمشاهدة معرض هى جانب فريد فيه : فهى المضيئة وكاتبة السيرة والمؤرخة والمستشارة والمرشدة ، وعند الحاجة مساعدة فى البيع ! وهى على الدوام أنيسة ورشيقة ساحرة وعلى علاقة وثيقة بذلك الرجل العظيم المحب للفنون الجميلة . وقد أثنى عليها زلطان ثناء بارزا حين قال : « يا عزيزتى بيوتى بد ، كان ينبغي أن أطلب اليك أن تتزوجينى وتسافرى معى حول العالم نبيع الصور ، فأجابته بيوتى بأحسن ابتساماتها التى تبرز أنوثتها : « ولماذا لم تفعل ؟ » (وكان السيد دنجل غائبا فى زيارة لاحدى الوسيطات يحاول الوصول الى شيء فى موضوع فريدى بيد انه بدلا من ذلك كان يحصل على رسائل مطولة من أبيه الذى كان سعيدا جدا فى عالم الأرواح . ويؤكد لابنه انه أحرز تقدما كبيرا من الوجهة الأخلاقية عما كان عليه فى الدنيا) .

ولم يزل فى ألمانيا أثرياء ، فأقطاب الفولاذ فى الرور وبناء القوى

الكهربائية أو أصحاب المصانع التي تنتج وسائل الدفاع ، كل أولئك كانوا متربعين فوق قمة ألمانيا ، وبعد أن أزالوا من الوجود نقابات العمال صار في مقدورهم أن يدفعوا أجورا منخفضة من غير أن يخشوا الاضرابات ، وبذلك صاروا يعملون على أرباح تتدفق عليهم في فيضانات متزايدة . وكانوا يتلفتون حولهم باحثين عن استثمارات متينة وكانوا قد تعلموا منذ عشر سنين ان الشيء الوحيد الذي في أمان من التضخم هو الماس أولا ثم أعمال الاساتذة الأقدمين . وللقاعدة العامة أن أمراء المال ليست لديهم ثقافة كثيرة ولكنهم يعرفون كيف يقرأون . فلما رأوا في الصحف الواحدة ، بعد الأخرى ان مدرسة جديدة في فن التصوير قد برزت الى المقدمة قرروا أن يحصلوا على الأقل على عينه من هذا الأسلوب في مجموعاتهم . فان كانوا مسنين متقاعدین حضروا الى المعرض ، وان كانوا في منتصف العمر مشغولين بأعمالهم أرسلوا اليه زوجاتهم وبناتهم . ولم يفزعهم أن يكون ثمن المنظر الطبيعي عشرين أو ثلاثين ألف مارك . بل بالعكس كان من شأن ذلك أن يجعل ديتاز موضوعا للتباهي .

وهكذا جاءت أرباح لاني ووالدته واخته غير الشقيقة - فعمولة زلطان أقل من عشرة في المائة تزيد عشرين ضعفا على ما دفعه الى المدرس الجامعي الخاص الكفاء . واقترح زلطان استمرار دفع مرتب هذا المروج القدير ومواصلة طنطنة المجد اسبوعا آخر . وحتى ايرما نفسها وقع لديها ذلك النجاح وقعا كبيرا وبدأت تنظر الى هذه الصور المألوفة بعين جديدة ، وتساءلت : « اليس من الأفضل ان تحتفظ بها كلها للقصر الذي تنوى أن تقتنيه يوما ما في انجلترا أو فرنسا مع تزويده بأعمال السباكة العصرية . وقالت لزوجها : « ها أنت ذا ترى كيف تتحسن الأحوال من جميع الوجوه عندما تستقر وتكف عن الكلام كالحمر ! » .

- ٩ -

وقد اتفق وقت معرض ديتاز مع وقت مشهد من أغرب المشاهد العامة التي شهدتها التاريخ . وكان النازيون قد ألقوا جريرة محاولة احراق الرايشتاج على الشيوعيين . في حين قال أعداء النازية ان هذا الحريق مؤامرة من جانب الهتلريين كي يتاح لهم الاستيلاء على السلطة . وقد وصل الخلاف الى الذروة عندما نشر في برلين الكتاب البنى في الارهاب الهتلري الذي اتهم مدير البوليس النازي في برسلاو وهو من أسوأ الارهابيين بأنه قاد جماعة من كتائب الهجوم عن طريق نفق من مقر جورنج الى مبنى

الرايشتاج حيث نثروا أحمالا من المواد الحارقة فى جميع أرجاء المكان ، فى حين قام فريق آخر منهم بإحضار أفاق هولندى معتوه الى البناء عن طريق نافذة فيه وجعلوه يشعل النيران بواسطة مشغل بيتى . وهذا ما كان العالم أجمع مزعما أن يصدقه ، فلم يستطع النازيون التنصل من العاقبة وراحوا مدة ستة شهور أو سبعة يعدون الأدلة والقرائن ، وفى شهر سبتمبر بدأوا اجراءات محاكمة علنية . واتهموا ذلك الهولندى باقتراف الجريمة وبأن مساعديه فيها ثلاثة من الشيوعيين البلغارين وألماني واحد . ونشبت الدعاية حول هذا الموضوع ثلاثة أشهر لا فى ألمانيا وحدها بل فى كل مكان تقرا فيه الأنباء وتناقش فيه المسائل العامة . ودونت أقوال الشهود فى عشرة آلاف صفحة وسجلت سبعة آلاف فقرة بالكهرباء من هذه الأقوال لاذاعتها .

وكانت الهيئة التى تتولى المحاكمة هى الدائرة الجنائية الرابعة من المحكمة العليا الألمانية فى لايبزج . ومن العجيب أن هذه المحكمة هى بعينها التى وقف أمامها أدولف هتلر قبل ذلك بثلاث سنين معلنا أن رموسا ستتدحرج فوق الرمال . أما الآن فسينفذ وعيده ولسوء الحظ كان قد أغفل « تنسيق » سائر الأعضاء الخمسة فى المحكمة ولعله لم يجسر على ذلك بسبب رأى العام العالمى . وكان ثمة شيء من الاذعان للاجراءات القضائية المقررة . وكانت النتيجة عملية فاشلة حتى أن النازى تلقنوه درسا ولم يسمحوا بعدها مطلقا للمشبهين السياسيين بالمثل أمام الجمهور ومناقشة من يتهمونهم .

وفى أكتوبر ونوفمبر حضرت المحكمة الى برلين ، وكان حضورها مشهدا مجانيا لمن لديهم وقت فراغ ، ولا سيما أولئك الذين يسرون فى أعماق قلوبهم برؤية النازى مستذلين وكان المتهمون الخمسة قد كبلوا بالأغلال سبعة أشهر وظلوا مكبلين بها فى قاعة المحكمة طوال مدة المحاكمة . وكانت المأساة فى هذا المشهد من نصيب الهولندى « فان دير لوبى » وهو نصف أعمى ونصف مخبول يسيل المخاط من فمه وأنفه ويضحك ويبتسم بأصوات وحركات عصبية ويدلى بإجابات غامضة ويجلس فى حالة شرود اذا ترك وشأنه . أما الميلودراما فكانت من نصيب البلغارى ديمتروف الذى سرق « الكاميرا » . فهو عالم ورجل خبير بالدنيا سريع البديهة فطن له شجاعة أسد ، فحول المحاكمة الى دعاية ضد النازى متحديا مضطهديه ساخرا بهم مثيرا لفضيهم الى حد الجنون . وقد أخرجوه من القاعة ثلاث مرات ولكنهم كانوا يضطرون لاعادته ومن جديد ينساب التهمك والتحدى وتعرية الاهداف الثورية .

وسرعان ما اتضح انه لا ديمتروف ولا المتهمون الآخرون عرفوا قط
« فان دير لوبي » او كانت لهم أية صلة بحريق الرايشتاج وقد جاء الخطأ
من أن موظفا في الارشيف البرلماني في مبنى الرايشتاج يشبه المعتوه
الهولندي ، وقد شوهد الشيعي تورجلر يتحدث اليه . وتدرجاً تحولت
الاجراءات الى محاكمة للكتاب البنى ، محاكمة كانت اللجنة البريطانية غير
المنظورة تمثل الاتهام وكان النازي يمثلون الدفاع . وحضر جوبلز وندد
بذلك الكتاب ، فسخر منه ديمتروف وجعله عبرة . ثم جاء رئيس الدولة
البروسية البدين ، وكانت المسألة جدية بالنسبة اليه ، لان المواد الحارقة
جاءت من مقره ومن الصعب حقا أن يتخيل المرء انه كان يجهل ما يجرى
هناك . وتحت وطأة اتهامات البلغاري اللاذعة فقد جورنج اعصابه تماما
وتحتم على القاضي رئيس الهيئة أن يخف لانقاذه فأمر بجر « ديمتروف »
الى الخارج ، في حين صاح جورنج ورامه : « أنا لست خائفا منك أيها
الوغد .. أنا لست هنا كي تستجوبني أنت أيها الشرير ضالة المشانق !
ستندم كثيرا ان وقعت في يدي عند خروجك من السجن ا » ولم يكن ذلك
السلوك بالغ الوقار من رئيس وزارة بروسيا ووزير الرايخ لساثر ألمانيا !

- ١٠ -

وأثناء هذه الأحداث المسلية وصلت الى لاني بد في فندقه رسالتان .
وكانت الاولى منهما مؤلة حقيقة ، فهي رسالة برقية من أبيه يقول ان
أعضاء مجلس الادارة المنتخبين حديثا في مؤسسة بد لصنع الاسلحة قد
اجتمعوا ، وان روبي وأخاه كليهما خابت آمالهما . فان لوفورد عندما رأى
أخاه الاصغر يوشك أن ينتصر ذهب الى جماعة في وول ستريت ظهروا
على المسرح على غير انتظار ، تؤيدهم شركة التأمين التي تملك سندات بد .
ووقع الامر الذي كان الجد صمويل يخشاه ويحذر منه طول حياته :
فقد خرجت مؤسسة بد من يد الاسرة !

وهتفت ايرما « ما أفظع هذا يا لاني . كان ينبغي ان تكون هناك
لنتهم بالموضوع » فأجابها « أشك في اننا كنا مستطيعين أن نصنع شيئا .
ولو كان هذا رأى روبي لكان أبرق به الينا بالتأكيد » فقالت « ان ما صنعه
العم لوفورد انما هو خيانة للأسرة ! » فأجابها « انه طراز خائن من الرجال .
من تلك النفوس المظلمة التي ترتكب الجرائم . وكثيرا ما خطر لي انه ربما
أطلق الرصاص على روبي حتى لا يدعه يحصل على الجائزة التي ظل كلاهما
يتلطف عليها طول حياته » فسألت « وعلام يحصل من هذه التسوية ؟ »

فاجابها « يحصل على الرضا بمنع روبى من الانتصار وبطبيعة الحال ربما كان جماعة وول ستريت قد نقدوه شيئا . ومهما يكن من شيء فروبى لديه عقد عمله ولا يستطيعون فصله » فهتفت الزوجة الشاببة « لقد ابتعت كل هذه الاسهم للاشئ ! فاجابها ليس للاشئ بل بضمن مرتفع فيما أخشى . والافضل ان تبرقى الى العم جوزيف كى ينظر فى هذا الامر بامعان وينصحك هل تبيعين هذه الاسهم او تحتفظين بها .  لا شك فى ان روبى سيكتب البنا بالتفصيلات » .

اما الرسالة الاخرى فكانت مختلفة جدا . فهي خطاب موجه الى لانى بخط يده شخصيا وقد خفق قلبه عندما رآه لانه كان قد اعطى ذلك المظروف لهُو جويبير وهو يحمل خاتم بريد ميونيخ ففضه لانى بسرعة فتبين ان هوجو قص ستة أحرف من احدى الصحف والصقها فوق ورقة . وهي طريقة تتبع لدى الخطافين والمتآمرين كى تكون معرفة المرسل مستحيلة . والكلمة التى تكونها هذه الحروف الستة قد تكتب جزءا واحدا او جزئين بترك مسافة بعد الحرفين الاول والثانى . وهكذا الصقها هوجو فى جزئين متباعدين فادرك لانى ان فريدى فى « داخاو » وأنه بخير .

ونسى الفتى الأمريكى اللاهى آمال أبيه الضائعة وميراثه الضائع شخصيا فقد أزيح عن ذهنه عبء ثقيل وارسل برقيتين احدهما الى السيدة دنجل فى جوان - وكان الاتفاق ان يفتح آل روبى مثل هذه الرسائل ، والبرقية الاخرى الى روبى فى نيوكاسل نفسها حسب الشفرة موسيقى الكلارينت متنازة « واضاف الابن العارف بالواجب الى الرسالة الاخيرة « عواطفنا المخلصة لا تأسف كثيرا فما زلنا نحبك » وسوف يتقبل روبى هذه العبارة بابتسامة .

ومزقت ايرما ولانى رسالة هوجو الى قطع صغيرة وبعثتا بها الى حال سبيلها فى مجارى برلين الواسعة ، ومازالت لديهما آمال فى الحصول على حكرمة من رئيس الحكومة البروسية ، فقد يظهر لهما الملازم الاول فورت فينجلر فى أية لحظة معلنا لهما « لقد عثرنا على صديقكما » والى أن يعين ذلك لا يستطيع لانى الا أن ينتظر . فعندما يحاول المرء تنمية صلاته بالمجتمع الراقى لا يقول لأولئك الناس « لقد تأكد عندى انك كنت تكذب على ، واقترح الآن أن نبدا فى المفاوضات على هذا الاساس » . كلا . بل لا يستطيع لانى أن يقول « لدى شكوك » لان الملازم الاول كان حريا ان يبدى الدهشة على الفور ويسال « على أى أساس ؟ » ولا يستطيع لانى أن يقول « انى أستحثك على مضاعفة الجهد » لان المفروض فى الاشخاص المهمين ان يكونوا مشغولين جدا .

أودع مبلغ الأربعمائة مارك التي حصلوا عليها ثمنا للوحات ديتاز. أو ما هو أكثر من ذلك قليلا في بنوك برلين وفي يد لاني وزلطان أن يستخدموا هذه الماركات في شراء أعمال فنية لعمالهم الأمريكيين الذين سيسددون الحساب في نيويورك ، وبذلك لا يكون هذان الرجلان بحاجة إلى طلب مكرمة من النازي . وكان لاني قد حصل على معلومات من قائمة عملائه في أمريكا ، ولدى زلطان قائمة ظل يضيف إليها على مدى السنين الطويلة وبذلك لن تكون هناك صعوبة في القيام بقدر كاف من الصفقات . وكانا قد اتفقا على اقتسام الأرباح مناصفة في جميع العمليات .

واقترح لاني نقل المعرض إلى ميونيخ مدة أسبوع فوافق صديقه . فهناك جمهور عظيم محب للفنون والبيع مؤكد . يضاف إلى هذا أن بيوتهم تستمتع بالمعرض ، ولاني يعرف هناك لوحات يمكن ابتياعها . ويتولى جيري بندلتون - الذي بقي في برلين ليعود بلوحات ديتاز التي لم يتم بيعها إلى فرنسا - حزم ونقل هذه اللوحات إلى ميونيخ . وأكد لهما السيد المدرس الجامعي الخاص أنه يتمتع في المدينة البافارية بنفوذ أكبر من نفوذه في برلين ، لأنها مهد الاشتراكية الوطنية . واتعابه خمسة عشر ألف مارك أخرى علاوة على نفقاته أسبوعين ، فهو معتزم أن يعيش في مستوى عال .

وعاد هوجو بير إلى برلين فقال أنه اتصل بأحد معارفه القدامى في الحزب وهو الآن أحد حراس فرق الهجوم في معسكر داخاو . وقال هوجو لذلك الرجل أن لديه صديقا يستحق له مبلغ من المال لدى يهودي شاب . وهو يتساءل أن كان المدين لم يزل على قيد الحياة وكان هناك أمل في خروجه . وجاءه الرد بأن فريدي روبي قضى في المعسكر أربعة شهور أو خمسة ، وأنه عومل معاملة خشنه قبل قدومه إلى هناك وهو الآن محبوس بمفرده ولا يدرى جندي فرق الهجوم سبب ذلك . وما عناه فريدي بكلمة بخير أنه على قيد الحياة ولا يعذب على مبلغ علمه . وأن كان لا يوجد إنسان سعيد في داخاو . وأضاف هوجو : ربما استطعنا أن ننق بهذا الشخص ، لأنني تحدثت إليه طويلا ، وشعوره أزاء الأحداث يشبه شعوري كثيرا ، وهو شديد الضيق بعمله الذي يختلف عما وعد به ويقول أن كثيرين غيره يشاركونه شعوره وأن كانوا لا يتحدثون دائما . وانت تعلم يا لاني أن الألمان ليسوا شعبا قاسيا بطبعة وهم لا يحبون أن ينتقى أشد الناس ضراوة وشغبا ليعهد إليهم بالمناصب الرئيسية . فسأله لاني : هل قال هذا ؟ ، فجابته بل قال ما هو أكثر منه . وقلت له أن

الحزب فى رأى قد أسيئت قيادته وان من واجب ضباطه وجنوده أن يقوموا سبيله • وقد اهتم بما قلت ، وربما قام بتنظيم جماعة من المناصرين فى داخاو • « فعلق الأمريكى على ذلك بقوله « هذا بديع • وأنا مدين لك بالشئ الكثير • وسأذهب الى ميونخ قريباً جداً ولعلك تستطيع أيضاً أن تأتى ، وستكون لدى رسالة أخرى لصديقك • وفى الوقت نفسه أخرج حزمة صغيرة من الأوراق ذوات المائة مارك من جيبه ودسها فى جيب صديقه ، وهى مسافة لا تتجاوز بضع بوصات لانهما كانا متجاورين فى السيارة •

- ١٢ -

وقال لانى لزوجته « ربما كان من الممكن اخراج فريدى من غير أن ننتظر تعطف الجنرال البدين الى الأبد » فهتفت إيرما « خذ حذرك ! فقد تكون فى ذلك مخاطرة مخيفة ! » فقال « سنلجأ الى هذا كملاذ أخير • ولكننى اعتقد حقيقة أن جورنج قد اتسع امامه الوقت للبحث فى جميع معسكرات الاعتقال فى الرايخ • »

وقرر أن يطلب الملازم الاول فورت فينجلر تليفونيا ويساله فيما يتعلق بالتحرى الموعد بيد أنه أجل ذلك الاتصال الى الصباح التالى ، وقبل أن ينشط لتنفيذ قراره أعلن مقدم الضابط الشاب وأدخل الى الجناح فقال : « يا هر بد ، لديك فراغ لمدة اليومين أو الثلاثة أيام التالية؟ » فاجابه « فى وسعى أن أخلى وقتى » فقال الشاب « ان صاحب السعادة يرى أنه قد استحق عطلة بعد ارهاق جلسات المحكمة » وقال الضابط الشاب الجاد هذه العبارة من غير أن تظهر على محياه أى بادرة ابتسام ، وأقره لانى بإيمانه جادة من رأسه فاستطرد « وصاحب السعادة ماضى فى رحلة للصيد الى ضيعة الأمير شفاترتزيروبر فى شورفها يدى وسوف يسره أن نتفضل بصحبته » فأجاب الأمريكى بحرارة مناسبة « هذا كرم عظيم منه حقاً ، وأقدر هذا الشرف وسأنتهز الفرصة لأعرف الجنرال معرفة أفضل فقال الآخر « ولسوء الحظ أن الرحلة مما تسمونه أيها الأمريكيون فيما أعتقد رحلة رجالى » فابتسم لانى الذى كان يعرف شيئاً عن الصيد فى الغابات الألمانية قال « زوجتى لن تعارض ففى بقائهما هنا ، فلها صديقات يستطعن تسليتهما » فأجاب الملازم الاول « وهو كذلك إذن سنحضر السيارة لتقلك فى الساعة الخامسة عشرة غداً ! • »

وخرج الزوجان الشابان بعد ذلك فى السيارة وتحدثا عن الموقف فقال الزوج « انه يريد شيئا • واطننى ساعرف الآن ما هو » فحذرتة ايرما قائلة « دعه يقوم بالحديث • فقد رأيت كيف يتوقع ذلك من الناس » وكانت اصغر من زوجها بتسع سنين ولم تقابل الجنرال الا مرة واحدة ولكنها عرفت كل شئ عن حبه للتفاخر وفرحه باستعراض نفسه بدنيا وعقليا « فلا بد له ان يثبت انه اعظم رجل فى المجموعة واعظم رجل فى الحكومة ، وربما أيضا اعظم رجل فى العالم • وسيصنع لك ماشنت ان انت أقنعتة بأنك تعتقد ذلك » •

وكانت والده لانى تده بمثل هذه التعاليم طول حياته فتساءل هل تعلمت ايرما هذه الامور من بيوتى أم من حواء امهن العظمى جميعا ؟

**** معرفتى ****
www.ibtesama.com
منتديات مجلة الإبتسامة

الفصل الثالث والعشرون

جميع ممالك الدنيا

- ١ -

أتيج للانى ان يرى النظام الاقطاعى نافذا وهو صبى فى شتويندروف فوجده نظاما ابويا لطيفا ، ولذا استطاع ان يفهم كيف اكتشف النازى هذه الحقيقة . وكانت الجماعة متجهة الى ارض مخصصة للصيد يملكها أحد التجار ملاك الاراضى الذين كانوا اصدقاء النقيب جورنج أيام كان طيارا بارزا وخليفة لفون ريشتوفن فى قيادة ذلك السرب الشهير . وهؤلاء اليونكر الثراء ربطوا أنفسهم بحزب هتلر على أساس تأكيد جورنج بأنهم سيكونون محل رعاية ، وجورنج الآن قائم على البر بهذا العهد . فلن تكون ثمة « ثورة ثانية » فى بروسيا ما استطاع رئيس حكومتها الحيلولة دونها ، وفى اعتقاده انه قادر على ذلك .

وكان سفر الجماعة فى تلك السيارة المرسيدس ذات العجلات الست التى درج لانى على تسميتها « المدرعة » . والسائق والحارس الراكب بجواره من كتائب الامن ذوى الكسوة السوداء وكلاهما مدجج بالسلاح . وكان الجنرال بقامته الفائقة الضخامة مسترخيا فى المقعد الخلفى ، ولانى فى مكان الشرف الى جواره ، وقد جلس فى المقعدين المطويين العقيد سيمنس وهو ضابط فى جيش الرايخ كان صديقا منذ الحرب العالمية للجنرال ، والنقيب آينشتوس من رجال فرق الهجوم وكان قد صحب جورنج عند فراره الى سويسرا بعد انقلاب حانة البيرة الفاشل . وفى سيارة أخرى من ورائهم ركب فورت فينجلر وضابط آخر من الياوران وسكرتير وعامل تليفون وخادم خاص . وكان ركاب المدرعة يتحدثون عن المحاكمة ، وتمنى لانى لو سمع ما كانوا حريين أن يقولوا لو لم يكن موجودا معهم ، ولكن ذلك مستحيل المنال . وكان حديثهم على أساس ان السجناء الخمسة من سلالة الشيطان وان الجنرال نسف ديمتروف نسفا كاملا . وسألوا لانى ماذا عسى أن يكون رأى العالم الخارجى فأجاب

ان الناس جميعا ميالون الى تصديق ما فى مصلحتهم ان يصدقوه ، وان العالم الخارجى يخشى النازى لانهم يشكون فى عزمهم على اعادة تسليح المانيا . وهذا كلام ان قيل بحرص يجنب قائله الكذب وفى الوقت نفسه يجنبه الاسائة .

وكانت قيادة السيارة بسرعة كبيرة ، والنفير القوى ينذر العالم اجمع كى يخلى الطريق . وقرب الفسق تركوا الطريق الحلوى الكبير ودخلوا غابة كثيفة قطعوا فيها اميالا كثيرة فى طريق خاصة قبل ان يصلوا الى بيت الصيد الذى كان مضاء اضائة حسنة لاستقبالهم وبهو بيت الصيد فسيح وعلى أرضه جلود الدببة وعلى جدرانها تذكارات الصيد من رهوس وغيرها . وثمة صف من البنادق فى صندوق زجاجى كبير فى احد طرفى البهو ، وفى الطرف الآخر مائدة للمآدب ومدفأة عظيمة مبنية بالحجارة وفيها كتل متوهجة من الاخشاب . ولم يكن هناك مضيف فقد وضع المكان تحت تصرف الجنرال ، وقام الخدم فى اردية الخطابين الحضراء باحضار المشروبات . وعندما طلب صاحب السعادة العشاء دخل موكب منهم وكل يحمل صحيفة كبيرة من الفضة ، وفى الصحيفة الاولى رأس خنزير برى ضخمة مشوى يتصاعد منها البخار الحار . وفى الصحيفة الثانية فخذ من لحم الغزال . وفى الصحيفة الثالثة عدد من افراخ القطا الاوربى الضخم اكبر حجما من أى نوع من الدجاج المعروف ، وفى الصحيفة الرابعة عدد من الارانب الجبلية مطبوخة باليخنى ومحمرة . ولم يسع لانى وهو يتعشى فى ظل النظام الاقطاعى الا ان يضحك ويلتمس الرحمة . ولما كان المضيف الجنرال فخورا باقدمه العظيم فى ميدان الالتهام لم يسؤه أن يرى سواء يظهرون قصورهم عن مجاراته . وكذلك كان الحال بالنسبة للشراب ، فهناك البانش الحار ونبيذ الموزيل البارد واخلاط من البراندى الحارق ، وأنواع من الكوكتيل والبعة . ويظهر انه لا وجود لترتيب مرسوم محدد لتناول المشروبات ، وكان قائد سلاح الطيران المقدم يشرب كل ماتقع عليه عينه ويطلب المزيد . وكانت الموسيقى هى الوسيلة لانقاذ لانى ، فعندما شرعوا يغنون أخذ كاس البانش واتجه الى البيانو وعزف لهم وغنى « دلونى على الطريق الى البيت يا فتيان » . وأغان أخرى مما ينشده الطلبة كان قد تعلمها من أبيه وهو غلام . وسر الجنرال بذلك ، فواصل لانى تسليته بصنوف شتى من الفكاهة الامريكية: « اليانكى العبيط » و « على الارض هوى مكجبنى » و « ستكون الواقعة حارة فى المدينة القديمة هذه الليلة » ولم يكن مهما هل يعرفون اللغة

أو لا يعرفونها ، لأنهم سرعان ما باتوا في حالة يجهلون فيها ما كانوا يعرفون . وعزف لهم « وطنى القديم كنتوكى » فبكوا . وعزف « الرحالة من اركانسس » و « ديك رومى بين القش » فحاولوا أن يرقصوا وكف لاني عن التواثب بأصابعه فوق مفاتيح البيانو فوجد رئيس الدولة البروسية راضيا عنه بحرارة شديدة حتى انه لم يسمح لخادمه الخاص بمساعدته على صعود السلم بل أصر على وجود الشاب الأمريكى عن أحد جانبيه وفتاة زرقاء العينين فلاحه سلافية من شرق المانيا عن جانبه الآخر .

وهذا وجه آخر من أوجه النظام الاقطاعى الذى سمع لاني كلاما عنه ورآه الآن نافذا . فالخدم من الرجال الذين أحضروا الاطباق الثقيلة اختفوا وقام بتقديم الحلوى والفاكهة والقهوة والمشروبات المتباينة شابات فى ثياب الفلاحات وشعرهن الكتانى يتدل فى جدائل ثقيلة على ظهورهن . وهن لسن فى البغايا ، وانما هن بنات الخدم والمستأجرين . وكن ينحنين احتراما لهؤلاء السادة ذوى النسب الرفيع والاكسية الرسمية ويرقصن معهم عندما يدعونهن ، وهن مستعدات لتقبل شرف أى نوع آخر يبدوونه من الاهتمام بهن . ولا حاجة الى غزل كثير أو تقرب اليهم لأنهن مستعدات لاطاعة الأوامر . ولحسن حظ لاني لم يكن عددهن كافيا لجميع الرجال الموجودين فكان تنازله عن نصيبه فيهن موضع تقدير .

ونهضت الجماعة من نومها متأخرة فى اليوم التالى ، ولم يكن ثمة وجه للعجلة لأن هذا النوع من الصيد يتم حسب مراد الصيادين لا على حسب عادات الفرائس . وبعد افطار من اللحوم خرجوا ليتخذوا مواقفهم فى الغابات واخذ خدم الصيد يدفعون الايائل والجاموس البرى والخنازير البرية للخروج من الاحراش الى الأماكن المكشوفة . ونال لاني شرف الوجود فى وضع واحد مع الجنرال ، وانتظر بادب ربما اطلق الرجل العظيم بندقيته ، فلما قيل له ان هذا دوره حافظ على سمعة مؤسسه بد لصنع البنادق . وكان ذلك منه جهدا يستحق العزاء لأنه قدر ان الوقت لن يطول قبل أن يستفيد روى من هذه العلاقات الثمينة .

- ٢ -

وبعد ان حصل صاحب السعادة على الترويح والرياضة عن طريق جذب زناد بندقية عاد الى بيت الصيد وأمسك بأزمة الحكم ويبدو انه كان

قد أمر بإنشاء خط تليفوني خاص فى هذه الضيعة ففى ساعتين يستمع للتقارير ويصدر الأوامر . وكان يبدو غاضبا معظم الوقت ، أم لعل هذه طريقته فى الحكم ؟ فكأنما كان يحاول الاتصال ببرلين عن طريق الهواء لا عن طريق سلك من النحاس . فكان خواره يتردد صدها فى أرجاء البيت ، وكان لانى متلهفا على ألا يسمع شيئا فذهب إلى قاعة البليارد وراقب الضابطين الصغيرين وكل منهما يربح من الآخر مبلغا صغيرا . وبين الحين والحين عندما ترتفع طبقة الصوت بصورة خارقة ينظران إلى لانى ويبتسمان فيجزي ابتسامهما بالابتسام ، وهذا امتياز خاص بالمرءوسين .

وكان الضيف يود لو تمشى على قدميه فى هذه الغابة الكثيفة البديعة ، ولكنه آثر أن يظل تحت تصرف مضيفه . وفعلا بعد أن تلقت دولة بروسيا أوامر السير لذلك الصباح دعى لانى للمثول ، وعندئذ عرف لماذا جاء فى رحلة الصيد ، وكان قائد سلاح الطيران الألماني البدين مسترخيا على سجيته فى روبر منزل من الحرير الأزرق السماوى المزين بقطع من فراء القاقم ، وقد وجه الحديث إلى الموضوعات الدولية وشرع يبين الصعوبات التى يجدها فى الحصول على معلومات حقيقية حول موقف الدوائر الحاكمة فى العواصم الأوروبية . أن له عملاء كثيرى العدد ، ولكن لهم مرتبات سخية ويسمح لهم بالمبالغة فى حسابات نفقاتهم ، ولكن أشدهم إخلاصا هم أقلهم اتصالات . أما أصحاب الاتصالات الحقيقية فلديهم استعداد متكافئ للعمل لحساب الجانب الآخر .

وكان قد وصل إلى مرحلة رفع التكاليف فقال « أفهمنى يا بد . أنا لست من البلاهة بحيث أتخيل أن فى إمكاني استخدامك ، فأنا أعلم أنك ذو مهنة تدر عليك الكثير ، بصرف النظر عن ثراء زوجتك . فقد كانت لى أنا أيضا زوجة غنية واكتشفت أن مثل هذه الزوجة تتوقع الاهتمام والعناية ولا تترك المرء على حريته تماما . ولكن الواقع أنك تنتقل كثيرا وتتجمع لديك معلومات ، ولا شك أنك تدرى متى تكون هذه المعلومات مهمة . » فقال لانى مظهرا التجاوب ولكن بغير اسراف « أظن أن هذا حدث فعلا بين الحين والحين » فقال جورنج : « أن ما أريده ليس عميلا بل صديقا ، يكون سيدا مهذبا أستطيع الثقة بشرفه ، ولا يكون عديم الاكتراث بخطورة مهمتنا فى أحباط الخطر الأحمر فى ألمانيا وربما استطعنا بعد ذلك أن نمحو من الوجود ذلك الوكر الذى تفرخ فيه هذه الافاعي . وبالتأكيد ليس من الضرورى أن يكون المرء ألمانيا كى يقر هدفا كهذا » فقال لانى « انى متفق معك فى رأى يا صاحب السعادة » فقال الرجل

العظيم « نادنى باسم جورنج . ولعلك مدرك كيف يعمل المرء من طول التعامل مع الاتباع والمتملقين ، فانت رجل يقول ما يعتقد ، وعندما أنا ذلك اشعر بشيء من المباراة » فقالا لاني « أشكرك يا صا . . . يا جورنج ، فقال جورنج « أنا واثق انك مدرك اننا نحن النازيين لاننشد غايات صغيرة . فانت من القلة الذين يتوفر لديهم الخيال لادراك انك متى صرت صديقي استطعت أن تحصل على أى شيء تحب أن تطلبه منى وأنا مزعم أن أكون من أغنى رجال العالم لا لاني طامع فى المال ، بل لأن أمامى مهمة أقوم بها ، والمال بعض وسائلها . سنشيد صناعة ضخمة تصبح ميراثا للمستقبل . وبقينا اننا لن نتركها فى يد اليهود أو غيرهم من عملاء البلشفية . وان عاجلا أو آجلا سنستولى على الصناعة الروسية ونطورها كى تصبح متمشية مع الطرق العصرية فى الانتاج ونحن بحاجة كى نحقق هذا كله الى العقول والكفاية . وأنا شخصيا بحاجة الى رجال يلتقون معى فى وجهات النظر ، وأنا مستعد أن أدفع لهم على مستوى ملكى . فلا حدود لما يمكن أن أصنعه لرجل يصبح شريكا حقيقيا لى . فقال لاني « انى أقدر هذا الاطراء يا عزيزى جورنج ، ولكنى أشك فى كفاءتى لمثل هذا الدور . فلا بد ان لديك يقينا بين الالمان من تلقى تدريبا خاصا . . » فقال « ما من المانى يستطيع أن يقوم بما اقترحه عليك . بل لا بد أن يكون امريكيا من المفروض انه فوق المعركة ففى استطاعتك أن تذهب الى فرنسا أو انجلترا وتقابل من تشاء وتنجز مهامنا على أعلى درجة من الدقة من غير أن تضيع وقتا أو تضحي بمتعتك أو متعة زوجتك . ولن اطلب اليك أن تقوم بعمل يناقض الشرف أو أن تخون ثقة احد . فان انت مثلا قابلت بعض الاشخاص المعينين فى تلك البلاد وتحادثت معهم فى السياسة وأبلغتني بمواقفهم الحقيقية لأمكن أن أعرف من منهم يريد حقا هزيمة الحمر ومن منهم يفضل أن يرى هؤلاء الشياطين يحصنون أنفسهم على أن يرى المانيا ناهضة على قدميها . وستكون هذه المعلومات ذات قيمة عندى لا تقدر بثمن . وصدقنى انك لن تحتاج الى أكثر من تلميح خفى لرغباتك . وان استطعت القدوم بين حين وآخر فى بعثة لشراء اللوحات الفنية من برلين وزرتنى فى مكان منزى هادى كهذا ستكون المعلومات التى تزودنى بها ذات فائدة من غير مظهر يلفت الأنظار ، واعدك بشرفى الا أذكر اسمك لانسان . »

وخيل الى لاني انه تلقى عرضا ممتازا جدا ، واسف لحظة لانه لا يحب النازي ، وشعر بان ايرما كانت تحب له ان يقول نعم ، وكان يسعدها ان تعينه في مثل هذه المهام الدولية ولا شك في ان الجنرال دعاها للبقاء كي يتسنى له وزنها من هذه الجهة .

وقال زوج ايرما « يا عزيزي جورنج ، انك تقدم لي تحية طيبة وواتمني لو استطعت ان اصدق جدارتي بها . ومن المؤكد اني التقى احيانا بشخصيات هامة واسمعهم يتحدثون بغير احتياط واعتقد انني احري ان احظى بمزيد من هذه الفرص لو انني سمعت اليها . وكذلك اجد برلين مدينة تستحب زيارتها ، فان آتيت بين الحين والحين لأرقب عملكم المثير للاهتمام سيكون من الطبيعي لك ان توجه الى أسئلة ومن الطبيعي لي ان اجيب عنها وأخبرك بما سمعته . اما حينما تعرض على ان تاجرني عليها فهذا موضوع آخر لأنني عندئذ ساشعر بوقوعى تحت التزام . وقد كنت دائما شخصا لا يصلح لشيء ولا يرتبط بشيء وحتى قبل ان اتخذ لنفسي زوجة غنية كنت احب التنقل من مكان الى آخر للتطلع الى الصور والاصغاء للموسيقى الجيدة أو لعزفها في مستوى غير جيد ، وللثروة مع اصدقائي وامتناع نفسي بمراقبة مشهد البشرية . وحدث فعلا انني جمعت بعض الثروة ولكنى لم اشعر قط بأنى ربحتها بعملى وجهدى ، فهذا شعور لا احبه لنفسي . « وهو نوع الجواب الذى يدلى به رجل يريد ان يرفع ثمنه . وكيف يستطيع من يريد استخدامه ان يعرف الحقيقة ؟ ولذا قال الجنرال بأسلوبه الحذر بعينه « يا عزيزي بد . ان آخر ما دار بذهنى ان اجعلك تحت الاحساس بالالتزام أو ان اتدخل فى مباحثك . بل ان أسلوبك فى الحياة هو الذى يجعلك قادرا على مساعدتى . « فقال لاني : « انه ليسرني حقا يا صاحب السعادة اني اكتشف ان مواطنى ضعفى قد تحولت الى مزايا « فابتسم الرجل العظيم ، بيد انه استمر فى محاولة الحصول على ما يريد فقال « لنفرض انك استطعت ان تؤدى لى هذه الخدمات التى تتفق مع هواك ، والتى لا تحتاج الى تضحية من جانبك اكثر من ركوب السيارة الى برلين مرتين أو ثلاث مرات فى السنة . ولنفرض اننى يوما ما بدافع من الصداقة الخالصة احببت ان اهديك أرضا مخصصة للصيد مثل هذه مساحتها مائة أو مائتا كيلو متر مربع ، فمن المؤكد انك لن تعتبر هذا مصدر اذلال أو شيئا منافيا للكرامة « فهتف الفتى اللاهى « حاشا لله ! فلو كنت أملك

ضبعة كهذه فلا بد ان ادفع عنها ضرائب ونفقات صيانة ، واصبح على الفور واقعا تحت الزام 'دبى بالاستفادة منها « فقال جورنج » الا تستطيع ان تفكر فى شيء اصنعه لك ؟ وادرك لانى انه يعامل على مستوى عال جدا من الدبلوماسية . فالجنرال لا يقول له « انت تعلم ان تحت يدى رهينة لك . وهذه هى الطريقة التى يمكن ان تفرنى باطلاق سراحه ! » وهو لم يرغب لانى على ان يقول له « انت تعلم ان تحت يدك رهينة لى وانك لم تبر بوعدك ! » بل هو حريص على أن يجعل الامور ميسرة لكليهما . وبالتاكيد لن يدع لانى هذه الفرصة تفوته ! فقال بسرعة « بلى يا جورنج ثمة شيء واحد ، ان تجعل آلة حكومتك القوية تبذل جهدا خاصا للعثور على الابن الاصغر ليوهانس روين . » فسأله « اما زلت قلقا بشأن هذا اليهودى ؟ » فاجابه لانى « وما حيلتى ؟ » انه قريب لى على نحو ما ، فاخى غير الشقيقة متزوجة من أخيه . وبطبيعة الحال تشعر الأسرة بالاسى . وعندما حضرت الى برلين لاعرض لوحات ديتاز وعدت ان ابذل كل ما فى وسعى للعثور عليه . وقد ترددت فى ازعاجك مرة أخرى لعلمى بالمسؤوليات الهائلة التى تحملها . . . « فقال جورنج » لقد قلت لك من قبل اعزى بد اننى حاولت العثور على الرجل فلم اوفق « فقال لانى » نعم . ولكنى اعلم مبلغ الارتباك العظيم الذى ساد الشهور القلائل الاخيرة . واعرف حالات خول فيها بعض الافراد والجماعات لانفسهم السلطات غير المخولة لهم قانونا . فان اردت ان تقدم لى مكرمة لن انساها قط فمر احد رجال مكتبك ان يقوم بتحريات دقيقة لا فى برلين وحدها بل فى سائر انحاء الرايخ لتتيح لى ان اريح ضميرى تماما من جهة هذا الشاب الذى لا ضرر منه اطلاقا . » فقال رئيس الوزارة البروسية ، وهو كذلك . ان كانت هذه أمنية قلبك فساحاول ان احققها . ولكن تذكر ان الامر قد يكون فوق طاقتى ، فليس فى استطاعتى ان ارد الموتى الى الحياة .

- ٤ -

ولما عاد لانى الى برلين اخذ زوجته لنزهة بالسيارة وتحدثا عن هذا التطور الجديد ، وقل لها « فاما انه لا يشق بى أولا ان تأتىنى منه أبناء فى وقت قريب جدا » فقالت ايرما « ولكنه يجب ان يتظاهر بالقيام بالتحريات » فاجاب « لا يحتاج الامر الى وقت طويل كى تكتشف هفوة . وفى وسعه ان يقول « يؤسفنى ان اكتشف ان تنظيمى المفروض

انه تام الكفاية . قد زلت قدمه . فصدىك كان فى داخاو طيلة الوقت وقد امرت باحضاره الى برلين . فان لم يصنع ذلك فمعناه انه غير راض عن وعودى » فقالت « لعله يعرف عنك أكثر مما يجب يالانى » فقال هذا جائز . لكنه لم يشر الى هذا اطلاقا ولو تلميحا » فقالت « وهل يفعل شيئا كهذا الا ان كان يناسب اغراضه ؟ ان فريدى وسيلته الوحيدة للضغط عليك ، وهو يعلم هذا وربما كان يظن انك قد تغادر المانيا على الفور وتلدع قصة يوهانس » فاجابها « ان هذه القصة صارت الآن عتيقة . ويوهانس صار انسانا منلوبا على امره لا قيام له من كبوته ، واشد لك ان أى انسان يمكن ان يهتم كثيرا بأمره . وقد نشر الكتاب البنى ولم يرد فيه ذكر له فقالت زوجته « اسمع هذا سؤال ظل يؤرق ذهنى : الا يجوز ان فريدى اقترب شيئا خطيرا ، وان جورنج يعلم هذا ويفترض انك تعلمه ؟ » فاجابها « هذا يتوقف على ما تعنيه بكلمة خطير . ففريدى اعان تمويل وإدارة مدرسة اشتراكية . وحاول ان يعلم العمال مجموعة من النظريات الديمقراطية والتحرورية وهذه جريمة فى نظر هذا النظام الحاكم ، ومن تثبت عليهم هذه التهمة اسعد لهم ان يموتوا . » فقالت « لست اعنى هذا يالانى . وانما اعنى مؤامرة من نوع ما او مكيدة او محاولة لقلب الحكومة » فاجابها « انت تعلمين ان فريدى لم يكن يؤمن بشيء من هذا القبيل وقد سمعته يقول ألف مرة انه يؤمن بان يكون الحكم عن طريق الموافقة الشعبية كما هو الحال عندنا فى أمريكا ، وكما حاولت جمهورية فيمر ، أو كما كان المفروض ان تكون على كل حال . » فقالت « ولكن اليس من الجائز ان فريدى ربما غير رأيه بعد حريق الرايشتاج وبعد ان رأى ماصنع برفاقه ؟ فليست جمهورية فيمر التى يحاول قلبها ، بل . هتلر اليس من الجائز انه والكثيرين من رفاقه قد غيروا تفكيرهم ولكن من غير المحتمل ان يكون فريدى منهم فائى فائدة ترجى منه وهو يفلق عينيه عندما يصبو سديسا ؟ » فقالت « هناك كثيرون غيره يقومون باطلاق النار . أما فريدى فلديه المال ، لديه أكملس منه يستطيع الحصول عليها من أبيه . وفى شهرى مارس وأبريل ماذا تعرف عما كان يصنعه أو ما كان يدبره رفاقه واستدرجوه الى المشاركة فيه ؟ » فقال لانى « اعتقد انه كان حريا ان يخبرنا بذلك يا ايرما لانه كان سيشرح ان الشرف يقتضى منه ذلك » فقالت « ربما شعر بأنه مرتبط بشرفه ازاء الطرف الآخر فلا يملك ان يتحدث عن أسرار رفاقه هؤلاء . ومن الجائز أيضا انه لم يكن يعلم ما يجرى وأن الآخرين كانوا يستخدمونه . وبعض

هؤلاء الأشخاص قابلتهم في المدرسة ، وهم رجال اعلم انهم ما كانوا ليترددوا في الرد على العنف بالعنف . فمذ لالودي شوتز : انتخيل انه يمكن ان يرقد على الارض ويترك آلة النازي تمر من فوقه ؟ ألم يكن حريا أن يثير العمال ليقوموا بما يسمونه عملا جماهيريا ؟ وألم تكن زوجته حرة ان تساعد ؟ وفوق هذا لنفرض انه كان يوجد بينهم جاسوس نازي يحاول استدراجهم الى فخ كي يقبض عليهم متلبسين بعمل عنيف ؟ « فأجابها » ان النازي ليسوا بحاجة الى مبررات يا ايرما . فهم يقبضون على الناس اعتباطا . « فقالت » اني اتكلم عن جواز جرم حقيقي أو على الأقل وجود تهمة موجهة الى فريدي مما يجعل جورنج يعتبره خطرا ويحتجزه . فقال لاني « ان الأشخاص الموجودين في معسكرات الاعتقال ليسوا ممن توجد ضدهم اتهامات جنائية . لأن هؤلاء يودعون السجون ويعذبهم النازي ليحملوهم على الوشاية بشركائهم ثم يطلقون عليهم الرصاص من أفقيتهم ويحرقون جثثهم . أما نزلاء داخاو فهم ساسة اشتراكيون ومحرمو صحف وزعماء عمال ، ومثقفون من جميع الطوائف التي تدافع عن الحرية والعدالة والسلام ، فقالت « أتعني أنهم هنا من غير أن توجه اليهم تهمة ؟ « بالضبط . فهم لم يحاكموا ولا يعرفون لماذا هم هناك ولا كم من الزمن سيمكثون . وهم ألفان أو ثلاثة الآلاف من صفوة الناس في بافاريا ، وأكد ظني ان فريدي لم يقترب شيئا مما اقترفه أي واحد منهم » .

ولم تقل ايرما شيئا بعد هذا ، وكان زوجها يعرف السبب الاوانتها لم تستطع ان تصدق ما قال فهو افظع من أن يكون صحيحا . وكان الناس في جميع أنحاء العالم يقولون ذلك ، وسيظلون يقولونه وهذا ما يشير حنق لاني الشديد .

- ٥ -

ومرت الايام وحن موعد الافتتاح بميونخ ولم يتصل به احد . ليعترف بهفوة من جانب الجهاز الحكومي المعصوم من الخطأ . وكان لاني يديم التفكير في هذه المشكلة فهل كان الجنرال البدين يتوقع منه أن يمضي فيسلم البضاعة على النسيئة ثقة منه به ومن غير أن يقدم اليه فاتورة من أي نوع ؟ وقال لاني لنفسه « له ان يذهب الى الجحيم ! وليكن ذلك سريعا ! » .

وبدا الاشتراكي المتنكر يفكر وهو في ضيقه في أولئك الرفاق الذين كان قد التقى بهم في حفلات الاستقبال بالمدرسة . وكانت راحيل قد اعطته عناوين بعض منهم فراح في ساعات فراغه يذهب الى موضع منها في اثر موضع حريصا في كل مرة على ان يترك سيارته على مسافة غير قليلة وان يتأكد من ان أحدا لا يتبعه . ولم يستطع ولا في مرة واحدة العثور على أولئك الاشخاص أو على أى انسان يعترف بأنه يعرف شيئا عن مظان وجودهم .

وفي معظم الحالات كان الناس لايقرون حتى بسماعهم بهم . فقد تلاشوا من وجه الارض في ألمانيا . فهل عليه ان يفترض وجودهم جميعا في السجون ومعسكرات الاعتقال ؟ أو ان بعضهم قد اختفوا « تحت الارض ؟ » ومرة اخرى راح يتساءل كيف يمكنه ان يجد طريقة الى تلك المنطقة السفلية بحيث يتمكن دائما من العودة الى فندق آدلون في وقت مناسب لتلقى رسالة من الرجل الثاني في حكومة النازي ! .

وتوجهت ايرما الى حفل الشاي الراقص في السفارة الامريكية وذهب لاني ليرى بضع لوحات في قصر قريب ولكنه لم يجد هناك شيئا يفريه بتزكيتته لدى عملائه ، وكانت الاثمان تبدو مرتفعة ولم تكن به رغبة في الرقص وهو واثق ان زوجته وجدت شركاء آخرين فاتجهت افكاره الى شاب جاد العقل يعمل رساما تجاريا ويلبس نظارة كبيرة ذات اطار من الباغة ويكره عمله وهو عمل رسوم لسيدات آريات نحيفات بصورة غير طبيعية يرتدين ثيابا داخلية وجوارب وقمصانا وقبعات غريبة الاشكال . وفكر لاني ايضا في زوجة ذلك الشاب وهي ذات نفس مخلصة لمبادئها وتدرس الفن بموهبة حقيقة . وهذان الزوجان هما لوديج وجرتروود شولتز وهما اسمان ليست فيهما غرابة ملفته للنظر اما لودي وترودى فاسمان اشبهه باثنين يعملان في الفودقيل أو في شريط فكاهي .

وكان لاني قد اتصل تليفونيا بالمؤسسة الاعلانية فقبل له ان الشاب لم يعد مستخدما هناك واتصل تليفونيا بمدرسة الفن فعلم ان الطالبة المذكورة لم تعد تدرس هناك . ولم يسمع في أى من المكانين لهجة تدل على المودة ولا وجد تطوعا للدلاء بمعلومات . وقدر ان الزوجين الشابين لو أنهما فرا الى الخارج لكانا بالتأكيد بعثا برسالة الى بيانفيني . وأن

كانا هائمين يغيران مكان نومهما كل ليلة في المانيا فماذا عماهما يصنعان؟ هل يخرجان في الليل فقط أم انهما يتخذان وسيلة للتكرار؟ وغلب على ظنه انهما لابد يعيشان بين العمال ، لانهما لم يكونا من ذوى المال في اى وقت اما وهما بلا عمل فلا بد ان يعتمدا على رفاقهما من العمال .

- ٦ -

كيف السبيل الى العالم السفلى تحت الارض ؟ ان لاني يستطيع ان يترك سيارته بعيدا ولكنه لا يستطيع ان يترك لهجته في الكلام وطريقته في السلوك وشاربه البنى الصغير وفق آخر طراز ولا يستطيع فوق هذا كله ان يتخلى عن ثيابه ! فليست لديه ثياب قديمة وان اشترى شيئا منها في محل للاشياء المستعملة فكيف عماه يبدو حين يدخل فندقا فاخرا ؟ ان تحوله الى ساكن كوخ حقير يكاد يضاهى في صعوبة تحوله ساكن كوخ حقير الى فتى لاه مليونير .

ومر بسيارته أمام المبنى الذى كانت به مدرسة العمال فوجد الان هناك علما كبيرا عليه الصليب المعقوف يتدلى من سارية فوق الباب فقد اتخذ النازى ذلك المبنى مقرا لقيادة القطاع . ولا يمكن الحصول هناك على معلومات ، ولذا مضى لاني بالسيارة الى المنطقة التى كان آل شولتز يقيم بها فاذا ابنية سكنية ذات ستة طوابق ، فهذا الحى اقل احياء الطبقة العاملة بحقارة وقذاره بين كل ما شاهده في أوروبا . والناس مازالوا يلزمون دورهم ما استطاعوا ، وقد حل الصقيع فادخلت اصص الازهار من النوافذ . ومر بالسيارة متجاوزا البيت الذى كان قد زار فيه آل شولتز ولا شيء يميزه عن اى بيت آخر سوى الرقم ودار حول البناء وعاد مرة اخرى . وبدافع مفاجيء اوقف السيارة ونزل منها ودق جرس البواب . وكان قد قام بمحاولة قبل هذه للحصول على معلومات ولكن لعله لم يجتهد اجتهادا كافيا . وفي هذه المرة طلب الاذن بالدخول والتحدث الى زوجة وكيل العمارة فاجيب الى طلبه على مضض واجلس على مقعد خشبي بغير ظهر في مطبخ نظيف جدا ولكن تفوح منه رائحة قوية للحم الخنزير والكرنب . وراح يبدل جهده لعقد صداقة مع امرأة مربية من نساء الشعب ، فقال انه تاجر اعمال فنية امريكى وانه كان قد التقى بفنانه موهوبه واخذ طائفة من اعمالها وتمكن من بيعها وهو

الآن مدين لها بمبلغ من المال ويزعجه عجزه عن العثور عليها . وهو يعلم أن ترودي شولتز كانت اشتراكية نشطة ولعلها لهذا السبب لا تريد أن يعرف أحد مكانها شخص غير سياسي اطلاقا ولا ترودي ولا أصدقائها لديهم داع للخوف منه . واستخدم كل ما لديه من معرفه بعلم النفس في مجهود لكسب ثقة المرأة ولكن عبثا فهي لا تعلم أين ذهب آل شولتز ولا تعرف احدا يمكن أن يعرف مكانهما . ومكنتهما الآن يشغله عامل واسرته المكونه من بضعة اطفال . وكان ما خرج به منها « لا .. لا ياسيدي » .

ويش لاني وسمع باب البوابه يعلق خلفه وعندئذ رأى فتاة في الثامنة أو العاشرة تهبط سلم العمارة في ثوب مرقع وحول رأسها وكتفها شال أسود من الصوف . وبدافع مفاجيء قال لها بسرعة من فضلك أين تسكن فراو ترودي شولتز ؟ « فوقفت الطفلة وحملت فيه وكانت لها عينان واسعتان سوداوان ووجه شاحب يدل على نقص في التغذية فظنها يهودية ، ولعل هذا يفسر نظرة الاجفال . أو لعل السبب أنها لم تر شخصا من هذا القبيل في بيتها أو قريبا منه فاستطرد مواصلا هجومه « أنا صديق قديم لفراو شولتز » فمضت الطفلة « أنا لا ادرى أين تسكن » فقال لها : « تستطيعين التفكير في أحد يعرف مكانها ؟ فأتا مدين لها بمبلغ من النقود ولا بد أنه سيسعدها الحصول عليه » واضاف بدافع من الالهام « أنا رفيق » فأجابت الصغيرة « أنا أعرف أين تذهب . أتتاه تذهب الى دكان الخياط ارونسن في هذا الشارع ، في المبنى التالي لنا » فقال لاني « شكرا جزيلًا » ووضع قطعة من النقود الصغيرة في اليد الهزيلة لتلك الفتاة الصغيرة التي يدل منظرها على الجوع .

وترك سيارته حيث هي وعثر على دكان الخياط وكانت تعلوه لافتة للهجة العبرية الألمانية وباللهمة الألمانية معا . فمر من أمامه ملتزما الجانب الآخر من الشارع ومرة أخرى اسف لثيابه التي تلفت النظر كثيرا في هذا الجوار وقد يكون ارونسن اشتراكيا ولكنه ايضا قد لا يكون اشتراكيا . ودخل لاني وسؤاله عن ترودي قد يجبر سلسلة من الاحداث التي لا يمكنه تخيلها . ومن جهة أخرى لا يسعه أن يتمشى جيئة وذهابا أمام ذلك المكان من غير أن يلفت النظر . ومن بداخل الدكان لديهم ولا شك أسباب للحد والمراقبة . وأخيرا اتجه الى حانوب عند رأس الشارع اشترى كيس حلوى رخيصة وعاد فجلس على إحدى درجات سلم مواجه لدكان الحياطة ولكن على مبعدة نوعا ما بحيث

يخفيه السياج الى حد ما . وجلوسه قلل من طوله وامسأكه بكيس حلوى يأكل منه ببطء جعل ظهره بالتأكيد اقل رقيا مما هو وفى الوقت نفسه جعله مشار اهتمام لدى ثلاثة أطفال من سكان ذلك البناء حين اشركهم فى كنزهم وفرحوا بوجوده معهم . ولما سألهم عن أسمائهم وإلى أى مدرسة يذهبون وأى ألعاب يلعبون أجابوه على استحياء وفى الوقت نفسه ظل بصره معلقا بباب دكان الخياط ارونسن . وبعد قليل خاطر بسؤال اصدقائه البروليتاربين الثلاثة . هل يعرفون ترودى شولتز فقالوا أنهم لم يسمعوا بها مطلقا ، وتساءل انراه قد غرر به . ولعل من الاوفق ان ينصرف ويكتب رقعة صغيرة لا يذكر فيها اسمه صراحة بل على سبيل الكناية « الصديق الذى باع رسومك فى باريس » ويضيف الى ذلك « اذهبى للسير على قدميك أمام التمثال الهائل الرخامى الابيض الذى يمثل كارل البدين فى مشى النصر فى الساعة الثانية ، والعشرين يوم الاحد » وجعل يناقش هذا البرنامج بثلاث عقله وبالثلاث منه راح يوزع الحلوى على سرب متزايد العدد من الصغار ، وبالثلاث الثالث ظل يرقب باب « ارونسن للتفصيل والحياكة واصلاح ثياب » .

- ٧ -

وفتح الباب فجأة وخطت الى الخارج امرأة شابه تحمل لغافه كبيرة من الورق فوثب قلب لانى وسلم الكيس الذى كاد يفرغ مما به الى احد اصدقائه الصغار ومشى فى نفس اتجاه هذه المرأة . وكانت نحيفه ليست فى طول لانى وعليها معطف بنى بادی الفقر ناعل اللون بصورة سيئة وعلى رأسها وكتفها شال . فلم يستطع ان يرى شعرها . ولانه كان يمشى وراءها لم يستطع ان يرى وجهها ولكن خيل اليه انه عرف مشيتها وظل يتبعها مقدار مربع من مربعات الابنية ثم عبر الشارع وجاء من خلفها ثم الى جانبها ووجد وجهها اشد شحوبا ونحولا من آخر مرة رآها فبدت اكبر سنا . ولكن لا محل للخطأ فى هذه الملامح الحساسة الدقيقة التى اثرت فى نفسه حين رآها بما نمت عليه من ذكاء وقوة طبع . وقال لها « كيف حالك ياترودى ؟ » فاجفلت اجفالا غنيفا ورمقته بنظرة واحدة ثم حولت وجهها الى الامام ومشت بخطى طفيفة وقالت « أنا آسف يا سيدى أنك مخطيء » فهتف « ولكن ياترودى أنا لانى بد » فقالت « اسمى ليس ترودى وأنا لا أعرفك يا سيدى » ولو كان لدى لانى أى شك فى صدد وجهها فما كان يخالجه الشك فى صوتها . وكانت

نغماته عميقة توحى بشده الاحساس الذي كانت ملامحها الهادئة تحاول كبحه . أنها بالتأكيد ترودى شولتز ولكنها لا تريد أن تعرفه أولا تريد أن تعرف .

وكانت هذه أول مرة يقابل فيها شخصا اشتراكيا منذ شرع فى انقاذ آل روبن قد حرص على الابتعاد عن الاشتراكيين عمدا . وكان ريك قد حذره مما يعرض له سمعته الخاصة وها هو يرى مصداق ذلك ! وسار بجانب هذه الرفيقة المخلصة وتكلم بسرعة لأنها قد تصل الى وجهتها وتصفق الباب فى وجهه او تستدير نحوه وتحرم عليه ان يتبعها : « ترودى . ارجو ان تسمى ما يجب ان اقله لك . لقد حضرت الى ألمانيا لأحاول انقاذ آل روبن . وقد أخرجت يوهانسي من السجن أولا وأخذته هو وزوجته وراجيل والطفل الى فرنسا . والان عدت لأحاول العثور على فريدى وإطلاق سراحه » . فكررت الشابة قولها « انت مخطيء يا سيدى . فانا لست الشخص الذى تظن » فقال « يجب ان تفهمى انه لا مناص لى من التعامل مع اشخاص من ذوى السلطات هنا وما كنت لاستطيع ذلك ما لم اتخذ موقفا مقبولا لديهم وليس لى الحق فى الحديث عن ذلك ولكنى أثق بك ، ويجب ان تشقى بى لانى قد أكون بحاجة لمساعدتك . فما زلت بعيدا عن التوفيق فى موضوع فريدى . وقد حاولت جهدى ان اعثر على احد من اصدقائه القدامى ولكن لم أستطع الاتصال بأحد فى أى مكان . وأنت يقينا تدركين اننى ما كنت لأهمل شئونى الخاصة وآتى الى هنا ما لم أكن مخلصا له ولقضيته . ويجب ان اثق بأحد وأنا اعتمد على شرفك الا تذكرى لاحد ما أخبرك به . لقد علمت أخيرا ان فريدى فى داخاو » . فكفت عن السير ولهتت قائلة « فى داخاو ! » فقال « لقد مضى هناك عدة أشهر » فسألته « كيف عرفت ؟ » فاجابها : « ليست لى حرية الاجابة عن هذا السؤال ولكنى واثق تماما » فشرعت تسير مرة أخرى ولكن خيل اليه انها تمشى بخطى غير ثابتة وقالت « لهذا الكلام معنى كبير عندي لان لودى وفريدى قبض عليهما معا » فقال لها « لم اكن اعلم ان لودى مقبوض عليه . وماذا حدث له ؟ » فاجابت « لم اسمع شيئا من طرفه أو بخصوصه منذ حضر النازى وانتزعوهما معا من بيتنا » . فسألها « وماذا كان فريدى يصنع هناك ؟ » فاجابته « جاء اليانا لانه كان قد مرض ولا بد له من مكان يرقد فيه . وكنت أعلم أن وجوده عندنا خطرا ولكنى لم أستطع ان ابعده » فسألها « وهل كان النازى يبحثون عن لودى ؟ » فاجابته « كنا قد توارينا وشرعنا فى عمل غير مشروع . واتفق اننى كنت بعيدة

من البيت في ذلك الوقت وتلدني احد الجيران فظلمت بعيدة . وقد مزق النازي كل شيء في المكان اربا كأنهم مجانيين . لماذا تظنهم اخذوا فريدي الى داخاوا ؟ » فقال « انها قصة طويلة . ففريدي له حالة خاصة لانه ابن رجل غني » .

وخيل الى لاني ان المرأة الشابة شعرت بوهن ، وربما كان ذلك من اثر الصدمة أو لعل السبب قلقها وخوفها وانها لا تتناول كفايتها من الطعام . ولم يكن في وسعه ان يقترح عليها الجلوس على درجات سلم لان ذلك سيلفت اليهما الانظار فقال لها « دعيني احمل هذه اللقافة » فاجابته : « لا . لا . انا على ما يرام » ولكنه كان يعلم ان ذلك غير صحيح وفي ارض ابائه لا يترك الرجال والنساء يحملن الانتقال فقال « انا مصر » وخيل اليه انه كان مهذباً عندما اخذ اللقافة من بين ذراعيها . ولكنه على الفور عرف لماذا لم ترد ان يحملها عنها ، فهي اشبه بلقافة ثياب ، وفي نعومة لقاها الثياب ولكن ثقلها ارجح من أى ثياب صنعها البشرى . وحاول أن يخمن : هل في اللقافة أسلحة من نوع ما ، أو انها ما يسميه الرفاق « مطبوعات ؟ » وكان الاحتمال الاخير اقرب الى طبيعة ترودى ، ولكن ايما كان من راياها ان المرء لا يستطيع الاعتماد على ذلك الظن فكمية صغيرة من الاسلحة قد يكون وزنها مماثلاً لوزن كمية كبيرة من المطبوعات ، وكلاهما سواء في الخطر في هذه الاوقات وها هو لاني ملء ذراعيه هذا أو ذاك أو كليهما ! »

- ٨ -

وكان لابد ان يواصل السير ويواصل الكلام فآلها « الى اين يجب ان تذهبى ؟ » فاجابته « مدى ابنية كثيرة » فقال لها « عندي سيارة واستطيع احضارها لتوصيلك » فقالت : « السيارة ينبغي الا تقف هناك ، وكذلك لا استطيع ان اتركك تصل الى هذا المكان » فقال « ولكن يجب ان نتحدث . هل تسمحين لايرما ولى ان نقابلك في مكان ، وناخذك لنزهة في السيارة ؟ بهذه الطريقة نستطيع ان نتكلم بأمان » فمشت مسافة من غير ان تتكلم ثم قالت « زوجتك لا تعطف على أفكارنا ايها الرفيق بد » فوافقها قائلاً « انها لا تتفق معنا تمام الاتفاق ولكنها مخلصه لى ولال روين » فقالت « ما من احد يمكن ان يكون مخلصاً في وقت كهذا الا من يؤمنون بصراع الطبقات » وسارا في صمت مرة اخرى ثم استطردت الفنانة الشابة « من العسير على ان اقطع برأى . فليست

حياتي وحدها في كفة الميزان ، بل كذلك حياة من ارتبط بهم . فلا بد أن أطلعهم على الموقف وأنا واثقة انهم لن يوافقوا على مقابلي لزوجتك أو على معرفتها احوالنا » .

وصدمه قليلا أن يكتشف أن الرفاق وضعوا زواجه في الاعتبار ، ولم يستطع أن ينكر حق ترودي في البت في هذا الموضوع فقال « وهو كذلك . لن اذكرك . عليك الا تذكرى اسمى فقد يكون في مجموعتكم جاسوس » فاجابت « ليس هذا مرجحا لأن اعداءنا لا ينتظرون طويلا عندما يحصلون على معلومات ، فهم اكفاء ولا يتركون شيئا للمصادفات . ومن الخطر عليك أن تسير معي » فقال لها : « أشك أن يكون ذلك مصدر متاعب جدية لامريكي ، ولكنه قد يكلفني فرصتي في انقاذ فريدي اذا ما عرف اننى على اتصال بالاشتراكيين » فقالت « مما لا شك فيه ان تقابلنا خال من الحكمة » فقال « هذا يتوقف على ما يمكن ان يحدث . فكيف نستطيع ان نجد كل منا الآخر عند الحاجة ؟ » فاجابته « لا يجدى ان تأتى انت الى مكاني وان احتجت اليك سابعث برقعة غفل من التوقيع وقد طالعت في الصحف انك مقيم في فندق أدلون » فقال « نعم ولكنى سآغادره غدا أو بعد غد الى ميونيخ حيث انزل في فندق الفصول الاربعة . وسبحول بريدي الى هناك على كل حال » . فهتفت بصوت اجش « خبرنى ايها الرفيق لانى . اتمتقد ان هناك أى فرصة كي تعرف لى هل لودى في داخاو ؟ » فاجابها : « لا أستطيع التفكير الآن في طريقة لذلك . ولكن قد تسنح فرصة . فلا بد ان تكون هناك طريقة لوصول رسائلى اليه » فقالت « ارقب هذا الركن الذى أمامنا وتذكره . فان كانت لديك انباء لى سر من هنا يوم الاحد عند الظهر تماما . وسأترقبك واتبعك الى سيارتك . ولكن لا تحضر الا اذا كان لديك امر عاجل » فسألها « اتعنين أنك ستأتين الى هذا الركن كل يوم احد ؟ » فقالت : « طالما كانت هناك فرصة لحضورك . فاذا غادرت المانيا ففى وسمى ان أكتب اليك على عنوان جوان ليه بأن » « فقال « وهو كذلك » ثم خطرت له خاطره فجأة فقال « ابحاجة انت الى نقود ؟ » فاجابت « ان أمورى سائرة ما يرام » ولكنه كان يعلم ان المشتغلين بالدعاية يستطيعون دائما الانتفاع بالنقود . ولم يخرج حافظة نقوده لأن ذلك من شأنه ان يلفت النظر ، بل مديده تحت سترته وطوى بضعة أوراق مالية ثم دسها في جيب ذلك المعطف البنى البالى وكان قد أصبح خبيرا في فن توزيع الاكتابات السرية . وما اعطاها اياه يمكن ان يكون ثروة في نظر أى ديموقراطى اشتراكى تحت الارض

ثم فوقها . وسيتترك لها مهمة تفسير حصولها على هذا المبلغ . ولما
رجع الى الفندق سأله ايما « لابد انك وجدت لوحات اثارت
اهتمامك ؟ » فاجابها « وجدت لوحتين بريشة مينزل اظنهما تستحقان
ان يلقى عليهما زلطان نظره . اما الاعمال الأخرى بريشة الأخوين ماريس
فكانت مصدر خيبة أمل لى » .

- ٩ -

كانت فترة معرض ديتار في برلين توافق وقت حملة انتخابية
في سائر انحاء الرايخ الالماني ، وهى بلا شك اغرب حملة انتخابية منذ
ابتدع العقل البشرى هذه الوسيلة . فهتلر قد قضى على وجود جميع
الاحزاب السياسية الأخرى وعلى الهيئات التشريعية فى اثنتين وعشرين
ولاية المانية ، وبطريقته فى القتل والزج فى السجون قضى على الديمقراطية
بالحكم النيابى وعلى التسامح الدينى وعلى الحقوق المدنية ، بيد انه لم يزل
غريسة لعقده الاجراءات المشروعة فاصر على ان يصدر الشعب الالماني
تأييدا لكل ما صنعه . ومن ثمة لا بد من انتخاب يقرر ان الانتخابات
لا معنى لها ! ولا بد من رايشستاغ يعلن أن الرايشستاغ لا سلطان له !
ولا بد من نبيذ ديموقراطى للديموقراطية ! وقال لاني فى نفسه هل عرفت
الدنيا منذ خلقت رجلا بهذا الجنون ؟ هل حدث من قبل ان أمة بأسرها
أصابها الخبال ؟ .

ولما كان لاني بد يعيش وسط هذه المستشفى الضخمة للمجاذيب
فقد حاول الاحتفاظ بتوازنه حتى لا يقف باستمرار على رأسه . وان
كان ثمة شيء يعجز عن فهمه فاصدقاؤه النازى متلهفون على تفسيره ،
ولكن ما من المانى واحد يسمع ان يسمع منه كلمة واحدة معقولة .
وحتى هوجوبير واصحابه الذين يخططون للثورة الثانية كانوا هتلمزين
مخلصين بتعاونون فيما يعتبرونه اظهارة رائعا للحماسة الوطنية ،
واعضاء المجتمع الأنيق لا يجرون على اظهار علامة واحدة على العقل
اكثر من ابتسامة واهية او انتفاضة هذب خفيفة جدا بحيث لا نستطيع
أن تجزم بأنك رايتها ، فثمة خطر حقيقى حتى على الاشخاص المهمين .
فبعد بضعة أيام سيرون الدوق فيليب البرت دون فورتنبيرج يزج به
فى السجن لتخلفه عن الادلاء بصوته فى الاستفتاء الوطنى العظيم .

وكان هتلر قد احتج فى منتصف أكتوبر عندما جر الانجليز فى

جنيف على اقتراح فترة تجريبية مدتها أربع سنوات قبل السماح
لألمانيا بإعادة التسليح وكان رد الفوهرر على ذلك أن سحب المفوضين
الألمان من عصبة الأمم ومن مؤتمر تحديد التسليح معا . وحين فعل ذلك
اذاع على الشعب الألماني منشورا من منشوراته البليغة التي كان يهجه
أن يحررها ، فأخبرهم فيه كيف يحب السلام ومدى تلهفه على نزع
السلاح متى رضيت الأمم الأخرى بنزعة . وحدثهم عن الشرف - وهو
مؤلف كفاحي - فصدقوه . وأقاموا بذلك الدليل على أنهم كما نعتهم
بالضبط . فهو ينادى بأن الشعب الألماني يريد المساواة في الحقوق .
ولما كان قد حرمهم من جميع الحقوق فهو يوجه إليهم باسم الحكومة
هذا السؤال الخطير « هل الشعب الألماني قابل لسياسة وزارته الوطنية
المعلنة هنا وهل هو مستعد لإعلان أن هذه السياسة تعبر عن رأيه
وارادته وأنه يمنحها تأييده المخلص ؟ » .

هذا هو « الاستفتاء » الذي سيجري الاقتراع عليه بعد شهر .
وفضلا عن هذا ستجرى انتخابات جديدة للريشتاج فيها قائمة واحدة
من المرشحين عددهم ٦٨٦ اختارهم الفوهرر جميعا وعلى رأسهم قادة
النازي : هتلر وجورننج وجوبلز وهيس ورهم وهلم جرا . حزب واحد
وقائمة واحدة ، دائرة واحدة ترسم داخلها صليبا معناه نعم . ولا يوجد
مكان للتعبير عن « لا » وتذاكر الاقتراع البيضاء تعتبر باطلة .

وتمهيدا لهذا القبيل من « الانتخاب » ظلت ألمانيا في دوامة مدة
أربعة أسابيع ، وانفقت أموالا تزيد على ما كان ينفق من الأحزاب
الخمسة والأربعين في أي انتخابات سلفت للريشتاج فالمعارض
والمشاهد والمسيرات والأناشيد ، وحمل أعلام الدم « والاحتفالات لتكريم
شهداء النازي ، وإعلانات الحوائط ولنداءات ، ومواكب المشاعل .
والوقوف وقفة لانتباه وإداء التحية النازية وخطب الراديو وقد تجمع
في الميادين العامة لسماعها من مكبرات الصوت ، وإرسال نفر من الناس
إلى معسكرات الاعتقال لتخلفهم عن الأصفاء . وقبل ذلك اعتبر الوقوف
في صمت إجراء خاصا بتكريم قتلى الحرب دون غيرهم ، أما الآن ففي
سائر أنحاء ألمانيا تتوقف حركة المرور ويقف الناس صامتين ليصفوا
إلى صوت أدولف هتلر وهو يتحدث في بهو الدينامو في مصانع سيمنس
شوكرت الكهربائية في برلين وعليهم بعد ذلك أن يبقوا للعمل ساعة إضافية
بحيث تكون أمجاد التضحية في سبيل الوطن من نصيبهم لا من نصيب
مخدوميهم ! .

و ذات يوم احد لطيف مشرق في منتصف نوفمبر وقفت جماهير
غفيرة من الشعب الالماني صفوفًا أمام مراكز الاقتراع في جميع انحاء
البلاد بل وفي انبلاد الاجنبية ، بل وعلى السفن في اعالي البحار . وادلى
باصواتهم ايضا من في السجن ومسكرات الاعتقال . وفي ساعة متأخرة
من النهار قام رجال فرق الهجوم بتجميع الكسالى والمهملين ، وبذلك
تجمعت اكثر من ثلاث واربعين تذكرة انتخاب ، ووافق اكثر من ٩٥ ٪
على رايشتاج هتلر وعلى الاستفتاء الخطير لصالح سلامهم وحريتهم .
وقرات ايروما في الصحف عن ذلك الانتخاب في اليوم التالي وما بعده
من الايام فكان وقعة في نفسها هائلا وقالت « ها انت ترى يالانى ان
الالمان يؤمنون حقيقة بهتلر » انهم يريدونه » وعندما قرأت ان المعتقلين
في داخاو قد اقترعوا بنسبة عشرين الى واحد لصالح الرجل الذى احتجزهم
هناك قالت « هذا يدل فيما يلوح على ان الامور هناك ليست سيئة
جدا » ، فاجاب الزوج « هذا يدل فيما يلوح لى على ان حالهم اسوأ مما
نظن بكثير » .

ولكنه كان يعلم انه لا جدوى من محاولة الشرح ، فلن يؤدي ذلك
الا الى اثارة جدل وكان قد شرع يتعلم ان يكتم شقائه في اعماق نفسه .
وزوجته تقضى وقتا طيبا جدا في برلين حيث تقابل شخصيات مرموقة
لامعة ، ولانى يتجول هنا وهناك معذبا نفسه بالنشاط الذى تمارسه
جماعة صغيرة من المتأمرين السريين فى حى حقير ببرلين وبما يمكن
ان ينتهى اليه مصيرهم ا .

في مقدوره ان يتصور ما يصنعون فهو يتخيل مطبعة يدوية صغيرة
في مؤخرة دكان الخياط حيث يطبعون نشرات لعلها عن الكتاب البنى
وما تضمنه من حقائق عن حريق الريشستاج او ربما تضمن مقتبسات
من آراء العالم الخارجى للابقاء على شجاعة الرفاق في هذا الوقت
العصيب . ولعل ترودى كانت تحمل شيئا من هذه المطبوعات الى
آخرين يتولون توزيعها . وجميعهم يعملون في خطر دائم على حياتهم .
فقال لانى في نفسه « كان ينبغي ان اعاونهم » فانا الذى أستطيع ان
افعل شيئا حقا ، لأن في مقدورى الحصول على المال واحضار المعلومات
اليهم من الخارج وحمل رسائلهم الى رفاقهم فى فرنسا وانجلترا . ثم
يعود فيقول لنفسه « ان فعلت ذلك قضيت على سعادة امى وزوجتى
ومعظم اصدقائى . وفي نهاية الامر ربما حطمت زواجى » .

الفصل الرابع والعشرون

اليهود رجس

- ١ -

أمر مستحب أن يفادر المرء منبسطا كثير الرياح في بروسيا في أوائل الشتاء وينطلق بالسيارة الى الغابات والادوية اللطيفة المكنونة في جنوب المانيا . ومن المستحب ايضا ان يصل المرء الى مدينه جميله وعصريه نسبيا فيجد في انتظاره استقبالا حارا في المؤسسة المعروفة باسم «فصول السنة الاربعة» . اشعارا لك بان المكان على اهبة دائمة لاستقبالك . وميونخ مدينة فصول السنة الاربعة حقا ، وحياتها سلسلة من المهرجانات ، وشرب البيرة من الاقداح الكبيرة ، التي يسع الواحد منها لترا ، واجب مدني . وكان زلطان المخلص قد حضر سلفا وأعد كل الترتيبات للمعرض . والسيد المدرس الجامعي الخاص الدكتور في الفلسفة الوزيوس ونيكلرتزو شتورمشاتن استخدم كل فنونه فعرف مثقفي ميونيخ بمزايا المدرسة الجديدة في الرسم التمثيل ، وعرفهم كذلك بالجهاء الاجتماعي للزوجين الشابين اللذين سيتكرمان عليهم بهذا الفضل .

وفي الصباح حضر مندوبو الصحف على حسب موعد سابق . وكانوا قد زودوا بمقتطفات مما كانت صحافة برلين قد نشرته عن ديتاز مع معلومات عن ثروة بارتز وأهمية مصانع بد للأسلحة ، مع الإشارة الى أن لاني كان مدعوا لرحلة صيد مع الجنرال جورنج ، الى تناوله الشاي ذات مرة مع الفوهرر . وظهر الزوجان الشابان الدماعة المنتظرة من بلاد رعاة البقر والآفلام السينمائية ، فقال لاني انه يعرف ميونيخ جيدا ، فقد سبق له أن اشترى عددا من لوحات الاساتذة الاقدمين هنا ، وذكر أسماءهم . وذكر المجموعات التي وجدت فيها هذه اللوحات ملاذا لها في العالم الجديد . وكذلك أنه كان موجودا بالصدفة في المدينة ذات يوم تاريخي منذ عشر سنين وشهد فيها أمورا ستجعل اسم ميونيخ شهيرا الى الابد . وأشعلت أضواء آلة التصوير وهو يتكلم فذكره ذلك بمنظر اطلاق الرصاص على شهداء النازي في ساحة مارين .

وظهرت هذه الاحاديث في أوقاتها المناسبة ، فلما فتح المعرض أبوابه بعد ظهر اليوم التالى جاءت جموع الناس . ولئن كانت القصة قديمة فان الناس كانوا جددا ، ومن يحبون العظمة والمجد لن يملوا من مقابلة دوق ودوقة أى مكان وأمير وأميرة كذا وكيت . وانه لشيء عظيم بالنسبة للفن عندما تقف السيدات من ذوات المكانة الرفيعة في المجتمع في معرض عام لأداء تحية التكريم لعبرى ولو كان ميتا . وفي حين أنصرف برسيغال دنجل ليسأل روح الرسام المتوفى هل هو مسرور بالمعرض ، وفي حين ذهب لاني ليتفقد لوحات الاساتذة القدامى ويتناقش في الاسعار ، كانت بيوتى بد وزوجة ابنتها التى لا نظير لها تقدمان الى الشخصيات الهامة وتقبلان الدعوات لمآدب الفداء والعشاء وتجمعان النوادر التى ترويانها فيما بعد لزوجيهما ثم لاقاربهما واصدقائهما .

وثمة شيء واحد على غير ما يرام بين هاتين السيدتين ، الا وهو ان مارسيل ديتاز مات وايرما طفلة فلم تسنح له الفرصة قط كي يرسم صورة لها ، وبذلك حصلت بيوتى على أكثر من نصيبها العادل من المجد ، ولم يكن ثمة سبيل لاعادة التوزيع من هذه الجهة . وتحاول الحماة أن تبدو متواضعة فلا تتكلم عن نفسها وعن صورتيهما عندما تكون إيرما واقفة عن كسب منها ، بيد ان بعض الناس يصرون على ذلك فيكون الموقف خطرا . وقالت بيوتى لابنتها « من أحسن مصور أشخاص على قيد الحياة قسألها متعجبا « لماذا ؟ » فأجابت « لانك ينبغي أن تجعله يرسم إيرما فورا ، وسوف يحدث هذا الرسم ضجة ويساعد على استبقاء اهتمامها » فضحك لاني قائلا « لسوء الحظ أن سارجنت مات ! » فألحت أمه قائلة « لا تحول المسألة الى نكتة، فما لا يفتقر أن تحضر حشود الناس لتنظر الى صورتين لعجوز ذابلة لا أهمية لها بدلا من امرأة في ريعان حسنها » فقال الفتى الذى لا صلاح لحاله « الفن يبقى والعقد تزول » .

- ٢ -

وجاء الى ميونيخ حدث أعظم بكثير من معرض ديتاز ، جعل المدينة تتفجر بالرايات، فمستشار الرايخ فوهرر حزب العمال الالمان الاشتراكي الوطنى كان يستخدم السيارة والطيارة في المرور بجميع أنحاء البلاد لالقاء خطب الحملة الانتخابية ، وبعد انتصاره الساحق قرر العودة الى مكان اعتكافه الجبلى كي يفكر ويدبر خططا سياسية جديدة . ولما تم له

الآن الانتعاش وتجديد الوحي جاء الى المدينة المفضلة التي نشأت فيها
حركته وكسب فيها اكليل شهادته . فهنا عاش يوما ما أفاقا فقيرا ،
فهكذا كانوا ينعتون رجلا لا يعرفون مصدر تعيشه هي اراض وعقارات .
يلقى خطيبا جامعة نصف جنونية ويأتى الناس لسماعه لانه مضحك او ما
يسمونه بالانجليزية « ملحوس » وقد شهدته ميونيخ يطوف أرجاء المدينة
فى حالة اكتئاب شديدة سىء الهندام فى معطف المطر الرث الذى علاه
الصدا حاملا فى يده سوطا من سياط الكلاب اكبر من الحجم المألوف لحوفه
من أعدائه الذين كانوا مع هذا لا يكثرثون به . ولكنه الآن انتصر عليهم
جميعا . انه الآن سيد المانيا وقد احتفلت ميونيخ بوصوله رافعة أعلامها .
وهنا فى البيت البنى مقر القيادة المركزية للحزب ، وهو بناء فخم قام
أدولف هتلر بتعديلات فيه لتغيير طرازه وزينه على حسب ذوقه . فهو
المهندس المعمارى الفاشل الذى استطاع أن يصنع شيئا بديعا جعل أتباعه
ينتشون سرورا عند دخوله ويقطعون على أنفسهم عهدا جديدا للولاء
لقائدهم ، ولحمه ، بقهر كل شيء .

وكانت مابل بلاكلس التى صارت بيوتى بد ثم صارت مدام لديتاز
قد حققت انتصارات وغزوات فى زمنها ولم تزل قادرة على الاسترسال
فى الأحلام . فهتفت بابنها لانى ! اتظنك مستطيعا أن تجعله يأتى الى
المعرض ؟ ان ذلك يساوى بالنسبة لنا مليون دولار ؟ ، فوافقها ابنها قائلا
« المسألة تستحق التفكير بالتأكيد » فقالت « لا تتوان ! اتصل تليفونيا
بهاينريش يونج واطلب منه الحضور ، وادفع له كل ما يريد ، وسيدفع
كل منا نصيبه » فقال « لن يطلب الكثير ، فهو ليس طماعا » .

وذهل المسئول النازى الشاب لهذا الاقتراح ، وخشى أن يكون بعيد
المنال فوق طاقته بيد أن لانى حشه على النهوض الى مستوى المناسبة
الكبرى ، فهو قد بذل جهدا شاقا فى الحملة الانتخابية ومن حقه بلا شك
أن يحظى ببضعة ايام من العطلة . واى وسيلة أفضل لذلك من أن يقدم
التهانى الى الفوهرر ثم يأخذه ليشاهد لوحات من النوع الخاص الذى
يقره ؟ وقال لانى « وفى وسعك أن تأخذ اللوحات اليه ان كان يفضل
ذلك ، فنفلق المعرض يوما وننتقى أحسن اللوحات وناخذها اليه فى أى
وقت يشاء » وكان يتكلم بحماسة ولهفة وهو يخفى نفسه مشروعا آخر .
فلم يكن يفكر فى رفع اثمان مقتنيات أسرته فحسب . وقال له أيضا
« ان استطعت فاذهب الآن فوراً مستقلا طائرة . فليس أمامنا وقت نصيبه »
فهتف ملاحظ الغابات السابق « يا الهى ! » فقد بلغت بهجته عنان
السماء .

وبعد ذلك اتصل لاني تليفونيا اتصالا بعيد المدى بكيرت مايسنر
في شتوبندورف وكان كيرت قد رفض الدعوة الى برلين لانه غير قادر على
نفقات هذا البذخ ولا يريد أن يكون مدينا لاحد بمكرمه . أما الآن ففي
مقدور لاني أن يقول « هذه مسألة عمل » فانت ستؤدي لنا خدمة وتؤدي
في الوقت نفسه خدمة للفوهرر ففي وسعك أن تعرف مؤلفاتك الجديدة
له وهذا مهم بالنسبة لعملك . وهاينريش قادم ، وسنصيح المدينة باللون
البنى ، وفي ظنه أن هذه هي الصيغة الاشتراكية الوطنية المناسبة !

وتناولت إيرما التليفون وأضافت « تعال يا كيرت . سيكون هذا
في مصلحة لاني . فانا أريد له أن يفهم حركتكم ويتعلم كيف يحسن
السلوك » وهو نداء يستحيل على رسول ورجل دعاية أن يقاومه . وأردفت
إيرما ، استقل طائرة من برسلاو ان كان ذلك أسرع . وسنحجز لك
حجرة . »

- ٣ -

وان في ذلك لشيئا من المفارقة بالنسبة لبيوتي بد ، فمنذ ست
سنوات رحل كيرت عن بيانفيني ولم يعد ووجد لنفسه زوجة ووجدت
لنفسها زوجا . والآن يستطيعان أن يلتقيا صديقين قديمين يسر كل منهما
أن يرى الآخر ولكن بمودة مقدرة بعناية ، فذكرياتهما يمكن أن تكون مثل
لوحات مارسيل المعلقة على الجدران ، بيد أنها ليست للعرض العام .

وبرسيفال دنجل هنا ، وهو قد سمع الكثير عن المؤلف الموسيقي
الالماني الرائع الذي عاش أمدا طويلا مع آل بد . ولم يخبره أحد أن كيرت
لبث عشيق بيوتي ثمانى سنوات متصلة ، الا أنه ما كان ليفوته معرفة
ذلك بالتخمين ، فهو لا يلقي أسئلة على الاطلاق لأن ذلك ضد فلسفته .
وهو سيد حكيم كتوم ذو شعر أشيب وجد لنفسه عشا مريحا بصورة
خارقة فلام بين نفسه وبين هذا العش بعناية ، حريصا على الا يحتل أكثر
من نصيبه المناسب فيه ، وراح يرعى روحه وينميها مستمتعا بذلك غير
طالب من الحياة أكثر منه . فان أراد موسيقي الماني ممن قرءوا هيجل
وفيخته وغيرهما من فلاسفة وطنه أن يوجه أسئلة عن الحياة الباطنة
فسوف يسر برسيفال أن يجيبه عنه ، والا فسوف يصغي لكيرت وهو
يعزف البيانو في جناحهما ويسبغ على الموسيقي معانيه الخاصة .
والصدافة لدى لاني بد كانت على الدوام من أئمن منع الحياة . فهو الآن

سعيد بان يكون مع كيرت وهانريش مرة أخرى . ومع هذا فهو ممزق النفس لانه في الحقيقة لم يكن معهما بل كان يكذب عليهما فما أغرب أن يستخدم عواطف الاعزاز ستارا للتمويه ، وان يشعر بالتعاطف والاندماج وهو مع ذلك لا يشعر بهما حقيقة ويعمل ضدهما طول الوقت ! ان صداقة لاني موجهة الى فريدي ، وفريدي وهذان أعداء . ان لاني يحب ثلاثتهم بنوع غريب من الشخصية المنقسمة ، وصداقته لكيرت وهانريش لم تزل شيئا حيا ، وهو يعود بمشاعره الى الايام الخوالي في شتوبندروف منذ اثنتي عشرة سنة عندما قابل لأول مرة ابن مراقب الغابات . ولاشك في أن هانريش كان نازيا حتى في ذلك الوقت ، بيد أن لاني لم يدرك ما معنى النازية ، بل ولا كان هانريش يدرك ذلك على حقيقته الراحنة . فقد كانت الفكرة عبارة عن رؤيا للتقدم الألماني من غير خسارة للاشتراكيين أو الديمقراطيين أو انصار السلام أو اليهود ، وسائر من يحتجزهم النازيون الآن في أماكن التعذيب .

وتحدث ثلاثتهم عن الايام الخوالي والتأم شملهم وتحدثوا عن موسيقى كيرت فالتأم شملهم أيضا . ولكن هانريش شرع بعد ذلك يتحدث عن عمله وعن التقدم الذي أحرزه أخيرا في الشئون الوطنية والحزبية وعلى الفوهرر فوجب على لاني أن يشرع في الكذب . لم يكن كافيا الآن أن يلزم الصمت والسكون كما كان يفعل من قبل . كلا . فالآن عندما ينطلق المستول الحزبي الشاب في حماساته ونشواته حول ذلك النصر الانتخابي الرائع يرد عليه لاني كرجع الصدى « جبار ! » وعندما يعلن كيرت أن انتصار الفوهرر للسلام والمساواة بين الأمم عمل سياسى عظيم ، يقول لاني « يا لها من بطولة » وهو يتسائل في نفسه طول الوقت « من منا المجنون ؟ »

ولم يكن أمرا سهلا أن يتشبث المرء باعتقاده أن وجهة نظره سديدة وأن جميع من حوله من الناس مخطئون . وهذا الأسلوب ليس وقفا على رواد الفكر والابطال القديسين والشهداء فحسب ، بل هو أيضا أسلوب المخبولين والمختلين الذين يوجد منهم ملايين على وجه الأرض . وحينما يفلح أحد المختلين في اقناع الجانب الأكبر من أمة عظيمة أنه على صواب . ينبغي أن يقف الخمسة في المائة ليسألوا أنفسهم « كيف هذا ؟ » وهذا صحيح على الخصوص بالنسبة لشخص مثل لاني بد ليس رائدا ولا بطلا ولا قديسا ولا يريد بالتأكيد أن يكون شهيدا . فكل ما يريده الا يتشاجر أصدقاؤه فيتحتّم عليه أن يختار بينهم . وقد ظل كيرت وريك يتشاجران منذ يولييه سنة ١٩١٤ وظل لاني طول الوقت يحاول اصلاح ذات بينهما .

ولم يبد اقل توفيقا على الاطلاق مما هو الآن . وهو يحاول ان يكون عميلا
سريا لريك وفريدى والجنرال جورنج جميعا فى آن واحد !

وتحدثوا عن مشكلة الاتصال بمستشار المانيا . واتفقوا على ان كيرت
هو الذى يصلح لذلك باعتباره الاكبر سنا والوحيد من بينهم الذى له
نصيب من العظمة . واتصل كيرت تليفونيا بسكرتير الفوهرر فى البيت
البنى وقال انه لا يرغب فقط فى العزف على البيانو لرعيه المحبوب بل
يرغب ايضا فى احضار صديق الفوهرر القديم هاينريش يونج والامريكى
الشاب لانى بد الذى يقام له الآن معرض منفرد اثنت عليه الصحافة ثناء
حارا . ووعد السكرتير ان يضع الامر امام المستشار شخصيا ، فاخبره
المؤلف الموسيقى أين يستطيع الاتصال به . وغنى عن القول انه مما زاد
فى اهميته انه ينزل فى ارقى فنادق ميونيخ المسماة بالاسم الذى يداعب
الخيال ! « الفصول الاربعة » .

- ٤ -

دعت ايرما كيرت الى حجرة زينتها لمحادثة خاصة ، فهى فى مؤامرة
معه ضد زوجها ، ولمصلحة زوجها بالطبع ، وكيرت الذى كان قد تلقى
تدريباً مهنياً فى الدسائس اطربه هذا الموقف . ويالها من زوجة شابة
عاقلة قد تكون سببا فى انقاذ لانى اذا أمكن اقناعه باتباع نصحتها .
وقالت له ايرما « ان لانى تصرف بعقل فى هذه الرحلة وانه ناجح جدا
فى مهنة تجارة الصور التى يبدو أنها تثير اهتمامه اكثر من أى شىء
عداها ، بيد ان موضوع فريدى لم يزل يؤرق ضميره . وهو مقتنع ان
فريدى لم يرتكب سوءا . وقالت ايرما ايضا « أنا لا أستطيع ان استدرجه
للكلام عن هذا الموضوع ، ولكنى أعتقد ان شخصا ما اخبره ان فريدى
سجين فى معسكر اعتقال . وقد استولت هذه المسألة على عقله ، فقال
المؤلف الموسيقى « انه مخلص لاصدقائه . وهذه صفة عظيمة . وهو
بطبيعة الحال لا يفهم حقيقيا ما صنعه اليهود بالمانيا وما كان لهم من تأثير
مفسد فى حياتنا القومية » . فقالت ايرما « ما أخشاه ان تراوده نفسه
على مفاتحة الفوهرر فى الموضوع . انتظن ذلك يمكن ان يكون وخيم
العاقبة ؟ » فاجابها « انه قد يكون وخيم العاقبة بالنسبة لى ، فلو أعتقد
الفوهرر اننى أحضرت لانى لهذا الغرض فقد يستحيل ان أقابله بعد
ذلك » فقالت « هذا ما كنت أخشاه وقد يكون من الحكمة ان تحدث لانى

فى هذا الأمر وتحذره من الاقدام عليه • ولا تخبره طبعاً أننى تحدثت اليك فيه • كلا بالطبع • ولك أن تعتمدى دائماً على كتمانى • وسيكون من السهل على أن أفتح الموضوع لأن لانى حدثنى عن فريدى فى شتوبندروف •

وهكذا حدث أن لانى تكلم مع كيرت فى هذا الصدد من غير أن يضطر لفتح الموضوع مما قد يجعل كيرت يظن أن هذا هو السبب فى دعوته الى ميونيخ • وأكد لانى لصديقه القديم أن التفكير لم يراوده فى مفاتحة الفوهرر فى هذا الموضوع لأنه يعلم أن ذلك خرق خطير للأصول واللياقة ، إلا أن لانى لا يستطيع مغالبة شعوره بالقلق على صديقه اليهودى ، وينبغى أن يشعر كيرت بالقلق عليه أيضاً وهو الذى عزف معه ثنائيات كثيرة جداً ويعلم أى موسيقى حساس هو • وقال لانى أيضاً « لقد قابلت أحد شركاء فريدى القدامى وعرفت منه أنه مقبوض عليه ولا يمكن أن احترام نفسى ما لم أحاول الاقدام على شيء لمساعدته •

وهكذا استعاد الاثنان صلتهم الحميمة القديمة • وكيرت هو الأكبر سناً بعام واحد تقريباً ، ولم يزل يقوم بدور الناصح المرشد ولانى المتواضع الحجول يقوم بدور التلميذ • وشرح له كيرت طبيعة اليهود المنحلة المناهضة للمجتمع وتركه لانى يقنعه • وشرح كيرت الاغاليط الأساسية للديمقراطية الاشتراكية وهى احدى انحرافات اليهود الفكرية ، وكيف غدت ستارا للبشفية ، حتى عندما يكون أنصارها – كما هى الحال بالنسبة لفريدى – جاهلين بالأغراض الوضيعة التى يخدمونها • وأصغى لانى بانتباه وازداد تسليمه بما يسمع زيادة مطردة ، وكيرت يزداد تبعا لذلك مودة وحرارة • وفى نهاية الحديث وعد كيرت بأنه اذا واثاه الحظ واستقبله الفوهرر سيدرس حالة الرجل العظيم ومزاجه واذا أمكن الاقدام بدون اساءة سيثير موضوع قريب لانى وطلب من الفوهرر التكرم بالأمر باطلاق سراحه على أساس وعد لانى بإخراجه من ألمانيا وتعهده أن يتولى منعه من الكتابة أو الكلام ضد الوطن الالمانى ثم حذره كيرت قائلاً « ولكن لا تثر أنت الموضوع » فوعده لانى وعداً جدياً أنه لا يمكن أن يحلم بارتكاب هذا الحرق لقواعد اللياقة •

وانتظروا فى الفندق الى أن جاءت الرسالة وهى أن الفوهرر سيسره
أن يستقبلهم فى البيت البنى فى صباح اليوم التالى ولكن تأكد أنهم
سيكونون هناك فى الموعد !

وكان ذلك اليوم من أيام أوائل الشتاء التى تكون فيها الشمس
مشرقة والهواء مسكرا ، فكانوا يودون الذهاب الى موعدهم سيرا على
الأقدام ، لولا أنهم سياخذون معهم صورة « أخت الرحمة » ولذا لابد أن
يتولى لانى قيادة السيارة • وعرض هاينريش الذى كان قد تعلم وهو
يافع العمل بيديه أن يحمل اللوحة الى داخل البيت البنى ، ولكن بيوتى
أصرت على أن الأمور يجب أن تؤدى بصورة لائقة فيتولى حمل اللوحة
تابع من الفندق فى كسوة رسمية • واتصلت شخصيا بالادارة لترتيب
الأمور • فأبدوا لهفة على الخدمة والارضاء • وبلا أجر يافراو بد • وفى
سيارة منفصلة ان أردت • فآين هو الفندق الألماني الذى لا يشرفه أن
ينقل لوحة الى الفوهرر ؟ وسرى التبا كالسنة النيران فى المؤسسة ،
فأصبح الشبان الثلاثة مطمح جميع الأبصار • وعلموا أن الفوهرر
شخصية مألوفة فى هذا الفندق الراقى ، فقد ظل سنوات طويلة يتمتع
بالضيافة هنا من قبل اثنين من أنصاره الأغنياء أحدهما صاحب مصانع
للبيانو ، والآخر جراف بروسى وزوجته وهى مصروفة جدا لصداقتها
المسرفة مع الفلمان السعاة فى الفندق • وكانت إيرما تعرف كل شىء عن
هذه المسائل بسبب تمريناتها على اللغة الألمانية مع إحدى موظفات
المؤسسة ولا يمكن أن يفتقد المرء أن يفتقد المرء اللفظ فى فندق كبير بأوربا

والبيت البنى فى شارع بريلز المشهور بأنه من أجمل الشوارع فى
الدولة والكنيسة • وفى الواقع كان قصر القاصد الرسول عبر الشارع
مباشرة ، وهكذا كان ممثلا العقيدتين المتنافستين فى ميونيخ يرقب كل
منهما الآخر من نوافذه • فالمبعوث الشمبيه بالأمراء من قبل المسيح يطل
فاذا فى مواجهته بناء ذو واجهة مربعة وهو من ثلاث طوابق بعيد عن
الشارع بمسافة كبيرة ويحيط به سياج حديدى مرتفع • وفوق قمته
علم كبير عليه الصليب المعقوف بخفق فى النسيم الذى يهب من جبال
الألب المغطاة بالجليد • وأمام البوابة الجميلة يقف ليل لهار اثنان من جنود
كتائب الهجوم المسلحين • فلو اتفق أن أمير الكنيسة الكاثوليكي كان
يرقب الطريق ذلك الصباح لرأى سيارة مرسيديس فارغة تقف أمام مبنى
النازى وينزل منها مسئول نازى شاب أشقر أزرق العينين فى كسوة

رسمية ، ونقيب سابق في المدفعية بروسى طويل القامة ذو وجه طويل قاسى بعض الشيء ، وأمريكى شاب ثيابه على آخر طراز بنى الشعر قصير الشارب . وكذلك نزل منها أحد أتباع الفندق فى كسوة رسمية رمادية وأزرار نحاسية حاملا لوحة ذات اطار كبير ملفوفه فى قطعه من القماش وسار الأربعة فى المشى وأدوا جميعا التحية النازية فيما عدا حامل الصورة . كانت كسوة هاينرش لها سلطانها فدخلوا الى البهو المعلقة فيه اعلام الصليب المعقوف مابين كبيرة وصغيرة مدلاة من السقف والنوافذ ومقابض الأبواب ، وكوات المصابيح ، واشغال الحديد وكانوا مبكرين عن موعدهم قليلا ولذا قأدهم هاينرش فصعدوا السلم المهيب وأراهم قاعة الاقطاب وبها لوحات تذكارية لشهداء النازى خارج أبوابها . اما فى الداخل فأربعون علما ذات تسور من البرونز ومقاعد وثيرة جميلة من الجلد الاحمر للأقطاب أو الشيوخ . وأيا كان شأنهم فهم لا يمكن أن يكونوا قد اجتمعوا مرات كثيرة لان الفوهرر يتولى اصدار جميع الاوامر . وكان تعليق هاينرش وكيرت « عظيم ! » أما لاني فخامرته فكرة خائنة « كل هذا من ثمرات الاتفاق مع تيسن وملوك الصليب الآخرين ! » .

ومكاتب هتلر وأعضاء مكتبه فى ذلك الطابق نفسه . وفجأة وفى الموعد المحدد أدخلوا الى مكتب بسيط الزينة به زعيم النازى ، فادوا التحية ونهض فرحب بهم بمودة ، وتذكر لاني وشد على يده قائلا « مرحبا بك يا هربرد . كم سنة مرت منذ التقينا . أكثر من ثلاث سنين ؟ وما أسرع مرور الوقت ! ولا فرصة لدى لملاحظة مروره ، فما بالك بالتمتع به » .

ومرة أخرى أحس لاني تلك اليد الرطبة الناعمة ، ومرة أخرى أطل فى هاتين العينين الرماديتين الزرقاوين المركبتين فى وجه عجبنى شاحب وقد أصبح الآن قصيرا بدينا ، لان أدى يزداد وزنه بالرغم من اضطراب حوصلته المرارية ، أو بسبب ذلك الاضطراب . ولما نظر اليه لاني جال يفكره مرة أخرى انه أعظم لغز فى العالم . فقد تفتش فى أنحاء أوروبا كلها ولا تجد رجلا ذا مظهر عادى أشد منه . ففوهرر الوطن الالماني فيه كل عناصر التفاهة . فهو أقصر من أى واحد من زواره الثلاثة ويبدو الآن فى الثوب المدنى البسيط بياقته البيضاء ورباطة عنقه الاسود أشبه بمساعد يقال أو بائع متجول يروج لمستحضر مقو للشعر . فهو لا يخرج للرياضة ، وقامته رخوة وكتفاه ضيقتان وردفاه كردفى امرأة ، ورمز النقاء والاصالة الآرية هجين أشد ما تكون الهجنة ، فله شعر مستقيم غزير اسود ، يتراك خصلة منه طويلة على نحو ما كان يصنع لاني وهو غلام . ويبدو ان

الشيء الوحيد الذى يرعاه بعناية شاربه السخيف المضحك على غرار شارلى شابلن .

وكان لاني حين راقبه فى مسكنه ببرلين قد قال لنفسه « هذا حلم وسيصبحو الشعب الالمانى منه ، أما الآن فروسهم اشد دوراناً به ، ولانى يحاول أن يحل هذه المعضلة فيقول أنه البرجوازي الصغير مجسداً . وانه الالمانى العادى ، الرجل الصغير ، رجل الشارع وملايين من هؤلاء الرجال الفاشلين والمكبوتين وجدوا صورتهم فى آدى شكاجروبر وفهموه وصدقوا وعوده . أما وجوه اختلافه عنهم مثل عدم أكله اللحم وعدم سكره كلما استطاع ، فتجمله فى نظرهم رومانتيكيا وملهما وروحاً عظيماً .

- ٦ -

وكان تابع الفندق واقفاً عند الباب وقد وضع اللوحة على الأرض ليسندها بيده اليسرى فى حين رفع ذراعه ممدودة مبسوطة الكف الى الامام مع اتجاه قليل الى أعلى فى تحية نازية مستمرة . ولاحظ الفوهرر وجوده فسأل « ما هذا الذى أيتمونى به ؟ » فأخبره لاني ، ثم وضعوا اللوحة فوق مقعد ووقف التابع من ورائها بعيداً عن الانظار ليسندها بثبات ووقف هتلر على مسافة مناسبة ورفع لاني الفطاء بصورة احتفالية . ووقف الجميع ملتزمين السكون والصمت الى أن حظى الرجل العظيم بالنظر كما يريد ثم هتف « شيء جميل ! هذه هى فكرتى عن العمل الفنى . أتقول انه فرنسى ؟ ثقب ان له جدادا من الألمان . من المرأة ؟ » فأجابه لاني « انها أمى » وكان قد أدلى بهذه الحقيقة مثبات المرات فى حياته ، ذلك ان ميونيخ هى خامس مدينة كبيرة يشترك فيها فى معرض . فقال هتلر « امرأة جميلة ويجب أن تكون فخورة بها » فقال لاني « وأنا بها فخور » ثم أردف « اللوحة اسمها أخت الرحمة . فقد جرح الرسام جرحاً بليفاً فى الحرب ، ثم قتل بعد ذلك . وتستطيع أن ترى انه كان يشعر بما يرسم » . فهتف آدى « نعم ! وأنا أيضاً جرحت وأعرف كيف يكون شعور الجندي نحو النساء اللواتى يمرضنه . وانه ليبدو وكأن الفن العظيم لا يأتى الا من الألم والعذاب » فقال لاني « هذا ما يقوله لنا شاعركم العظيم جيته يا سيادة مستشار الرايخ » .

وساد الصمت وقد انصرف هتلر الى دراسة الرسم مرة أخرى ، ثم علق قائلاً « نمط آرى نقى . للنمط الروحى الذى ينصرف بكليته الى المثالية » ونظر الى الرسم فترة أطول ثم قال « الرحمة من الفضائل

الآرية . وأشك في أن السلالات الأخط يمكن أن تشعر بالرحمة شعورا عميقا جدا .

واستمرت الحال برهة طويلة ، والفوهرر ينظر ثم يدلي بملاحظة وما من أحد يجازف بالكلام ما لم يكن ردا على السؤال « هذا النوع من الفن يقول لنا ان الحياة ملآنة بالعذاب ، فينبغي أن تكون المهمة العظمى للجنس البشرى تقليل العذاب ما أمكن . أتتفق معي في ذلك يا هرر بد؟ ، فأجابه « انى موافق على ذلك فعلا . وأعلم ان هذه هي الفكرة الاساسية في حياة ديتاز ، فقال هتلر « انها مهمة الجنس السيد . فهؤلاء وحدهم غير أن يشتبك في جدل . ولكن الفوهرر لم يسأله بل واصل الكلام قائلا « ينبغى أن تكون هذه هي الفكرة التي توجهنا في حياتنا . ولدينا هنا في هذه الحجرة ثلاث من أعظم قوميات العالم مثلة ، واعنى الالمان والفرنسيين والامريكيين . ويا له من كسب لو ان هذه الامم اتحدت لصيانة نقائنها الآرى وضمان سيادة القانون في أنحاء العالم !! ترى أدنى أمل في ذلك في زماننا ؟ ، فأجاب انها غاية نسعى اليها يا سيادة مستشار الرايخ . ويجب أن يعمل كل منا ما يستطيعه ، فأجابه هتلر « ثق اننى سأصنع ما أستطيع يا هرر . وقل ذلك لكل من تعرفهم .

وعاد سيد المانيا الى مقعده امام المكتب قائلا «أنا شاكر لك لاحتضارك هذه الصورة الى . وقد فهمت أنك أقمت معرضا ؟ ، فأجاب لأنى « نعم يا سيادة مستشار الرايخ . وسوف يشرفنا لو تكلمت بالحضور . أو ان أحضر نماذج أخرى من عمله أن كنت تفضل ذلك ، فقال هتلر « أتمنى لو استطعت تدبير هذا . وأنا أيضا ، والتفت الى كيرت « كنت آمل أن تأتوا الى جناحى الخاص حيث يوجد البيانو ، ولكنى أخشى أن أكون مضطرا للرحيل الى برلين . لقد كنت أسعد حالا عندما كنت أدير حزبا سياسيا فحسب ، أما الآن فلأسف على أن أدير الحكومة أيضا . ولذا تجدد محب الموسيقى والفن مضطرا لتخصيص وقته كله واهتمامه كله لمنافسات صغار الرجال وتحاسدهم .

وكان قد انتهى عرض الصورة فحملها التابع الى الخارج منصرفا بظهره ومنحنيا مع كل خطوة والتفت الفوهرر الى كيرت وسأله عن موسيقاه ، ورفع المؤلف الموسيقى الى السماء السابعة بقوله ان كيرت ادى خدمة حقيقية للقضية ، لاننا يجب أن نرى العالم ان الاشتراكيين الوطنيين يستطيعون انجاب الموهبة ، بل والعبقرية التى تضارع أفضل عبقریات الماضى . والعلم يجب أن يعمل على تقوية الالهام بحيث يرتفع الشعب

السيد الى مستويات عالية جديدة واذا أمكن يرفع السلالات الادنى من بعده .

والتفت الى هاينريش ، وكان يريد أن يسمع كل ما يستطيع المسئول الشاب أن يخبره بخصوص شبيبة هتلر وتقدمها . فالرئيس الكفء للتنظيم العظيم يحصل من هذا الطريق على معلومات عن الشخصيات والاجراءات التي يهيمن عليها . وجعل يوجه اليه أسئلة لسبرغوره وهو يرقب محدثه بعينين نصف مقفلتين لانه يريد أن يتأكد من ان هذا المسئول يقول له الحقيقة ، ولكن لا بأس أن تكون ملونة بطبيعة الشاب الحماسية . ولم يكن هاينريش الشخص الذي يتحدث عن دسائس القمصان السود وخياناتهم . وقال مستشار الرايخ بدهاء « أتمنى لو كان عندي المزيد من الشبان أمثالك » . فقال مراقب الغابات النشوان « لديك ألوف منهم يا زعيمى ، ولكن لم تسنح لك الفرصة قط لمقابلتهم فقال أدي « ان بطانتي تحاول أن تعزلنى عن الناس كأننى طاغية شرقى ويحدثوننى عن الاخطار البدنية ولكنى أعلم ان قدرى يريد لى أن أعيش وأتم عمل » .

- ٧ -

يا له من حديث ، وكان لانى يتغلب على الشكوك خوفا من نهوض الرجل العظيم قائلا « آسف . ولكن وقتى محدود » ولم يكن فى المستطاع تصور انسان فى مزاج أفضل من هذا ، ونظر لانى الى كيرت وكان حريا أن يغمز له بعينه لولا أن كيرت ظل مثبتا عينيه على معلمه ومرشده . ولجا لانى الى التركيز ومحاولة نقل الافكار فأخذ يجرب وهو يفكر بأشد ما فى استطاعته « الآن ! الآن ! »

وقال كيرت « يا زعيمى . قبل أن ننصرف ثمة شئ يظن صديقى بد اننى ينبغى أن أخبرك به » فسأله هتلر « وما هو ؟ » فجابه كيرت « كارثة كبرى ، ولكن لا ذنب له فيها . فان اخته غير الشقيقة متزوجة من يهودى » فهتف أدولف « يا للصواعق ! يا له من نبا جلل ! » فقال كيرت « ينبغى ان اقول أيضا أن الزوج عازف فيولينة ممتاز » فقال هتلر « لدينا عدد كبير من الفنانين الآريين فلا حاجة بنا الى التماس شئ من هذه السلالة الدنسة . ما اسم هذا الرجل ؟ » فقال كيرت « هانسى روبن » فقال هتلر « روبن؟ روبن؟ اليس ابن ذلك المستغل السيء السمعة المشهور يوهانسى؟ » فأجابه « بلى يا زعيمى ، فأنقض الرجل العظيم على لانى قائلا « ينبغى أن

تطلقه وما كان ينبغي يا صديقي الشاب أن تسمح بشيء كهذا أن يستمر . يجب أن تستخدم سلطتك وسلطة أبيك وسائر من في الأسرة من الرجال لهذا الغرض ، فقال لاني : « ولكن الواقع أن هذين الزوجين كل منهما متعلق بالآخر يسيادة مستشار الرايخ . وهي أيضا تصاحبه في العزف ، وتعزف معه الآن في جولة بالولايات المتحدة » فقال هتلر : « ولكن يا هر يد ، انه لشئ حقير وشائن أن تقيم وزنا للاعتبارات الدنيوية في موضوع كهذا . أختك شقراء نورديّة مثلك ؟ » فأجاب : « بل أشد شقرة مني » فقال الفوهرر : « ومع هذا تظهر فوق المناظر العامة وتعلن عارها على الملا ! وفكر فيما تقترفه ضد المستقبل ، في الجرائم التي تقترفها ضد أطفالها ! » فقال لاني : « لا أطفال لديهما يا سيدي مستشار الرايخ ، فهما قد وقفا حياتهما على الفن » فقال هتلر : « هذا لا يقلل من أننا بأزاء جريمة تدنيس السلالة وسواء رزقت بأطفال أم لا فهي تدنس جسدها . السست متنبها الى أن سائل الذكر المنوى تمتصه الأنثى وبذلك تتسمم الأوعية الدموية لديها بهذه النطفات اليهودية النجسة المنحطة ؟ وهذا شيء في منتهى الغفظة لو فكرنا فيه ، ولو كانت هذه أختي لآثرت أن أراها ميتة أمام عيني . بل انني كنت حريا أن أصرعها قتيلا لو علمت أنها تنوى اقتراف مثل هذه الحيانة لسلالتها » فقال لاني : « آسف يا سيدي مستشار الرايخ ، ولكننا في أمريكا نترك النساء يخترن أزواجهن بأنفسهن » فقال هتلر : « وما النتيجة ؟ ان لديكم سلالة هجينة مختلطة تفعل فيها مختلف التأثيرات الدنسة والمنحطة بحرية ، وتزدهر فيها جميع ألوان الاسفاف البدني والفكري والحلقى بغير رادع . ولكم أن تسلكوا هذا الطريق العريض الى الجحيم ان شئتم ، ولكن ثقوا أننا نحن الالمان عازمون على المحافظة على نقاء دمنا . ولسنا عازمين على ترك أنفسنا نخدع بكلمات غرارة عن الحرية والتسامح والنزعة الانسانية والحب الاخرى وما الى ذلك . فلن يكون أي مسيخ يهودي أخا لي . واذا عثرت بواحد منهم يحاول مضاجعه امرأة آرية حطمت مجتمه على نحو ما تطالب بذلك أنشودة من أناشيد كتائب الهجوم . » حطموا جماجم طفلة اليهود ! ولا تؤاخذني ان كنت أتكلم بوضوح ، فهذه عادة حياتي وهذا هو الواجب الذي أرسلت الى هذا العالم لا قوم به . فهل قرأت كفاحي ؟ » فأجابه لاني : « نعم يا سيادة مستشار الرايخ فقال هتلر : « أنت تعرف ماذا قلت فيه : ان اليهود أكبر المحرضين على خراب المانيا . فهم كما سميتهم : شياطين حقيقيون لهم عقل وحش مسخ لا عقل انسان . انهم عصاة لصوص حقيقية . لصوص وقتلة . وثمة كتاب من تأليف هرمان جاوخ اسمه : أساس جديد لدراسة السلالة ،

وهو مقرر الآن فى مدارسنا وجامعاتنا ، وفيه الحقائق الدامغة عن هذه السلالة البغيضة على أساس علمى . فعالمنا الفاضل يقسم الحيوانات الشديدة قسمن ، القسم الأول الآريون والقسم الثانى غير الآريين بما فيهم بقية المملكة الحيوانية كلها . فهل رأيت هذا الكتاب ؟ ، فأجابه لانى « لقد سمعت مناقشات حوله يا سيادة مستشار الرايخ ، فسأله هتلر « ألا تقبل حجته العلمية ؟ » فأجابه « أنا لست عالما وقبولى أو رفضى لا وزن لهما . وقد سمعت اعتراضا يثار مؤداه ان اليهود لا بد أن يكونوا من البشر لانهم يستطيعون الانسال من الآريين والنوريين ولا يستطيعون الانسال مع الحيوانات غير الآدمية » فقال هتلر « يقول الدكتور جاوخ انه لم يثبت بأى وسيلة من الوسائل أن اليهود لا يستطيعون الانسال مع القروود والحيوانات الأخرى من عائلة الاورانج أوتان وأنا اقترح هذا الاسهام المهم فى جانب العلم الالماني بأن نجرب المزاوجة بين عدد من ذكور اليهود واثانهم مع اناث وذكور من القردة ، وبذلك نبرهن للعالم على صدق ما نادت به الاشتراكية الوطنية منذ سنوات كثيرة » .

- ٨ -

لقد اندفع سيد المانيا فى احد موضوعية المفضلين ، اما الموضوع الآخر فهو البلشفية . ومرة أخرى لاحظ لانى أن ثلاثة من السامعين حسابهم عنده كثلاثة ملايين ، وزايلت عيني المتكلم النظرة الناعسة وثبتتهما على المذنب المسكين فى تحديق مفناطيسى ، وارتفع الصوت الهادى فصار نشارا حادا وبدت فى الرجل سيما جديدة شيطانية مفرقة حقا ، واصبعه المشرعة كانما هى مطرقة ينهال بها على عقل لانى . فلا بد للفتى الأمريكى اللاهى من أن يدرك الطبيعة الوحشية المسوخة للخيانة التى يرتكبها بأعضائه عما ترتكبه أخته من تدنيس للدم الآرى المقدس فلا بد على نحو ما من القضاء على هذا الشر فورا ، والرجل الذى أرسله القدر لانقاذ العالم يجب أن يثبت سلطانه هنا والآن ، بإعادة هذه النعمة الضالة الى حظيرة النوردية . وصرح فوهرر النازيين « السم ! السم ! »

أجل ان اليهود ملومون بمعنى الكلمة على كل شىء ، وقد تلا هتلر قائمة جرائمهم للمرة العشرة آلاف ، فانهم هم الذين علموا المانيا التمرد وبشوا الالغام فى وطنيتها وحبها للنظام . وفى ساعة الخطر الأعظم طعنوها فى ظهرها . واليهود هم الذين ساعدوا على تكبييلها بمعاهدة فرساي القاسية الملاءة عليها ، ثم شرعوا يشبتون بمسامير أغلال الفاقة حول

اطرافها • فهم الذين صنعوا التضخم وهم الذين ابتكروا مشروع رواس
ومشروع يانج وأنظمة الربا وعبودية التعويضات • كل ذلك صنعه
أصحاب البنوك اليهود متحالفين مع البلاشفة اليهود ! هم الذين نصبوا
شراك الغواية للثقافة الألمانية في المسرح وفي الأدب وفي الموسيقى وفي
الصحافة • وهم الذين تسللوا الى المهن والحرف والعلوم والمدارس
والجامعات ، وكالعهد بهم دائما دنسوا كل ما لمسوه وحطوا من شأنه •
واليهود رجس وهم أسى بلاننا !

واستمر الكلام على هذا المنوال نصف ساعة على الأقل لم يستطع
فيها احد منهم أن يدلى بكلمة واحدة فقذائف الرجل كانت تتدفق بسرعة
عظيمة حتى أن عباراته كانت تتعثر بعضها ببعض ، فكان ينسى أن يتم ،
ونسى قواعد النحو بل نسي أبسط قواعد اللياقة واستعمل كلمات من
مسابخ فينا حيث جمع منها أفكاره • وجعل العرق يتفصد من جبينه
وبدأت بنيقته البيضاء النظيفة ترشح به • وقصارى القول انه كان على
نحو ما شهده لاني في انقلاب حانة البيرة بميونخ قبل عقد من الزمن •
ولكن ذاك المكان كان قاعة هائلة لشرب البيرة احتشد فيها الفان أو ثلاثة
آلاف أما هنا فكانما هو محبوس في حجرة صغيرة مع أوركسترا به مائة
آلة من بينها ثمانية ترومبونات وأربعة أبواق باص تعزف افتتاحية
الهولندي الطائر •

وفجأة توقف الخطيب ، ولم يقل « هل أقنعتك ؟ » لما ينطوى عليه
هذا السؤال من شك لا يمكن أن يعترف به مبشر مرسل من السماء ،
بل قال « والآن ياهر بد اذهب واد واجبك ، ضع قاعدة بسيطة حافظت
عليها منذ أسست هذه الحركة : لاتتحدث مطلقا الى يهودي حتى ولا
بالتليفون » ثم قال باقتضاب « لدى ارتباطات أخرى ويجب أن تعذروني »
« فالقى الثلاثة تحية الوداع بسرعة • ولما صاروا في الخارج قال لاني
باعتباره عميلا سريا « لاعجب انه يهز سامعيه » ولما عاد الى الفندق لزوجته
وامه صاح عرفت الآن لماذا يحافظ جورنج على فريدي • فقالتا معاوهما في
لهفة لماذا قال لاني في غضب بارد انه يريد ان يجرب في استخراج نسل
له من قرده !

- ٩ -

وكان لابد للاني ان يقول باللعبة على حسب قواعدها ، فينبغي الا
بدع احد هذين الصديقين يكتشف أنه أحضرهما الى هنا على أمل اقناع

هتلر ان يطلق سراح السجن اليهودى فحسب ، بل كان حضورهما لاجل الصداقة والمؤانسة والموسيقى والفن ، فلا بد ان يعزف لاني وكيرت ثنائيات البيانو كما كانا يصنعان فى الزمن الحالى . ويجب على زلطان ان ياخذهم الى فيناكوئك ويجعلهم يستفيدون من معلوماته الفنية . وبيوتى وايرما يجب ان ترتديا افضل ملابسهما الفاخرة وتصحباهم الى المسرح القومى لمشاهدة اوبرا مايسترزنجر والى مسرح الامير الوصى على العرش لمشاهدة « اجمونت » من تأليف جوته . ولابد من اقامة حفل عشاء تدعى اليه الشخصيات المرموقة فى عالم الموسيقى لمقابلة المؤلف الموسيقى البارز وبعد حفل سيمفونى تونهال اصغى لاني لتعليقات كيرت الفنية العالية على قائد الفرقة والانغام . فطبقة النغم كانت جامدة باردة لامعة تقتقر الى « التجسيد » ويعنى كيرت بهذا النسبة الملائمة بين الطبقات المنخفضة والمتوسطة والعالية . واتهم قائد الفرقة الموسيقية باسرافه فى الحماسة حتى لقد بالغ فى مد الاصوات وتضخيمها وأكثر من الحركة القلقة كانه دجاجة عجوز لديها نسل من الافراخ اكبر من طاقتها ، وهو سلوك غير وقور يقينا ولا يمكن ان يكون مناسبا على الاطلاق لاداء معزوفة بيتهوفن « البطولة » . اما لاني فبدا له ان الاهم من ذلك محاولة فهم ما كان مؤلف هذه السيمفونية النبيلة يحاول ان يقول له ، فهذا أولى من الانزعاج حول تفاصيل اداء شخصى ما لهذه السوفونية .

وهل من الممكن ان يتصور المرء بيتهوفن وقد فاته ان يكره النازى ويتحداهم ؟ لقد اهدى سيمفونية الى نابليون لانه اعتقد ان نابليون يمثل قوى التحرير المنبثقة من الثورة الفرنسية ، ثم مزق صفحة العنوان من نوته الموسيقية عند ما علم ان نابليون توج نفسه امبراطورا لفرنسا . وهو قد تبني قصيدة شيلر « ترنيمة الفرح » مرسلها بها قبلة الى العالم اجمع ومعلنا ان جميع البشر يغدون اخوه حيثما يستقر جناح الفرح اللطيف .

هذا ما تنادى به تلك الموسيقى . وهذا ما يجعل لها ذلك التأثير . ان روح بيتهوفن تدافع عن نفسها ، وتدافع عن كل شئ المانى ضد من يريدون تدنيته

ان مارش بيتهوفن الجليل المؤثر يسرى بين معسكرات الاعتقال النازيه ، على نحو ما سرى هناك لاني مرارا كثيرة بخياله . ففى هذه المعسكرات احزان وعذاب خمسين او مائة من ارقى وأفضل العقول المستنيرة فى المانيا . وبيتهوفن يحزن لحزنهم ويقول لهم ان اسوا مأساة

يمكن ان تتحول الى جمال بما للروح من قوى غير محدودة . وختام
السيموفنية انتصار ، ولكن هذا الانتصار لم يزل بعيدا ولم يستطع
لانى ان يتخيل كيف يمكن ان ياتي . وكل ما فى مقدوره ان يتشبث بيد
ذلك الاستاذ العظيم كما يتشبث الطفل الصغير بأبيه . وبعد سماع هذه
المعزوفة كان على لانى ان يواجه الحقيقة ، الا وهى ان حبه لكيرت وهانريش
قد انتهى ، فوجد مشقة فى ان يبدو مهذبا لصديقيه القديمين ، وايقن ان
الجاسوسية او العمالة السرية او ما شئت ان تسميها مهمة مسئمة لعينة
جدا فاعظم امتياز فى هذه الحياة ان تقول ما تعتقد ، وان يكون أصدقاؤك
اناسا يستطيعون على الاقل ان يقدرُوا أفكارك تقديرا لائقا ، وسر لانى
عندما استقل كل من كيرت وهانريش قطارا منفصلا الى غايته . لقد
شكرهما لما قاما به واكد لهما ان العرض كان طيبا ولكنه فى نفسه كان
يقول لا اطلق سراح فريدى واخرج من هذا الجحيم ثم اخرج نفسه منه ولن
أعود اليه .

- ١٠ -

ظل لانى اسبوعا يعيش على اتصال وثيق بتلك الكتلة من الشقاء
البشرى المعروفة باسم داخاو ، وقد تظاهر بعدم الاكتراث بها ولم يتكلم
عنها الا وهو مع إيرما على أفراد فى سياراتهما . وداخاو بلدة صغيرة
تعتبر سوقا تجارية على بعد تسعة أميال شمال غربى المدينة ويفضى اليها
طريق زراعى جيدة الرصف . فلا مناص من اتجاه أفكارهما الى هناك ،
ومن حمل السيارة اياها اليها فى أول فرصة . ولم يصنعا ما كان يصنعه
معظم السانحين من تفقد القلعة المشرفة عليها ، بل بحثا عن معسكر
الاعتقال الذى لم يكن من الصعب العثور عليه لانه يشغل ميلا مربعا من
الارض ، وكان من قبل ثكنة ومعسكر تدريب أيام الحرب العالمية ثم بطل
استخدامه منذ السلم ، وتحيط بالمعسكر أسوار من الاسمنت المسلح
ارتفاعها سبعة أقدام تعلوها أسلاك شائكة غزيرة لا بد انها مكهربة . وفكر
لانى فى محاولة بعضهم تسلق الجدار . وبدا له ذلك أقل احتمالا عندما
جاء فى الليل ورأى وهج الانوار الكاشفة البيضاء المركبة فى الابراج وهو
يتحرك باستمرار على امتداد الاسوار .

وكان ما نشر فى الصحف من أن الفوهرر شاهد اللوحة « أخت
الرحمة » قد أثار لدى الوف من البافاريين الرغبة فى مشاهدتها فتقرر مد

الممرض اسبوعا آخر . بيد ان لاني كان قد سبهم اخبار الناس عنها وسئم ما كانوا يقولونه . بل انه فى الواقع كان قد سئم ما يقوله جميع الناس فى المانيا النازية فان قالوا ما يقولون لانهم يريدون قوله كرههم وان قالوه لانهم يجب ان يقولوه رنى لحالهم ، ولكنه فى جميع الاحوال لم يكن يهتم بما يقولون .

ولما كان قد قرر ان ياخذ الثور بقرنيه فقد انتقى صباحا مشمسا يرجع ان يكون نزلاء داخاو فى الفناء ، او على الاقل المسموح لهم بذلك منهم . ووضع فى جيبه قصاصات من الصحف عن مشاهدة الفوهرر لرسم ديتاز واقاراه اياه ، وبضعة احاديث معه ومع ايرما بها صورته واشارة الى انه كان ضيفا على جورنج ، وهذه الاشياء تعادل تذكرة الدخول الى أى مكان فى بلاد النازى . وغادر ايرما تقوم بشراء مايلزمها من المتاجر وركب السيارة على طريق داخاو وبدلا من ايقافها كاي نكرة متواضع اتجه بها الى البوابة الرئيسية وأعلن عن رغبته فى مقابلة قائد المعسكر ، ونظروا الى سيارته ثم الى ثيابه ووجهه الارى والى بطاقة زيارته المطبوعة بحروف بارزة التى قدمها اليهم ، وقالوا فى أنفسهم ان السيد لاننج بريسكوت بد قد يكون شخصا بالغ الاهمية حتى انه لم يهتم بوضع القابه ورتب الشرف على بطاقته كما هى العادة عند الالمان ، وأدخلوه من البوابات الفولاذية ووقف اثنان من جنود كتائب الهجوم للحراسة فى حين دخل ثالث ببطاقته الى المكتب . وكان امامه فناء للتدريب . وفى أحد الجوانب صوت مطارق ، فهم يقيمون ابنية جديدة يشيدها السجناء بلا شك . وكان جنود كتائب الهجوم فى كل مكان بهراواتهم المصنوعة من المطاط ومسدساتهم الآلية ويبلغ عدد هؤلاء نصف مليون فى الوقت الحاضر كلهم من الرجال المقاتلين الذين يجب تدبير اعمال لهم .

- ١١ -

ووافق القائد على مقابلة الهر بد فاقتيد الى المكتب الخاص لشاب من أهالى جنوب المانيا خشن الهيئة تكثر فى وجهه الندوب وله رأس مستدير يعلوه شعر أسود قصير جدا . ولما كان لاني قد قابل جورنج فقد أعتقد انه لم يعد أمامه ما يتعلمه عن الحشونة ، فجلس وطرق الموضوع مباشرة قائلا « يا سيادة القائد ، أنا أمريكى محبذ جئت الى ميونيخ بالصدفة لاهتمامى بمعرض فنى فيها . وقد تكون قرأت عنه شيئا ، وربما أيضا تكون قد قرأت عنى . وقد شرفت بقضاء صباح يوم مع الفوهرر فى

البيت البنى منذ بضعة أيام ، وأنا صديق لرئيس الوزراء البروسية الجنرال جورنج ، وقد أسعدني أن أصبح في رحلة للصيد في الشهر الماضي . وأنا أعيش في فرنسا وأكثر من زيارة أشخاص في إنجلترا وأمريكا حيث أسمع مقداراً كبيراً من الدعاية ضد نظامكم الحاكم . وأنت تعلم بلا شك شيئاً عن اتهامات القسوة والتعذيب التي تنتشر هناك على نطاق واسع . وقد خطر لي أنه ربما كان من المفيد لو استطعت أن أقول : لقد زرت معسكراً من معسكرات الاعتقال الكبيرة ورأيت الأحوال هناك بعيني رأسي وأنا أقدر انكم من العسير أن تجيبوا هذا الرجاء لرجل غريب عنكم . ولكن معي قصاصات من الصحف الصادرة في ميونيخ تعرفك من أنا . وفيها بالصدفة صور تمثلني كي تتأكد أنني لست شخصاً آخر . ومد الزائر إليّ الباسم يده بقصاصات الصحف فدرسها النازي الحشن وتبخرت خشونته كأنها صقيع الصباح الباكر حين تشرق الشمس . ان هذا الاجنبي الغني الانيق قد حظي فعلاً بأعلى امتياز يمكن لأي عضو صالح في كتائب الهجوم أن يتخيّل . الا وهو دخول مكتب القوهر الخاص والتناقش معه في الفن ! وقال القائد : يقينا يا هربد انه يسرنا دائماً أن نطلع على معسكرنا الاشخاص الموثوق بهم . وقد سمعنا لعدد من الصحفيين الاجانب بتفقدته في الشهر أو الشهرين الماضيين . ونهض القائد متأهبا لتولي هذا الشرف بنفسه فلعله يستطيع أن يعرف السر في اكتساب صداقة القوهر !

وهكذا تجول لاني في أنحاء المعسكر ورأى ما بداخل هذه الاسوار من الاسمنت المسلح ذات الاسلاك الشائكة المكهربة بشدة . وشرح له الضابط روتين المعسكر وقاد الزائر الى الركن الذي به الشكنات ، وهي مسورة بسور يعزلها عن بقية الساحات والاراضي بحقول متشابكة من الاسلاك الشائكة . وهذه الشكنات حقيرة قدرة غير مطلية وأبنيتها نصف نخرة شيدت بمواد خرعة هزيلة في زمن الحرب ثم أهملت منذ ذلك الحين وثمة صدوع كثيرة في جدران الفواصل الخشبية وبعض النوافذ ينقصها الزجاج . وعدد أبنية الشكنات ثلاثة عشر بناء كل منها من طابق واحد وبه خمس حجر متصلة وفي كل حجرة خمسون فراشا صغيرا أو أكثر مرتبة على ثلاث طبقات كأنها الرفوف . والارض من الحرسانة والحشايا اكياس محشوة بالقش . وفي كل حجرة حوض واحد للفسيل .

وكان كثيرون من النزلاء خارج المعسكر يعملون في تعبيد الطرق تحت حراسة شديدة . وكان غيرهم في الورش أو يعملون في بناء الشكنات الجديدة ! أو في المطبخ والمسنون والمرضى يستفيدون من حرارة الشمس .

وهي النعمة الطبيعية الوحيدة التي لم تزل متاحة لهم . فجلسو متكئين على جوانب الابنية أو راحوا يمشون ببطء . وكان واضحا أن الحديث ممنوع فيما بينهم أو على الأقل لم يكونوا يتحدثون فيما بينهم . وقد نظروا الى لاني بغباء فاحججه أن تلتقي عينه بعيونهم . ولحسن حظه لم يكن له معارف بين الحمر والورديين من أهل بارفاريا فلم يشعر في روحه بجراح .

وكان منظر السجناء قدرا قابضا للنفس . فرموسهم حلقة وعليهم الثياب التي قبض عليهم فيها . وكان ذلك منذ شهور تصل في كثير من الحالات الى سنة ، ولا شك في أنهم كانوا ينامون بثيابهم تلك في تلك الليالي القريبة من الشتاء . ومنقفو بارفاريا لم يكونوا شديدي الشغف بالرياضة الخلوية فبعضهم نحاف الاجسام اكتافهم منحنية ، وبعضهم الآخر مترهلون من ذوى الكروش وكثيرون منهم بيض الشعر في سن أجداد حراسهم ، بيد أن ذلك لم يك يكسبهم اعتبارا خاصا . وسوء الصحة وهبوط الهمة مكتوبان على سحنهم جميعا فهم لا يعرفون لماذا هم هنا . ولا كم من الزمن ينبغي أن يمكثوا وهم الذين كانوا رجالا أحرارا ومفكرين أحرارا وأفضل من في البلاد من المثقفين . لقد كانوا يحملون بعالم أسعد أوفر نصيبا من النظام ، وهذه هي العقوبة التي تتكافأ مع جرمهم . وقال قائد المعسكر « نحن لا ندير مصحة »

وظل لاني سائرا ما بقي أمامه شيء يرى فشاهد خمسا وستين حجرة كعنابر السفن وبضع قاعات جماعية للطعام واثنتي عشرة ورشة وابنية متبانية في الأرض الفضاء . وحيثما ذهب كان يتفرس في الوجوه بحثا عن وجه شقيق أخيه أو وجه زوج شولتز فلم ير منهما أحدا وبعد أن طاف جميع أرجاء المعسكر من غير أن يعثر عليهما جازف بتوجيه السؤال التالي « الديكم هنا يهود ؟ » فرد عليه مضيفه « نعم . نحو أربعين ولكننا نحفظ بهم بمعزل رعاية للآخرين » فسأله لاني « وهم يعملون فيما أعتقد ؟ » فأجابه « يعملون بجد وعناء ، ثق بهذا » فسأله « أستطيع أن أراهم ؟ » فأجابه « يؤسفني أن أقول أن هذا مخالف للتعليمات .

ولم يتطوع الرجل بأكثر من ذلك ، ولما كان لاني قد وجه كل ما تجاسر عليه من الاسئلة فقد تركه يقوده عائدا الى سيارته ، ثم قال « أشكرك ياسيادة القائد وسيكون في مقدوري أن أقول لمراسلي الصحف اني لم أر أحدا من النزلاء مرضوضا أو داميا ، ولم أر سيطا من الاسلاك أو خراطيم المطاط لضربهم فأجابه النازي الحشن : وكان من الممكن أن

تنقب أكثر مما فعلت فلا ترى شيئا من ذلك وهي ملاحظة تتسع لأكثر
من تاويل . وقال لاني في نفسه : لعله مثل يفضّل الا يكذب ان
استطاع ! .

- ١٢ -

قائد المحقق الهاوي سيارته عائدا الى المدينة ، وهو يتساءل كيف
يتحمل فريدي ذلك المعتقل وكان فريدي نفسه قد تساءل من قبل لديه
الشجاعة المطلوبة ؟ وهل يستطيع أن يجد في نفسه الينابيع الروحية ؟
ولما كان لاني ذا مزاج خيالي فقد وجه هذه الاسئلة بعينها الى نفسه وعاش
في تلك الجحور الحفيرة القنطرة وأحس على ظهره وقع تلك السياط التي
لم ترها عينه . ثم بدأ ذهنه الناشط يخترع قصة صغيرة ، فتوجه لمقابلة
القائد النازي الحشن ودعاه لمشاهدة العرض ، ثم دعاه بعد ذلك لنزهة معه
بالسيارة فلما صارا في الحلاء وسط الريف خاطبه لاني قائلا : يا سيادة
القائد ، ان أحد اليهود الذين تعهد اليهم بقدر كبير من الاشغال الشاقة
قريب لي على نحو ما ، وهو شاب لا ضرر منه ، ولو اخذته الى بيتي في
فرنسا سيقنع بعزف الكلارينيت بقية ايام حياته ولن يتسبب في اذى
لحركتكم المجيدة . وانا قد بعث عددا من اللوحات هنا ولدي نقود سائلة
في بنك بميونخ . فلنفرض انني اعطيتك لنقل مثلا خمسة وعشرين ألف
مارك . بأي صورة وبأي طريقة تختارها ، وفي مقابل ذلك تدبر لي طريقة
لالتقاط هذا السجين في سيارتي حيث أمضى به الى الجبال وعبر الحدود
النمساوية ، فهل يروقك ذلك وتعتبره صفقة طيبة عقدتها في ليلتك
هذه ؟ .

وتصورت مخيلة لاني عدة حلول ختامية لهذه القصة . وهو يعلم
أن جهاز النازي به حروق كثيرة ومنافذ للفساد ، وكان يوهانس روبن
قد روى حكايات كثيرة عن رجال أعمال آريين انقياء حصلوا على ما يريدون
بمثل هذه الوسائل القديمة قدم الطغيان الاول . ومن جهة أخرى قد
يكون هذا النازي الحشن بالذات متمصبا مخلصا ، فمن المستحيل تمييز
هذا من ذاك . وكان لاني واثقا لو أن هوجوير هو المسئول عن المعسكر

لقبل تلك النقود • اما هاينريش يونج فربا كان يرفع امره الى الجستابو الصارمين • وماذا يمكن ان يحدث عندئذ ؟ ليس فى وسعهم ان يفعلوا به اسوا من حراسته حتى الحدود ، على نحو ما فعل رجال القائد العسام .
• بالبو ، فى روما قبل ذلك بعشر سنين تقريبا • ولكن الامر الوحيد الذى اوقف لاني عند حده ان القائد ان كان نلزيا عفيفا حقا فهو حرى ان يعود الى المعسكر ويجعل من المستحيل على لاني ان يرشو اى رجل ضعيف من رجاله ، وذلك بان ياخذ فريدى روبن ببساطة ويضربه حتى الموت ثم يحرق جثته • وقال الفتى اللاهى الذى شب عن الطوق لنفسه • يجب ان افكر فيما هو افضل من هذا •

**** معرفتي ****
www.ibtesama.com
منتديات مجلة الإبتسامة

الكتاب السادس

لقد اريق الدم

الفصل الخامس والعشرون

التعلق بالهواء

- ١ -

كان عيد الميلاد يقترب وقد قضت ايرما اكثر من ثلاثة اشهر بعيدة عن عزيزتها الصغيرة فمن غير المعقول ان تمكث اطول من هذه المدة . وماذا كان لاني ينجز ؟ وماذا كان يرجو ان ينجز ؟ ان جورنج يلهو به ، ويحاول ان يحصل منه على شيء وبلا مقابل . وهو يبقيهما ساكنين ويطلق لهما فميها . ولم تكن ايرما تبالي كثيرا جدا ان يطلق فم زوجها ، لو انه كف عن القلق وحشود ذهنه بالفضاعات حتى انه يفرغ مستيقظا من منامه !

لقد انتهى معرض ديتاز وتمت خطوة موفقة فقد طلب متحف من اكبر المتاحف في دريسون ان يحظى بهذه اللوحات فترة من الزمن فيعاملونها معاملة ممتازة ويفردون لها حجرة خاصة . وسيأتى محبو الفنون في مدينة الابهة والبذخ تلك ليعجبوا بها ويستفسروا عنها ، وهذا شيء طيب مفيد من حيث الفن ومن حيث النقود وسوف يقدر زلطان ويروح ، والمشترون المستفسرون يتوجهون اليه وهذا افضل من تكديس اللوحات في حجرة المخزن باحدى الضياع الخاصة !

وبيوتى وبرسيغال سيذهبان الى لندن بسبب اعجب تطور يمكن ان يتصوره العقل ، فقد ارسلت ليدى كايار صديقة عزيزة كل تلك المسافة الى ميونيخ لتقنع الزوجين الامريكيين بالقدوم مرة اخرى ضيفين عليها لانها تشعر باحساس غريب استولى عليها مؤداه انها ستتنضم قريبا الى حبيبها فينى فى عالم الارواح ، وهى تريد من زوج بيوتى رجل الحب العزيز ان يكون فى بيتها فى ذلك الوقت كى يفحص لها عينيها ويتولى امر جنازتها

التي لن يكون لها شبيه بين جنائز العصر الحديث فهي مناسبة حيور
لا مناسبة حداد ، والضيوف سيرتدون البياض ، والموسيقى ستتصاحج
بالمعزوفات السارة وتولم المآدب تحت شارة « ف.ب.ق » اى فينى وبردى
وقبله . وقالت بيوتى « ولعلها ستبعث الينا بكلمة عن فريدى » ثم خطرت
لها فكرة بشعة « ولعلها ستترك لنا جانبا من أموالها » .

ولما كان متحف دريسون يتولى امر اللوحات فقد صار جبرى بندلتون
خاليا من العمل فأخذه ايرما ولانى معهما الى رحلة عبروا بها الجبال المغطاة
بالثلوج التي تحيط بميونخ وتقيم من حولها ما يشبه الستار المسدل ، ثم
اجتازوا الحزام الضيق الذي تركته معاهدة فرساي المملة للنمسا واخترقوا
مر برينز الذي دخل فى نصيب ايطاليا من الغنيمة . وفى هذه المنطقة كان
ذو القمصان السود من رجال موسوليني منهكين فى تحويل الآرين الى
جنسية البحر الابيض المتوسط عن طريق هراوات المطاط وسياط الكلاب .
وكان هذا مثار سوء تفاهم شديد بين الفاشية ووليدتها الجديدة فى الشمال .
وكان للدكتور جوبلز مهبجون يتقاضون اعانات كبيرة ويعملون فى كل مكان
بالنمسا ، وغير قليل منهم زج بهم فى غياهب السجون الايطالية . فكان
المتفائلون من الثببان الورديين يتطلعون الى رؤية الفاشيين والنازى يلتهم
كل فريق منهما الآخر مثل قطتى كاكثى (اللتين تقول الاسطورة انهما
تصارعتا حتى لم يبق منهما الا ذيلاهما !) .

وبيتنا - يا بيتى الحبيب ! - لا بد ان يبدو متواضعا جدا بعد اقامات
وزيارات بين القصور ، بيد ان الورود كانت مزدهرة الى جوار البوابة ، وعلى
الممر العريض اقبل كنز لا يقدر بشئ فى صورة مخلوقة صغيرة ترتدى ثوبا
صفيرا أزرق اللون ولها شعر بنى داكن منسدل وعينان بنيتان داكنتان
لامعتان . وكان قد قيل لها قبل يومين ان امها واباها فى الطريق ، فظلت
تثرثر وتلقى الاسئلة عنهما منذ ذلك الوقت . وهى الآن قد تجاوزت
منتصف عامها الرابع ، وما اسرع ما ينمو الاطفال حتى انك تعود بعد
ثلاثة اشهر او اربعة فاذا كائن جديد يواجهك فلا تملك كتمان صيحات
السرور ، وعلى الحيرة اليقظة ان تكبح جماح حماسك حتى لا تربى فى
الطفلة الصفة الذميمة صفة الشعور بالذات . وقد وجدت ايرما
بارنز التي نشأت شخصا فى عالم لاه ، عناء شديدا فى ادراك ان الطفلة
شئ اكثر من ملهاة لابوين مسرورين . وهكذا اضطرت ايرما بارنز التي
كانت تحصل دائما على ما تريد ان تتعلم كيف تخضع للنظام باسم ذلك
العلم الجديد الصارم كل الصرامة الذى يسمونه « دراسة الطفولة » .

نعم حقا ، فلا بد حتى لطفلة سترت ثلاثة وعشرين مليوناً من الدولارات ان تتعلم كيف تستخدم يديها ، وكيف يمكن ان تتعلم ذلك اذا قام الآخرون لها بكل شيء ولم يتركوها تبذل أى مجهود ؟ وكيف يمكن ان تتعلم النظام اذا حصلت دائما على ما تريد واذا استقر في ذهنها انها مجور الاهتمام وانها اهم من اى شخص ممن تتعامل معهم ؟ واصرت الأنسة سيفرن الصارمة على وجوب احترام سلطتها المهنية ، وكذلك الأنسة ادنجتون ذات الضمير اليقظ التي لم تعد هناك حاجة اليها باعتبارها مؤدبة للمرسلين فبقيت في منزلة بين النزيلة وبين صديقة للأسرة التي تضطلع بتأديب فرانسيس . فهاتان السيدتان التابعتان لكنيسة انجلترا كانتا تتآمران معا ، وقد استعانتا بلانى ضد ام مشغوفة وجدتين متنافستين ووطامية من ريف فرنسا وكبير للخدم ، هذا اذا اخرجنا سنتا كلوز ايضا من الاعتبار .

- ٢ -

عيد ميلاد بهيج ، الا انه ليس بالغ البهجة بسبب ظلال الحزن المخيمة على البيت ، فلم يستطع احد ان ينسى المرأتين المحزونتين اللتين بذلتا غاية جهدهما في كبح أساهما وعدم فرض عذابهما على اصداقائهما . الا ان كل انسان كان يعرف فيم تفكران . والحقيقة ان الحزن كان خليقا ان يكون اقل من هذا لو ان فريدى كان قد مات وورى التراب ، لانهما في هذه الحالة على الأقل كانتا ستشعران انه لا يتعذب أما والأمر هكذا وهذا ما يطارد كل فكرة في رأسيهما وهما تقيمتان وحدهما في « اللودج » . وعزيزهما المفقود في مؤخرة رأسيهما باستمرار ، بل في مقدمة رأسيهما في معظم الأحيان ، وهما تشعران بعرقان الجميل بسبب كل ما اسدى اليهما ، الا ان ثمة شيئا تنطلق به نظراتهما وان احتبست به شفاههما . اى لانى اى ايرما ! الا تستطيعان التفكير فى شيء تصنعانه للمسكين فريدى ؟

ان هانس ويبس فى ولايات الغرب الوسطى يقدمان الحفلات الموسيقية بضع مرات كل اسبوع . وقد ارسلنا نقودا بالتلغراف بعد اول حفلة فلم تعد الأم والزوجة بحاجة الى اتفاق نقود ايرما فى شراء طعامهما، وعرضتا استئجار مكان صغير لنفسيهما الا ان بيوتى رفضت لما فى ذلك من مجافاة للركة . وكان هذا رأى ايرما ايضا ولكنها فى سريرتها لم تستطع ان تخمد ما خامرها من تفضيل ذلك لو انها اصرتا عليه ، فهي تشعر

بسحابة رعدية مخيمة فوق المكان ، وتريد من صميمها ان تبعد لاني عن هذه السحابة ، وهي قلقة من جهة ما يدور بذهنه ولا ترى مبررا للتخلي عن كل حياة اجتماعية بسبب مأساة لا يستطيعون تحاشيها . ان ايرما تريد ان تقيم الحفلات الحقيقية التي تترك اثرا اجتماعيا قويا . وهي مستعدة لتقديم المال ثم تقوم بيوتى وفيندرس ببقية العمل وكلتاها سعيدة بذلك لانهما تؤمنان بالحفلات ، فالحفلات هي التي تميز بينك وبين القطيع العام من الناس الذين لا يقدرّون على اعباء الحفلات ، او على الاقل لا يقدرّون على هذا المستوى من الاناقة والبذخ .

ثم هناك ايضا مسألة الطفلين الصغيرين ، فهما متلازمان طول الوقت تقريبا و لاسبيل للحيلولة دون هذا ، فهما يطلبان بذلك وياخذانه مأخذ التسليم ، وعلم دراسة الطفولة في صفهما ، لانه من المستحيل ان تربي طفلا كما ينبغي وهو وحيد ، فالطفل مخلوق اجتماعي بطبعه كما تقول الكتب المعتمدة . فلو لم يكن يوهانس الصغير في متناول اليد لكان من الضروري احضار احد ابناء السماكين من اهل البروفانس او اهل ليجوريا او ما اليها . وايرما لا تجد في روبن الصغير عيبا فهو اسمر كأنه الحلم وهو لطيف ورقيق مثل ابيه : بيد انه يهودى ، وايرما لا تستطيع ان تطمئن الى فكرة اهتمام حبيبته فرانسس بهذا الطفل اليهودى اكثر من اهتمامها بسائر البشر ، بدون استثناء لها شخصا ، وهما بطبيعة الحال صغيران جدا ومن السخافة ان تفرط فى القلق ، الا ان الكتب والخبراء يجمعون على ان هذه هي السن التي تتكون فيها انطباعات لا يزول اثرها ، فهل من الحكمة أن تترك طفلة آربة ينطبع فى ذهنها ان هذا النمط السامى اشد ما يكون فتنة لها على وجه الأرض ؟ واخذت ايرما تتخيل نوعا من القهر او الارغام المأسوى ينمو من هذه البذرة لدى طفلتها فيما يستقبل من العمر .

ووجود هذا الطفل معناه أن شبح فريدى يسيطر على بيانفينى ، فهو يشبه ابيه في المنظر ، والحركات مما يذكر به كل انسان حتى الزائرين والضيوف . وكان الجميع قد سمعوا الشائعات عن تجريد النازى ليوهانس روبن من ثروته وان حفيده هنا لاجيء نزيل ، فالكمل يسألون عنه ثم يشرعون فى الكلام عن الأب ! اين هو ؟ وما تظنون ؟ وماذا انتم صانعون ؟ ان مصير فريدى روبن يطغى على هذا النحو فيحجب اهمية ثروة بارنز ، بل والطفلة التي سترث ثلاثة وعشرين مليونا من الدولارات وبذلك تتحول ضيعة بيانفينى الى مكان مملوء بالاشباح يسوده الجد والكآبة يتحدث فيه الناس عن السياسة ، فلا يشعر من يحبون اللهو انهم فى دارهم . ولم يكن فى نية ايرما بارنز قطعا ان تختار لنفسها مثل هذا الجو !

لم تكن الليدى كايار تشكو من شيء محدد على حد ما استطاع اى طبيب ممن فحصوها ان يعرف ، بيد انها كانت قد رتبت ذهنها تمام الترتيب على انها ستلحق بحبيبها فينى فى عالم الارواح وبالفعل انتقلت « فى شهر يناير » واقامت الجنائز ثم تليت وصيتها فاذا بها قد تركت لصديقتها السيدة برسيفال دنجل ساعة الحائط الكبيرة ذات الطائر المفرد المصنوع من الذهب والعاج ، تذكارا لطيفا لصديقتها « بيردى » (ومعناها العصفور) وانه لتذكر لن يثور حوله نزاع . اما الوسيطة التى كانت قد وعدتها باسم مصانع فيكرز فلم تظهر منها الا بصداع ، لان مديري المؤسسة الضخمة صمموا على حماية حقوق ابن وبنت السير فنسنت وقاموا ببيع بعض الالاعيب فيما يختص بهذه الاسهم ، فعرضوا هذه الاسهم للاستهلاك ، ولما كانت التركة لا تملك المبلغ المطلوب فقد استولت الشركة على الاسهم وحصل الوارثان الشرعيان فى النهاية عليها . وثارت ضجة كبيرة حول هذا الموضوع فى الصحف وسر لاني لان امه وزوجها لم تكن لهما صلة بهذا الموضوع .

ومع اطراد النجاح المسرحى حصلت نيناوريك على سيارة صغيرة ، ولم يكن فى وسع ريك قيادتها بسبب ركبته فكانت زوجته تقودها ، وقام باحضار دنجل الى الريفيرا واقاما مدة ضيفين فى الفيلا واستخدم ريك استديو كيرت القديم للعمل فى مسرحية معادية للنازى مستمدة من الكتاب البنى ومن القصص التى رواها له لاني والمطبوعات التى ظل كيرت وهابيريش يبعثانها اليه على مدى السنين . وقال ريك ان هذه المسرحية يمكن ان تسمى مليودراما لان الانجليزى العادى يابى ان يصدق امكان وجود قوم مثل النازيين او ان امورا من هذا القبيل يمكن ان تحدث فى اوربا فى بداية سنة ١٩٣٤ . وقال ريك فوق هذا ان اخراج المسرحية يترتب عليه توقف لاني عن القيام بدور المناصر الرحالة للهتلريين لانهم سيعرفون بالتأكيد اين كتبت هذه المسرحية .

وسر لاني بوجود صديقه القديم بقربه وهو الشخص الوحيد الذى يستطيع ان يكشفه بما فى قلبه . وكان لاني بعد ادامة التفكير فى معضلة فريدى روبن ليل نهار قد استقر رايه تقريبا على الذهاب الى برلين وطلب مقابلة اخرى مع الجنرال جورنج يضع فيها اوراقه على المائدة قائلا يا صاحب السعادة لقد علمت ان شقيق زوج اختي سجين فى داخاو واحب كثيرا ان اخرجه من المانيا وعندى نحو مائتى الف مارك فى بنك ببرلين حصلت

عليها من بيع لوحات زوج امي ولدى مبلغ مماثل في بنك بنويورك ربحت
من عمولة بيع لوحات الاساتفة القدامى التي حصلت عليها في بلادكم
ويسرنى ان اعيد هذه المبالغ اليك لتستخدمها في دعايتك في مقابل اطلاق
سراح صديقى فقال ريك « ولكنك لا تستطيع ان تصنع شيئا كهذا يالانى
فهو شيء فظيع » فسأله « اتعنى انه لن يأخذ النقود ؟ » فأجابه « ليس
عندى ادنى شك في انه سيأخذها ولكنك بذلك ستكون قد ساعدت قضية
النازى » فقال لانى لا اعتقد انه سيستخدم النقود لهذا الغرض . وانما
ساقول له ذلك لأجعل الامر يبدو محترما فى الظاهر . ولكنه فى الحقيقة
سيستثمر المبالغ المودعة فى نيويورك بأمان حيث هى . واما المبلغ الموجود
فى المانيا فسينفقه على آخر فتاة يصادقها « فرد عليه ريك قائلا « انت
تقول هذا لتجعل الامر يبدو محترما فى نظرك انت ، وانت لا تعرف فيم
سينفق النقود ولن تستطيع الفكك من احتمال مساعدتك فى تقوية الدعاية
النازية . وهذا عمل يضاهاى فى فظاعته فكرتك عن اعطاء جورنج معلومات
عن الرجال العموميين فى بريطانيا وفرنسا » فقال لانى « لن أعطيه
معلومات حقيقية يا ريك ، بل سأخبره فقط بالاشياء المعروفة لامثالنا
فقال ريك « جورنج ليس مغفلا ولن تجعله انت مغفلا . فاما ان تعطيه
شيئا يريد ، او لن تحصل على ما تريد . لقد أوضح لك ذلك تمام
الايضاح ، وهذا هو السبب فى ابقاء فريدى فى داخا ، ان كان موجودا
هناك » فسأله لانى « اتظن انه ينبغى ان اتركه هناك ؟ » فأجابه « ستركه
هناك ما لم تدبر حيلة لاقتحام السجن » فقال لانى وفى هذه الحالة يجب
ان ادفع نقودا يا ريك ولو لسجان » فقال ريك « لن يكون ثمة ضرر فى
اعطاء نقود لسجان لأن المبلغ سيكون صغيرا وسيترتب عليه افساد لنظام
النازى الدقيق . وكل سجين يهرب يساعد فى ذلك الافساد » فقال لانى
« أعتقد اننى أخطأت فى مساعدة يوهانس فى الخروج من المانيا ؟ » فأجابه
ريك « لا اعتقد ان تصرفك ترتب عليه فارق يذكر لان يوهانس كان
سيخضع لمطالبهم على كل حال ، فهو من طراز الرجال الذين يفكرون فى
انفسهم ولا يفكرون فى قضية عامة » فسأله لانى « اما كنت تفعل ذلك
لو كنت مكانى ؟ » فأجابه « من الصعب الاجابة عن هذا السؤال لاننى لم
اعذب من قبل ولا استطيع ان اجزم بما سيكون عليه موقفى من التعذيب
ولكنى اعرف ما كان ينبغى ان افعل معرفة واضحة ، وهو ان اشنق نفسى
فى زنزانتى او افتح شرايبنى اولى من أن ادع جورنج يستولى على عملى
الاجنبية ليستخدمها فى الانفاق على جواسيسه وحشائه . »

وتحدث ريك بما يفيد هذا المعنى الى ام فريدى وزوجته ، فقد كان الوحيد الذى يملك الجرأة على ذلك . تحدث اليهما بلطف وباشفاق على دموعهما . ولكنه اخبرهما ان الوسيلة الوحيدة التى يعرفها لمساعدة فريدى هي ان يكتب مسرحية معادية للنازى ، وطلب اليهما ان تسالا نفسيهما وماذا عسى ان يريد فريدى منهما ان تصنعا . ولم يكن ثمة شك فى الجواب ، لان فريدى اشتراكى مخلص ويفضل الموت على تقديم العون الى اعداء قضيته . وتبينت زوجته ذلك واعترفت به . وتبينته امه ايضا ولكنها لم تستطع ان تحمل نفسها على الاعتراف بذلك . والح ريك قائلا « ضعا هذا الاعتبار . لنفرض ان ما يريده جورنچ من فريدى ان يشى بطائفة من رفاقه . وقد يكون هذا هو الحاصل فعلا . فهل يرضى ان يدفع هذا الثمن لحريته !! » فقالت الزوجة « لن يرضى بذلك طبعاً » فقال « وهذا هو الوضع بعينه بالنسبة للنقود ، فالنازيون بحاجة الى عملة اجنبية ليتمكنوا من شراء الاسلحة او الوسائل التى يصنعون بها الاسلحة . يريدون هذه العملة الاجنبية ليتمكنوا من دفع مرتبات جواسيسهم وعملانهم والمضى فى دغايتهم فى البلاد الاجنبية . ويتمخض هذا فى النهاية عن ازدياد قوة النازية وزيادة العذاب للاشتراكيين وغيرهم . ان الهتلريين لم ينته امرهم ، ولن ينتهى ما عاشوا لان نظامهم يقوم على الافتراس ويزدهر بالعنف ، ويتلاشى بغير ذلك النهج . فلا بد له دائما من مزيد من الضحايا . فان حصلوا على نقود منك استخدموها فى الحصول على مزيد من النقود من سواك . فكل الموارد التى تستطيع الحصول عليها يجب ان تخصص لمحاربتهم ولتفهم الشعوب الاخرى ما هى النازية واى خطر يمثلها هذا على كل ما تعتزان به واعتز انا وفريدى به ايضا » .

تكلم ريك بطلاقة تزيد على ما كان يسمح لنفسه به عادة . والسبب فى ذلك ان هذه العبارات وردت فى احد مناظر مسرحيته ، وهى تدور حول اشخاص عليهم ان يواجهوا قرارا قاسيا من هذا النوع ولم يقل : « هيا بنا نضع كل نقودنا ونجند كل جهودنا لاجراء مسرحية معادية للنازية ثم تستخدم ايراداتها فى انشاء صحيفة تعارض النازى » ولكن هذا ما كان فى ذهنه ، وكانت راحيل تعلم ان زوجها لو استطاع ان يخاطبها لقال لها « ان ريك على حق » .

ولكن امه لم تكن اشتراكية ، فلزمت الصمت وقد رأت ان ريك اقنع راحيل ولانى . بيد ان ما زودها بشيء من الأمل ورود خطاب من يوهانس

يخبرها بقرب ابصاره الى ريو دي جانيرو لانجاز بعض أعمال لمصانع بد
لإنتاج الاسلحة ، وساحصل على المال مرة أخرى وعندئذ ساجد وسيلة
لاخراج فريدي من هناك ، .

- ٥ -

كانت الريفيرا ملومة باللاجئين من المانيا ، بل ان فرنسا كانت
كلها على هدم الحال . وحاول الكثيرون من هؤلاء المنكودين الاتصال
بلائي بد ولكنه كان يخشى حتى من الرد على رسائلهم لانه لم يزل متعلقا
باحتمال قيام جورنج باطلاق سراح فريدي . وان لم يفعل فسيعود لاني
ليبدل جهدا آخر ، ولذا يجب عليه ان يكون حذرا . ومحاولة القيام بدور
الجانوس تجعل المرء حساسا من جهة الجواسيس ، فمن اين له ان يتيقن
بان اي لاجيء يلتبس منه العيون ليس موفدا من قبل جورنج ليختبر
سلوكه ويعرف هل هو شخص يعتمد عليه ام لا ؟

وهذا كله كان على مدام ايرما تماما . ولم تكن تبالي بالسبب ما دام
زوجها بعيدا عن الحمر ومثري المتاعب . وتشاورت مع بيوتى واميلي
وصوفي فتآمرن على ابقائه مشغولا راضيا عن طريق امداده بالموسيقى
والرقص وأنواع الرياضة والأشخاص الذين يجد لذة في التحدث اليهم ،
على ان يقوم جيري بنديلتون والمخلص بب سميث بمصاحبته في صيد
الاسماك . وخير من اعتمدن عليهم الصغيرة فرانس فاشترت ايرما كتابا
في علم نفس الطفل وقرأت فعلا كل حرف فيه كي يتسنى لها ابداء
ملاحظات ذكية تساعد على ابقاء لاني مهتما بما يقدمه له بيته . وجعلت
تتعبه بحبها في الحاح وانتظام ، وكان بطبيعة الحال يدرك دوافعها ويشعر
بالتأثر لها ، بيد انه كان يأخذ « داخا » معه حيثما ذهب . وفي احدى
سهرات اميلي الموسيقية دفعت احدى المعزوفات الحزينة بالدموع الى عينيه .
ثم بدرت من احدى سيدات الطبقة العليا كلمة في تحبيذ النازية فدفعت
بالدم حارا في نفسه وافسدت شهيته للطعمة اللذيذة الفاخرة .

وفي اوائل فبراير وصل روبي الى باريس في رحلة من رحلات
الأعمال ، وخطر لاييرما ان تغيير المنظر قد تكون له فائدة ، وكانت تعلم
ان الأب سوف يؤيد وجهة نظرها فوضعت الحقائق في السيارة ووصلا الى
كريون قبل موعد وصول روبي بليلة . وانه لشيء يستحب ان يرى المرء
رجل الأعمال ذاك سليما متينا وان كان اميل الى الاستدارة بعض الشيء

وردى اللون ، وقد واجه خسارته لمنصب رئاسة الشركة مآخذا سهلا ، وما لا يمكن تداركه فلا بد للمرء من تحمله ، ولذا كان روبى ماضيا فى عمله على ما يرام مع الرئيس الجديد . فهو رجل عصامى حسن الدراية بالاحوال المالية وقد اكتسب احترام الجميع ، ولم يحاول ان يرشد روبى الى كيفية بيع السلع فى اوربا ، بل تقبل رأى روبى فى كفاءات يوهانس روبن . وهكذا مضت الأمور فى مجراها على نحو ما كان فى الايام الماضية

واراد روبى ان يعرف جميع التفاصيل عما حدث فى المانيا . فقد كان من المهم لديه ان يفهم النازيين لانهم كانوا يحاولون الحصول على ائتمان من شركة بد ومن مجموعة البنوك التى تشرف الآن على شركة بد . ولم تكن للاعتبارات الاخلاقية قيمة فى هذه الرغبة الا من حيث ذلتها على قيام الزايخ الثالث بأداء التزاماته فى حينه .

وناقش روبى مع الزوجين الشابين مشكلة فريدى من جميع جهات النظر ثم اقر ما حدث . ولم يقل شيئا بعد ذلك فى حضرة ابنه ، حتى اذا انفرد بايرما ايد رأيها فى ان الحمر والورديين الالمان قد جلبوا هذه المتاعب على انفسهم . ولم يكن قلقا من جهة هتلر ، وقال ان كل ما يجب ان تصنعه بريطانيا وفرنسا هو الوقوف جنبا الى جنب بشبات ثم يتركان النازى يوجهون جهودهم الى احباط التهديد الاحمر فى شرق اوربا ووسطها . وبطبيعة الحال من سوء الحظ ان احد ضحايا هذه المشكلة فريدى ، فيجب ان يساعدوا هذا المسكين ولو لراحة بال الأسرة . ولما كان روبى يفكر عادة فى النقود اولا فقد حدث ان اعتقال فريدى فى « داخاو » سببه ما تملكه ايرما من اسهم وسندات والشائعات دائما تضاعف ثروة أى غنى ثلاث مرات او اربعا ، وفى بعض الاحيان عشرا او عشرين، ولاشك فى ان الجنرال البدين يتوقع الحصول على ملايين كثيرة فدية لفريدى . وقال روبن انه مستعد شخصا ان يعرض توجهه الى المانيا ليرى ماذا يمكن عمله ، ولكنه لا يرضى ان يرى ايرما تسلب وتنهب اموالها ، ولذا فالأفضل ان ينتظروا الى ان يكشف جورنج عن اهدافه ان كان مزما ان يكشف عنها . وقدرت ايرما منه هذا الموقف وتساءلت لماذا لا يستطيع لاني ان يكون معقولا على هذا النحو .

وقال روبى ان ثمة شيئا واحدا يعجز عن فهمه وهو عدم تلقيهم سطرأ واحدا بخط فريدى فى مدة تزيد على ثمانية اشهر ، فمن المؤكد ان أى سجين لا بد أن يسمح له بالاتصال باقاربه فى وقت ما ! وقال له لاني انه علم من قائد معسكر داخاو ان النزلاء مسموح لهم بكتابة أسطر قليلة مرة فى الاسبوع الى اقرب اقاربهم ، ولكن هذا الامتياز لا يسرى مفعوله

فى حالات خاصة • فقال روبى • وحتى على هذا الاساس لا بد ان توجد وسائل لتهريب الرسائل • ولا بد بالتاكيد من وجود سجناء يفرج عنهم بين الحين والحين • فلا بد ان يحصل احدهم على عنوانك ويرسل اليك كلمة عن الموقف • ويخيل الى ان فريدى ربما يكون قد مات • ولكنى لا استطيع ان اصارح بذلك آل روبن •

- ٦ -

كانت الاوقات العصيبة تشر فى فرنسا ما اثرته من قبل فى المانيا ، فاذا بقدر السياسة يشتد غليانه محدثا ارتياكات قذرة ، وظهرت فى الوجود قضية ستافسكى ومحورها نصاب من اصل روسى يهودى • وقالت ايرما • اسوا ما فى الامر انه يهودى ! ، فلم يرد لانى هل قالت ذلك على سبيل العطف او على سبيل التهمك • وكان • أليكس الوسيم • كما يسمونه قد ارتكب سلسلة من الاحتيال المالىة الواحدة منها بعد الاخرى وكانت ذروتها عملية ضخمة اشبه بالابورا كوميك فقد روج كمية هائلة من السندات لدى مؤسسات الرهونات بمدينة بايون ! وبلغ جملة ما سرقه من الجمهور الفرنسى نحو بليون فرنك • ثم اكتشف انه اتهم بالنصب قبل ذلك بشمانى سنوات او تسع ، ونجح فى تأجيل المحاكمة لا اقل من تسع عشرة مرة ، وهذا يعنى قطعاً وجود تواطؤ مع الشرطة ورجال السياسة ، فاما انه كان يرشوهم بالمال او كان فى وضع يسمح له بارغامهم وتهديدهم • ولما قرأ روبى التفصيلات قال انها تشبه بالضبط ما يحدث فى شيكاغو او فيلادلفيا • وكان ستافسكى قد اختفى مع عشيقته فلما جاء الشرطة للقبض عليه اطلق الرصاص على نفسه • او هذا على الاقل ما قالته الشرطة الا ان القرائن كانت تدل على ان رجال الشرطة هم الذين أخرجوه بقتله • وصحف باريس - وهى اشد صحف العالم فسادا - كانت تنشر كل يوم ما تصل اليه مضروباً فى عشرين ضعفا • وهناك فريقان من مصلحتهما استغلال هذه الفضائح ، أولهما فريق احزاب اقصى اليمين وهم الملكيون والفاشيون الذين يريدون القضاء على الجمهورية واقامة نظامهم الدكتاتورى • والفريق الآخر هم الشيوعيون الذين يريدون دكتاتورية من نوع مختلف • وهكذا التقى النقيضان رغم ما بينهما من عداوة قاتلة ليحاربا معا نظام الحكم البرلمانى •

ولم يكن فى وسع لانى ان يزور خاله الاحمر ، ولكنه دعا دنيس دى بروين للعشاء ، واستمع الى آل بد الثلاثة الى القصة من وجهة النظر الوطنية الفرنسية • والموقف فى اسرة روبن شبيه شبيهاً بالموقف

بين روبي ولديه • فدنيس ينتمى الى حزب محترم يؤيد القانون والنظام • وقد ساءه ان يرى ابنه الاصغر ينضم الى الصليب النازى ، وهو انشط الجماعات الفاشية الفرنسية • وشارلو الآن بعيد عن البيت فى مكان ما مع رفاقه يتآمرون على التغلب على الشرطة والاستيلاء على ازمة البلاد • ومن الممكن فى أية لحظة ان يخرج مع منظمته الى الشوارع ويحدث تبادل اطلاق النار بين الفريقين ولم يستطع الأب المنكود ان يستمتع بعشائه وطلب من لاني ان يبحث عن الفتى المجنون ويحاول رده الى الصواب • وهذه هى الواجبات التى تتورط فيها لانك اخترت سيئة فرنسية جميلة لتصادقها !

وقال لاني لا ، فهو قد جرب التأثير على الشابين وفشل • وهو الآن قد اعتزل السياسة بعد ان وعد زوجته بذلك • وأصفى لأعمق الاسرار الداخلية للجمهورية الفرنسية مستقاة من مصادرها المباشرة • فعرف شيئا عن دلاديه ابن الحياز الذى أصبح رئيسا للوزارة ، وهو رابع رئيس فى مدى سنة وعرف الجهات التى ساعدته ماليا فى شق طريقه ومن هى السيدة النبيلة التى أصبحت عشيقته • وعرف شيئا عن شاب مدير شرطة باريس وهو كورسيكى • معروف باسم نابليون الصغير • فهو لا يزيد طوله عن ١٥٧ سنتى مترا ، وقد فصل اخيرا من الخدمة لصداقته الحميمة جدا بستانفسكى ، وكان ايضا على صلة بجميع الاوغاد الكبار ومبتزى الاموال بالتهديد والمتجنسين المنحدرين من اصل يهودى فى فرنسا ، وكان يفضى باسرارهم الى زوج ابنته الذى يصدر احدى الصحف الصفراء الكبرى فى باريس •

ولاحظ لاني ان الافراد الذين يشيرون غضب دنيس دى بروير واشتمزازاه هم المتسلقون الذين يناضلون فى سبيل الثراء والسلطة من غير ان يكون لهم فيها حق مشروع • ولكنه قلما يجد عيبا جديا فى • جدار الذهب • الذى يتكون من اعضاء مائتى اسرة احرزت الثراء والسلطة منذ زمن طويل • وصار عليهم ان يدفعوا مبالغ طائلة من المال فى هذه الايام السيئة • ومصدر شكوى • دنيس ، ليس الفساد بل الثمن المتزايد له • فالساسة يطلبون اكتاب اكبر للمحارك والحملات وفى الوقت نفسه يزدون الضرائب • وفكروا على سبيل الاقتصاد ان يخفضوا مرتبات الموظفين المدنيين وقد اكتشف دنيس ان ذلك يضر بمصلحة سيارات الاجرة • وأسوأ من هذا فان سائقى سيارات الاجرة اعلنوا الاضراب ! وأصفى روبي بعطف حتى اذ فرغ صديقه من الانحاء على دلاديه ، صب روبي جام غضبه على روزفلت •

وفى اليوم التالى رافق لاني زوجته الى معرض ازياء الصنيف ، ولم يكن معرضا علنيا عاما بل كان لأهل الصناعة فحسب تعرض فيه النماذج الجديدة التى ينوى الصناع انتاجها قريبا . وقد وجهت الدعوة كنوع من التكريم الخاص الى ايرما من فنان الازياء الذى تعهد اليه بمصيرها الاجتماعى . وذهب معها لاني لانها ما دامت تجتهد فى الاهتمام بأموره فمن الانصاف ان يعاملها بالمثل ، وجلسا فى بهو به عدد كبير من النخيل المغروس فى آنية يحدقان فى منصة طويلة من خلفها ستائر زرقاء داكنة . وعلى امتداد هذا المنبر الطويل تهادت شابلات حسان أنيقات مرتديات ازياء الصيف التى تفوح منها نكهة يابانية قوية ، أو لعلها نضة يابانية ، أو جوها ، فقد كان الصحفيون يتلمسون الاستعارة المناسبة والأزوار مصنوعة من الخيزران والقبعات أشبه بما يرتديه الخدم الهنود ، وأثواب السيدات لها ذبول كالمراوح تشبه السمك اليابانى الذهبى ، وثياب بعد الظهر مقصوفة الأكمام مثل الكيمونو ، ودثارات المساء ذات رسوم تشبه الأزهار اليابانية .

وبين الضيوف المحظوظين فى هذا العرض صديقة قديمة من صديقات لاني هى أوليفى هلشتاين التى صارت الآن السيدة دى بروساى ، وهى يهودية حسنة كانت اميل قد اختارتها لتكون عروسا ملائمة للانى منذ ثمانى سنوات تقريبا . أما الآن فلدى أوليفى ثلاثة أطفال أو أربعة وقد أصبحت النمط الذى يسمونه « الأمومة » لأنها كلمة أرق من امتلاء القامة . فالألفاظ ذات المدلول غير المستحب تتغير عادة فى المجتمع الراقى حيث يجتهد الناس ألا يجرحوا شعور بعضهم البعض . وأوليفى امرأة من نوع ايرما تميل الى سمره مع حمرة شديدة ، ومزاجها أقرب الى الرزانة ، وأسلوبها رصين فى الحركات والسلوك وقد تبادلتا الزيارات والأحاديث بما أَرْضَى فضولهما . وهما الآن تتحدثان عن اضطرابهما لارتداء ازياء صيفية ذات مسحة يابانية قوية ، أو لعلها نضة يابانية أو جو فقط . فهما بطبيعة الحال لا يمكن أن يخطر لهما التمرد على ما قرره مبتكر الازياء . وأراد لاني أن يكون مهذبا فقال : « كنا نتحدث عن أسرتك بالأمس مساء ، فسوف يجتمع والدى بوالدك » فسألته أوليفى : « بخصوص العمل ؟ » فأجاب : « أبى سيحاول اقناع أبيك انه يستطيع تسليم معدات للسكة الحديدية فى برست بثمان أقل من تكاليف صنعها فى فرنسا ، فأجابت الأم الشاببة : « سيكون من المستحب أن يتشاركنا فى الأعمال ، لأن أبى

يكن اعجابا عظيما لوسائل الانتاج الامريكية ويتمنى لو تم استيراد هذه الوسائل الى فرنسا .

وكان بيير هلشتاين مديرا في سكة حديد الشمال ويسيطر على بنك من اكبر بنوك فرنسا . وكان روبى قد سال دنيس عنه وتناقشا في امر هذه الاسرة اليهودية الثرية الواسعة الانتشار في اوربا ، كما ناقشا مركز سكة الحديد الذي يقال انه مضطجع ومثقل بالسندات ولكن آل هلشتاين غير قلقين لان الحكومة تغطي العجز . وقد اثير انتقاد لهذه السياسة في مجلس النواب وقيل ان الجمهورية الفرنسية تتعرض للافلاس في سبيل حماية حملة سندات سكة الحديد . وكان دنيس بروين يملك جانبا من هذه السندات فاستاء من هذه الانتقادات واعتبرها غير منطقية على احساس بالمسئولية وديماجوجية . اما اوليفى الجميلة الهادئة الرائعة في معطفها الطويل المصنوع من فراء السمور ، فكانت دليلا كاملا على الحكمة المقصودة في ضمان دخول كبيرة بعدد صغير مختار من الافراد كي يتسنى لهم حضور معارض الازياء وتنصيب أنفسهم نماذج للاناقة والترف .

- ٨ -

وقالت اليهودية فجأة : « بهذه المناسبة ، لقد قيل لي انك كنت في المانيا منذ وقت غير طويل » فاجاب لاني : « قبل عيد الميلاد مباشرة » فقالت : « اتمنى ان تحدثني عن المانيا .. فلا بد ان الحالة هناك فظيعة » فاجابها : « من بعض الوجوه ، وبالنسبة لبعض الناس . اما الآخرون فلا يكادون يلحظون شيئا » فقالت اوليفى وهي تخفض صوتها : « اوه يا مستر بد .. هل اقول لك شيئا بحيث لا يتعدانا ؟ الحقيقة انه ليس حفروضا ان اتكلم في الموضوع ولكننا جميعا قلقون جدا » فقال لاني : « ثقي اننى وزوجتى سنحترم شرك يا سيدتى » فقالت : « لقد سمعنا منذ قليل ان النازي قبضوا على عم سليمان .. لعلك تعرفه ؟ » فقال : « لقد حظيت بمقابلته في بيت يوهانس روبن . ثم اننى احد المودعين لديه في برلين » فقالت : « لقد لفقوا ضده تهمة اخراج الاموال من المانيا . وانت تعرف طبعا ان صاحب البنك لا يمكن ان يستغنى عن ذلك ، ولا سيما اذا كان من اسرة كاسرتنا تمارس الأعمال في النمسا وتشيكوسلوفاكيا ورومانيا وبلاد اخرى كثيرة فقال : « طبعا ياسيدتى » فقالت : « اننا نسمع أشنع الحكايات .. والحقيقة ان هذا شيء مضمّن » فقال : « يؤسفنى ان أقول ان الكثير من هذه الحكايات صحيح .. ويقولون ان مثل هذه الأمور

تحدث في الانقلابات الاجتماعية العنيفة ولكننى اشك في أن النازى يمكن أن يصيبوا رجلا مثل عمك بأذى بدنى ، والأقرب الى الاحتمال أن يفرضوا عليه غرامة كبيرة جدا » فقالت : « هذا شيء مذهل للغاية يا سيد بد .. والحقيقة ان أبى ليس واثقا بأنه من المأمون ذهابه الى ألمانيا لاستقصاء الأمر » فقال لانى : « سادلى باقتراح ياسيدتى ان لم يكن لديك مانع ؟ » فقالت : « هذا ما كنت أمل فيه » فقال : « وأرجو منك أن تعتبرى ما ساقوله سرا ، كما طلبت منى ان اعتبر ماقلته سرا .. أخبرى به أباك وأمك ، ولكن لاتخبرى أحد أسوأهما فقالت : « بالتاكيد يا سيد بد » فقال : « اقترح ان يرسل أحدنا لمقابلة الجنرال جورنج فهو ذو نفوذ عظيم ويبدو انه يفهم هذه الأمور » فهتفت أوليفى هلشتاين : « شكرا لك انا مسرورة لانى فكرت فى ان أسالك » وقالت ايرما : « ارسلو شخصا محترما مهيب المنظر وقولو له ان يرتدى أفضل الثياب والاینسى شيئا من ألقاب الجنرال رئيس الوزارة البروسية » .

- ٩ -

وقياما بالواجب نحو ذكرى مارى دى بروين بذل لانى مجهودا لمقابلة ابنها الأصغر ولكنه وجد ذلك مستحيلا ، فشارلو مجتمع في مكان ما بزعماء جماعته واستفسارات الغرباء لا تلقى ترحيبا . ويوم الثلاثاء السادس من فبراير كان محمدا كى يكون الليلة العظيمة التى تخرج فيها جميع منظمات اليمين فى فرنسا للتظاهر ضد الحكومة . وأوامر الزحف نشرت فى جميع صحف المعارضة تحت شعار « فليسقط اللصوص ! » وعند الفسق سيبرز شارلو من مكانه مرتديا فوق ذراعه شريطا مثلث الألوان عليه هذه الحروف أ . ص . ن ومعناها ابن الصليب النارى . وسينشر المارسييز ، وهو ظاهرة عجيبة لانه كان نشيد المعركة فى ثورة ثم صار نشيد الثورة على تلك الثورة ! وفيما بين الانشاد سيصبح شارلو وجماعته من الشبان الوطنيين بكلمة « الاستقالة ! » طالبين سقوط حكومة دلاديه وإذا كانوا أقل تهذيبا صاحوا : « الى الوتد يا دلاديه ! » معربين عن رغبتهم فى شدة الى الوتد لاحرقه حيا .

وقاد لانى السيارة وفيها زوجته الى مجلس النواب من مسالك دائرية ملتفة لان قنطرة الكونكورد كانت مسدودة برجال الشرطة . وظل الزوجان جالسین فى شرفة الجمهور يصغيان لضجيج ذكر لانى بما كان قد سمعه فى قاعة سوق الأسهم فى بورصة الأوراق المالية عندما بلغ الذعر لذروته .

وعجز دلاديه عن الخطابة ، وكان أعداؤه السياسيون يصيحون في وجهه بأقذع السباب الذى تتضمنه اللغة الفرنسية الغنية بهذه الألفاظ ، فى حين كان الشيوعيون ينشدون النشيد العالمى « الانترناسيونال » .

ولما صار المشهد متشابها رتبيا خرج الأمريكان لالقاء نظرة على الشوارع فلم يستطيعوا أن يشهدوا الشيء الكثير من السيارة خوفا من احتباسها وسط مشاجرة أو معركة ، وقررا أن أفضل مكان يشاهدان منه مظاهرة باريسية هو نوافذ جناحهما بالفندق . وكان روبى الحضيف فى حجراته هناك يتحدث فى العمل مع رئيس مؤسسة فرنسية للبناء يشتري المصاعد فى بعض الأحيان . ووقف الزوجان الشابان فى شرفة حجرة جلوسهما التى تطل على ميدان الكونكورد العظيم وقد أضىء أضواء باهرة وفى وسطه مسلة فرعونية سلطت عليها الأضواء الكشافة وعبر الميدان مباشرة ! قنطرة فوق السين تفضى الى قصر بوربون حيث يجتمع النواب ، وهو بناء على الطراز الرومانى ذو أعمدة كثيرة عالية شديدة اللعنان .

ولابد ان الميدان كان به مائة ألف شخص ، يتدفق عليهم المزيد من جميع الشوارع ، وكانوا يحاولون عبور القنطرة بيد ان الشرطة وكتائب الجند سدوها بسيارات الدورية الكبيرة . وشرع الفوغاء يقذفون الشرطة بما تصل اليه أيديهم ، وسرعان ما نشبت معركة حامية استمر فيها الهجوم والهجوم المضاد معظم الليل . لقد كان الفاشيون يقذفون بكل شيء يستطيعون الوصول اليه فانتزعوا الأحجار من أرصفة الشوارع وأرضيتها ، وانتزعوا السقالات من السفارة الأمريكية التى كان يجرى ترميمها . وأسوار حدائق التويلرى زودتهم بقذائف حديدية على شكل الحراب الاسترالية القديمة من المستحيل رؤيتها فى الظلام . وعندما حاول الحرس الجمهورى الراكب أن يبعدهم عن القنطرة هاجمين على المتظاهرين ليضربوهم بعرض السيف ، قابل الفوغاء الهجوم بالعصى التى ثبتوا فى أطرافها أمواس الخلاقة كى يبقروا بها بطون الجياد وفى الهجمات المتوالية تباعا عطلوا عددا كبيرا من الشرطة والحرس الجمهورى حتى أوشكوا بالفعل أن يعبروا القنطرة الى مجلس النواب .

وأخيرا بدأ إطلاق النار ، وتحطمت مصابيح الشوارع وأطفئت الأنوار الكشافة المسلطة على المسلة فلم يعد مستطاعا أن يريا الشيء الكثير وكانت سيارة عامة قد قلبت واشتعلت فيها النيران قرب القنطرة الا ان ذلك الحريق تصاعد منه دخان حجب الضوء وسرعان ما أمت النار على السيارة كلها وكان آخر ما رآه لانى فصيلة من فرسان السباهى وهم فرسان

افريقيون فى ازياء الصحراء البيضاء أشبه بجماعة الكوكلوكس ينهايون
الشانزليزية بخيولهم ويدوسون الغوغاء بسنابكهم وتصاعدت صرخات
تحت شرفة ايرما ولانى مباشرة فقد أصيبت احدى خادماى الفندق
برصاصة قتلها وهى تطل من شرفة أسفلهما ، فأسرع النزلاء يتدافعون
الى الدخول وقد قرروا انهم راوا ما فيه الكفاية من حرب الطبقات فى
فرنسا .

وسألت ايرما زوجها : « اتظنهم سيهاجمون الفندق ؟ » ولكن لانى
أكد لها ان هؤلاء الرعاع من النوع المحترم وانهم لا يقصدون بعدائهم الا
الساسة واويا الى فراشهما .

- ١٠ -

اطلقوا على يوم الثلاثاء ذلك « الثلاثاء الدامى » وشرعت الصحف
الفاشية تصويره بصورة انقلاب حانة البيرة : الفرنسى « ومن ذلك اليوم لم
تطلق هذه الصحف على دلادبية اسما سوى اسم القاتل » وأخذوا يصيحون
مطالبين باستقالته وقبل نهاية اليوم التالى ظفروا بها ، وسرى التهامس
بأنه لم يعد فى استطاعته الاعتماد على الشرطة والحرس الجمهورى فقد كان
من هؤلاء فى المستشفى أكثر من مائتين فبدأ الامر وكأنه ثورة فى طريقها
الى الانفجار ، فالتحطيم قد شمل جميع أنحاء باريس وأحرق جانب من
وزارة البحرية وأصيب شارلو بضربة سوط على جبينه وسيظل ما عاش
يحمل أثرها بزهو ، ويقول مشيرا الى موقعة القنطرة « أصبت بهذا يوم
الكونكورد » فتغدو الكلمة شعارا له وربما كانت يوما ما كلمة السر الى
السلطة .

وفى مساء الأربعاء كانت الحالة أسوأ ، لان الشرطة كانت حالتهم
المعنوية منحطة فظهر الأوباش والختالة وحطموا واجهات المتاجر فى شارع
ريفولى وغيره من الشوارع الراقية ونهبوا كل ما وقع عليه بصرهم فلم يكن
الوقت مستحبا لزوار باريس ولما كان روى مزمعا ان يذهب الى أمستردام
لانجاز اعماله فقد استقلت ايرما ولانى سيارتهما وأسرعوا الى دارهما .
ولكن لا سبيل الى الابتعاد عن حرب الطبقات فى فرنسا . فقد نظمت
شتى الجماعات الرجعية فى أنحاء جنوب وسط فرنسا ، وكانوا قد تلقوا
ايضا اوامر الزحف وظفروا بعطف جاليات أجنبية كثيرة متباينة ترحب
بأى شىء يكسر شوكة الحمر . وقال ريك بعد أن سمع القصة من فم لانى
ان الوطن الفرنسى لا ينتظر الا شيئا واحدا هو الزعيم الذى تتوفر لديه
الحصافة لكسب « الرجل الصغير » فجميع الطوائف الفاشية حتى الآن

رجعية بصورة واضحة ،ولابد من برنامج يسارى لكسب الموقف . واعرب
لانى عن اعتقاده بأن رجل الشارع الفرنسى أحصف من الالماني ، فليس
من السهل خداعه .

واستونفت الحياة فى بيانفينى ، فريك يعمل فى مسرحيته ولانى
يطالع المخطوط ويشجعه ويمده باللون المحلى . وفى خلوة مخدعهما قالت
ايرما : الواقع انك شريك فى التأليف وينبغى ان يذكر اسمك ، وتعجبت
لماذا لم يكتب لانى قط مسرحية مستقلا بنفسه واستقر لديها ان ما يفترق
اليه لانى هو دفعة من تأكيد الذات والانية القوية التى تؤمن بانها لازمة
لخير البشرية . وهذه الانية القوية تتوفر للخال جيسى ولكيرت ولريك .
وقد حاولت بيوتى عبثا أن توقظهما فى ابنها والآن تحاول ايرما دون
توفيق . فكل ما استطاعت ان تظفر به منه : ريك يستطيع ان يكتبها
خيرا منى ، .

وكانت ايرما قد شرعت تستاء قليلا من هذا الانجليزى الاعرج ،
فهى قد شفت لانى الى درجة كبيرة من ورديته ، بيد أن ريك يؤجج الآن
كوا من الجمر ويذكى النار . وحدثت سلسلة رهيبة من الامور فى
النمسا ، ويبدو أن الفاشية تزمع أن تنتشر من قطر الى قطر الى ان تشمل
أوربا كلها فقد كان للنمسا مستشار كاثوليكي اسمه دلفوس ، وجيش
كاثوليكي وجيش الدفاع القومى المكون أساسا من فتيان الفلاحين ويقوده
أمير شاب داعر . وهذه الحكومة تزج فى السجون أو تخرج من البلاد
الهيتريين ، الا أنها بمساعدة موسولينى كانت تتخذ لونها الخاص من
الفاشية ، والآن شرعت هذه الحكومة فى القضاء على الحركة الاشتراكية
فى مدينة فيينا . فبيوت العمال الجميلة وهى عمارات سكنية ضخمة كان
لانى قد تفقدها بسرور عظيم ، جاء جيش الدفاع القومى بمدفعيته الآلية
ونسفها حتى صارت انقاضا وقتل بذلك العمل نحو ألف من الرجال
والنساء والاطفال . وأسوأ من هذا انهم قتلوا حركة العمال التى اشترك
فى بنائها جيلان منهم . فياله من عهد رهيب ذلك الذى يعيش فيه المرء .
ولم يعد فى استطاعة لانى أو ريك أن يأكلا أو يناما تقريبا ، بل هما
حزينان يطيلان التفكير فى مأساة الزمن الذى كتب عليهما أن يولدا فيه
والواقع ان العمل فى سبيل أى غرض طيب بدا عقيما ، ولا جدوى من أن
يعلم المرء بالسلام والنظام أو العدل ، أو حتى الرحمة . ان هذه المذابح
العشوائية للعمال تقترب باسم المسيح الوديع المتواضع وهو الفقير الذى
كان نائرا اجتماعيا حاكموه وأدانوه لانه يثير الجماهير والذى أمر بهذه
الجريمة رئيس وزراء كاثوليكي تقى، والذين اقترفوها ضباط كاثوليكيون

أتقياء ، حضروا قداسا قبل الجريمة وبعدها . وليست هذه هي أول مرة
ولا آخر مرة في أوربا المنكودة . فقد ذكر ريك صديقه بذلك الكاردينال
في فرنسا الذى أمر بمذبحة القديس برتليمى قائلا اقتلوهم جميعا .
فألم لم يتمكن بذلك من اصطفاء مسيحييه الحقيقيين »

- ١١ -

أقبل الجو الحار الى الريفييرا فغادرها من كانت تعتبرهم ايرما أشخاصا
هامين أما الفقراء مثل آل روبى فيبقون فيها ويتعلمون نوم القيلولة . ولكن
نينا وريك عادا الى انجلترا ، واميل شترزورت نقلت خدمتها الى «ليه فوريه»
ودعت ايرما ولانى لزيارتها ومشاهدة صالون الربيع والمسرحيات الجديدة .
وكانت هذه فكرة ايرما كى يظل تفكير زوجها بعيدا عن متاعب العالم
وذهب الى هناك وبعد ان لهوا أسبوعين تلقت ايرما خطابا من أمها ترحوها
القدوم الى شور أكرز واحضار الطفلة فرانس لقضاء الصيف . وانها لجريمة
حقا ان يكون لديها هذا المكان الفاخر ولا تستخدمه اطلاقا ، ثم انه من
الفين الفاحش ان تحظى احدى الجدتين بحبيبة قلبها وطول الوقت ولا تحظى
الاخرى بها مطلقا وكتبت الملكة الام تقول : « ولا أعتقد ان بيوتى يقارب
حبها للطفلة حبنى انا وهى عبارة أسقطتها ايرما عندما قرأت الخطاب بصوت
مرتفع .

وتحدث الزوجان فى هذه المشكلة ، فاييرما غير مستريحة الى أخذ
عزيرتها الغالية الى هناك على ظهر باخرة فهى لم تتخلص بعد من ذكريات
اختطاف ابن لندبريج وفى اعتقادها ان عابرة المحيط مكان مثالى لعصابة
من المجرمين تدرس عادات طفلة سترث ثلاثة وعشرين مليونا من الدولارات
كما تدرس بطانتها التى تصحبها فمن الافضل قضاء الصيف فى بلاد
انجلترا الحضر اللطيفة التى لا يوجد بها خطافون ولتقم أمها بتحدى أمواج
المحيط . ولم تكن ايرما قد انفقت مالا يذكر فى العام الماضى . والآن أخذت
فوائد السندات تدفع وهناك أمل فى الحصول على حصص من الاسهم ،
فقالت : « هيا بنا نتجول بالسيارة فى أنحاء انجلترا على نحو ما صنعنا
فى شهر العسل وسنرى هل يمكن العثور على مكان مناسب نستأجره » .

وليس هنا ما هو أبهج من استعادة حياة الانسان منا لاحداث شهر
العسل ، ان كان قد استطاع أن يستبقى شيئا من احساسات شهر العسل
حية بعد خمس سنين . وقالت : الزوجة الشاببة « ان فى انجلترا كثيرا
من الاشخاص الظرفاء المحترمين » ووافقها لانى وان كان حريا ألا يذكر

تحت هذا الوصف أسماء من يمكن ان تذكرهم هي . وكان يعلم ان مسرحية ريك قاربت التمام ، فأراد ان يدلي باقتراحات عن الفصل الاخير . وبعد ذلك تبقى مسألة عرضها على مديري المسارح ، ولانى يحب أن يسمع انباء ذلك . وقد يكون من الضروري اعداد المال اللازم ولن يكون هذا سهلا فهي مسرحية متجهمة عنيفة مرة كعصارة الصفراء وحرية أن تصدم السيدات الراقيات . ولكن لانى كان ينوى ان يخصص لذلك كل المال الذى ربحه فى ألمانيا ان اقتضى الامر ولا يريد ازعاج ايرما فى هذا الصدد وهما يتبعان خطة حفظ السلام بينهما بتناولات متبادلة وبمقادير متساوية .

وعبرا المانش ونزلا فى فندق دورشتر . ولما أعلنت الصحف وصولهما كمعادتها دائما كان من أوائل الاشخاص الذين اتصلوا بهما تليفونيا لورد ويكتورب « هلا اتيتما لقضاء عطلة آخر الأسبوع » فأجابه لانى « طبعا ونحن نبحث عن مكان صغير نستأجره هذا الصيف . فلعلك تقدم الينا النصح فى هذا » وهو حين قال كلمة « صغير » انما رمى الى حسن التعبير ، ولكن المقصود بطبيعة الحال الا يكون المكان صغيرا حقا . ورد فخامة اللورد « هناك مكان قريب ساريكما اياه ان لم يكن لديكما حانح » فقال لانى : « وهو كذلك مستخدما فى ذلك اللهجة الانجليزية . ولما نقل الحديث الى ايرما قالت باللهجة الامريكية « يالللجيم ! ترى هل أحواض الاستحمام هناك من الصفيح ؟

- ١٢ -

ولكن أحواض الاستحمام لم تكن من الصفيح فهي فيلا عصرية بها ثلاثة حمامات وكثير من الضوء والهواء وأرض مزروعة بالعشب من ذلك الطراز الانجليزى الناعم كانه مائدة البلياردو وتستخدم هذه الأرض المعشبة لممارسة الألعاب ويحيط بالمكان سياج مرتفع من النباتات وكل شيء هناك بديع وتشغل هذه الفيلا عمه ويكتورب التى ستفادها فى رحلة بحرية صيفية مع نفر من الأصدقاء . وبها مجموعة من الخدم الحسنى التدريب يمكن استبقاؤهم اذا طلب لهم ذلك . وهتفت الوارثة : « أظن هذا المكان مدهشا » ودفعت الثمن المحدد لوكيل أعمال فخامة اللورد فى ذلك اليوم نفسه ووافقت العمه على مبارحة الفيلا واعداد كل شيء فى نهاية الأسبوع التالى وأيرقت ايرما الى أمها وكتبت الى كيب سميث وفيدرس لاعداد كل شيء واحضار الطفلة والأنسة سيفرن والخادمة فى

تاريخ معين . وسيتولى جيري بندلتون امر تذاكر السفر ، وسيكون بد مسئولا عن الرحلة لان فيلدرس طائشة العقل .

وهكذا صار هناك بيت جديد كل شيء فيه مريح دون عناء سوى كتابة عدد من الشيكات واصدار قليل من الاوامر . والجو بديع والناس بديعون وهناك ملعب تنس ويوجد دائما من يشترك في اللعب وهناك بيانو جيد وأناس يحبون الموسيقى والفيللا على قيد دقائق قليلة بالسيارة من القلعة القديمة حيث يعامل لاني وزوجته كأنهم من افراد الاسرة فيستدعيان على عجل لمقابلة هذا أو ذاك . ومرة أخرى سمع لاني رجال السياسة يناقشون مشكلات العالم . ومرة أخرى استمعوا الى ما يحدثهم به عن الحركة الجديدة الغربية الرهيبة في ألمانيا وعن جهودها للانتشار في البلاد المجاورة وتحديث الانجليز من ذوى المكانة والسلطان عن شئون امبراطوريتهم وقالوا ما يمكن أن يصنعوا اذا طرأ هذا الامر أو ذاك وبين الحين والحين كان لاني يلقي نفسه يفكر « ماذا عسى أن يدفع جورنج في هذا ! » .

وكان زلطان في باريس فحضر الآن الى لندن حيث الموسم الذى تقام فيه المعارض وتسنع الفرص للبيع . وخير الفنون كان صاحب مهنة أخرى يجب أن يصفى للخط المجتمع الذى يعيش فيه وهو مجتمع يدخله اشخاص جدد ويخرج منه اشخاص قدامى ، وتتقلب فيه الأسعار كتقلبها في سوق الأوراق المالية بالضبط . ولم تزل للانى وشريكه اموال في بلاد النازى ، ولديهما قوائم باللوحات التى يمكن الحصول عليها من تلك البلاد وعن هذا الطريق يتوقعان اخراج اموالهما . وهناك أيضا مسرح لندن حيث يذهب ريك معهم لمشاهدة المسرحيات ويقص عليهما أبناء العالم . وهناك المجتمع الوجيه الصاخب الذى لا نهاية لرقصاته وحفلاته . وصناع الازياء وغيرهم يطالبون بامداد ايرما بالاثواب التى توافق مكانتها ، ويحضرون هذه الاثواب الى الريف لتراها أى ساعة بالليل أو النهار تختارها .

ومارجى بيترز الطيبة العجوز وهى ليدى ايفرشام وطسن الوالدة كانت قد فتحت بيتها بالمدينة فرجت الزوجين الشابين أن يجعلاه مركز قيادتهما العامة كلما حضرا الى المدينة ، وأبرقت الى بيوتى وصوفى لتحضرا زوجيهما فيأتون جميعا ليحظوا معا باقامة بهيجة على الطراز القديم . ولما حضرت السيدة بالز أنزلت فى ذلك البيت أيضا ، فهذه هى العادة المتبعة فى كنتوكى ولم تزل مارجى تلقب نفسها ابنة بلاد العشب الأزرق حتى وهى فى سن الخامسة والخمسين .

وهكذا صار الحال شبيهاً بالحال في بيانفيني في ذروة الشتاء .
وما أكثر الأشياء الجميلة حتى ان المرء يجد صعوبة في الاختيار ، فيندفع
من حدث اجتماعي الى الذي يليه ولا يكاد يتسع أمامه الوقت للالتقاط
أنفاسه . وصار من العسير جداً على لاني أن يجد وقتاً للتفكير في مصير
العالم ، وهذا ما رمت اليه زوجته ورأت خطتها نجحت فأسعدها ذلك
واعترزت بفطنتها الى أن وصلاً ظهر يوم سبت الى فيلتهما لقضاء نهاية
الأسبوع فوجد لاني برقية من بيانفيني بتوقيع راحيل نصها : « خطاب
من كلارينيت في الوضع الذي زرتة .. الظروف عصيبة جداً وهو يتضرع
طالباً العون .. التفصيلات بالبريد .

**** معرفتي ****

www.ibtesama.com

منتديات مجلة الإبتسامة

(الفصل السادس والعشرون)

« خارج هذا السور الشائك يكمن الخطر »

- ٩ -

بدأت المحاولة بمجرد أن تلت إيرما البرقية واتضح لديها معناها فقد كانت تعرف بالضبط ما سيدور بذهن زوجها ، وهو ما لبثت تفكر فيه أكثر من سنة راقبته فيها متوقعة هذه اللحظة بحيث عاشت هذا المشهد كثيرا . وكانت تعلم انه هكذا كانت حاله أيضا . وكثيرا ما تكلموا فى هذا الموضوع الا انها لم تفصح من قبل عن كل أفكارها ، ولا هو أفصح عن كل أفكاره ، لانهما اشفقا من هذه المحنة واجفلا مما يمكن أن يقال . وكانت تعلم ان هذا يصدق عليها ، وحدثت انه يصدق عليه أيضا ، وحدثت انه حدثت حالتها ، وهكذا دواليك من التعقيدات التى تتكون عند ما تكتشف نفسان بشريتان مرتبطتان معا بحب عنيف صداما أساسيا جوهريا بين مزاجيهما فتحاول كل منهما اخفاء ذلك عن الاخرى ، بل وعن نفسها .

قالت إيرما « لن تستطيع ذلك يا لاني ! لن تستطيع . لن تستطيع ! » فأجابها « بل لابد لى من هذا يا حبيبتي ! فان لم أفعل ذلك لن أستطيع تحمل الحياة ! » .

وقد قيل الكثير فعلا فى هذا الامر فلم يعد هناك غناء فى العودة اليه ولكن هكذا الحال دائما فى خصام العاشقين ، فكل يظن أنه ان كرر القول مرة أخرى تغفلت الفكرة وحدثت الاثر الذى ينبغى بداهة أن تحدثه ، والذى أخفقت أخفاقا غير مفهوم على نحو ما فى أحداثه فى المرات السابقة . واحتجت إيرما قائلة « أزوجتك وطفلتك لا تعنيان لديك شيئا ؟ » فأجابها لاني « تعلمين انهما تعنيان عندى الكثير يا عزيزتى . وقد حاولت بامانة أن اكون زوجا صالحا وأبا صالحا ، وتخيلت عن أمور كثيرة كنت أحسبها صوابا فى نظرى عند ماوجدتها ليست صوابا بالنسبة اليك . ولكنى لن اتخلى عن فريدى للنازى » فقالت « من حق أى رجل

ان يعتنق رايا كهذا ، فهل تصبح جميع واجباته العائلية عدما ؟ » فقال « يعتنق الرجل رايا كهذا عند ما تتوقف عليه قضية عامة ، وهي شيء أئمن لديه من حياته نفسها » فقالت « انك مزعم أن تضحي بفرنسيس وبى فى سبيل فريدى ! » فأجاب « هذه مبالغة يا حبيبتي فانت وفرنسيس تستطيعان البقاء هنا بكل راحة فى حين امضى أنا الى هناك وافعل ما أستطيع فسألته « الست تريد منى ان اذهب معك ؟ » فأجاب « هذه مهمة شخص يؤمن بها ، وليست بالتأكيد مهمة أى شخص يشعر على نحو ما تشعرين . فليس من حقى ان اطلب اليك السفر ، ولذا لست اطلبه اليك » فقالت « وماذا تظن حالتى العقلية ستكون وانت هناك تخاطر بحياتك مع هؤلاء الفظعاء ؟ » فقال من الخطأ ان نجسم الخطر . فلست اظن انهم يتعرضون بالاذى الجدى لامريكى » فقالت « ولكنك تعلم انهم فعلوا اشياء مفزعة بامريكين . وكثيرا ما تحدثت عن هذا » فقال « ان ما حدث فى تلك الحالات كان عرضيا نتيجة احتكاك بالغوغاء فى الشوارع وفى الاماكن العامة . اما انت وانا فلنا اتصالات فى المانيا ، ولا اظن السلطات تتعرض لى بالاذى عدما » فسألته « حتى ان ضبطوك تخرق قوانينهم ؟ » فأجاب « اظنهم فى هذه الحالة سيفزعوننى فزعا شديدا ثم يطلقون سراحي » . فقالت « انت تعلم انك لا تؤمن بهذا الذى تقول يالانى ! دائما انت تحاول تهدئتي فحسب . ستكون فى خطر شديد محيق ، وساكون هنا فى عذاب » .

وانهارت فاخذت تبكى . وهى اول مرة يراها تفعل هذا ، وهو رجل رقيق القلب ، الا انه لبث سنة يفكر فى هذا الامر ، واستقر رايه على أن هذا الموقف سيكون امتحانا لروحه « فان نكصت فلا خير فى . وانى اذن ذلك المتلاف العالة . كما كانوا ينعنوننى دائما » .

فلم تكن هناك وسيلة لانهاء المجادلة لانه عجز عن اقناعها باهمية الموضوع لديه ، وبالواجب عليه نحو ما يسميه « القضية » فهو قد حول فريدى روبن الى اشتراكى وعلمه المثل الاعلى القائم على الاخاء البشرى والمساواة بين البشر وما كان يسميه « العدالة الاجتماعية » بيد ان ايرما كانت تكره هذه الكلمات الرنانة كلها لانها سمعتها تقال مرارا كثيرة على لسان أشخاص مستهجنين ، وكان معظمهم يحاولون الحصول على المال فاصبحت تلك الكلمات سما لديها . وهى لا تؤمن بهذه « القضية » وتعتقد ان الاخاء شيء منفر وان المساواة اسم آخر للحسد، وان العدالة الاجتماعية تبرير لضرائب الدخل والتركات الفاحشة ، ولذا جفت دموعها بسرعة

وسخطت على نفسها لانها ذرفتها ، وسخطت عليه لانه جعلها تذرف هذه الدموع . وقالت « انى أحذرك يا لانى ، فانت تهدم حبنا . وتصنع شيئا لن أستطيع غفرانه لك ، وكان كل ما استطاع أن يجيبها به « هو انى آسف يا حبيبتي ، ولكنك أن جعلتني أتخلى عما أعتقد أنه واجبي فلن أغفر ذلك لنفسى ولن أغفره لك » .

- ٢ -

وصل الخطاب من بلدة جوان بالبريد الجوى . وكانت رسالة فريدى مكتوبة بقلم الرصاص على قطعة صغيرة من ورق شفاف وقد تكسرت كانما كان أحد قد أخفاها فى فمه أو فى تجويف آخر من تجويفات جسده وقد حال لونها بيد أن راحيل بسطت القصاصة والصقت أركانها بورقة بيضاء كى تنسنى قراءتها فإذا هى موجهة الى لانى ومكتوبة باللغة الانجليزية « حالتى سيئة » كتبت اليك ولم ألتق ردا . ويحاولون ارغامى على الوشاية بأشخاص آخرين ولكنى لن اشئ بهم . ولم اعد أطيق أكثر من هذا . اصنع شيئا واحد لاجلى : حاول ان توصل الى شيئا من السم . لا تصدق ما يقولونه عنى . اخبر أصدقاءنا انى كنت مخلصا ، ولم يكن هناك توقيع ، ففريدى يعرف أن لانى يعرف خط يده وغم ما به من اهتزاز وعدم ثبات . وكان المظروف عاديا وقد أودع بالبريد فى ميونيخ ، والخط الذى كتب به العنوان غير معروف للانى ، وذكرت راحيل فى خطابها أنها لا تعرف ذلك الخط أيضا .

هذا هو الموقف أذن . وقد انهارت ايرما مرة أخرى لانها وجدت المسألة أسوأ مما تخيلت وأدركت الآن أنها لن تستطيع منع لانى من الذهاب . وكفت عن مناقشته فى الامور السياسية وقصرت جهودها على اقناعه بعقم جميع الجهود التى يمكن أن يبذلها . فالنازى يملكون المانيا ، ومن العته أن يتخيل نفسه قادرا على احباط ارادتهم داخل بلادهم . وعرضت عليه أن تقدم المال ، أى مبلغ من المال حتى ولو ترتب على ذلك انسحابها من الحياة الاجتماعية وناشدته قائلة « اذهب وقابل جورنج واعرض عليه النقود بلا مواربة » بيد ان ريك - وما اشد ماكرهته فجأة ! - كان قد أقنعه بأن ذلك شيء لا يجوز ، فقرر لانى الا يقترب من جورنج او أى نازى آخر ، حتى ولا كيرت ، حتى ولا هاينريش ، فهما لن يساعداه وقد يبلغان السلطات عنه فيوضع تحت المراقبة . وجورنج أو جوبلز من المؤكد أن يتخذوا مثل هذه الاجراءات . وقال لانى بصراحة

« انى مزع أن اساعد فريدى على الهرب من داخاو » فسأله ايرما بمرارة « عن طريق الطيران فوق الاسوار فيما أظن ؟ » فأجابها « هناك طرق كثيرة للخروج من السجن ويوجد فى فرنسا فى الوقت الحاضر أناس تمكنوا من ذلك . فهم احيانا يحفرون تحت الاسوار ، وحيانا أخرى يختفون داخل عربات تسليم المؤن أو يخرجون محمولين فى توابيت . وسأعثر على شخص يساعدنى مقابل اجر » فسأله « هل ستعترض شخصا فى الشوارع وتقول له « كم تطلب منى نظير مساعدتى فى اخراج صديق من داخاو ؟ » فأجابها « لا جدوى من الشجار يا عزيزتى ، فلا بد لى من تركيز ذهنى فيما أنوى أن أصنع . ولا أريد أن أتاخر ، لاننى ان تاخرت فقد يموت فريدى فى هذه الاثناء ، وعندئذ الوم نفسى على ذلك الى أن أموت » .

ولذا كان على ايرما أن تنفض يدها من المعارضة . فهى قد أخبرته بما فى قلبها ، وحتى لو انهارت وبكت فلن يتغير ما فى نفسها بل على العكس ستتحقق عليه لانه جعلها تسلك هذا السلوك الذى يتنافى مع الوقار والكرامة . وكانت فى أعماق قلبها تعلم انها تبفض آل روبن جميعا ، فهم بعيدون عنها غرباء عن روحها ، ولو تركت لنفسها لما اختلطت بهم عن قرب وآثرت أن يكون لها يختها الخاص وقصرها الخاص والنوع المناسب من الاصدقاء فى هذا القصر ، ولكن المسألة الاشتراكية هذه جعلت لانى يختلط بالناس من غير تمييز ، فهو مستعد لمقابلة أى انسان، وهو فريسة سهلة لاي مدع ، وأى « مثالى » محتال يجيد التشكى . فكم تبفض كلمة المثالى هذه ! لقد أكرهت على تصنع التهذيب ، ولكن هذه « القضية » الزائفة توشك الآن أن تحررها من زوجها وسعادتها ، فأصبحت تكرهها من كل قلبها . ولم يكن ذلك عن مجرد حبها لنفسها ، بل عن حب للانى ايضا . فقد كانت تريد مساعدته والعناية به ، الا أن هذا الصراع الطبقي تدخل بينهما وجعل ذلك مستحيلا وانتزعه منها الى حيث يواجه الخطر والتشويه والموت ، وهى أمور من المفروض أن ايرما وطبقاتها محصنتان ضدها ! هذا ما يعنيه الثراء ، فهل يكفل لصاحبه الامان ويحيط بالامتياز والضمان، ولكن لانى يريد أن يتخلص منه بأكمله، فلديه اعتقاد جنونى ان المرء ليس له حق فى الثراء ، وما دام حاصلا عليه فيجب ان ينظر اليه باحتقار وازدراء ويعمل على أحباط القايات التى من أجلها وجد المال ، والاسباب التى دفعت الآباء والاجداد للعمل بجهد واجتهاد لتحصيل الثروة ! فان لم يكن ذلك عندنا وعنها فأى شيء اذن يستحق هذا الاسم ؟ .

كان لا بد من الغاء جميع الارتباطات الاجتماعية أثناء تصفية هذه المباراة ، فكانت إيرما تقول انها مصابة بصداغ ، الا ان هذه الآفة لم يكن من المعروف انها أصابتها قبل ذلك ، فانتشرت الشائعات بأن إيرما بارنز تتشاجر مع زوجها ، وحاول كل انسان أن يخمن مدارها ، ولكن لا أحد نجح في ذلك ولم يطلع على السر الا ثلاثة أشخاص هم ريك ووالدتا الطرفين المتنازعين . وقال ريك « كان بودى أن أساعدك أيها الصديق العزيز ولكنك تعلم اننى موصوم فى ألمانيا بما كتبت من مقالات » فقال لاني « بالطبع » .

أما فاني بارنز فاعتبرت الواجب يقضى عليها أن تلتقى على لاني محاضرة فى خطأ هجرة أسرته فى سبيل أى يهودى ، أو فى سبيل اليهود أجمعين . ورأى لاني من واجبه أن يصفى بتهذيب لكل ما تريد حماته أن تقوله ، وكان يعلم أنه لا جدوى من الكلام معها عن « القضايا » فاكفى بأن قال « انى آسف يا اماء ولكنى أشعر اننى مرتبط بالتزامات يجب أن أفي بها » وكانت المناسبة خطيرة حقا ، لأنه قد لا يعود ، وخامره شعور بأن حماته قد تجد فى ذلك حلا لا بأس به للمشكلة . أما بيوتى فلم تصلح لشيء كثير فى هذه الازمة لان بشاعة الموقف شملت ارادتها كما يبدو . فهي تعرف شعور ولدها نحو ولدى روبن وأنه لا يمكن التغلب عليه . وكانت تعلم أيضا أنه يشبه فى اهتمامها بسعادة إيرما ويراه اهتماما غير صاف تماما ، فلم تجرؤ الأم على التصريح بما فى أعماق قلبها ، الا وهو خوفها من فقدان لاني لزوجته ذات القيمة الفائقة ان هو أهملها وعارضها هذه المعارضة الرعناء . وكيف يمكن أن يختار من دون الأماكن لمفارقتها عتبة باب لورد ويكتورب ! وأصيبت بيوتى بأزمة عصبية صاحبها صداغ حقيقى ، فلم يقلل ذلك من اللفظ والتخمينات .

وفى هذه الأثناء مضى لاني قدما فى اعداد معداته . فكتب الى راحيل كى تقوم بتصغير صورة من صور فريدى الى الحجم المستخدم فى جوازات السفر وأن ترسلها اليه بالبريد الجوى فورا ، ولديه دافع لهذا الطلب لها مطلق الحرية فى تخمينه . وكتب الى جيرى بندلتون كى يقف على قدم الاستعداد متى وصله أمر تليفونى باحضار سيارة نقل الى ألمانيا كى يعود بلوحت ديتاز الى بيتها . ولن يكون هذا عسيرا لان موسم السياحة انتهى وتستطيع سيريز (زوجة جيرى) ادارة المكتب .

وحرر لاني لصديقه زلطان شيكا يستغرق جانبا كبيرا من الأموال

المودعة باسمه فى بنوك هيلشتاين ببرلين وميونخ كى ينقلها زلطان الى
حسابه الخاص فلا يستطيع النازى مصادرتها . وفى حالة احتياج لانى الى
هذا المال يستطيع الابرار الى زلطان كى يرسل اليه بالبريد الجوى شيكا .
ولم يسأله الصديق الكتوم دائما توضيحا ، وبذلك يستطيع أن يقول انه
لا يعرف شيئا عن هذا الموضوع . وتحدث لانى عن صفقة لوحات خطر له
انجازها فى ميونخ وقدم له زلطان النصيح فى شأنها . ولما كان لانى قد
استغرق أكثر من سنة فى التفكير فى هذه الامور ، فهو متأهب تماما تمام
التأهب لها .

وعندما حان الرحيل انهارت زوجة لانى الشابة وامه المفروض انها
شابة ، وعرضت عليه كلتاهما أن تذهبا معه ، الا أنه قال لا . فكلتاهما لا
تقران مهمته ، ولن يكون قلباهما خالصين فى انجازها . ولم تذهبا معه ،
ولم يصارحهما بالحقيقة ، وهى انه سثم المجادلات واثارة الاعصاب فمن
الحقائق المؤلمة عن الخلافات الزوجية انها تسبب للطرفين المتنازعين السأم
من صوت الطرف الآخر ، بحيث يقدو الهدوء وتمكن المرء من تنفيذ هواه
اعظم نعم الدنيا . وكان لانى يعتقد أنه يستطيع انجاز هذه المهمة بنفسه ،
وانه سيحسن التفكير ما لم يجابه بمعارضة ، فقال « لا يا عزيزتى . لا
يا حبيبتي . ساكون حريصا حذرا جدا ، ولن أغيب طويلا » .

- ٤ -

وهكذا فى بكرة صباح مشرق أودع خدم مارجى بتريز حقائبه سيارته ،
ولم تخل عيناه من قطرات خضلتها ، ولم تخل أعماقه من اكتئاب وهو
ينطلق نحو السفينة التى تعبر به البحر الى كاليه التى قالت الملكة من
طريق مينز وستراسبورج ، فكلما قلت الدول التى يدخلها المرء فى أوربا
المنكودة قلت مضايقاته بتأثيرات السفر واجراءات الجمارك . وما كان
أبهى الريف فى الأيام الأخيرة من شهر يونيو ، وما أتعس الفارق بينه
وبين تلك الطبيعة المنحطة التى نمت لديها الفصوص الأمامية من المخ نموا
هائلا كى تبتكر المزيد بعد المزيد من الوسائل الفظيعة لآبادة الملايين من
الأعضاء الآخرين فى نوعها نفسه ! فابن الطبيعة العاق المتمرد قد نبذ حبل
الزرد والقى عنه الرماح وفئوس القتال لا لشيء الا لينتضى الطائرات قاذفة
القنابل والدعاية النازية .

ان الملايين من الفرنسيين والألمان قد أخصبت دماؤهم هذا الثرى

فجعلته اخضر يانعا مستحبا في عيني لاني . وكان يعلم أن كل هذه الآجام والوديان توارى فيما بينها الأسرار الفظيعة المريعة لخط ماجينو ، وهو تلك السلسلة من التحصينات المعقدة الباهظة التكاليف التي اعتمدت عليها فرنسا لمنع غزو الماني آخر . ومن وراء هذه المتاريس يستطيع الفرنسيون آمنين أن يستخدموا أوقات فراغهم في اعطاب فرنسيين آخرين بالاعواد الحديدية المنتزعة من أسوار حديقة جميلة وتشويهمهم . ومن حيث عبر لاني الراين عبرت من قبله الطفلة ماري انطوانيت قادمة الى فرنسا مع حاشية من مائتين أو ثلاثمائة مركبة في رحلتها الطويلة من فينا لتقترن بولي عهد فرنسا . وحول هذه المنطقة شتى صنوف التاريخ ، ولكن رحالتنا لم يكن لديه وقت للتفكير فيها لأن ذهنه كان مشغولا بالتاريخ الذي يزمع أن يصنعه شخصيا . وواكب حافة جبال الألب التي تبدو للانظار دائما مجللة القمم بالثلوج فوصل الى مدينة ميونيخ القائمة على نهرها الصغير المسمى ايزار ، ونزل في فندق من الدرجة الثانية لأنه لا يريد أن يلاحقه مندوبو الصحف وكان يريد أن يتسنى له ارتداء حلة من الثياب القديم كان قد أحضرها ليتجول بها في المدينة ، وربما أيضا في بلدة داخاو من غير أن يثير انتباهها خاصا . وفي إدارة الشرطة أبلغ عن نفسه أنه قادم بقصد شراء أعمال فنية . وأول ما صنعه بعد ذلك قيامه بزيارة من يدعى البارون فون زنزولين كان قد التقى به في معرض ديتاز ولديه لوحات كثيرة في بيته . وهذا السيد نصير معروف للنازي ، فكان في خطة لاني أن يستخدمه ليكون « الرنجة البنية » كما يقولون . ففي حالة افتضاح أمره قد تلقى هذه الصلة الشكوك والاضطراب في أذهان النازي ، وهذا في حد ذاته كسب . وتوجه لاني الى البيت البديع الذي يسكنه هذا الراعي من رعاة الفن وأطلع على مجموعته وفاتحه بطريقته اللبقة في امكان شراء أى عمل من هذه الأعمال ثم أظهر له ضمنا أن الأثمان التي يطلبها مرتفعة جدا ولكنه وعده بالابراق الى الخارج ليرى ماذا يستطيع أن يصنع . وأبرق الى زلطان والى عميلين له في أمريكا وستكون هذه الرسائل البرقية جزءا من دفاعه في حالة حدوث المتاعب . وخلال مدة اقامته في ميونيخ سيكون مثار آمال ذلك الارستقراطي الألماني الذي أصابه الفقر بعض الشيء ويقلل بذلك من أثمان لوحاته الجيدة .

- ٥ -

وبمجرد دخول المتأمر الى ألمانيا كان قد اتصل تليفونيا بهوجوير

فى برلين ودعا ذلك النازى الشاب الى ان يستقل قطار الليل الى ميونيخ ، وقال له انه حضر بقصد شراء صور ويريد ان يطلع صديقه على نماذج بديعة منها ، ففهم هوجو ، ولم تكن به حاجة الى ان يقول « وساتحمل النفقات » وما من شك فى ان قائد الرياضة الشاب كان قد وجد أوجها لاستخدام المال الذى أعطاه لاني آياه ، وسوف يسره أن يؤدى مزيدا من الخدمات له .

ووصل فى الصباح التالى فاتجه الى فندق مختلف كما أرشده لاني واتصل تليفونيا فركب لاني سيارته والتقطه من الشارع . وهوجو يعتبر اعلانا يسير على قدمين عن المثل الأعلى النوردي النقى ، فهو شاب بوميرانى وسيم يقظ يسير بخطوات متوثبة، تفاحى الوجنتين، ذهبى الشعر متموجة . وكان يتلقى ، وهو فى كسوة القمصان البنية الأنيقة تعلوها شارة وظيفته المهمة ، التحية من جميع النازيين الآخرين ، ومن كثيرين من المدنيين الراغبين فى التزام جانب الأمان . ومن المطمئن جدا أن يكون المرء فى صحبة رجل كهذا فى ألمانيا ، وإن كانت صيحات التحية « هايل هتلر » قد غدت رتيبة بعض الشيء بعد فترة ما .

وقاد لاني ضيفه الى الريف حيث يستمتعان بالهدوء ويتكلمان بحرية ، وشجع الضيف على الظن بأن هذه الدعوة بدافع الصداقة الخاصة، والأغنياء يستطيعون ارضاء نزواتهم على هذا المنوال ، ويصنعون ذلك فعلا وكان لاني شديد الاهتمام بمعرفة مدى تقدم حركة هوجو لاصلاح الحزب النازى ، فمضت بهما السيارة وقتا طويلا فى وديان سفوح الألب، وكانت الأشجار فى أبتها الكاملة ، لم يصبها شيء من آثار الاعياء . يا لها من أرض جميلة ملأت رأس لاني بالشعر : « افتح النافذة وافتح قلبك ! اسرع . اسرع ! » ولكن خواطر هوجو لم يكن فيها أثر للطرب الشاعرى . فقامته التى تشبه رمز الشاب مضعضة فوق كرسى السيارة ولهفته تفيض مرارة وهو يقول ثورتنا النازية ضاعت . فنحن لم نحقق شيئا . والفوهرر جعل نفسه العوبة فى يد الرجعيين تماما ، فهم يقولون له ماذا يصنع . ولم يعد مقطوعا به أنه يستطيع تنفيذ برنامج الحاص ، حتى لو أراد ذلك . انه لم يعد يقابل أصدقاءه القدامى ولا يثق بهم وزمرة جيش الرايخ يتآمرون للتخلص من كتائب الهجوم بالكلية . فقال لاني فى غم شديد انك لاتعنى هذا كله حقا يا هوجو ! فسأله هوجو ألم تسمع عن عطلتنا ؟ فاجابه لقد دخلت ألمانيا بالامس فقط فقال جميع أفراد فرق الهجوم صدرت اليهم الأوامر بأخذ عطلة خلال شهر يولية . وهم يقولون

لنا أننا أرهقنا بالعمل ونستحق راحة ، وهو كلام يبدو بديعا ، ولكننا غير مسموح لنا بارتداء أزيائنا الرسمية أو حمل أسلحتنا . وماذا سيصنعون فى فترة تجريدنا من السلاح ؟ وماذا سنجد عند عودتنا ؟ فقال لاني « هذا أمر خطير على ما يبدو . أعترف بهذا » فقال هوجو « يبدو لى أن المعنى واضح ، فنحن الضباط والجنود قد انتهت مهمتنا وفرغت حاجتهم الينا . وكنا جميعا نرجو أن يدخلونا جيش الرايخ ، ولكن لا فنحن لا نصلح لهذا . فأولئك الضباط من اليونكر ، وهم سادة حقيقيون ، أما نحن فقاذورات من العامة وعدونا كبير جدا ، نحسو مليونين ، وليس فى وسعهم أن يطعمونا أو يدربونا ، فلا بد من تسريحنا ، ولعلنا سنضطر للاستجداء فى الشوارع » فقال لاني « انت تعلم يا هوجو ان المانيا من المفروض ان يتكون جيشها النظامى من مائة ألف فقط . اليس من الجائز ان الفوهرر يشعر بأنه ليس من القوة بحيث يتحدى فرنسا وبريطانيا فى هذا الصدد ؟ » فقال « وفيم كلانت ثورتنا ان لم تكن لتحريرنا من سيطرتهم ؟ فنحن الذين رفعنا اولئك القادة الى الحكم ، وهم الآن يقتنون لانفسهم الفيلات الفاخرة والسيارات الكبيرة ، ويخشون ان يسمحو لنا نحن الضباط والجنود بارتداء أزيائنا الرسمية ! ويتحدثون عن تسريحنا لان الرايخ لا يستطيع ان يتحمل مرتباتنا الباذخة وهى اثنان واربعون فينيج فى اليوم » فسأله لاني « اهذا ما تحصلون عليه ؟ » فأجابه « هذا ما يحصل عليه الضباط والجنود . فكم يساوى هذا بعملتكم ؟ » فقال لاني « نحو عشرة سنتات » فسأله هوجو « ايبدا هذا اسرافا شديدا ؟ » فقال « ان رجال جيشنا الامريكى يحصلون على عشرة أمثال هذا المبلغ تقريبا . ولكن الفريقين بطبيعة الحال يتمتعان بالطعام والمسكن مجانا » فقال هوجو « ياله من طعام حقير لكثائب الهجوم ! » ثم هناك شئنى الضرائب التى تستأثر بنصف ما يكسبه أى انسان . وكان فتياننا قد امتلثوا بالآمال العريضة أما الآن فالحديث كله عن فقر الرايخ . وبدأت الدعاية فى الهجوم ، فالهر دكتور جوبلز يجب انحاء البلاد منددا بكل ناقد هدام ، وبدعاة الهزيمة وبالساختين والمطالبين بالكمال المطلق « وراح هوجو يسرد قائمة طويلة لفئات الساقطين الذين تجاسروا على الظن بان نظام الحكم النازى يفتقر الى أى عنصر من عناصر الكمال . وفى الايام الحالية كان يقال لنا ان الخير سيكون عميما لاننا سننتزع الآلات من أيدي المستغلين ونجعلها تعمل لخدمة عامة الشعب أما الآن فالفلاحون قد انقلبوا الى عبيد للأرض والعمال الذين يطالبون بأجور أعلى أو يحاولون تغيير اعمالهم يعاملون معاملة المجرمين . ان الاسعار ترتفع والاجور تنخفض

فماذا سيصنع الناس ؟ لا أحد يستطيع الدنو من الفوهرر . فقد استولى جورنج على عقله ، جورنج الارستقراطي صديق الامراء والاقطاعيين اليونكر وسادة احتكارات الصلب ، وهؤلاء يكندسون الآن ثروات اكبر من اى وقت مضى . وقد قيل لى أن جورنج يصنع مثل ذلك ويرسل الاموال الى الخارج حيث تكون فى مأمن . فوافقه لاني قائلا ، لقد سمعت شيئا عن ذلك فى باريس ولندن ومن دوائر موثوق بها جدا . فرجال المال يعرفون ما يجرى من الامور .

- ٦ -

وكانا قد أوغلا مصعدين فى سفوح الجبال بالقرب من الحدود النمساوية . سوف اتسلق الجبل حيث تنمو غابات الصنوبر الكثيفة الى ارتفاع شاهق ! ، وكان الهواء صافيا كالبلور رطبا مبهجا بيد أن لاني لم يحضر الى هنا طلبا للهواء ولا للتغنى بأبيات هاينى فى قصيدته « رحلة الصنوبر » وجلسا فوق الشرفة الخارجية من خان صغير يطل على وادى جبل ، وكان هذا الجبل هو النمسا . ورأى لاني ان المنحدرات ليست شديدة الخطر ، كما أن مجرى الماء فى الوادى ليس شديد العمق . فقال لمرافقه « لعل هناك تجارة غير مشروعة عبر هذه المسالك الجبلية » فكان الرد « ليس بالكثرة التى قد تخطر على بالك . فانت لا ترى الحراس ولكنهم قائمون بالمراقبة ، وهم يطلقون النار أولا ثم يوجهون الاسئلة بعد ذلك » فقال لاني « ولكنهم لا يستطيعون اطلاق الرصاص باحكام فى ليلة عاصفة » فقال هوجو انهم يعرفون مواضع المسالك ويقومون على حراستها عن كتب . ولكنى واثق بأن بعض سكان الجبال يتقاضون الرشوة ويقتسمونها معهم . فاليهود يخرجون الاموال من المانيا بكل وسيلة يمكن أن تخطر على بالهم . أنهم يريدون استنزاف دماء البلاد حتى الموت .

ولم يبد هذا الكلام مبشرا بالخير لاني ، أنه لابد أن يعتمد الى المجازفة فى موضع ما من خطته . فلما عادا الى السيارة وصارا بعيدين عن الآذان المتلصصة قال أنك شديد الحنق على اليهود يا هوجو ، ومع هذا فحينما اسمعك تتحدث عن المثل العليا للاشتراكية الوطنية يخيل الى أن ما اسمعه منك شبيه تماما بكلام صديقى فريدى روبن الذى حدثتك عنه فقال هوجو ، أنا لا أنكر أن بين اليهود اشخاصا صالحين « فقال لاني ، ان

فريدى أحسن الشخصيات التى عرفتھا ، فهو حساس رقيق مذهب وانا واثق بأنه لم يقترب اثما فهو يخصص كل وقته وتفكيره لقضية العدالة الاجتماعية على نحو ما تؤمن بها أنت وكما شرحتها لى اليوم «فسأله هوجو» أهو لم يزل فى داخاو ؟ « أريد أن أتحدث إليك عنه يا هوجو . وهذا امر هام جدا بالنسبة الى . فلن يهدأ بالى والموقف على ما هو عليه . وكذلك لن يهدأ بال أى شخص يعرف فريدى . وأحب أن اطلعك على سرى وان احصل على وعد منك الا تذكره لاحد الا بعد اتفاق على ذلك معى » فقال هوجو ، لا اظن من الممكن ان تجعلنى اهتم بأمور أى يهودى يا لانى بل ولا يهمنى ان اعرف شيئا عنه ما لم تعدنى بأنك لن تخبر أحدا بأنك حدثتنى عنه ؟ « فقال اعدك بذلك قطعا يا هوجو . فأنا لم اذكر اسمك لاحد سوى زوجتى . وهذه المرة أنا لم أخبرها أن فى نيتى مقابلتك فقد قلت لكل انسان اننى قادم لشراء بعض اللوحات من البسارون فون زنزوليرن » .

وعلى هذا الاساس وافق الرياضى الآرى الشاب على المجازفة بتلوين عقله ، وقال له لانى ان لديه معلومات مؤكدة بأن فريدى يقع تحت طائلة التعذيب فى داخاو ولمح لانى الى ان هذه الانباء وصلت اليه من مصادر نازية عليا ، وتقبل هوجو هذا التلميح لعلمه أن الأمريكى الثرى على اتصال فى هذا المستوى . ورسم لانى صورة مفزعة مستخدما التفصيلات التى زوده بها جورنج . ولما كان هوجو فى جوهره فتى دمثا فقد قال ان هذا مخجل وماذا يتوقعون أن يصلوا اليه عن هذا الطريق ؟ وأجابه لانى ان بعض كبار النازى علموا أن زوجة لانى تملك ثروة طائلة جدا ، فتمنوا الحصول على جانب كبير منها ، كى يخفوا تلك الاموال فى نيويورك فتكون تحت تصرفهم فى حالة اضطرارهم للهرب على متن طائرة من المانيا . وكانت ايرما على وشك دفع المبلغ لولا أن ريك صديق لانى الانجليزى قال لا ، لان هؤلاء الناس يخونون حركة الاشتراكية فى العالم ، فينبغى الا يمدحهم احد بالاموال . وخطر للانى أنه قد يكون من الافضل أن يدفع النقود لبعض المخلصين فى الحركة ممن يأخذون النصف الأول من اسم الحزب (الحزب الاشتراكى الوطنى) مأخذ الجد ويحاولون فعلا تحسين حال الرجل العادى .

وبايجاز ، ان قبل هوجوير قضاء عطلته فى المساعدة على اخراج فريدى من داخاو فسيعطيه لانى خمسة الاف مارك فى البداية . حتى اذا نجح اعطاه خمسة آلاف أخرى فى أى صورة وبأى طريقة يريدھا وفى استطاعة هوجو أن يستخدم هذا المال فى الحركة التى يقوم ببنائها ،

وبذلك يظل ضميره مستريحاً . وسيسر لاني ان يقدم اى مبالغ اضافيه
قد يجد هوجو من الضروري انفاقها باثارة اهتمام بعض رجال فرق الهجوم
البروليتاريين العاملين فى داخاوكى يساعد فى هرب رفيق من سؤ حظه أن
ولد يهوديا وفى وسع هؤلاء أيضا أن يستخدموا تلك النقود لانقاذ
الاشتراكية الوطنية . وحتف مدير الرياضة الشاب « أوه يا لاني ! هذه
الانباء عن التعذيب جعلتني اقطع برأى ، فانا لا أستطيع أن اتحمل الوقوف
ساكنا ومستعد للاقدام على اى مخاطرة لابد منها . لان هذا التعذيب يجب
ان يوقف يا هوجو وكل نازى امين يجب ان يساعدنى على المحافظة على
سمعة الحزب . فهل ذلك الحارس الذى حدثتني عنه لم يزل موجودا
هناك ؟ » فقال هوجو « لابد أن اتأكد من هذا » فقال لاني « لست اطلب
منك أن تخبرنى بشئ مما تصنع أو تفكر فى صنعه فى كل الثقة بصواب
حكمك . ولك أن تعقد صداقات مع رجال المعسكر وتقرر من منهم الجديرون
بالثقة . ولا تذكرنى لهم ولن أذكرك أنا لاحد الآن ولا فيما بعد وسنحمل
معنا هذا السر الى القبر » فقال هوجو امامك مسألة اجتياز الحدود
بصاحبك » فقال لاني « لا تقلق بالك بشأن هذا الجو من الخطة فكل ما
أطلبه منك أن تسلمنى فريدى فى ليلة مظلمة فى مكان متفق عليه من
غير أن يوقفنى أحد أو يتعقبني أحد . ولا أريد أن أتعبلك . خذ وقتك
وفكر فى الامر ووجه الاسئلة التى تريدنا . ليكن تفاهمنا تاما بحيث
يعرف كل منا بالضبط ما يأخذه على عاتقه من المهد . »

- ٧ -

وتم هوجو تفكيره على الفور وهو فى السيارة ، فأبرم الاتفاق ، ولكن
عندما ساله لاني كم يريد - دفعه اولى خاف أن يأخذ النقود وقال انه
لا يجسر على حمل مبلغ كهذا معه وليس لديه مكان يخفيه فيه ، فهو رجل
فقير وليس له الحق فى اقتناء المال ، اما لاني فرجل غنى له الحق فى
اقتناء المال ، فليحتفظ له بالنقود الى أن تنتهى المهمة ويزول الخطر فقال
لاني « لقد مست قلبى ثقتك » .

ودرسا جميع الترتيبات تفصيلا ، فلن يقوم أحد منهما بزيارة فندق
الآخر . وحينما يريد هوجو لاني عليه عليه أن يتصل به تليفونيا ويستخدم
دائما الاسم المتفق عليه وهو بوككن . واتفقا على بقعة معينة من شارع
كثير الحركة . فكلما وجب التقاؤهما وقف لاني عند تلك البقعة بالسيارة

ثم يأتى هوجو فيركبها . وجميع أحاديثهما استجرى فى السيارة حتى يكونا بأمان من استراق السمع . وبعد أن تم الاتفاق على هذا كله اتجه لانى بالسيارة الى داخاو وترك زميله فى المؤامرة قرب معسكر الاعتقال كى يشرع فى الاتصال بأصدقائه .

واتصل خبير الفن تليفونيا بالقنصل الأمريكى فى ميونيخ . وكان قد اتخذ الحيلة فقابل ذلك السيد فى زيارته السابقة ودعاه الى معرض ديتاز . وفى هذه المرة أخذه للعشاء ، وعلى زجاجة من النبيذ الجيد راحا يتحدثان عن شئون المانيا والعالم الخارجى . وأدلى لانى بوصف تفصيلي لحادث الشغب فى باريس . وقال القنصل أن مثل ذلك يثبت الحاجة الى حكومة قوية على غرار ما يوفره هتلر للشعب الألماني . وكان هذا المسئول واثقا بأن الأعمال المتطرفة لهذا النظام الحاكم ليست ذات مغزى كبير ، فالاشتراكية الوطنية حرية أن تستقر سريعا على أساس يتيح لها التعايش مع بقية أوربا . ووجد لانى هذا الراى معقولا ، ولم تنم أحاديثه على أهون أثر للآراء الوردية . وبطريقة عرضية ذكر أنه حضر الى ميونيخ لعقد صفقة شراء لوحات من البارون فون زنزوليرن وتساءل هل يعرف القنصل شيئا عن ذلك السيد وعن سمعته فى المجتمع ، فكان الرد أن هذا البارون يتمتع بسمعة ممتازة ، الا أن القنصل بطبيعة الحال لا يستطيع الجزم بمركزه المالى . فقال لانى باسماء انه البائع وليس المشتري ، وكان يعلم أن القنصل سيعتبر هذا الاستفسار هو الهدف الذى جعله يدعو للعشاء . وهو هدف لا غبار عليه ، فمن واجب القناصل أن يساعدوا مواطنيهم بالمعلومات . وافترقا صديقين ، وقد اقتنع هذا المسئول بأن لانى بد موجود فى ميونيخ لأسباب مشروعة فان وقع لانى فيما بعد فى مازق فسيكون لدى مثلى بلاده كل مبرر ممكن لمساعدته وكفالاته .

ولزم لانى حجراته بقية المساء وقرا صحيفة « آخر أنباء ميونيخ » من الصفحة الاولى حتى النهاية وتعرف على جانب صغير مما يحدث فى ألمانيا ، والى جانب أكبر مما يريد النازى للامان أن يعتقدوا بحدوثه . عرف أن زعيم الرايخ موجود فى بلاد الراين يحضر زفاف أحد حكامه السياسيين الذين عينهم على مناطق ألمانيا ، وأنه نزل بفندق الراين فى اسن ، وأنه زار مصانع كروب وعقد اجتماعات مع عدد من أقطاب صناعة القولاز . وهذا يتفق مع ما قاله له هوجو ، ويتفق معه أيضا أن رئيس الوزارة البروسية الجنرال جورنج يصحبه فى هذه الرحلة . والطيران معا فى القمرة الخلفية من 1 لطائرة أحسن فرصة كى يهمس رجل فى أذن

رجل آخر . فماذا كان جورج يج يقول لأدى عن المؤامرات ضده ، وعن الحاجة العاجلة الى تسريح كتائب الهجوم وتجنب « الثورة الثانية » ؟ وحث لاني مخيلته على العمل ، لان جانباً من مهمته أن يبرز هذه الامور لهوجو وأن يجعله ينقلها الى أعضاء كتائب الهجوم الساخطين في داخار . ومن المقالة الافتتاحية في هذه الصحيفة تتبع لاني الحملة الناشبة الان ضد أولئك الاشرار الذين يصفهم الالمان بانهم ساخطون متصيدون للاخطاء حانقون جامعو قاذورات وجبناء مثبطون للهمم .

- ٨ -

وفي ساعة متأخرة من الليل دعى لاني الى التليفون ، ولم يكن في حجرته جهاز فہبط السلم الى حيث جهاز التليفون فسمع صوت « بوككن » يقول « هل يمكنني ان اراك ؟ » فاجابه لاني « طبعاً ! » واستل سيارته والتقط صديقه في المكان المتفق عليه . وقال هوجو اعتقد ان المسألة من المستطاع تدبيرها فهتف لاني « عظيم ! » فقال هوجو « لقد وعدت الا اذكر الاسماء ، ولا حاجة بك لمعرفة التفاصيل فيما اظن » فقال لاني « اطلاقاً . كل ما اريد معرفته هو ان من الممكن القدوم الى موضع معين لالتقط صديقي » فقال هوجو « هناك صعوبة واحدة ، وهي انني اخشى ان العملية ستتكلف مبلغاً كبيراً من المال . فليس من الممكن ان يقوم بها حارس عادي . ولا بد لشخص في مستوى اعلی ان يوافق على انجازها » فسأله لاني « كم تظن انها ستتكلف ؟ » فاجابه « نحو عشرين الف مارك . بل ولست واثقاً بالمبلغ الذي سيطلب ، فقد يكون خمسة وعشرين او ثلاثين الفا قبل ان تنتهي من العملية » فقال لاني « وهو كذلك يا هوجو . استطيع دفع هذا المبلغ . وساحصل عليه نقداً واعطيه لك متى شئت » فقال هوجو « يجب ان تتم العملية بمجرد الاتفاق عليها ، فكلما طال الانتظار زادت الفرصة لافضاء أحد بالسر » فقال لاني « فعلاً سأقوم بترتيبات معينة ، ومن العسير ان أعرف بالضبط كم ستستغرق من الوقت ولكنني واثق بانني ساكون متاهباً يوم الجمعة مساءً . فهل يوافقك هذا الموعد ؟ » فقال هوجو « على قدر تصوري » فقال لاني « وان صادفت خطتي عقبات فقد أرجى الموعد الى يوم السبت . ويجب عندما تكون مستعداً لتسلم النقود ان تخبرني قبل ان تطلق البنوك أبوابها » .

ووافق على ذلك كله . وبعد ان أنزل صديقه في شارع هادي.

انطلق لاني الى أحد الفنادق الكبرى التي يمكن أن يجد فيها قمره للتليفون وهناك طلب الاتصال بجيري بندلتون في نزل فلافان بمدينة كان .
ريستغرق اتمام هذا الاجراء بعض الوقت في أوروبا ، بيد أنه قضى فترة الانتظار بصبر ، وأخيرا سمع صوت صديقه مثقلا بالنعاس ، فقال لاني لوحات ديتاز تم اعدادها ، وأنا في انتظار بميونخ . وسأشتري لوحات أخرى وأريد اتمام الصفقة ونقل هذه اللوحات يوم الأحد . اتظن في استطاعتك الوصول الى هنا في هذا الموعد ؟ » فقال جيري ، بحق الجحيم ! فقد كان الوقت منتصف الليل من يوم الاربعاء وفجأة ظهرت علامة اليقظة على صوته وهو يستطرد لاني ، تستطيع أن تتصيد القنصل الليلة وتعطيه مبلغا إضافيا » فقال جيري ، يجب أولا أن اذهب واستوثق من سيبريان وسيبريان ابن اخت ليز ويقوم بقيادة سيارة النقل في ضيعة بيانفيني . فقال لاني وهو كذلك ، أحصل عليه أو على سواء .
ودون عنواني واتصل بي تليفونيا ظهر الغد ، ثم مرة أخرى في ساعة متأخرة من المساء كي أعرف باستمرار أين أنت . وتعال بطريق فيرونا وممر برينر ولا تدع شيئا يثنيك عن الوصول الى هنا ، فإن أصابك انهيار دع سيبريان يأتي بسيارة النقل وأركب أنت القطار . أركب طائرة ان كان لابد من ذلك . ولدي هنا شخص أريد منك أن تقابله يوم الجمعة . فقال المؤدب السابق والجندي السابق » وهو كذلك ، بلهجة أشبه بالنعاء ، مع التشديد على المقطع الاول ، فكانما هو توقيع بامضائه عن طريق التليفون .

- ٩ -

كان البارون فون وينزولين يملك لوحة من ريشة أنطون موفي (الرسام الهولندي المشهور بلوحاته التي تمثل المناظر الطبيعية والحيوانات) كبيرة الحجم سخية الألوان لراعى غنم بقطيعة في غسق لؤلؤي الضوء ضارب الى الخضرة ، فخیل للاني أنها نموذج بديع لمشاعر هذا الرسام الشاعرية الجادة ، واستطاع أن يهبط بثمانها الى ثلاثين ألف مارك ، وإبرق الى زلطان أنه قرر شرائها على سبيل المقامرة ، فهل يحب صديقه أن يشاركه مناصفة ؟ وجاء رد صديقه بالموافقة فذهب ذلك الصباح وأشتري اللوحة ودفع ألفي مارك واتفق على دفع الباقي في مدى اسبوع ، مما اقتضى التوقيع على أوراق يحملها لاني في جيبه . ثم أنه ضمن بذلك أن نصيرا للنازي ذا نفوذ صارت له مصلحة في الشهادة بأنه

خبير فى الفن حقا . وفى الوقت نفسه صارت هناك ذريعة لذهاب لاني الى فرع بنك هيلشتاين بميونينخ لسحب ثلاثين ألف مارك من عملة النازى الورقية . وعند الظهر اتصل جيرى الجدير بالركون اليه تليفونيا ، وقال انه وسيريان وسيارة النقل قد تجاوزوا جنوا ، وانهما سيأكلان وينامان مع استمرار السيارة فى الحركة . وطلب منه لاني أن يتصل به تليفونيا فى نحو العاشرة مساء حيثما كان ، فقال جيرى بلهجة غنائية « وهو كذلك » .

وبعد قليل حدث اتصال تليفونى من « بوكلى » وذهب لاني فاخذه لنزلة فى السيارة . وقال هوجو « تم تحديد كل شيء . وعليك أن تدفع ثلاثة وعشرين ألف مارك ، وسيتم تسليم صاحبك اليك فى أى مكان بداخاو فى الساعة الثانية والعشرين من مساء الغد . فهل ستكون مستعدا ؟ » فقال لاني « انا واثق جدا بذلك . هاك نقودك » وأخرج حافظة نقوده وأعطاهما الى صديقه الجالس بجواره قائلا « خذ ما تشاء بنفسك » ومن غير المحتمل أن يكون هوجو بير ابن موظف الشحن البحرى قد أمسك بيده فى أى وقت مثل هذا المبلغ الكبير من قبل . فارتجفت يده وهو يخرج حزمة ورق النقد الجديد القشيب ، وكل منهما قيمتها ألف مارك فيعد منها ثلاثا وعشرين ورقة ، وفى حين واصل لاني قيادة السيارة من غير أن يبدو عليه اهتمام خاص . وعد هوجو الاوراق مرة أخرى بصوت مرتفع . ثم قال الثرى المترفع « يحسن أن تأخذ نقودك انت أيضا . فقد أتعرض لشيء من المتاعب كما تعلم » فقال الآخر « ان تعرضت للمتاعب فمن الافضل أن أستطيع القول بأنك لم تعطينى شيئا واننى قمت بذلك العمل اكراما للصدقة ولأنك صديق لهاينريش وكبرت فضحك لاني وقال « ركز عليهما ما استطعت ! قل ان هاينريش أخبرك كيف اخذ كبرت وأخذنى لزيارة الفوهرر فى الشتاء الماضى . واننى حدثتك أيضا عن رحلة الصيد مع جورنيج ، ولذا كنت واثقا بأننى حتما على ما يرام » .

وكان هوجو قد حصل على أنباء عن فريدى سمعها لاني بسرور . فقال ان كلام لاني عن ذلك السجن يبدو صحيحا لأنه كسب احترام من كانوا يريدون سحقه . ولسؤ الحظ أنه بين يدي الجستابو الذين يحتفظون به بمعزل عن النزلاء العاديين ، فهناك سجن داخل السجن على ما يبدو ! وتقول الاشاعة انهم حاولوا ارغام فريدى على البوح بأسماء أشخاص معينين من الديمقراطيين الاشتراكيين كانوا يديرون مطبعة سرية فى برلين،

ولكنه اصر على أنه لا يعرف شيئا عنها . وقال لانى « لا يمكن ان يكون على علم بها » وقال لنفسه « ترودى شولتز ! » وكان فى نيته ان يدل بملاحظة عرضية لصديقه « بهذه المناسبة اتساءل هل من الممكن ان تعرف لى شيئا عن وجود رجل فى داخاو واسمه لودفيج شولتز » بيد أنه تحقق لديه الآن ان الامر ليس من البساطة كما كان يظن . وأن اخبر هوجو انه يحاول مساعدة شخص آخر من الماركسيين الفظعاء فقد يقلب احساسه نحو العملية كلها . وإذا اخبر هوجو اصدقاءه فى معسكر الاعتقال بذلك قد يحدث لديهم نفس الاثر . فليس فى استطاعة لانى ان يصنع شيئا للمسكين ترودى ، على الاقل فى هذه الرحلة .

- ١٠ -

وقاد السيارة الى داخاو وراحا يجوبان بها الشوارع ليقررا اختيار بقعة مظلمة هادئة ودرسا الوصف الدقيق لهذا الموضوع حتى يتسنى لهوجو ان يخبر به الرجال الذين سيحضرون فريدى . وقال هوجو انه على موعد لدفع النقود لرجل فى ميونيخ فى الساعة العشرين اى فى الثامنة مساء . وكان هوجو عصبيا جدا لاضطراره للتجول وفى جيبه مثل هذا المبلغ غير المعقول ، فأخذ لانى بالسيارة الى الجبال حيث راحا ينظران الى المشهد الجميل . وتمثل الأمريكى قائلا « حيث كل منظر يروق المرء وحيث الانسان وحده دنى » ، ولكنه لم يترجم هذا الاقتباس لصديقه الالمانى .

وكان هوجو قد تبادل الحديث مع بعض رفاق حزبه فى ميونيخ ، حيث ولدت الحركة ، والتقط منهم أنباء لا تنشر فى الصحافة المتماثلة الراى . وفى الحزب حالة توتر فظيعة ، وكانما كل شخص هناك فى نزاع من الآخرين . جورنج وجوبلز فى عداوة شديدة حول مسألة سياسة السيطرة ، التى فهم لانى انها تعنى السيطرة على تفكير هتلر . وكان جوبلز قد أعلن برنامجا لارغام رجال الصناعة على اقتسام الارباح مع العمال ، وهذا بطبيعة الحال اجرام فى نظر جورنج وأصدقائه رجال الصناعة . ومنذ عهد قريب القى فون بابن - الذى لم يزل وزيرا من وزراء الرايخ - خطبة طالب فيها بحرية الصحافة فى مناقشة جميع المسائل العامة ، فتدخل جورنج ومنع نشر هذه الخطبة . ومنذ يوم أو يومين القى القبض فى ميونيخ على الرجل الذى قيل انه كتب هذه الخطبة له ، والمدينة تموج باللفظ حول هذا النزاع . وسرت اشاعات تقول ان مائة وخمسين

من حرس جوبلز الشخصى تمردوا وأرسلوا الى معسكر للاعتقال . وما أكثر الحكايات الغريبة من هذا النوع ، فمن يدري ماذا يصدق ؟ .

ووصلا الى بحيرة تجيرون ، وهى بحيرة جميلة جبلية ، فوجدا هناك علامة من علامات الطرق مكتوب عليها « بادفييس ٧ ك . م . » فقال هوجو « تقول الصحف أن رهم يقضى عطشته هناك ، وقيل لى أنه اجتمع عدة مرات بالفوهرر فى الاسبوع أو الاسبوعين الماضيين ، وأن مشاجرات رهيبة نشبت بينهما ، فسأله الزائر الجائع الى اللفظ وما المشكلة بينهما ؟ فاجاب هوجو أنها القصة القديمة بعينها . فرهم وأصحابه يريدون تنفيذ برنامج الحزب الاصلى . وهو الان بطبيعة الحال يكاد يجن لرغبتهم فى تسريح جنوده من كتائب الهجوم . وكان فى وسع لاني أن يثق بالدافع الاخير أن لم يثق بالدافع الاول . وكان قد سمع رئيس الاركان ذا الشعر الاحمر يتحدث فى أحد اجتماعات النازى وكان انطباعه عنه أنه مفامر عسكرى مفرط الحشونة لا تقضه المثل العليا الاشتراكية ، ولعل هذا راجع جزئيا الى ندوب المعارك التى أصيب بها ، فالجزء الاعلى من أنفه ذهبى به رصاصة ! ورهم يريد زيادة سلطات قمصانة البنية ، وطبيعى أن يناضل نضال المستميت ضد القضاء عليهم .

والكيلو مترات السبعة ليست شيئا مذكورا ، فدار لاني بسيارته فى الاتجاه الذى حددته اللافتة فاذا قرية صغيرة بديمة ذات شوارع ظليلة بها أكواخ جميلة على ضفة البحيرة . وامام كوخ من أكبر هذه الأكواخ ، وايضا أمام « حانة المزارع » وقف عدد كبير من السيارات الفارعة . وقال هوجو « لا بد أنهم يعقدون الآن مؤتمرا . فزعمناؤنا وحدهم الذين يستطيعون اقتناء سيارات كهذه » ودلت لهجة المرارة فى صوته على أنه لا يولى الفوهرر الجديد من الثقة أكثر مما يولى الفوهرر القديم ، فسأله لاني « أتعرفه » ؟ فقال « أعرف أحد رجال مكتبه فى برلين وقد أخبر الرئيس اننى أعمل فى صفه » فسأله لاني « أتحب أن تدخل وتقابله ؟ » فرد عليه هوجو مجفلا « أتعرفه أنت ؟ » لا . ولكنى ظننته ربما أهتم بمقابلة خير امريكى فى الفن ، فهتف مدير الرياضة الشاب الذى لم تكن حاسة الفكاهة أقوى خصائصه « ولكن يا لاني لا أعتقد فى الحقيقة أن لديه وقتا للتفكير فى الفن فى الوقت الحاضر ! » فقال لاني « ربما راق فى عينيه شاب رياضى رائع مثلك يا هوجو » فكان الرد « لا قدر الله ! » .

وبدا اشبه شئ بالسباب أن يتحدثا فى هذا الموضوع وهما فى ظلال رهم وبطانته ، ولكن عندما سأله الامريكى صراحة ، أعترف هوجو أنه

سمع بما يقال عن عادات رئيس أركان حرب كتائب الهجوم (أو جيش العاصفة) وكل انسان في المانيا كان يعلم هذا ، لان النقيب رهم عنصرا كان يعمل مدربا عسكريا في بوليفيا كتب سلسلة من الرسائل الى الوطن يعترف فيها بميوله الشاذة ، وقد نشرت هذه الرسائل في الصحافة الالمانية وقال هوجو أن أعداءه في الوقت الحاضر يجعلون من ذلك سببا لعدم قبوله هو ورجال مكتبه في الجيش النظامي . ثم هتف عضو كتائب الهجوم « كانما ضباط جيش لارايخ قديسون في طهارة الزنا بقى البيضاء ! »

- ١١ -

وبعد العودة الى المدينة قام لاني بنزهة طويلة على قدميه في الحديقة الانجليزية راجع فيها خططه محاولا تجنب الوقوع في الاخطاء الممكنة سلفا ، ثم عاد الى حجراته وطالع الصحف المنظمة والتقط منها تلميحات عن الصراع الدائر ، ففي وسعك أن تعثر على هذه التلميحات ان كنت من المنتمين . وبدا كان حزب العمال الالمان الاشتراكي الوطنى يوشك ان ينقسم على نفسه شيئا . وراودت لاني فكرة مؤداها انه ان انتظر بضعة أيام فقد يخرج فريدى روبن من داخاو تتقدمه فرقة الموسيقى النحاسية . وفي الساعة المحددة اتصل جيري تليفونيا . انه في الطريق وكل شيء على ما يرام . والتقدم بطيء في الطرق الجبلية ولكنه يعتقد انه يستطيع أن يصل ظهر اليوم التالى . ثم سال « ما هو آخر وقت ممكن ؟ » فاجابه لاني « الساعة الثانية » فقال جيري بنغمة الفناء « وهو كذلك » واستلقى لاني وحاول أن ينام ولكنه وجد ذلك عسيرا لانه ظل يتخيل نفسه بين ايدي الجستابو الذين يملكون سجوننا داخل السجون . وما عساه يقول ؟ والاهم من هذا ماذا عساهم صانعين به ؟

وفي صباح اليوم التالى تلقى المتأمر اتصالا تليفونيا من « الهن بوكلىن » وركب السيارة ليقابل صديقه ويتلقى نبا سيثا . فأخذ الرجال المعينين بالموضوع طلب مزيدا من النقود لان المسألة خطيرة جدا . فسأله لاني كم يريد ، وكان الجواب خمسة آلاف مارك أخرى . فقال لاني وهو كذلك وانه سيدفعها فورا . ولكن هوجو اراد أن يغير الاتفاق . فهو لم يدفع المبلغ ويريد أن يرفض دفع أكثر من النصف الى أن يتم تسليم السجين فعلا . وكانت الفكرة الآن أن يذهب بالسيارة الى داخاو في الوقت المحدد ويرقبا الموقف . فان ظهر فريدى وبدا كل شيء على ما يرام برز هوجو ودفع بقية المبلغ . فقال لاني « هذا اخطر بكثير بالنسبة لك يا هوجو »

فكان الرد « ليس كثيرا جدا » فانا واثق ان الامر ليست فيه مكيدة . ولكن ان كانت فيه مكيدة فسيقضون على كل حال . وما أريده هو ان اوفر عليك دفع المبلغ من غير أن تحصل على صاحبك » .

- ١٢ -

وعاد لاني الى فندقه وانتظر الى وقت مبكر من بعد الظهر وهو على آخر من الجمر . وأخيرا جاء الاتصال التليفوني . فجري بندلتون في فندق بميونخ طلب اليه لاني أن ينزل به « كل شيء على أهدا ما يرام » بدون خدش ، فقال لاني « أخرج الى الشارع وسأقابلك والتقطك » فرد عليه الملازم السابق من كنساس « امنحني عشر دقائق كي أحلق لحيتي وأبدل قميصي » .

وانه لشيء بهيج حقا أن تقع العين على شخص من الوطن يستطيع أن يشق به ولا يقول « هایل هتلر ! » والملازم السابق فوق الأربعين وشعره الاحمر بدأ يفقد لمعانه ، وقد زاد وزنه بعض الشيء ، بيد أنه في نظر لاني لم يزل يمثل امريكا بسرعته وكفاءته وتمتعه بما يسمونه في امريكا النشاط والحيوية الدافقة والحماسة المرحية . ولما كان لاني عشير سيدات طول حياته فهو لم يزل شديد الاحتفال بالنمط الخشن في الرجل الذي ينتشر الشعر فوق صدره . ثم انه وان كان يفضل الموت على الاعتراف بذلك كان يشعر بالوحدة والفرع في بلاد النازي . ولما كان يقود السيارة في زحام المرور بشارع لودفيج لم يستطيع أن ينظر الى مؤدبه السابق ولكنه قال « مرحى مرحى يا جيري » ان مرآك يسر العين ! « فأجابه » وكذلك انت يا فتى ! « فقال لاني « انك لن تسر لصحبتى عندما تسمع ما جئت الى هذه المدينة بسببه » فسأله جيري « ما المسألة ؟ ظننتك هنا لشراء الصور » فأجابه لاني « بل لشراء فريدي روبن واخراجه من معسكر اعتقال داخاو » فهتف جيري « يا يسوع المسيح ! » فقال لاني « المفروض ان يسلموه الى في الساعة العاشرة مساء ، وعليك أن تساعدني في تهريبه الى خارج بلاد النازي اللعينة هذه ! » .

الفصل السابع والعشرون

لعلة بشعة

- ١ -

كان جيري على علم بأن فريدي روبن سجين في ألمانيا . بيد انه لم يكن يدري اين ولا لماذا ولا كيف . والآن في السيارة ، في امان من استراق السمع أخبره لاني القصة وبسط له خطته . وكانت فكرته ان ينزع صورته الخاصة من جواز سفره ويستبدل بها صورة فريدي روبن التي احضرها معه . ثم يلتقط فريدي في داخاو ، ثم يتجه بالسيارة الى جزء آخر من البلدة ليلتقي بجيري ويدع جيري ياخذ فريدي بالسيارة الى خارج ألمانيا تحت اسم لاننج بريسكون بد . وهذا هو المشروع الاصلى . ووضح لاني ذلك بقوله « في البداية خطرت لي فكرة تعديل جواز سفرك انت ليستخدمه فريدي ثم اقود أنا السيارة بها الى الخارج . ولكنني تحققت ان الخطر قليل جدا في القيام بدور القيادة لان جوازات السفر ستكون على ما يرام ومتى ابتعد المرء عن داخاو فكل شيء سيكون حسنا ، اما من بقي بدون جواز سفر فقد يتعرض لشيء من المتاعب . ولذا اعرض عليك القيام بقيادة السيارة . » فصاح ابن ولاية كنساس مذهولا « ولكن بحق الاله ! ماذا تتوقع ان تصنع في موضوع خروجهك انت ! فقال لاني « ساتوجه الى القنصل الامريكي واقول له ان جواز سفرى سرق منى . وقد صادقت القنصل ومن المحتمل ان يعطينى بدل فاقد . فان لم يشأ ذلك فالامر متروك لى كى أجد وسيلة للتسلل من احد ممرات الجبل » فقال جيري « ولكنك فقدت صوابك يا لاني ! فاولا بمجرد اكتشاف فرار فريدي سيعلنون انه متجه الى الحدود النمساوية فيخلقون الممرات » فقال لاني « سوف لا يستغرق وصولك الى الحدود من داخاو سوى ساعة او ساعتين واذا بك قد اجتزتها وانطلقت . لانك ستقود سيارتى لا سيارة النقل » فقال جيري « ولكنهم سيجدون عند نقطة الحدود تسجيل بيانات جواز سفر لاني وجواز سفرى » فقال لاني ثم ماذا ؟ سيستنتجون من هذا انك انت الذى سرقت جواز سفرى . وهى جريمة لا تستوجب اعادة

صاحبها الى البلد الذى غادره « فقال جيري » سيدركون انها عملية مدبرة !
فانت صهر شقيق فريدى وقد حاولت العمل على اطلاق سراحه . فيكون
من الواضح لديهم انك اعطيتنى اوراقك « فأجاب لاني » لن تكون لديهم
ذرة واحدة من الدليل الذى يثبت ذلك « فقال جيري » سينتزعون هذا
الدليل منك عنوة يا لاني . واؤكد لك ان التعذيب سيكون شديدا لا يطاق
ولن أستطيع مواجهة أمك أو أبيك أو زوجتك ان تركتك تضيع قدمك في
فخ كهذا « وكان جيري يتكلم باسم الاسرة باعتباره مؤدبه السابق . ولكن
التلميذ السابق اصر قائلا « يجب ان اخرج فريدى من المانيا ! لقد لبثت
سنة الى ان انعقد عزمى على ذلك « فقال جيري » وهو كذلك يا فتى ولكن
عد الى فكرتك الاولى وهي ان تسرق انت جواز سفرى وتخرج فريدى
بالسيارة « فقال لاني » واتركك انت في المازق ؟ « فقال جيري » ليس هذا
مقاربا في الوخام لمازقك ، لاني لست من أقارب السجين وغير معروف
لهم . بل انا شخص استأجرته لاحضار لوحاتك واحتلت على بحيلة قدرة
ثم تركتني غريقا في الوحل . وفي وسعى ان اقيم الدنيا واقعدها تنديدا
بفعلتك واصر على قصتي « فقال لاني » وسيعذبونك لينتزعوا منك الحقيقة
بدلا مني يا جيري .

وعلى هذا النحو مضى النقاش بينهما جيئة وذهابا كانه مشهد من
مشاهد « افونس وجاستون » الا انه جاد اشد الجد . وفي هذه الاثناء
كان وقت الحصول على تاشيرات الخروج والدخول يمر . وبدا ان المناقشة
لا مخرج منها الى أن هبط الوحي فجأة على المؤدب السابق فقال « فنخرج
كلانا مع فريدى ولنترك سيبريان ليواجه الموسيقى . سأسرق انا جواز
سفره حقا وصدقا « فصاح لاني » ولكنها فعلة قدرة يا جيري « فأجاب »
ليست من السوء كما يبدو لك . فسيبريان فلاح فرنسي من الواضح ان
عقله لا يقوى على تدبير شيء . وسيكون حائقا علينا فيقوم بمشهد تمثيل
ممتاز . سأسقيه حتى يمتلئ ببيرة ميونيخ الجيدة فتفوح رائحتها منه
عندما يتولى الشرطة أمره . ومتى وصلنا الى فرنسا استطعت ان نرسل
تلغرافيا مبلغا من المال الى القنصل الفرنسي هنا وتطلب منه رعاية أمره .
وعندما يصل سيبريان الى البيت بسيارة النقل نستطيع أن تمنحه بضعة
ألوف من الفرنكات وبعد المسالة أعظم مغامرة في حياته .

ولم يحب لاني هذه الخطة ولكن صديقة حسم الموقف بحجة لم يكن
لاني قد فكر فيها قائلا « صدقنى أن فريدى روبن يبدو أشبه باسم
سيبريان سنتوز منه باسم لانج بريسكوت بد ! ثم لما رأى لاني يضعف
استحثه قائلا « هيا بنا فلننطلق ! »

أخذ جيري سائق سيارة النقل ليحصل على تأشيرات الخروج ثم للتأشير على جوازى سفرهما بدخول سويسرا ، فقد خطر له ان الافضل الا يضعوا انفسهم تحت يد موسولينى . وذهب لاني بمفرده لأداء هذا الغرض نفسه فى حين دعا جيري السائق سيبريان الى وجبة دسمة بما فى ذلك كمية وفيرة من بيرة ميونيخ الجيدة . ولم يكن ذلك الفرنسى قد شب على صفحات القداسة التى توسمتها امه حين اطلقت عليه اسمه ، فشرب كل ما وضع أمامه . وبعد ذلك رغب فى الخروج لتفقد الفتيات من بنات الثلاث عشرة سنة وما فوقها اللواتى كن يعرضن انفسهن فى اعداد ضخمة فى شوارع ميونيخ . فقال صاحبه له « أولئك الفتيات ينشلن الناس احيانا ، فمن الخير ان تعطينى أوراقك لاحتفظ لك بها » فقبل الآخر ذلك واعتبره احتياطا معقولا .

وقاد لاني صديقه بالسيارة الى داخاو لدراسة موقع الارض وأراء البقعة التى سيتم فيها تسليم السجين وتأكد من ان جيري عرف اسمه الشوارع والمعالم الرئيسية . وكان فى نية ابن كنساس ان « يستكشف المنطقة » كما يقول بحيث يجد مكانا يستطيع منه مراقبة البقعة المنشودة ليتأكد من ان كل شئ يمضى وفق الخطة الموضوعة . وسيقوم هو جو بمثل ذلك . ولكن لاني لم يكن حرا فى اخبار جيري بأمر هوجو واخبار هوجو بأمر جيري . فاكتمى بأن نبه صديقه الى ان ضابطا نازيا سيقوم بالمراقبة فقال جيري « وسأراقبه انا ايضا ! »

وكانت هناك عقبة واحدة جدية فيما يتعلق بالمؤدب السابق ، وهى انه لا يعرف الا كلمات قلائل من اللغة الألمانية ، « فسأل لاني « خبرنى كيف تقول بالألمانية ارفع يديك ؟! » فقال له لاني « فيما تفكر يا معتوه ؟ أممك مسدس ؟ فقال جيري « من ؟ أنا ؟ منذاً سمع طول حياته بأنى أحمل مسدسا ؟ » وناهيك بهذا القول من رجل حضر جميع معارك الميزارجون فى خريف سنة ١٩١٨ ! فقال لاني « يجب ألا تحاول استخدام العنف اطلاقا يا جيري وتذكر أن القتل جريمة توجب تسليم مقترفها الى الدولة التى فر منها فاجابه الآخر ، أعلم هذا يقينا ! وشفع ذلك بنكتة لفظية عن جنود المشاة الامريكيين فى الحرب العالمية .

وكان لاني يعلم ان جيري يملك مسدسا آليا من طراز بد والمرجح انه أحضره معه فى سيارة النقل ولكنه لم يفصح وانما أراد فقط أن يعرف

كيف يقولون بالألمانية « ارفع يديك » ! ودرسا الخريطة ، فسوف يقودان السيارة شمالا الى خارج داخاو ثم يدوران متجهين الى الجنوب ويتأخمان ضواحي مدينة ميونخ متسللين الى الحدود . وبعد أن وعيا الخريطة في ذهنيهما جالا بشوارع داخاو متيقظين لمعاملها بحيث لا يرتكبان غلطة في الظلام . وبعد الفراغ من ذلك عادا بالسيارة الى ميونيخ وتناولوا عشاء متأخرا في حانه هادئة ثم ذهب جيري الى فندقه ، فهناك بضعة اشياء لا يجب أن يتركها وراءه ، خطاب أو خطابان يريد أن يعد مهما وقال باسم « لم أكن أعلم اني بصدد المشروع في أعمال إجرامية » .

وفي الساعة المناسبة قابل صاحبه في الشارع وركبا سيارته الى داخاو ونزل هناك وكان الظلام قد حل في ذلك المساء الصائف البديع ، والناس في هذه المنطقة العمالية جالسون امام بيوتهم . فقال لاني « عليك أن تتحرك باستمرار حتى لا تلفت الانظار » . سأراك فيما بعد أيها الكشف المعجوز ! وكان ذلك بلهجة اليقين ، الا انه لم يشعر بذلك اليقين في دخيلة نفسه !

وعند العودة الى ميونيخ مر الفتى اللاهي بسيارته أمام البقعة التي تعود أن يلتقي فيها بهوجو أمام حانوت لبيع الطباق في شارع مزدحم بالناس ، وكان الظلام قد خيم الا أن الشارع كان مضاء . ولم ير لاني صاحبه ، ولما كان يعلم انه جاء قبل الموعد دار بالسيارة ببطء حول مربع البناء ، حتى اذا دار حول الناصية مرة أخرى رأى صديقه غير بعيد متجها صوب البقعة المتفق عليها . وكانت ثمة سيارة أجرة تتحرك في نفس الاتجاه خلف هوجو بثلاثين أو أربعين قدما تسير ببطء مطفأة الانوار . وانتظر لاني ريثما تمر هذه السيارة ولكن السائق فيما يبدو كان يبحث عن رقم في الشارع فتقدمها لاني ووقف عند المنحنى حيث رآه هوجو وشرع في الانضمام اليه . وانحنى لاني ليفتح الباب من الجانب الأيمن للسيارة ، وفي اللحظة نفسها وقفت سيارة الاجرة بمحاذاة سيارة لاني ووثب منها ثلاثة رجال يرتدون القمصان والسرراويل السوداء والخوذات الفولاذية التي تدل على الانتماء الى كتائب الامن النازية . ووقف احدهم يحديق في لاني في حين اندفع الآخرون فدارا من خلف سيارة لاني وواجهها مدير الرياضة الشاب متلبسا بوضع يده على باب السيارة وسأله احدهما « أنت هوجوبير؟ » وكان الجواب « نعم أنا هو » . والتفت لاني لينظر الى من وجه السؤال ولكن حركة الرجل التالية كانت أسرع من أن تتبعها عينه . فلا بد انه كان ممسكا في يده بمسدس خلف ظهره فشهره واطلق

الرصاص مباشرة فى الوجه الذى أمامه وعلى بعد لا يزيد على قدم واحدة .
وتناثرت فرق من عين هوجوير الزرقاء ونافورة من دمائه الآرية انبثقت
فأصاب جانبا منها . اما بقية هوجوير فتهاوى وسقط على الطوار .
وعندئذ حول الرجل مسدسه الى وجه السائق المذعور وأمره قائلا « ارفع
يديك ! » وكان فى هذا بالتأكيد قلب للموقف بالنسبة لـلانى . فرفع يديه
الى أعلى . وسأله رجل كتائب الأمن « من أنت ؟ » وهذا أوان أسرع
الاجابات بقدر الامكان ، ومن حظ لـلانى انه فكر فى أفضل اجابة ممكنة
قائلا أنا خبير أمريكى فى الفن وصديق للفوهرر » فقال الرجل « اوه !
اذن أنت صديق للفوهرر ! » فقال لـلانى « لقد زرتة عدة مرات وقضيت
الصباح معه فى البيت البنى منذ بضعة أشهر » فسأله الرجل « وكيف
تعرفت بهوجوير ؟ » فأجابه « قدمونى اليه فى بيت هاينريش يونج أحد
كبار المسئولين فى شبيبة هتلر ببرلين . وهاينريش من أقدم أصدقاء
الفوهرر وقد زاره مرات كثيرة عندما كان فى حصن لانسبيرج . وهاينريش
هو الذى قدمنى للفوهرر » وكان لـلانى يتدفق بهذه العبارات وكأنها
قطعة محفوظات فى المدرسة والواقع انها كانت أشبه بذلك فعلا لانه كان
قد تخيل الاسئلة وحفظ دوره بأفضل تعبير المانى . ولما كان رجل كتائب
الأمن لم يطلب منه التوقف فقد استمر يقول بهذه السرعة نفسها وكذلك
عندما زرت زعيم الرايخ فى البيت البنى كان معنا كيرت مايسنر من قلعة
شتوبندورف وهو مؤلف موسيقى وصاحب كثير من أناشيد الحزب التى
تتغنون بها فى اجتماعاتكم . وهو يعرفنى منذ كنا غلامين فى هلاو .
ويمكن أن يؤكد لك أننى صديق لحركة الاشتراكية الوطنية . وعندئذ
انتهت الخطبة كما رسم خطتها لـلانى . ولكنّه وهو يقول الكلمات الأخيرة
شعر بشك فظيع يكاد يخنقه ، فلعل هذه ثورة معادية للنازى، وقد يكون
بهذا الكلام مبرما الحكم على نفسه بالهلاك ! ورأى فوهة المسدس تهبط
الى أسفل فصارت موجهة الى سرتة بدلا من وجهه ، الا أن ذلك لم يكفه
فحملق فى رجل كتائب الأمن الذى كان له حاجبان سوداوان يلتقيان فوق
أنفه فخيّل الى لـلانى أن وجهه أقسى وجه وقع عليه نظره . وقال الرجل
مشيرا بذقنه الى أسفل صوب الجثة الملقاة على الطوار « وماذا كنت تصنع
مع هذا الرجل ؟ » فأجاب « جئت الى ميونيخ لأشترى لوحة من البارون
فون زنوليرن وقد رأيت هوجوير سائرا فى الشارع فوقفت لأقول له
يا لها من مصادفة فكان لـلانى فى هذه المرة يتكلم على البديهة ، وأمره رجل
كتائب الأمن قائلا « انزل من السيارة » وجعل قلب لـلانى يدق بشدة من
تحت حلقة ، وجعلت ركبته تترجفان بعنف فلم يكن واثقا بأنهما تقويان

على حمله فقد خيل اليه انه امر بالنزول حتى لا تفسد دماؤه ومعه سيارة جيدة فقال « أؤكد لك أنك ستندم ان أطلقت على الرصاص فانا صديق حميم لوزير الرايخ رئيس الوزارة البروسية الجنرال جورنج وكنت معه فى رحلة صيد فى الحريف الماضى . وفى وسعك أن تسأل الملازم الاول فورت فينجلر من حاشية سعادته . وفى وسعك أن تسأل عنى وزير الرايخ جوبلز ، أو زوجته فراو ماجدة جوبلز ، فقد زرت بيتهما . وفى وسعك أن تطالع المقالات عنى فى اعداد صحف ميونيخ الصادرة فى نوفمبر الماضى عندما أشرفت على معرض للصورهنا وأخذت لوحة منها الى الفوهرر، وكانت صورتى منشورة فى جميع الصحف . » فقال رجل كتائب الامن « سوف لا أطلق الرصاص عليك » وكانت لهجته تدل على الازدراء الشديد لاي انسان يعترض على اطلاق الرصاص عليه . فسأله لاني « وماذا ستصنع اذن ؟ فأجابه. سأخلك الى سجن شتادلهايم الى أن نتحرى عن قصتك . اخرج من السيارة » .

وشتادلهايم اسم يبعث الذعر ، فهو من السجون الفظيعة التى يتحدث بشأنها اللاجئون ، الا أنه أفضل من القتل بالرصاص على الطوار، فاستطاع لاني أن يسيطر على أعصابه واطاع الأمر . ومر الرجل الآخر بيديه فوق جسمه ليتأكد من أنه غير مسلح . ثم أمره القائد بتفتيش جثة هوجو فأخرج منها ملء قبعة من المقتنيات من بينها حزمة من أوراق النقد كان لاني يعلم أنها تصل الى نحو خمسة عشر الف مارك . وبدأ واضحا أنهم ينوون ترك الجثة حيث هى ، وتساءل لاني فى نفسه هل لديهم هيئة خاصة لجمع الجثث ، أم أنهم يتركونها لهمة الجيران ؟

ومهما يكن من شئ فلم يكن لديه متسع من الوقت للاسترسال فى التفكير ، لان القائد أمره بقوله « اركب فى المقعد الخلفى » ثم دخل فجلس بجواره وهو لم يزل مصوبا مسدسه نحوه . وركب الرجل الذى كان واقفا من جهة لاني فى مقعد القيادة ، ودار محرك السيارة وانطلقت فى الشارع بسرعة .

- ٤ -

وكان لاني قد شاهد تشتا ادلهاييم من الخارج ، وهو كتلة من المباني فى شارع عريض محفوف بالاشجار ، وهو طريق بحيرة تجيرنيزى الذى كان قد مر مع هوجوير فيه بالسيارة . وبدأت أسوار ذلك المكان الآن

ضخمة مخيفة فى الظلام . وأمر لاني بالنزول من السيارة وصحبه اثنان من آسريه الى داخل البوابة ومن هناك مباشرة اجتازوا حجرة الاستقبال الى دهليز صخرى افضى الى حجرة صغيرة . وتوقع أن يسجل اسمه مع بصمات أصابعه ، ولكن يبدو أن ذلك لم يكن ضروريا . وأمر بخلع سترته وينظفونه وحذائه ثم بدأ تفتيشه . وقال : « فى هذه الحافظة مبلغ كبير من المال » فأجاب القائد بصرامة « سنهتم بأمرها . واخذوا ساعته ومفاتيحه وقلم الحبر وربطة العنق وكل شيء فىسا عدا منديله . وفتشوا بطانات ثيابه وبحثوا بعناية ليتبينوا أى علامة قد تدعوهم لنزع كعبى حذائه وأخيرا أمره بارتدائه ثيابه مرة أخرى . فقال لاني « الديكم مانع فى أن تخبروني عن تهمتى ؟ فكان رد القائد عليه « احرص ! » ويبدو أنهم لم يصدقوا حكايته العجيبة عن صداقته الحميمة لأقطاب النازى الثلاثة . ولما كان لاني غير راغب فى تلقى ضربة على أم رأسه بكعب مسدس فقد أغلق فمه كما أمره وأخذوه الى خارج الحجرة فاجتازوا به الممر الى باب فولاذى عليه حارس . ويبدو أن رجل كتائب الامن هو المشرف على المكان ، فما كان عليه الا أن يؤدى التحية ويقول « هایل هتلز » ! ففتحت امامه جميع الابواب . وقاد السجن فنزل به درجات سلم صخرى ضيق الى ممر ضعيف الاضاءة على جانبيه أبواب فولاذية . وقد كانت فى السجون القديمة أماكن كهذه يسودها الظلام والصمت تقترب فيها أعمال ليس لها اسم وقام سجان سحب الجنود الثلاثة بفتح أحد الأبواب ثم زج بلاني داخله دون كلمة ، وصفق الباب وراه ، وانتهى الامر على حد التعبير الذى تعلمه فى أرض آبائه .

وفى الظلام لم يتمكن من اكتشاف المكان الا بالتلمس فوجد الزنزانة ضيقة وبها سرير حديدى مثبت فى الجدار الصخرى . وعلى السرير زكيبتان من القش وبطانية . وفى الركن البعيد دلو كرية الرائحة بدون غطاء ، وهذا كل شيء . والمكان كله تفوح منه رائحة عفنة خبيثة وليست به نوافذ وتتم التهوية عن طريق فتحتين فى البواب المتين احدهما عليا والأخرى سفلى ويمكن اغلاقهما بغطاءين متحركين من الخارج ولكن لعل هذا لا يحدث الا أن أساء لاني السلوك وهو لم يسته .

وسمح له بالجلوس على زكيبتي القش ليفكر فيذل أقصى جهده ليهدي جيشان فؤاده ويستخدم ملكاته المنطقية . ماذا حدث ؟ بدا واضحا أن خطته فضحت . فهل ألقى القبض على المتأمرين أم أنهم تسلموا المال ثم أبلغوا الحطة الى رؤسائهم ؟ وان كان الامر كذلك فهل سيطلقون الرصاص على فريدى ؟ لا فائدة من القلق حول هذا الموضوع الآن ، فلن تكون للاني

فائدة بالنسبة لفريدي ما لم يخرج شخصيا من سجنه . ولذا ركز تفكيره في محنته الخاصة وفي الاستعداد للتحقيق الذي لابد أن يأتي عاجلا أو آجلا .

- ٥ -

وبديهي أن دور هوجو في الهرب من السجن قد افتضح ولكن هوجو لم يذكر قط اسم لاني كما قال وبطبيعة الحال قد يكون هذا صحيحا أولا يكون . وقد وجدوا حفنة من أوراق النقد ذات الألف مارك مع هوجو ، ووجدوا بضعة أخرى مع لاني ، وفجأة أدرك السجنين بانهيار وشيك في أعماقه أي فعلة غبية اقترفها فهذا هو الأثر الذي يتركه المجرم دائما ! فهو قد ذهب الى البنك وحصل على ثلاثين ورقة جديدة من ذات الألف مارك ، ولاشك في أنها ذات أرقام متسلسلة ، وقد أعطى بعضها منها لهوجو واحتفظ ببعضها الآخر في حافظته الخاصة ! وهكذا يتمكنون من التيقن بأنه حاول شراء تهريب سجين من داخاو . فماذا عسى أن تكون عقوبة هذه الجريمة ؟ وهذه العقوبة في العهد البائد شيء ، وهي في عهد النازي شيء آخر وكاننا ردا على سؤاله ارتفعت أصوات مفزعة مكتومة ولكن لا سبيل للخطأ فيها ، وهي عبارة أولا عن دق الطبول ثم أصوات إطلاق الرصاص في مكان ما من أعماق هذا الجب أو خارج الاسوار . ولم تكن طلقة واحدة ، ولا سلسلة من الطلقات بل سيلا منها وكمية شديدة الفزارة . انهم يدمون شخصا ما ، أو ربما عدة أشخاص . واضطر لاني الذي كان قد وثب قائما على قدميه للجلوس مرة أخرى لأن ساقيه خائتاه .

من عسى أن يكون من يدمونه ؟ أهو رجل كتائب الهجوم في داخاو الذي كان هوجو على اتصال به ؟ أم هو الرجل الأعلى منه الذي طلب منه مزيدا من النقود ؟ لابد أن الحطة قد افتضحت في وقت مبكر لأن الساعة لا يمكن أن تتعدى العاشرة بكثير ، ولم يتسع الوقت لمحاولة الهروب من السجن ثم احضار المذنبين من داخاو الى هذا السجن . وبطبيعة الحال ربما كان هذا الاعدام لا صلة له بداخاو ، فإطلاق الرصاص أمر كثير الحدوث في سجون النازي باتفاق جميع اللاجئين . ولعلهم يدمون الناس كل ليلة في الساعة الثامنة والعشرين بتوقيت ألمانيا !

وبعد تفكير دقيق جدا قرر لاني أن النازي ثبتوه في موضعه بالمسامير ، فليست أمامه فرصة للافلات . فهو قد أتى الى ألمانيا لكي يحصل على فريدي روبن وما كانت تجارة اللوحات الا للتصويه . وهو قد أحضر سيارة نقل من فرنسا ، وسيوقنون بأنه كان ينوي أخذ فريدي الى الخارج في سيارة النقل تلك ! وهناك جيري ومعه ورقتان من ذات الألف مارك

أعطاء لاني اياهما ! وثمة أيضا جواز سفر سيريان سانتوز وقد استبدلت صورته بصورة فريدي روبن ! فهل سيدركون معنى ذلك ؟ أم أن جيري ربما أفلت ؟ أنه حري الآن أن يقوم بالتجول مارا بالموضع المحدد في انتظار السجين وظهور لاني . فهل يقوم النازي بالمراقبة ويقبضون على أى شخص يمر من هناك ؟ هنا سؤال هام ان استطاع جيري الهروب فسيذهب يقينا الى القنصل الامريكى ويبلغه أن لاني مفقود ، وهل سيخبر القنصل بالحقيقة كاملة ؟ قد يخبره أو لا يخبره ، ولكن القنصل على كل حال حري أن يفوم بالتحري عن ابن آل بد أصحاب مصانع الأسلحة .

- ٦ -

مزيد من دق الطبول ومزيد من اطلاق الرصاص ! يا الهى ! أتراهم يقضون الليل كله فى قتل الناس فى سجون المانيا ؟ يبدو أن الامر كذلك ، لأن لاني قضى الليل بطوله يصغى لدفعات من الطلقات النارية طويلة أو قصيرة عالية أو خافته . ولم يستطع أن يحدد هل يجرى هذا فى الداخل أو الخارج . الديهم حجرة خاصة للاعدام أم أنهم يطلقون عليك الرصاص فى أى مكان يتفق وجودك فيه ؟ وماذا يصنعون بكل هذا الدم ؟ وخيل للانى انه يشم رائحته ورائحة البارود ، ولكن لعله مخطيء لأن رائحة دلو القاذورات العتيق الصدى يمكن أن تكون قوية الفواح فى زنزانة صغيرة ، وكان خبير الفن قد شاهد لوحات كثيرة للاعدام قديمة وحديثة ، فعرف مايتخيل . انهم احيانا يعصبون أعين الضحايا ، وأحيانا أخرى يجعلونهم يديرون ظهورهم ، وأحيانا تالفة يضعون المسدس الآلى عند قاعدة الجمجمة فوق المخيخ . ويقال ان هذا أرحم ، ولاشك أنه أسرع . والنازي لا يهتمون بالرحمة ولكنهم قطعاً يهتمون بالسرعة .

وبين الحين والحين كان يسمع صوت باب يصفق فيقول لاني « ها هم يأخذون شخصا الى حتفه » وبين الحين والحين كان يسمع وقع أقدام فيقول لنفسه « أقادمون هم أم رائحون ؟ ويتساءل عن الجثث ! الديهم نقالات ؟ أم تراهم يجرونها جرا ؟ وخيل اليه أنه يسمع صوت جر ، وارتفعت صرخات عدة مرات . ومر رجل ذات مرة ببابه وهو يجادل ويصيح محتجا . ما خطبهم ؟ انه نازي صالح كائى نازي فى المانيا ، وهم مخطئون هذا عار شائن ، وما الى ذلك . وقد زود هذا لاني بشئ جديد يفكر فيه فجلس برهة طويلة لا يتحرك فوق حشيته المصنوعة من القش وذهنه فى دوامة .

ولعل هذا كله لا علاقة له بفريدي وفراره من السجن ! لعلهم لم يكتشفوا شيئا على الإطلاق ! انها تلك الثورة الثانية التي كان هوجو يتنبأ بها بلا تحفظ ! أو هوجو لم يعدم بالرصاص لانه حاول رشوة حارس في داخاو بل لانه في قائمة أولئك الذين يعملون بنشاط في صف ارنست رهم وغيره من الساخطين من زعماء فرقة الهجوم ! وفي هذه الحالة قد يكون إطلاق الرصاص جزءا من اخماد تلك الحركة . وشيء له دلالة ان أسرى لاني من رجال كتائب الامن وهم الحرس المختار الذي يضم من اصطفاهم هتلر شخصيا ، فهم يتولون القضاء على منافسيهم وتصفية من يطالبون بزيادة سلطات رئيس أركان كتائب الهجوم .

ثم خطر له بعد ذلك احتمال اشدّ ازعاجا . وهو أن الاعدام قد يعنى نجاح المتمردين ، ومصرع هوجو بير لا يعنى أن ذوى القمصان السود (كتائب الامن) تمت لهم الغلبة في كل مكان ، فلعل رجال كتائب الهجوم دافعوا عن أنفسهم بنجاح ! ولعل شتادلهائم قد تم الاستيلاء عليها على نحو ما تم الاستيلاء على الباستيل في الثورة الفرنسية ، وإن الاشخاص الذين يتم اعدامهم الآن هم الذين زجوا بلاني هنا ! وفي أية لحظة قد تفتح ابواب زنزاناته ليرحبوا به في تهليل أخوى !

تخيلات وهذيان . ولكن الامر كله كان هذيانا . فهو مستلق هناك في الظلام وليست لديه وسيلة لاحصاء الساعات ولا يستطيع سوى التفكير في عالم مملوء بالقتلة المجانين . ولم يكن واثقا الا بشيء واحد ، وهو أن شخصا يقتل شخصا ، واستمر ذلك على فترات وليس هناك ما يدل على انتهائه . وتذكر لاني الثورة الفرنسية ، والارستقراطيين المنكودين الذين استلقوا في زناناتهم منتظرين حلول دورهم كي يحشدوا في عربات نقل ذات عجلتين تقلهم الى المقصلة . ويقال أن ذلك كان يشيب شعر أولئك الناس بين عشية وضحاها . وتساءل لاني هل يحدث هذا له الآن . وفي كل مرة يسمع فيها وقع أقدام تمنى أن يكون شخصا قادما لإطلاق سراحه . ولكنه يخشى بعد ذلك أن تتوقف تلك الخطوات فعلا عند بابهِ ، لان ذلك قد يعنى استدعاءه الى حجرة التنفيذ !

وحاول أن يسرى عن نفسه ، فهو لم يقم بدور في مؤامرة كتائب الهجوم ، وهم بالتأكيد لن يطلقوا عليه الرصاص لمجرد انه قابل صديقا في الشارع . ثم يقول لنفسه « وما القول في أوراق النقد تلك ! انهم سيعطونها الآن شر المعاني » . سيقولون « لماذا أعطيت النقود لهوجوبير؟ » فبماذا يجيب ؟ لقد قال انه لا يعرف ماذا كان هوجو يريد منه . وسيعرفون

ان هذا كذب فيقولون «لقد كنت تساعد على أعداد ثورة ضد حزب العمال الالمانى الاشتراكى الوطنى» وهذه بالتأكيد جريمة عقوبتها الاعدام بالرصاص ، حتى ولو كنت قادما من بلاد الحرية الجميلة لتتترفها !

وفكر لانى فى أفضل طريقة لمواجهة هذا الموقف البالغ السوء . سيتكلم عندما يسألونه عن صداقته للكبار ذوى السلطان ثم يترىث ليلتقط أى تلميح يدل على ان من يسأله فطن الى موضوع أوراق النقد أو عرف شيئا عن موضوع فريدى روبن . ان كان هذان الامران قد افترضا فسيضحك لانى - أو على الاقل يحاول أن يضحك - ويقول « نعم لقد كذبت بالطبع على رجال القمصان السود أولئك فى الشارع » فقد ظننتهم مجانين سيطلقون على الرصاص . والحقيقة ان جوجوبير جاء الى وطلب منى نقودا وعرض أن يستخدم نفوذه لدى رجال كتائب الهجوم فى داخاو لاطلاق سراح صديقى . ولم يكن هناك كلام عن رشوة ، بل قال انه سيودع المبلغ خزانة الحزب لاستخدامه فى معونة الشتاء ، وكان لانى واثقا من شيء واحد فى هذا الموضوع ، وهو ان كل ما يقوله عن هوجو لا يمكن أن يترتب عليه ادنى اذى لمدير الرياضة الشاب .

- ٧ -

وقع أقدام فى الدهليز واتسعت فجوة أسفل باب لانى ثم زج شيء الى الداخل فقال بسرعة « خبرنى من فضلك كم سامكت هنا ؟ » ولما لم يتلق جوابا قال « أنا مواطن امريكى واطالب بحقى فى الاتصال بقنصلى » فضاقت الفجوة مرة أخرى وابتعد وقع الاقدام .

وتحسس لانى بيديه فوجد اثناء معدنيا به ماء وفنجانا به سائل دافئ لعله قهوة وجزلة خبز قديم . ولم يكن جائعا ولكنه شرب جانبا من الماء . والغالب انه كان طعام الافطار وان الصباح قد حل . واستلقى واصفى لمزيد من اطلاق النيران يعلو وينقطع . وبعد فترة بدت له وقتا طويلا فتحت الفجوة وزج بمزيد من الطعام . وبدافع الفضول تحرى ذلك الطعام فوجده صحيفة مما يبدو أنه بطاطس باردة مهروسة بنوع من الدهن . ولا بد أن هذا الدهن عفن لأن رائحته مقرزة، وكاد لانى يتقيأ لمجرد تفكيره فى أكله . وكاد يتقيأ عدة مرات عندما فكر فيمن عساهم قتلوا بالرصاص فى هذا الحب الرهيب .

وجاءه بحساء الكرنب ومزيد من الخبز فى وقت قدر أنه المساء ، وفى

هذه المرة تكلم الحارس فقال «قرب دلو القاذورات» ففعل لاني ذلك وتناول الرجل الدلو فأفرغه ثم رده اليه من غير أن يفسله وكانت هذه العلامة الدالة على الانسانية دافعا له الى حديث قصير عن متاعبه ، فقال انه لم يصنع شيئا ولا فكرة لديه عن تهمته ، وانه مما يتنافى مع الانسانية أشد التنافى أن يزج بانسان فى جحر مظلم ، وانه كان دائما محبا لألمانيا ونصيرا لكفاحها ضد معاهدة فرساي المملة . وانه فى النهاية مواطن امريكى ومن حقه أن يخطر قنصله بالقضاء القبض عليه . وفى هذه المرة حصل على جملة رد واحدة « الكلام ممنوع يا سيدى » وبدأ الصوت فى أذنه عطوفا ، وتذكر لاني ما كان قد سمعه من أن كثيرا من الموظفين الدائمين فى هذه السجون من رجال العهد البائد وهم يحترمون النظام وينطوون على شعور انساني، فانتهاز الفرصة وغامر بقوله بصوت منخفض « أنا رجل غنى » فان اتصلت تليفونيا بالقنصل الامريكى نيابة عنى جزيتك بسخاء بعد خروجى » فأجابه الصوت « الكلام ممنوع يا سيدى » ثم بصوت اخفض بكثير « تكلم بالهمس » فهمس قائلا « اسمى لاني بد » وجعل يكررها عدة مرات « لاني بد . لاني بد » حتى غدت أغنية صغيرة . وليتها كانت ذات أجنحة كى تطير الى القنصلية الامريكية !

- ٨ -

لبث لاني بد فى تلك الزنزانة الضيقة ثلاثة أيام وأربع ليال . واستطاع أن يقدر عدد الاقدام المكعبة فى الهواء بداخلها بيد أنه لم يعرف النسبة المثوية للاكسجين فى ذلك الهواء ، ولا الى كم يحتاج فى كل ساعة كى يبقى حيا ، فقد أهمل تعليمه العلمى ، بيد أنه وجه من الحكمة أن يحتاط فيضع زكيتى القش على الارض ويستلقى فوقهما وفمه مفتوح قرب ثقب التنفس .

ومر يوم السبت والاحد والاثنين ، فقد استطاع تمييزها بأوقات الوجبات وخلال ساعات يبلغ مجموعها اثنتين وثمانين لم تمر اثنتا عشرة ساعة بدون اطلاق للرصاص . فلم يتغلب قط على فزعه . يا الهى القوى ! أترامهم يصنعون هذا طول الوقت ؟ وهل كان هذا رأيهم منذ بداية الثورة الاشتراكية الوطنية ، أى منذ عام وخمسة أشهر ؟ أترامهم يأتون بجميع المشتبه فى أمرهم سياسيا فى بافاريا الى هذا المكان بالذات ؟ أم ان هذه

مناسبة خاصة اشبه بعشية عيد القديس بارتلمي النسبة للنازي ؟
اقتلوهم جميعا ، فالرب سيتمكن بذلك من اصطفاء مسيحييه الحقيقيين !»

ولما لم يكن لدى لاني ما يصنعه سوى التفكير ، فقد خطرت له افكار
متباينة شتى منها « انهم جميعا نازيون ، فان استاصل بعضهم البعض
الآخر فسيوفر ذلك على العالم جانبا من المتاعب » ثم خطر له « لنفرض أنهم
فتحوا باب الزنزانة على سبيل الخطأ ؟ فكرة مزعجة حقا! ماذا عساه يقول؟
كيف يستطيع افناعهم ؟ ومر وقت فقال « لقد نسوني . ان هؤلاء الناس
لم يسجلوا اسمي ، ولعلمهم انصرفوا من غير ان يقولوا كلمة واحدة . ثم
جال بذمته احتمال ادعى للاضطراب » لنفرض انهم قتلوا بالرصاص في
مكان ما ولا يوجد من يتذكرني ! » وتذكر بصورة غامضة أنه طالع شيئا
عن سجين نسوه في الباستيل فلما سقط الباستيل لم يعرف أحد لماذا
سجن . وكانت قد نبتت له لحية بيضاء طويلة . وتحسس لاني بداية
لحيته وتساءل اتراها شابت . ووجه عنايته الى دراسة جادة لسجانيه
ولسيكولوجيتهم المحتملة . فبدأ له من العسير أن يصدق بأن رجالا هذا
عملهم سنوات كثيرة يمكن أن يبقى في تكوينهم أثر من الرحمة البشرية .
ولكن قد لا يكون هناك ضرر من التأكد ولذا كان في موعد كل وجبه
يستلقى على الارض قرب الثقب ويدلى بخطبة اعداها بعناية في لهجة هادئة
ودور، يشرح فيها من هو ومبلغ حبه للشعب الالمانى ولماذا جاء الى ميونيخ
وبأى صدفه سيئة وقع تحت الشبهات . فكل ما يريد هو فرصة ليشرح
ظروفه لشخص ما . وتصور انه بذلك العمل ان لم يفلح في تحريك قلب
أحد من الحراس فمن الجائز على الاقل أن يدفعهم الى اللغط وربما انتشر
اللفظ وشاع .

- ٩ -

ولم يكن يدري كم من الوقت يستطيع الشخص أن يبقى دون طعام .
فهو لم يبدأ في معاناة الجوع قبل اليوم الثاني فمضغ جانبا من الخبز الاسود
مبلولا في الماء . وهو يتساءل ماذا فيه . ولم يستطع حمل نفسه على أكل
العصيدة الكزيهة الرائحة أو الكرنب المسلوق الفاتر الذي يعلوه الدهن .
وأما الشراب المر الذي زعموه قهوة فقد قيل له فيما مضى انهم يذبيون فيه
ملح الصودا لكي يقللوا الرغبة الجنسية لدى السجناء . وهو لم يكن
يشعر بأي رغبة الا في الخروج من هذا الجحر المظلم - وجعل يهمس لحراسه

كانت معي ستة آلاف مارك عندما احضروني الى هنا ويسرنى أن ادفع منها ثمن طعام لائق . وفي المرة الثانية التي قال فيها هذا الكلام سمع صوتا رقيقا خيل اليه انه صادر من رجل متفضن الوجه اشيب الشارب ! كل شيء مقلوب رأسا على عقب يا سيدى ، وستكون أوفر أمنا ان التزمت الهدوء ، وهو تلميح له قيمته فكر فيه لانى ثم قرر أن من الخير له اتباعه فثمة حرب أهلية دائمة . فهل نجحت الثورة الثانية أم أنهم يخدمونها الآن ؟ ومهما يكن من شيء فمن حسن طالع أمريكى محب للفن وقع فى كمين بين خطى النار أن يجد فجوة يختبئ فيها . فلو كان هذا الحارس ممن يتكلمون العامية فى انجلترا لقال له « ان كنت تعرف جحرا أفضل من هذا فاذهب اليه ! »

وهكذا استلقى لاني هادئا وشغل نفسه بموضوع علم النفس الذى كان قد امله كثيرا حتى هذه الفترة من حياته . فقد شغل من أمر الدنيا بأكثر من طاقته فراح يجلب وينفق من ملكاته حتى اهدرها . أما الآن فقد تقلص العالم الى مئات قليلة من الاقدام المكعبة ، ولا يملك الا الثياب التى على جسده والآراء المخزونة فى رأسه . وبدأ يتذكر برسيغال دنجل ويقدر وجهه نظره . فبرسيغال ما كان ليبالى أن يكون هنا وكان ينتهز فرصة نادرة للتأمل . وقال لاني لنفسه « فيم عسى برسيغال يتأمل ؟ » يقينا انه لن يتأمل فى طلاقات الرصاص أو مصير الثورة المفترضة ! كلا بل سيقول ان الله موجود فى هذه الزنزانة وان الله لا يتغير مثوله داخل الابواب ولا خارجها وانه هو بذاته بالأمس واليوم والى الأبد .

وبعد ذلك فكر لاني فى فريدى روبن . وفريدى وجد فى أماكن كهذه من قبل ، وضعت أمامه أطعمة مثل هذه ، لا ثلاثة أيام فقط بل أكثر من سنة . فماذا قال لنفسه طيلة ذلك الوقت ؟ ماذا وجد داخل نفسه ؟ ماذا صنع وماذا فكر ليقطع الوقت وليتيح لنفسه ان تحمل ما حدث له وتتوقع ما يمكن أن يحدث ؟ لقد بدا للاني أن الوقت حان ليتحرى ما لديه من مخزونات القوى المعنوية .

- ١٠ -

وفى صباح يوم الثلاثاء حشر الى زنزانته سجانان فتحا بابها وصاحا به « اخرج اخرج ! » فاطاع قدر استطاعته ، لانه كان ضعيفا لافتقاده الطعام والحركة ، فهو لم يجسر على استخدام كل هواء الزنزانة

وكان قلبه يدق بشدة ، لأن جميع التمرينات النفسية فشلت في إزالة خوفه من الاعداد بالرصاص أو إزالة تفكيره في أن هذه قد تكون مسيرته الى الموت . وخارج الزنزانة أصيب بدوار فاستند الى الجدار . وساعده أحد السجنانيين على صعود السلم الحجري . وراهما يأخذانه صوب الباب الخارجى فظنهما عازمين على اطلاق سراحه ، ثم رأى اسفل السلم الخارجى عربة السجن ، ويسمونها في أمريكا ماريما السوداء وفي المانيا مينما الحضره . وصدمت اشعة الشمس عيني لاني صدمة شديدة فاضطر الى اغلاقهما . وكان السجنانان متعودين قطعاً على هذه الظاهرة فقاده كانه أعنى وساعده كانه مقعد الى أن وضعاه في المركبة فتعثر بأقدام عدد آخر من الرجال .

واقفلت الابواب فسادت عتمة رحيمة واستطاع لاني أن يفتح عينيه اللتين ألقتا الظروف التي تبصر فيها البومة فرأى سيدا واجما أقرب الى البدانة ربما كان من رجال الاعمال جالسا أمامه مباشرة عبر المر الاوسط . والى جانب لاني رجل صغير القامة تبدو عليه اللهفة يلبس نظارة لعله صحفى خانه الحظ . ولكن الرجل الجالس عبر المر وضع اصبعه على شفتيه وأوماً صوب الحارس الذى كان قد دخل المركبة « واتخذ مجلسه الى جوار بابها . فعرف على الفور أن «الكلام ممنوع» قاعدة سارية المفعول، بيد أن لبعض الناس قريحة وقادة لا يتخلون عنها عند دخول السجن . فقد وضع الرجل الصغير القامة يده فوق يد لاني حيث كانت مستقرة على المقعد فيما بينهما . ونقر على يده نقرة حادة باصبعه وفي الوقت نفسه التفت برأسه نحو لاني مشيحاً عن الحارس وفتح فمه وهمس بصوت خافت « آه » كأنه يشرع فى تعليمه الغناء ، أو يعرض حلقة للفحص وهو مصاب بالتهاب فى حلقه ولوزتيه . وبعد ذلك نقر نقرتين سريعتين وهمس « بيه ! » وهو الحرف الثانى فى الابدجىة الالمانية . ثم ثلاث نقرات « تسيه ! » وهو الحرف الثالث ، وهكذا دواليك الى أن هز الآخر رأسه ، وكان لاني قد سمع نقرأ وهو فى الجلب ، ولكنه لم يكن متأكدا اهو صوت أنابيب المياه أم هى شفرة خاصة لا يعرفها ؟

ان هذه الشفرة أبسط الشفرات . وشرع الرجل ينقر على يده ثمانى عشرة مرة ثم انتظر الى أن أحصى لاني النقرات وعرف انها حرف الراء فى اللغة الالمانية ثم ببطء توالى النقرات الى أن تجمع منها اسم « رهم » وظن لاني أن الرجل الصغير يتهجى له اسمه شخصيا وتها أن ينقر له اسم « بد » وهو مسرور لقصر اسمه . بيد أن صديقه الجديد

استمر في الهجاء وشعر بيد لاني تنبض بالحياة تحت نقراته الهينة فأدرك أن لاني فهم المغزى المطلوب ، ومع هذا استمر في هجاء الكلمة على سبيل التاكيد ، وهي في الالمانية أطول كثيرا من معناها الانجليزي . فقد كانت تلك الكلمة « رهم اعدم بالرصاص ! » .

- ١١ -

ان هذه العبارة البسيطة لها مغزى هائل عند لاني ، فقد أتاحت له أن يشرع في اختيار اتجاه واضح من بين شتى القصص التي نسجها لنفسه في الايام الثلاثة الماضية والليالي الاربعة . فاعدام ارنست رهم رئيس أركان حرب كتائب الهجوم بالرصاص معناه أن الثورة الثانية التي كثر الحديث عنها قد اخفقت . وخصوصا بعد أن استمر النقر على يد لاني وهو يتابع الهجاء حرفا حرفا ! « في شتادلهايم » فكانما أضاء نور ناقب كالبرق في ليلة حالكة فعرف لاني سبب كل هذه الطلقات النارية . ان القتل هم رئيس أركان حرب كتائب الهجوم ومساعدوه الكثيرون الذين كانوا مجتمعين معه في مؤتمرهم ! لا بد أنه قبض عليهم ونقلوه من فيسي ثم أطلق عليهم الرصاص في مكان ما من السجن العتيق الرهيب ! واستمرت الاصبع السريعة في النقر فتهجت حروف اسماء هاينز ، ثم الكلمة الرهيبة « اعدم » وكان لاني يعرف أن هذا الرجل رئيس الشرطة في برسلاو ، وهو الذي قاد العصاة التي أحرقت الرايشستاغ ، ومعروف أنه من أبشع قتلة النازي ، وكان هوجو قد ذكر له أنه من أصحاب رهم ورفاقه في الشذود وهو من بين ضيوف الفيلا في فييسى . وأعقب ذلك اسم شتراسر ! فوضع لاني يده فوق يد الرجل الصغير وتهجي اسم « اوتو » ولكن الآخر أعاد وضع يده فوق يد لاني وتهجي اسم « جريجور » ففهم لاني أن المقصود جريجور شتراسر الذي كان قد سمع تقرير الفوهرر له وكان قد سمعه مع ايرما يخطب في الاجتماع الكبير بمدينة شتوتجارت . وكان اوتو شتراسر مؤسس « الجبهة السوداء » البغيضة وهو منفي الآن وقد أعلن عن ثمن لرأسه . أما أخوه الأكبر جريجور فكان قد انسحب من السياسة وأصبح مديرا لمصانع كيماوية . ولذا كان لاني قد دهش عندما ذكر هوجو اسمه بين من يجتمعون في رهم .

وتلذذ هذا المثقف الصغير بخرق القواعد والثرثرة بالشفرة مع زميل في السجن . راح يخبره بمعنى الاحداث الرهيبة التي وقعت في الايام

الثلاثة الماضية فالانباء تتسرب وتنتشر حتى في السجون ولم يسبق في السجن . راح يخبره بمعنى الاحداث الرهيبة التي وقعت في الايام الازمنة الحديثة أن سمعوا انباء كهذه ! ونقر الاصبح اسم شليخر الذي كان مستشارا يوما ما وهو الجنرال الاشتراكي صاحب الاسلوب المتميز الذي بذل كل جهده لابقاء هتلر بعيدا عن السلطة ، والذي هزم فون بابن ثم حاقت به الهزيمة بدوره . وفي المدة الاخيرة كان قد تعاون مع الساخطين متلهفا على الاستمتاع بمذاق السلطة العذب مرة أخرى وشليخر اعدم بالرصاص ! » وهو ضابط عظيم في جيش الرايخ ومن اقطاب اليونكر وعضو في الطبقة السائدة المقدسة ! ونظر لاني الى وجه الرجل البدين عبر المر وفهم لماذا كانت عيناها محمقتين في فزع . كان في مقدوره أن يرى أصبح الرجل الصغير فوق يد لاني بحيث يحصى النقرات؟ أم انه فزع فحسب لانه يعيش في عالم كهذا ؟

وكان لاني قد سمع كفايته من الاسماء فشرع ينقر بشدة يسأله الى أين نحن ذاهبون ؟ وكان الرد « الى سجن شرطة ميونيخ » ولما سأل « لماذا ؟ » لم ينقر الرجل الصغير بأصبعه بل هز كتفيه ومد يده ، وهي إشارة تعني في جميع اللغات « من يدري ؟ »

**** معرفتي ****
www.ibtesama.com
منتديات مجلة الإبتسامة

الفصل الثامن والعشرون

تعليمات دموية

- ١ -

وفي سجن مدينة ميونيخ عومل لاني مثل أى انسان آخر ، مما كان مبعث ارتياح عظيم لديه ، فجرى تسجيله حسب الاصول : اسمه وعمره وجنسيته ومحل اقامته وعمله . وقد حددته بأنه «خبير فى شئون الفن» فاثار حيرة الرجل الجالس الى المكتب كأنه لم يظفر من قبل بكثيرين على غراره . وكان لاني يبدو بما نبت من لحيته البنية فى أربعة أيام أشبه بالقرصان ، أو لعله شعر بأنه كذلك . ويظهر انه كان محبوسا تحت «الحجز التحفظى» ، فثمة خطر كبير قد يتعرض له من شخص ما ولذا تعطف عليه الجستابو لحمايته من هذا الخطر . وتحت هذه الحيلة القانونية أقدم الفوهرر بعقدة الاجراءات الشرعية لديه على حبس مائة ألف رجل وامرأة بدون محاكمة أو تهمة . وطالب الأمريكى بأن يسمح له باخطار قنصله ، فقبل له ان بوسعه التقدم بهذا الطلب الى «المفتش» ، ولكن لم يقولوا له أين ولا كيف يقابل ذلك الشخص . وبدلا من ذلك اقتيد الى حيث أخذت بصمات أصابعه ثم أخذت صورته الشمسية .

والامور كلها نسبية ، فبعد الزنزانة المظلمة فى «شتادلهام» بدا سجن المدينة فى شارع اتشتراسى انيسا ودودا مرحا على طريقة أهل المانيا الجنوبية حقا . فهو أولا وضع فى زنزانة مع رجلين آخرين ، ولم يحدث قط من قبل ان كانت الصحبة البشرية موضع كل هذا الترحيب لدى لاني بد وثانيا كانت للزنزانة نافذة ، ومع انها كانت مغطاة بطبقة كالكمكة من التراب الا انها كانت تفتح أحيانا ، فتتدفق الشمس عدة ساعات من بين القضبان . وفضلا عن هذا رصدت نقود لاني فى حساب خاص به فصار فى مقدوره أن يطلب الطعام . وفى مقابل ستين بفينج أى نحو خمسة عشرة سنتا يحصل على صحن من اللحم البارد والجبن وبأربعين

بفينج يخلق له حلاق السجن لحيته • وصار يسمح له بالسير نصف ساعة ذهابا وايابا في الدهليز كل صباح ريثما يتم تنظيف زنزانه • وعند الظهر يأخذونه لمدة ساعة الى فناء النزهة حيث يدور عدة مرات في دائرة واسعة في حين يطل عليه من نوافذ البناء ذي الطبقات الاربع النزلاء الآخرون • فياله من مكان بهيج حقا للحبس ! •

واحد رفيقيه في الزنزانة رجل أعمال ضخم كان رفيقا له عندما حضر الى هنا في المركبة المسماة « مينا الخضراء » • وقد تبين انه مدير مؤسسة صناعية آتهم بخرق القواعد الخاصة بأجور مستخدميه وكان السبب الحقيقي كما قال انه طرد نازيا غير كفء وغير أمين ، فجاءوا الآن واخرجوه من عمله ووضعوا ذلك النازي في مكانه وسيبقى في السجن الى ان يرضى بتوقيع أوراق معينة وضعوها امامه • وكان الضحية الآخر كونت مجرى ، وكان نازيا على نحو ما ، ولكنه ليس من النوع المنشود ، وهو أيضا قد جلب على نفسه عداوات شخصية ، والعدو في هذه المرة هي عشيقته • ودعش لانى عندما اكتشف ان نسبة مثنوية كبيرة جدا من السجناء في هذا المكان كانوا أتباعا مخلصين للفوهرر ، أو يخالون انفسهم كذلك • ويبدو ان دخولك السجن لا يكلفك أكثر من مشاجرة مع شخص أعظم منك نفوذا وعندئذ توجه اليك أى تهمة وتبقى في السجن لان الاتهام أو مجرد الاشتباه في بلاد النازي أسوأ بكثير من الحكم بالادانة •

واكتشف لانى أن قضاءه ثلاثة أيام وأربع ليال في زنزانة مظلمة في « شتاد لهايم » قد جعل منه شخصية مرموقة ، على غرار آدموند دانتس أو الكونت دى مونت كريستو ، فتهافت عليه رفيقاه في الزنزانة وأمطروه بالأسئلة عما شاهده وسمعه في تلك الأقبية القظيمة تحت الأرض • ويبدو أنهما كانا يعرفان كل شيء عن أعمال القتل ، حتى أنهما أخبراه عن فناء هناك به جدار كان إطلاق الرصاص يتم أمامه ، وعن صنبور اطفاء الحريق الذى يستخدم لغسل الحائط من الدماء • فلم يستطع لانى ان يضيف الى هذا كله سوى قصة استلقائه على الأرض وتسمعه لما يحدث ، وكم مرة سمع دق الطبول وطلقات الرصاص ، وعن الرجل الذى جادل واحتج ، وعن احساسات لانى نفسه الفزعة • ووجد فى وصف هذه الاحساسات راحة فقد أنهار تكتمه الانجلوسكسونى فى هذا المكان المحدود الذى كانت الصحبة البشرية فيه كل ما يملكه المرء فيجب أن

يتقدم بنصيبه من الترفيه ان كان يتوقع من آخرين ان يقدموا له شيئا من ذلك

- ٢ -

كانت الصحف ممنوعة فى السجن خلال هذه الازمة ، ولكنك تستطيع الحصول على كافة الاشياء ان كنت تملك الثمن ، وقد استطاع المجرى ان يحصل على « صحيفة ميونيخ » الصادرة يوم الاثنين . وسمح لـلانى بالقاء نظرة عليها وهو واقف لصق الحائط الذى به الباب كى يكون بعيدا عن مجال نظر اى سجان يمكن ان يطل من الفتحة المربعة فى الباب . فان شرع السجان يفتح قفل الباب سمعه لانى ودس الصحيفة تحت الحشية اوحشا بها بنطلونه . وفى هذه الظروف الرومانسية طالع لانى العناوين المتأججة لحديث بالراديو اخبر فيه صديقه يوسف جوبلز الشعب الالماني بقصة يوم السبت الفظيع الذى أصطبغ بالدم والفرع وكان يوبشن (تدليل يوسف) ينتقل فى بلاد الراين مع الفوهرر لتفقد معسكرات العمل بكل دقة ثم اخذ يسرد التفصيلات بروح الميلودراما المزوجة بالحشوع الدينى الذى يقضى عليه واجبه بأن يبثه فى الشعب الالماني . فقال يوبشن الصغير الملتوى « انى لم ازل ارى صورة زعيمنا وهو واقف فى منتصف الليل من مساء الجمعة على شرفة فندق الراين فى جودسبيرج ، وفى الميدان المكشوف فرقة موسيقى مؤسسة رعاية العاملين بغرب المانيا تعزف انغامها . وتطلع الفوهرر بنظرة جادة متأملة الى السماء المظلمة التى تكشف عنها عاصفة رعدية منعشة ورد برفع يده التحيات الحماسية التى وجهها اليه شعب الراين . . . وفى هذه اللحظة حاز اعجابنا اكثر من اى وقت مضى . فليست هناك اختلاجه واحدة فى محياه تنم على ايسر دليل على مايدور فى أعماقه . ومع هذا كنا نحن الاشخاص القلائل الذين نقف معه فى جميع الساعات العصيبة نعلم مدى عمق احزانه ومبلغ اصراره على سحق المتمردين الرجعيين بغير رحمة ، اولئك الذين يحاولون دفع الوطن الى الفوضى ، ويحنتون بيمين الولاء له تحت شعار القيام بشورة ثانية . »

وتصل رسائل عاجلة من برلين وميونيخ تقنع الفوهرر ان من واجبه ان يعمل لورا ، فيلقى أوامره تليفونيا بالقضاء على المتمردين ، وهكذا « بعد نصف ساعة غادرت طائرة ثقيلة ذات ثلاثة محركات من طراز

يونكرز مطارا قرب بون واختفت فى ضباب الليل . ودقت الساعة دقتين، والفوهرر يجلس صامتا بالمقعد الامامى بقمرة الطائرة يحدق بنظرات ثابتة فى الظلمة العظيمة المترامية . وما أن وصلوا الى ميونيخ فى الساعة الرابعة صباحا حتى وجدوا ان زعماء الحيانة قد ألقى القبض عليهم فعلا . وفى جملتين مقتضبتيّن تفيضان استنكارا وازدراء ألقى هتلر عارهم كله فى وجوههم الجزعة المرتكبة ثم تقدم نحو أحدهم ونزع رتبته من كسوته الرسمية . وكان المصير القاسى الذى يستحقونه بجداراة فى انتظارهم بعد الظهر .

وعلم أن مركز المؤامرة كان وسط الجبال فتم جمع فرقة كتائب الامن ذوى القمصان السود المخلصين ويقول الدكتور يوبشن « وبسرعة رهيبة اتجهوا الى فييسى » ثم وصف وصفا مشيرا ذلك الركب الليلي الجامح ، بحيث استطاعوا فى السادسة صباحا « دون أدنى مقاومة أن يدخلوا البيت ويفاجئوا المتأمرين الذين ما زالوا نائمين وايقظناهم على الفور وتولى الفوهرر بنفسه عملية القاء القبض بشجاعة لا نظير لها . وأعفى نفسى من وصف المنظر المقزز الذى رأيناه أمامنا . وقد عبر جندى بسيط من ذوى القمصان السود فى استنكار شديد عن افكارنا بقوله : أتمنى لو انهارت هذه الجدران الآن ليرى الشعب الالماني كله هذه الفعلة » ومضى الخطيب يخبر الناس بما كان يجرى فى برلين : « ورفيقنا فى الحزب الجنرال جورنج لم يتردد لحظة ، وببدا ثابتة قصى على وكر للرجعية بمن كان فيه من الانصار الفاسدين الذين لا خلاق لهم ، واتخذ خطوات قاسية الا انها ضرورية لانقاذ الوطن من كارثة لا حد لها » .

وتلت ذلك حملة تشهير فى نهرين من الصحيفة استخدم فيها وزير الرايخ للارشاد القومى والدعاية نعوتا كثيرة أثنى بها على نبل زعيمه وبطولته ، « فهو قد أظهر مرة أخرى فى هذا الموقف الحاسم أنه رجل حقا . » واستخدم نوعا مختلفا جدا من النعوت وصف بها « العصاة الصغيرة من المخربين المحترفين » بؤرة الصديد ، أهل الفساد والتعفن ، وأعراض المرض والانحلال الخلقى الذين يتبجحون باظهار أنفسهم فى الحياة العامة ولكنهم الآن قد احترقوا وانتهى أمرهم ، وختم يوبشن بقوله « وبقي الرايخ وفوق الجميع الفوهرر » .

كانت هذه هي القصة التي رويت للشعب الالماني . ولاحظ لاني ظاهرة عجيبة وهي ان القزم الصغير لم يذكر ولا مرة واحدة اسم ضحية من الضحايا حركة التطهير . بل ولم يذكر صراحة ان احدا قد قتل . فخطبته كنموذج للخيال الشعبي يمكن ان توصف بالتدفق ، اما من حيث الحقيقة التاريخية فلا تحتل مكانا عاليا . واستطاع لاني ان يتأكد من اكلوبة واحدة ، فهو يعلم ان هوجوير قتل بالرصاص بعد دقائق قليلة من تمام الساعة التاسعة من مساء الجمعة اى بثلاث ساعات على الأقل قبل ان يصدر الفوهرر اوامره على حسب رواية جوبلز . وكان السجن يموج بحكايات عن اشخاص آخرين قتلوا او قبض عليهم قبل منتصف الليل . والواقع ان نفرا منهم جرى بهم الى هذا المكان بالذات . فبيدهى اذن ان شخصا ما أصدر الأوامر القاتلة في حين كان الفوهرر لا يزال قائما بتفقد معسكرات العمل . ومن المعروف تماما ان جورنج كان قد طار الى بلاد الراين مع سيدة ، ثم طار راجعا الى برلين . فهيرمان هو القاتل . وهو رجل العمل الذي اتخذ « خطوات قاسية ولكنها ضرورية » في حين كان أدى لا يزال مترددا يجادل ويصيح في أتباعه ويهددهم بالانتحار ان لم يطيعوه ويرتضى على الارض وبعض البساط في هستيريا من الذهول او من الغضب . واتضح في ذهن لاني هذا التصور للقصة الحقيقية لحمام الدم . فجورنج جلس بجوار اذن هتلر في الطائرة وراح يفزعه بحكاياته عما اكتشفه المستأبوا ، وبعد ذلك أصدر من برلين الأوامر . وبعد ان بات من المستحيل الرجوع فيها أو نقضها اتصل تليفونيا بالفوهرر الى ميونيخ ليظهر « شجاعة لا نظير لها » وليبدو أمام الشعب الالماني الساذج « رجلا حقيقيا » .

ويقول البلاغ الرسمي ان القتل لم يتجاوزوا خمسين شخصا في ذلك الارهاب الذى دام ثلاثة أيام وأربع ليال ، ولكن اللفظ فى سجن اتشتراسى كان يقول ان الضحايا فى ميونيخ وحدها عدة مئات ، واتضح ان عددهم فى المانيا كلها يقرب من ألف ومائتين . وجعل السجناء يتناقشون باستضافة فى هذه الأكاذيب الرسمية حتى صار السجن من كثرة الطنين كخلية النحل ، وحطم الفضول البشرى الحواجز بين السجنائين والمسجونين ، فصار كل من الفريقين يهمس بالانباء الى الفريق الآخر . ومتى بدأ خبر فى التداول حملته الألسنة الناشطة الى كل مكان فى تلك

المؤسسة . وكان المفروض أن يمشى المرء فى الدهاليز بمفرده ولا يتكلم ، ولكنك كلما مررت بسجناء آخرين همست لهم بشيء . وان كان الحبر طريفا ففى وسعك أن تتقاسمه مع أحد الحراس . وفى فناء الرياضة كان المفروض أن يسير النزلاء صامتين ، ولكن من خلفك يتفوه بخبر فتنقله الى من امامك . وعندما تكون فى زنزانتك تسمع اصوات نقر على الخشب او الحجارة او المعدن يستمر طول النهار ومعظم الليل . والنقر السريع للخبراء والبطيء للقادمين الجدد . وفى الزنزانة التى تحت لانى مباشرة شخص يدعى الهر دكتور ابورماير، وهو مدير وزارى سابق لولاية بافاريا، ومعروف جيدا للهر كلاوسن . ويشارك من فوقه فى أنابيب المياه ، وكان لا يمل من النقر . وتعلم لانى الشفرة فعرف قصة الهر دكتور ويلى شمت الناقد الموسيقى لصحيفة آخر الأنباء ورئيس جمعية بيتهوفن ، وهو من العلف الناس كما يقول الهر كلاوسن ، وكل ما فيه موسيقى جسدا وعقلا وروحا . وكان لانى قد طالع تعليقه على عزف سيمفونية البطولة لبيتهوفن وغير ذلك من المقالات التى دبجها قلمه وقد حضر رجال كتائب الامن من : ذوى القمصان السود للقبض عليه ، ولما عرف انهم يظنونه قائد الكتيبة ويلى شمت ، وهو شخص مختلف عنه تماما ، راقه هذا الموقف وطلب من زوجته وأطفاله ألا ينزعجوا ، ومضى مع النازى ولكنه لم يعد . ولما باصلمت زوجته المرتاعة صياحها تلمقت من رئاسة الشرطة شهادة وفاة بتوقيع عمدة بلدة داخاو يقول فيها ان غلطة يؤسف لها جدا قد وقعت وانهم سيتخذون كل مايلزم لعدم تكرار وقوعها .

حكاية وراء حكاية ، كلها غاية فى الاثارة وغاية فى الرعب ! كان ذلك شيئا خرافيا حقا جديرا بالعصر البيزنطى ! فالمستشار السابق فرانسى فون بابن الذى لم يزل عضوا فى مجلس الوزراء هوجم فى مكتبه وكسرت بضعة من اضراسه ، وهو الآن محدد الإقامة فى بيته وحياته مهددة ، والعجوز فون هندبنورج المريض على شفا الموت يحاول انقاة « زميله العزيز » . اما ادجار يونج صديق بابن الذى كتب له خطبته المسيئة التى طالب فيها بحرية الصحافة فقد قتل رميا بالرصاص هنا فى ميونيخ . وجريجور شتراسر خطف من بيته وضرب حتى الموت بيد رجال كتائب الامن فى جرونفالد . والجنرال فون شليخر وزوجته خرق جسدهما بالرصاص على درجات سلم فلتهما . وكارل أرنست قائد كتائب الهجوم فى برلين ضرب حتى فقد الوعي وأخذ الى المدينة . وقرر رئيس أركان حربه أن جورنج جن ولاشك فطار الى ميونيخ ليرفع الأمر الى هتلر ، فأعيد الى برلين وقتل رميا بالرصاص مع سبعة من معاونيه . وفى ليشترفلت

فى فناء المدرسة الحربية القديمة عقدت محاكم تحت رئاسة جورنيج معدل كل محاكمة سبع دقائق ، ثم يقف الضحايا أمام حائط ويطلق عليهم الرصاص وهم يصيحون « هايل هتلر ! » .

- ٤ -

وحوالى نصف السجنائين فى هذا السجن من رجال العهد القديم والنصف الآخر من رجال كتائب الهجوم ، وبين الفريقين تحاسد شديد . والفريق الأخير لا يدرون متى تنقضى عليهم الصاعقة ، ولذا أحسوا لأول مرة احساس الزمالة نحو سجنائهم . فان حظى سجين بزاثر وحصل منه على معلومات جديدة أراد كل واحد ان يقاسمه اياها ، ويخلق الحارس مبررا للقدوم الى الزنزانة ليسمع ما عنده . وهكذا فى الحقيقة غدا سجن شرطة ميونيخ القديم مكانا اجتماعيا مثيرا بصورة بهيجة ! وقرر لانى انه ما كان ليفوته ذلك باى ثمن . وتضاءلت مخاوفه الخاصة وقرر انه بمجرد انتهاء العاصفة سيجد احدا من ذوى السلطان وقتا لديه لسماع اقواله واكتشاف الخطأ الذى وقعوا فيه . وربما كان آسروه الثلاثة قد وضعوا نقود هوجو فى جيوبهم وفى هذه الحالة لن يكون هناك دليل ضد لانى نفسه ، فليس امامه الآن سوى ان يقبع فى هذا الجحر الذى يفضل سابقه ويقضى وقته فى دراسة الطبيعة البشرية ، ولا سيما طبيعة النازى .

ونزلاء السجن جانب منهم مجرمون عاديون ، ما بين لصوص ومعلمى خزائن ومرتكبي جرائم جنسية ، اما الجانب الآخر فمشبهوهون سياسيون او ممن وقفوا فى طريق مسئولين من ذوى النفوذ . ويا له من وضع غريب يجمع بين سجين قد يكون مبتز اموال وبين سجين آخر ضحية ابتزاز فى سجن واحد وباسم قانون واحد كما هو مفروض ! ويجمع بين رجل سجن اقتترف القتل وآخر جريمته ان رفض اعتراف القتل او احتج على القتل ! وكان فى وسع لانى ان يجمع ملفا كاملا من هذه المتناقضات القانونية ولكنه لم يجسر على تدوين المذكرات بها ، وكان حريصا على الا يقول شيئا يمكن ان يسىء الى احد ، فمن المرجح ان المكان غاص بالجواسيس ولئن بدا وزميله فى زنزانته سجينين حقيقيين ، الا ان كليهما او احدهما كان من الجائز انه اختير للتجسس لمظهره ذلك . والكونت المجرى رفيق مرح يروى حكايات مسلية عن علاقاته الغرامية وله ولح بلعبة الهلما ، فتعلمها لانى ارضا له . ورجل الأعمال الهر كلاوسن كان يروى حكايات يدل بها على استحالة ادارة أى عمل بأمانة فى الظروف الراهنة . ثم يسأله : « الديكم

أشياء من هذا القبيل فى أمريكا ؟ » فيجيبه لانى : « أبى كثير الشكوى من رجال السياسة » . ويروى طرفا من حكايات روبى وانقا بأنها لن تلحق به ضررا فى ألمانيا . وأعرب الهمر كلاوسن عرضا عن اعتقاده بأن الحديث عن مؤامرة ضد هتلر كلام فارغ ، فكل ما فى الأمر احتجاجات ومناقشات . وكذلك الحديث عن صدمة الفوهرر لما اكتشفه فى القبلا ببلدة فييس هراء ، لأن كل انسان فى ألمانيا كان يعلم أمرهم وغلمانهم ، وكان الفوهرر يضحك مما يسمع . وهذا المواطن الفاضل من أبناء ميونيخ يكره من كل قلبه من يسميهم بالبروسيين ويعتبرهم غزاة ومصدرا للفساد . وهذه بطبيعة الحال أقوال خطيرة للغاية وقائلها إما أن يكون جريئا أو مخبولا . فكان لانى يقول : « ليس لدى أساس ابنى عليه رأى ، ونظرا لظروفي أفضل ألا أحاول تكوين رأى » . ويعود الى لعبة الهلما مع المجرى والى جمع النواذر ذات اللون المحلى التى قد يتسنى لاريك فيفيان بوميروى أن يستخدمها يوما ما فى مسرحية يؤلفها .

- ٥ -

كان لانى قد قضى ثلاثة أيام ضيفا على ولاية بافاريا ، وقضى الآن عشرة أيام ضيفا على مدينة ميونيخ . ثم فى نهاية يوم من الأيام أقبل حارس ودود وقال له : « تعال من فضلك يا هريد » ولا جدوى من اللقاء الأسئلة لأن الحراس لا يعرفون شيئا . عليك حين تغادر زنزانة أن تقول وداعا لأنك لا تعلم هل تعود إليها أم لا . والبعض يذهبون الى حريتهم وآخرون يذهبون الى حيث يضربون حتى يفقدوا الرشيد وغيرهم يذهبون الى داخاو أو الى غيره من المعسكرات . وسبق لانى فهبط سلما الى مكتب وجد به شابين من ذوى القمصان السود أريبين مهذبين ينتظرانه فسرهم أن يجدهما غير الذين قبضوا عليه . وأقبلا عليه ، وقبل أن يدرك ماحدث تناول أحدهما معصمه وأقفل عليه قيذا حديديا ، أما السوار الآخر من هذا القيد فكان يحيط بمعصم ذلك النازى الشاب . وأدرك لانى أن لا جدوى من الاعتراض . وقاداه الى الفناء حيث رأى سيارته الخاصة وقد جلس الى عجلة القيادة رجل آخر من ذوى القمصان السود فى الكسوة الرسمية . وفتح الباب الخلفى وقيل له : « اركب من فضلك » فسأل : « هل لى أن أسأل الى أين تأخذانى ؟ » . فكان الجواب : « ليس الكلام مسموحا به » . فركب وانطلقت السيارة الى الشارع الواسع الذى تظله الأشجار من

جانبه الى مدينة ميونيخ فاجتازتها السيارة مخترة وسطها الى وادي
الايزار في الشمال الشرقي منها .

والمنظر في الليلة المظلمة غامض ومصابيح السيارة تضيء الطريق
الممتد امامها ولكن من المستحيل تخيل ما على اليمين او على اليسار . وما
لم تكن قائما بالقيادة فلن تعرف بالتأكيد هل السيارة تصعد التل او
تهبطه . الا ان النجوم كانت في مواضعها المحددة ، ولذا استطاع لاني ان
يعرف انهم متجهون شمالا . ولانه سبقت له القيادة في هذا الطريق كان
يعرف المعالم واللافتات . فلما وصلوا الى رجنسوبرج والسيارة لم تزل
ماضية بكل سرعتها ضمن ان وجهتهم برلين ، وقال لنفسه : « هناك
سيجري التحقيق معي » . فامامه اذن ليلة أخرى يعمل فيها فكره ثم بعد
ذلك يواجه السلطة الجبارة المعروفة باسم شرطة الدولة السرية ، وهي
سلطة احلك من أى ليل وارهب من كل ما يمكن ان ينطوى عليه الليل .

وكان السجين قد حظى بقسط وافر من النوم في السجن فاستغل
وقته في تخير ما يبرئه من الجريمة ويبعده عنها . ولكنه كلما امكن في
المحاولة ازداد ارتباكه سوءا . فلا بد انهم اكتشفوا قيامه بسحب ثلاثين
الف مارك من بنك هيلشتاين بميونخ ، ولا بد انهم عرفوا انه دفع الجانب
الاكبر منها الى هوجو ، ولا بد انهم عرفوا ان جهودا قد بذلت لاجراجه
فريدي من داخاو ، وذلك كله من شأنه ان يضيء الاثم على لاني . فبدأ
له الاتجاه الوحيد المشبع بالامل ان يكون صريحا ساذجا فيضحك ويقول
« لقد تقاضى الجنرال جورنج من يوهانس روبن ثروته كلها ليطلقه ،
واستخدمني وكيلا له في هذه العملية ، فمن الطبيعي ان اظن هذه هي
الطريقة . لما عرض على هوجو القيام بالعملية مقابل ثمانية وعشرين الف
مارك فقط ظننتها صفقة رابحة » .

وفي الفجر الباكر ، حينما لم يكن أحد في الشوارع سوى موزعي
الخبز وفصائل البنادق الآلية من رجال شرطة برلين دخلت سيارة لاني
المدينة ومضت الى حي من احياء العمال خيل اليه انه الحي الموأبي ووقفت
امام بناء كبير من الطوب الاحمر . ولم يكن يتسنى له ان يرى لافتات
الشوارع ، ولم يجشم أحد نفسه ان يخبره بها . فهل هذه ثكنات النازي
الرهيبه في شارع هديمان التي تحدث عنها اللاجئون وهم يرتجفون ؟
ام هو بيت كولومبس الشهير ؟ ام لعلها رئاسة الشرطة العسكرية وهي
أشد الجميع اربابا ؟

وقال القائد « انزل من فضلك » . والحق انهم كانوا مهذبين للغاية
الا انهم لم ينطقوا بكلمة واحدة لضرورة لها لا له شخصيا ولا فيما بينهم .
فهم آلات . وان كانت بداخلهم روح فلا بد انهم خجلون منها أشد الخجل .
انهم يحاولون الدخول في جيش الرايخ ، وهذه هي الطريقة .

ودخلوا المبنى . ومرة أخرى لم يتوقفوا لتسجيل المسجونين بل
ساروا به في خطوات عسكرية على طول دھليز ثم هبطوا به سلسا من
الصنخر الى قبو . وفي هذه المرة لم يكن لدى لاني شك ، ثمة رائحة
دم ، وصرخات في مكان ما عن بعد . ومرة أخرى جازف بالسؤال عن
سبب اعتقاله ، وماذا سيصنعون به ؟ وفي هذه المرة تنازل القائد الشاب
بالرد « أنت متحفظ عليك لمصلحتك الشخصية فهم يخبرونه اذن انه
واحد من اولئك الاشخاص المائة الف بين المان واجانب المحبوسين لمصلحتهم
الشخصية لحمايتهم من وصول الاذى اليهم . فالح لاني قائلا باحسن
أسلوب اجتماعي « ولكني لم أطلب التحفظ على لمصلحتي . وانا مستعد
تمام الاستعداد للمجازفة بنفسي في الخارج » . فان كان لدى أحد منهم
حاسة فكاهة ، فليس هذا مكان اظهارها . فثمة صف من الابواب
الفولاذية ، وفتح أحدها ، ولاول مرة منذ واجه الرجلان لاني في سجن
ميونيخ نزع القيد من معصمه وزج به الى زنزانة مظلمة وسمع الباب
يصفق خلفه .

- ٦ -

وتكررت قصة شتادلهام بعينها ، الا ان المسألة الآن كانت أكثر
جدية ، لان وجوده هناك كان مصادفة ، اما هنا فهو مقصود بعد انقضاء
اسبوعين في التحري . فمن المستحيل الشك في ان مازقه من أخطر ما
يمكن . واستولى عليه الخوف استيلاء تاما فحول عظامه الى عجائن .
وجعل يلصق أذنه بالثغرة التي في الباب فلا يخالجه الشك في انه سمع
صراخا وبكاء ، ويضع انفه على تلك الفجوة فيوقن بأنه شم تلك الرائحة
التي تقترب في ذهنه بدور ذبح الحيوانات . فهو في احد تلك الاماكن
الفظيعة التي قرا عنها وسمع بها ، حيث يقوم النازي بطريقة منهجية
بتحطيم ابدان الرجال وارواحهم ، نعم وابدان النساء وارواحهن ايضا .
فقد رأى في الكتاب البنى صورة فوتوغرافية لمؤخرة عارية لامرأة بدينة
عجوز كانت مستشارة في لجنة المدينة في الحزب الديموقراطي الاشتراكي

وقد ظهرت فيها من كتفيها الى ركبتها مجموعة كبيرة من الخطوط التي تدل على أنها ضربت بطريقة علمية .

انهم لن يجشموا انفسهم سؤاله او يعطوه فرصة يروى فيها قصته ، بل سيفترضون سلفا انه سيكذب ، ولذا سيعاقبونه اولا حتى يكون اقرب الى قول الصدق فيما بعد . ام لعلهم يريدون تخويله فقط ؟ ولذا وضعوه حيث يستطيع ان يسمع الاصوات ويشم الروائح ويرى ما يلين عزيمة . لقد حدث هذا التأثير فعلا ، فقرر انه لا جدوى من محاولة اخفاء شيء او الادلاء بكذبة واحدة . ورأى ماضيه بأكمله ككتاب مفتوح أمام المحقق الجنائي ، وانه لماضى سيء جدا حقا من وجهة نظر النازي ، كل جزء منه يضاهي في السوء ما جلب على فريدي روبن حوالي أربعة عشر شهرا من التعذيب .

وأيا كان ما اعدوه له فسيقع الآن . فها هي خطوات في الدهليز تتوقف أمام بابه . وفتح الباب ورأى رجلين من ذوى القمصان السود . رجلين جديدين ، فئمة مدد منهم لا حد له ، وكلهم من ذوى الوجوه الصارمة ، وكلهم يتكلمون لغة الدم والحديد . قمصان سود وسراويل سود وأحذية سوداء لامعة ، ويتدلى من الحزام مسدس آلى وهراوة صلبة من المطاط . أجل ان مددهم من هذه الاشياء أيضا لا حد له فيما يبدو .

وأخذ الرجلان من ذراعيه وقاده في الدهليز ، ودلته سحنتهما وجوهما كله على ان ساعته دنت فلا جدوى من المقاومة ، بدنيا على الاقل ، لانهما سيجرانه ويزيدان له النكال . وشعر بموجة غضب مفاجيء ، فكره هذه المخلوقات الأخط من البشر ، وكره اكثر من ذلك النظام الجهنمي الذي خلقهم . فلا بد أن يسير قدما رغم ارتجاف ركبتيه ، ولا بد من شد قامته فلا يشمتها برؤيته متخاذلا وغرس اظافره في راحتي يديه وجز على اسنانه ومشى صوب ما ينتظره ايا كان خلف ذلك الباب القائم عند نهاية الدهليز .

- ٧ -

تلاشت الاصوات عندما اقترب لاني ، ولما فتح الباب لم يسمع الا تاوهات خافتة ورأى رجلين يقودان رجلا مضروبا الى فتحة باب في الطرف الاقصى للحجرة . وفي العتمة لم ير الا اشكالا باهتة ، ورأى شكلا منها

ملقى على الارض فى الحجرة الداخلية ويبدو انه كان بها اناس كثيرون من ضحايا التعذيب ، فالانين والصراخ يأتیان من هناك كأنما يتصاعدان من قسم من جحيم دانتي والاصوات كأنها منبعثة من باب متصل بصاحب جميع الاحداث الجهنمية التى شهدتها لانى فى حجرة الرعب هذه . ومساحة الحجرة نحو خمسة عشر قدما مربعا وارضها من الحرسانة وجدرانها من الصخر ، وهى بلا نوافذ وبلا اضاءة فيما عدا ست من الشموع . وليس بها من الاثاث الا شئ واحد عبارة عن دكة من الخشب الثقيل طولها نحو ثمانية اقدام وعرضها قدمان موضوعة فى منتصف الحجرة وهذه الدكة الحشبية ملطخة من اولها الى آخرها بدماء تقطر منها ، وقد انتثر الدم على مساحة الارض كلها ، وفى الهواء رائحة نتنة لدم جاف تبعث على الغثيان . ثمة ايضا رائحة حريفة قوية من عرق البشر ذات طابع نشادرى . ووقف اربعة من النازى قرب الدكة عارين حتى الخاصرة . ومن الواضح انهم كانوا قد انهمكوا طويلا فى العمل الشاق السريع لان اجسادهم الناعمة كانت تلمع بالعرق والدهن رغم خفوت الضوء . ووقف بقربهم عدد آخر من النازى ورجل فى ثياب مدنية على عينيه نظارة .

كان لانى قد قرأ عن هذا كله . فكل معاد للنازية حفظه عن ظهر قلب فى السنة والنصف المنقضية وادرك الموقف كله بنظرة واحدة ، حتى تلك القضبان النحيلة المرنة من الفولاذ ذات المقابض التى صنعت بحيث تسبب اكبر مقدار من الالم مع اقل عطب دائم . فان انت تسبب فى عطب كبير حرمت من لذة التسبب فى مزيد من الالم . ثم انك قد تفقد بذلك دليلا هاما . وكان لانى قد قرأ عن ذلك وسمع عنه وفكر فيه وتساءل كيف يتقبله . والآن قد حان الوقت ليعرف ذلك على التحقيق . والذى حدث ان موجة من الغضب الشديد اجتاحتها ، الغضب على هؤلاء الشياطين المدربين علميا ، غضب يفرق فى تياره جميع المشاعر الأخرى . لقد كرههم حتى فقد كل تفكير فى نفسه ، ونسى كل خوف وكل الم متوقع . انهم يريدون تحطيم مقاومته . ليكن ! سيربهم انه فى مثل قوتهم وسيأبى عليهم لذة ان يروه يضعف أو أن يسمعه يصرخ . وكان قد قرأ عن الهنود الامريكيين اعتزازهم بأنهم لا يتأوهون مطلقا تحت التعذيب . وما يستطيعه هندي أمريكى يستطيعه أى أمريكى . فهذا شئ فى المناخ وفى تربة الارض . ووالد لانى قد غرس فيه هذا الاعتزاز وهو صبي ، وقد ساعد على ذلك بب سميث وجيرى . وصمم لانى على ان فى استطاعة

النازي ان يقتلوه ، ولكنهم لن يظفروا منه بكلمة واحدة ولا بصوت واحد .
لا الآن ولا فيما بعد . اذهبوا الى الجحيم وامكثوا فيه !

وكان الجو حارا في هذا الجحر تحت الارض ، ولعل هذا هو السبب في تجمع العرق على جبين لاني وجريانه الى داخل عينيه ، بيد انه لم يصححه ، لان ذلك قد يفسر بانه علامة على الفزع او الاضطراب ، وفضل الوقوف متصليا كانه جندي ، على نحو ما رأى النازي يصنعون . وادرك الآن ماذا يعنون بذلك . ليكون سيتعلم أسلوبهم الفني وسيقدو متعصبا مثلهم . لا ينبغي أن تتحرك فيه عضلة ، ولا بد أن يبدو محياه صلبا وقد تحول الى كتلة من الصخر من فرط التحدي . ان ذلك ممكن . وما اكثر ما قال لنفسه طيلة حياته انه رخو ، ولم يكن راضيا عن نفسه من مائة وجه ، وها هنا سيصلح من نفسه .

وتوقع ان يأمره بخلق ثيابه ، وتأهب لذلك . واخذت عضلاته تؤلمه لفرط استجماعها استعدادا للبداية . ولكن لا . يبدو انهم كانوا يعرفون ذلك ، فعلمهم قد اكتشف رد الفعل لديه بالضبط ، وعندما طريقة اخفى من هذه للتعذيب . سيبقونه في الانتظار برهة الى أن تنقضي حالة الغضب الشديد ، والى ان يتسع الوقت لمخيلة كي تؤثر في اعصابه . والى ان تتمكن طاقة الروح - او ايا كانت حقيقتها - من استنفاد ذاتها . وقاده الرجلان اللذان احضراه الى أحد جوانب الحجرة لصق الحائط وهناك اوقفوه وكل منهما على أحد جانبيه ، كأنما تمثالان ، وهو ثالثهما .

- ٨ -

وفتح الباب مرة أخرى ودخل ثلاثي آخر : اثنان من ذوى القمصان السود يقودان مدنيا مسنا أقرب الى البدانة ، ريان الجسم ، ذا شارب اشيب ولحية مدببة شيياء مشدبة تشذيبا انيقا ، تدل ملامحه على انه يهودي . وتدل ملابسه على انه رجل اعمال . وفجأة اجفل لاني على الرغم من كل ما عقد العزم عليه . فقد سبق له التحدث الى هذا الرجل ، والضحك منه لما يحمله من شبه مضحك من حيث زينة محياة الكثيرة الشعر مع مواطن فرنسي بارز صورته واسعة الانتشار ، وهو الامبراطور نابليون الثالث . وتبلجت أمام عيني لاني قاعة الاستقبال الباهرة في قصر يوهانس روبن ببرلين . حيث قامت بيوتي وايرما بواجبات الضيافة

فى رشاقة عظيمة وقد وقف هذا السيد المسن الملتحى يتجاذب الحديث مرتديا ربطة عنق بيضاء وسترة سهرة ذات ذبول . وفى قميصه أزرار ماسية انقضى عهد استعمالها فى أمريكا ، وفى عروة سترته مربع صغير من شريط أحمر هو علامة وسام لم يستطع لاني تمييزه ، ولكنه كان واثقا على كل حال من أن هذا الرجل هو سليمان هالشتاين صاحب البنك . ولكنه يبدو الآن انسانا مختلفا ، ففي عينيه دموع وفى وجهه فزع . انه يبكى ويتضرع ويخر على ركبتيه فيضطرون الى جره جراه أقول لكم انى لم أفعل ذلك ! لا أعرف شيئا عن هذا الموضوع ! يا الهى . . يا الهى ! لو كنت أعرف لقلت لكم ! الرحمة ! ارحمونى ! ، فيقولون له « اذن خبرنا من الذى أخرج كل هذا الذهب من ألمانيا ! ، فيجيب « لقد قلت الف مرة انى لو كنت أعرف لأخبرتكم . ماذا أستطيع أن أقول غير هذا ؟ ارحمونى ! أنا رجل عجوز لا حيلة له ! » .

وكان القائد على وشك تحريك اصبعه ليعطى اشارة البدء عند ما احدث لاني ضجة فامر الضابط باخراجه .

- ٩ -

ولما عاد لاني الى زنزانته قال فى نفسه « الآن قد سجلت على نفسى العذاب وسيخترعون لى أسلوبا خاصا » . واكتشف ان غضبه أو الهامه أو كائنا ما كان سرعان ما انقضى . وأدرك فى الظلام والسكينة انه اتى عملا غاية فى الحماقة لن يفيد أحدا وسينزله به ضررا بليغا ولكن لا حيلة الآن فيما حدث ، ولا جدوى من النواح والحسرات ، ولا من تحويل عظامه مرة أخرى الى عجائن بل لابد له من استرداد حالة الغضب والعزيمة ، وان يتعلم كيف يثبت عليهما مهما حدث . وهذا تدريب نفسانى عسير جدا . وخيل اليه فى بعض الاحيان انه نجح ثم يسمع بعين عقله صغير هذه القضبان الفولاذية الرهيبة ، فاذا به يلقي نفسه وقد استولت عليه رجفة شائنة .

كان الانتظار أسوأ ما فى الامر . وكان يحسب انه سيشعر براحة عندما يفتح باب زنزانته ، ولكنه عندما سمع وقع الاقدام القادمة القى نفسه فزعا مرة أخرى ، وكان عليه ان يبدأ جهاده مع نفسه من جديد . ينبغى الا يدعهم يظنون انهم قادرون على تخويف أمريكى . وقبض راحتيه بشدة واطبق أسنانه وركز بصره فى الدهليز فرأى فى الضوء الخافت الرجل ذا القميص الاسود الذى كان قد قضى ليلة بطولها مشدود المعصم بالقيد اليه ، ومن وراء ذلك الرجل أطل من فوق كتفه وجه الملازم الاول فورت فنجلر وقد ارتسم عليه الاهتمام العميق . وقال الضابط الشاب « هريد ! ماذا صنعو بك ؟ » فكان على لاني ان يغير من مسلكه بسرعة البرق . فهو قد كان مشغولا بكراهية جميع النازى الا انه لا يكره هذا المتسلق الاجتماعى الشاب الساذج المتعبد ، وهتف بارتياح اشبه بالضراعة :

« يا سيادة الملازم الاول ! » اخرج « وراح يتفحص صديقه كانا يريد أن يرى هل به آثار من الايذاء واستطرد «ماذا صنعوا بك؟» فأجاب السجنين مستردا أسلوبه الانجلو سكسونى « لقد اقلقوا راحتي جدا » « فهتف الضابط هذا منتهى سوء الحظ ! ان صاحب السعادة سيستاء جدا » فقال السجنين وكذلك كنت أنا » فسأله الضابط « لماذا لم تبلغ الأمر إلينا ؟ » فأجاب « لقد فعلت كل ما فى وسعى كى يعلم احد بأمرى ولكنى لم أفصح » فهتف الآخر ملتفتا الى الرجل ذى القميص الاسود « هذا حادث شائن ! وسينال بعض الناس جزاء رادعا » فأجاب الرجل تحت الامر يا سيدى الملازم الاول ! « فكان لهذه الكلمة تأثير ممائل لقوله « مرئى اطلق الرصاص على نفسى تجدنى مستعدا لذلك . » وقال الضابط لللانى « الحقيقة ياهر بد انى لا أدري كيف اعتذر » فأجاب « ان حضورك اعتذار كاف يا سيادة الملازم الاول ، فانت كما نقول فى أمريكا بهجة للعين الرمداء » فقال الضابط بجدة « انى آسف حقا أن تكون عينك رمداء » .

فكانما افاق لاني فجأة من كابوس . واكتشف ان كل تلك الامور

الفظيعة لم يكن لها وجود • وتبع لاني صديقه صاعدا السلم الصخري الضيق ، ثم اكتشف انه لا لزوم لاجراءات شكلية كي يطلق سراحه اكثر مما احتيج اليه في تلك الشكليات عند القبض عليه • ولا شك ان كسوة الضابط العسكرية تحمل علامة منحة السلطة • فلما قال « اني متحمل مسئولية هذا السيد » قال والقميص الاسود « تحت أمرك يا سيادة الملازم الاول » •

وخرجنا الى السيارة الرسمية التي كانت في الانتظار ، وكان المطر يتساقط ، الا أنه في نظر لاني لم يكن يوم ابدع من هذا اليوم جوا • واضطر لاني لاغلاق عينيه لحمايتهما من الضوء ، الا انه استطاع دخول السيارة بغير معاونة • ولما استلقى في المقعد الوثير جعل يناضل كي يستقر رايه ايها حقيقي : هذه الوسائد أم ذاك الجب ! فما لا شك فيه ان الاثنين لا يمكن ان يوجدوا في مدينة واحدة وفي عالم واحد •

**** معرفتي ****
www.ibtesama.com
منتديات مجلة الإبتسامة

الفصل التاسع والعشرون

اعمق من الدموع

- ١ -

كان لاني يعيش في « كلايدوسكوب » ، وهو انبوبة تنظر فيها لترى شكلا معينا ثم تهزها هزا يسيرا فيتلاشى هذا الشكل ويحل محله شكل آخر يختلف عنه كل الاختلاف . انه مستعد لاي شيء لاي شيء حرفيا ، ولكن عندما سمع صديقه يأمر السائق الى مقر صاحب السعادة تاب الى نفسه فجأة وعاد كما كان طول حياته : عضوا في المجتمع الراقى ، يحس بموجبات اللياقة احساسا غريزيا لا مفر منه ، فاحتج قائلا « انك طبعا تأخذني الى صاحب السعادة وأنا بهذه الحالة ! انظر الى ملابسى ! والى لحيتى ! » ومر لاني بيده فوقها وتساهل مرة أخرى أتراها شابت . فسأله الضابط « وأين ملابسك يا هريد ؟ » فأجابه « آخر علمى بها انها كانت فى فندق بميونخ » فقال الضابط « مسألة غير معقولة سأطلبها تليفونيا هذا الصباح » فقال لاني « ونقودى ؟ لقد اخذوها منى فى شتالهايم ولكنك ان ذهبت بى الآن الى فندق ادلون فانا واثق بانهم سيصرفون الشيك الذى أوقعه » .

وتغيرت الأوامر ، وأسهم الضابط الشاب بسرور فى محاولة جعل صديقه يبدو فى مظهر بفضل ما لخدمة الفندق العصري من قدرة سحرية . ففي حين مضى الضيف ليستحم قام أحد الخدم المدربين بتنظيف ثيابه ثم كيهما ، وأسرع أحد السعاة الى قرب محل لبيع مستلزمات الرجال فأحضر له قميصا وربطة عنق ومنديلا . وجاء الحلاق فحلق له لحيته ، ولم يكن فيها شيء من الشعر الأشيب . وبعد نصف ساعة بتوقيت ساعة الملازم الأول - فلم تكن مع لاني ساعته - ارتد صورة كاملة للشاب الأنيق على أتم أهبة للقاء العالم أجمع ولقاء زوجته أيضا .

وكان الأمر مضحكا حقا عندما اقلتهما السيارة الى المقر الرسمى لوزير الرايخ رئيس وزارة بروسيا . ثم صعدا الى جناحه الخاص ، فذلك

الشخص الجبار تجلى لهما فى كل أبهة الأزياء التى يتيحها له منصبه :
فينطلون أزرق وبه شريط عريض ، وسـترته من لون أزرق أخف من
البنطلون وبها حزام أبيض ووشاح يعترض الصدر هابطا من إحدى
الكتفين . وثمة حبال ونجوم كثيرة ذهبية وعلامات فوق الكتفين تدل على
رتبته . وكان اليوم قاتظ الحرارة فى منتصف يولية ، وكل هذه الشارات
الفخمة وعلامات المناصب الرفيعة لا يمكن أن يطبقها الرجل البدين . ولذا
علق هذه الحلة الباهرة على مقعد بقربه وجلس الى مكتبه فينطلون قصير
معرضا للأنظار كمية هائلة من جلده الأبيض الناعم الذى حبته به الطبيعة .
وحبات العرق تطل من بشرته .

- ٢ -

وكان فى نية الجنرال أن يأخذ نكبة لاني يد مأخذ الأبراكوميك
المسلية وسط الأعمال البالغة الخطورة فصار على لاني أن يبدى روحا
رياضية ويحذو حذوه . وصاح صاحب السعادة وهو يقبض على يد لاني
قبضة شديدة أشعرته أن بنية هذا الرجل ليست كلها شحما ، ولكن
يا عزيزى هربد ! ما هذا الذى جرى لك ؟ ، وأصر على سماع جميع المتاعب
التي حدثت للفتى اللاهى وسأله : هل كنت خائفا ؟ ، فقال لاني : أنتظر
الى أن يحل دورك يا صاحب السعادة وسترى ان كنت لا تشعر بالخوف .
ولم يكن الأمر مضحكا فأجاب الرجل العظيم : من سوء حظك انه قبض
عليك فى أشد ساعات المرور ازدحاما . وفى حزبنا عدد من الافراد الجامحين
كان من الضروري أن نلقنهم درسا . وأظنهم وعوا الآن هذا الدرس
تماما .

وكان لاني قد فكر بعض الشيء وهو فى حوض الاستحمام بالفندق .
وقرر الا يشق بعد هذا بأى نازى . فليس من المحتمل أن رئيس الدولة
البروسية لم يكن لديه علم بما يجرى لشخص يزعم انه صديقه . ويكاد
لا يصدق العقل أن شرطته السرية برجالها الأكفاء فشلت فى ارسال تقرير
بذلك عنه فى الاسبوعين الاخيرين . والاقرب الى العقل ألف مرة أن يكون
ما حدث للزائر الأمريكى مقصودا لسبب ما ، ومقصود أيضا هذا التغيير
المفاجيء فى المعاملة وانفجار المودة والالفة ان النجاة فى آخر دقيقة لا تحدث
الا فى الميلودراما ، ولا تأتى مصادفة بل لابد من تدبيرها بعناية وشرع
لاني يشك فى هذا الحل المفاجيء . ولم يبقه الوزير رئيس وزارة بروسيا
طويلا فى حالة شك وانتظار . فعلى مكتبه كومة هائلة من الأوراق وهو

بطبيعة الحال رجل بدين مشغول ، فقد قال « طبعاً يا هربد سنحت لك الفرصة لدراسة مؤسساتنا الجنائية دراسة مباشرة ، وكذلك وسانلنا في معاملة المستغلين ! وتستطيع أن تشهد لنا بأن هذه الوسائل فعالة . » فاجاب لاني « لم تسنح لي الفرصة لمراقبة النتائج يا صاحب السعادة » فقال جورنج « سأخذ ما يلزم نحو احاطتك بها علما ان احببت . أليديك اى فكرة من يكون ذاك اليهودى ؟ » فقال لاني « اتفق اننى قابلته فى مجتمع برلين » فسأله جورنج « ومن هو ؟ » فقال لاني « اسمه سليمان هلشتاين . » فقال جورنج « آه ! انه شيلو كنا ذو الشهرة العالمية . ستسنع لك الفرصة حقا كى تروى قصة مثيرة لاهتمام العالم الخارجى » فخطر للانى ان هذا الكلام تلميح مقصود فقال « تذكر يا صاحب السعادة انت طلبت منى الا اقول للعالم الخارجى شيئا عن موضوع يوهانس روبن . وقد مرت اربعة عشر شهرا ، ولم ازل عند موقفى » فقال جورنج « فطنت الى هذا يا هربد واقدر حكمتك ، ولكن الظروف الآن مختلفة تماما . ولدينا تعبير فى اللغة الالمانية مؤداه ان كل شىء يتوقف على الظروف وترجم لاني التعبير الالمانى الى الانجليزية فقال جورنج « وفى هذه الحالة يا هربد هل يضايك كثيرا اذا اقترحت عليك ان تروى قصة ما رايت هذا الصباح ؟ » فقال لاني « ان هذا يثير دهشتى بعض الشىء يا صاحب السعادة » فقال جورنج « انها فكرة بارعة خطرت لي . اما زلت مهتما بصاحبك اليهودى ذاك ؟ » فقال لاني « ان كنت تعنى ابن يوهانس روبن فانا لم ازل شديد الاهتمام به يا صاحب السعادة » فقال جورنج « وهو كذلك ! انى اقدمه اليك فى مقابل خدمة صغيرة قد تقوم بها لي . اذهب الى باريس وأبلغ اعضاء اسرة هلشتاين بما رايت يحدث لمثلهم فى برلين . لعلك تعرفهم ؟ » فقال لاني « الحقيقة انى اعرفهم معرفة جيدة » فقال جورنج « سأشرح لك الامر . ان هذا اليهودى القذر نجح فى اخراج ثروة طائلة من ألمانيا . ولم يحالفنا الحظ كما حالفنا بالنسبة لروبن . فنحن لا نعلم أين هذه الاموال الآن . واسرته منتشرة فى جميع أرجاء أوروبا كما تعلم ، وليس لنا الحق فى اموالهم ولكن فى نيتنا الحصول على اموال سليمان . على كل مارك منها . لانها نقود المانية حتى ولو اضطررنا الى سلخ جلده حيا » فسأله لاني « أتريد منى أبلغهم هذا ؟ » فاجاب جورنج « أنت تعرف ما يحدث . فليس عليك الا أن تخبرهم بما رايت بعينيك . وأبرز الواقعة أقصى ابراز تستطيعه » فسأله لاني « وهل أذكر لهم أنك طلبت منى أن أخبرهم ؟ » فاجاب جورنج « ان ذكرت لهم هذا ربما يشكون فى اخلاصك وصدقك . فيحسن ألا تشير الى . أخبرهم ببساطة ما حدث لك وما سمعت ورايت . »

فساله لاني « وعندئذ يا صاحب السعادة ؟ » فاجابه جورنيج « عندئذ سأطلق سراح يهوديك الاثير لديك . » فساله لاني « وكيف اجعلك تعرف اني قمت بدوري ؟ » فاجابه جورنيج « عندى عملائى وسيبلغوننى بكل شىء . » والقصة ستنتشر فى أنحاء باريس فى مدى بضع ساعات . وقص هذا مصلحة ، لأن اثرياءنا المستغلين استقر فى أذهانهم اننا لا نجرؤ على التعرض لهم ، وخيل اليهم انهم يستطيعون آمنين أن يستنزفوا باخراج هذه الاموال الألمانية دم المانيا حتى الموت . » فقال لاني « أدركت مرادك يا صاحب السعادة . وكيف أعرف أين احصل على فريدى روبن ؟ » فقال جورنيج « اترك عنوانك فى باريس مع فورت فينجلر . وفى مدى يوم أو يومين من حديثك مع آل هتلشتاين سيتصل بك تليفونيا ويرتب شحن صاحبك اليهودى العزيز الى الحدود الفرنسية ، فهل يتفق هذا مع رغباتك ؟ » فاجاب لاني « نعم يا صاحب السعادة فلست ارى ما يحول دون استجابتي لطلبك » فقال جورنيج « اتفقنا ! لقد سرنى ان اقابلك يا هربرد . واذا خطر لك بعد تقليب الرأى انك راغب فى عقد مزيد من الصفقات معى تعال وقابلنى فى أى وقت » فقال لاني « شكرا جزيلا يا صاحب السعادة سأضع اقتراحك هذا فى ذهنى وقد اغتنم هذه الفرصة يوما ما » فقال جورنيج « انما الغنم للشجعان ! » ونهض القائد البدين من مقعده لتوديع ضيفه الرجل ، وحياء برتبة مزلزلة على ظهره وعاصفة من الضحك المرح جعلت الزائر فى شك من امره . اهذا الضحك له او عليه .

- ٣ -

وخرج لاني من حضرة ذلك النهاب نصف العارى وأقلته السيارة بكل تهذيب ومجاملة الى فندقه وفى صحبته الضابط الشاب . وبديهم ان أوراق لاني كانت قد أحضرت معه من ميونيخ ، لأن فورت فينجلر وضع بين يديه جواز سفره وماركاته الستة الآلاف مع تأشيرته بالخروج ، ووعد بارسال ملابس لاني ومتعلقاته الاخرى الى جوان ولم يتقدم الأمريكى بالمطالبة بالنقود التى وجدت فى جثة هوجوبير ! .

وكانت نسيارته قد سلمت الى الفندق واكد له الملازم الأول انهم قاموا بخدمتها على احسن وجه وزودوها بما ملا خزائنها من الوقود . وافترقا حميمين ولم يمكث لاني فى برلين الا ما يكفى من الوقت لاداء حساب الفندق وارسال برقيات الى راحيل فى جوان والى أبيه فى نيوكاسل والى

(٣٧) انياب التنين - ٥٧٧

امه وزوجته في انجلترا . وكلها بنص واحد : « مسافر الى كريون باريس
بأمل النجاح اخطروا الاصدقاء كل شيء حسن » . ولم يجسر على ان يقول
اكثر من هذا ، الا في برقية ايرما فقد رجاها ان تقابله في باريس . وكان
يعلم انهم كانوا حتما في خوف فظيع عليه ، ولكنه لن يفسر شيئا قبل
خروجه من المانيا وحصوله على فريدي . فمن الجائز ان النهاب التوتوني
من الطراز العتيق قد يحصل على معلومات اضافية فيفسر رايه . وآل
هلشتاين في باريس قد يعترفون ويدعنون ، او قد يكتشف الجستابو في
ميونخ قصة محاولته اقتحام السجن . او لعلمهم وصلوا الى ذلك فعلا
ولكن الوزير رئيس الوزارة بروسيا احجم بلباقة عن الاشارة الى الموضوع
لا سبيل الى سبر غور ذلك المتأمر المحنك الذي يقتل الناس اعتباطا ! ففي
اثناء الاسبوعين الماضيين الحافلين بالجنون والقتل وجد وقتا كى يفتن لوجود
فتى امريكي لاه بين برائنة ودبر طريقة للاستفادة منه . وجعل لاني يرتجف
وعبا كلما تذكر تلك الدقائق التي قضاها في حجرة التعذيب . ولم يقل
من فظاظة هذه التجربة انه عرف الآن ان حضوره كان اخراجا مسرحيا
الغرض منه الاستماعة به على استرداد بضعة ملايين من الماركات ، او ربما
بضعة عشرات من الملايين منها ، اخرجتها من المانيا اسرة ذلك المصرفي
اليهودي .

- ٤ -

لم يشعر لاني بميل شديد الى قيادة السيارة ولكنه لم يشأ ان
يتركها للنازي ، فانطلق بها بسرعة وذهنه مكتظ بالاهوال ، فلم يخفف
عنه الامل الشيء الكثير . فالجنرال النازي الذي خدعه عدة مرات قد يكرر
الخدعة وقد صبح عزم لاني الآن على ان رغبته الحقيقية هي ايقاظ اوربا .
وتنبيهها مقزى ذلك الاختلال الاخلاقي الذي تفجر في وسط هذه القارة .
فالشعب الالمانى المرح وقع في يد عصابة افظع ما عرفه التساريخ من
العصابات لان افرادها مسلحون بالعلم الحديث . وردد لاني مشاعر ذلك
الرجل البسيط من ذوى القمصان السود الذي روى جوبلز انه تمنى لو ان
جدران مخدع نوم رهم تهاوت كى يرى الشعب الالمانى ما يجرى في داخله .
فلانى يتمنى ان تنهاوى جدران سجون المانيا كى يرى العالم اجمع ما يجرى
بداخلها .

واجتاز الحدود فدخل بلجيكا في الساعات الاولى من الصباح واتجه
الى فندق فنام نوما راودته فيه انعس الاحلام ، ولما استيقظ وتناول شيئا

من الافطار شعر بتحسن واتجه الى التليفون . فثمة شخص لا يستطيع أن ينتظر أكثر من هذا سماع صوته وهذا الشخص هو جيري بندلتون في كان ان كان موجودا في كان . وصبح ما قدره لاني فكان صوت صديقه اشد الاصوات اثلاجا لصدره . وقال لاني « أنا في بلجيكا وبخير . وأريد أن تجيب عن بضعة أسئلة بدون ذكر أسماء » . فقال جيري بلهجته الغنائية « وهو كذلك » فسأله « هل رأيت صديقنا ذلك المساء ؟ » فأجاب « رأيتهم يحضرونه ولكن احدا لم يأت لتسلمه » فسأله « فماذا حدث عندئذ ؟ » فأجابه « اعتقد انهم عادوا به فلم تكن لدى وسيلة للتأكد ، ولم استطع أن أصنع شيئا . وقد حدثتني نفسى بالمحاولة ، ولكنى لم أدر كيف أخرج من هناك بدون سيارة » فقال لاني « لقد خشيت ان تكون قد حاولت . هذا افضل . لدى وعد وشئ من الأمل » فقال جيري « لقد قلقت عليك حتى الموت وذهبت الى السلطات الامريكية وابلغت عن غيابك . وعدت اليهم مرة بعد الاخرى . وأظن الرجل فعل كل ما في وسعه ، ولكنهم كانوا يصرفونه في مراوغة » فقال لاني « كان الامر خطيرا ولكنه الآن على ما يرام ماذا فعلت بعد ذلك ؟ » فأجاب « لم استطع أن أفكر في شئ أصنعه لك فرحلت لأبلغ الاسرة . فطلبوا منى العودة الى البيت لا تنتظر الأوامر . وهذا ما صنعت » . مرحى يا فتى ! انى سعيد لسماع صوتك ! اوافق انت انك على ما يرام ؟ » فأجابه « ليس بى خدش واحد . وسأسافر الى باريس » فقال جيري « تلقيت توا اشارة من زوجتك فهى فى طريقها لمقابلتك فى فندق كريون . لقد فزعت عليك حتى فقدت نصف عقلها . وقد خاضت الصحف فى الموضوع كثيرا كما تعلم » فقال لاني « شكرا لك ايها الصديق القديم على ما صنعت » فقال جيري : « لم أصنع شيئا على الإطلاق . ولم اشعر قط فى حياتى بمثل هذا العجز » فقال لاني « من الجائز جدا انك أنقذتنى . وعلى كل حال هناك قصة طريفة فى طريقها اليك والى الملتقى »

- ٥ -

وصل المسافر الى باريس قرب غروب الشمس ففاجأ ايرما فى الجناح الذى تشغله ، فجعلت تنظر اليه كأنه شبح ، وبدا عليها كأنما تخاف ان تلمسه ووقفت تحمق فيه كمن تتوقع أن تجده مشوها معطوبا فقال « أنا بخير يا حبيبتي ، وأخذها بين ذراعيه ، فانفجرت باكية وهى تقول « أوه يا لاني . لقد عشت فى جحيم هذين الأسبوعين ! » فلما شرع يقبلها تباعدت عنه وحملت فيه بأشد نظرة رأما قط على وجهها الهادى، عادة

وقالت « عدنى يا لانى » يجب ان تعدنى بانك لن تضعنى فى مثل هذا الموقف مرة اخرى ! » .

وهكذا كانت الحال بينهما ، فاستؤنف الجدل قبل ان يستأنفا الحب . وسيكون الأمر على هذا النحو منذ الآن . فهو لم يشأ ان يعد بشئ ، ولم يرد ان يتكلم فى هذا الموضوع من هذه الناحية ، وهى لا تريد ان تتكلم الا فى هذا . لقد ظلت اسبوعين تتخيله ميتا ، او ماهو شر من الميت ، وقد شوّهه اولئك القراصنة . وكان لها كل الحق بطبيعة الحال فى ان تتخيل ذلك . فلم يستطع ان يقول لها ان ذلك كان منها بلاهة او عدم تفعل . بل انه فى الواقع لم يستطع ان يرد عليها اطلاقا . وكانت تريد ان تسمع قصته ومع هذا لم ترد ان تسمعها او تسمع اى شئ آخر الى ان يريح بالها بعهد يقطعه على نفسه انه لن يذهب الى المانيا مطلقا مطلقا مطلقا ! ولا تكون له صلة بذلك الشئ البغيض الشرير الذى يسمونه حرب الطبقات ، والذى يدفع الرجال والنساء الى الجنون والجريمة ويقلب الحياة المتحضرة الى كابوس .

وحاول جهده ان يهدئها ويسعدّها ، ولكن بلا جدوى . فقد فكرت طويلا فى هذه المدة وقرّ قرارها . وكان عليه ان يقرر بسرعة . فهو اولا ينبغى الا يخبرها بكل ما حدث له فى بلاد هتلر ، فهذه قصة لمسامح الرجال فقط . اما سيدات آل هلشتاين فيخبرهن بالتعذيب . واما اتفاهه مع جورنج فلن يعرفه سوى روى وريك . فالشائعات من هذا الطراز تلتوى وتتشوه كلما انتشرت . فيتربّ على ذلك ان لانى ربما لصقت به سمعة تجعله عاجزا عن خدمة الحركة التى يحبها . لذلك قال لها الآن : « سيطرى على نفسك يا حبيبتي . انا هنا ولم يصبنى ضرر من هذه المغامرة . واما من أمر عاجل لا بد ان أقوم به ، فاعذريني اذا تركتك لأستخدم التليفون » .

وتأذى شعورها ، وفى الوقت نفسه استيقظ فضولها . وسمعتة يطلب أوليفى هلشتاين اى مدام بروساى ويخبرها انه وصل لتوه من المانيا وقد رأى عمها سليمان ولديه أخبار خطيرة يبلغها اليها . ويعتقد ان امها واباها ايضا ينبغى ان يسمعها . فقبلت أوليفى ان تلغى موعدا للعشاء كي يذهب الى بيتها فى المساء .

ولم يرد ان يأخذ معه ايرما ، وقضى وقتا عصيبا فى ازالة استيائها . فما جدوى تعريضها لمحنة مشاهدة منظر مأساة عائلية ؟ فلا بد له ان يخبرهم بان النازى يضربون بقسوة شقيق بير هلشتاين ليحصلوا على

النقود المهربة وبطبيعة الحال سيبيعون وربما استولت عليهم حالة هستيرية،
فاليهود يحبون المال حبا جما ، ويحبون أقاربهم ، وفيما بين هذين الحبين
ستعاني أسرة هلشتاين صراعا وعذابا .

وبطبيعة الحال أرادت إيرما أن تعرف كيف تسنى له ان يعرف هذه
الامور او يراها ؟ ومر به وقت عصيب وهو يراوغها لأنه لم يرد أن يقول
لها « لقد حبسنى جورنج هنا عمدا كي يتسنى لى أن اذهب بعد ذلك واخبر
آل هلشتاين . وهذا هو ثمن افراجه عن فريدى » والواقع انه لا جدوى من
ذكر اسم فريدى اطلاقا ، فمن الواضح ان إيرما لا يعنىها أمره ، حتى انها
لم توجه اليه سؤالا واحدا عنه . فما تريد ان تعرفه هو : هل سيكون
لها زوج من غير أن تتعرض للجنون خوفا . وجعلت تنظر الى لاني الآن وكأنه
غريب ، والواقع انه كان غريبا عنها بجانب من نفسه على الأقل جانب
جديد مصر لا بد أن يمضى في طريقة الذى يختاره من غير أن يتحدث عن
ذلك الطريق كثيرا . وقال « انى مدين لاوليفى هلشتاين بوجوب
اخبارها بما اعلم . وأظن ان الانسانية تقضى بمحاولة انقاذ ذاك السيد
العجوز الموجود فى برلين ان استطعت .

هذه هى المسألة اذن ! انه مستمر فى انقاذ الناس ! الواحد منهم تلو
الآخر ، وهم أناس لا تشعر نحوهم إيرما باهتمام خاص . انه أشد اهتماما
بانقاذ سليمان هلشتاين منه بانقاذ راحة بال زوجته ، وانقاذ حبهما الذى
تعرض أيضا لعذاب حجرة التعذيب !

- ٦ -

كان المشهد الذى جرى فى بيت السيدة دى بروساى الانيق الباذخ
اليماء على نحو ما توقعه لاني تماما ، فتمة تلك الام الضخمة التى فحصته
ذات مرة خلال منظارها المرصع بالماس لترى هل يصلح وسيلة لانجاب مزيد
من سلالة آل هلشتاين . وكان هناك بيير هلشتاين الوالد المائل الى
البدانة كشقيقه فى برلين الا انه اصفر سنا وأكثر اناقة ، وشاربه مصبوغ .
وكانت هناك اوليفى فى أوج نضج جمالها وكانت قد وجدت لاني شخصية
رومانسية وهى فتاة ، ولم يزل هذا الرأى يخامر عقلها الباطن ، وقد
تزوجت من ارستقراطى فرنسى مسيحي لم ير من واجبه أن يكون حاضرا ،
وبدلا منه حضر أخوها وهما شابان نشطان من رجال الاعمال يبدو عليهما
الاهتمام العميق .

وأخبرهم لاني بما شاهد وعرف من غير ان يخفى عنهم شيئا ، ولهم بدورهم لم يحرموه من شيء من بكانهم وتأوههم وعصر اكفهم بعضها ببعض . وقال لهم انه كان يتوقع ان يكون الضحية التالية فوق آلة الجلد ، ولم ينقذه من ذلك الا حسن طالعه لان صديقا له من الضباط سمع بمحنته فوصل في الوقت المناسب كي ينتزعه من أيديهم . ولم تكن هذه القصة معقولة في نظرهم .

ولم ينتظر لاني الى ان يسمح قرارهم بدفع الفدية للنازي ، واستنتج ان ذلك سيقضى اتصالات تليفونية بالعواصم الاخرى وهذا ليس من شأنه . وسألوه هل القصة التي أخبرهم بها سرية . فقال لهم انها ليست سرية اطلاقا ، وفي رأيه ان الجمهور يجب ان يعرف ما يحدث في بلاد النازي ، وان كان يشك في ان النشر يمكن ان يؤثر على موقف أعدائهم منهم .

- ٧ -

اما وقد فرغ من أداء واجبه فقد اتسع له الوقت يتودد الى زوجته ويعمل على رد راحة بالها اليها . ولما اكتشفت انه يحاول الا يخبرها بقصته ازداد فضولها . فاختلق صيغة مخففة من القصة تدور حول جهوده لشراء خروج فريدي من داخاو ، وكانت ايرما تعلم ان هذه كانت خطته ابتداء . ثم قال لها انه وهو جو قبض عليهما فحبس في سجن مدينة ميونيخ البهيج . وكان في وسعه ان يمضي في سرد التفاصيل عن ذلك المكان بحيث تبدو القصة متعة تماما ، وزعم لها ان مشكلته الوحيدة هناك انهم رفضوا السماح له بالاتصال بالعالم الخارجي . وكان ذلك بسبب الاضطراب الذي ترتب على « حمام الدم » . وقالت ايرما ان الصحف في لندن كانت حافلة بالكلام عن هذا الموضوع ، حتى انها اقتنعت في قراره نفسها بانها صارت أرملة . فقال لها « كنت تصلحين أرملة فاتنة » ولكنه لم يستطع حملها على الابتسام . وأرادت ان تعرف منه « وماذا تنتظر الآن ؟ » فاخبرها انه عقد اجتماعا مع فورت فينجلر وان لديه أملا حقيقيا في اطلاق سراح فريدي في الايام القليلة التالية . ولم يفكر في طريقة تجعل قوله هذا معقولا ، وايرما نافذة الصبر تريد الرحيل معه الى انجلترا . ولكن لا . فلا بد له من البقاء في هذا الفندق طول اليوم . انها المسألة القديمة ، مسألة انتظار نداء تليفوني لا يأتي مطلقا . كانت تريد الاعتماد عن كل ما يذكرها بايام الشقاء ولياليه تلك ، بما في ذلك فريدي وراجيل

وسائر أفراد أسرة روبن . وربما بدت قاسية بعض الشيء ، ولكن لاني أدرك انها مدفوعة بإحساسها الطبقى والمشاعر المرتبطة بسلالتها . فهي تريد أن تمنح وقتها واهتمامها لمن تعتبرهم مهمين في نظرها ، فامها في انجلترا ، وكذلك فرانسس . ولديها قصص جديدة عن فرانسس ، وهذا موضوع يمكن أن يتحدثنا فيه فيسود بينهما السلام . بل لعله الموضوع الأوحـد تقريبا .

ولما كان في فندق كريون أكثر من خط تليفوني واحد فقط استطاع لاني أن يستمتع بطرف محادثات طويلة المدى من غير أن يعوق بذلك الحديث البالغ الأهمية الذي ينتظره من برلين ، فطلب والدته التي ذرفت كثيرا من الدموع لم يكن في الامكان لسوء الحظ نقلها عبر الاسلاك . واتصل بريك وأخبره بلغة متحفظة بما لديه من آمال . واتصل باميلى شترزورث ودعاها للقدوم وتناول الفداء مدركا ان ذلك يسر ايرما ، وجاءت اميلي مستشارة الفضول وتقبلت منه قصته الملفقة التي أخبر بها زوجته . وكانت مسألة سليمان هلشتاين قد انتشرت في باريس كلها كما تنبأ جورنج وسمعت بها اميلي وأرادت أن تتحقق منها . فقال لها لاني انه كان تحت التحفظ في برلين ، وهناك وصلت اليه انباء ما وقع للشقيق الأكبر لنصف دسـة من الاشقاء أصحاب البنوك في أوروبا .

وكتب لاني أيضا خطابا طويلا الى أبيه انباء فيه بالقصة الحقيقية ، وخطابا أقصر منه الى هانس وبيس اللذين ذهبا الى امريكا الجنوبية مع والدهانسي . وكان الابن يبيع الأنغام الجميلة والاب يبيع المصنوعات الحديدية بما فيها البنادق . ولم يكن الزوجان الاحمران يريدان الذهاب لولا أن الأبوين استخدما سلطتهما بالتضامن . فمجرد وجود أحمرين شهيرين في أوروبا يمكن أن يثير النازي وقد يحبط جهود لاني لمساعدة فريدي . ولم ترق هذه الحجة للزوجين الشابين ، الا انه لم يكن لديهما رد عليها .

- ٨ -

وفي الصباح الباكر جاء الاتصال التليفوني من برلين ! انه صوت الملازم الأول فورت فينجلر المرح يناديه « أنباء طيبة يا هر بد ! لقد كلفت ان أبلغك اننا مستعدون لتخليه سبيل صديقك . » وعانى الرجل الواقف عند طرف الخط التليفوني في باريس وقتا عصيبا كي يحتفظ بثبات صوته

وهو يقول « أين سيكون ذلك يا سيادة الملازم الاول ؟ » فقال الضابط
« هذا أمر تقررره انت » فقال لاني « أين هو الآن ؟ » فأجابه « في ميونيخ »
فسأله لاني « اتفضل مكانا قريبا من هناك ؟ » فأجابه « تعليماتي تقضى
بان تحدد انت المكان » .

وتذكر لاني القنطرة التي كان قد عبر عليها نهر الراين في طريقه
الى ميونيخ ، وهي المكان الذي دخلت منه الطفلة ماري انطونيت ارض
فرنسا فيما مضى ، فقال « هل القنطرة القائمة بين كيل وستراسبورج
مكان مناسب لكم ؟ » فأجابه الضابط « تمام المناسبة » فقال لاني : هناك
أسرع منك . فحدد انت الوقت » فقال لاني « ليكن الساعة العاشرة من
صباح الغد » فقال الضابط « اتفقنا . سوف لا أكون هناك شخصا لذا
أغتني الفرصة الآن لأشكرك على مجاملاتك الكثيرة وأتمنى لك كل سعادة »
فقال لاني « زوجتي معي في الحجرة وتود أن تبعث اليك والى زوجتك
بتحياتها » فقال الضابط « بلغها تحياتي وشكري . وأنا واثق بان زوجتي
تشاركني هذه المشاعر وداعا » .

هكذا تكون صيغة التخاطب . فلماذا يعجز الناس عن أن يعيشوا على
هذا المنوال حقيقة ؟ .

- ٩ -

وقال لاني لزوجته « الآن يا عزيزتي أحسبنا نستطيع أن نذهب الى
بيتنا وننعم بالراحة » وكانت دهشتها عظيمة وأرادت أن تعرف كيف بالله
استطاع أن يصل الى هذا ؟ فقال لها « كانوا يحاولون العثور على مواضع
بعض أصدقاء فريدي ورفاقه . وفي استنتاجي انهم ظفروا بهم الآن ، فلم
يعد ذا نفع لديهم . وقد يكون أيضا ان جورنيج يظن ان في وسعه الاستفادة
بي في المستقبل » فسألته أمزمع انت أن تصنع له شيئا ؟ » فأجابها
« لن أفعل له شيئا ما استطعت ذلك . ولكن هذا كله بيني وبينك وينبغي
ألا تتفوهي بكلمة منه لأحد حتى ولا لآمك وأمي » . فسر لها أن يكون لها
المكان الأول في ثقتي ، ووعدته بذلك .

واتجه الى التليفون وطلب الاتصال بصديقه المخلص في كان وقال
له « يا جيري أعتقد انني سأحصل على فريدي ، وهالك مهمة أخرى لك .
اتصل براحيل في بيانفيني وأخبرها أن تستعد ثم هاتها بالسيارة الى
ستراسبورج . لا تتأخر لأنني لا أعرف على الاطلاق في أي حالة سيكون

فريدى ، وهى الوحيدة التى يجب أن تكون موجودة لتتخذ القرارات بشأنه . وانت تعرف أى نوع من البشر نتعامل معهم . ولا أستطيع أن أضمن شيئا فى أى أمر يتصل بهم ، بيد أنى أعتقد أن فريدى سيكون هناك فى الساعة العاشرة غدا ، والأمر يستحق من راحيل أن تستعد لهذه الفرصة . اركب سيارة بيوتى من بيانفينى ان احببت وانصحك أن تأتى عن طريق وادى الرون وبيزانسون ومولهوز . قد السيارة طول الليل ان استطعت تحمل هذا العبء ودع راحيل تنام فى المقعد الخلفى . وسأكون فى فندق مدينة باريس باستراسبورج .

وواجهت لانى مشكلة أخرى دقيقة . فهو لا يريد أن يأخذ إيرما فى هذه الرحلة ، وفى الوقت نفسه لا يريد أن يجرح مشاعرها . فقال لها « تعالى ان اردت ، ولكنى أقول لك ان التجربة قد تكون اليمة ، ولن يكون بوسعك أن تصنعى الشيء الكثير ، فسألته « لماذا طلبت منى الحضور الى باريس يالانى ان لم تكن بحاجة الى عونى ؟ » فأجابها « لقد طلبت حضورك لانى احبك ولانى أريد أن أراك ، ولانى أعتقد أنك تريد أن ترىنى . وأنا ريد عونك فى كل شيء يعنىك أمره ولكنى لا أريد أن أجرك الى أمر لا تميلين اليه . انا لم أر فريدى ، وكل تصورى له من قبيل التخمين ، فقد يبدو الآن أشبه بشيخ مسن ، وقد يكون مريضا أو على شفا الموت وقد يكون مشوها بطريقة مفرعة ، وقد يكون فاقد العقل تماما . فهمة زوجته أن تعنى به وتمرضه ليعود الى الحياة ، وهذه ليست مهمتك أنت . ولذا امنحك الفرصة لتجنبى نفسك تجربة أخرى مضنية . » فأجابته « سنكون جميعا غارقين فى هذه التجربة اذا استمرت هذه الأسرة تقيم فى بيانفينى ، فقال « قد تضطر راحيل لنقله الى مستشفى . وعلى كل حال لن نعود الى هناك قبل الحريف . وهانس وبيس يربحان مالا كثيرا ، وكذلك يوهانس . لا شك عندى فى ذلك . وقد يحبون أن يستقلوا بسكن خاص بهم . وهذه كلها مسائل متعلقة بمستقبل الأيام ، ويتوقف جانب كبير منها على حالة فريدى . ولذا اقترح أن أتركك لدى اميل الى أن أعود . وقد طلبت من جيرى احضار راحيل فى سيارة كى يستطيع أخذها الى أى مكان تشاء وبذلك نكون أنا وانت حرين فى تحركاتنا . ويوجد فى باريس مصح به جراح عالج مرسيل عندما اقعد وأصيب بالحروق . ولم يزل هذا المصح قائما ، وقد اتصلت به تليفونيا وأخبرتهم أننى قد أرسل اليهم مريضا من قبل . » فهتفت « أوه يالانى ! كم يكون سرورى لو استطعنا أن نخصص بعض الوقت لأمورنا الخاصة ! » فقال « نعم يا حبيبتى . هذه فكرة عظيمة وستبدو انجلترا بديدة بعد أن انفضى يدى من هذه المهمة .

وأنا متلهف على معرفة مآصنعه ريك فى الفصل الأخير من مسرحيته ،
وربما استطعت أن أمدد ببعض الملاحظات ، •
ولم يدرك زلة لسانه إلا بعد أن رأى التقطيب على وجه إيرما •
يا للمسكين لانى ! سيمانى وقتا عصيبا ريشما يتعلم كيف يفكر فى أمر
نفسه !

- ١٠ -

تم ايداع إيرما فى قصر ليه فوريه ، وهو مكان تستحب الإقامة فيه
فى منتصف يوليو • وفى خمس عشرة سنة استطاعت غابات الزان النبيلة
أن تصلح شأن نفسها ، وأنسام الصيف لم تعد تحمل أدنى اثر ل'لوف
الفرنسيين والألمان المدفونين هناك • ولما كانت اميلى أشبه بأم فى الرضاع
لزوج إيرما ، وكان لها ضلع كبير فى عقد هذه الزيجة ، فقد توفرت لهما
موضوعات حديث لاتنفد وحاولت السيدة المسنة أن تقنع هذه الثرية
بلباقة وكياسة أن كل رجل لابد أن تكون له نقائض تقابل مزاياه ، وأنه
قد توجد نقائص أسوأ فى الزوج من فرط الاهتمام بغيره من الناس
وسخاء اليد •

وفى هذه الأثناء كان لانى يتجه فى سيارته بسرعة كبيرة فوق طريق
خلوى بديع يتجه شرقا صوب نهر الراين • وهذا الطريق الى حد ما هو
بعينه الطريق الذى اجتازه الملك والملكة الهاربان فى عربتهما المقفلة الثقيلة
وغير بعيد من هذا الطريق الى الجنوب تقع فارين حيث تم القبض عليهما
وارجاعهما الى باريس حيث قطع رأسهما • ان البشر يعانون العذاب ،
ومصائرهم تغدو أساطير لمن بعدهم ، ويكتب الشعراء القصائد عنهم ،
ويؤلف الكتاب المسرحيون المسرحيات ، فيغدو ذكر هذه المآسى الغابرة
مصدر لذة حاضرة • وهذا وجه الغرابة فى كيمياء النفس البشرية •

وتناول المسافر عشائه على الطريق ، ووصل الى غايته بعد منتصف
الليل • ولم تكن ثمة فائدة فى النظر الى قنطرة خالية ، ولم تكن حالته
النفسية تسمح بمشاهدة الكاتدرائيات ، ولو كانت أقدمها • فتوجه الى
الفراش ونام وفى الصباح أفطر بفاكهة ووصلته برقية من جبرى تقول
أنهما فى بيزانسون وأنهما قادمان فوراً • ولا جدوى من الذهاب الى المكان
المتفق عليه قبل الموعد ، ولذا طالع لانى صحف الصباح الصادرة فى هذه
المدينة التى تداولتها الأيدي مرارا كثيرة ولكنها فى الوقت الحاضر

فرنسية • وقرأ في الصحف أن أدولف هتلر دعا مجلس رايخسستاغة الأليف للاجتماع في دار أوبرا كروول والقي فيهم خطبة طالت ساعة ونصف أخبرهم فيها بمدى عذاب روحه لأنه اضطر لقتل كل هذا العدد الكبير من أقدم أصدقائه وأنصاره • ولما انتهى من الخطبة جلس خافض الرأس حسيماً ، في حين وقف جورنج يقول للعالم اجمع كيف أن هتلر هو الزعيم المقدس المعصوم من الخطأ ، وأقر المجلس هذا القول باجماع الآراء •

وآثارت هذه القراءة أفكاراً كثيرة في ذهن لاني وهو يقود سيارته ثلاثة أميال أو أربعة نحو قنطرة كيل • ثم أوقف سيارته ومشي على قدميه الى منتصفها • لقد حضر قبل الموعد ووقف عند السياج يحديق في هذا النهر الكبير العتيق عاليه ومنخفضه • فلا خير في أن يستشير نفسه في صدد مهمته • لأنها ستنتجج ان كانت مزمعة ان تنجح ، وإن لم تنجح فسيذهب الى اقرب تليفون ويتصل بالملازم الأول ويسأله عن السبب ، فلا جدوى في تعذيب نفسه بالمخاوف حول ما سوف يراه • فمهما تكن حالة فريدي فهو لن يزال فريدي ، وسوف يصلحون من شأنه على خير وجه مستطاع • والى أن يحين الوقت فلينتظر الى أعماق هذا المجرى السريع وليتذكر أن عرائس الراين كن يسجن هنا ويعابثن القزم البيريش • ولطهن مازلن يسجن سورن في أذنيه نغم القرار المتواتر في أوبرا ذهب الراين ، وكأنه دوى النفير • وفي مكان ما فوق هذه المرتفعات على طول هذا المجرى جلست لورلاي ومشطت شعرها الذهبي بمشط ذهبي وتفتت بأغنية رائعة العذوبة ، حتى ان النوتي في الزورق الصغير استولى عليه افتتاحان جامع فلم يفتن للشعب الصخرية الكامنة تحت سطح الماء وهو يحملق نحو الاعالي ، فابتلعت الأمواج في نهاية الأمر النوتي والزورق معا • وبفناء اللورلاي العجيب تم هذا كله ، وهي كارثة أخرى حولتها كيمياء النفس الى مصدر للسرور !

وبعد كل دقيقة أو دقيقتين كان لاني ينظر الى ساعته • فقد يحضرون قبل الموعد ولكن لا • فذلك خطأ مثل الوصول متأخرين ، لأن الدقة شعار الألمان ومصدر اعتزازهم • وعندما يتأهب عقرب الدقائق في ساعة لاني أن يتجاوز قمة الميناء • ستقبل سيارة رسمية كبيرة نحو خط المنتصف فوق القنطرة حيث يمتد حاجز يدل على أن الجانب الشرقي منها المائي والجانب الغربي فرنسي • فان لم يحدث هذا بالضبط فسيكون معنى ذلك ان الساعة غير مضبوطة ، لا ان الحلل في جانب الضبط والربط الالمانيين • وكان لاني قد سمع وهو غلام حكاية من مستر هكيبوري العجوز صانع الصابون عن مزارع طلب ساعة جديدة انتقاها من سجل للبيع بالبريد ،

وخرج الى حقله ومعه الساعة والتقويم وقال : ان لم تظهر الشمس فوق هذا التل فى مدى ثلاث دقائق ، فهى متأخرة عن مواعدها ! ، .

- ١١ -

ها هى السيارة قادمة ! سيارة من طراز مرسيدس بنز يرفرف فوق مقدمتها علم صغير رسم عليه الصليب المعقوف ، يقودها سائق يرتدى الزى الرسمى لكتائب الأمن بما فى ذلك الخوذة الفولاذية . ووقفت السيارة عند الحاجز ، فى حين وقف لانى فوق آخر قدم من الأرض الفرنسية وقلبه فى فمه . ونزل من السيارة رجلان من ذوى القمصان السود وشرعا فى مساعدة الراكب بينهما على الهبوط منها .

**** معرفتي ****
www.ibtesama.com
منتديات مجلة الإبتسامة

فهرس

الموضوع	الصفحة
« الكتاب الأول »	
(الصباح يفتح ابوابه الذهبية)	
الفصل الأول	
البداية القديمة	٥
الفصل الثاني :	
أصدقائك هؤلاء	٢٥
الفصل الثالث :	
وحاولوا الاختيار	٤٥
الفصل الرابع :	
انا أدعو الأرواح	٦٦
الفصل الخامس :	
من الأغوار المترامية	٨٤
« الكتاب الثاني »	
(سحابة كالتنين)	
الفصل السادس :	
استيقظي يا المانيا ..	١٠٢
الفصل السابع :	
« شهدت الأعاصير »	١٢٦
الفصل الثامن :	
البلد والاقسام	١٤٦

الصفحة	الموضوع
	الفصل التاسع :
١٦٧	ارض مات فيها آبائي
	الفصل العاشر :
١٨٨	الضمير مجبنة
	« الكتاب الثالث »
	(هبى ياربياح وارتنطى)
	الفصل الحادى عشر :
٢٠٨	انه وجود المرأة باكملة
	الفصل الثانى عشر :
٢٣١	افراح فى مركز القيادة
	الفصل الثالث عشر :
٢٥١	حتى شفا الدمار
	الفصل الرابع عشر :
٢٧٢	الرياح العاصفة تهب
	الفصل الخامس عشر :
٢٩٤	الطريق الخامس
	« الكتاب الرابع »
	(وخيمت الظلمة)
	الفصل السادس عشر :
٣١٣	« اصل جميع الشر »
	الفصل السابع عشر :
٣٣٥	اتفضل بدخول حجرة جلوسى ؟ ..
	الفصل الثامن عشر :
٣٥٦	هلا انا

الصفحة	الموضوع
	الفصل التاسع عشر :
٢٧٨	لا سلام
	الفصل العشرون :
٢٩٩	العذاب هو الشعار
	« الكتاب الخامس »
	(وهكذا تكون نهاية العالم)
	الفصل الحادي والعشرون :
٤٢٠	باسم الصداقة
	الفصل الثاني والعشرون :
٤٤٠	اكسب نقودا اكثر يافتى
	الفصل الثالث والعشرون :
٤٥٩	جميع ممالك الدنيا
	الفصل الرابع والعشرون :
٤٧٨	اليهود رجس
	« الكتاب السادس »
	(لقد أريقَ الدم)
	الفصل الخامس والعشرون :
٥٠٠	التعلق بالهواء ..
	الفصل السادس والعشرون :
٥٢١	خارج هذا السور الشائك يكمن الخطر
	الفصل السابع والعشرون :
٥٤١	فعلة بشعة
	الفصل الثامن والعشرون :
٥٥٨	تعليمات دموية
	الفصل التاسع والعشرون :
٥٧٤	اعمق من الدموع

**** معرفتي ****
www.ibtesama.com
منتديات مجلة الإبتسامة

الدار الفومية للطباعة والنشر



فبراير ١٩٦٧



Exclusive
For
www.ibtesama.com